الواضح المبين
في ذكر من استشهد من المحبين

تأليف

علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله الحنفي

المتوفى ٧٦٢هـ

تحقيق

سيد كسروي حسن

منشورات محمد علي بيضون
دار الكتب العلمية
بيروت لبنان

الواضح المبين

في ذكر من استشهد من المحبين

تأليف

علاء الدين مغلطاي بن قليج بن عبد الله الحنفي

المتوفى ٧٦٢ هـ

تحقيق

سيد كسروي حسن

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية بيروت لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

الحمد لله ... ثم الحمد لله... ثم الحمد لله حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان ونسأله أن يجعلنا من الراشدين.

فسبحانه خلق الحب والكره كما خلق الموت والحياة، وجعل الحب والكره درجات وركبه في طبائع الكائنات حتى نرى ذلك في كثير من الطيور والحيوانات ، وجعل ذروته وتمامه في خير وأكمل المخلوقات ألا وهو الإنسان سيد الموجودات وبين سبحانه أنه هو المؤلف لذلك في طبائعهم والمحرك له من كوامنه في نفوسهم، فقال سبحانه: ﴿**لو أنفقت ما في الأرض جميعًا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم**﴾(١) وجعل مداره ومجاله بين المرأة والرجل فقال: ﴿**خلق لكم من أنفسكم أزواجًا**﴾(٢) وجعل هدفه السكينة والقرار والهدوء والاطمئنان وراحة البال فقال: ﴿**لتسكنوا إليها**﴾(٣). وجعل من ثمراته التواد والتراحم فقال: ﴿**وجعل بينكم مودة ورحمة**﴾(٤).

فسبب الحب المودة ونتيجته هي الرحمة والعطف والحنان والألفة. وأشهد أن لا إله إلا الله كلمة تخفق من حبها القلوب، وترتجف من هيبتها الفرائص، وتحن إليها النفوس، وتذرف من خشيتها العيون حبًا وخوفًا وإجلالاً وحنانًا ورقة ورهبة وأنسًا.

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدًا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أرق الناس فؤادًا وأشجعهم قلبًا وأشفقهم جنانًا قال فيه ربه: ﴿**ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾(٥) .

---

(١) سورة الأنفال (الآية: ٦٣).

(٢) سورة الروم (الآية: ٢١).

(٣) سورة الروم (الآية: ٢١).

(٤) سورة الروم (الآية: ٢١).

(٥) سورة آل عمران (الآية: ١٥٩).

وقال فيه في حبه لمن آمنوا به: ﴿عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم﴾(١) .

وقال فيه وفيمن لم يؤمنوا به: ﴿وما أرسلناك إلاّ رحمة للعالمين﴾(٢). وقال فيه وفي أصحابه مبينًا أنهم من أرق الناس أفئدة وألينهم قلوبًا وأشجعهم جنانًا: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾(٣).

فصلى الله عليه وسلم من نبي أوتي قلبًا رقيقًا فعرف للحب منزلته وقدره ومكانته في نفوس البشر إذ هو أنقاهم حبًا ، وأصفاهم ودًّا، وقد قال في الحب الشرعي الكثير والكثير جدًّا ومن بين ما قال فيه: ((**أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض في الله**)) ، وقال كذلك في الحب الإنساني عند فتح مكة: ((**اضربوا لي خيمة عند قبر خديجة**)) يا لها من كلمة يخفق من جمالها وحنانها ورقتها ووفائها القلب وتدمع العين ويعلم الله أنه كلما سمعت هذه الكلمة إن لم تذرف عيني فلا بد أن تخفق ويضطرب قلبي حتى هذه اللحظة التي أخط فيها هذه الكلمات، وأشد ما يؤثر فيّ فيها تلك الكلمة عند قبر خديجة. لا لن يستطيع قلمي مهما أوتي من دقة بيان وفصاحة وسلاسة أن يعبر عما يجيش في نفسي من تأثير هذه الكلمة عما في نفسي لها.

وقال فيه أيضًا متعجبًا منه لأحد جلسائه عندما مرت أمامه بريرة، ويتبعها مغيث يبكي، وكان زوجًا لها ففارقته لما أن أعتقتها السيدة عائشة -رضي الله عنها-، وكانت لا تحبه: ((**ألا تعجب من حب مغيث بريرة وبغض بريرة مغيثًا**))؟! ثم دعاها، فتودد إليها لترجع إليه رأفة بحاله فقالت له: يا رسول الله، أتأمر أم تشفع قال: ((**بل أشفع**)). قالت: لا أتزوجه.

انظر إلى معالجته لأمرهما استئذان وشفاعة لا أمر وقهر.

وانظر إليه -صلى الله عليه وسلم- لما أن جاءه آخر يشكو إليه حال زوجته وأنها لا ترد يد لامس فقال له : ((**طلقها**))، قال: إني أحبها وأخاف أن تتبعها نفسي، فقال له:

---

(١) سورة التوبة (الآية: ١٢٨).

(٢) سورة الأنبياء (الآية: ١٠٧).

(٣) سورة الفتح (الآية : ٢٩).

((**أمسكها**)) وفي رواية: ((**استمتع بها**)) .

فهذا طلب الفتوى، فأفتاه، وطلب النصح فنصحه و لم يقهره على فعل ما لا ترتضيه نفسه.

فصلى الله عليه وسلم من نبي إنسان قال فيه ربه: ﴿**النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم**﴾، -وصلى الله عليه وسلم- من نبي جاء بكمالي الدين والدنيا معًا.

أمـــا بعـــد:

فإن مسألة الحب والعشق والغرام والهيام والألفة والائتلاف والأنس والارتياح لهي من المسائل التي تعثر فيها كثير ممن تناوله سلوكًا أو كتابة سواء من المسلمين أو من غيرهم.

فمنهم من اعتبره ظاهرة مرضية يجب علاجها ومنهم من رآه ظاهرة صحية يجب تنميتها وذهب القارئ وراء هؤلاء تارة، ووراء هؤلاء تارة حتى تاه في وديانهم واحتار في شعابهم.

والواقع أن الحب حقيقة طبيعية ونفسية مركبة في نفوس البشر كما هي الحال بالنسبة للطبائع من لين، وحدة، وشجاعة، وجُبن، ومروءة، وخسَّة، وفجور، وتقوى، إلى آخر ذلك من طبائع النفس البشرية.

ويستوي في ذلك الفظ الغليظ، واللين الشفوق والطاغية الجبار، والعادل الرحيم، والعابد الزاهد، والسليم والسقيم، والمسافر والمقيم.

وهذا الطبـــع ليس قاصرًا على رجل وأنثى ولكن تظهر صورته واضحة جلية في هذه الحالة مهما حاول صاحبه إخفاءه حتى إنهم قالوا: "والصب تفضحه عيونه". أو بمعنى آخر في العامية المصرية: "اللي يحب يبان في عنيه".

والإسلام قد اعترف بذلك الطبع وأقره ولكنه نظمه، وحض على الجمع بين المتحابين، ونهى عن الفرقة بينهما، بل وحذر من ذلك حتى لا تكون فتنة ويكون فساد كبير ، وشرع الطلاق ، والتفريق، والافتداء، وعدم الإمساك ضرارًا إلى غير ذلك مما هو معلوم في شريعة الله تعالى.

فعلى الإجمال وفي هذا الإطار الشرعي من أحب امرأة أو إن أحبت امرأة رجلاً،

فلا يحال بينهما بفوارق الجنس أو المجتمع -أقصد بالجنس الجنسية كالعربي، والأوربي والإفريقي والهندي إلى آخر ذلك، وأعني بالمجتمع الطبقة الاجتماعية أو الفوارق المالية- ولكن يذكر الطرفان بتلك الفوارق وما قد تسببه من المضار عليهما ومغبة ذلك على أهلهما أو أولادهما إن قدر بينهما ولد، فإن غلب قلباهما على عقليهما ورأييهما، ورأيا أن يجتمعا غاضين الطرف عن ذلك عن قناعة تامة عندهما فلا يحال بينهما ويزوجان وإن عاد أحدهما أو كلاهما إلى حاله ومكانته الاجتماعية أوالوطنية التي أسميتها الجنسية لتباعد الأقطار وتقطع الأرحام فعلى ولي الأمر أن يلبي لهما طلبهما، ويزيل ما كان سببًا في حدوث هذا الأمر الذي عرضهما لهذا، الوضع، ولا يدع أحدهما يؤثر على الآخر حتى لا يفسد عليه حياته في فترة ضعفه أو غفلة عقله أو سكرة حُبِّه.

وإن اجتمع المتحابان عن طريق الزواج فإنه في الغالب ما تثمر عنه علاقة حميمة موفقة ولكن لا يشترط ولا يعتاد أن تأتي منه ثمرة أولاد كما هما، ولكني أتكلم عن الوفاق بين الطرفين المتحابين فقط ولكن قد، وأقول: قد يثمر ثمرة من الأولاد على هذا النحو من الحب والاستقامة والوفاق فتكون أسرة طيبة موفقة.

وأما عن موضوع كتاب: "**الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين**" . فإنه يتناول موضوع الحب والعشق وقصص العشاق والمتحابين وما كان مآلهم وأسباب عشقهم.

وقد كنت قد عقدت العزم منذ فترة من الزمن أن أكتب في هذا الموضوع لما كنت قد رأيت عددًا من النساء الفضليات وصور من حبهن ووفائهن لأزواجهن وطهرهن وعفتهن وصبرهن الجميل.

ولما شاع بين الناس من أن هذا النوع من النساء قد اندثر ولا يوجد إلا في بطون الكتب وربما كان ذلك من الأساطير ولا حقيقة له.

نعم لقد شاع في عصرنا الحب المادي والذي سرعان ما يتحول معه حيث تحول لكن هناك نماذج هي أرقى بكثير مما هو في بطون الكتب عفة وطهرًا ونقاءً وصبرًا وجلدًا ولم أسمع عنهن فقط لا بل أعرف عددًا منهن بالإضافة إلى ما سمعته عن أخريات من أزواجهن ولم يكونوا يجاملون ولكن كانت الحقائق تتجلى بتلك الحميمية بينهم فقررت

كما قلت أن أكتب في هذا الموضوع وأسبابه ودوافعه وفضائله وكيفية توظيفه والاستفادة منه إلى آخر ذلك.

ثم إني كثير المشاغل بالكتب التراثية والتي تأخذ مني وقتًا كبيرًا جدًا، فسعدت عندما وقفت على مخطوط هذا الكتاب حيث وجدته قد أطال في مقدمته إلاّ أنها جاءت غير مرتبة ولا متدرجة المراحل أو المواضيع.

فقلت: في نفسي في هذا الكتاب شيء من الإفادة وإن كان موضوعه مشابه لموضوع كتاب مصارع العشاق بل أخذ منه قصصًا كثيرة حرفيًا، وقلت: أقدم له، بمقدمة تغني عن تأليفي للكتاب الذي كنت قد عقدت العزم على تأليفه.

وبدأت في نسخ المخطوط وكلي أمل في أن أفرغ في مقدمته كوامن نفسي وعلاقة الإسلام بهذا الأمر وتناوله له، وما هي إلا أن انتهت أيام نسخ المخطوط حتى ضرب الدهر بي ضرباته وفاجأتني الدنيا بفجائعها، وأتت الرياح بما لا يشتهي السفنُ.

ومع مفاجآت الحياة والأيام بمخبآتها من المكاره المدخلات على النفس الكدر وعلى الفكر الاضطراب، فهمت في بحور غير البحور، وهمت في وديان غير الوديان سائلاً النجاة من الواحد الديان.

فأقول الآن وفي نفسي ما فيها من مرارة الأسى ولوعة المصيبة: أكتفي بما ذكر المؤلف رحمنا الله وإياه من تقديمه للكتاب وبما ضمنته في حواشيه وهوامشه من التعليقات عن التقديم له بما لا أرى أنه يفيد شيئًا عما في نفسي.

ولكن ما أريد التركيز عليه الآن هو عدة أمور منها:

- أن حديث : ((**من عشق فعف فكتم فمات فهو شهيد**)) بألفاظه المختلفة ليس بصحيح ولا يعمل به ولا يحتج به في مثل هذه الأمور، ولا ينبني عليه مثل هذا الحكم الشرعي الكبير حيث إن الشهادة من أسمى مراتب الموت وأعلى منازل الآخرة ولا ينالها إلا من لهم في الإسلام من الصلاح والسبق في الخير ما لهم وهؤلاء القوم الذين أفرغت قلوبهم من كل شيء سوى الله سبحانه وتعالى.

وغاية ما يقال فيه إنه قول موفق إلى حد كبير لو حذفنا منه ما بآخره من الحكم بأن يحول إلى كلمة أخرى من كلمات الفضائل كأن يقال : فهو نبيل، فهو كريم، فهو

شريف فهو عفيف إلى آخر ذلك من الأوصاف الجميلة، ثم لا ينسب إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .

- أن الحب أمر لا خجل منه ولا عيب فيه ما دام في موضعه، فكل إنسان ذي حسٍّ سليم لابد وأن يحب.

- على من كان وليًا لأمر محب أو محبوب أن يسعى في الجمع بين الحبيبين ما دام أنه لا مانع شرعي يحول دون ذلك وأن يمهد لهما سبل الخير، وأما إن كان هناك موانع شرعية وإنما يقع الحب في مثل هذه الأحوال نتيجة لخطأ شرعي يقع فيه أحد الطرفين أو كلاهما، فعلى الولي إزالة هذا الخطأ بسرعة وإلزام كل واحد منهما بما أوجب الله عليه من الضوابط الشرعية وتذكيرهما هول يوم القيامة وإيقاف الأمر قبل تفشيه حتى لا يهلك الحرث والنسل.

- أن القول بأن الحب من نظرة واحدة يحول الفرد إلى هذه الصورة من عدم السيطرة على نفسه وعدم التحكم في مشاعره ليس هذا من الحقائق وإنما هو من الأمور المبالغ فيها وإنما نراه نحن أو يظهر لنا بعد ما يكون قد بلغ من صاحبه مبلغًا.

- أنه ليس كل من أحب و لم يجتمع بحبيبه مات فور سماعه بخبر موت حبيبه كما هو شائع أيضًا في كتب العشق والحب إذ تجد في نهاية كل حكاية أو ترجمة عبارة لا تكاد تخلو منها ترجمة تقول: فشهق شهقة فمات.

- أنه ليس الحب هو تلك الكلمات الحلوة المنمقة المعسولة، وهذه العيون المسبولة، والأعضاء الهائمة المرتخية الباهتة الباهة، ولا بخفقان قلب صبّ صغير السن ، راقه جمال صورة أو رقة صوت، أو تلوى في حركة، أو ثورة جنسية تجتاح النفس في لحظة ما، إلى آخر ذلك.

بل الحب شيء آخر تمامًا قد أستطيع أن أعبر عنه بكلمة قد تكون قريبة من وصفه وهي: أن الحب هو ذوبان النفسين في بعضيهما بحيث لا تعرف هذه من تلك ولا أيهما أحب أو أشفق على الآخر كما أنك لا تستطيع تمييز الماء من السكر أو تراه إذا ذاب فيه فلا ترى إلا شيئًا واحدًا وهو الماء.

وقبل أن أنهي هذه الكلمة أود أن أسأل سؤالاً مباشرًا:

هل يمكن قسع الحب؟ أو هل يأتي اليوم الذي تتوقف فيه المرأة عن الولوع بالرجل، ويتوقف فيه حنين الرجل إلى المرأة؟

الحقيقة أن هذا أمر مستحيل بكل ما تحمل حروف كلمة مستحيل من معانٍ وما ترمي إليه من مفهوم أو مفاهيم إذ إنه طبيعة بشرية مركبة فيهما وهي طبيعة جميلة بدونها لا يكون للحياة طعم ولا معنى ولا هدف ولا غاية، فمما هو مأثور، من القول عن الكتب السابقة عن رب العزة سبحانه وتعالى: كنت كنزًا مخفيًا فأردت أن أعرف فخلقت الخلق وتحببت إليهم فبي عرفوني .

ومن مأثور القول أيضًا: لو أن رجلاً بأقصى المشرق وامرأة بأقصى المغرب وعلم كل منهما بالآخر لحن إليها وحنت إليه.

وهو طبيعة بشرية ركبها الله تعالى فيهم وأراد لها أن تتأجج دومًا ومع مر الأيام والسنين فلا تخبــو بل على عكس الصحة أو الشباب، فإننا نجد أن حب الصبيان أو الشباب أقل خطرًا من حب أو تعلق الشيوخ بالمرأة.

وعمومًا فهذه حقيقة لا مفر منها ولا إنكار على أصحابها، ولكن المطلوب فقط هو وضعها في مكانها الصحيح وتوظيفها وضبطها بالضوابط الشرعية، ومعالجة أصحابها منها في أثناء مرورهم بها بطريقة سليمة حتى تعود عليهم بالخير الوفير والأجر الجزيل.

- أقوى أنواع الحب البشري الطبيعي هو حب الإنسان للمكان الذي نشأ فيه، وأول محبوب أحبه، وما أصدق قول الشاعر في نحو هذا المعنى إذ يقول:

قلّب فؤادك حيث شئت من الهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأول

كم موطن في الأرض يهواه الفتى ... وحنينه دومًا لأول موطـــن

فهذه حقيقة لا مراء فيها ومن أنكرها فإنما هو مخادع أو متجاهل أو بليد الحسّ.

- أنه إن كان من نصيحة أنصح بها من يريد أن يقرأ كتابًا تناول هذا الأمر تناولاً طيبًا أراه من أصوب تلك الكتب وأشهرها فإني أنصحه بأن يقرأ كتاب: "طوق الحمامة" للإمام ابن حزم الأندلسي رحمنا الله وإياه.

وأختم ببيتي شعر كثيرًا ما أرددهما لزوجتي أدام الله تعالى ما بيننا من الحب والمودة والصفاء:

أَرَاكِ فَتَحْلُو فينا لَــدَيّ الْحَيَــاةُ وَيَسْلأ نَفْسِي صَبَاحُ الأَمَلْ
وَتَنْمُو بِصَدْرِي وُرودُ عــذَابٌ وَتَحْنُو عَلَى قَلْبِي الْمُشْتَعلْ

والله أسأل أن يحبب فينا خير خلقه وأن يحببنا في خير خلقه، وأن يرزقنا حبه وحب عمل يقربنا إلى حبه، وأن يرزقنا الحب في مواضعه الصحيحة التي ترضيه من أزواجنا وأهلينا وعشيرتنا، وأن يرزقنا حسن الختام بالموت على دين الإسلام، وأن يغفر لنا ولوالدينا ويصلح أزواجنا ويهدي أولادنا ويفك أسر إخواننا، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه تسليمًا كثيرًا، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

أبو إسلام

سيد كسروي

ترجمـــة المؤلـــف

هو: مُغْلَطاي بن قليج بن عبدالله[1] . ويقال: مُغَلْطاي.

نسبه : التركي ، الحنفي، القاهري، الحكري، البكجري، ويقال: البكرجي.

لقبه: علاء الدين.

ميلاده: ولد مغلطاي في حدود سنة تسعين وستمائة من الهجرة. وقيل: في سنة تسع وثمانين وستمائة.

قال ابن الغزي في ديوان الإسلام: الإمام العالم المفتي الحافظ علاء الدين البكجري، القاهري، الحنفي.

ألف نحو مائة مؤلف منها : شرح البخاري، والسيرة النبوية، والواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين.

قال ابن العماد في شذرات الذهب في أحداث سنة اثنين وستين وستمائة: صاحب التصانيف.

قال الصفدي: سمع من التاج أحمد بن علي بن دقيق العيد، أخي الشيخ تقي الدين، ومن الواني، والحسيني وغيرهما.

وأكثر جدًّا من القراءة والسماع وكتب الطباق. وكان قد لازم الجلال القزويني، فلما مات ابن سيد الناس تكلم له مع السلطان فولاه تدريس الحديث بالظاهرية.

فقام الناس بسبب ذلك وقعدوا وبالغوا في ذمه وهجوه.

فلما كان في سنة خمس وأربعين، وقف له العلائي لما رحل إلى القاهرة على كتاب جمعه في العشق تعرض فيه لذكر الصديقة عائشة رضي الله تعالى عنها[2]، فأنكر عليه ذلك

---

(١) مصادر ترجمته هي: ديوان الإسلام بتحقيقي (ت: ١٨١٣)، هدية العارفين (٢/٤٦٧) ، كشف الظنون (٥٨ وغير ذلك)، إيضاح المكنون (١/١٠٣)، الأعلام (٧/٢٧٥)، معجم المؤلفين (١٢/ ٣١٣)، شذرات الذهب (٦/١٩٧)، حسن المحاضرة (١/٢٠٣)، النجوم الزاهرة (١١/١٠٠)، لسان الميزان (٦/٧٢)، البدر الطالع (٢/٢١٢)، تاج التراجم (٥٧)، الدرر الكامنة (٤/٣٥٢).

(٢) لم يرد مثل هذا القول في الكتاب فربما يكون قد عدل عنه أو حذفه الناسخ أو يكون ضمن الورقة التي لم ترد في تصوير المخطوط في أوله وهذا احتمال بعيد. وعمومًا فقد رددت على ما ذكر من تراجم فيها مَسّ أو نيل أو شبه ذلك بكرامة أحد الأنبياء أو الصالحين في أثناء تحقيق الكتاب.

ورفع أمره إلى الموفق الحنبلي، فاعتقله بعد أن عزره.

فانتصر له ابن البابا وخلصه. وكان يحفظ الفصيح لثعلب. ومن تصانيفه شرح البخاري، وذيل المؤتلف والمختلف والزهر الباسم في السير النبوية. قال الشهاب بن رجب تصانيفه نحو المائة أو يزيد.

وله مآخذ على أهل اللغة وعلى كثير من المحدثين.

قال وأنشدني لنفسه في الواضح المبين شعرًا يدل على استهتاره وضعفه في الدين.

وقال زين الدين بن رجب كان عارفًا بالأنساب معرفة جيدة. وأما غيرها من متعلقات الحديث فله بها خبرة متوسطة. وتصانيفه كثيرة جدًا.

كتبـــه:

وقد جمعت له في تحقيقي لكتاب ديوان الإسلام عددًا من أسماء مؤلفاته وهي:

١- الإشارة إلى سيرة المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، وتاريخ من بعده من الخلفاء.

٢- شرح الجامع الصحيح للبخاري في عشرين مجلدًا.

٣- ذيل على المؤتلف والمختلف (التلويح) لابن نقطة.

٤- الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم -صلى الله عليه وسلم- .

٥- إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال في ثلاثة عشرة مجلدًا.

٦- إصلاح ابن الصلاح في علوم الحديث.

٧- الإعلام لسنته عليه السلام في شرح سنن ابن ماجة لم يكتمل.

٨- التحفة الحسيمة لإسلام حليمة.

٩- زوائد ابن حبان على الصحيحين.

١٠- شرح سنن أبي داود.

١١- من عرف بالله تعالى.

١٢- الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين (وهو كتابنا هذا).

١٣- الإيصال في اللغة.

١٤- جمع أوهام التهذيب .

١٥- الاتصال في مختلف النسبة.

١٦- رسالة في خصائص النبوة، وغير ذلك كثير لم أقف عليه. وتوفي رحمنا الله وإياه في الرابع عشر من شهر شعبان لسنة اثنين وستين وسبعمائة.

عملي في تحقيق الكتاب

- نسخت المخطوط.
- ضبطت ما فيه من الأخطاء الإملائية.
- أثبت ما سقط منه بين معقوفين وأشرت إلى ذلك في حينه ، وبينت مصدر الزيادة.
- قدمت له بمقدمة موجزة على غير ما كنت آمل.
- عملت له فهرسًا للموضوعات.
- عنونت لكل ترجمة بعنوان يفيد ويهدي القاصد إلى مضمونها من حيث تسميتها باسم صاحبها أو أشهر ما تدور حوله حيث اقتصر المؤلف على عنونة كل ترجمة بلفظ شهيد أو قتيل، ووضع لفظ شهيد لمن مات على الإسلام، ولفظ قتيل لمن كان قبل الإسلام أو انتحر بسبب محبوبه، وإن كان لم يلزم بذلك بدقة كاملة، وترك بعض التراجم دون هذا العنوان أيضًا أحيانًا.
- علقت على كثير من التراجم موضحًا وجهة نظري في فهم هذه القصة أو الحكاية من الناحية الشرعية والعقلية بما يناسب كل حكاية أو ترجمة.
- ترجمت لمعظم الشعراء والأعلام الوارد ذكرهم بالكتاب.
- أثبت بعض الفوارق بين القصة الواردة في الكتاب ونظائرها في الكتب المطبوعة.
- رقمت التراجم الواردة في الكتاب.
- لم يلتزم بالحروف كما زعم في أول الكتاب وتركت الوضع على ما هو مكتفيًا بفهرس الموضوعات.
- شكلت ما ورد بالكتاب من أشعار وترجمت لشعرائها في الأغلب الأعم.

بسم الله الرحمن الرحيم

[مقدمة الكتاب][1]

بعد حمد الله القادر، والصلاة على محمد صاحب النور الباهر، وصحبه وآله أولى النسب الطاهر.

فهذا كتاب ذكرت فيه: من عاش عليلاً بحبه، ومات شهيدًا ملتحقًا بربه، لقوله صلى الله عليه وسلم عديدًا: ((**من عشق فظفر فعف فمات مات شهيدًا**))[2].

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة تصنيفية من عمل المحقق غفر الله له.

(٢) هذا حديث ضعيف تكلم فيه علماء الحديث كلامًا كثيرًا أذكر طرفًا منه بعد ذكر بعض مصادر تخريجه والتي منها:

إتحاف السادة المتقين (٧/٤٤٠)، كنز العمال (١١١٧٩، ١١٢٠٣)، كشف الخفا (٢/٣٦٣، ٣٦٤)، الأسرار المرفوعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٣٥٢، ٣٥٣، ٤٩٦)، البداية والنهاية (١٠/٢٢٩، ١١/١١١)، العلل المتناهية في الضعف (٢/٢٨٥، ٢٨٦)، والعراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (٣/١٠١)، تلخيص الحبير (٢/١٤٢)، تحذير الخواص (١١٢)، الفوائد المجموعة في الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٢٢٥)، تاريخ بغداد (٥/٢٦٢، ٦/١١، ٥١، ١١/٢٩٧)، ومما قيل في هذا الحديث أسوق طرفًا مما قاله الذهبي في ميزان الاعتدال (٢/٢٤٨) : في ترجمة سويد بن سعيد أبو محمد الهروي الحدثاني الأنباري، نزيل النورة وهو بجانب عانة: احتج به مسلم... قال البخاري: حديثه منكر، وقال النسائي: ضعيف . وروى الترمذي: عن البخاري ضعيف جدًا، وقال مرة: ضعيف... وروى الجنيد عن البخاري قال: فيه نظر، عمي فتلقن ما ليس من حديثه. وقال الدارقطني: ثقة ولما كبر ربما قرئ عليه ما فيه بعض النكارة فيجيزه. وأما ابن معين فكذبه وسبه.

وروى ابن الجوزي أن أحمد قال: متروك الحديث

وقال الحاكم: أنكر على سويد حديثه فيمن عشق، وعف، وكتم، ومات، فهو شهيد. ثم قال: يقال: إن يحيى لما ذكر له هذا الحديث قال: لو كان لي فرس ورمح غزوت سويدًا.

وقال إبراهيم بن أبي طالب : قلت لمسلم : كيف استجزت الرواية عن سويد في الصحيح؟ فقال: ومن أين كنت آتي بنسخة حفص بن ميسرة؟

قلت: فهذا غيض من فيض فيما تكلم فيه عن هذا الحديث من أحد رواته وهو سويد بن سعيد . فلا يغتر بمثل هذا الحديث وينظر أو يفرح ويجعل هذا أو مثله مستندًا شرعيًا يتكئ عليه في بعض السلوكيات التي قد تزينها النفس للإنسان ليندرج ثم يتزلق من المحظور إلى المحرم ثم لا يفيق إلا بعد فوات الأوان، وقد حذرنا الله تعالى من هذا كثيرًا، واذكر ما نذكره جميعًا قوله عز وجل: ﴿**ولا تتبعوا خطوات الشيطان**﴾، فاتباع الخطا يفضي إلى نهاية الطريق خصوصًا في مثل هذه =

أخبرنا بذلك مسند وقته شرف الدين يحيى بن أبي الفتوح الجميزي، أخبرتنا الجهة الكاتبة فخر النساء شهدة بنت أحمد بن الفرج إجازة أنبأنا الشيخ الإمام أبو محمد جعفر بن أحمد بن الحسين السراج ، قراءة عليه وأنا أسمع أنبأنا أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت حدثنا أبو الحسن علي بن أيوب حدثنا محمد بن عمران حدثني محمد بن أحمد بن مخزوم حدثني الحسن بن على الأشناني. (ح) وأحمد بن محمد بن مسروق قالا: حدثنا سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس به.

وأخبرنا به عاليًا: المسند يونس بن إبراهيم بقراءتي عليه عن أبي الحسن المقبري أنبأنا أبومحمد لاحق بن كاره قراءة عليه أخبرنا أبو علي محمد بن سعيد بن نبهان ، أنبأنا أبو علي الحسن بن الحسين بن دوما النحالي أنبأنا أبوبكر أحمد بن نصر بن عبدالله الدارع قراءة عليه أنبأنا صدقة بن موسى بن أحمد بن محمود الأنباري، والقاسم ابن أحمد قالوا: حدثنا سويد بن سعيد.

وأنبأنا به الدبوسي عن ابن المقبري عن أبي الفضل الإسفرائيني عن أبي بكر الخطيب الحافظ حدثنا أبوالحسن علي بن أيوب بن الحسين إملاءً قال : حدثنا أبوعُبيد الله المرزباني، وابن حيويه وابن شاذان قالوا: حدثنا أبوعبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه قال: دخلت على محمد بن داود الأصبهاني في مرضه الذي مات فيه فقلت له: كيف تجدك؟

قال: [٢/ب] حب من تعلم أورثني ما ترى.

فقلت: ما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟

فقال: الاستمتاع على وجهين:

أحدهما: النظر المباح.

والثاني: اللذة المحظورة.

=

الأمور المحببة إلى النفس والنفس تدعو دائمًا إلى الميل إلى ما هو محظور وتهواه خروجًا من قيود الحظر.

فاحذر أخي القارئ الكريم من الاغترار بما يزينه الشيطان للنفس ، وما يزينه شياطين الإنس من المحرمات، فلما أباح الله تعالى الغُنية عن مثل هذا ، ثم إن فيه متعة الأمن والاستقرار والطمأنينة وعدم الخوف والحذر من اطلاع الآخرين عليه حيث هو في موضعه الصحيح وفي وضح النهار وتحت ضوء الشرع ومن أبوابه الواسعة والله لنا ولكم نسأل العصمة من الزلل وأن يرزقنا وإياكم حسن الختام.

فأما النظر المباح: فأورثني ما ترى.

وأما اللذة المحظورة: فإنه منعني منها ما حدثني أبي عن سويد بن سعيد حدثنا علي بن مسهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من عشق، وكتم، وعف، وصبر غفر الله له وأدخله الجنة)). هذا حديث إسناده صحيح. وإن كان جماعة من العلماء أعَلّوه بما ليس بعلة يُرد بها منهم: الحافظ أبو أحمد الجرجاني فإنه لما ذكره في كتاب[1] الكامل قال: هذا الحديث أحد ما أنكر على سويد.

وكذا ذكره الحافظ أبوبكر البيهقي، وأبوالفضل بن طاهر في كتابه: الذخيرة، وتذكرة الحفاظ .

وقال أبو عبدالله الحاكم في تاريخ نيسابور: أنا أتعجب من هذا الحديث، فإنه لم يحدث به غير سويد، وهو، وداود، وابنه محمد ثقات.

وذكر الحافظ أبو محمد بن الحسين القاري من حديث أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس موقوفًا.

وذكر الحافظ أبوالفرج ابن الجوزي من حديث محمد بن خلف بن المرزباني عن أبي بكر الأزرق حدثنا سويد، به مرفوعًا.

قال ابن المرزبان: فعاتبته على ذلك فأسقط ذكر النبي صلى الله عليه وسلم من هذا الحديث، فكان يسأل بعد ذلك عنه فلا يرفعه.

فالجواب عن قول من ذكر أن سويد انفرد به: ما ذكره الزبير بن بكار رحمه الله تعالى القائل فيه حافظ بغداد ومؤرخها أبوبكر أحمد بن علي بن ثابت: كان ثقة ثبتًا عالمًا.

حدثنا عبدالملك [٣/أ] ...[2] .

[٤/أ] قال أبو الوليد الباجي[3] :

---

(١) في المخطوط: الكتاب بزيادة ألف ولام في أوله وهو سهو من الناسخ.

(٢) سقطت الورقة [٣/أ،ب] من أصل المخطوط.

(٣) هو أبو الوليد الإمام، الحافظ، القاضي، التَّجيبي، الأندلسي، القرطبي، الباجي، الذهبي: سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث... وقيل: سليمان بن خلف بن سعدون... ولد سنة (٤٠٣) في ذي الحجة.

توفي في (١٩) رجب سنة (٤٧٤).

تفقه به أئمة واشتهر اسمه وصنف التصانيف النفيسة. ذكرت له مراجع كثيرة راجعها في ديوان

إذَا مَاتَ المُحبُّ جوًى وَعِشْقًا ... فَتلْكَ شهادة يَا صَاحِ حَقًا

رَوَاهُ لَنَا الثقَاتُ عَنِ الثقَــاتِ ... إلَى الحَبْرِ ابن عباسٍ تَرَقَا

وقال عبدالكريم بن هوازن القشيري:

إنَّ المُحبَّ إذَا تُوفِّيَ صَابــرًا ... كَانَتْ مَنَازلَهُ مَعَ الشُهَدَاءِ

يَرْوِيهِ أَقْوَامٌ غَدَوا في صِدْقِهِم ... عَلَمًا وَنَاهِيكُم بِهَذَا الدَّاءِ

ولبعضهم من أبيات:

تَجنَّ وَصُدَّ وَافْعَل مَا تُرِيْدُ ... فَقَتْلِي في الهَوَى عِشْقًا شَهِيْدُ

رَوَاهُ لَنَا الثِّقَات وكل حَبْر ... سَمَى في العلم فهو به عَمِيدُ

وأنشد الإمام العلامة شهاب الدين محمود لنفسه أرجازا [(١)]:

وَسُيُوف الأَلْحَاظ أَوْلَى بِأَنْ ... تَصْفَحَ عما جَنَتْ عَلَى الإطْلاَق

إنَّما كُلَّ مَنْ قَتَلنَ شَهِيــدٌ ... وَلَهَذَا يَفْنَى ضَنى وَهُــو بَــاقِ

وقال عبدالملك بن مروان[(٢)] من أبيات يأمر فيها بكتمان الحب، أنشدها:

فَهَلاَّ بِكِتْمَانِ الهَوَى مِتُّ صَبْوَةً ... فَتَهْلَك مَحْمُودًا وَتَحْوِي به أجْرا

وقد عَدَّ جماعة من الفقهاء ميت العِشق من الشهداء أخذًا بهذا الحديث، وجعلوه مذهب الشافعي منهم الرافعي[(٣)] وغيره.

=

الإسلام (ت:٣٥١) ، وأذكر منها هنا: معجم الأدباء (٢٤٦/١١)، نفح الطيب (٦٧/٢)، الديباج المذهب (٣٧٧/١)، بغية الملتمس (٣٠٢)، قلائد العقيان (٢١٥)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٥٣٥)، شذرات الذهب (٣٤٤/٣)، طبقات الحفاظ (٤٤١،٤٤٠)، تذكرة الحفاظ (١١٧٨/٣)، طبقات المفسرين للسيوطي (١٤)، طبقات المفسرين للداودي (٢٠٢/١)، مرآة الجنان (٣/ ١٠٨)، البداية والنهاية (١٢٢/١٢)، قضاة الباهي (٩٥)، وفيات ابن قنفد (٢٥٥).

(١) في المخطوط: أجاز. وهو تحريف.

(٢) هو : عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف. يكنى بأبي الوليد.

ولي إذ قتل ابن الزبير، وبقي إلى أن مات يوم الخميس النصف من شوال سنة ست وثمانين بدمشق، وكانت ولايته ثلاثة عشر عامًا وشهرين ونصفًا.

أمه : عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قتله النبي صلى الله عليه وسلم صبرًا، سنُّه إذ مات اثنتان وخمسون سنة.

(٣) راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء (٢٥٢/٢٢).

وهذا ينبني على عمل العالم بالحديث، هل يكون تصحيحًا له[1] أم لا؟

كحديث ابن عباس في أبيات نظمها، الله أعلم بصحتها[2]، وهي:

وَلَقَدْ كُنَّا رُوِيْنَا ... عَنْ سَعِيْد عَنْ قَتَادَة
عَنْ سَعِيد بن المسَيّب ... أنَّ سْعد بن عُبَادة
قَالَ: مَنْ مَاتَ مُحبًّا ... كَانَ منْ أهْلِ الشَّهَادَة

وشبيه به ما رواه أبو الرَّقَعْمَق[3] [٤/ب] في كتابه: رستاق الإنفاق في ملح الآفاق: في الجزء الرابع: أنشدونا لعبد الله بن المبارك الإمام رحمه الله تعالى:

حَدَّثَنا سُفْيَان عَنْ خَالد ... عَنْ خَالد عَنْ سَهْل السَّاعدي
يَرْفَعه مَنْ مَاتَ عشْقًا فَقَدْ ... استَوْجَبَ العتق من الماجد

وكان سهل بن عبدالله التستري يقول: العاشقون مُضَرَّبُون بسوط المحبة، مقتولون بسيف الشوق، مضطجعُون على بابه ينتظرون الكرامة.

وقال الفتح بن خاقان[4] من أبيات:

---

(١) في المخطوط: لم وهو تحريف.

(٢) في المخطوط: بصحته وهو تحريف.

(٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٧٧/١٧) هو: أبوحامد أحمد بن محمد الأنطاكي، الشاعر المشهور بمصر. له شعر كثير، وهو في الشاميين كابن الحجاج للعراقيين. مدح الوزير ابن كلّس والكبراء، ومدح المعز أيضًا والعزيز. مات سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، ومن مصادر ترجمته: يتيمة الدهر (١/ ٣١٠: ٣٣٤)، وفيات الأعياد (١٣١/١)، تاريخ الإسلام (١١٠/٤)، العبر (٣/ ٧٠)، الوافي بالوفيات (١٤٣/٨)، حسن المحاضرة (٥٦١/١)، معاهدة التنصيص (٢٥٣/٢)، شذرات الذهب (١٥٥/٣)، تاريخ بروكلمان (١٠٣/٢).

(٤) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨٢/١٢) هو: الأمير الكبير الوزير الأكمل أبومحمد التركي شاعر مترسل بليغ مفوّد دو سؤدد وجود ومحاسن على لعب فيه. وكان المتوكل لا يكاد يصبر عنه، استوزره وفوض إليه إمرة الشام، فبعث عليها نوابًا عنه، وله أخبار في الكرم والظرف والأدب.
ولما قدم المتوكل إلى دمشق، كان الفتح زميله على جمَّازة.
حكى عنه: المبرد، وأحمد بن يزيد المؤدب. وكان أحد الأذكياء، دخل المعتصم على الأمير خاقان، فمازح ابنه هذا، وهو صبي، فقال: يا فتح، أيُما أحسن داري أو داركم؟
فقال الفتح: دارنا إذا كنت فيها، فوهبه مائة ألف. وكان الفتح ذا باع أطول في فنون الأدب قتل مع المتوكل سنة سبع وأربعين، ومن مصادر ترجمته:
تاريخ بغداد (٣٨٩/١٢)، معجم الأدباء (١٧٤/١٦)، الكامل في التاريخ (٧/ ٩٥،١٠٠)، الوافي

أَيُّهَا العَاشِقُ المعذَّب صابره | فخطايا أخي الهَوَى مَغْفُورَه
زَفْرَةٌ في الهَوَى أَحَطُّ لذَنْبٍ | من غَزَاةٍ وحجّةٍ مَبْـــرُورَه[1]

وقال ابن الأثير :

دمع العاشق ودم القتيل متساويان في التشبيه والتمثيل، إلا أن بينهما بَوْنًا، لأنهما يختلفان لَوْنًا .

وذكر الزبير بن أبي بكر: أن القاسم بن عبدالله العمري هوى جارية فكتب إليها: إنكِ إن جفوتني آثرت بقلبي غيرك، وإن طاوعتني كان قلبي لك سكنًا فكتبت إليه:

إن الحب إذا رسخ في القلب لم تزله الجبال، ولكنك مُتصَنِّعٌ، فطالب نفسك بصدق المحبة تبلغ مني الأمل، وتعيش حميدًا وإن متَّ كنت شهيدًا.

وقالت امرأة:

لَنْ يقْبل اللهُ منْ مَعْشوْقَة عَمَــلاً | يومًا وعَاشقها حَيْرانُ مَهْجُورُ
لَيْسَتْ بِمَأْجُورَةٍ في قَتْلِ عَاشقهَا | لكن عَاشقهَا في ذَاك مَأْجُورُ

وقال شريك بن عبدالله فيما ذكره عمرو بن بحر الجاحظ[2] : وسئل عن العشاق

= بالوفيات (١٧٧/٣)، النجوم الزاهرة (٣١٣/٢)، شذرات الذهب (١١٤/٢).

(١) وهذا الكلام مخالف للشرع، وفيه مبالغة عظيمة قد تصل بصاحبها إلى الكفر إن اعتقد معناها.

(٢) هو: عمرو بن بحر بن محبوب أبو عثمان، البصري، المعتزلي، الليثي، الكناني، الجاحظ ، الحدقي . ولد سنة(١٥٠)، وقيل: (١٦٣)، وتوفي سنة: (٢٥٠)، وقيل: (٢٥٥)، وقيل: (٢٥٦).

كان من بحور العلم صاحب تصانيف قيل: لم يقع في يده كتاب قط إلا استوفى قراءته حتى أنه كان يكتري دكاكين الكتبيين ويبيت فيها للمطالعة، وكان مثلاً في قوة الحفظ ، وقد ألف العديد من الكتب والتي تصل إلى قرابة المائة كتاب ذكرت قائمة بها في ديوان الإسلام (ت:٦٥٠) احتوت على (٩٠) تسعين كتابًا وأذكر هنا منها: كتاب الحيوان، والبيان والتبيين، والطبائع ، وكتاب النساء، وهو فرق ما بين الذكر والأنثى ، وكتاب الإبل، وكتاب البغال، وكتاب العرجان، والبرصان، والقرعان ....الخ.

ومن مصادر ترجمته:

ديوان الإسلام (ت ٦٥٠)، الأعلام (٧٤/٥)، معجم الأدباء (٧٤/١٦)، معجم المؤلفين (٧/٨) ، بغية الوعاة (ت١٨١٦) ، لسان الميزان (٣٥٥/٤)، العبر (٤٥٦/١)، ميزان الاعتدال (٤٧٠/٣)، تاريخ بغداد (٢١٢/١٢)، البداية والنهاية (١٩/١١)، وفيات الأعيان (٤٧٠/٣)، شذرات الذهب (١٢١/٢)، المختصر في أخبار البشر (٤٩/٢)، وغير ذلك كثير.

فقال: أشدهم حُبًا أعظمهم أجرًا.

وقال أبو نواس [د/أ]:

حدَّثَـنا الخَفَّافُ عَنْ وائِلِ ... وَخالد الحذَّاء عَنْ جَابِرِ
ومِسْعَرٍ عَنْ بعْضِ أشْيَاخِه ... يَرْفعُه الشيخُ إلى عَامِرِ
وَابن جُريْج عَنْ سَعيْد وَعَنْ ... قَتَادَة المَاضي وَعَنْ جَابِرِ
قَالُوا جَمِيْعًا إنَّمَا طِفْلَة ... عَلقْتَها ذُو خُلُق طَاهِرِ
فَوَاصَلَتْهُ ثم دَامَتْ لَهُ ... عَلَى وِصَال الحَافظِ الذَّاكِرِ
كَانَتَ لَهَا الجَنَّةُ مَبْذُولَةً ... تَمْرَحُ في مَرْتَعِها الزاهِرِ
وأيُّ مَعْشُوق جَفَا عَاشِقًا ... بَعْدَ وِصَال نَاعِم ناظِرِ
فَفِي عَذَابِ الله مَثْوًى لَهُ ... بُعْدًا لَهُ مِنْ ظَالِمٍ غَادِرِ

ولأبي عبدالله البارع في أبيات:

وَقَدْ مَاتَ قَيْسٌ به هَائمًا ... فَمَا أدْرَكَتْ عَامرٌ منهُ ثَارًا
وأدري بعُرْوة من قَبْلِه ... فَلَنْ يُغْني عَنْهُ انتصَارًا
وَمَاتَ بدَائهما تَوْبة ... أحَبّوا كِرَامًا وَمَاتُوا حرَارًا

قال الجاحظ: بلغني أن عاشقًا مات بالهند عشقًا فبعث ملك الهند إلى المعشوق فقتله به.

قال: وذكر لي بعض حكمائهم أنهم كانوا إذا ظهر فيهم العشق في رجل أو امرأة، غدوا على أهله بالتعزية.

ولما علم الله عز وجل ضعف قلوب العباد عن العشق، وحمله قال مُعْلمًا لهم جلّ من قائل: ﴿**ربنا لا تحملنا ما لا طاقة لنا به**﴾(١).

وقال مكحول: هي الغُلْمَة(٢) فيما ذكره الخرائطي في كتاب الاعتلال والكواشي

(١) سورة البقرة (الآية: ٢٨٦).

(٢) يقول ابن منظور في لسان العرب: الغُلَمَةُ: بالضم: شهوة الضراب غَلمَ الرجل وغيره بالكسر، يَغْلم، غَلْمًا، واغْتَلَمَ اغتلامًا، إذا هاج. وفي المحكم: إذا غُلبَ شَهْوةً، وكذلك الجارية. والغلّيْمُ بالتشديد: الشديد الغُلْمَة. ورجل غَلمٌ وَغَليْمٌ ومِغْليمٌ، والأنثى غَلمَة ومغْليمَة، وغلّيم .... وفي الحديث: "خير النساء الغَلِمَةُ على زوجها". والغُلْمَةُ: هيجان شهوة النكاح من المرأة والرجل وغيرهما.

في التفسير.

وقال إبراهيم بن يزيد النخعي: هي المحبة.

وقال عبد الله بن وهب: العشق فيما ذكره الغزنوي وغيره من المفسرين، وقال عبد الله بن طاوس عن أبيه [٥/ب] في قوله تعالى: ﴿**وخلق الإنسان ضعيفًا**﴾[١].

قال: إذا نظر إلى النساء و لم يصبر. ذكره عن سفيان بن سعيد الثوري في تفسيره.

وقد روى أبو الزبير عن جابر عند مسلم: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رأى امرأة فأتى زينب فقضى حاجته منها، وقال: ((**إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن بردها في نفسه**))[٢].

قال بعض من تكلم في هذا الحديث، وهو ابن الجوزي: فيه أمران:

الأول: التسلي عن المطلوب بجنسه.

والثاني: الإعلام أن سبب الإعجاب قوة الشهوة، فأمر بتنقيصها. انتهى كلامه.

وفيه غفلة عن كونه تشريعًا إذ الأنبياء عليهم السلام متزهون عن أمثال هذا[٣].

وقد ثبت في الصحيحين من حديث أسامة بن زيد: أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: ((**ما تركت في الناس بعدي فتنة أضرَّ على الرجال من النساء**))[٤].

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري قال عليه السلام: ((**اتقوا الدنيا واتقوا النساء**))[٥].

---

(١) سورة النساء (الآية: ٢٨).

(٢) أطراف هذا الحديث عند: مسلم في كتاب النكاح (٩)، وفي سنن أبي داود كتاب النكاح (ب٤٤)، أحمد في المسند (٣٣٠)، البيهقي في السنن الكبرى (٧/٩٠)، إتحاف السادة المتقين (٥/٣٠٤)، مشكاة المصابيح (٣١٠٥)، كنز العمال (١٣٠٥٦)، إرواء الغليل (٦/٢٠٠)، السلسلة الصحيحة (٢٣٥).

(٣) هذه لفتة طيبة حميدة جيدة جدًا من مغلطاي رحمنا الله وإياه ويجب على كل قارئ وباحث أن ينتبه وأن يعرف جيدًا أن الرسل والأنبياء متزهون دائمًا عن نقائص البشر الخلقية والأخلاقية.

(٤) أطراف الحديث عند: البخاري في الصحيح (٧/١١)، مسلم في الصحيح في كتاب الذكر والدعاء (ب١٦ رقم ٩٨،٩٧)، والترمذي في الجامع (٢٧٨٠)، أحمد في المسند (٥/٢٠٠).

(٥) أطراف الحديث عند: مسلم في الصحيح (٤/٢٠٩٨)، أحمد في المسند (٣/١٩)، ابن ماجة في السنن (٤٠٠)، البيهقي في الكبرى (٧/٩١).

وفي مسند محمد بن إسحاق السراج من حديث علي قال عليه الصلاة والسلام: ((**إن أخوف ما أخاف على أمتي النساء والخمر**))(١).

وفي كتاب الخرائطي عن ابن عباس أنه قال: لم يكن كفر من مضى إلا من قِبَل النساء، وهو كائن كفر من بقي من قِبَل النساء(٢).

وفي مسند أحمد : وقع في سهم عبدالله بن عمر يوم جلولاء(٣) جارية، كأن عنقها أبريق فضة.

قال عبدالله فما صبرت أن قبلتها، والناس ينظرون.

وينخرط في هذا النظر إلى المردان: ذكر الخطيب من حديث عبدالرحمن بن واقد عن عمرو بن أزهر عن أبان عن أنس قال قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((**لا تجالسوا أبناء الملوك فإن الأنفس تشتاق إليهم ما لا تشتاق إلى الجواري العواتق**))(٤).

[٦/أ] وذكر الحافظ محمد بن ناصر: من حديث مجاهد عن الشعبي قال: قدم وفد عبد القيس على النبي -صلى الله عليه وسلم-، وفيهم غلام أمرد، فأجلسه عليه السلام وراء ظهره، وقال: ((**كانت خطيئة من مضى النظر**))(٥).

---

(١) وهذا الحديث بنحو الذي قبله فراجعه فيه.

(٢) هذا قول لابن عباس ولم يرفعه ، فهو قابل للصواب والخطأ أولا يؤخذ على علاته أو على عمومه فهو اجتهاد مجتهد أو رأي صحابي -رضي الله عنهم أجمعين- .

(٣) أولاً مثل هذه الأخبار ليست من الصحة بمكان أما عن جلولاء فهي: في طريق خراسان بينها وبين خانقين سبعة فراسخ وهو نهر عظيم يمتد إلى بعقوبا ويجري بين منازل أهل بعقوبا ويحمل السفن إلى باجسرا، وبها كانت الواقعة المشهورة على الفرس للمسلمين سنة (١٦) فاستباحهم المسلمون فسميت جلولاء الوقيعة لما أوقع بهم المسلمون . راجع معجم البلدان لياقوت الحموي.

(٤) هذا حديث موضوع في إسناده كذاب، ولا يعرف الإسلام سوى تحريم النظر إلى النساء الأجنبيات عن الناظر، وهذا من قبيل المغالاة التي نهى عنها الإسلام ، وإليك طرفًا من مصادر تخريج الحديث لتطالعه فيها وترى أقوال العلماء عليه: الفوائد المجموعة (ص: ٢٠٦)، تاريخ بغداد (١٩٨/٥)، تنزيه الشريعة (٢١٤/٢)، وغير ذلك.

(٥) وهذا نظير سابقه من الضعف فهو مثله في الموضوع، ثم إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- علمهم حسن استقبال أضيافهم وحضهم على إكرامهم فكيف يفعل مثل هذا مع أحدهم وفي هذا غاية في الإهانة لمثل هذا الصبي المزعوم ثم هي إهانة أبلغ لأهله ولمن معه من الوفد. فكيف يقبلون بعد ذلك دعوته أو دعوة هذا فعل الداعي الأول إليها، حاشاه -صلى الله عليه وسلم- من مثل هذا القول والفعل.

وفي الكامل من حديث بقية عن الوازع: عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: نهى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن يحدّ الرجل النظر إلى الغلام الأمرد[1] .

وكان سعيد بن المسيب يقول : إذا رأيتم الرجل يلح بالنظر إلى غلام أمرد فاتهموه[2].

وفي كتاب الخرائطي: عن الوضين بن عطاء عن أشياخ لهم أنهم كانوا يكرهون أن يحد الرجل النظر إلى الغلام الحسن الوجه.

وعن إبراهيم النخعي نحوه زاد : ومجالستهم فتنة ، وإنما هم بمنزلة النساء[3] .

وكان الثوري وغيره لا يجالسون المُرد: وقد اختلف الناس في قوله عليه السلام: ((عفّ وكتم)). وقال بعضهم: **((كتم عشقه عن الناس))** .. وقال الحصري[4] : أحبّ فكتم، ووصل فعف، وهجر فمات فهو شهيد.

وقال آخر: كتم اسم محبوبه.

وقال عثمان بن زكريا المؤدب أحد رواة الحديث عن سويد: كتم محبوبه أنه يحبه، والله أعلم

خَشِيْتُ فُؤَادِي أَنْ يَكُونَ خَؤُونَـــا   فَأَوْدَعْتُه سِرِّي فَكَانَ أَمِيْنَا
وَقُلْتُ لأُخْفِيَ دُونَ سَمْعِي وَنَاظِرِي   أَبَى حَرَكَاتِي كُنَّ فِيَّ سُكُونَا

---

(١) وهذا أيضًا كسابقيه وراجعه في الكامل للضعفاء لابن عدي.

(٢) وهذا أيضًا نظير قول ابن عباس السابــق وإنما هو رأي تابعي مجتهد كثيرًا ما أصاب ولا يمنع أن يقع في مثل هذا القول لأمر علم به عن أحد الفساق أو بعضهم فأراد أن يحذر أو يخوف من أسبابه.

(٣) وكذا هذا ومن المعروف أن الله تعالى قال قطعًا لتذرع المتذرعين بمثل هذا قال في كتابه الكريم: ﴿**وقد فصل لكم ما حرم عليكم**﴾ [الأنعام: ١١٩] ولم يأت في تفصيل ما حرم علينا النظر إلى الذكور لا من قريب ولا من بعيد ولا فرق بين أبناء أغنياء ولا أبناء فقراء ولا بين صغار ولا كبار.

(٤) الحصري هذا هو: صاحب كتاب المصون في سرّ الهوى المكنون وهو ضمن مراجع تحقيق هذا الكتاب.

وهو : أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم الحصري القيرواني الأديب العالم الشاعر الناقد. والحصري نسبة إلى صناعة الحصر، وقيل: نسبة إلى قرية الحصر، وهي قرية من القيروان وهي المدينة التي بناها عقبة بن نافع عندما فتح إفريقية.

فَمَا نَظَرت عَيْنِي لِعَيْنِي دَمْعَة وَمَا سَمِعَتْ أُذُنِي لِفِيَّ أنِيْنَا

ومنهم من يخفى حبه فيفتضح بالدمع وغيره:

يا مُسِرَّ الهَوَى فَأيْنَ شَجَا اللَّحْظ وَأيْنَ التَّنَفُّسُ المُفضُوحُ
قَلَّ مَا يَلْبَثُ الهَوَى في سُتُور الحُبِّ حَتَّى يُبِيْنَهُ التَّصْرِيْحُ

وقال مسلم بن الوليد(١)[٦/ب]:

يَقُوْلُونَ لِي اخْفِ الهَوَى لاَ تَبُحْ به وَكَيْفَ وَطَرْفي بالجَوَى يَتَكَلَّمُ
وَكُنْتُ زَمَانًا أجْحَدُ النَّاسَ ذِكْرَهَا فَكَفُّ بَنِي دَمْعٌ مِنَ الوَجْد يخسرُ

ولديك الجن من أبيات:

فَبُحْتُ وَمَا مِنْ عَاشِقٍ صَحَّ عِشْقه مِنَ النَّاسِ إلاَّ وَهْوُ مُنْهَتِكُ السِّتْر

مرتبًا له(٢) على حروف المعجم ليقرب مأخذه ويسهل تناوله.

فإن لم يكن الشخص مسمى ذكرته في باب اسم الراوي عنه المشافه له، أو الحاضر قصته، أو اسم معشوقه.

وضممت إليه جماعة ممن قتلهم القرآن والمواعظ الحسان. مؤثرًا الإيجاز على الإطناب وسميته: "الواضح المبين في ذكر من استشهد من المحبين" وقصدت به إجْمَام خواطر الناظرين في تصانيفي سيما كتاب: الإعلام بسنته عليه الصلاة والسلام، وترويح قلوبهم المتعبة بإحالة الفكر في استخراج ودائع علمه وخباياه، والتنفيس عن أذهانهم المكدودة باستيضاح غوامضه وخفاياه، لما روينا عن علي بن أبي طالب أنه قال: "أجمعوا هذه القلوب وابتغوا لها طرف الحكمة(٣) فإنها تمل كما تمل الأبدان".

---

(١) مسلم بن الوليد هذا هو صريع الغواني وستأتي له ترجمة وقصة مع العشق يذكرها المؤلف وذكرها كثير ممن صنف في هذا الباب.

(٢) أي للكتاب فما زال المؤلف حتى الآن في مقدمة كتابه، والتي سوف تطول وقد استغرقت من المخطوطة من الصفحة الأولى إلى الصفحة التاسعة والثلاثين، وهي مقدمة طويلة حقًا لا يشعر القارئ فيها أنه في مقدمة بل يفاجأ من الحين إلى الحين أنه مازال في مقدمة الكتاب وهو يظن أنه دخل الكتاب منذ سطوره الأولى بعد حمد الله تعالى مباشرة.

(٣) المراد بمثل هذا القول إن صحت نسبته إلى سيدنا علي فإنما هي دعوة إلى ترويض النفوس في ما هو مباح من الفسحة والمرح واللهو الذي يسري عنها بعضًا من كدر ما تعانيه في حياتها وأعمالها الجادة التي تصيبها بالملل والكلل والسأم.

وعن أبي الدرداء عويمر: أجموا النفوس من الباطل ليكون عونًا لها على الحق[١].

وقال بعضهم: من لم يُحْسِن يَتَغَنَّى لم يُحْسِن يتقوّى، وقال أبوحازم: كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يحدث أصحابه عن أمر الآخرة فإذا عرفَ في وجوههم الكسل، أخذ بهم في أحاديث الدنيا[٢].

ولما مرَّ بشيرين وهي تغني: هل علي ويحها أن لهوت من حرج؟

تبسم وقال: "لا حرج إن شاء الله تعالى"[٣] .

وعن حنظلة الأسيدي قال: قلت: يا رسول الله إنّا إذا كنّا عندك فذكرتنا الجنة والنار كنا كرائي عين، فإذا انصرفنا إلى أهلنا ضحكنا ولعبنا فقال عليه [٧/أ] السلام: ((**يا حنظلة ساعة وساعة، لو كنتم في بيوتكم كما تكونون عندي لصافحتكم الملائكة**))[٤].

أخبرنا به المسند المعمر أبوالحسن علي بن عمر، المعروف بابن الصلاح رحمه الله تعالى قراءة عليه وأنا أسمع أنبأنا الإمامان أبوعلي الحسن بن محمد بن محمد البكري، وأبوعبدالله محمد بن أبي الفضل المرسي قراءة عليهما قالا: أنبأنا المؤيد بن محمد بن علي أنبأنا الإمام أبوعبدالله الفزاري أنبأنا الفارسي، أنبأنا الجلودي عن إبراهيم بن سفيان أنبأنا

---

(١) من المعلوم أن أبا الدرداء هو حكيم هذه الأمة، ولا أظن أن مثل هذا القول ينتج عن مثله والإجمام من معانيه الترويح ولكن لابد أن يكون هذا الترويح فيما هو مباح ولا يخدش الدين ولا الحياء ويدخل عليها السرور والفرح ولا يعقبه خزي ولا ندامة ولا عار وفضيحة، فمعاذ الله أن يدعو مثل هذا الصحابي الجليل الزاهد العابد إلى مثل هذا التريض الذي نسب نوعه إليه.

(٢) وهذا لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وحاشاه! أن يتحدث في أمور هذه الدنيا الفانية، وإنما الذي صحَّ عنه أنه كان صلى الله عليه وسلم يتخوَّل أصحابه بالموعظة مخافة السآمة عليهم.

(٣) لم أقف على شيرين هذه في الصحابيات وإن كانت سيرين بالمهملة، فلا أعرف سوى سيرين أم ولد حسان بن ثابت أخت مارية القبطية التي أهداها له رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وفي قصتها أو ترجمتها في الإصابة (١١٨/٨) ما نصه: عن عكرمة عن ابن عباس قال: مَرَّ رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بحسان ومعه أصحابه على سماطين، وجارية له يقال لها: سيرين، فجعلها السماطين، وهي تغنيهم، فلم ينههم.

وعمومًا ليس في الخبر -إن صحَّ ولا أظنه يصح- ما يدعو إلى ما هو غير مباح.

(٤) أطراف الحديث عند: مسلم في الصحيح (التوبة ١٢، ١٣)، مسند أحمد (١٧٨/٤)، إتحاف السادة المتقين (٣٦٨/٦، ٢١٦/٩، ٣٤/١٠)، العجلوني في كشف الخفا (٥٢٤/٢)، ابن عساكر (١٤/٥)، العراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (١٦١/٤)، والطبراني في الكبير (١٢/٤)، المتقي الهندي (١٦٩٦)، وابن ماجة في السنن (٤٢٣٩).

أبوالحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري حدثنا يحيى وقطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن سعيد بن إياس الجريري وحدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبدالصمد حدثنا الجريري (ح) وحدثنا زهير حدثنا الفضل بن دكين حدثنا سفيان عن الجريري عن أبي عثمان النهدي عنه.

وقال الشعبي: مرَّ عليه الصلاة والسلام على أصحابه يلعبون الدِّركلة -لعبة للعجم- فقال : "خذوا يا بني أرْفَدَة حتى تعلم اليهود والنصارى أن في ديننا فسحة"(١).

وكان الحسن بن أبي الحسن يقول: دينا وسوطًا، لا سقطًا سقوطًا، ولا ذهبًا فُرُوطًا.

وقد أجمع العلماء : أن الحب ليس بمستنكر في الدين، ولا بمحظور في الشرع؛ فقد قال الزهري : أول حب كان في الإسلام حبّ النبي -صلى الله عليه وسلم- عائشة(٢) .

وعن أبي قيس مولى عبدالله بن عمرو بن العاص: أن عبدالله بن عمرو أرسله إلى أم سلمة ليسألها: أكان النبي -صلى الله عليه وسلم- يُقَبِّل أهله وهو صائم؟

فقالت: لا.

فقال لها: إن عائشة قالت: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يقبلها وهو صائم.

فقالت أم سلمة: إن النبي -صلى الله عليه وسلم- إذا رأى عائشة لا يتمالك عنها،

---

(١) ليس في هذا الحديث مع صحته سوى ما هو مباح من اللهو واللعب المسري عن النفس ومن المصادر التي ذكرت الحديث: ابن أبي حاتم في علل الحديث (٢٤٠٠)، ابن حجر في المطالب العالية (٢٧٩٣)، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٠٦١٧)، الألباني في الصحيحة.

(٢) وهذا القول لا يصح عن الإمام الزهري، لا يليق مثل هذا القول ونسبته إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- وإن كان المتحدث عنها زوجته في الدنيا والآخرة ولها في قلبه من المنزلة ما لها ومن المعلوم لدى الجميع أن السيدة خديجة كان لها من المنزلة لدى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ما لم يكن لغيرها من نسائه -صلى الله عليه وسلم- وعلى كل فلا يليق أن يوصف ما كان بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وبين زوجاته على أنه ضمن من يوصفون بالحب أو العشق بل هو رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وصفيه من خلقه فلا يوصف بأكثر ولا أقل مما وصفه به ربه سبحانه وتعالى وفي أي شيء يحط من قدره أو وصف يوصف به دون ما وصفه به ربه أو وصف به نفسه - صلى الله عليه وسلم- فهو كفر برسالته -صلى الله عليه وسلم- وخروج من الإسلام بالكلية.

أما أنا فلا.

ولما شَرَد بها جملها في بعض الغزوات بقي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بين ظهري ذلك السَّمر ، وهو يقول : [٧/ب] ((واعروساه، واعروساه))[١].

وجاء عنه أنه قال: "سألت الله أن لا يستجيب دعاء حبيب على حبيبه".

ذكره الخرائطي وقال: أنبأنا نصر بن داود حدثنا الواقدي عن محمد بن صالح عن سعد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن أبيه قال: كان إبراهيم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يزور هاجر في كل يوم من الشام على البراق من شغفه بها، وقلة صبره عنها[٢].

وذكر أبوحذيفة إسحاق بن بشر الكاهلي في كتاب المبتدأ: عن ابن عباس أنه قال: حبُّ يعقوب يوسف صلى الله عليهما من بين إخوته، أنه كان عشق أمَّه راحيل[٣].

قال الخرائطي : واشترى عبدالله بن عمر جارية رومية فكان يحبها حبًّا شديدًا، فوقعت ذات يوم عن بغلة له فجعل يمسح التراب عن وجهها ويفديها ، وكانت تكثر أن تقول له: يا بطرون أنت قالون. يعني يا مولاي أنت جيد.

ثم إنها هربت منه فوجد عليها وجدًا شديدًا وقال:

قد كنت أحْسَبُني قَالُون فَانصَرَفَتْ   فَاليَوْم أَعْلَمُ أني غَيْر قَالُون[٤]

وعن مالك بن دينار قال: صنع سليمان عليه السلام قبة من ذهب أربعين ذراعًا في أربعين ذراعًا وركب فيها من صُنوف الجوهر كثيرًا، فبينما هو جالس فيها إذ سقط

(١) وكذا مثل هذا الخبر فإنه يُقال فيه ما قيل في الذي قبله، وفي هذا الخبر جراءة كبيرة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ووصفه بالوله والضعف والخوار عياذًا بالله من ذلك وحاشاه -صلى الله عليه وسلم- من ذلك بل هو مبرأ من كل عيب، متصف بكل كمال يليق بالأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين، ومن مصادر تخريج هذا الحديث: مسند أحمد (٢٤٨/٦)، مجمع الزوائد (٢٢٨/٩)، اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (٨/٢).

(٢) وهذا أيضًا ما أحسبه إلا من صنع اليهود عليهم لعائن الله فهم الذين قتلوا الأنبياء ووصفوهم بكل نقيصة وسبوهم بكل شين: ﴿**هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين**﴾ [هود: ١٨].

(٣) انظر التعليق السابق

(٤) وهذه الرواية لا تصح عن ابن عمر، ولو صحت فليس فيها ما يشين ابن عمر رضي الله عنهما بل هو بعض من غدر النساء وخداعهن خصوصًا وأنها ليست بمسلمة على الأرجح لكونها رومية هذا إن صحت الرواية من أصلها.

خطافان، فراود الذكر الأنثى فامتنعت عليه، فقال: لم تمنعي نفسك فوالله لو كلفتني حمل هذه القبة لحملتها، فلما سمع سليمان عليه السلام قوله، أمر فأتي بهما، فقال: من القائل كذا وكذا؟

فقال الذكر: أنا يا نبي الله.

قال: فما حملك على هذا(١)؟

قال: يا نبي الله مُحبٌّ والمحبُّ لا يلام(٢).

وقال مهريارلش في كتابه تدبير الأجساد: اعلم أن الحواس السليمة والأعضاء الجسيمة مطبوعة على إكرام النفس اللاَّهوبية والنفس إذا هويت شيئًا [٨/أ] تكون عند الذي هويته أكثر من كونها عند جسدها فلذلك تصرف حواس الجسد وجوارحه كل لذة ونعمة تعرض لها طلبًا إلى ...(٣) هَويَته وتمتنع هي منه لإكرام الهوى الذي قد صارت عنده.

وقال أبو محمد بن حزم: وقد أحب من الخلفاء الراشدين، والأئمة المهديين كثير.

وقال رجل لعمر بن الخطاب: يا أمير المؤمنين رأيت امرأة فعشقتها.

فقال عمر -رضي الله عنه- ذاك ما لا يملك(٤).

وقال كاهل الماعزي فيما أنشده الهجري(٥) في سَلْمَى التي كان يعشقها.

يَلُومُونَنِي في حُبِّ سَلْمَى كَأَنَّمَا   يَرَوْنَ الهَوَى شَيْئًا تَيَمَّمْته عَمْدًا

---

(١) في هامش المخطوط: تعليق على هذه الكلمة نصه: ذلك يريد به التصويب.

(٢) هذه حكاية تشبه حكايات كليلة ودمنة وعمومًا لا يحق لنا أن نصدق أو نكذب مثل هذه الروايات التي هي عن أهل الكتاب، حتى لا نصدق كذبًا ولا نكذب صدقًا بل نعتبرها كأنها لم تكن أو كأنها لم تحك.

(٣) موضع النقط كلمة مطموسة يظهر منها ما يلي من حروف أو هذا رسمه: ثــث. ولم أتبين معناه أو لم أستوضحه حتى من السياق.

(٤) ومثل هذا لا يصح عن عمر رضي الله عنه، وهذه الروايات بلا أسانيد، وبلا زمام ولا خطام، فلا حجة فيها.

(٥) قال السيوطي في بغية الوعاة (٢/٣١٩) ترجمة رقم (٢٠٧٧): قال ياقوت: صاحب كتاب النوادر المفيدة روى عنه ثابت بن حزم السرقسطي، وغيره.

ومن مصادر ترجمته كما ورد بهامشه: طبقات النحويين واللغويين (١٦٧: ١٧٩)، معجم الأدباء (٢٦٢/١٩).

أَلاَ إِنَّما الْحُبُّ الَّذي صَدَّعَ الحَشَا   قَضَاءٌ منَ الرَّحْمَنِ يَبْلُو بِهِ العَبْدَا

وقال التسيمي في كتاب امتزاج الروح : سُئل بعض الأطباء عن ماهية العشق، فقال: إن وقوعه بأهله ليس باختيار منهم، ولا بحرص عليه، ولا لذة لأكثرهم فيه، لكن وقوعه بهم كوقوع العلل المدنفة والأمراض المتلفة، ولا فرق بينه وبين ذلك(1).

فإذا كان شأن العشق كذلك، فلا ينبغي إنكاره على من ابتلي منه، بل يستحب له مساعدته من غير تعنيف، ولا زجر، فقد فعل ذلك سيد المرسلين حين رأى مغيثًا زوج بريرة يمشي خلفها بعد فراقها ودموعه تجري على خديه، فقال لها: ((**لو راجعتيه؟**)) .

فقالت: أتأمر يا رسول الله؟

فقال: ((**لا بل أشفع**)) .

فقالت: لا أريده.

فقال : ((**يا عباس ألا تعجب من حبّ مغيث بَريرة، ومن بغض بريرة مغيثًا**))(2)؟!

وفعله أيضًا أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- بعده، ذكر ذلك الخرائطي عن أبي غسّان قال: مَرَّ أبوبكر الصديق -رضي الله عنه- بجارية [8/ب] وهي تقول:

وَهَوَيْتُه مِنْ قَبْل قَطْع تَمَائِمي   مُتَمَاشِيًا مثْل القَضِيْبِ النَّاعِم

فسألها: أحرة أنت أم مملوكة؟

فقالت: مملوكة.

فقال: من هواك؟

فتلكأت، فأقسم عليها، فقالت:

وَأَنَا الَّتِى لَعبَ الغَرَامُ بَقَلْبِهَا   قُتِلَتْ بحُب مُحَمَّد بن القَاسِمِ

فاشتراها من مولاها وبعث بها إلى محمد بن القاسم بن جعفر بن أبي طالب ، وقال:

---

(1) قال السَّرَّاج في مصارع العشاق (1/15): أخبرنا أبوالقاسم علي بن المحسن التنوخي قال: وأخبرنا أبوعمر محمد بن العباس قال: حدثنا أبوبكر بن المرزبان قال: قال سقراط الحكيم: العشق جنون، وهو ألوان كما أن الجنون ألوان.

(2) أطراف الحديث عند: البخاري في الصحيح (7/62)، ابن حجر في فتح الباري (9/408، 413)، والطبراني في الكبير (11/345)، النسائي في المجتبى (8/245)، ابن ماجة في السنن (2075)، الدارمي في السنن (2/170)، البيهقي في الكبير (7/222)، البغوي في شرح السنة (9/110).

هؤلاء فَتَنَّ الرجال ، وكم والله مات بهن كريم وعطب بهن سليم[1] .

وعثمان بن عفان فيما ذكره التميمي في امتزاج النفوس قال: جاءته جارية تستعدي على رجل من الأنصار.

فقال لها عثمان: ما قصتك؟

فقالت: كَلفة يا أمير المؤمنين بابن أخيه فما أنفك أُراعيه.

فقال له عثمان: إما أن تهبها لابن أخيك أو أُعطيك ثمنها من مالي.

فقال: أُشهدك يا أمير المؤمنين أنها له.

وأُتي بغلام من العرب لعلي بن أبي طالب وُجدَ في دار قوم بالليل.

فقال له: ما قصتك؟

فقال: لست بسارق، ولكني أصدقك.

تَعَلَّقَتْ في دَار الرِّيَاحِي[2] خَوْدَة ... يُذَكُّ بهَا من حُسْنِها القَمر البَـدْرُ

لَهَا في بَنَات الرُّومِ حُسْنٌ وَمَنْصِبٌ ... إذَا افْتَخَرَت بالحُسْنِ خَافَتَها الفَخْرُ

فَلَمَّا طَرَقْتُ البَابَ منْ حَرِّ مُهْجَة ... أبيتُ وفيها مَنْ تَوَقَّدَهَـا الجَمْـرُ

تَبَادَرَ أَهْلُ الدَّار بي ثُمَّ صَيَّحُـوا ... هُوَ اللّصُّ مَحْتُومًا له القَتْلُ والأَسْرُ

فلما سمع علي بن أبي طالب شعره، رقّ له وقال للمهلب بن رباح: اسمح له بها، ونعوضك منها.

فقال: يا أمير المؤمنين، سله من هو لنعرف نسبه.

فقال: النَّهاس بن عتيبة.

فقال: خذها فهي لك.

ومعاوية فيما ذكره التميمي فقال : اشترى جارية من البحرين ، فأعجب بها إعجابًا شديدًا، فسمعها يومًا تنشد أبياتًا منها: [٩/أ]

وَفَارَقْتُهُ كَالْغُصْنِ يَهْتَزُّ فِي الثَّرَى ... طَرِيْرًا وَسِيْمًا بَعْدَ ما طَرَّ شَاربُه

(١) إن صحت هذه الرواية ولا أظنها تصح أبدًا فهي بيان لأن الإسلام والخلفاء يعترفون بما قد يسببه التفريق بين الخلان مادام ليس هناك ما يمنع من اجتماعهما وذلك لمصلحة الطرفين ثم لعدم إشاعة الفاحشة، وفيه بيان حرص الحاكم على مصلحة الرعية والاهتمام بما يظن البعض أنه أمر تافه أو بسيط.

(٢) المراد به المهلب بن رباح وكان على شرطة علي بن أبي طالب -رضي الله تعالى عنه- .

فسألها، فقالت: هو ابن عمي، فَردها إليه، وفي قلبه منها المقيم المقعد[1].

وقال هشام بن عروة عن أبيه: مات عاشق بالمدينة فصلى عليه زيد بن ثابت، فقيل له في ذلك:

فقال له: إني رحمته[2].

وستأتي قصة الحسين وغيره مع جميل.

وقالت أم البنين أخت عمر بن عبدالعزيز، وكانت من العابدات: يا عزة، ما معنى قول كثير:

قَضَى كُلّ ذي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيْمَهُ   وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنَّى غَرِيْمُها

ما كان هذا الدين؟

قالت: وعدته بقبلة، ثم حرجت منها.

فقالت: أنجزيها وعلي إثمها[3].

وكان أبوالسائب المخزومي[4] أحد القُرَّاء الورعين والظرفاء الصالحين.

قال التميمي: كان من الورع والدين بمكان، كان يصلي من اليوم والليلة ألف

---

(١) في سرد هذه الحكاية بيان لمدى وفاء معاوية وإكرامه للمحبين وحرصه على عدم التفريق بينهما وإن كان في ذلك تنازل منه عن حقه وهو في منزلة لا يستطيع أن يتطاول عليه فيها أحد فإذا به يرد إليها من تمواه، وهذا قلناه بفرض صحة القصة، ولا أراها صحيحة.

(٢) ليس في من مات محبًا أو بسبب الحب لوم ولا إثم عليه ما لم يرتكب في حبه محرمًا ومثل هذا الموت لا يخرج الإنسان عن كونه مسلمًا، ثم إنه لو ارتكب شخص ما جريمة الزنا أو القتل وأقيم عليه الحد لا يمنع ذلك من الصلاة عليه حيث استنفد عقوبته في الدنيا ثم مات على الإسلام ثم آل أمره إلى ربه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه.

(٣) من البديهي أنه ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ثم إن أم البنين هذه لها مآثر وفضائل كثيرة وأياد على كثير من أهل عصرها وسأذكر طرفًا من ذلك عند ذكر المؤلف لقصتها مع وضاح اليمن وفي القصة هناك تفصيل كثير ودفاع عنها ، ثم إنه بالنسبة لقولها ذلك، فقد ذكرت هناك أنها كفرت عنه بعتق سبعين رقبة ، فليست هي من الداعيات إلى الرذيلة ولا إلى مساوئ الأخلاق بل ما عهد عنها هو التقوى والورع والصلاح.

(٤) قال الحصري في المصون في سر الهوى المكنون (ص٢١): كان أبوالسائب المخزومي غزير الأدب كثير الطرب، وله فكاهات مشهورة، وأخبار مذكورة، وكان أشراف أهل المدينة يقدمونه لشرف منصبه، وغزارة أدبه، وحلاوة طربه.

ركعة. رُئي متعلقًا بأستار الكعبة وهو يقول: اللهم ارحم العاشقين، وقوِّ قلوبهم، وأعطف عليهم قلوب المعشوقين[١] .

فقيل له في ذلك.

فقال: والله الدعاء لهم أفضل من عمرة في رجب من الجعرانة[٢]، ثم أنشأ يقول:

يَا هَجْرُ كُفَّ عن الهوى وَدَعِ الهَوَى ... لِلعَاشِقِيْنَ يَطِيْبُ يَا هَجْـرُ
مَاذَا تُرِيْـدُ مِـنَ الَّذِيْـنَ قُلُوبهـم ... قَرْحَى وَحَشْو ضَمِيرهم جَمْرُ
مُتَلَذِّذِيْنَ مِـنَ الهَـوَى أَلْوَانُهُـم ... مِمَّا تجـنُّ قُلُوبهـم قُمـرُ
وَسَوَابِقُ العَبَرَات فَوْقَ خُدُودِهـم ... دُرَرٌ تَفِيْضُ كَأَنَّهـا قَطْـرُ

وسمع آدم بن أبي اللب قاضي مصر جارية تغني وهو يكتب فتيا:

تَرَى في الحكومَةِ يَا سَيِّدِي ... عَلَى مَنْ عَشَقَ أَنْ يُقْتَلا

فرمى القلم من يده، وقال: لا، لا.

وفي ربيع الأبرار: أن زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر[٣] [٩/ب] قرأت في طريق

---

(١) قلت : والعشاق شديدو الشفافية شديدو التقوى إذا صاحبها خوف من الله تعالى.

(٢) هذا قول فيه مبالغة يريد قائله أن يرقق قلوب الناظرين إليهم أو المتناولين لأخبارهم حتى لا يرموهم بما لا يليق إذا كانوا في حدود ما أباح الله لهم وأراد أن يعاونهم على اجتماع شملهم بدعاء الصالحين لهم حتى لا يشغلهم ما هم فيه من الهوى والهيمان عن ذكر الله تعالى أو يدفعهم ذلك إلى التقصير في السنن والتزود من النوافل . فقال هذا القول المبالغ فيه ، ولو قسنا هذا القول بميزان الشرع فهو ساقط حيث هذا إخبار بالغيب والذي لا يقوله إلا نبي موحى إليه من قبل المولى عز وجل إذ يخبرنا بما هو أفضل من غيره عند الله سبحانه وتعالى.

(٣) قال عمر رضا كحالة في كتابه أعلام النساء (١٧/٢): سيدة جليلة ذات يد طولى في الحضارة والعمران والعطف على الأدباء، والشعراء، والأطباء، ومن ذوات العقل، والرأي، والفصاحة، والبلاغة، أعرس بها الرشيد سنة (١٦٥) هجرية في خلافة المهدي ببغداد فأولدها محمد الأمين فأحبته حبًّا عظيمًا جعلها تهيئ له كل العوامل التي تعتقدها واصلة به لعرش الخلافة.

واغتمت زبيدة غمًّا عظيمًا لما ذكر الرشيد البيعة لابنه المأمون فدخلت على الرشيد تعاتبه في ذلك أشد المعاتبة وتؤاخذه أعنف المؤاخذة .... القصة والتي انتهت باقتناعها بأن رأيه في تولية المأمون ابنه أولى بالخلافة من ابنها الأمين ثم قال: وأما الآثار الجليلة التي خلفتها وانتفع بها العالم خير انتفاع فهي كثيرة جدا منها أنها سقت أهل مكة الماء بعد أن كانت الرواية عندهم بدينار وأسالت الماء عشرة أميال بحط الجبال وتحت الصخرة حتى غلغلته من الحلِّ إلى الحرم ومهدت الطريق لمائها في كل خفض ورفع وسهل وجبل ووعر وعرفت هذه العين بعين الشماش وكانت جملة ما أنفق عليها مما =

مكة على حائط:

أَمَا في عباد الله أَوْفَى أَمَـــانَة ... كريم يُخَلِّي الهَمَ عَنْ ذاهب العَقْلِ
لَهُ مُقْلَةٌ أَمَّا الْمَآقِي فَقَــرْحَةٌ ... وأَمَّا الحَشَا فَالنَّارُ مِنْهُ عَلَى رَجْــلِ

فنذرت أن تحتال لقائلها حتى تجمع بينه وبين من يحبه، قالت: فإني لبالمزدلفة إذ سمعت من ينشدها، فأدنيته، فزعم أنه قالها في بنت عم له قد نذر أهلها ألاَّ يزوجوها منه.

فوجهت إلى الحيّ وما زلت أبذل لهم المال حتى زوجوه، وإذا المرأة أعشق من الرجل . فكانت زبيدة تعده في أعظم حسناتها.

وكان لسليمان بن عبدالملك غلام وجارية يتحابان، فكتب الغلام إليها يومًا فيما ذكره الخرائطي.

وزعم صاحب ميدان العاشقين في شرح أحوال الوامقين أنها للطغرائي، ويشبه أن يكون وهما:

وَلَقَدْ رَأَيْتُكِ فِي المَنَام كَأَنَّمَا ... عَاطَيْتِنِي مِنْ رِيْقِ فِيْكِ البَارِدِ
وَكَأَنَّ كَفَّكِ فِي يَدِي وَكَأَنَّنَا ... بِتْنَا جَمِيْعًا فِي فِرَاشٍ وَاحِــدِ
فَطَفِقْتُ يَوْمِي كُلَّهُ مُتَرَاقِدًا ... لأَرَاكِ فِي نَوْمِي وَلَسْتُ بِرَاقِدِ

فأجابته الجارية:

خَيْرًا رَأَيْتَ وكُلُّ مَا عَايَنْتَــهُ ... سَتَنَالُهُ مِنِّـــي بِرَغْــمِ الحَاسِــدِ
إِنِّي لأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُعَانِقِي ... فَتَبِيتُ مِنِّي فَوْقَ ثَــدْيٍ نَاهِــدِ
وَأَرَاكَ بَيْنَ خَلاَخِلِي وَدَمَالِجِي ... وَأَرَاكَ فَوْقَ مَرَاجِلِي ومَجَاسِدِي

فبلغ ذلك سليمان فأنكحهما وأحسن جهازهما على شدة غيرته المفرطة.

وقال الخرائطي: كان نخاس(1) عنده جارية لم يكن له مال غيرها وكان [١٠/أ]

=

ذكر وأحصى ألف ألف وسبعمائة ألف دينار..... ثم ذكر كثيرًا من مآثرها وآثارها وإلى متى بقيت هذه الآثار وما زال باقيًا منها إلى الآن.

ثم قال: وتوفيت ببغداد في جمادى الأولى سنة (٢١٦) هجرية. ورثاها مسلم بن عمرو الخاسر الشاعر البصري.

(١) النَّخَّاسُ: هو بائع الجواري والرقيق في الجاهلية، ثم إلى عصر قريب، ثم انتهى في هذه الأيام ولم يعد له وجود بعد إلغاء الرق في جميع دول العالم في القوانين والدساتير والأعراف الرسمية.

يعرضها في المواسم فتغالى الناس فيها حتى بلغت مبلغًا كثيرًا من المال، وهو يطلب الزيادة.

فعلقها رجلٌ فقير حتى كاد عقله يذهب فلما بلغه ذلك وهبها له.

فعوتب في ذلك، فقال: إني قد أحييت جميع الخلق، قال تعالى: ﴿ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعًا﴾[1] ويخلف الله علي.

وقال ابن الجوزي: سمع المهلب فتىً يتغنى في جارية له بشعر فقال:

لَعَمْري إنِّي لِلْمُحبِّينَ رَاحِـمُ   وَإنِّي بحفْظ العَاشقِيْنَ حَقِيْقُ
سَأَجْمَعُ منكُم شَمْلَ وُد مُبَدَّد   فَإنِّي بِمَا قَدْ تَرْجُوَانِ خَلِيْقُ

فوهبها له ومعها خمسة آلاف دينار.

وقال جامع بن مرحية: سألت سعيد بن المسيب مفتيَ المدينة: هل في حبّ دهماء من وزر؟

فقال سعيد بن المسيب: إنما تلام على ما تستطيع من الأمر[2] .

وقال سعيد : والله ما سألني أحد عن هذا ، ولو سألني ما كنت أجبت إلاّ به.

وقال يحيى بن معاذ: والله، لو كان إليّ من الأمر شيء ما عذبت العشاق، لأن ذنوبهم اضطرارية لا اختيارية[3] .

---

(١) سورة المائدة (الآية: ٣٢).

(٢) جاء بالهامش تعليق ناسخ المخطوط على تلك العبارة تصويبًا لها نصه: صوابه: على ما تستطيع.

(٣) قوله هنا يريد به عشاق الصوفية الذين يسمون عشاق الحب الإلهي أو شهداء العشق الإلهي.

ويحيى بن معاذ هذا هو : أبوزكريا الواعظ الرازي. قال ابن الملقن في طبقات الأولياء (٣٢١): أحد الأوتاد، وكان أوحد وقته في فنه. مات سنة ثمان وخمسين ومائتين. وقبره بنيسابور يستسقى به، ويتبرك بزيارته.

وكانوا ثلاثة إخوة: يحيى، وإسماعيل، وإبراهيم، وكلهم زاهد.. ومن كلامه: لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه، ويوم حشره ميزانه.

وقال: كيف يكون زاهدًا من لا ورع له؟ تورَّع عما ليس لك، ثم ازهد فيما لك.... وقال: الزهد ثلاثة أشياء: الخلوة، والقلة، والجوع.

ومن كلامه أيضًا : صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين، واعجبا، كيف يصبرون؟ .. ومنه: حقيقة المحبة ما لا تنقص بالجفاء، ولا تزيد بالبر.

ومن مصادر ترجمته: طبقات الصوفية (١٠٧: ١١٤)، حلية الأولياء (٥١/١٠)، صفة الصفوة (٧١/٤)، طبقات الشعراني (٩٤/١)، الرسالة القشيرية (٢١)، وفيات الأعيان (٢٩٦/٢).

وقال المؤمل:

شَفَّ الْمُؤَمِّل يَوْمَ الحِيْرَة النَّظَــرُ لَيْتَ الْمُؤَمِّلُ لَمْ يُخْلَق لَهُ بَصَرُ
يَكْفِي الْمُحِبِّينَ فِي الدُّنْيا عَذَابُهُمُ واللهِ لاَ عَذَّبتْهُم بَعْدها سَقَرُ

وقالت أعرابية: ليس الهوى إلى الرأي فيملكه، ولا إلى العقل فيدركه، وأنشدت:

لَيْسَ خَطْبُ الهَوَى بِخَطْب يَسِيْر لاَ يُنْبئْكَ عَنْهُ مثْــل خَبِيْــرِ
لَيْسَ أَمْرُ الهَوَى يُدَبَّــرُ بالــرَّأي وَلاَ بالقِيَــاس وَالتَّفْكِيْــر
إنَّمَا الأَمْرُ في الهَوَى خَطــرَاتٌ مُحْدَثَات الأُمُور بَعْدَ الأُمُورِ

[١٠/ب] وقال القاضي أبوعمر محمد بن أحمد بن سليمان بن أيوب الفوقابي في كتابه محنة الظراف: العشاق معذورون على كل الأحوال، مغفور لهم جميع الأقوال والأفعال، إذ العشق إنما دهاهم عن غير اختيار، بل اعتراهم عن جبر واضطرار، والمرء إنما يلام على ما يستطيع من الأمور، لا في المقضي عليه والمقدور، فقد جاء في الحديث عن النبي -صلى الله عليه وسلم- : ((**إن كانت الحامل لترى يوسف عليه السلام فتضع حملها**))[١].

فكيف ترى هذه وضعته باختيار كان ذلك منها أم باضطرار؟

لا بل باضطرار ، وفقد اقتدار هذا لا يشك فيه ذو لب ولا يختلج خلافه في قلب. ولم أُخْله[٢] من شِعر مستطرف وخبر نادر، وتاريخ عجيب ولسبب غريب.

وعزوت كُلاًّ إلى قائله ليحسن به الاستمتاع ولا تمجَّه الأسماع.

فهو للأديب مأدُبة، وللعالم زيادة في المرتبة، وللعابد تجلٍّ، وللعاشق تسلٍّ، وللمحدث أطرُوفة، وللشاعر أزلوفة، وللإخباري مغرّبة، وللبعيد مقربة، وأجدر به أن يكون كذلك، ولو سبقني إليه أحد لقلت أكثر من ذلك.

---

(١) وهذا أيضًا من المبالغات ، ومما ينسب إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- من القول الزور، والكذب عليه -صلى الله عليه وسلم- تعمدًا . وقد قال صلى الله عليه وسلم: "**من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**" متفق عليه.

(٢) أي الكتاب فما زال المؤلف في المقدمة إلى هذا الموضع وقد أشرت قبل ذلك إلى أنه يصل في مقدمته هذه إلى الورقة (٣٩) من المخطوط.

وهو حفظك الله إن لم يكن من اللغو الذي لا يؤاخذ به المرء، فهو إن شاء الله من اللسم المعفو عنه، وإلا فليس من السيئات والفواحش التي يتوقع عليها العذاب.

وإني لأعلم بعض من لا يهتدي لرشده إذا وقف على تأليفي هذا ينكره، ويقول: تراه خالف طريقته، وتجافى عن وجهته:

تَصَابَى وَقَدْ عَلاَكَ المَشيْبُ ... وَتَعَامَى عَمْدًا وأنْتَ لَبِيْبُ
كَيْفَ تَلْهُو وَقَد أتاكَ نَذيرٌ ... وَسِهَامُ الحِمَامِ منْكَ قَرِيْبُ

ولست أُحلّ لأحد أن يظن بي غير ما بينته، قال تعالى: ﴿**يا أيهاالذين أمنوا** [١١/أ] **اجتنبوا كثيرًا من الظن إن بعض الظن إثم**﴾[١].

وقال عليه السلام: ((**إياكم والظن، فإنه أكذب الحديث**))[٢].

وقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب: لا تظنن بكلمة خرجت من فيِّ مسلم شيئاً وأنت تجد لها في الخير محملاً.

وبالجملة، فلا بد لمن أكثر من الجدّ أن يستريح إلى الفكاهة ليذهب عن ذهنه الصَّدَأ والآفة، والإنسان إلى الملل أميل، والتنقل أشهى لقلبه وأمثل:

أَقْصرْ عَنْ لَهْوه وَعَنْ طَرَبِهِ ... وَعفَّ عَن حُوْره وعَن عُرُبِــه
فَلَيْسَ شُرْبُ المُدَام همَّتَــه ... وَلا افْتِضَاض الأَبْكَار منْ أرَبه
قَدْ آنَ للْقَلْب أنْ يفيْقَ وَأَنْ ... يُزَمِّل مَا قَدْ عَلاَهُ منْ حُجبـه
أَلْهَاهُ عَمَّا عَهِدْت تَعَجُبُهُ ... خيْفة يَوْمٍ تُبْلى السَّرَائــرُ بــه

ومن المعلوم غير المجهول أن الله عز وجل ركب في الإنسان طبيعتين متضادتين:

أحداهما : لا تشير إلا بخير ، ولا تحض إلاّ على حسن ، وهي العقل وقائده العَدْل.

والثانية : ضدٌّ لها لا تشير إلا إلى الشهوة ولا تقود إلا إلى الرَّدي وهي النفس

---

(١) سورة الحجرات (الآية: ١٢).

(٢) أطراف الحديث عند: البخاري في الصحيح (٤/٥، ٧/٢٤، ٨/٢٣، ١٨٥)، مسلم في الصحيح (البر والصلة ٢٨)، الترمذي في الصحيح (١٩٨٨)، مالك في الموطأ (٩٠٨)، أبي داود في السنن (الأدب ب٥٥)، أحمد في المسند (٢/٤٣٢،٣١٢)، البيهقي في السنن الكبرى (٦/٨٥)، (٨/ ٣٣٣)، الشجري في الأمالي (٢/١٤٥)، البغوي في شرح السنة (١٣/١٠٩)، ابن حجر في فتح الباري (٥/٣٧٥)، (٩/١٩٨)، وابن حجرأيضًا في تغليق التعليق (٢٩٧)، عبدالرزاق في المصنف (٢٠٢٢٨)، والبخاري في الأدب المفرد (٤١، ١٢٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور (٦/٩٢)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/٥٤٥).

وقائدها الشهوة. قال الله تعالى: ﴿إنّ النفس لأمارة بالسوء﴾[١]. وكنّى بالقلب عن العقل فقال : ﴿إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[٢]، وقال تعالى: ﴿وحبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾[٣].

وهاتان الطبيعتان قطبان في الإنسان وهما قوتان من قوى الجسد الفعال بهما فهما يتقاتلان أبدًا ويتنازعان دائمًا، فإذا غلبت النفس العقل عميت البصيرة و لم يصح الفرق بين الحسن والقبيح، وعظم الالتباس وتردي في هوّة الردى ومَهْوَاة الهلكة نعوذ بالله من الخذلان. وإذا غلب العقل النفس ارتد الإنسان وقمع عوارضه المدخولة، واستضاء بنور الله تعالى واتبع العدل [١١/ب] والروح مواصل بين الطبيعتين، ومواصل ما بينهما، وحامل الالتقاء بهما.

وإن الوقوف عند الطاعة لا يكون إلا مع الرياضة وصحة المعرفة وبقاء التمييز ومع ذلك، فاجتناب التعرض للفتن ومداخلة الناس جُنَّة، والجلوس في البيوت وباء.

وتمني أن تقع السلامة المضمونة ، أو يكون الرجل حَصُورًا[٤] لا إرب[٥] له في النساء، ولا جارحة تعينه عليهن، فإن من وقي شر لقلقه، وقبقبه، وذبذبه، فقد وُقي شَتَّى الدنيا بحذافيرها.

❁ ❁ ❁

[التعريف بالعشق وما وصف به وعلاجه][٦]

ولا بد من ذكر مقدّمة نذكر فيها: العشق، وأسماءه، وحدّه، وما وصف به، وعلاجه، إلى غير ذلك من أوصاف الحب وأقسامه[٧] .

---

(١) سورة يوسف (الآية: ٥٣).

(٢) سورة ق (الآية: ٣٧).

(٣) سورة الحجرات (الآية : ٧).

(٤) والحَصُور: هو الذي لا إرب أو لا حاجة له في النساء. والمراد الذي لا يأتي النساء، إما عن امتناع منه فلا يقربهن ولا يشتهيهن تزهدًا بترييض نفسه على ذلك. وإما عن أمر خارج عنه وهو أنه لا يستطيعهن، وفي القول الأول يقول الله عز وجل: ﴿**وسيدًا وحَصُورًا ونبيًّا من الصالحين**﴾.
والقول الثاني: هو ما ذهب إليه المؤلف هاهنا وهو العاجز عن إتيان النساء فلايستطيعهن ولا يشتهيهن لأمر خارج عن إرادته ومقدوره.

(٥) الإرب: الحاجة. والمراد أي لا حاجة له في النساء.

(٦) زيادة تصنيفية من عمل المحقق غفر الله له.

(٧) في المصون للحصري (ص: ١٦٠) : أوصافه كثيرة وضروبه كبيرة : كالمقة، والشغف، والوجد، =

يَقُولُ أُنَاسٌ لَوْ نَعَت لَنَا الهَوَى وَوَاللهِ مَا أَدْرِي لَهُم كَيْفَ أَنْعَتُ
فَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ حَدٌّ أَحُـدُّهُ وَلَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ وَقْت مُوَقَّـتُ

فالذي عليه الأطباء علي بن سينا وغيره: أن العشق مرض وسواسي شبيه بالمالَنْخُولِيَا يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على امتحان بعض الصور والشمائل، وقد يكون معه شهوة جماع وقد لا تكون.

وسببه **البدني**: ارتفاع رديء إلى الدماغ عن مَنِيٍّ محتقن ولذلك أكثر ما يعتري العُزَّاب، وكثرة الجماع تزيله بسرعة.

وهذا له نظير في السُّنة. قال: -صلى الله عليه وسلم-: ((**لم يُرَ للمتحابين مثل التزويج**)) .

قاله لما سأله رجل: يا رسول الله عندنا يتيمة قد خطبها رجلان: موسر، ومعسر، وهي تهوى المعسر، ونحن نهوى الموسر.

رواه أبوالفرج من حديث حسان بن بشر حدثنا أحمد بن حرب حدثنا أبو عيينة حدثنا عمرو عن جابر به.

ورواه أيضًا: ابن عباس عن أبي القاسم في الأوسط، فقال: حدثنا بكر بن سهيل حدثنا عبد الله بن يوسف حدثنا محمد بن مسلم عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس عنه قال عليه السلام: ((**لم ير للمتحابين [١٢/أ] مثل التزويج**))(١).

والكلف، والتتيم، والأسف، والجوى، والدنف، والصبوة، والصبابة، والكئوب، والكآبة، والشجو، والخلابة، والبلابل، والحسرات، والتباريح، والغمرات، والسدم، والوهل، والهيام، والوجل، والشجى، والشجن، واللعج، والحزن، والكمد، والوصب، والاكتئاب، والنصب، واللذع، والحرق، والتسهيد، والأرق، والجزع، والخوف، والهلع، والنزح ، والولوع، والارتياع، والنزوع، والغلة، والغليل، والبكاء، والعويل، والتلهف، والحنين، والتحرق، والأنين، والاستكانة، والتبله، والحيرة، والتلدد، واللوعة، والفتون، والفجائع، والشجون، والمس، والجنون، واللمم، والخبل، والرسيس، والتبل، والوسواس، والدَّله، والاستهتار، الوله، والنحول، والبلا، والحين ، والردى، والداء المخامر، والضنى المسامر، والكبد الحرّى، والعين العبرى، والعقل المختلس، والنفس المحتبس، واللب المسلوب، والدمع المسكوب.

ذكر هذه المعاني أبوعبدالله المرزباني، وأتى بيسير من كثير، واقتصر من قبض على برض، وافتقر إلى استخراج بعضها من بعض.

(١) رجاله ثقات ولكنه مرسل، والمرسل من أقسام الضعيف، وأطرافه عند: ابن ماجة في السنن

وقال : لم يروه عن طاوس إلا إبراهيم، ولا رواه عن إبراهيم إلا محمد بن مسلم، وسفيان الثوري، تفرد به مؤمل بن إسماعيل عن الثوري، انتهى كلامه.

وفيه نظر لما ذكره أبوبكر الخرائطي : حدثنا نصر بن داود حدثنا الحسن بن بشر حدثنا المعافي بن عمران عن إبراهيم بن يزيد عن سليمان بن موسى عن عمرو بن طاوس (ح) وحدثنا علي بن حرب الطائي[1]: حدثنا ابن عيينة، عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس.

ولما ذكره الحافظ أبوالحسن علي بن عمر في كتاب الغرائب قال: تفرد به يزيد بن مروان عن عمر بن هارون عن عثمان بن الأسود المكي عن إبراهيم بن ميسرة عن طاوس.

وفي كتاب الحكمة: اجتمع رأي الحكماء في مواضعة الدواء للهمم المؤتلفة، فوجدوا لذاتها وسرورها عند اجتماع الروحين والتزاق البدنين.

وسُمع بعضهم ينشد:

هَاجَ سُرُور القَلْب مِنِّي حَرَارَة فَأَوْرَثَه سُقْمًا إِلَى آخرِ الدَّهْرِ

فقيل له: هذا السقم له دواء؟

فقال: دواؤه التقاء الشفتين بتضام البدنين.

وقالت هند بنت المهلب : ما رأيت لصالحي النساء وشرارهن خير من إلحاقهن بأسكافهن؛ ولرب مسكون إليه غير طائل، والسكن على كل حال أجمع.

وأصل ذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: ((**أربع لا يشبعن من أربع: أرض من مطر، وأنثى من ذكر، وعين من نظر، وعالم من علم**))[2].

= (١٨٤٧)، الحاكم في المستدرك (٢/١٦٠)، الطبراني في الكبير (١١/١٧)، عبدالرزاق في المصنف، المتقي الهندي في كنز العمال (٤٤٤٥٢، ٤٥٥٦٠، ٤٥٥٩٧).

(١) في المخطوط: الطاري. وهو تحريف. وهو: علي بن حرب بن محمد بن على بن حيان بن مازن ابن الغضوبة الطائي، الموصلي، أبوالحسن. الإمام المحدث الأديب مسند وقته.

ولد سنة (١٧٥) بأذربيجان ، وكان أبوه تاجرًا. قال أبوحاتم عنه: صدوق، وقال الدارقطني: ثقة، وقال النسائي: صالح. توفي رحمنا الله وإياه بالموصل عن عمر بلغ التسعين عامًا في شوال سنة خمس وستين ومائتين وصلى عليه أخوه معاوية بن حرب.

ومن مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٢/٢٥١)، تاريخ بغداد (١١/٤١٨)، طبقات الحنابلة (١/٢٢٣)، اللباب (٢/٢٧١)، تهذيب الكمال (١/٩٦)، العبر (٢/٣٠)، المنتظم (٥/٥٢).

(٢) هذا حديث موضوع، وأطرافه عند: ميزان الاعتدال (٢٠٢٧، ٥٠٥٤)، لسان الميزان =

رواه الحاكم في تاريخ نيسابور من حديث سليمان التيمي عن ابن سيرين عن أبي هريرة.

وفي الأوسط من حديث ابن عمرو قال عليه [الصلاة] والسلام: ((**فضل ما بين لذة المرأة ولذة الرجل كأثر المخيط في الطين إلاّ أن الله سترهن بالحياء**))[(١)].

وقال: لم يروه عن الليث إلاّ أبوالمسيب[(٢)] سلم بن سلام عن سويد بن عبدالله ابن أسامة عن يعقوب بن خالد عن عطاء عنه. [١٢/ب]

وَكُل أُنْثَى تُرِيْدُ الفَحْل سَاعَتَها إلاَّ المَعَاصِير أُمَّات العَصَافِيرْ
فَإِنَّهُنَّ يُرِدْنَ الفَحْـل دَائِبَـة إِرَادَة النَّاس أَفْلاَسَ الدَّنَانِيْر

وقد اختلف الناس في ماهية العشق وحقيقته. وأكثرهم سموه باسم سببه أو باسم ما يئول إليه.

وقيل منهم من حقق.

فالذي ذكره فيثاغورس[(٣)] الذي أخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود عليهما

=

(٢/١٢٤٤، ١٣٧٣)، المجروحين (١/٢٥٤)، كشف الخفا (١/١١٦)، الفوائد المجموعة (٢٧٥)، حلية الأولياء (٢/٢٨١)، مجمع الزوائد (١/١٣٥)، تذكرة الموضوعات (٢١)، اللآلئ المصنوعة (١/١٠٩).

(١) في متن المخطوط: الحياء. والتصويب من هامشه. والحديث ليس بصحيح وراجعه في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي (٤/٢٩٣).

(٢) في المخطوط: أبوالمنيب. وهو تحريف، وهو: أبوالمسيب سلم بن سلام الواسطي روى عن: شعبة، ومبارك بن فضالة، وشيبان النحوي، روى عنه: إسحاق بن وهب العلاف ومحمد بن عبدالملك الدقيقي. راجع الجرح والتعديل (٤/٢٦٨)، وقد سكت عنه.

(٣) قال القفطي في أخبار الحكماء (١٧٠): فيثاغورس: الفيلسوف المشهور المذكور من فلاسفة اليونان وحكمائهم، كان بعد أبيذقلس الحكيم بزمان، وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود النبي بمصر حين دخلوها من بلاد الشام، وقد كان أخذ الهندسة قبلهم من المصريين ثم رجع إلى بلاد يونان، فأدخل إليهم علم الهندسة ولم يكونوا يعلمونها قبل ذلك، وأدخل عليهم علم الطبيعة أيضًا، وعلم الدين.

واستخرج بذكائه علم الألحان وتأليف النغم وأوقعها تحت النِّسب العددية، وادعى أنه استفاد ذلك من مشكاة النبوة. وله في نضد العالم وترتيبه على خواص العدد ومراتبه رموز عجيبة وأغراض بعيدة، وله في شأن المعاد مذاهب قارب فيها أبيذقلس من أن عالمًا فوق عالم الطبيعة روحانيًّا نورانيًّا لا يدرك العقل حسنه وبهاءه، وأن الأنفس الذكية تحتاج إليه وأن كل إنسان

=

السلام فيما ذكره صاعد في كتاب الطبقات تأليفه: العشق طمع يتولد في القلب، ويتحرك وينمي، ثم يتربّى، وتجتمع إليه مواد من الحرص.

وكلما قوي زاد صاحبه في الاهتياج واللجاج والتمادي في الطمع والفكر في الأماني، والحرص على الطلب حتى يؤديه ذلك إلى الغم المقلق.

ويكون احتراق الدم عند ذلك باستحالته إلى السواد، والتهاب الصَّفْراء وانقلابها إليها.

ومن طبع السوداء فساد الفكر، ومع فساد الفكر يكون زوال العقل، ورجاء ما لا يكون، وتمني ما لا يتم حتى يؤدي ذلك إلى الجنون.

فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه، وربما مات غمًّا، وربما نظر إلى معشوقه فمات فرحًا، وربما شهق شهقة فتختنق روحه فيبقى أربع وعشرين ساعة فيظنون أنه قد مات فيدفنونه وهو حَيّ.

وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه في تامور قلبه وينضم عليها القلب ولا ينفرج حتى يموت.

وتراه إذا ذكر له من يهواه هَرَبَ دَمُه واستحال لونه[1]. وبنحوه ذكر بلنياس الحكيم فيما ذكره التميمي في امتزاج النفوس.

قال أبوبكر بن داود الإمام ابن الإمام[2]:

=

أحسن تقويمه بالتبرؤ من العجب والتجبر والرياء، والحسد وغيرها من الشهوات الجسدانية فقد صار أهلاً أن يلحق بالعالم الروحاني ويطلع على ما شاع من جواهره من الحكمة الإلهية.

ولفيثاغورس تآليف شريفة في الارتماطبقي، وغير ذلك . ومن تلاميذه المعروفين به حتى نسب إليه طلبًا لا زمانًا، فإن فيثاغورس قديم: نيقوماخس، أبوالفضل أرسطوطاليس، وأخذ عنه علم العدد ، واشتهر بذلك. ولا يعرف بين حكماء اليونان إلا بالفيثاغورسي.

(١) ذكر هذا القول الحصري في المصون (ص: ١٥٤).

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠٩/١٣): محمد بن داود بن علي الظاهري، العلامة البارع أبوبكر، كان أحد من يضرب به المثل بذكائه، وهو مصنف كتاب: الزهرة. في الأدب والشعر، وله كتاب في الفرائض وغير ذلك . راجع ترجمته في هذه المراجع: تاريخ بغداد (٢٥٦/٥)، طبقات الفقهاء (١٧٥)، المنتظم (٩٣/٦)، وفيات الأعيان (٢٥٩/٤)، الوافي بالوفيات (٣/ ١٥٨)، البداية والنهاية (١١٠/١١)، شذرات الذهب (٢٢٦/٢)، وغير ذلك كثير.

فإذا كان الأمر كذلك، فإن زوال المكروه عمن هذه حاله لا سبيل إليه بتدوير الأدوية ولا شفاء له إلاّ بلطف رب العالمين. وذلك أن المكروه العارض من سبب [١٣/ب] واحد قائم بنفسه يتهيأ التلطف فيه بزوال سببه.

فأما إذا وقع السببان، وكان كل واحد منهما سبيل. فإذا كان السواد سببًا لاتصال الفكر: كان اتصال الفكر سببًا لاحتراق الدم والصفراء وقلبهما إلى تقويه السوداء.

فهذا هو الداء العيّاء الذي يعجز عن معالجته الأطباء[١].

وفي ذلك قال أبو الطيب:

وَمَا العشْقُ إلاَّ غِرَّة وَطَمَاعَةٌ تَعَرَّض قَلْبٌ نَفْسَه فَيصَابُ

وقال أفلاطون الآخذ الحكمة عن فيثاغورس: العشق حركة النفس الفارغة بغير فكر.

وقال أرسطاطاليس غلام أفلاطون: العشق هو عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب.

وهذا كقوله -صلى الله عليه وسلم-: ((**حبك الشيء يُعمي ويُصم**))[٢].

أخبرنا بذلك الإمام أبو المحاسن يوسف بن عمر الحنفي رحمه الله تعالى قراءة عليه

---

(١) قال ابن حزم في طوق الحمامة في الكلام في ماهية الحب (ص: ٦) : الحب -أعزك الله- أوله هزل، وأخره جد ، دقت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة، وليس بمنكر في الديانة، ولا بمحظور في الشريعة إذا القلوب بيد الله عز وجل.... وقد اختلف الناس في ماهيته، وقالوا، وأطالوا، والذي أذهب إليه أنه اتصال بين أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرقيع، لا على ما حكاه محمد بن داود رحمه الله عن بعض أهل الفلسفة: الأرواح أكرُ (جمع كره) مقسومة لكن على سبيل مناسبة قواها في مقر عالمها العلوي ومجاورالها في هيئة تركيبها.

وقد علمنا أن سر التمازج والتباين في المخلوقات إنما هو الاتصال والانفصال والشكل دأبًا يستدعي شكله، والمثل إلى مثله ساكن، وللمجانسة عمل محسوس وتأثير مشاهد.

والتنافر في الأضداد، والموافقة في الأنداد، والنزاع فيما تشابه موجود فيما بيننا، فكيف بالنفس وعالمها الصافي الخفيف وجوهرها الجوهر الصعاد المعتدل وسنخها (أصلها) المهيأ لقبول الاتفاق والميل والتوق والانحراف والشهوة؟

(٢) حديث ضعيف: ضعَّفه العلامة الألباني رحمه الله في "ضعيف الجامع" (٢٦٨٨)، وفي "السلسلة الضعيفة" (١٨٦٨).

وأنا أسمع حدثنا الإمامان: الحافظ المنذري، وأبوالفضل البكري قالا: أنبأنا عمر بن معمر أنبأنا أبوالبدري أنبأنا الحافظ أبوبكر البغدادي أنبأنا أبوعمر الهاشمي عن أبي علي اللؤلؤي أنبأنا سليمان بن الأشعث أنبأنا حيوة بن شريح عن بقية عن أبي بكر بن أبي مريم الغساني عن خالد بن محمد الثقفي عن بلال بن أبي الدرداء عن أبيه عنه عليه [الصلاة] والسلام.

وقال عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن علي بن أبي طالب(١): فيما ذكره أبوالعباس محمد بن يزيد الثمالي ومالاه على ذلك الحافظ أبونعيم في تاريخ أصبهان:

فَلَسْتُ بَراءِ عَيْبِ ذي الوُدِّ كُلّه ... وَلاَ بَعْضَ مَا فِيْـــهِ إذَا كُنْتَ رَاضِيَا

وَعَيْنُ الرِّضَا عَنْ كُلِّ عَيْبٍ كَلِيْلَة ... كَمَا أنْ عَيْنَ السُّخْطِ تُبْدي المَسَاوِيَا

وخالف ذلك أبو سعيد السكري في كتابه النقائض وابن أبي طاهر في كتابه المشهور والمنظوم: فزعما(٢) أنها لجرير الخطفي، وتابعهما على ذلك أبو سعيد البكري [١٣/ب] في كتاب اللآلي في شرح الأمالي.

وزعم أبوسعد السمعاني: أنهما لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب. وقد استوفينا ذلك بشواهده في كتابنا المسمى: بالقدح العالي في الكلام على اللآلي وفي كتاب الكامل.

---

(١) ذكره أبونعيم في تاريخ أصبهان (٢/٣/ت٩٣٣) بتحقيقي: ولم يذكر له في ترجمته هذين البيتين، وقال في ترجمته: صاحب الميدان قدمها متغلبًا عليها أيام مروان سنة ثمان وعشرين ومائة ومعه المنصور أبوجعفر انقضاء سنة تسع وعشرين ومائة، ثم خرج منها هاربًا إلى خراسان، فحبسه أبو مسلم صاحب الدولة في سجنه ومات مسجونًا سنة إحدى وثلاثين ومائة.

(٢) في المخطوط: فزعم وهو سهو من الناسخ، وجرير الخطفي هو: جرير بن عطية بن حذيفة ولقب حذيفة الخطفي بقوله:

وعنقًا بعد الرسيم خطيفا

وهو من بني كليب بن يربوع، وكان له أخوان: عمرو، وأبو الورد، وولد جرير لسبعة أشهر وعاش نيفًا وثمانين سنة ويكنى أبا زافر. ورأى في المنام كأنه قطعت له أربع أصابع فقاتل بني ضبة فقتلوا له أربعة أولاد. ولبلال عقب منهم عمارة بن عقيل بن بلال ... ومن ولد جرير: نوح وعكرمة ابنا جرير ، وكانا شاعرين ، وكان جرير من فحول شعراء الإسلام وكان يشبه من شعراء الجاهلية بالأعشى.

كانا بازيين يصيدان ما بين العندليب إلى الكركي وكانا من أحسن الناس تشبيبًا. حدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال: سمعت الحي يتحدثون عن جرير أنه قال: لولا ما شغلني من هذه الكلاب لشببت تشبيبًا تحن منه العجوز إلى شبابها حنين الناقة إلى سقبها، وكان من أشد الناس هجاء.

وقال الحاتمي في كتاب النسوان: سرقه ابن عبيد الأعلى فقال:

وَعَيْنُ السُّخْطِ تُبْصِرُ كُلَّ عَيْبٍ   وَعَيْنُ أخِي الرِّضَا عَنْ ذَاكَ تَعْمَى

وقال آخر:

تَرَى العَيْنُ مَنْ تَهْوَى مَلِيْحًا وَمَنْ يَكُنْ   بَغِيْضًا إِلَيْهَا لاَ تَلْمَحُ شَمَائِلَهُ

وقال أرسطو: العشق جهل عارض، صادف قلبًا فارغًا لا شغل له من تجارة وصناعة(١).

قال نصر الكاتب: هو كعشق الأعراب ليس عندهم غير تَمَنٍّ وحديث نفس، ويمكن أن لو وصل أحدهم إلى معشوقه ليحصل منه الملل.

وقال ديوجانيس الكلبي: هو سوء اختيار صادف نفسًا فارغة(٢).

وهذا كما قال قيس بن الملوح:

أَتَانِي هَوَاهَا قَبْلَ أَنْ أَعْرِفَ الهَوَى   فَصَادَفَ قَلْبًا خَالِيًا فَتَمَكَّنَا

وقال مسلم بن الوليد(٣):

تَعَلَّقْتُكُم مِنْ قَبلِ أنْ أعْرِفَ الهَوَى   فَلاَ تَقْتُلُونِي إِنَّنِي مُتَعَلِّمُ

وقال بعض الفلاسفة: لم أر حقًا أشبه بباطل، ولا باطلاً أشبه بحق من العشق، هزله

---

(١) قال السراج في مصارع العشاق (١/١٢) بإسناده إلى علي بن عبدالله القمي قال: قال لي عبدالله بن جعفر المديني: قلت لأبي زهير المديني: ما العشق؟
قال: الجنون، والذل، وهو داء أهل الظرف.

(٢) قال ابن عبد ربه في العقد الفريد (١/٢٣٠): قال أبوبكر الوراق: سأل المأمون عبدالله بن طاهر ذا الرياستين: عن الحب ما هو؟ فقال: يا أمير المؤمنين: إذا تقادحت جواهر النفوس المتقاطعة بوصل المشاكلة، انبعثت منهما لمحة نور تستضيء بها بواطن الأعضاء، فتتحرك لإشراقها طبائع الحياة فيصور من ذلك خُلُق حاصر للنفس، متصل بخواطرها يسمى: الحب.
وسئل حماد الراوية: عن الحب ما هو؟ فقال: الحب شجرة أصلها الفكر وعروقها الذكر، وأغصانها السهر، وأوراقها الأسقام وثمرتها المنية.
وقال معاذ بن سهل: الحب أصعب ما ركب وأسكر ما شرب، وأقطع ما لقي، وأحلى ما اشتهي، وأوجع ما بطن، وأشهى ما علن.

(٣) هو صاحب خراسان وهو صريع الغواني وسأذكر ترجمته بالتفصيل عند كلام المؤلف عن قصته إن شاء الله تعالى.

جد وجده هزل وأوله لعب وآخره عطب[١].

وقال الجاحظ: هو اسم لما فُضِّل عن المحبة، كما أن السرف اسم لما جاوز عن الجود، والبخل اسم لما جاوز عن الاقتصاد.

فكل عشق يسمى حُبًّا، وليس كل حب يسمى عشقًا. والعشق جنس، والمحبة نوع منه، ألا ترى أن كل محبة شوق وليس كل شوق محبة.

وخالف ذلك صاحب المنثور والمنظوم وقال: زعموا أن العشق، والهوى، والحب: جنس واحد[٢]، ثم [١٤/أ] فصَّلوا فقالوا:

العشق: هو الاستهيام والتضرع باللوذان بالمعشوق.

والوجد: هو الحب الساكن.

والهوى: أن يهوى الشيء فيتبعه غيًّا كان أو رشدًا.

والحبُّ: حرف ينتظم هذه الثلاثة فيه. وقد يقال للعاشق، والواجد، والذي يهوى الأمر: حَبّ.

وقال المأمون ليحيى بن أكثم: ما العشق[٣]؟!

فقال: سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه.

فقال له ثمامة بن الأشرس: اسكت[٤] يا يحيى، إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاق أو مُحْرِم صادَ ظبيًا [أو قتل نملة][٥] فأما هذه فمسائلنا نحن.

فقال له المأمون: قل يا ثمامة ما العشق؟

فقال: العشق جليس ممتع وأليف مؤنس، وصاحب مُلْكٍ مسالكه لطيفة، ومذاهبه

---

(١) ذكره السراج بنصه في مصارع العشاق (١/ ١٢) بإسناده عن أبي بكر أحمد بن على الحافظ إلى المظفر بن يحيى قال: فذكره.

(٢) وفي نفح الطيب (٢٩/) من قول لسان الدين بن الخطيب: أصناف المحبين والعشاق كثيرة بحيث يشق إحصاؤها، ولا يتأتى استقصاؤها.... وهذه حكم تجري مجرى الأمثال: المحبة بحر بعيد الشط والفناء منتهى الخط. المحبة مهوى من بعيد، ومجال وعد ووعيد.
والمحبة ظهر لا يركبه من يرى الموت فيتنكبه. كم قصمت المحبة من ظهر، وكم سير صوت إلى قهر.

(٣) ذكره السراج بنصه في افتتاح كتابه فبدأ به (١/ ١١).

(٤) في المخطوط: اسلت. وهو تحريف، والتصويب من مصارع العشاق.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من مصارع العشاق.

غامضة، وأحكامه جارية[١]، ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعيون ونواظرها، والعقول وآراءها، قد أعطى[٢] عنان طاعتها، وقود تصرفها، توارى عن الأبصار مَدخله، وعمي في القلوب مسلكه.

فقال له المأمون أحسنت يا ثمامة، وأمر له بألف دينار.

وفي رواية أنه قال: إذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع يستضيء به بواحر العقل، وتتصور من ذلك اللمح نور خاص بالنفس متصل بجواهرها يسمى عشقًا.

ومثله قول مساور[٣] الوراق: قلت لمجنون أذهب عقله العشق أجز هذا البيت:

قال الحسن بن حبيب النيسابوري في كتابه عقلاء المجانين: هو جعيفران الموسوس:

وَمَا الْحُبُّ إلاّ شُعْلَةٌ قَدَحَتْ بِهَا   عُيُونُ الْمَهَا باللَّحظِ بَيْنَ الجَوَانِحِ

فقال بديهًا:

وَنَارُ الهَوَى تَخْفَى وَفي الْقَلْبِ فِعْلُهَا   كَفِعْلِ الَّذي جَاءَتْ به كَفُّ قَادِحِ

[١٤/ب] وقول الأصمعي: سألت أعرابيًّا عن العشق فقال: جلى والله عن أن يُرى وصلى عن أبصار الوَرَى فهو في الصدور كامن ككمون النار في الحجر، إن قُدِحَ أورى، وإن ترك توارى.

وقال سقراط: العشق جنون وهو ألوان كما أن الجنون ألوان[٤] .

وقد اعترض على هذا بقول قيس:

قَالُوا جُنِنْتَ بِمَنْ تَهْوَى فَقُلْتُ لَهَا   الْعِشْقُ أَعْظَمُ ممَّا بِالَمجَانِيْنِ

---

(١) في المصارع: جائزة.

(٢) في المصارع: وأعطى.

(٣) في المخطوط: ماسور. وهو تحريف والتصويب من مصارع العشاق والخبر فيه على النحو التالي : أخبرنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي قال أخبرنا أبوعمر محمد بن العباس بن حيويه قال أخبرنا محمد بن خلف المرزبان قال حدثني أبوعلي الحسن بن صالح قال : قال مساور الوراق : قلت لمجنون كان عندنا، وكان شاعرًا ويقال: إن عقله ذهب لفقد ابنة عمّ كانت له، فقلت له يومًا: أجز هذا البيت: فذكر البيت المذكور هنا، ثم قال: فقال على المكان. ثم ذكر البيت الثاني.

(٤) ذكره صاحب مصارع العشاق بإسناده (١/ ١٥).

الْعِشْقُ لَيْسَ يفيْقُ الدَّهْرَ صَاحبُهُ وَإِنَّمَا يُصْرَعُ المجْنُونُ في الحِيْنِ[1]

ويجاب: بأن الجنون[2] تارة يكون مطبقًا وهو الغالب وهو المراد، وتارة لا يكون مطبقًا.

وقد قال أعرابي ما يؤيده: العشق أغمض مسلكًا في القلب من الروح في الجسم، وأملك بالنفس من النفس ببطنٍ وظهر وكتف، فامتنع وصفه عن اللسان وخفي نعته عن البيان، فهو بين السحر والجنون، لطيف المسلك والكمون.

وقال الهيثم بن عدي: رأيت على حجر مكتوبًا: العشق ملك غشوم، مسلط ظلوم، دانت له القلوب، وانقادت له الألباب، وخشعت له النفوس، العقل أميره، والنظر رسوله، واللحظ لفظه، مستقره غامض، وهو دقيق المسلك عسير المخرج.

وقيل لأبي وائل الأوضاحي: ما تقول في العشق[3]؟

(١) جاء الشطر الأول في المصارع (١٢٦/١) على النحو التالي:

قالت: جننت على رأسي ، فقلت لها

والبيت الثاني كما هنا غير أن فيه: الحب، بدل العشق والخبر في المصارع على النحو التالي (١/١٢٥-١٢٦) بعد الإسناد : لما خُولط قيس بن الملوح وزال عقله وامتنع عن الأكل والشرب، صارت أمه إلى ليلى، فقالت لها: إن ابني جن من أجلك ، وذهب حبك بعقله ، وقد امتنع عن الطعام والشراب، فإن رأيت أن تصيري معي إليه ، فلعله إذا رآك يسكن بعض ما يجد؟ فقالت لها: أما نهارًا فما يمكنني ذلك، وإن علم أهل الماء لم آمنهم على نفسي، ولكن سأصير إليه في الليل . فلما كان الليل صارت إليه، وهو مطرق يهذي، فقالت له : يا قيس إن أمك تزعم أنك جُننت على رأسي، وأصابك ما أصابك؟ قال: فرفع رأسه فنظر إليها وتنفّس الصعداء، وأنشأ يقول: فذكر ما هنا من شعر. ثم أعاد ذكر القصة في (١٨١/٢).

(٢) جاء بمتن المخطوط: الجن والتصويب من هامشه، إذ علق الناسخ عليه بقوله: لعله الجنون.

(٣) قال الحصري في المصون (ص: ١٥) في العشق وأثره: اعلم أعلمك الله ما يرضاه أني جلت في مغارب القطر ومشارقها حتى وصلت إلى علم حقائقها، فوجدت الإنسان إنما فضل على الحيوان بالنطق المعبر عما يخطر في النفس المخبر بما يهجس في الحس، ورأيت اللسان خادم الجنان بتصريفه ينصرف، ومع توقيفه يقف، وأصبت العقل أمام الخواطر، وزمام النواظر، وجلاء البصائر، ومالك الأفهام، وسلطان الأوهام، ونور الأنوار، وشمس الأفكار، والمصيب فلا يخطئ، والمسرع فلا يبطئ، الذي لو أطلت عنان الإسهاب، ومددت أطناب الإطناب، لما بلغت مداه أشواطي، ولا تلافى التفريط فيه إفراطي، وشهدت أن الهوى يخدع العقل ويسحره، ويملك اللب ويقهره ويغلب القلب ويبهره، حتى يرتبط بملكه، وينخرط في سلكه، وعهدته لا يعلق إلا بذوي الأفهام اللطيفة، والأوهام الشريفة ممن اتسعت في الأرب رباعه، وامتدت في الأدب باعه، وطال في الفضل زرعه =

فقال: إن لم يكن طرفًا من الجنون فهو عصارة من السحر.

وقال في كتابه امتزاج النفوس: أجمع أفلاطون ومعلمه وأرسطاطاليس، وأشطوديموس، وأروقسماحوس، وأسطوفانوس، والأنقديس: على أنه ائتلاف أخلاق، وتشاكل محبات وتجانسها ، وشوق كل نفس إلى مشاكلها وشكلها في الخلقة القديمة وهو في العالم قبل إهباطه وكونها في الأجساد.

قال التسيمي: وفي هذا ردٌّ على من زعم أن [د١٥/أ] أرسطاطاليس لم يعرف العشق. فلما وصف له قال: ما هذا إلا من ضعف تركيب العقل.

وقال آخر: دَقَّ عن الأفهام مسلكه، وخفي عن الأبصار موضعه، وحارت القلوب في كيفية تمكنه غير أن ابتداء حركته وعظم سلطانه من القلب، ثم يتغشى سائر الأعضاء، فيبدي الرعدة في الأطراف، والصفرة في الألوان، واللجلجة في الكلام، والضعف في الرأي، والزلل والعثار حتى ينسب صاحبه إلى الجنون.

وفي كتاب المتيمين للمرزباني: قيل لأبي زهير: ما العشق[1] ؟

قال: الجنون والذل، وهو داء أهل الظرف.

قال: ونظر بعض العشاق لمعشوقه فارتعدت فرائصه وغشي عليه.

فقيل لحكيم: ما أصابه؟

قال: نظر إلى من يحبه، فانفرج قلبه فتحرك الجسم بانفراج القلب.

=

وزكا أصله وفرعه، وكرم ذهنه وطبعه، وشَفَّ بصره وسمعه، وألف من الحلاوة بحرًا عذبًا، وصادف من الطلاوة برًا تربا، وشرب من اللطافة ماء رويا، وأدرك من الطرفة مهادًا وطيا، ونال من الترافة شرفًا عليا، فأصبح متفيئًا في ظل ظليل، ونسيم عليل، وهواء بليل، في روض جادته سحائب الفضل والكرم، وافترت عنه بوارق المجد والهمم.

(١) قال الحصري في المصون (١/١٧): قال بعض التراجمة: العشق ارتياح في الأرواح، وجوهر فلكي تنتجه النجوم بقادر مطارح شعاعها وتولده النفوس بوصلة أشكالها ، وتقبله الأوهام بلطف جواهرها، وهو يعد جلاء للعقول ما لم يفرط ، فإذا أفرط عاد سقمًا قاتلاً، ومرضًا مستبهمًا، لا ينجع فيه العقول، ولا ينفع فيه الدواء، والعلاج منه زيادة فيه....

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: أرواح العشاق عطرة لطيفة، وأبدانهم رقيقة خفيفة، وزهرتهم التمسك بالألفة ونزهتهم المؤانسة ، وكلامهم يحيي موات النفوس، ويرد سوارد العقول، ولولا العشق والهوى لم توجد لذة الصبا، ولم يكن الطرق والغناء ولنقص نعيم أهل الدنيا.

فقيل له: نحن نحب أولادنا وأهلنا ولا يصيبنا ذلك؟

فقال: تلك محبة العقل، وهذه محبة الروح.

وقالت أعرابية: هو تحريك الساكن، وتسكين المتحرك.

وقال آخر: الهوى هواء خولف باسمه.

وقالت أعرابية: هو بالقلب رتبته، وبالفؤاد وجبته، وبالأحشاء ناره، وسائر الأعضاء خدامه، فالعقل من العاشق ذاهل، والدمع منه هاطل، والجسم ناحل، مرور الأيام المختلفات تجدده، والإساءات من المعشوق لا تفسده.

وقال نصر الكاتب[1] في الكتاب المسمى بالجامع: تحقيقه أنه ليس هو الحسن والجمال، وإنما هو تشاكل النفوس وممازجتها في الطباع المخلوقة فيها.

وَمَا الْحُبُّ مِنْ حُسْنٍ وَلاَ مِنْ سَمَاحَةٍ ... وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ بِهِ الرُّوْحُ تَكْلَفُ

وهذا العشق هو الكامن في النفوس عن الأعين.

وأما الرسوم الظاهرة المرئية فهي الاجتماع والمحادثة والقُبَل والجماع.

فإذا كان العشق بالمشاكلة زاد بالرسوم وثبت وتمكن.

وإذا لم يكن بالمشاكلة، فإنما هو عرض من الأعراض [١٥/ب] غير ثابتة بل منتقلة وهي الرسوم والأفعال الواقعة بالمناكحة وغيرها ، وعن قريب يذهل ويضمحل إذ لا أصل له بالشكل.

وقال بعضهم : إنما العشق مرآة يبصر فيها العاشق ما في نفس المعشوق وما هو عليه حِسًّا صحيحًا ونظرًا صادقًا.

---

(١) هو : نصر الله بن أبي العز. (هبة الله) بن قصافة القاضي: قال ابن العماد في شذرات الذهب (٥/ ٢٥٢) في ذكر وفاته سنة (٦٥٠) : فخر القضاة نصرالله بن هبة الله بن قصافة الحنفي الكاتب من شعره:

على ورد خديه واس عذاره ... يليق بمن يهواه خلع عذاره
وأبذل جهدي في مداره قلبه ... ولولا الهوى يقتادني لم أداره
أرى جنة في خده غير أنني ... أرى جل ناري شب من جلناره
سكرت بكأس من رحيق رضابه ... ولم أدر أن الموت عقبي خماره

وذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٨٤/٢٣): ضمن من توفي سنة (٦٥٠)، ولم يذكر له ترجمة.

وقال آخر لمعشوقه: صادفت منك جوهر نفسي ومشاكلتها في كل أحوالها فاتبعتك وانقدت إليك وإنما أهوى ما شاكلني. فإذا كان الأمر هكذا فالنفوس محتاجة إلى أسباب تتعارف بها: تلك الأسباب هي الرسوم[1] المقدم ذكرها وبهاتين المشاكلة فإذا تعارفت اتفقت واتحدت وتمازجت و لم تلتفت إلى تلك الرسوم إذ هي أعراض.

ألا ترى إلى كثير ممن يدعي العشق ويحرص على الألفة والممازجة إذا أمكنه معشوقه من نفسه فأوقع الأفعال التي سميناها الرسوم لم يمض إلا اليسير من الدهر حتى يقع الملل والنفور كأنهما لم يتعارفا، لاختلاف مشاكلتهما.

فطلب كل واحد منهما اللذة بالرسم الواقع فإذا انقضت انقضى الأمر وتم ومحبته العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس لا فناء لها بالموت. فصح بذلك أنه استحسان روحاني وامتزاج نفساني.

وقال أبو محمد بن حزم: الذي أذهب إليه: أنه أجزاء النفوس المقسومة في هذه الخليقة في أصل عنصرها الرفيع، لا على ما حكاه ابن داود في كتاب الزهرة[2]: الأرواح (أكر)[3] مقسومة لكن على سبيل مناسبة قواها مقر عالمها العلوي ومجاورتها في هيئة تركيبها.

فإن قال قائل: لو كان الأمر هكذا لكانت المحبة بينهما مستوية[4] .

---

(١) يقول ابن حزم في طوق الحمامة (٢٣) في باب من أحب من نظرة واحدة: وكثيرًا ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة.

وهو ينقسم قسمين فالقسم الواحد مخالف للذي قبل هذا (يريد باب من أحب بالوصف) .

وهو يعشق المرء صورة لا يعلم من هي، ولا يدري لها اسمًا، ولا مستقرا، وقد عرض هذا لغير واحد....

والقسم الثاني: .... هو أن يعلق المرء من نظرة واحدة جارية معروفة الاسم، والمكان والمنشأ، ولكن التفاضل يقع في هذا في سرعة الفناء وإبطائه، فمن أحب من نظرة واحدة وأسرع العلاقة من لمحة خاطرة فهو دليل على قلة صبر، ومخبر بسرعة السلو، وشاهد الظرافة والملل.

وهكذا في جميع الأشياء أسرعها نموًا أسرعها فناءً، وأبطؤها حدوثًا أبطؤها نفاذًا.

(٢) في طوق الحمامة (ص: ٧): محمد بن داود رحمه الله عن بعض أهل الفلسفة و لم يذكر اسم الكتاب.

(٣) ما بين القوسين سقط من أصل المخطوطة، وأضفته من طوق الحمامة، وأُكَرُ جمع كُرة.

(٤) قال مسكويه في كتاب الهوامل والشوامل بتحقيق مسألة رقم (٤٩) إجابة على سؤال من أبي

حيان نصه: ما السبب في تصافي شخصين لا تشابه بينهما في الصورة ولا تشاكل عندهما في الخلقة ، ولا تجاور بينهما في الدار كواحد من فرغانة، وآخر من تاهرت، وهذا طويل قويم، وهذا قصير دميم وهذا شخت عجف، وهذا علج جلف، وهذا أزب أشعر، وهذا أمعر أزعر...إلخ.

فكان جواب مسكويه على هذا السؤال كما يلي: سبب الصداقات بين الناس ينقسم أولاً إلى قسمين عاليين، وهما أسباب: الذاتي والعرض... وإذا عرف أحد المتقابلين عرف مقابله الآخر لأن أقسامه كأقسامه. أما السبب الذاتي من أسباب التصافي فهو السبب الذي يستحيل، ويبقى ببقاء الشخصين، وهو نسبة بين الجوهرين، إما من المزاج الخاص العناصر، وإما من النفس والطبيعة.

فأما المزاج فقد يوجب بين الإنسانين ، وبين البهيمتين، فإن تشاكل الأمزجة يؤلف ويجذب أحد المتشاكلين بها إلى الآخر من غير قصد ولا روية ولا اختيار، كما تجد ذلك في كثير من أنواع البهائم والطير والحشرات.

وكذلك تجد بين الأمزجة المتباعدة عداوات ومنافرات من غير قصد ولا روية ولا اختيار، وإذا تصفحت ذلك وجدته أكثر من أن يحصى، وإن ارتقيت من الأمزجة إلى البسائط من الأمور وجدت هذا مستمرًا أيضًا فيها أعني المشاكلة والمحبة، والمنافرة والعدواة، فإن بين الماء والنار من المنافرة والمعاداة ، وهرب كل واحد منهما من صاحبه ليبعد عنه، ثم ميل كل واحد منهما إلى جنسه، وطلبه لشكله ليتصل به، أمر لا خفاء به على أحد.

فإن انضاف إلى ذلك مزاج مناسب بتأليف موافق ظهر السبب وقوي. كما يوجد بين حجر المغناطيس والحديد وبين حجري الخل، أعني محب الخل وباغض الخل .... وإذا كان اتفاق الجسمين يوجب المودة بالجوهر وبالمزاج الخاص، فكم بالحري أن يوجبها اتفاق النفسين إذا كان بينهما مناسبة ومشاكلة.

وأما الأسباب العرضية فهي كثيرة، وبعضها أقوى من بعض: فأحد الأسباب: المودة العرضية العادة والإلف.

والثاني: الأمر النافع أو المظنون به النفع.

والثالث: اللذة.

والرابع: الأمل.

والخامس: الصناعات والأغراض.

والسادس: المذاهب، والآراء.

والسابع: العصبيات.

ثم طول مكث أحد هذه الأسباب وقصره علة طول المودات وقصرها.

ومثال النافع: موادات الأتباع أو الخدم، وأربابهم، وأصحاب الشركات والتجارات، وطلاب الأرباح والمكاسب.

ومثال اللذة: مودة الرجل والمرأة، على أن هناك أيضًا مودة النافع، ومودة الآمل، فهو لذلك قوي وثيق. ومودة المتعاشقين، والمتعاشرين على المأكل والمشروب والمركوب وما أشبه ذلك ... وهذه

فالجواب: أن نفس الذي لا يحب من يحبه مكتنفة الجهات ببعض الأعراض السائرة، والحجب المحيطة بها من الطبائع الأرضية، فلم تحس بالجزء الذي كان [١٦/أ] متصلاً بها قبل حلولها حيث هي.

ولو تخلصا لاستويا، ونفس المحب مختلعة عالمة بمكان ما كان يشركها في المجاورة طالبة له ، قاصدة إليه باحثة عنه مشتهية لملاقاته جاذبة له لو أمكنها كالمغناطيس والحديد وكالنار في الحجر.

ويشهد للقول الأول ما أنشدته امرأة:

حَجَجْتُ وَلَمْ أحْجُج لِذَنْب عَمِلْتُهُ ... وَلَكِن لِتَعْذيبي عَلَى قَاطِعِ الْحَبْلِ
ذَهَبْتُ بعَقْلِي في هَـــوَاهُ صَغِيْــرَةً ... وَقَدْ كَبُرَتْ سِنِّي فَزَادَا بِه عَقْلِي
وإلاّ فَسَوِّي الحُبُّ بَيْنِــي وَبَيْنَــهُ ... فَإنَّكَ يَا مَوْلاَي تُوْصَفُ بالْعَدْلِ

وقال ابن الدمينة:

فَيَارَبّ حَبِّبْني لَهَا[1] وَاشْفِنِي بِهَا ... أوْ أرحْ مِمَّا يُقَاسِي فُؤَادِيَا

وقالت امرأة تعاتب معشوقها: غير أني أسأل من الجور لك أن يقسم الحب بيني وبينك وأنشدت:

أسْأل الّذي صَرَفَ الهَوَى ... منِّي إلَيْكَ وَمنْكَ عَنِّي
أنْ يَبْتَلِيْكَ بِمَا ابْتَلاَنِــي ... منْكَ يَا إنْسَان منِّــي

وقال رجل من بني الصيداء: فيما أنشده ابن أبي طاهر في كتابه المنثور والمنظوم:

فَيَا رَبّ إنْ لَمْ تُقْسِم الحُبَّ بَيْنَنَا ... سَوَائَيْن فَاجْعَلْني عَلَى هَجْرِهَا جَلْدًا
وَأعْتِبْنِي السُّلْوَانَ عَنْهَا وَرُدَّ لِي ... فُؤَادِيَ مِنْ سَلْمَى أُثِبْكَ بِه حَمْــدًا

وأبي ذلك أبو الهذيل بقوله: لا يجوز في دور الفلك، ولا في تركيب الطبائع ولا في الحسن، ولا في الواجب، ولا في الممكن، أن يكون محب ليس لمحبوبه إليه ميل، ويشهد لهذا قول كثير.

وقال الحصري في المصون: هما للناشئ: [١٦/ب]

=

الأقسام محصورة تحت قوى النفس البهيمية والغضبية والناطقة. فما كان منها عن نسبة ومشاكلة بين النفس النامية والبهيمية كان منه أسباب المودة للذيذ أو نافع.

(١) في متن المخطوط: إليها وجاء تصويبها بهامش المخطوط وبقلم الناسخ.

عَيْنَاكَ شَاهِدَتَانِ أَنَّكِ مِـــنْ ... حَرِّ الْهَوَى تَجِدِيْنَ مَا أَجِدُ
بِكِ مَا بِنَا لَكِنْ عَلَى مَضَضٍ ... تَتَجَلَّدِيْنَ وَمَا بِنَـــا جَلَـــدُ

وقال أبو عيينة:

تَبِيْتُ بِنَا تَهْذِي وَأُهْذِي بِذِكْرِهَا ... كِلاَنَا يُقَاسِي اللَّيْلَ وَهُوَ مُسَهَّـــدُ
وَمَا رَقَدَت إلاَّ رَأَتْنِي ضَجِيْعَهَا ... كَذَاكَ أَرَاهَا فِي الْكَرَى حِيْنَ أَرْقُدُ
تُقِرُّ بِذَنْبِي حِيْنَ تَعْفِي فَنَلْتَقِـــي ... وَأَسْأَلُهَا يَقْظَانَ عَنْـــهُ فَتَجْحَـــدُ
كِلاَنَا سَوَاءٌ فِي الهَوَى غَيْرَ أَنَّهَا ... تَجَلَّدُ أَحْيَانًا وَمَـــا بِـــي تَجَلُّـــدُ

وقال عروة بن أذينة[1] :

فِيْكَ[2] الَّذِي زَعَمَتْ بِهَا فَكِلاَكُمَا[3] ... أَبْدَى لِصَاحِبِهِ[4] الصَّبَابَةَ كُلَّهَا

ولهذا فإن النفوس إذا تعارفت والأرواح إذا تمازجت تشاركت الأبدان لتمازجها في السراء وتجاذبت الأعضاء لتشاكلها عند الضراء وصارت كلها كروح واحدة يألـــم شقها

(١) في المخطوط: عرولا بن أذينة. وهو تحريف. وقال صاحب كتاب الشعر والشعراء (١٣٨): وهو من بني ليث، كان شريفًا ثبتًا يحمل عنه الحديث ووفد على هشام بن عبدالملك فقال: ألست القائل:

لقد علمت وما الإسراف من خلقي ... إن الذي هو حظي سوف يأتيني
أسعـــى لـــه فيعنينـــي تطلبـــه ... ولو قعدت أتانـــي لا يعنينـــي؟

قال: بلى، قال: فما أقدمك علينا؟ قال: سأنظر في ذلك، وخرج فارتحل من ساعته، وبلغ ذلك هشامًا، فأتبعه بجائزة، وهو القائل:

قالت وأبثثتها وجدي فبحت به ... قد كنت عندي تحب الستر فاستتر
ألست تبصر من حولي فقلت لها ... غطي هواك وما ألقي على بصري

ووقفت عليه امرأة فقالت: أنت الذي يقال لك: الرجل الصالح، وأنت تقول:

إذا وجدت أوار الحب في كبدي ... عمت نحو سقاء القوم أبترد
هـــذا بردت ببرد الماء ظاهـــره ... فمن النار على الأحشاء تتقد

لله ما قال هذا صالح قط. وهو القائل:

يا دار الحي بالأجمه ... لم تبين دارها كلمه

الشعر له وهو وضع لحنه.

وفي المصون (ص:٢٥): قالت له بعد أن ذكرت الأبيات مع تغير طفيف: لا والله ما خرج هذا الكلام من قلب سليم قط، وعروة من جملة الفقهاء والمحدثين.

(٢) في المصون (٢٢): فَيْكِ (٣) في المصون: وكلاكما. (٤) في المهن: لخلته.

للشق الآخر، فكذلك القرينان إذا ترادا بالمشاكلة وتراضيا على حسن المعاملة لا يمرض أحدهما إلاّ مرض بمرضه ولا يصح إلاّ صح بصحته الآخر، ولو كان أحدهما بالشرق والآخر بالغرب.

وَعَارِضًا زَادَنِي دَاءً عَلَى دَائِي ... لَمَّا وَجَدْت فُتُورًا بيْنَ أعْضَائِي
أنْكَرْت ذَلكَ إشْفَاقًا وَقُلْتُ لَهُ ... لَعَلَّ بَعَضكَ قَبْلِي مَسَّ مَوْلاَئِي
أوْ قِيْلَ قَدْ حُمَّ من تَهْوَى فَقُلْتُ لَهُ ... هَذَا الَّذي مَسَّ أركَانِي وَأعْضَائِي
لوْ لَمْ تُسَاعِفْهُ روْحِي فِي الَّتِي نَزَلَتْ ... بِهِ لأخرَجْتُهَا مِنْ بَيْنِ أحْشَائِي

قال أبو الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء: مرض أبونواس، فدخل عليه [١٧/أ] بعض أصحابه يعودونه(١)، فوجدوا به خفة، فانبسط معهم(٢) وقال: من أين جئتم؟

فقلنا: من عيادة جارية الناطفي.

فقال: أو كانت عليلة؟

قلنا : نعم وقد عوفيت.

فقال: والله لقد أنكرت عليّ هذه و لم أعرف لها سببًا غير أني توهمت أن ذلك لعلة نالت بعض من أحب، ولقد وجدت في يومي هذا راحة، ففرحت طمعًا أن يكون الله عافاه منها، ثم دعا بدواة وكتب إلى عنان:

إنِّي حُممْتُ وَلَمْ أشْعُرْ بحُمَّاكِ ... حَتَّى تَحَدَّثَ عُوَادِي بشَكْوَاكِ
فَقُلْتُ مَا كَانَتْ الْحُمَّى لتُجْهِدَنِي ... مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ إلاَّ بحُمَّاكِ
وَخَصْلَةٌ كُنْتُ فِيهَا غَيْرَ مُتَّهَمٍ ... عَافَانِي اللهُ مِنْهَا حِيْنَ عَافَاكِ
حَتَّى إذَا اتَّفَقَتْ نَفْسِي وَنَفْسكِ فِي هَذَا وَذَاكَ وَفِي هَـذَا وَفِي ذَاكِ

ونحو قول الإمام الشافعي رحمه الله عليه:

مَرِضَ الحبُّ فَعُدْتُهُ ... فَمَرِضْتُ مِنْ حَذَرِي عَلَيْه
وَأتَى الْحَبِيْبُ يَعُوْدُنِي ... فَبَرِئْتُ مِنْ نَظَرِي إلَيْه

(١) في المخطوط: يعوده. وهو تحريف.
(٢) في المخطوط: معنا. وهو تحريف.

ومن الدليل على هذا أيضًا أنك لا تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلة واتفاق في بعض الصفات لابد من هذا.

ويؤيده قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وقد سأل عائشة فيما ذكره السامري عن امرأة كانت تدخل على نساء قريش تضحكهن، قدمت المدينة، فنزلت على امرأة تضحك الناس بها: ((**على من نزلت فلانة المضحكة**))؟ فقالت: على فلانة المضحكة، فقال: ((**الحمد لله، الأرواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**))[1].

وقال طرفة الجاهلي[2]:

تَعَارُف أَرْوَاح الرِّجَال إِذَا التَقَوا ... فَمِنْهُمْ عَدُو يُتَّقَى وَخَلِيْل

وقال أبو نواس: [١٧/ب]:

إِنَّ القُلُوبَ لأَجْنَادٌ مُجَنَّــدَةٌ ... للهِ فِي الأَرْضِ بالأَهْوَاءِ تَعْتَرِفُ

(١) أطراف الحديث في: إتحاف السادة المتقين (٦/٢٨٣)، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٩/٢٧٠).

(٢) قال صاحب الشعر والشعراء (ص: ٢٦) : هو طرفة بن العبد بن سفيان، وهو أجودهم طويلــة ، وهو القائل : لخولة أطلال ببرقة ثهمد ، وله بعدها شعر حسن ، وليس عند الرواة من شعره وشعر عبيد إلا القليل وكان في حسب من قومه جريئًا على هجائهم، وهجاء غيرهم ، وكانت أخته عند عمرو بن بشر بن مرثد، وكان عمرو سيد أهل زمانه فشكت أخت طرفة شيئًا من أمر زوجها إليه، فقال:

ولا عيب فيه غير أنه له غنى ... وأن له كشحًا إذا قام أهضما

وأن نساء الحي يعكفن حوله ... يقلن من ســرارة ملهمــا

فبلغ عمرو بن هند الشعر فخرج يتصيد ومعه عبد عمرو، فأصاب حمارًا فعقره، وقال لعبد عمرو: انزل إليه فأعياه فضحك عمرو بن هند، وقال: لقد أبصرك طرفة حين قال:

ولا عيب فيه غير أنه له غنى ... وإن له كشحًا إذا قام أهضما

وكان عمرو بن هند شريرًا وكان طرفة قال له قبل ذلك

فليت لنا مكان الملك عمرو ... رغونا حول قبتنا تخور

فقال عبد عمرو: أبيت اللعن الذي قال فيك أشد مما قال فيَّ، قال: وقد بلغ من أمره هذا؟ قال: نعم، فأرسل إليه وكتب له إلى عامله بالبحرين فقتله وقد بينت خبره في كتاب الشراب، ويقال: إن الذي قتله المعلى بن حنش العبدي، والذي تولى قتله بيده معاوية بن مرة الأيفلي حي من طسم وجديس.

فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا فَهوَ مُؤْتَلِفٌ ... وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا فَهوَ مُخْتَلِفُ

ولهذا اغتم أبقراط: حين وصف له رجل من أهل النقص بحبه فقال: ما أحبني إلا وقد وافقته في بعض أخلاقه.

وقال بعض الفلاسفة: العشق امتزاج الروح بالروح، ألا ترى أنه إذا امتزج الماء بالماء امتنع تخليص بعضه من بعض ، فالروح ألطف امتزاجًا وأدق مسلكًا.

وَلَسْتُ أُبَالي حِيْنَ أُلْقَاكَ خَالِيًا ... رَأَيْتُكَ عَيْنًا أم تَرَأتْكَ مُنْيَتِي

لأَنَّكَ فِي الحَالَيْنِ عِنْدِي بِمَنْزِلٍ ... تَمَازَجَ رَوْحَيْنَا وَسَاوسَ فِكْرَتِي

فَأَنْتَ أَنَا لاَ بَلْ أَنَا أَنْتَ سَاهِمِي ... عَلَى النِّصْفِ مِنْ شَطْرَيْكَ أَلْحَنُ بِحُجَّتِي

فَآخُذُ نِصْفَ النِّصْفِ مِنْكَ بِحُجَّتِي ... وَأَتْرُكُ نِصْفَ النِّصْفِ مِنْكَ لِلذَّتِي

وقال جالينوس(١): العشق من فعل النفس، وهي كامنة في الدماغ والقلب والكبد

(١) قال القفطي في أخبار الحكماء (٨٥): جاليوس الحكيم الفيلسوف الطبيعي اليوناني من أهل مدينة فرعا مرسى من أرض اليونانيين إمام الأطباء في عصره ورئيس الطبيعيين في وقته، ومؤلف للكتب الجليلة في صناعة الطب وغيرها من علم الطبيعة، وعلم البرهان وقد ضم جاليوس أسماء تآليفه فهرستًا يشتمل على عدة أوراق، وذكر مرتبة قراءتها ونبه على طريق تعليمها، وهي تزيد على مائة تأليف.

وقال أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي: كان جالينوس بعد المسيح بنحو مائتي سنة وبعد بقراط بحوالي ستمائة سنة وبعد الإسكندر بنحو خمسمائة سنة ونيف، ولا أعلم بعد أرسطوطاليس أعلم بالطبيعي من هذين الفاضلين أعني: بقراط وجالينوس . وقال ابن جلجل الأندلسي: بلد جالينوس من بلاد آسيا شرقي قسطنطينية.

وكانت مدينة جالينوس اسمها: فرغميس، ويقال: فرعمين، وكانت موضع من سجن الملوك وهناك كانوا يسجنون من غضبوا عليه.

قال : وجالينوس في هذا في دولة: نيرن قيصر وهو السادس من القياصرة الذين ملكوا رومية، وطاف جالينوس البلاد وجالها وتنقل إلى مدينة رومية مرتين وسكنها وغزا مع ملكها لتدبير الجرحى.

وبرع في الطب، والفلسفة وجميع العلوم الرياضية وهو ابن سبع عشرة سنة، وأوفى وهو ابن أربع وعشرين سنة. وجدد علم أبقراط وشرح كتبه، وفاق أهل زمانه وكانت له بمدينة رومية مجالس مقامية خطب فيها وأظهر من علمه بالتشريح ما عرف به فضله وبان به علمه، وكان أبود ماسحًا لم يكن في زمانه أعلم منه بعلم المساحة، وكانت الديانة النصرانية قد ظهرت في أيامه فقيل له: إن رجلاً قد ظهر في آخر دولة قيصر ببيت المقدس يبرئ الأكمه والأبرص ويحيي الموتى. فقال: أهنالك بقية ممن صحبه؟ فقيل: نعم، فخرج من رومية يريد بيت المقدس، فجاز إلى صقلية وهي

وذلك أن في الدماغ ثلاث مساكن:

أحدهما في مقدمه: وهو بيت التخيل والتصوير.

والثاني في وسطه: وهو بيت الفكر والتمييز.

والثالث في مؤخره: وهو بيت الذكر والحفظ.

فالمصورة: تصور صورته وتشخصه.

والفكرية: تريه محاسن أخلاقه.

والذّكرية: بالتذكير والارتياح إلى لقاء معشوقه. فمتى لم تكن جميع مساكن النفس مشتغلة به وقت فراقه وبعد ذلك إلى أوان لقائه فليس ذلك بعشق. حتى إذا لقي العاشق معشوقه ونظر إليه حلت قوى النفس الساكنة في هذه المساكن من أشغالها وبطلت من أفعالها، ما يبقى للنفس شغل غير اشتغال الحواس في الالتذاذ بشخصه، والأنس بقربه، فالعينان تلتذان بالنظر إلى وجهه والأذنان بسماع نغمته والفم [١٨/أ] بارتشافه ولثمه، والمنخران باستنشاق روائحه، والبدن بلمسه وضمه.

قال: وقد يقع العشق بين العاقلين لتشاكلهما في العقل ولا يقع بين الجاهلين لتشاكلهما في الجهل.

قال أراطيس الفلكي في كتابه: المهيئ للعشق من النجوم زحل، وعطارد، والزهرة جميعًا.

وذلك إذا اشتركوا في أصل المولد أو اجتمعوا أو تناظروا من أشكال محمودة، ونحاس...[1] إن وقع سهم العشق والمحبة في بيت أحدهم أو في حدّة، وكان رب البيت أو صاحب الحد ناظرا إليه، أو كانت الكواكب المذكورة ناظره من أشكال محمودة أو مقارنة فزحل: يهيئ الفكرة، والتمتع، والطمع، والهم، والهيمان، والأحزان، والوسوسة، والجنون.

وعطارد: يهيئ العشق، والوله، والهيمان، والرقة، ويبعث في النفس التلذذ بالنظر والمؤانسة بالحديث، والمغازلة التي تبعث على الشبق والغُلْمَة، وتدعو إلى الطرب وسماع

=

يومئذ سلطانية فمات هنالك وقبره بها وعاش ثمانيًا وثمانين سنة. وهو مفتاح الطب وباسطه وشارحه.

(١) موضع النقط بياض بالأصل وقدره كلمة واحدة.

الأغاني وما شاهه.

وقال بطليموس[1] : أن تكون الشمس والقمر في برج أو متناظرين من تثليث. فمن كانا كذلك كانا مطبوعين على مودة كل واحد منهما.

وذلك لكون سهمي سعادتهما في مولديهما في برج واحد.

أو يتناظران السهمان من تثليث أو تسديس بعد أن يكون نظر صاحب سهم المحبة والصداقة.

فذلك يدل على أن هذين المولودين محبتهما من جهة المنفعة، ومنفعتهما من جهة واحدة.

وأن أحدهما ينتفع بمودة صاحبه فتجلب المنفعة ما بينهما [من][2] المحبة والمودة ويمتزجان.

ويؤيد هذا قول الخُبْزَأَرُزِّيَ[3]:

وَلَكِــنَّ أَرْوَاحَ الْمُحِبِّيْــنَ تَلْتَقِــي ... إِذَا كَانَتِ الأَجْسَادُ عَنْهُنَّ نُوَّمَا[١٨/ب]
وَأَحْسَبُ روحَيْنَا مِنَ الأَصْلِ وَاحِدا ... وَلَكنَّه مَــا بَيْنَنَــا مُتَقَسَّمَــا
وَلَوْ لَمْ يَكُن هَذَا كَــذَا مَا تَأَلَّمَتْ ... لَهُ مُهْجَتِي بِالْغَيْبِ لَمَّا تَأَلَّمَــا

(١) قال القفطي (ص: ٧٠): بطليموس بطلس ملك من ملوك اليونان بعد الاسكندر: وهو أحد البطالسة وكان حريصًا على العلم وكان كثير البحث عن أمر الملوك وسيرهم وحرص على علم أولية بليان بابل وخبر خلقه العالم وجد النمروذ ونسبته فبحث عن ذلك فوجد رغبته عند بني إسرائيل في بيت المقدس وذلك في دولتهم الثانية فترجموا له التوراة من العبراني إلى اليوناني فوجد فيها ذكر النمروذ وهي التي ترجمها حنين بن إسحاق من اليونانية إلى العربية وبث في جميع عمله الفلاسفة فيأخذ واله قطر الأرض وجهالها المعمورة وغيرها ونظر في النجوم وتكلم في الهيئة حتى وهم قوم وقالوا: هو بطليموس صاحب المجسطي وهو خطأ وقد بينا في ترجمة بطليموس ذلك وإنما هذا كان يعرف من البطالسة بمحب الحكمة والله أعلم وملك ثمانيًا وثلاثين سنة وكان معلمه أرسطوس المنجم.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

(٣) هو : نصر بن أحمد بن نصر أبوالقاسم البصري لقبه: الخبزأرزي وفيه خمسة لغات راجعها بهامش مجلة معهد المخطوطات المجلد (٣٩) الجزء الثاني شعبان ١٤١٦هـــ يناير ١٩٩٦ ص: ٧٠.
وكان أُميًّا له ديوان شعر فائق قوي ورصين. انظر ترجمته في: يتيمة الدهر (٣٦٦/٢)، شذرات الذهب (٢٧٦/٢)، واللباب (٣٤٣/١)، الأعلام (٣٣٧/٨)، معجم المولفين (٨٨/١٣)، تاريخ التراث العربي (٧٦/٤) وفيات الأعيان (٢٠٥/٢)، وتوفي سنة (٣٢٧) أو (٣٣٠) والأول أصح.

ولهذا قال أحمد بن الطيب السرخسي[1]: لما لم يتهيأ للنفس اتحاد الجسمين طلب اتحاد النفسين، فتبعث هوى المعشوق وموافقته لتكون نفس المعشوق واصلة إلى محبتها من العاشق فصارت النفسان واحدة لاتحادهما بالموافقة.

وقال رستم المتكلم: وسأل جعفر بن يحيى عن العشق. [فقيل]: هو ثمرة المشاكلة ودليل على تمازج الروحين تولده اللطافة ورقة الطبع وصفاء الجوهر.

حده قاطع ، ولسعته لا راقي لها والزيادة فيه زيادة إلى الكمد ونقصان من الجسد.

وقال علي بن منصور المتكلم: هو داء لطيف المراد، ممتزج بالنفس، فتخامرها، وسلك في الأوراد، فيعرض في عمقها، لا يصحو من سكرته، ولا يَمَل به صاحبه، لا يولي جرحه، ولا يرتق فتقه.

هو من ناحية اللطافة ممازج للكُتاب ليتولى على نفس الإنسان.

وقال أبو الهذيل[2]: العشق يختم النواظر، ويطبع على الأفئدة، مرتعه في الأجساد،

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤٤٨/٣): الفيلسوف، البارع، دو التصانيف، أبو العباس أحمد بن الطيب، وقيل: أحمد بن محمد السرخسي من بحور العلم الذي لا ينفع. وكان مؤدب المعتضد، ثم صار نديمه وصاحب سره ومشورته، وله رئاسة وجلالة كبيرة، وهو تلميذ يعقوب بن إسحاق الكندي الفيلسوف.... ثم إن المعتضد انتخى لله، وقتل السرخسي لفلسفته وخُبْث معتقده. فقيل: إنه تنصّل إليه، وقال: قد بعتُ كتب الفلسفة والنجوم والكلام ، وما عندي سوى كتب الفقه والحديث ، فلما خرج قال المعتضد: والله إني لأعلم أنه زنديق، فعل ما زعم رياء.
ويقال: إنه قال له: لك سالف حذم، فكيف تختار أن نقتلك؟ فاختار أن يطعم كباب اللحم، وأن يسقى خمرًا كثيرًا حتى يسكر، ويفصد في يديه، ففعل به ذلك، فصفي من الدم، وبقيت فيه حياة، وغلبت عليه الصفراء، وجن، وصاح، وبقي ينطح الحائط لفرط الآلام، ويعدو كثيرا، حتى مات.
وذلك في أول سنة ست وثمانين ومائتين.
ومصادر ترجمته في: معجم الأدباء (٩٨/٣)، الوافي بالوفيات (٥/٧)، لسان الميزان (١٨٩/١).

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٤٢/١٠) : رأس المعتزلة أبوالهذيل محمد بن الهذيل البصري العلاف صاحب التصانيف، الذي زعم أن نعيم الجنة، وعذاب النار ينتهي بحيث إن حركات أهل الجنة تسكن، حتى لا ينطقوا بكلمة، وأنكر الصفات المقدسة حتى العلم والقدرة، وقال: هما الله، وأن لما يقدر الله عليه نهاية وآخرًا وأن للقدرة نهاية لو خرجت إلى الفعل، فإن خرجت لم تقدر على خلق ذرة أصلاً، وهذا كفر وإلحاد.
وقيل: إن المأمون قال لحاجبه: من بالباب؟ قال: أبوالهذيل، وعبدالله بن أبان الخارجي، وهشام ابن الكلبي، فقال: ما بقي من رؤوس جهنم إلا من حضر، ولم يكن أبوالهذيل بالتقي، حتى لُنقل أنه، سكر مرة عند صديقه فراود غلامًا له، فرماه بتور، فدخل في رقبته، وصار كالطوق، فاحتاج إلى حداد يفكه... وطال عمر أبي هذيل وجاوز التسعين، وانقلع في سنة سبع وعشرين ومائتين،
=

ومشرعه في الأكباد.

وقال الأصمعي: هو انقياد حب الأخلاق المتشاكلة، وتمازج الأرواح المتشابهة. فهناك يلتهب نور ساطع يستضيء به العقل وتهتز لإبراقه طباع الحياة. ويتصور من ذلك النور خلق خاصي متصل بجوهرها.

وأول مراتب العشق: الإرادة فيما قاله نفطويه قبل المحبة. ثم المحبة، ثم الهَوَى، ثم التتيم. وأنشد لنفسه:

يَالَقَوْمِي كَمْ يُعْذلُ المُشْتَاقُ ... والمُعَنَّى إلىَ الهوَى يَنْسَاقُ
رَحْمَتِي رَأْفَة وَحُبِّي عِشْقُ ... وَاشْتِيَاقِي صَبَابَة لاَ يُطَاقُ

وزاد فيه ابن داود أوَّله : الاستحسان ثم المَوَدّة ، ثم المحبة، ثم الخلّة، ثم الهَوَى، ثم العشق، ثم الكلف، ثم الغرام،ثُمَّ التتيم.

وهو المشاكلة الطبيعية والمجانسة النفسانية التي لا يفنيها مر الزمان ولا تزال إلاّ بزوال نفس الإنسان . ثم الوله، ثم الوساوس.

وقال غيره: أوله الاستحسان للشخص[1] . ثم تحدث إرادة القلوب منه. ثم المودة، وهو أن يودّ أن لو ملكه.

ثم يقوى الود إلى أن يصير محبة، ثم خلّة. ثم يصير هوى يهوى صاحبه محاب المحبوب من غير مملك.

ثم يصير تتيمًا، والتتيم حالة يصير بها المعشوق مالكًا للعاشق لا يوجد في قلبه سواه ومنه تيم الله.

ثم يزيد التتيم فيصير وَلَهًا، والوله الخروج عن حد الترتيب والتعطل عن أحوال التمييز.

الْحُبُّ أَوَّلهُ شَيْءٌ يَهِيمَ[2] بِــه ... قَلْب[3] الُمحبّ فَيلْقَى المَوْت كَاللَّعب
يَكُونُ مَبْدَأُهُ مِنْ نَظْرَة عَرَضَت[4] ... أوْمَزْحَةٍ أَشعَلَتْ فِي القَلبِ كاللَّهَبِ[5]

=

ويقال: بقي إلى سنة خمس وثلاثين. أخذ عنه علي بن ياسين وغيره من المعتزلة.

(١) قال الحصري في المصون: (٧٧): فأول الحب السماع، والنظر، كما أول الحريق الدخان والشرر.

(٢) في المخطوط: حتى يهيم . وهو تحريف والتصويب من المصون.

(٣) في المصون: نفس.

(٤) في المصون: عرض.

(٥) الشطر الثاني في المصون: أو خطرة قدحت في القلب كاللهب.

=

كَالنَّارِ مَبْدؤهَا مِنْ قَدْحَة فَإِذَا   تَضَرَّمَتْ أَحْرَقَتْ مُسْتَجْمَع الحَطَبِ

وقال بعض العلماء: أول مراتب العشق الميل إلى المحبوب، ثم العلاقة.

ثم الحب ثلاثة أحباب: حب علاقة، وحب تملّق، وحب هو القتل. ثم يستحكم الهَوَى فيصير مودة يزيد بالمؤانسة ويدرس[1] بالجفاء والأذى.

ثم الخلة، ثم الصبابة، تؤكدها الألفة ويتبعها الإشفاق ويهيجها الذكر، ثم يصير عشقًا، وهو على أضراب.

وقال النوقاني: وهو عندي أربعة أنواع: نوعان مذمومان، ونوعان محمودان: [المذمومان][2]:

فالأول وجد استجلاب لاسترواح من عذاب والآخر وجد تطرب لاستدعاء تقرب.

والمحمودان: [١٩/ب]

الأول وجد هيبة وإجلال عند تبدي عين خيال. والآخر: وجد عجز بالوثوب عن حمل ما يرد في القلب[3].

وقال غيره: مبدؤه يصفي الهم، ويهذب العقل، وهذا النوع هو الممدوح، وهو الذي حض عليه ذو الرئاستين[4] في قوله لأصحابه: اعشقوا ولا تعشقوا حرامًا، فإن عشق

ثم زاد في المصون فقال: وقال آخر:

رأيت الحب بين الحشـــا   له حـــلاوة وامـــرار

الحب من سمع ومن نظر   يفعل ما لا تفعل النار

(١) الدرس: أي المحو والاندثار، والمراد أن الحب يزيد بالقرب اللطيف والمودة ويذبل ثم يمرض ثم يموت بالبعد أو الجفاء أو عدم مراعاة حقوق المحبوب والمحافظة عليه وإدامة التودد إليه ومتابعة أمورد والقيام عليها ما استطاع المحب إلى ذلك سبيلاً.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها سياق الكلام.

(٣) قال الحصري في المصون في أعلال الهوى وأعراضه وأسقامه (٣٣٠): فأما من أسعف من المحب بمسامحة القرب فحقيق عليه أن يقابل النعمة بالثناء على موليها ، والحمد لموتيها ، ولا يشغل بسكرهَا عن شكرها، فالشكر قيد المنة وثمن الجنة، ويقرن ذلك بشكر محبوبه الواقف به على مطلوبه. فقد قيل: من كنت طليق بره، فلتكن أسير شكره.

(٤) ذو الرئاستين هو : الفضل بن سهل الوزير السرخسي، وأخو الوزير الحسن بن سهل قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٩٩/١٠): أسلم أبوهما على يد المهدي، وأسلم الفضل سنة تسعين ومائة

الحلال يطلق اللسان، ويدفع التبلد، ويسخي كفّ البخيل، ويبعث على النظافة. ويدعو إلى الذكر[1].

وزاد غيره: ويبعث على حسن اللباس، وطيب المطعم، ويدعو إلى الحركة وعلوها.

وفي كتاب المنثور والمنظوم : من أخلاق النبوة : طيب الرائحة، وكرم العشرة، وحب من حَسُنت منه الخلقة، وحب النساء ذات البنين.

وهو بلاء الصالحين، ومحنة العابدين.

وفي كتاب المصون: العشق فسطاس العقول، وجلاء الأذهان، ينفي، عنها الأذى والعدى كما ينفى خبث الحديد، وهو خلق الكرام.

وما حبي[2] لفاحشة ولكن رأيت الحب أخلاق الكرام

وفي كتاب الخرائطي: هوى هرمس الهرامسة ابنة اكسنيوس الملك، فذهل عقله واحتجب عن تلامذته فلاموه على ذلك فكتب إليهم: إنّ أرواح العشاق عطرة لطيفة، وأبدانهم رقيقة ضعيفة وعقولهم بطيئة الانقياد لمن قادها إلى غير سكنها الذي قد سكنت إليه، وكلامهم يحيي موات النفوس ويزيد في العقول، ويطرب الطبائع ويحرك الأفهام ويلهو باختيارهم أولوا الألباب ولولا الهوى لقل التمتع بالنساء ونقصت لذة ساكني الدنيا.

وقال الخرائطي: كان البرهند السموني عشق سنُبَة عشقًا شديدًا أذهل عقله

=

على يد المأمون.

وقيل: لما عزم جعفر البرمكي على استخدام الفضل للمأمون وصفه بحضرة الرشيد ، ونطق الفضل، فرآه الرشيد فطنًا بليغًا. وكان يلقب: ذا الرئاستين. لأنه تقلد الوزارة والحرب. وكان شيعيا منجمًا ، ماكرًا.... وازدادت رفعته حتى ثقل أمره على المأمون فدس عليه خاله غالبًا الأسود في جماعة فقتلـــوه، وبعده بأيام مات أبوه . وأظهر المأمون حزنًا لمصرعه، وعزى والدته، وقال: إن الله أخلفني عليك بدل ابنك، فبكت وقالت: كيف لا أحزن على من أكسبني ولدًا مثلك، ثم عاشت وأدركت عرس بنت ابنها بوران على المأمون وكان الحسن بن سهل من كبار الوزراء الممدحين.

ومن مصادر ترجمته : تاريخ خليفة (٤٧١)، تاريخ الطبري (٨/٤٢٤)، مروج الذهب (٤/٥)، معجم الشعراء (٣١٣)، تاريخ بغداد (١٢/٣٣٩)، الكامل في التاريخ (٦/٣٤٦) ، وفيات الأعيان (٤/٤١) ، العبر (١/٣٣٨)، البداية والنهاية (١٠/٢٤٩)، النجوم الزاهرة (٢/١٧٢)، شذرات الذهب (٢/٤).

(١) الخبر بنحوه في المصون (٦٦: ٦٩).

(٢) في متن المخطوط: حي. والتصويب من هامش المخطوط بخط الناسخ.

حتى اجتمعا.

وفي هذا ردّ لقول ابن الجوزي: لم يُرَ حكيم عاشق.

وقال [٢٠/أ] بعض الفلاسفة: العشق للأرواح بمنزلة الغذاء للأبدان إن تركته ضرك، وإن أكثرت منه قتلك[١].

وفي بهجة المجالس لأبي عمر[٢]: وجد في صحيفة لبعض أهل الهند: العشق ارتياح جعل في الروح. وهي معنى نتيجة النجوم في مطارح شعاعها، وتتولد الطبائع بوصله أشكالها، ويقبله القوي بلطيف خواطرها.

وهو بعد جلاء القلوب وصَيْقل الأذهان ما لم يفرط، فإذا أفرط عاد سقمًا قاتلاً، ومرضًا منهكًا لا تتقد فيه الآراء، ولا تنجع فيه الحيل.

العلاج منه زيادة فيه.

وذكر التميمي في كتاب امتزاج الروح: أن هذا كلام مُنْكه حكيم الهند الذي يصدرون عن رأيه، ويقتدون بحكمته.

وقال أعرابي: هو أنس النفس، ومحادث العقل تحجبه الضمائر وتخدمه الجوارح

وقال عبدالله بن طاهر[٣] صاحب خراسان لولده : عفوا تشرفوا واعشقوا تظرفوا.

---

(١) قال الحصري في المصون (٦٣) في فضائل الهوى ومزاياه: للهوى مداخل في أبواب الفضائل، كثيرة الأعداد مع التعداد، ومغارس جمال، ومنابت معال، ذات أصول سامقة، وفروع باسقة.

رسا أصلها تحت الثرى وسما بها … إلى النجم لا ينال طويل

قلت: وهذا البيت للسموأل بن غريض بن عادياء اليهودي، وكان شاعرًا يهوديًّا جاهليًّا.

وبه يضرب المثل في الوفاء وبيت السموأل بيت الشعر في اليهود، فهو شاعر ابن شاعر، وكذا أخوه سعيد شاعر أيضًا.

(٢) قال حاجي خليفة في كشف الظنون (٢٥٨/١) عن هذا الكتاب ومؤلفه: بهجة المجالس وأنس المجالس للحافظ أبي عمرو (عمر) يوسف بن عبد الله بن عبدالبر النمري القرطبي، المتوفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة، وهو في مجلد، من الكتب المعتبرة في المحاضرات ، مرتب على مائة وأربعة وعشرين بابًا أوله: أما بعد فإن أولى ... الخ.

ثم قال: بهجة المجالس وأنس الجالس: مجلد في نصف حجم السابق مرتب على ستين بابًا. أوله الحمد لله الذي خلق الإنسان وعلمه ... الخ.

(٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٦٨٤/١٠) : عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الأمير العادل أبوالعباس، حاكم خراسان وما وراء النهر... له يد في النظم والنثر. قلده المأمون مصر وإفريقية، ثم خراسان وكان ملكًا مطاعًا سائسًا مهيبًا جوادًا ممدحًا من رجال الكمال.

وقيل: إنه وقع مرة على رقاع بصلات فبلغت ألفين وسبعمائة ألف. وقد ارتحل إلى بابه أبوتمام

ووصفه بعض البلغاء[1] فيما ذكره قدامة فقال: هو فضيلة تنتج الحيلة، وتشجع [قلب][2] الجبان ، وتسخي [كف][3] البخيل ، وتصفي ذهن الغبي، وتطلق بالشعر لسان المفحم ، وتبعث حزم العاجز ، وهو عزيز[4] تذل له عز الملوك، وتصرع له[5] صولة الشجاع[6]، وهو داعية الأدب، وأول باب تفتق به الأذهان والفطن، وتستخرج به دقائق المكائد والحيل، وإليه تستردح[7] الهمم، وتسكن نوافر الأخلاق والشيم، يمنع جليسه ويؤنس أليفه، وله سرور يجول في النفوس وفرح يمكن[8] في القلوب[9].

وقيل لبعض العلماء: إن ابنك قد عشق؟ فقال: الحمد لله، الآن رقت حواشِيْه ولطفت معانيه، وملحت إشارته وظرفت حركاته، وحسنت عباراته، وجاءت رسائله وجلت شمائله، فواظب على المليح واجتنب القبيح.

وقيل لمثله لآخر فقال : ولا بأس بذلك إذا عشق لطف وظرف ودَقّ، ورَقّ.

وقال أنوشروان[10] لبزرجمهر: متى يكون الفتى بليغًا؟

=

وامدحه وكان يقول: سمن الكيس ونبل الذكر لا يجتمعان، وبعد هذا فخلف أربعين ألف ألف درهم ولما مرض تاب وكسر الملاهي، وافتك الأسرى، ومات بالخانوق سنة ثلاثين ومائتين، وله ثمان وأربعون سنة.

ومن مصادر ترجمته: تاريخ الطبري (٩/٦١٣)، المحبر (٣٧٦)، الولاة والقضاة (١٨٠)، الفرج بعد الشدة (١/٣٣٩)، تاريخ بغداد (٩/٤٨٣)، الكامل في التاريخ (٧/١٤)، وفيات الأعيان (٣/ ٨٣)، دول الإسلام (١/١٣٠)، العبر (١/٣٥٧، ٣٦٦، ٤٠٦)، عيون التواريخ (٨/لوحة ٦٧)، البداية والنهاية (١٠/٣٠٢، ٣٠٣)، النجوم الزاهرة (٢/٢٥٨)، حسن المحاضرة (١/٥٩٣).

(١) ذكره الحصري في المصون (٦٣) عن طيفور عن بعض البلغاء.

(٢) ما بين المعقوفين من المصون.

(٣) ما بين المعقوفين من المصون.

(٤) في المخطوط: عز، والتصويب من المصون.

(٥) في المصون: فيه.

(٦) جاء بعد هذا في المصون: وتنقاد له طاعة كل ممتنع، ويذلل كل مستصعب، ويبرز كل محتجب.

(٧) في المصون: تستريح.

(٨) في المصون: مستكن.

(٩) زاد بعده في المصون: وبه يتعاطف أهل المودة، ويتصل أهل الألفة، وعليه تتألف الأشكال، وله صولات على القدر ومكايد تبطل لطائف الحيل، وظرف يظهر في الأخلاق والخلق، وأرواح تسطع من أهلها وتعبق من ذويها. وذكره الحصري أيضًا في كتابه: زهر الآداب: (٢/٩٥٠: ٩٥١).

(١٠) أنوشروان هو كسرى، وهو آخر الأكاسرة واسمه يزدجرد بن شهريار بن برويز المجوسي الفارسي.

=

فقال: إذا صنف كتابًا أو وصف هوى أو حبيبًا.

وقيل لسعيد بن سلم: ان ابنك شرع في الرقيق من الشعر [وروايته][(1)]؟

فقال: دعوه يظرف وينظف ويلطف.

وقال العباس بن الأحنف:

وَمَا النَّاسُ إلاَّ العَاشِقُونَ ذَوُو الهَوَى ... وَلاَ خَيْرَ فِيمَنْ لاَ يُحِبُّ وَيَعْشَقُ

وقال الحسين بن مطير[(2)]:

إنَّ الغَوَانِي جَنَّةٌ رَيْحَانهَا ... خُضْرِ الحَيَاة فَأَيْنَ عَنْهَا تَعْزِفُ

لَوْلاَ مَلاَحَتهنَّ مَا كَانَتْ لَنَا ... دُنْيَا نُلَذُّ بِهَا وَلاَ نَتصَرَّفُ

وقال غيره:

وَلاَ خَيْرَ في الدُّنْيَا وَلاَ فِي نَعِيمِهَا ... وَأَنْتَ وَحِيْدٌ مفْرد غَيْر عَاشِقِ

وقال مسلم بن الوليد[(3)]:

= انهزم من جيش عمر فاستولوا على العراق، وانهزم هو إلى مرو، وولت أيامه، ثم ثار عليه أمراء دولته وقتلوه سنة ثلاثين. وقيل: بل بيته الترك وقتلوا خواصه، وهرب هو واختفى في بيت، فغدر به صاحب البيت فقتله ثم قتلوه به.

راجع سير أعلام النبلاء (١٠٩/٢) وراجع هامشه.

(١) زيادة من المصون (٦٤)، ثم جاء بعدها: فقال: ولِمَ؟

قيل: لأنه تشاغل بالعشق. ثم ساق بقية الخبر كما هنا.

قلت: وليس في هذا إهمال منه في تربية ابنه أو توجيهه بل هو استحسان منه لهذه الوجه لتقوى خبرته بالحياة وترقق مشاعره حيث علم بوسائله أنه لن يتجه نحو ما حرم الله تعالى في شرعه.

(٢) مولى بني أسد: شاعر محسن بديع القول أدرك الدولتين: الأموية، والعباسية، وبقي حتى مدح المهدي.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٨١/٧). ومن مصادر ترجمته: طبقات ابن المعتز (١١٤)، الأغاني (١٧/١٦)، معجم الأدباء (١٦٦/١٠)، خزانة الأدب (٤٨٥/٢)، فوات الوفيات (٣٨٨/١).

(٣) صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري مولاهم البغدادي، حامل لواء الشعر. وقيل: بل كوفي نزل بغداد.

كان شاعرًا مدَّاحًا، محسنًا مُفوّها، وهو القائل في جعفر البرمكي:

كأنه قمر أو ضيغم هصر ... أوحية ذكر أو عارض هطل

لا يضحك الدهر إلاَّ حين تسأله ... ولا يُعبِّسُ إلا حين لا يُسَل

... مات في أواخر دولة الرشيد، وديوانه مشهور. قاله الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٦٥/٨):

ومن مصادر ترجمته : التاريخ لابن معين (٣٦٧)، وطبقات خليفة (٢٧٦)، التاريخ الكبير =

هَل العَيْش إلاَّ أنْ تَرُوحَ مَعَ الصِّبَا وَتَغْدُو صَرِيْعِ الْكَأْس[1] والأعين النُّحَّل

وقال أبوعبدالرحمن العطوي:

مَا دِنْتُ بالْحُبِّ إلاَّ وَالْحُبُّ زَيْنُ الكِرَام

وقال غيره:

نَظَرْتُ إِلَيْهِ نَظْرَةً فَهُوِيْتُه وَمَنْ ذَا لَهُ عَقْلٍ صَحِيْحٍ وَلاَ يَهْوَى

إذَا كَانَ حُبُّ القَلْب طَبْعًا مُرَكَّبًا فَلاَ لَوْمَ فِيْمَا رَكَّبَ الله أنْ يُعرَى

وقال غيره

وَمَا سَرَّني أنِّي خَليٌّ منَ الهَوَى وَلَوْ أنَّ لِي بَيْنَ شَرْق إلَى غَرْبِ

وقال غيره:

وَمَا تلفت إلاَّ منْ الْعشْقِ مُهْجَتِي وَهَلْ طَابَ عَيْشٌ لامرئ غَيْر عاشق

وَلاَ خَيْرَ فِي الدُّنْيَا بِغَيْرِ صَبَابَة وَلاَ فِي نَعِيْمٍ لَيْسَ فِيْهِ حَبِيْبُ

وقال الكميت [٢١/أ]:

مَا ذَاقَ بُؤْس مَعِيْشَة وَنَعِيْمهَا فِيْمَا مَضَى أَحَدٌ إذَا لَمْ يَعْشَق[2]

وقال علي بن أبي كثير، لابن أبي الزرقاء في كلام: هل عشقت قط حتى تكاتب وتراسل وتواعد؟

قال: لا.

قال: فلا تفلح والله أبدًا[3].

=

(٢٥/٦)، الصغير (٢٣٦/٢)، الشعر والشعراء (٥٢٨)، الضعفاء الكبير (٢٤٥)، الجرح والتعديل (٣٩٥/٥)، تاريخ بغداد (٩٦/١٣).

(١) ولا يخفى على أحد أن الخمر متفق على حرمتها، ولكنهم الشعراء الذين وصفهم الله في كتابه: ﴿ألم تر أنهم في كلّ وادٍ يهيمون﴾ ثم استثنى سبحانه منهم المؤمنين. وقد كررنا مرارًا أن الحب الذي يُقرد الإسلام هو حب الزوج لزوجته.

(٢) جاء بالهامش حاشية نصها: رأيت لهذا البيت ثانيًا وهو:

الحب فيه حلاوة ومرارة سائل بذلك من تطعم أو رزق

(٣) المراد هنا من سؤاله عن مثل هذا إنما هو ليتبين له ما إذا كان رقيق القلب رائق العبارة شفاف الرؤية مراعيًا لمشاعر الآخرين وأحاسيسهم مستحثًا لعواطفهم مثيرًا ما فيها من الحب أو الخوف، والرجاء، والإقناع وما إلى ذلك من أمور العقل والنفس حتى يسهل عليه نقل ما يريد نقله إلى المرسل إليه.

ويحكى أن بهرام جور[1]: كان له ولد أراد ترشيحه للملك، فوجده ساقط الهمة ، دنيّ النفس فسلط عليه الجواري، والقيان فعشق منهن واحدة، فأُعلم بهرام بذلك فسرَّ، وأرسل إلى التي قيل إنه عشقها أن تجنيّ عليه وقولي إني لا أصلح إلا لشريف الهمة، ملك أوعالم.

فلما قالت له ذلك، راجع العلم وما عليه الملوك من شرف الهمة حتى ولي الملك وكان من خيرهم.

فأثبت ذلك في حكمته إلى كسرى أن الملك لا يكمل إلاّ بعد عشقه ، وكذلك العالم.

وكان الشعبي كثيرًا ما ينشد:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الهَوَى ... فَأَنْتَ وَعَنْزٌ فِي الْفَلاَةِ سَوَاءُ

وقال غيره:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْشَقْ وَلَمْ تَدْرِ مَا الْهَوَى ... فَكُنْ حَجَرًا مِنَ جَامِدِ الصَّخْرِ جَلْمَدَا

وقال المرزبان: سئل أبو نوفل[2]: هل يسلم أحدٌ من العشق؟ فقال: نعم، الجلف الجافي [الطبع][3] الذي ليس له فضل، ولا عنده فهم.

فأما من في طبعه أدنى ظُرف [وأقل لطف][4] أو معه دماثة أهل الحجاز [وحلاوتهم

---

(١) ذكر الحصري هذه القصة في المصون (٦٦) ، ولهذه القصة بداية يذكرها في (٦٥) فيقول: قال اليمان بن عمر مولى ذي الرياستين الفضل بن سهل: كان ذو الرياستين يبعث بي وبأحداث من أهل بيته إلى شيخ بخراسان وكان يقول لنا: تعلموا منه الحكمة، فكنا نأتيه، فإذا انصرفنا من عنده اعترضنا ذو الرياستين فسألنا عما أفدنا ، فنخبره بذلك، فصرنا إلى الشيخ يومًا ، فقال لنا: أنتم أدباء ، وقد سمعتم الحكم، وفيكم أحداث، ولكم نعم ، فهل فيكم أحد عاشق؟

قلنا: لا، قال: اعشقوا فإن العشق يطلق لسان العييّ، وينتج حيلة البليد، ويسخي كف البخيل، ويبعث على التنظف وحسن الملبس، ويدعو إلى الحنكة والذكاء وشرف الهمة، وإياكم والحرام.

قال: فلما انصرفنا من عنده إلى ذي الرياستين، فسألنا عما أفدنا في يومنا، فهبنا أن نخبره، فعزم علينا فقلنا له: أمرنا بكذا وكذا.

فقال: صدق، تعلمون من أين أخذ هذا الأدب؟

قلنا: لا، قال: إن بهرام جور كان له ابن رشحه للملك بعده فنشأ ساقط الهمة خامل المروءة دنيء النفس سيئ الخاطر.... فذكر الخبر بنحو مما هنا مطولاً ومفصلاً.

(٢) في المصون (١٦): قال إبراهيم بن الصبيح: سألت أبا نوفل المدني هل يسلم أحد من الهوى؟

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من المصون.

(٤) انظر التعليق السابق.

ورقة أهل مصر|[١] وظرف أهل العراق |وأدبهم|[٢] فهيهات.

وذكر ابن أبي طاهر عن علي بن عبيدة[٣] أنه قال: لا يخلو أحد من صبوة إلا أن يكون جافي[٤] الخلقة ناقصًا[٥] أو منقوص البنية، أو على خلاف تركيب الاعتدال. وقال الأقرع بن معاذ:

وَلاَ خيرَ فِي الدُّنْيَا إذَا أَنْتَ لَمْ تَزُر حَبيبًا وَلَمْ يَنْظُر إلَيْكَ حَبِيبُ[٦]

فإذا زاد العشق[٧]:

مرض الجسد وجرح القلب وزال الرأي واستملك العقل.

ثم يترقى ويسمى ذا الوله، ومدلّها ، ومستهترًا ومستهامًا، وحيران ثم بعده [٢١/ب] التتيم وهو نهاية الهَوَى وآخر العشق.

ومن التتيم يكون الداء الدَّويُّ، والجنون الشامل، والسم القاتل.

ولهذا قال أبقراط في كتاب الأزمنة: أعياني علاج الحب بعد تمكنه أن أدركه. وزعم

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) في المخطوط : علي بن عبيدة ، والتصويب من المصون في سر الهوى المكنون للحصري القيرواني "٦"، وفيه: علي بن عبيدة الريحاني.

(٤) في المصون : جاسي.

(٥) لفظ زائد عما في المصون يريد أن كل إنسان معتدل الطبع لابد أن تكون له زلة وليس معنى هذا أن يترك الإنسان لنفسه العنان، وإنما المراد أن كل ابن آدم خَطَّاء، وخير الخطائين التوابون.

(٦) هذه دعوة إلى التزاور، وقد قالوا في التزاور إنه كلما كان على فترات متباعدة كان أدعى للمحبة ودوام الود، وذلك قولهم:

زر غبًا تزدد حبًّا

ففي ذلك مدعاة لأن لا تُمَلّ، ولا تُنسى. وزيارة الإخوان والأهل والخلان من أسباب مغفرة الله للعبد ودعاء الملائكة له واستغفارهم للزائر، ومن دواعي إدخال السرور على المسلم المزار.

(٧) سبحان من جعل دين الإسلام دينًا وسطًا في كل شيء وأنزل على نبيه: **﴿لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين﴾**، وأنزل: **﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾** فليس في ذلك نهي عن الفرح ولكن ترشيد له وتوسط فيه، لأنه لابد أن يعقب هذا الفرح حزن، وذلك قوله: **﴿لتركبن طبقًا عن طبق﴾** فإذا زاد الفرح عن حده وجاء الحزن كانت الصدمة شديدة فقد تفقد المرء صوابه بل إن لم يربط الله على قلبه تفقده دينه، وها نحن نرى الحب بعد ما يتحول إلى عشق يجب أن يقف المرء عند هذا الحد ولكن إذا تمادى كانت القاعدة المعروفة والقول المشهور: كل ما زاد عن حده انقلب إلى ضده، فيفقد الحبيب حبيبه فلا هو نال ما تمنى ولا هو أبقى على نفسه في هدونها.

الفخر الفارسي في كتاب سلوة المسافر: أن هذا يسمى اشتياقًا، وهو الداء الدّويُّ الذي تذوب به الأرواح ولا يقع معه الارتياح بل هو بحر، من غاص فيه غرق إذ لا ساحل له ولا منه نجاة.

وهذا هو المقول فيه:

وَمَا أَحَدٌ فِي النَّاسِ يُحْمَدُ أَمْرُهُ ... فَيُؤْخَذُ إلاَّ وَهُوَ فِي الحُبِّ أَحْمَقُ
وَمَا أَحَدٌ مَا ذَاقَ بُؤْسَ مَعِيْشَةٍ ... فَيَعْشَقُ إلاَّ ذَاقَهَا حِيْنَ يَعْشَقُ

وقال العباس بن الأحنف:

وَيْحَ المُحِبِّيْنَ مَا أَشْقَى جُلُودَهُم ... إنْ كَانَ مِثْلَ الَّذي بِي بِالْمُحِبِّيْنَا
يَشْقَون فِي هَذِهِ الدُّنْيَا بِعِشْقِهِم ... لاَ يُرْزَقُوْنَ بِهَا دُنْيَا وَلاَ دِيْنَا

وقال غيره:

الْعِشْقُ مَشْغَلَة عَنْ كُلِّ مَصْلَحَةٍ ... وَسَكْرَةُ العِشْقِ تَنْفِي سَكْرَةَ الوَسَنِ(١)

وقال محمد بن محمد البريدي:

كَيْفَ يَطِيقُ النَّاسُ وَصْفَ الهَوَى ... وَهُوَ جَلِيْلٌ مَالَـهُ قَـدْرُ
بَلْ كَيْفَ يَصْفُو الحَلِيفُ الهَوَى ... عَيْشٌ وَفِيْهِ البَيْنَ وَالْهَجرُ

وقال محمد بن أمية:

قَرِيْنُ الحُبِّ يَأْنَسُ بِالْهُمُومُ ... وَيُكْثِرُ فِكْرَهُ الْقَلْبُ السَقِيْم
وَأَعْظَمُ مَا يَكُونُ بِهِ اعتِبَاطًا ... عَلَى خَطَرٍ وَمَطْلعٍ مِنْ عَظِيْمَ(٢)

وقال أبوتمام: [٢٢/أ]

---

(١) وقول هذا الشاعر يؤيد ما قلته من قبل إذا كان الأمر زائد عن الحد انتفى النفع منه وضاعت المنافع الأخرى بسببه وضاع أمر الدين والدنيا عند من يفعل هذا وكان أحدوثة للناس وضيع بينهم مهما كان في رأيه وجيهًا أو تظاهروا له بذلك إن كان ذا سلطان أو مكانة اجتماعية.

(٢) ثم انظر إلى هذا الذي يصف حال العاشق الذي شارف على فقدان عقله كيف هو مؤتنس بما يخاف الناس منه ، وبما استعاذ منهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- إذ يقول في كثير من دعائه ((**اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن**)) ... وأرجو أن لا يفهم قولي هذا على أنني لا أقر الحب أوالعشق لا بل أقر بهما ، وأعلم أن الله تعالى ركبهما في طبائع الإنسان ومن ذلك قوله تعالى: ﴿**حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون**﴾ فهو سبحانه ذكر الحب وركبه فينا وجعل من يحب في الموضع الصحيح راشدًا، وكذا ركب فينا الكره وجعل وضعه في مكانه الصحيح راشدًا كذلك.
وقديمًا قالوا: أحبب حبيبك هونًا ما ....الخ.

أَمّا الهَوَى فَهُوَ العَذَابُ فإنْ جرَتْ ... فِيهِ النَّوَى فأليْم كُلّ عَــذَابِ

وقال ابن أبي حصينة:

وَالعِشْقُ يَجْتَذِب النُّفُوسَ إلَى الرَّدَى ... بِالطَّبْعِ واحسدي لِمَنْ لاَ يَعْشق

وقال ابن الرومي:

قَبّحَ الهَوَى مَلِك السَماءِ فَلَمْ يَزَلْ ... دَيْنًـــا يَديْن قَوِيَّه لِضَعِيْفه[1]

وقال صالح بن عبدالقدوس:

عَاصِ الهَوَى إنّ الهَوَى مُرَكّـــبٌ ... تَصْعُبُ بَعْدَ اللِّيْنِ مِنْهُ الذّلُول

وقال ابن المعتز[2]:

إنَّ مَسَّ الهَوَى لدَاء الشِّعْر يعْدِي فَيُفْسِدُ الأبْرَار

وله أيضًا:

وَالْحُـــبُّ دَاء عَيَـــاء لاَ دَوَاء لَـــهُ ... تضل فيه الأطباءُ النَّحَارِيْرُ

قَدْ كُنْتُ أحْسَبُ أنّ العَاشِقِيْنَ غَلَوا في وَصْفه فإذَا بِالْقَوْم تَقْصِيْرُ

وقال الوأواء: سبيل الهوي، وعر، حلو الهوى مر، برد الهوى حر، يوم الهَوَى دهر، سر الهوى جَهْر.

وأنشد الحصري لأعرابي:

ألاَ مَا الهَوَى وَالحُبُّ بالشَّيء هَكَذَا ... يَدلُّ به طَوْع اللّسَـــان فَيُوصَـــفُ

وَلَكِنّـــهُ شَــــيْء قَضَـــى اللهُ أنَّـــهُ ... هَوَ المَوْتُ لاَ بَلْ هُوَ مِنَ المَوْت أعْنَفُ

فَأوّلُـــهُ سقَـــمٌ وَآخـــرُهُ بَلاَء[3] ... وَأوْسَطُهُ شَـــوْق يُشَـــفُّ وَيُتْلِـــفُ

وَرَوْعٌ وَتَسْهِيْـــدٌ وَهَمٌّ وَحَسْـــرَةٌ ... وَوَجْدٌ عَلَى وَجْدٍ يَزِيْـــدُ وَيَضْعُـــفُ

---

(١) الهوى المذموم هنا هو الطاعة فيما حرم الله واتباع النفس هواها وإعطاءها ما تتمنى دون ضوابط من شرع، ومن المعلوم أن من المهلكات: الدنيا المؤثرة، والهوى المتبع، وإعجاب المرء برأيه. ومن المعلوم أن اجتماع العقول كاجتماع المصابيح كلما اجتمعت أضاءت.

(٢) هو: عبيدالله بن المعتز بن منصور بن عبدالله بن حمزة أبوالحسن، النيسابوري راوي الأجزاء الأربعة من حديث علي بن حُجر. سمع من: أبي الفضل بن خزيمة، وأبي الفضل الفامي، وأبي بكر الجوزقي، وحدث بأصبهان وبالري. وعنه: أبو علي الحداد وإسحاق الرشتيناني ومحمد بن عبدالله بن حورست.

توفي سنة سبع وأربعين وأربعمائة. وهو أخو منصور شيخ إسماعيل ابن المؤذن. قاله الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/٢٦٢).

(٣) راجع المصون في سر الهوى المكنون، والكلمة فيه: جوى.

وقال غيره:

مَا الْحُبُ إلاَّ ملكٌ خَطِرٌ ... عِسْرُ النَّجَاة وَمَوْطِيءٌ زَلِقُ

وقال عبدالمحسن الصوري[1]:

وَكَانَ ابْتِدَاءُ الَّذي بِي مُجُونًا ... فَلَمَّا تَمَكَّنَ أَمْسَى جُنُونَا
وَكُنْتُ أَظُنُّ الهوَى هَيِّنًا ... فَلاَقَيْتُ مِنْهُ عَذَابًا مَهِيْنًا

وقال أبو منصور بن الفضل:

فَمَا الْهَوَى مَرْعَى يَطِيْبُ لذَائقٍ ... وَلاَ مورْدٌ عَذْبٌ يَلذُّ لحَاسِي[٢٢/ب]
سُؤَالُ مُغَانٍ رَأَيْتُهَا أَخْرَسَ الصَّدَى ... وشَكْوى إلَى مَنْ قَلْبُهُ لَيِّنٌ قَاسِي

وقال غيره:

مَنْ كَانَ لَمْ يَذُقْ الْهَوَى فَلْيَأْتني ... أُخْبِرْهُ مِنْ طِبٍّ بِهِ ذوَّاق
الْحُبُّ أوَّلُهُ يلتَذُّ مَذَاقُهُ ... فَإذَا خَبرت خَبَرت شَرَّ مَذَاق

وقالت امرأة في الطواف[2]:

رَأَيْتُ الْهَوَى حُلْوًا إِذَا اجْتَمَعَ الشَّمْلُ[3] ... وَمُرًّا عَلَى الهجْرَان لاَ بَلْ هُوَ الْقَتْلُ
وَمَنْ لَمْ يَذُقْ للْهَجْرِ طعْمًا فإنَّهُ ... إذَا ذَاقَ طعْمَ الْحُبِّ لَمْ يَدْرِ مَا الْوَصْلُ
وَقَدْ ذُقْتُ طَعْمَيْهِ[4] عَلَى الْقرْب وَالنَّوَى ... فَأَبْعَدُهُ قَتْلُ وَأَقْرَبُهُ خَبْلُ

❁ ❁ ❁

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/٤٠٠) : عبدالمحسن بن محمد بن أحمد شاعر أبو محمد الصوري.
روى عنه: الحافظ محمد الصوري، ومبشر بن إبراهيم، وسلامة بن حسين. ونظمه فائق، وسار له:

بالذي ألهم تعـ ... ـذيبي ثناياك العذابا
ما الذي قالته عيـ ... ـناك لقلبي فأجابا

توفي سنة تسع عشرة وأربعمائة وله ثمانون سنة.
ومن مصادر ترجمته: يتيمة الدهر (٢٩٦/١)، تتمة اليتيمة (٣٥)، وفيات الأعيان (٢٣٢/٣)، العبر (١٣١/٣) ، النجوم الزاهرة (٢٦٩/٤)، شذرات الذهب (٢١٣/٣،٢١١).

(٢) قال السراج في مصارع العشاق في الهوى حلو ومر (١٦٤/١): إني لفي الطواف وقد مضى أكثر من الليل ، وخف الحاج إذا امرأة قد أقبلت كأنها شمس على قضيب غرس في كثيب، وهي تقول: فذكر الشعر الوارد هنا.

(٣) في المصارع : الوصل.

(٤) في المصارع: من هذين.

ومن أسماء العشق فيما ذكره الحصري رحمه الله في كتاب المصون(*) (١)

١ - الشغف.
٢ - والمقة.
٣ - والوَجْد.
٤ - والكلف.
٥ - والأسف.
٦ - والتتيم.
٧ - والجوَى.
٨ - والدَّنف.
٩ - والصبوة.
١٠ - والصبابة.
١١ - والكرب(٢).
١٢ - والكآبة.
١٣ - والشجو .
١٤ - والخلابة.
١٥ - والبلابل.
١٦ - والحسرات.
١٧ - والتباريح.
١٨ - والسَدَم.
١٩ - والغمرات.
٢٠ - والوجل.
٢١ - والشجن.
٢٢ - واللاعج(٣).
٢٣ - والحزن.
٢٤ - والكمد.
٢٥ - والاكتئاب.
٢٦ - والوصب(٤).
٢٧ - واللذْع.
٢٨ - والحرق.
٢٩ - والسهد(٥).
٣٠ - والأرق.
٣١ - والرقّة.
٣٢ - والجزع.
٣٣ - والخوف.
٣٤ - والهلع.
٣٥ - واللهف.
٣٦ - والحنين.
٣٧ - والتحريق.
٣٨ - والأنين.
٣٩ - والاستكانة.
٤٠ - والتبلد.
٤١ - والتبالة.
٤٢ - والتجلد.
٤٣ - واللوعة.
٤٤ - والتفجع.
٤٥ - والفتون.
٤٦ - والشجون.
٤٧ - والمس.
٤٨ - والجنون.
٤٩ - واللمم.
٥٠ - والخبل.
٥١ - والرسيس.
٥٢ - والتبل.
٥٣ - والداء المخامر.
٥٤ - والضني المسامر(٦).
٥٥ - والعقل المختلس.
٥٦ - والنفس المحتبس.

(*) والأسماء في المصون (١٦٠) تحت عنوان: أنواع الهوى ودرجاته.
(١) في المخطوط: الكتاب. والألف واللام زائدة فحذفتها.
(٢) في المصون: الكروب.
(٣) في المصون: اللعج.
(٤) في المصون: الكمد، والنصب، والاكتئاب، والوصب...
(٥) في المصون: التسهيد.
(٦) في المخطوط: الضناء المسافر . والتصويب من المصون.

٥٧- واللب المسلوب. ٥٨- والدمع المسكوب(١).

وزاد ابن السكيت في كتاب الألفاظ المخاللة:

٥٩- والمقتيل. ٦٠- والخلم.

وزاد أبو هلال [٢٣/أ] في كتاب التلخيص تصنيفه:

٦١- الغرام. ٦٢- والبل.

قال: والعشق لا يكون إلاّ للنساء خاصة.

وقد عشق يعشق عشقًا وعشقاء.

وزاد الثعالبي:

٦٣- العلق. ٦٤- والتدليه.

٦٥- والهيوم، وهو أن يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه، رجل هيوم.

٦٦- والشغف، فيما ذكره الخرائطي.

٦٧- المهوان(٢) يدل عليه قول الشاعر:

فَسَأَلْتُها بِإشَارَةٍ مِـــنْ حَالِهَــا ... وَعَلَيَّ فِيْهَا لِلْوُشَاةِ عُيُونُ

فَتَنَفَّسَتْ صَعَدًا وَقَالَتْ مَا الْهَوَا ... إلاَّ الْهَوَان أُزِيْلَ عَنْهُ النُّونُ

قال ابن سيدة(٣): العشق: عجب المحب، بالمحبوب، يكون في عفاف الحب ودعاويه.

---

(١) أذكر ما زاده صاحب المصون عقب آخر رقم، بعد قليل إن شاء الله تعالى.

(٢) زاد صاحب المصون أو أسقط المؤلف هنا من الواضح المبين أكثر من عشرين تعريفًا للعشق أوردهم استكمالاً للرقم الأخير هنا حتى يمكن حصر ما قالوه في أسماء العشق، فقد زاد:

٦٨- والنصب. ٦٩- والترح. ٧٠- والولوع.
٧١- الارتياع. ٧٢- والنزوع. ٧٣- والعلة.
٧٤- والغليل. ٧٥- والبكاء. ٧٦- والعويل.
٧٧- والتلهف. ٧٨- والحيرة. ٧٩- والتلدد.
٨٠- واللوعة. ٨١- والفجائع. ٨٢- والوسواس.
٨٣- الدله. ٨٤- الاستهتار. ٨٥- الوله.
٨٦- النحول. ٨٧- والبلا. ٨٨- والحنين.
٨٩- الردى. ٩٠- الكبد الحرّى. ٩١- العين العبرى.

(٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٤٤/١٨): ابن سيدة: إمام اللغة، أبوالحسن، علي بن إسماعيل المرسي الضرير، صاحب المحكم في لسان العرب، وأحد من يضرب بذكائه المثل.... وكان أبوه أيضًا لغويًا، فأخذ عن أبيه وعن صاعد بن الحسن.

قال الحميدي: هو إمام في اللغة العربية وحافظ لها، على أنه كان ضريرًا، وقد جمع في ذلك =

وقيل: العشق: الاسم، والعشق المصدر، وعشيق، كثير العشق، وامرأة عاشق. وشجرة يقال لها: عاشقة تخضر، ثم تدق وتصفر.

قال الزجاجي: واشتقاق العاشق من ذلك.

وفي الجامع للفراء[1]: عشق عشقًا، مثل خدر، وعشقًا مثل حلم وعشقًا مثل عذل إذا أفرط في الحب والنّصيحة، فالعشق. والعشق المصدر. والعشق: الاسم.

والعشيق يكون للفاعل والمفعول. وجمع العاشق عُشّق وعُشّاقٌ.

ويقال في المرأة عاشقة.

قال الشاعر:

وَلذّ كَطَعْم الصُرخدي طَرَحْتُه ... عَشيَّةَ خَمَّسَ الْقَوْمَ وَالْعَيْن عَاشقَة

وقال الفراء: العشق نبت لزج، فسمى العشق الذي يكون من الإنسان لزُوْجَته ولُصُوقه بالقلب.

وقال ابن الأعرابي: العشقة: اللبلابة، تخضر وتصفر وتعلق بالذي يليها من الأشجار، فاشتق من ذلك العاشق.

ذكره في ميدان العاشقين، وفي الصحاح. قال ابن السَّرَّاج[2] : و لم يضعها بين فرك

=

جمرعًا، وله مع ذلك حظ في العشر، وتصرف.

وأرخ صاعد بن أحمد القاضي في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة، وقال: بلغ الستين أو نحوها.

ومن مصادر ترجمته: طبقات الأمم الصاعدة (١١٩)، بغية الملتمس (٤١٨)، معجم الأدباء (٢٣١/١٢)، إنباه الرواة (٢٢٥/٢)، المغرب في حلى المغرب (٢٥٩/٢)، وفيات الأعيان (٣٣٠/٣)، العبر (٢٤٣/٣)، دول الإسلام (٢٦٩/١)، نكت الهميان (٢٠٤)، مرآة الجنان (٣/ ٨٣)، البداية والنهاية (٩٥/١٢)، الديباج المذهب (١٠٦/٢)، طبقات ابن قاضي شهبة (١٣٢/٢)، بغية الوعاة (١٤٣/٢)، نفح الطيب (٢٧/٤)، شذرات الذهب (٣٠٥/٣)، وغير ذلك كثير.

(١) في المخطوط: الفرّار. وهو تحريف.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤٨٣/١٤) : إمام النحو، أبوبكر محمد ابن السري البغدادي النحوي ، ابن السَّرَّاج، صاحب المبرد، انتهى إليه علم اللسان. أخذ عنه: أبوالقاسم الزجاجي، وأبوسعيد السيرافي، وعلي بن عيسي الرماني وطائفة وثقه الخطيب.

وله كتاب: أصول العربية، وما أحسنه. وكتاب: شرح سيبويه، وكتاب: احتجاج القراء، وكتاب: الهواء والنار، وكتاب: الجمل، وكتاب: الموجز، وكتاب: الاشتقاق، وكتاب الشعر والشعراء.

وكان يقون الراء غينًا. وله شعر رائق، وكان مكبًّا على الغناء، واللذة، وهوى ابن يانس المطرب، وله أخبار سامحه الله. مات في الكهولة في شهر ذي الحجة سنة ست عشرة وثلاثمائة.

ومن مصادر ترجمته: طبقات النحويين واللغويين (١١٢)، تاريخ بغداد (٣١٩)، نزهة الألباب

=

وعشق (....)[1] إنما حرّكه ضرورة، ولم يحركه بالكسر إتباعًا، وكأنه كره الجمع بين كسرتين لأن هذا عزيز في [٢٣/أ] الأسماء.

ورجل عشّيق مثال فسّيق: أي كثير العشق.

والتعشيق: تكلف العشق.

وقيل: ومن حبّ الماء الذي يوضع فيه لأنه يمسك ما به من الماء ولا يسع غير ما فيه إذا امتلأ.

كذلك إذا امتلأ القلب من الحب فلا اتساع فيه لغير المحبوب.

واعلم : أن العشق وأصحابه طبقات مثل البغض والرضى والغضب والرغبة والرهبة. فالملوك ليس عشقهم كعشق الأعراب لقدرتهم على من يعشقونه بالأموال وحسن الأحوال.

وقد يعشق الملك العظيم، فلا يذهب به عشقه إلى تدبير ملكه، وإنما أكثر ما يظهر من أمر الملوك والرؤساء وأولي الفضل والحجا أن يصفوا محبوبهم وهم مالكوه:

كقول الحكم بن هشام بن عبدالرحمن الداخل[2] بالأندلس:

=

(٢٤٩)، المنتظم (٦/٢٢٠)، معجم الأدباء (١٨/١٩٧)، الكامل في التاريخ (٨/١٨٠)، وفيات الأعيان (٤/٣٣٩)، العبر (٢/١٦٥)، الوافي بالوفيات (٣/٨٦)، البداية والنهاية (١١/١٥٧)، بغية الوعاة (١/١٠٩)، شذرات الذهب (٢/٢٧٣).

(١) بياض في أصل المخطوط قدره كلمة.

(٢) قال الذهبي سير أعلام النبلاء (٨/٢٥٣): الحكم بن هشام ابن الداخل عبدالرحمن بن معاوية بن هشام بن عبدالملك بن مروان بن الحكم، الأموي المرواني أبوالعاصي أمير الأندلس، وابن أميرها، وحفيد أميرها، ويلقب بالمرتضى، ويُعْرف بالربض، لما فعل بأهل الربض بويع بالملك عند موت أبيه، في صفر ثمانين ومائة.

وكان من جبابرة الملوك ، وفساقهم، ومتمرديهم وكان فارسًا شجاعًا فتاكًا ذا دهاء وحزم وعتو وظلم، تملك سبعًا وعشرين سنة وكان في أول أمره على سيرة حميدة تلا فيها أباه، ثم تغير وتجاهر بالمعاصي.

قال أبو محمد بن حزم: كان من المجاهرين بالمعاصي سفاكًا للدماء، وكان يأخذ أولاد الناس الملاح فيخصيهم ويُمْسكهم لنفسه، وله شعر جيد....

وكثرت العلماء بالأندلس في دولته حتى قيل إنه كان بقرطبة أربعة آلاف مُتَقَلِّس متزيين بزي العلماء، فلما أراد الله فناءهم عز عليهم انتهاك الحكم للحرمات وائتمروا ليخلعوه، ثم جيشوا لقتاله، وجرت بالأندلس فتنة عظيمة على الإسلام وأهله، فلا حول ولا قوة إلا بالله....

قال ابن مزين : وكان أهل طليطلة لهم نفوس أبيّة، وكانوا لا يصبرون على ظلم بني أمية، فإن
=

ظَلَّ مِنْ فَرْطِ حُبِّه مَمْلُوكًا ... وَلَقَدْ كَانَ قَبْلَ ذَاكَ مَلِيْكَا
تَرْكُتُهُ جَاءَ ذَو القَصْرِ صَبًّا ... مُسْتَهَامًا عَلَى الصَّعِيْدِ تَرِيْكَا
يَجْعَلُ الخَدَّ وَاضِعًا فَوْقَ تُرْبٍ ... لِلَّذي يَجْعَلُ الحَرِيْرَ أَرِيْكَا
هَكَذَا يَحْسُنُ التَّذَلُّلُ بِالْحُرِّ ... إِذَا كَانَ فِيْ الْهَوَى مَمْلُوكَا

وكقول الرشيد: وقد عشق ثلاثة من جواريه.

وقال ابن أبي طاهر في كتابه المنثور والمنظوم: هو للعباس بن الأحنف، قاله على لسان المأمون:

مَلَكَ الثَّلاَثُ الآنسَاتُ عِنَانِي ... وَحَلَلْنَ مِنْ قَلْبِي بِكُلِ مَكَانِ [٢٤/أ]
مَالِي تُطَاوِعُنِي الْبَرِيَّةُ كُلُّهَا ... وَأُطِيْعهُنَّ وَهُنَّ فِي عِصيانِي
مَاذَاكَ إلاّ أنَّ سُلْطَانَ الهَوَى ... وَبِهِ قَوِيْنَ أَعَزّ مِنْ سُلْطَانِي

وكقول المامون(١) في جاريته شاذن: وكانت كثيرة التجني:

أما يكفيك أنك تملكيني ... وأن الناس كلهم عبيدي
وأنك لو قطعت يدي ورجلي ... لقلت أحسنت زيديني

وأنشدهما ابن أبي طاهر لغير المأمون.

= ولاتهم كان فيهم ظلم وتعد، فكانوا يثبون على الوالي ويخرجونه، فولّى عليهم الحكم عمروسًا (رجل منهم) وكان عمروس داهية، فداخل الحكم، وعمل على رءوس أهل طليطلة حتى قتل جماعة منهم....

مات الحكم سنة ست ومائتين في آخرها، وله ثلاث وخمسون سنة، وولي الأندلس بعده ابنه أبو المطرف عبدالرحمن بن الحكم بن هشام.

ومن مصادر ترجمته: العقد الفريد (٤/٤٩٠)، ابن القوطية (٤٢)، جذوة المقتبس (١٠)، الكامل في التاريخ (٥/٥٨٣)، الحلة السيراء (١/٤٢)، البيان المغرب (٢/٦١)، ابن خلدون (٤/١٢٤)، المعجب (١٩)، أخبار مجموعة (١٢٠)، نفح الطيب (١/٣٣٤).

(١) قال الذهبي في سيره (١٠/٢٧٢):المأمون الخليفة أبو العباس: عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي بن أبي جعفر المنصور العباسي، ولد سنة سبعين ومائة، قرأ العلم، والأدب، والأخبار، والعقليات والعلوم وأمر بتعريب كتبها، وبالغ، وعمل المرصد فوق جبل دمشق، ودعا إلى القول بخلق القرآن، وبالغ، نسأل الله السلامة...

وكان من رجال بني العباس حزماً وعزماً ورأيًا وعقلاً، وهيبة وحلما، ومحاسنه كثيرة في الجملة.

قال ابن أبي الدنيا: كان أبيض ربعة، حسن الوجه تعلوه صفرة، قد خطه الشيب، وكان طويل اللحية أعين ضيق الجبين على خده شامة...

مات في رجب في ثاني عشر سنة ثماني عشرة ومائتين، وله ثمان وأربعون سنة.

وقال أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن تميم القيرواني الحصري في كتابه المصون في سر الهوى المكنون: هما للمهدي بن المنصور.

وكقول أبي طاهر صاحب خراسان:

فَإِنِّي وَإِنْ حَنَّتْ إِلَيْكَ ضَمَائِري ... فَمَا قَدْر حُبِّي أَنْ يُذَلَ لَهُ قَدْرِي

وقال ابن الأحمر سلطان الأندلس:

أَيَا رَبَّةَ الخِدْرِ الَّذِي أَذْهَبَتْ نُسُكِي ... عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْت لاَبُدَّ لِي مِنْكَ
فَإِمَّا بِذُلٍّ وَهُوَ أَلْيَقُ بِالْهَوَى ... وإِمَّا بِعِزٍّ وهو أَلْيَقُ بالمُلْكِ

وطبقة دون الملوك: إذا عشقوا لم يتفرغوا له لاشتغالهم بصنائعم وبضعائهم.

وطبقة أخرى يبخلون بعقولهم وأديانهم عن شغل قلوبهم بما لا يحل لهم ويحرم عليهم.

وما سوى هؤلاء إنما عشقهم عرض من الأعراض إذا وصلوا إليه أسرع انصرافهم عنه، وربما صار هجرانًا بل عداوة إلى آخر العمر.

وأما الذين ماتوا عشقًا: فهم الذين عشقوا بنات العَمِّ، والجيران في الحداثة. وهذا هو العشق الذي لا يزايل صاحبه حتى يموت(١).

كما قال المجنون:

وَعَلقْتُ لَيْلَى وَهيَ ذَاتُ مُوَصَّدٍ ... وَلَمْ يَبْدُ للأَتْرَابِ مَنْ ثَدْيِهَا حَجْمُ[٢٤/ب]
صَغِيرَيْنِ نَرْعَى الْبُهْمِ يَالَيْتَ أَنَّنَا ... إلَىالْيَوْمِ لَمْ نَكْبرَ وَلَمْ تَكْبَر الْبُهْم

وقال أبو محمد فيما أنشده ابن أبي طاهر:

وَعَهْدِي بِلَيْلَى وَهيَ ذَاتُ مَوصَّدٍ ... يردّ عَلَيْنَا بِالْعَشِيِّ المَوَاشِيَا
فَشَبَّ بَنُوا لَيْلَى وَشَبَّ بَنُوا ابنهاً ... وَأَعْلاَق لَيْلَى فِي فُؤَادِي كَمَا هِيَا

---

(١)هكذا ملئ هذا الكتاب وكل الكتب التي تناولت موضوع الحب والعشق والعشاق وقصصهم وحكت لنا عن كثير ممن ماتوا عشقا وكمدًا على من عشقوهم، فما لنا لم نسمع ولو مرة واحدة أن أحدًا مات كمدًا على أخ له في الله أم أن هذا الحب الذي كرمه الله ورفع درجة أهله لم يكن ليصل بأهله إلى هذه المنزلة؟! أين ولماذا اختفت هذه الصورة من كتب تراثنا؟ أم أنها لم تحدث؟ فإن لم تكن حدثت فأولى بنا أن لا نصدق أن العشاق الذين عشقوا النساء وصورهن قد حدثت، ولم نجد في عصرنا من مات كمدًا على محبوبة أو عشيقة له، والإنسان هو الإنسان مهما تغيرت الأحوال والأزمان، فعلينا أخي القارئ أن ننتبه إلى أن مثل هذه القصص والحكايات ليست من الدقة بمكان فربما صادفت وفاة المحب حبيبه ولكن ليس هو السبب في ذلك، أو ليس حبه هو الذي أحدث به ذلك الانفطار، والله أعلم.

واختلفوا فيما يزيد العشق ويؤكده فمنهم من قال: إن الحب لا يستحكم إلا بعد أن يشق رداءه أو يشق هو برقعها، وإن لم يفعلا ذلك فسد حبهما، وإن فعلاه دام حبهما فيما ذكره حمزة الأصبهاني، وأنشد:

إذَا شقَّ بُرْد شقَّ بالبُرْد بُرْقُع دَوَالَيْك حَتَّى كُلّنا غير لابس

فكَمْ يَد شَقَقْنَا عَنْ رداء مُحَبَّرٍ وَمِنْ بُرْقُعٍ عَنْ طفْلة غَيْرَ عَابِسِ

وفي كتاب المحبّة[1] : يقال: إن شق الذيل من هيجان الطرب وشق الجيب من غليان الكرب.

فَفِي كُلِّ يَوْمَ لَنَا مَوْقفٌ نُشَقِّقُ فِيْهِ للْوَدَاعِ الجُيُوبَا

ومنهم من قال: لا يستحكم الحب إلا بعد إيقاع الوطء، وإنه إذا وطء ازدادت محبته، يُسمونه مسمار الحب[2]، وفي ذلك يقول العباس بن الأحنف فيما أنشده في جامع اللذة:

(١) في المخطوط: المحه. كأن ما في المخطوط هو الأصوب غير أني أثبت ما رجح في نفسي، فالله أعلم. فإني لم أعرف لا هذا الكتاب ولا ذاك.

(٢) قال ابن حزم في طوق الحمامة في باب الوصل (٥٩): ومن وجوه العشق الوصل، وهو حظ رفيع ومرتبة سَرِيَّة (شريفة) ودرجة عالية وسعد طالع بل هو الحياة المجددة والعيش السني، والسرور الدائم، ورحمة من الله عظيمة، ولولا أن الدنيا دار ممر ومحنة وكدر، والجنة دار جزاء وأمان من المكاره لقلنا: إن وصل المحبوب هو الصفاء الذي لا كدر فيه، والفرح الذي لا شائبة ولا حزن معه، وكمال الأماني، ومنتهى الأراجي، ولقد جربت اللذات، على تصرفها وأدركت الحظوظ على اختلافها ، فما الدنو من السلطان، ولا المال المستفاد ، ولا للوجود بعد العدم ولا للأوبة بعد طول الغيبة ولا للأمن بعد الخوف، ولا للتروح على المال، من الموقع في النفس ما للوصل، لا سيما بعد طول الامتناع وحلول الشوق، وتصرم نار الرجاء، وما أصناف الثبات بعد غب القطر، ولا إشراق الأزاهير بعد إقلاع السحاب الساريات في الزمان السجسج (أي الهواء المعتدل) ولا خرير المياه المتخللة لأفانين النوار، وتأنق القصور البيض قد أحدقت بها الرياض الخضر، بأحسن من وصل حبيب، قد رضيت أخلاقه وحمدت غرائزه وتقابلت في الحسن أوصافه وإنه لمعجز ألسنة البلغاء، ومقصر في بيان الفصحاء وعنده تطييش الألباب، وتعزب الأفهام، وفي ذلك أقول: فذكر أبياتًا له ثم قال: ومن لذيذ معاني الوصل: المواعيد، وأن للوعد المنتظر مكانًا لطيفًا من شغاف القلب، وهو ينقسم قسمين:

أحدهما: الوعد بزيارة المحب لمحبوبه، وفيه أقول قطعة منها:

أسامر البدر لما أبطأت وأرى في نوره من سنا اشراقها عرضا

فبت مشترطًا الود مختلطـًا والوصل منبسطًا والهجر منقبضًا

والثاني: انتظار الوعد من المحب أن يزور محبوبه وأن لمبادئ الوصل وأوائل الإسعاف لتولجا على الفؤاد ليس لشيء من الأشياء .

وإني لأعرف من كان ممتحنًا بهوى في بعض المنازل المصاقبة، فكان يصل متى شاء بلا مانع ولا

لَمْ يَصْفُ حُبٌّ لِمَعْشُوقَيْنَ لَمْ يَذقَا وَصْلاً يجلّ عَلَى كُلِّ اللّذَاذَاتِ

وقال هدبة بن الخشرم:

وَاللهِ مَا يشْفي الفُؤَادَ الهَائما نَفْثُ الرُّقَا وَعَقْدُكَ التَّمَائمَا
وَلاَ الْحَدِيث دُونَ أَنْ تَلاَزمَا وَلاَ اللْزَامَ دُونَ أنْ تَنَاعمَا

وقال آخر:

قُولاَ لعَاتكَـة التّـي في نَظْرَة قَضَتْ الْوَطَرْ
إنِّي أُرَيْدُك للنّكَـاح وَلاَ أُرِيْـدُك للنَّظَـرْ
لَوْ كُنْت مُقْتَنَعًا بذَاكَ كَانَ هَـذَا لِلْقَمَـرْ

[٢٥/أ] وقال آخر:

شَفَاءُ الْحُبِّ تَقْبِيْلٌ وَضَمٌّ وَوَضْع لِلْبُطُوْن عَلَى الْبُطُون
وَوَهَزٌ تَذْرِفُ الْعَيْنَان مِنْهُ وَأَخذٌ بِالْمَنَاكِبِ وَالْقُرُون

وقال آخر:

لاَ يَغْفر التَّقْبِيْـلُ إلاَّ رَبِّـي وَلاَ يُدَاوِي مِنْ حَمِيْمِ الْحُبِّ
إلاَّ احْتِضَانَ الرُّكَبِ لِلأَرْبِ يتزِعُ فِيْهِ....(١) نَزْعَ الضَّبِّ

وقال آخر على لسان طبيب:

سبيل إلى غير النظر، والمحادثة، زمانًا طويلاً ليلاً متى أحب ونهارًا، إلى أن ساعدته الأقدار بإجابة ومكنته بإسعاد بعد يأسه لطول المدة، ولعهدي به قد كاد أن يختلط عقله فرحًا، وما كاد يتلاحق كلامه سرورًا.

برغبة لو إلى ربي دعوت بها لكان ذنبي عند الله مغفورًا

ولو دعوت بها أسد الفـلاة لغـدا إضرارها عن جميع الناس مقصورا
فجاد باللثم لي مـن بعـد منعتـه فاهتاج من لوعتي ما كان معمورا
كشارب الماء كي يطفي الغليل بـه فغص فانصاع في الأجدات مقبورا
وقلت: جرى الحب مني مجرى النفس وأعطيت عينـي عنـان الفـرس
ولـي سيـد لـم يـزل نافـرًا وربما جـاد لـي فـي الخلـس
فقبلتـه طالبـا راحـة فـزاد أليـلاً بقلبـي اليبـس
وكـان فـؤادي كنبـت هشيـم يبيـس رمـي فيـه رام قبـس

ومنها:

ويا جوهر الصين سحقًا فقد عنيت بياقوتة الأندلس

(١) كلمة غير لائقة تركتها احترامًا للقارئ وتنزيهًا للقلم عن الخنا.

دَوَاءُ الْحُبِّ أنْ تَلْصِقَ الْحَشَا بِأحْشَاءِ مَنْ تَهْوَى مِنْ النَّاسِ خَالِيًا

وقال آخر:

لاَخَيْرَ فِي الْحُبِّ أبَا السَّتُور أوْ تَلْتَقِي أشْعُرهَا وَأشْعُرِي

وَأُطْبِقَ ...[١] فَوْقَ ...[٢]

وقال أبو هفان:

حُدِّثْنَا عَنْ بَعْضِ أشْيَاخنَا ابن بلاَل شَيْخنَا عَنْ شَرِيْك

لاَيَشْتَفِي العَاشِقُ مِمَّا به بالشَّمِّ وَالتَّقْبِيْلِ حَتَّى ...[٣]

وقالت امرأة حمشها معشوقها، ويقال هي أم الوَرْد:

لَيْسَ بهَذا أمَرَتْنِـــي أُمِّـــي وَلاَ بتَقْبِيْـــلٍ وَلاَ بشَـــمِّ

لَكِنْ ...[٤] قَدْ يُسَلِّي هَمي يَسْقُطُ مِنْهُ خَاتِمِي فِي كُمِّـــي

وقال أبو...[٥] وأنشد قول المأمون:

ما الحبُّ إلاّ غَمْزَة وَغَمْزُ كَفٍّ وعَضُدْ

أوْ كُتُب فِيْهَا رُقَىً أجَل منْ نَفْث العُقَدْ

مَا الْحُبُّ إلاَّ هَكَذَا إنْ نَكَحَ الْحُبُّ فَسَدْ

مَنْ كَانَ هَذَا حُبُّهُ فإنَّمَا يَنْبغِي الْوَلَـــدْ

كذب المأمون ألاَ قال كما قلت:[٢٥/ب]

بَاضَ الحُبُّ فِي قَلْبي فَوَا وَيْـــلاَ إذَا فَرَّخْ

وَمَا يَنْفَعُنِـــي حُبِّـــي إذَا لَمْ أكنس البَرْبخْ

وَإنْ لَمْ يَضَع الأصْلَعْ خُرْجَيْهِ عَلَى المَطْبَخْ

وقال غيره:

قَبَّلْتُهَا أَشْتَفِـــي بقُبْلَتِهَـــا فَزَادَ فِي ذَاكَ اللّمَا أَلَمَـــا

وَسَائلَتي عَنْ مُبْتَدا سِقَمِي فَسقْمُ جَفْنَيْك مسي هَمَّا

وقال ابن الرومي[٦]:

---

(١) موضع النقط كسابقه.

(٢) موضع النقط كسابقه.

(٣) كسوابقه.

(٤) كسوابقه.

(٥) موضع النقط غير واضح بالمخطوط.

(٦) هو أبوالحسن على بن العباس بن جريج مولى آل المنصور، الشاعر، المعروف بابن الرومي.

أُعَانِقُــهُ وَالنَّفْــسُ بَعْــدُ مشوَّقَــة   إِلَيْه وَهَل بَعْد العنَــاق تَدَانــي
وَأَلْثِمُ فَاهُ كَيْ تَمُــوت حَرَارَتــي   فَيَشْتَدُ مَا أَلْقَــى مِــنَ الهَيَمــان
وَلَمْ يَكُ مقْدَارُ الَّذي بِي مِنَ الجَوَى   لِيَشفيْه مَا قَدْ تَرْشُفُ الشَّفَتَــان
كَأَنَّ فُؤَادِيَ لَيْسَ يَشْفِــي غَلِيْلَــهُ   سوَى أَنْ تُرى الرُوحان تَمْتَزِجانِ

وأنشد بعضهم فيما ذكره كتاب قانون الأدب :

لو ضــم إلفــه ألفًــا لَمَــا   أجزى وزادتْ لوعة وغرامُ
أرواحهم منْ قبل ذاك تآلفت   تبغي اللقاء وتمنع الأجسام

وأنشدنا عبدالعزيز بن سرايا الحلي لنفسه:

زاعمًا أنها أصدق كلمة قالتها الأواخر:

يَقُوْلُونَ لِي بِاللهِ مَا أَنْتَ صَانِعٌ   إِذَا زَارَكَ المَعْشُوق؟ قُلْتُ...

وقــال العلماء في أسباب الباه: إن شهوة القلب ممتزجة بلذة العين، وحب النفس معقود باختيار الطبائع ، إلا أن يكون الحب تكلفًا ، لاستفراغ ماء الشهوة، فيصير الحرص في الجماع على قدر الهوى، والهوى على قدر المؤانسة.

فمــن وافقت عيناه قلبه ونفسه طباعه فمن يحب تمكن العشق [٢٦/أ] فيرتفع عن حال فضل الشهوة، فيصير في باب ما تكره المرأة من الرجل ولهذا:

قال أيمن بن خريم(١):

= قــال الذهــبي في سير أعلام النبلاء (٤٩٥/١٣): شاعر زمانه مع البحتري ... له النظم العجيب والتوليد الغريب، رتب شعره الصُولي، وكان رأسًا في الهجاء، وفي المديح، وهو القائل:

آراؤكم ووجُوهُكُم وسُيُوفُكُم   في الحادثات إذا دَجَون نجومُ
منها معالــم للهدى ومصابــحٌ   تجلــي والأخريات رُجُومُ

مولــده سنة إحدى وعشرين ومائتين. ومات لليلتين بقيتا من جمادى الأولى سنة ثلاث وثمانين. وقيل : سنة أربع . قيل: إن القاسم بن عبيد الله الوزير كان يخاف من هجو ابن الرومي، فدس عليه من أطعمه حشــكناكة مسمومة، فأحس بالسم، فوثب، فقال الوزير: إلى أين؟ قال: إلى موضع بعثتني إليه. قال: سلم على أبي. قال: ما طريقي على النار. فبقي أيامًا ومات. ومن مصادر ترجمته:
تــاريخ بغــداد (٢٣/١٢)، المنــتظم (١٦٥/٥)، وفــيات الأعيان (٢٥٨/٣)، البداية والنهاية (٧٤/١١)، شذرات الذهب (١٨٨/٢).

(١) قــال ابــن قتيبة في الشعر والشعراء (١٣١): هو أيمن بن خريم بن فاتك من بني أسد، وكان أبوه صــحب الــنبي صــلى الله علــيه وسلم، وروى عنه أحاديث، وكان به برص، وكان أثيرًا عند عــبدالعزيز بــن مــروان، فعتب عليه في شيء، فقال له: طرف ملومة، قال له: أنا ملومة، وأنا =

يُمِيْتُ العِتَاب خِلاَط النِّسَاء ... وَيُحْيِي اجْتِنَابُ الخِلاَطِ العِتَابَا

وقال آخر:

رَأَيْتُ حُبِّي سُعَاد بلاَ جماعٍ ... فَقَالَتْ جَلّنَا حَبْــلِ انْقطَــاعِ
وَلَسْتُ أُرِيْدُ حُبًّا لَيْسَ فِيْــهِ ... حَمِيْدَ الذِّكْرِ عن وسَاعِ
إذَا الْمَحْبُوبُ لَمْ يَكُ ذَا قمدٌ ... تَرَى الْمَعْشُوق كَالشَّيْءِ الْمُضَاعِ

وقال جرير:

تُكَلِّفُنِي مَعِيْشَــة آل زَيْــدِ ... وَمَنْ لِي بِالْمرَقّقِ والصّنَــابِ
وَقَالَتْ ألاَ تَضم كَضَم زَيْدٍ ... وَمَا ضَمِّي وَلَيْسَ مَعِي شَبَابِ

وقال زهير بن مسكين النميري:

وكان تزوج جارية و لم يكن عنده ما يرضيها به.

وقال الترمذي في كتاب الروضة: كان عشقها واستهام بها، فلما أمكنته من نفسها لم تر عنده ما يرضيها، ذهبت و لم ترجع إليه بعد، فقال في ذلك أشعارًا كثيرة منها:

= أوكلك، فلحق ببشر بن مروان، فاحتضنه وأكرمه وكان لا يواكله.

.... وقــال له عــبدالملك خذ هذا المال وانطلق فقاتل ابن الزبير فإن أباك كانت له صحبة فأبى وقال:

ولست بقاتل رجل يصلي ... على سلطان آخر من قريش
له سلطانه وعلى وزري ... معاذ الله من سفــه وطيش
أأقتل مسلمًا وأعيش حيًّا ... فليس بنافعي مادمت عيشي

وكان غزا مع يحيى بن الحكم فأصاب يحيى جارية برصاء، فأهداها له فغضب، وقال:

تركت بني مروان تندي أكفهم ... وصاحبت يحيى ضلة من ضلاليا
حليلاً إذا ما جئتــه أو لقيتــه ... يهيم بشتمي أو يريــد قتاليــا
فإنك لو شبهت مروان لم تقل ... لقومي هجرًا إذ أتوك ولا ليا

وهو القائل:

لقيت من الغانيات العجبــا ... لو أدرك من العذاري الشبابا
ولكن جمع العذاري الحسان ... عناء معن إذا المــر شابــا
يرضن بكــل عصا رائــض ... ويصبحن كل غداة صعابــا
علام يكحلــن حور العيون ... ويحدثن بعد الخضاب الخضابا
ويبرقن إلا لمــا تعلمــون ... فلا تحرموا الغانيات الضرابا

ثم دكر البيت المذكور هنا وشطره الأول على النحو التالي:

يميت اختلاط النساء العتاب

تَقُولُ وَقَدْ قَبَّلْتُهَا أَلْفَ قُبْلَةٍ ... كَفَاكَ أَمَا شَيْءٌ سِوَى الْقُبَلْ
فَقُلْتُ لَهَا حُبٌّ عَلَى الْقَلْبِ حِفْظُهُ ... وَطُول نُعَاسٍ تَسْتَفِيْضُ لَهُ المُقَلْ
فَقَالَتْ وَايْمُ اللهِ مَا لَذَّةُ الفَتَى ... مِنْ حُبٍّ فِي قَوْلٍ يُخَالِفُهُ الْعَمَلْ[1]

وقال آخر:

وَإِذَا الْفَتَى أَبْدَى العَفَافَ عَنِ الخَنَا ... وَتَعَشَّقَ الغِزْلَانَ وَهُوَ ظَنِيْن
مَا يَرْعوي عَنْ.... مَحْبُوبٍ لَهُ ... فِي النَّاسِ إِلاَّ العَاجِزُ العِنِّيْن

[٢٦/ب] وقال آخر:

أَسْقَمَ قَلْبِي ثُمَّ لَمْ يُبْرِهِ ... عَاقِدُ زِنَّارٍ عَلَى خِصْرِهِ

---

(١) ومن أجل هذا وغيره، أجاز الإسلام زواج كبار الرجال من صغيرات السن لبيان جواز ذلك الأمر وعدم تحريمه أو الاستهزاء ممن يفعل ذلك.

ولكن حض وحرَّض على التكافؤ بين الطرفين من الناحية السِّنِّيَّة والاجتماعية وحبب في الأبكار عن الثيبات.

وإني لأهيب بكل رجل تقدم به السن أن يقدم على مثل هذا الأمر حتى لا يكون ألعوبة في يد المرأة التي عادة ما تقبل له كارهة تحت وطأة الفقر أو غياب العائل وكثيرًا ما تتمنى موته هذا إذا كان عندها بقية من دين، فإن لم يكن عندها بقية من دين، فربما دبرت المؤامرات لقتله أو اغتياله للخلاص منه والانفراد بالثروة لتنفقها على شاب آخر تجد نفسها معه وتجد عنده ما يرضيها وما تأمله المرأة في الرجل.

وإني لأعرف في حياتي الكثير من الرجال ذوي الوجاهة الاجتماعية تزوجوا بصغيرات السن وكانوا قد تقدم بهم العمر، فعرضوهم لإهانات لا يمكن أن يرضى بها أي شخص غيرهم وكانوا يلومون هم من يأتي أقل مما يأتون بعشرات المرات فأصبحوا يفعلون أكثر مما كانوا يستنكرون إذعانًا لرغبات هؤلاء الزوجات ، ومن بين ممن أعرف رجلا قد تجاوز السبعين من العمر وهو من مشاهير رجال الأعمال وهو رجل صعيدي ما عرف في حياته من الملابس سوى الجباب والقفاطين والجلاليب (القمص) والعمائم الكبيرة، ثم ماتت زوجته فتزوج امرأة أقل من الثلاثين ، فأرغمته على لبس حلة (بذلة) كامله أي بدلة بكرفات ودبوس وأزرار معدنية وما إلى ذلك فكان الرجل يجلس بين الناس وهو يشعر أنه عار تمامًا وإذا لقي من يعرف يستحي من نفسه فيصرف وجهه عنه قدر المستطاع حتى لا يراه فكان يتحاشى الجلوس مع الناس حتى آل به الأمر إلى أن بقي في مقر عمله وترك أولاده يتصرفون في تجارته حرجًا من ذلك الملبس وهو لباس لا بأس به غير أنه لم يعتده.

فاحرص أخي على التكافؤ عند الزواج وانصح غيرك بذلك قدر الطاقة، ولكن لا مانع من زواج الكبار للصغيرات شرعًا.

لاَ تَلْتَقِي رُوْحِي وَلاَ رُوحُهُ   حَتَّى أرَى بَطْنِي عَلَى صَدْرِهِ

وطائفة يعتقدون أن هذا الفعل يفسد العشق وعلته:

أن سبب العشق فكري غير ثابت فكما أن الشوق الذي يهتاج مع فقد ما حنَّ إليه لا يلبث إلا زمانًا يسيرًا ثم يضمحل، والذي يهتاج بعد زمان طويل يكون أبقى على الأزمنة

وَلَوْ لَمْ .... دَامَ لِي وَصْلُهَا   لكنني .... فلا ....

وقال علي بن يحيى، لمحمد بن الحارث المغني:

أكْثَرْتَ مِنْ... و... مَقْطَعَةٌ   فَارْفِقْ ... إنَّ الرِّفْقَ مَحْمُودُ

وذكر ابن المرزبان: أن أعرابيًا قال: علقت امرأة كنت آتيها. فأخذتما سنين وما جرت بنا ريبة قط إلاّ أني رأيت يومًا بياض كَفِّهَا في ليلة ظلماء، فوضعت يدي على يدها.

فقالت: مَهْ لا تفسد ما صَلُح فإنه ما نكح حُبٌّ قط إلاَّ فَسَدَ.

وأما نكاح الطيف[1] : فاختلفوا فيه: فأما أبو تمام الطائي فقال: لا يفسد بخلاف

---

(١) يريد به ما يراه النائم في منامه أو بالأحرى ما يراه العشيق في منامه من بلوغ مرامه من عشيقته وكذا العشيقة من عشيقها وهو ما يسمى في علوم الإشارات أو التعبير بحديث النفس، أو ما يتحيله أحدهما في صاحبه، أو التمني والله أعلم.

قال ابن حزم في طوق الحمامة (ص:٩٦): وللشعراء في علة مزار الطيف أقاويل بديعة بعيدة المرمى مخترعة، كل سبق إلى معنى من المعاني، فأبوإسحاق بن سيار النظام رأس المعتزلة جعل علة مزار الطيف خوف الأرواح من الرقيب المرقب على بهاء الأبدان.

وأبو تمام حبيب بن أوس الطائي جعل علته أن نكاح الطيف لا يفسد الحب ونكاح الحقيقة يفسده.

والبحتري جعل علة إقباله استضاءته بنار وجده وعلة زواله خوف الغرق في دموعه. وأنا أقول من غير أن أمثل شعري بأشعارهم فلهم فضل التقدم والسابقة، إنما نحن لا قطون وهم الحاصدون، ولكن اقتداء بهم وجريًا في ميدانهم وتتبعًا لطريقتهم التي نهجوا وأوضحوا، أبياتًا بينت فيها مزار الطيف مقطعة... ثم ذكر أبياتًا له، ثم قسم أحوال أهل مزار الطيف أربعة أقسام ألخصها فيما يلي: ألأول: محب مهجور قد تطاول غمه. والثاني: محب مواصل مشفق من تغير يقع . الثالث: محب داني الديار يرى أن التنائي قد مدحه. الرابع: محب نائي المزار يرى أن المزار قد دنا والمنازل قد تصاقبت. وله:

طاف الخيال على مستهتر كلف   لولا ارتقاب مزار لم ينم

لا تعجبوا إذا سرى والليل معتكر   فنوره مذهب في الأرض للظلم

نكاح الحقيقة . وخالفه في ذلك آخرون[١].

ومنهم: من إذا أفضى إلى معشوقه اقتصر على الترشف والشم والعناق دون مس أو تعرض لنكاح يمنعهم من ذلك التورع، ويحجزهم التكرم[٢].

وهـــذا هـــو مقصودنا في هذا الكتاب وعليه أصّلنا الكتاب: فلشعرهم رقة لعبت بـــالعقول مـــن قبيل العفة التي في سجاياهم، والصدق الذي جلبت عليه طباعهم، وأنها صـــدرت عـــن نفـــوس أبية، وقلوب نقية، وصدور عفيفة، وأخلاق شريفة، لم تدنس بالشـــهوات، و لم تشن بالشبهات، قد ألفت الغرام، فلو بان عنها أسفت عليه، وتلذذت بالسقام.

[٢٧/أ] فلـــو فقدته جوانحها التي حنيت عليه ليصير ذلك لمن تأمله خلقًا وسجية، ولا تحمل إشاراتهم إلاّ على ما اتضح له من الحسن الجميل ولا يسلك طريقهم إلا وله من المحاسن المأثورة منهم أحسن هاد[٣]، وأصل ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: ((**من لم يكن له ورع يصده عن معصية الله إذًا خلا لم يعبأ الله بشيء من عمله**))[٤].

---

(١) ذكر السراج في مصارع العشاق زيارة الطيف فذكرها شعرًا له ، أذكر منه هذه الأبيات:

قالـــت: كنـــت يـــا صاحبنـــا ... قبل هذا عندنا محتشمـــا
إن ثـــوب الصـــون والعفـــة ... دون ما تطلبه منا حمـــى
ليـــس بعـــد اليـــوم إلا طيفًـــا ... يمتطي الليل إذا ما أظلما
قلت: يا هدي هي الطيف سري ... أيزور الطيف إلا النُّوَّما

(٢) كـــل هذا حرام وغير مباح، وهذا وإن كان من اللجم إلا أنه كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يقـــع فيه، والإسلام قطع السبيل على الزنا من أول أسبابه وهو النظر فقال: ﴿**قل للمؤمنين يغضـــوا مـــن أبصـــارهم ويحفظـــوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون* وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن**﴾ [النور: ٢٩، ٣٠].

(٣) جـــاء بالهامش قطعتان من الشعر لا أدري أهما تعليق من الناسخ أم سقط لم يشر إلى موضعه؟ وبها كلمات غير واضحة أذكرها قدر الميسر منها:

فسألتها يـــوم زارت...... يرقعها ... . وإيداع سمعي أطيب الخبر
فزحزحت شيئا غشى ثنا قســـــر ... وساقه.... لؤلؤا من خاتم عطر

وقال:

سألتها عن فؤادي أين مسكنه ... .عند مسراها
قالت لدي قلوب جمعت فرقا ... فأيها انت تعني ؟ قلت : أشقاها

(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦٥/٢).

قال إبراهيم بن هرمة[1]:

فَلَرُبَّ لَذَّة لَيْلَة قَدْ نِلْتُهَا ... وَحَرَامُهَا بِحَلالِهَا مَدْفُوعُ

وقال غيره:

إذَا مَا هَمَمْنَا صَدَّدتْنَا نُفوسُنَا كَمَا ... صُدِّمَا التَّهْمِيْمُ يَا صَاحِ يُوسُف

وقال غيره:

أتأْذَنُونَ لِصَبٍّ فِي زيَارَتِكُمْ ... فَعِنْدَكُمْ شَهَوَات السَّمْع والْبَصَر

لاَ يُضْمِرُ السُّوء إنْ طَالَ الجُلُوسُ بِهِ ... عَفُّ الضَّمِيْرُ وَلَكِنْ فَاسِقُ النَّظَر

وقال غيره:

أُنسُ حَرَائر مَا هَمَمْنَ بِرِيْبَةٍ ... كَظِبَاء مَكَّةَ صَيْدُهُنَّ حَرَامُ

يُحْسَبْنَ مِنْ لِيْنِ الكَلاَم زَوَانِياً ... وَيَصُدُّهُنَّ عَن الخَنَا الإسْلاَمُ

وقال مسلم بن الوليد:

ألاَ رُبَّ يَوْم صَادِق العَيْش نِلْتُهُ ... بِهَا وَنَدَامَاي العَفَافَةُ والوَرَع

وقال غيره:

تَلْهُوا بِهِنَّ كَذَا مِنْ غَيْر فَاحِشَة ... لَهْوَ الصِّغَارِ بِتُفَّاحِ البَسَاتِيْنِ

[وقال][2] الشريف الرضي[3]:

---

(١) قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (١٧٥): هو من الخلج من قيس عيلان. ويقال: إنهم من قريش، وسموا بذلك لأنهم اختلجوا منهم، وكان ابن هرمة ساقة الشعراء، حدثني عبدالرحمن عن الأصمعي أنه قال: ساقة الشعراء: ابن ميادة، وابن هرمة، ورؤبة، وحكم الخضري حي من محارب وقد رأيتهم أجمعين. وكان ابن هرمة مولعًا بالشراب، فأخذه صاحب شرطة زياد على المدينة، وجلده في الخمر، وهو زياد بن عبدالله الحارثي، وكان عليها في ولاية أبي العباس فلما ولي المنصور شخص إليه، فامتدحه فاستحسن شعره، وقال: سل حاجتك، قال: تكتب إلى عامل المدينة لا يُحدني في الخمر، قال: هذا حق من حقوق الله . وما كنت لأُعطله، قال: فاحتل لي فيه يا أمير المؤمنين، فكتب إلى عامله مَنْ أتاك بابن هرمة سكران فاجلده مائة واجلد ابن هرمة ثمانين، فكان الناس يمرون به وهو سكران ، فيقولون : مَن يشتري ثمانين بمائة، وهو القائل:

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه ... خلق وجيب قميصه مرقوع

أما تريني شاحبًا متبذلاً ... فالسيف يخلق جفنه فيضيع

فلرب لذة ليلة قد نلتها ... وحرامها بحلالها مدفوع

(٢) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق.

(٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/٢٨٥): أبوالحسن محمد بن الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى، الحسيني، الموسوي، البغدادي الشاعر، صاحب الديوان . له نظم الذروة حتى قيل: هو أشعر الطالبيين. ولي النقابة بعد أبيه، وديوانه يكون أربعة مجلدات .

=

بِتْنَا ضَجِيْعَيْنِ فِي ثَوْبِ هَوَى وَتُقَى ... يَلُفُّنا الشَّوْقُ مِنْ فَرْعٍ إِلَى قَدَمِ
يُثْنِي مِنَّا الطِّيْبُ أَحْيَانًا وَآونَةً ... يُضِيءُ لَنَا البَرْقُ مُجْتَازًا عَلَى أَضَمِ
ثم انْثَنَيْنَا وَقَدْ رَانَتْ ظَوَاهِرُنَا ... وَفِي بَوَاطِنِنَا بُعْدٌ عَنِ التُّهَمِ

وقال غيره:

إِنْ تَرَيْنِي زَانِي العَيْنَيْنِ فالْفَرجُ عَفِيفُ ... لَيْسَ إِلاَّ النَّاظِر الفَاتِر والشِّعْر الظَّرِيفُ

وقال أبو عبدالرحمن العطوي: إن أكن عاشقًا فإني عفيف اللفظ والفرج عن ركوب الحرام.

وقالت امرأة: [٢٧/ب]

أُرَاقِبُ رَبِّي وَالْحَيَاءُ يَكُفُّنِي ... وأُكْرِمُ زَوْجِي أَنْ تُرَامَ مَرَاكِبُه

وقال الحسين بن مطير:

أُحِبُّكِ يا لَيْلَى عَلَى غَيْرِ رِيْبَة ... وَمَا خَيْرُ حُبٍّ لا تعف سَرَائِرُهُ
أُحِبُّكَ حُبًّا لاَ أعنّف بَعْدَهُ ... مُحِبًّا وَلَكِنِّي إِذَا لِيْمَ عَاذِرُهُ

[وقال](١) ابن الدمينة(٢):

=

وله كتاب معاني القرآن، ممتع يدل على سعة علمه.

مات في المحرم، وقيل: صفر سنة ست وأربعين ومائة، وله سبع وأربعون سنة وكان شيعيًا ومن مصادر ترجمته:

يتيمة الدهر (١٣١/٣)، تاريخ بغداد (٢٤٦/٢)، المنتظم (٢٧٩/٧)، المحمدون من الشعراء (٨٩،خ)، الكامل في التاريخ (٢٦١/٩)، وفيات الأعيان (٤١٤/٤)، الذريعة (١٦/٧)، المختصر في أخبار البشر (١٥٢/٢)، العبر (٩٥/٣)، الوافي بالوفيات (٣٧٤/٢)، مرآة الجنان (١٨/٣)، البداية والنهاية (٣،٤/١٢)، نزهة الجليس (٣٥٩/١)، شذرات الذهب (١٨٢/٣).

(١) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق.

(٢) هو عبدالله بن عبيد الله بن عمرو ويقال: عبيد الله بن عبدالله، أحد بني مبشر بن أكلب بن ربيعة بن عفرس بن خلف بن أقبل، يكنى: أبا السري، غلبت عليه أمه الدمينة بنت حذيفة السلولية. شاعر إسلامي بين متقدمي الأمويين، شعره أكثره في الغزل وكان موضع ثناء، وكان من الأصوات المختارة للغناء عند المهدي، وهارون الرشيد. ومما يستحسن من شعره قوله:

يا ليتنا فردا وحشية أبدا ... نرعى المتان ونخفي في نواحيها
أونيت كدر القطا حلقن بي وبها ... دون السماء فعشنا في خوافيها
أكثرت من ليتنا لو كان ينفعنا ... ومن منى النفس لو تعطى أمانيها

ومن مصادر ترجمته: الشعر والشعراء (١٧١)، سمط اللآلئ (١٣٦)، تاريخ التراث (٢١٠/٣/٢).

بِتْنَا فَوْقَ الحَيِّ لاَ نَحْنُ مِنْهُمْ ... وَلاَ نَحْنُ بالأَعْدَاء مُخْتلطَان
وَبَاتَ يَقِيْنا سَاقط الطَّلِّ وَالنَّدَى ... منَ اللَّيْل بُرْدي يُمْنَه عَطْرَانَ
تَذُوْد بذْكر اللهَ عَنّا غوى الصِّبَا ... إذَا كَانَ قَلْبًا ثابتًا يزْدان
وَنَصْدُرُ عَنْ ريِّ العَفَاف وَرُبَّمَا ... نَقَعْنَا عَلِيْلَ الحُب بالرَّشَفَان

وأنشدنا العلامة محمود بن سليمان لنفسه رحمه الله، وهو لزوم ما لا يلزم:

للهِ وَقْفَةُ عَاشقَيْنِ تَلاَقَيَا ... منْ بَعْد طُوْلِ نَوىً وَبُعْد مَزَار
يَتَعَاطَيَا زَيْنَ الغَرَام مُدَامَة ... زادهما بعدًا من الأوْزَار
صَدَقَا الغَرَام فَلَمْ يَملْ طَرْفٌ إلَى ... فُحْش وَلاَ كَفٌ لحَلِ إزَار
فَتلاَقيَا وَتَفرَّقَا وَكلاَهُمَا ... لَمْ يَخْشَ مَطْعَن عَائب أوْ زَار

وقيل لآخر: ما كنت صانعًا لو ظفرت بمن تحب؟

فقال : أحُل الخمار وأحرم ما وراء الإزار وأظهر للحبِّ ما يرضي الرَّبّ.

وقيل لبثينة[1]: هذا جميل لما به، فهل عندك من حيلة تُنَفِّسِيْنَ بها وَجْده؟

فقالت: ما عندي أكثر من البكاء[2] إلى أن ألقاه في الدار الأخرى، أو زيارته وهو ميت تحت الثرى.

وقيل لعتبة بعد موت قابوس: ما كان يضرك لو أمْتعتيه بوجهك؟

قالت: منعني من ذلك خوف العار، وشماتة الجار، ومخافة الجبار، وإن بقلبي أضعاف ما في قلبه غير أني أجد سَتْرَهُ أبقى للمودة وأحمد للعاقبة وأطوع للرب وأخف للذنب[3].

[٢٨/أ] قال نفطويه:

كَمْ قَدْ خَلَوْت بَمَنْ أَهْوَى فَيَمْنعني ... منْهُ الحَيَاءُ وَخَوْفُ الله وَالحَذَرُ
وَكَمْ ظَفَرتُ بِمَنْ أَهْوَى فَيُقْنِعُنِي ... مَنْه الفُكَاهَة وَ التَّحمْيشُ والنَّظرُ

---

(١) بثينة هذه هي صاحبة جميل وهما مشهوران في العشاق وهما شاعران من شعراء العرب وسيأتي ذكر ترجمتها عند ذكر قصتها مع جميل إن شاء الله تعالى من هذا الكتاب. وقد ذكر ما هنا عنها محمد رضا كحالة في كتابه أعلام النساء في ترجمتها (١/١١٠).

(٢) في المصدر السابق: انظر (١/١١٦).

(٣) هذا قول عاشقة تتعذب بما في قلبها وهي تخاف ربها وترجو اليوم الآخر وتصبر على ما ابتليت به من آلام البعد والجوى وما تقاسيه من آهات العشق والشوق إلى محبوبها ولكنها أراحت نفسها بعقل راجح وهو إرجاؤها هذا اللقاء إلى يوم الجمع عسى ربها أن يغفر لها ويرحمها وينيلها ما كانت ترجو منه سبحانه وتتمنى والذي امتنعت عنه في الدنيا حرامًا **﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾** [الزمر: ١٠].

أَهْوَى المِلاَحَ وَأَهْوَى أَنْ أُخَالِطَهُم   وَلَيْسَ لي في حَرَامٍ منْهُمُ وَطَرُ
كَذَلِكَ الْحُبّ لاَ إتيَانُ مَعْصِيَةٍ   لاَ خَيْرَ في لَذَة منْ دُونهَا سَقَرُ

وذكر الحافظ أبو محمد الأموي: أن امرأة يثق بها حدثته: أن فتى علقها، وشاع أمرهما، فاجتمعا يوما خاليين، فقال لها: هلمي نحقق ما يقال فينا.

فقالت: لا والله لا كان هذا أبدًا، وأنا أقرأ: ﴿**الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدوٌّ إلاّ المتقين**﴾(1).

وقال: وأعرف من خلا بجارية حسناء فعرضت له بكلام التصريح دونه، فقطع محاوبتها واشتغل بغير ذلك، فحملها الحياء على أن لا تعاود(2).

وأنا(3) أعرف: شخصًا عُرض عليه هذا الفعل، من غير ما حسناء، ذات منصب، في خلوة، وهو عزب، مكررات له ذلك إذا خلون به، ولا يزيده ذلك منهن إلا نفورًا.

ولله الحمد الذي جعل في هذه الأعصار من يرغب في الجنة، ويخاف من النار، راغبًا للدخول في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**ورجل دعته امرأة ذات حسن ومال، فقال: إني أخاف الله رب العالمين**)) (4). والذي لا أرتاب فيه صحته: أن لو طال على هذا الإنسان هذا الامتحان لحادت طباعه [28/ب]وزال امتناعه.

ولكن الله تعالى بفضله عصمه بانقطاع تيك الأسباب، وغلق تلك الأبواب كلها،

---

(1) سورة الزخرف (الآية: 67)، وهذه أيضًا حافت ربها غير أنها كسابقتها حلت بمعشوقها، ولم يكن هو على نفس المستوى من الإيمان والخوف والتقوى.

(2) هذا على العكس من صاحبه وهي على العكس من صاحبتها في القصة السابقة وربما كانت هذه القصة وسابقتها من صنع من يضعون الأحاديث والأخبار حيث ترى التركيب إذ يأتي بقصة وبعكسها وربما كان ذلك محض توافق فالله أعلم وأنا لا أطعن في قائل الخبرين، وإنما أقول إن الخبرين وضعا عليه.

(3) هذا هو مؤلف الكتاب ذكرته القصص السابقة ما علم أو رأى في حياته من مثيلاتها، ثم أبدى إعجابه بهذا الشاب ورجى من ربه أن يحفظه فيما بقي من حياته وقد ذهب المؤلف وصاحبه سائلاً الله لهما الرحمة ولنا ولكم حسن الختام.

(4) هذا حديث صحيح أوله: ((**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله...**)) .

وأطراف هذا الحديث عند : البخاري في الصحيح (1/2،168/138، 8/126)، مسلم في الصحيح الزكاة ب3 رقم (9)، الترمذي في الصحيح (2391)، النسائي في المجتبى (8/222)، أحمد في المسند (2/439)، وابن عبدالبر في التمهيد (2/280)، ابن خزيمة في الجامع الصحيح (358)، البغوي (2/354)، المنذري في الترغيب والترهيب (1/217)، ابن حجر في فتح الباري (2/12،143/112)، البغوي في التفسير (1/293)، الخطيب في تاريخ بغداد (12/239)، والعراقي في تخريج أحاديث إحياء علوم الدين (1/296).

ومن ذا الذي تصفو سجاياه كلها.

إنَّ مَنْ يَرْكَبُ الفَوَاحِشَ سرًّا … حِيْنَ يَخْلُو بسرِّهِ غَيْرِ خَالِ
كَيْفَ يَخْلُو وَعِنْدَهُ كَاتِبَاهُ … شَاهِدَاهُ وَرَبُّهُ ذو الجَلالِ

وقال آخر:

لعَمْرِكَ مَا أَدْنَيْتُ كَفِّي لِرِيْبَةٍ … وَلاَ حَمَلَتْنِي نَحْو فَاحِشَةٍ رِجْلي
وَلاَ قَادَنِي سَمْعِي وَلاَ بَصَرِي لَهَا … وَلاَ دَلَّنِي رَأْيِي عَلَيْهَا وَلاَ عَقْلِي(١)

ولقد عهدت: شابًّا من أترابي هوى جارية وهوته، حتى كادا ينفضحان وأنهما خليا يومًا لا يراهما إلا الله، فلم يقدر منها إلا على قبلة واحدة

لَمْ أَنَلْ منه شيئًا غَيْرَ قُبْلَته … وكَانَ ذَاكَ عِنْدي أَعْظَم المِنَن

فأخذته رعدة شديدة كاد قلبه ينخلع فافترقا وقد خافت عليه الموت مما رأت وإلى الآن ما عزم على اجتماعه معها إلا ارعدت مفاصله(٢).

وقال بعضهم:

أَقُولُ وَقَدْ حَاوَلْتُ تَقْبِيْلَ خَدِّهَا … وَبِي رِعْدَةَ أَهْتَزُّ مِنْهَا وَأَسْكُنُ
فَدَيْتُكِ إِنِّي أَشْجَعُ النَّاسِ كُلِّهِمْ … لَدَى الحَرْبِ إِلاَّ أَنَّنِي عَنْكِ أَجْبَنُ

وقال بعض العلماء من أهل المدينة فيما ذكره عمر بن شبة(٣): كان الرجل يحب

---

(١) هذه تزكية للنفس والسعادة بها على أنها ما زالت مطيعة لصاحبها على فعل الخير ولم تأمره بشر حتى خطة قوله ذلك الشعر، ثم تزكية لباقي جوارحه من سمع وبصر ويد وقدم، وإن كانت التزكية للنفس غير مباحة ومذمومة إلاّ أنها في مثل هذه المواطن فلا بأس بها حتى يحث غيره على التأسي به والصبر على الطاعة، والانصراف عن المعصية لينال خيري الدنيا والآخرة.

(٢) ذكرتني هذه القصص بقول القائل: وللناس فيما يعشقون مذاهب.
ولا يغرنك أخي مثل هذه القصص ولا تتبع نفسك، هواها ولا تتبع حطوات الشيطان فيرديك في أقرب هاوية تقابلك فإن حبائله كثيرة وحيله متعددة وشرائكه خادعه وألوانه متطايفه، فابتعد قدر طاقتك عن هذه المواطن عصمنا الله وإياك من الزلل.

(٣) في المخطوط عمرو، وهو تحريف، والتصويب من سير أعلام النبلاء (١٢/٣٦٩) وقال: عمر ابن شبة بن عبدة بن زيد بن رائطة، العلامة الإخباري الحافظ الحجة صاحب التصانيف، أبو زيد، النميري، البصري، النحوي، نزيل بغداد. ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة ... وثقه الدارقطني، وقال عبدالرحمن بن أبي حاتم: كتبت عنه مع أبي، وهو صدوق صاحب عربية وأدب.
وقال أبوحاتم البستي: مستقيم الحديث، وكان صاحب أدب وشعر، وأخبار، ومعرفة بأيام الناس.
قال أبوبكر الخطيب: كان ثقة عالمًا بالسير، وأيام الناس، وله تصانيف كثيرة، وكان نزل بسر من رأي، وتوفي بها.
وذكر عمر بن شبة أن اسم أبيه زيد ولقبه شبَّة، لأن أمَّه كانت ترقصه وتقول:

الفتاة فيطيف بدارها حولاً، يفرح إن رأى من رآها.

كَبُرَتْ همَّة عيْن طَمعَتْ في أنْ تَرَاكَا
أوَ مَا حَظّ لعَيْنٍ أنْ تَرَى مَنْ قَدْ رآكَا

فإن ظفر بها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار.

والسيوم مشيرًا إليها وتشير إليه، فيعدها وتعده، فإذا التقيا لم يشك حبًّا، ولا ينشد شعرًا، وقام إليها كأنه أشهد على نكاحها أباهريرة. [٢٩/أ]

لم يحظ من داخل الدهليز منصرفًا إلا وخلخالها قد قارن الشنفا

وقال الأصمعي: قلت لأعرابية: ما يعدون العشق فيكم؟

قالت: العناق، والضمة، والغمزة، والمحادثة.

ثم قالت: يا حضري، فكيف هو عندكم؟

قلت: يقعد ما بين رجلي عشيقته ثم يجهدها.

قالت: يا ابن أخ، ما هذا عاشق هذا طالب ولد.

وسئل أعرابي عن ذلك فقال: مصُّ الريق، ولثم العشيقة، والأخذ من أطايب الحديث(١).

=

يابأبي وشبًا وعاش حتى دبّا
شيخًا كبيرًا خبّا

قال ابن المنادي: مات بسر من رأى يوم الاثنين لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين ومائتين، وكان قد جاوز التسعين، كذا قال:

ومن مصادر ترجمته: الجرح والتعديل (٦/١١٦)، تاريخ بغداد (١١/٢٠٨)، معجم الأدباء (١٦/٦٠)، وفيات الأعيان (٣/٤٤٠)، تذكرة الحفاظ (٢/٥١٦)، العبر (٢/٢٥)، تهذيب التهذيب (٧/٤٦٠)، شذرات الذهب (٢/١٤٦)، طبقات الحفاظ (٢٢٥)، المنتظم (٥/٤١).

(١) قال ابن حزم في طوق الحمامة في باب الوصل (٦٣): وإني لأعلم فتى وجارية كان يكلف كل واحد منهما بصاحبه، فكانا يضطجعان إذا حضرهما أحد وبينهما المسند العظيم من المساند الموضوعة عند ظهور الرؤساء على الفرش ويلتقي رأساهما وراء المسند ويقبل كل واحد منهما صاحبه ولا يريان وكأنهما إنما يتمددان من الكلل.

ولقد كان بلغ من تكافئهما في المودة أمرًا عظيمًا إلى أن كان الفتى المحب ربما استطال عليها....

وإن للوصل المختلس الذي يخاتل به الرقباء ويتحفظ من الحضور، مثل الضحك المستور، والنحنحة، وجولان الأيدي والضغط بالأجناب، والقرص باليد والرجل لموقعًا من النفس شهيًا، وفي ذلك أقول:

إن للوصل الخفي محلاً ليس للوصل المكين الجلي

=

فكيف هو فيكم أيها الحضري؟

فقال: العسف الشديد، والجمع بين الركبة والوريد، ورهز يوقظ النيام، ويوجب الآثام.

فقال: تالله ما يفعل هذا العدو المكيد، فكيف بالحبيب الودود.

إذَا كَانَ حَظّ المرء ممَّنْ يُحبُّهُ ... حَرَامًا فَحَظِّي مَا يَحلُ ويَجْمُلُ
حَديْثٌ كَمَا المُزْن بَيْنَ فُصُولهِ ... عتَابٌ به حسْن الحَديْث يُفصَّلُ
ولَثْمُ فَم عَذْب اللِّسَان كَأنَّمَا ... جَنَاهُنَّ شَهْدٌ فُتَّ فيْه القَرُنْفلُ
وَمَا العشْقُ إلاَّ عفَّة وَنَزَاهَة ... وَأنْسُ قُلُوب أنْسُهُنَّ التَّغَزُّلُ
وإنِّي لأَسْتَحْيي الحَبيب من الَّتي ... تُرِيبُ وأُدْعَى للْجَميْلِ فَأجْمَلُ

وقد قيل لبعضهم: وقد طال عشقه بجارية من قومه، ما أنت صانع إن ظفرت بها لا يراكما إلا الله تعالى؟

قال: والله لا جعلته أهون الناظرين، لا أفعل بها خاليًا إلا ما أفعله بحضرة أهلها: حنين طويل، ولحظ من بعيد، وأترك ما يكره الرب ويفسد الحب.

وقيل لآخر: وقد تزوجت محبوبته، أيشك أن تظفر بها الليلة في غفلة من الرقباء؟

قال: نعم. قالوا: فما كنت صانعًا بها؟

قال: لثمها وضمها، وعصيان الشيطان في إثمها، ولا أفسد عشق عشرين سنة بلذة ساعة واحدة [٢٩/ب] ويبقى حسابها وذميم عارها، إني إن فعلت هذا لذميم و لم يلد في كريم.

=

لذة أمرها بارتقاب ... كمسير في خلال النقي

... ولقد حدثني شقة من إخواني جليل من أهل البيوتات: أنه كان علق في صباه جارية كانت في بعض دورهم آلة، وكان ممنوعًا منها فهام عقله بها، قال لي: فتنزهنا يومًا إلى بعض ضياعنا بالسهلة غربي قرطبة مع بعض أعمامي فتمشينا في البساتين وأبعدنا عن المنازل ، وانبسطنا على الأنهار إلى أن غيمت السماء، وأقبل الغيث، فلم يكن بالحضر من الغطاء ما يكفي الجميع . قال : فأمر عمي ببعض الأغطية فألقي عليّ وأمرها بالاكتنان معي، فظن بما شئت من التمكن على أعين الملأ وهم لا يشعرون، ويالك من جمع كخلاء، واحتفال كانفراد قال لي: فوالله لا نسيت ذلك اليوم أبدًا.

ولعهدي به وهو يحدثني بهذا الحديث وأعضاؤه كلها تضحك وهو يهتز فرحًا على بعد العهد وامتداد الزمان، ففي ذلك أقول:

يضحك الروض والسحائب تبكي ... كحبيب رآه صبٌّ مُعنّي

وقال بعضهم: الحب يطيب بالنظر ويفسد بالعهر.

ويقال: إن بعض الأدباء كان يتعشق جارية، فقالت يومًا: أنت صحيح الحب كامل الوفاء.

فقال: نعم. قالت: فامض بي حيث شئت.

فمضى بها إلى منزله ، فما هو إلا أن حصلت في منزله لم يكن له همَّة إلا أن وثب عليها ورفع ساقيها، وجعل يجامعها بجميع جوارحه.

فقال له، وهي في الغالب:

أسرفت في...و...[1] مصلحة   أرفق بفعلك إن الرفق محمود

فأجابها وهو في عمله لا يفتر:

و لم ...، ...[2] من تبقي مودته   لكن... [3] هذا... هذا مجهود

فنفرت من تحته، وقالت: يا فاسق أراك خلاف ما قلت، كأنك تجعل جماعي سببًا لذهاب حبك، والله لا جمعني وإياك سقف بعد هذا أبدًا.

وذكر العتبي: أن رجلاً قال لبعض الأعراب: ما ينال أحدكم من عشيقته إذا خلى بها؟

قال: اللمس، والقُبل، وما شاكلها.

قال: فهل يتطاولان إلى الجماع؟

فقال: بأبي وأمي ليس هذا بعاشق، هذا طالب ولد[4].

---

(١) موضع النقط كلمات عارية من الحياء تركتها احترامًا للقارئ وتعففًا لقلمي عن ذكرها والقصة كلها ليس فيها من أدب العشاق الذين حرص المؤلف على ذكرهم وإن كان قد عهد بأن يذكر من لم يصل به عشقه إلى حد الفجور ، فربما كان ذكره هنا لهذه القصة لكونها لم تذكر في أسماء العشاق وإنما هو مازال في المقدمة ولبيان الأسباب المديمة والقاطعة للحب والاتصال والمودة فأراد أن يضرب بها مثالاً على أسباب انقطاع الود وهذه ليست في نظري قصة من تلك القصص إنما واقعة زنا عادية رغب رجل في امرأة فأمكنته من نفسها وحسب.

(٢) انظر الهامش السابق.

(٣) انظر الهامش السابق

(٤) قال الحصري في المصون (٢٨٦) : وذكر أن أعرابيًا خلا بصاحبته فقيل له: ما كان بينكما؟ فقال: ما زال القمر يرينيها، فلما غاب أرتنيه فوضعت كفي على كفها، فقالت: مه، لا تفسد ما بيننا، فقلت: والله ما يرانا إلا الكواكب، فقالت: ويحك، وأين مكوكبها؟

فارفضضت عرقًا، ثم لم أعد. قلت: ومع هذا لا يغتر مغتر فإن الخلوة بالنساء لا تخلو من الشر الذي قد يعقبه ذنب قد لا يغتفر فاهرب من مصاحبة النساء والتعلق بهن فإن التعلق بهن شر أي شر فهي لا تفضي إلا إلى ضرر.

وزعم نصر الكاتب: أنه كان شرط بين العشيقة والعاشق أن يكون من نصفها الأعلى إلى سرتها له مبذول ينال منه ما شاء من ضم، ولثم، ورشف، وغمز، وباقي ذلك محرم عليه[1].

وقال الشاعر:

فَلِلْبَعْلِ شطْرٌ مُطْلَقٌ مِنْ عِقَالِهِ وَلِلْحِبِّ شطْر مَا يُرام مَنِيْعُ

وقال آخر:

لَهَا شطْر فَمِنْ جَلّ وَبَلّ وَنصْف كالبحيْرَة مَا يُهَاجُ

وقال بعضهم فيما أنشده الأصمعي بدلاً عن معروف له[2] [٣٠/أ]:

فَهَلْ لَكَ فِي البِدَالِ أَبَا جُهَيْن وَأَقْنَعُ بِالأَكَارِعَ وَالْكُعُوبِ

ويقال: أنا راض برجليها ومواخرها.

وطائفة أخرى رأت غير ذلك: فلم تقنع بنصف ولا وقفت على جنس. قال ابن بسام[3]:

---

(١) والله إن هذا لأمر عجيب أي شرط هذا ومن وضعه وما أحل هذا وحرم هذا إن هذا ليذكرني بقول الله عز وجل: ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون* متاع قليل ولهم عذاب أليم﴾ [النحل: ١١٦، ١١٧].

(٢) جاء بهامش هذه الصفحة بخط الناسخ وبغير القلم الذي كتب به المتن إضافة لا أدري موضعها من الصفحة حيث لم يضع لذلك علامة أم هي تتمة لما كان قد نسيها فالله أعلم، وهذا نصها: لمسلم بن الوليد:

لا أسأل الله تغييرا لما صنعت نامت وقد أسهرت عينيّ عيناها

فالليل أقصر شيءعند رؤيتها وأطول الشيء عندي عند مسراها

وله:

نقاتل أبطال الوغى فنبيدهم وتقتلنا في السلم لحظ الكواعب

وليست سيوف الهنديّ تفني نفوسنا ولكن عيون فوقت بالحواجب

(٣) هو أبوالحسن على بن محمد بن نصر بن منصور بن بسام الشاعر البغدادي العلامة الأديب البليغ الأخباري صاحب التصانيف.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١٣/١٤): له هجاء خبيث في أبيه وفي الخلفاء والوزراء. توفي سنة اثنتين وثلاثمائة.

قلت: وأي خبث أخبث من قوله الذي أورده المؤلف له هنا.

ومن مصادر ترجمته: مروج الذهب (٥٠٤/٢)، معجم الشعراء (١٥٤)، تاريخ بغداد (٦٣/١٢)، معجم الأدباء (١٣٩/١٤)، وفيات الأعيان (٣٦٣/٣)، فوات الوفيات (٩٢/٣)، مرآة الجنان =

أَنَا الرَّجُل البَصِيْر بُكُلِ أَمْرٍ دَخَلْتُ منَ الصِّبَا فِي كُلِ بَابِ
حجَازِيّ إذَا الأَوْتَارُ حَنَّتْ عراقي الهَوَى عنْدَ الشَّرَابِ
وَيَهْوَى المُرْدُ والشُبَّان قَلْبِي وَلاَ يَأْبَى مُوَاصَلَة الكعَابِ
وَتُعْجِبُنِي العَجَائِزُ والصَّبَايَا وَيُعْجِبُنِي العُذَيْرَات النَّوابِ

وقال ابن المعتز:

حُبِّي وَثُبٌ إلى ذَا وذَا لَيْسَ يَرَى شَيْئًا فَيَأْبَاهُ
يَهِيْمُ بالْحُسْنِ كَمَا يَشْتَهِي وَيَرْحَمُ الْقُبْحَ فَيَهْوَاهُ(١)

والشعراء قاطبة لا يرون بالمحادثة والنظرة للأجنبيات بأسًا، وهو غلط من وجهين:

الأول: مخالفة الشرع في النهي عن النظرة الثانية التي منشؤها من النفس الأمّارة، وأما المباحة: فهي التي منشأها من الروح فيما ذكره الترمذي في نوادره الأصول وهي التي عنى الشافعي بقوله فيما أنشده ابن البيِّع النيسابوري(٢):

(٣٢٨/٢)، البداية والنهاية (١٢٥/١١)، النجوم الزاهرة (١٨٩/٣)، مفتاح السعادة (١٩٨/١).

(١) ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾ [الشعراء: ٢٢٤: ٢٢٦]. وابن المعتز هذا هو: أبو الحسن عبيد الله بن المعتز بن منصور بن عبدالله بن حمزة النيسابوري راوي الأجزاء الأربعة من حديث علي بن حجر.... وتوفي سنة سبع وأربعين ومائة، وهو أخو المنصور شيخ إسماعيل ابن المؤذن راجع ترجمته في سير أعلام النبلاء (٦٦٢/١٧).

(٢) إني لأستنكر أن يكون هذا الشعر لهذا العلم الجليل القدر الواسع المعرفة صاحب التصانيف النافعة. أما عن ابن البيع فيقول الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٦٢/١٧): الحاكم: محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم، الإمام الحافظ الناقد العلامة شيخ المحدثين أبوعبدالله ابن البيع (السمسار في عصرنا أو الوسيط) الضبي، الطهماني، النيسابوري، الشافعي، صاحب التصانيف.
مولده في يوم الاثنين ثالث شهر ربيع سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة بنيسابور. وطلب هذا الشأن في صغره بعناية والده وخاله، وأول سماعه كان في سنة ثلاثين، وهو ابن ثلاث عشرة سنة لحق الأسانيد العالية بخراسان والعراق وما وراء النهر، وسمع من نحو ألفي شيخ ينقصون أو يزيدون، فإنه سمع بنيسابور وحدها من ألف نفس، وارتحل إلى العراق وهو ابن عشرين سنة ، فقدم بعد موت إسماعيل الصفار بيسير ... وصنف ، وخرج، وجرح، وعدل وصحح وعلل، وكان من بحور العلم على تشيع قليل فيه.
.... توفي فجأة في صفر سنة خمس وأربعمائة. ومن مصادر ترجمته:
تاريخ بغداد (٤٧٣/٥)، المنتظم (٢٧٤/٧)، وفيات الأعيان (٢٨٠/٤)، تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣٩)، ميزان الاعتدال (٦٠٨/٣)، العبر (٩١/٣)، البداية والنهاية (٣٥٥/١١)، شذرات الذهب (١٨٦/٣).

يَقُولُونَ لاَ تَنْظُــر تلــكَ بَلِيَّــةٌ ... ألاَ كُلّ ذي عَيْنَين لاَ بُدّ نَاظِرُ

وَلَيْسَ اكْتحَال العَيْن بالْعَيْنِ رِيْبَة ... إذَا عَفَّ فِيْمَا بَيْنَ ذَاكَ الضَمَائِرُ

وزعم ابن أبي طاهر في كتابه المنثور والمنظوم: أنهما لرجل من غطفان في أبيات.

الــثاني: تعريض الطبع لما قد جبل على الميل إليه بلا معاناة كفه عن ذلك، والطبع يغلب. وقد تقدم كلام العلامة أبي بكر بن داود في ذلك.

قــال ابــن الجــوزي: وأخطــأ في ذلك وجر عليه خطاؤه واشتهاره بين الناس، وافتضاحه.[٣٠/ب]

ويجــاب عن ابن داود: بأنه ليس يأبى عذره هذا القول: فقد حكى السمعاني: أن الشافعي رحمه الله كتب إليه إنسان:

سَلْ المُفْتِيَ المَكّيّ هَلْ فِي تَزَاوُر ... وَنَظْرَة مُشْتَاق الفُؤَادَ جناح

فأجابه الشافعي فقال:

فَقَال مَعَاذَ الله أنْ يُذْهِبَ التُقَى ... يلاَصقُ أكبادًا بهنَّ جرَاحُ

وزعم الخرائطي أن المسئول عطاء، وأوله: سألت عطاء المكي.

ومــنهم من تعدى ذلك إلى القبلة وما جانسها: ذكر الاستراباذي(١) في فضائل الشافعي: أن رجلاً كتب إلى سعيد بن المسيب:

يَا سَيِّدَ التَّابعيْــنَ وَالبَررَة ... لَيْسَتْ فِي العشق أوْل البَقرَةَ

فَكُنْ بفَتْوَاكَ مُشْفقًا رَفقًا ... بَاهَي بكَ الله الكرَامَ البَررَةَ

هَلْ حَرَّمَ الله لَثم خَدّ فَتَى ... أوْصَافُهُ بالْجَمَال مُشْتَهــرَةَ

فأجابه سعيد بن المسيب(٢):

---

(١) هــو: قاضي إستراباذ أبو زرعة أحمد بن بندار بن محمد بن مهران العيشي الفقيه الشافعي من كبار تلامــذة أبي على بن أبي هريرة.... قال أبو سعد الإدريسي: مات في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة. قالــه الذهــبي في الســير (٤٩/١٧) ومــن مصــادر ترجمــته: تــاريخ جــرجان (٤٧٠)، تذكرة الحفاظ (١٠٠١/٣).

(٢) هو: أبو محمد سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظــة. القرشــي المخزومي المدني الفقيه الحافظ، الإمام العالم. ولد لسنتين مضتا من خلافة عمر وهو الأرجح وقيل: لأربع مضين منها بالمدينة .
وتــوفي ســنة (٩٣)، وقيل: سنة (٩٤)، وقيل: سنة (١٠٠)، قال ابن الغزي في ديوان الإسلام بتحقــيقي (ت٣ ،٢٠٠ ،١١١٢): الإمام الحبر والجليل، سيد التابعين، أبو محمد المدني، مفتي المدينة وفقيهها، وحافظها، قال ابن حجر في التهذيب (٨٤/٤): قال العجلي: كان رجلاً صالحًا فقيها، وكان لا يأخذ العطاء، وكانت له بضاعة يتجر بها في الزبيب، وقال أبوزرعة: مدني قرشي ، ثقة.
=

يَا سَائلي عَنْ خَفي لَوْعَته ... عَلَيْكَ بالصَّبْر تُحْمَدَنّ أَثَرَه
وَلا تكُنْ طَالبًا لفَاحشَــةٍ ... أوْ كَالَّذي سَاقَ سَيْلُهُ مَطَرَه
وَرَاقب الله واخْشَ سَطْوَتَهُ ... وَخَالف العَاشقيْن والْفَجَرَه
وَقَبِّلِ الثَّغْرَ منْ مُحبِّكَ ذَا ... فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَــةٍ عَشَــرَه

وقال محمد بن بشير الخارجي في أبيات فيما أنشده المرزباني في كتاب المستنير:

كَذَبْتُم ما السَّلاَمُ بقَوْل زُوْرٍ ... وَمَا اليَوْمُ الحَرَام بيَوْم ثَأرِ
وَلاَ تَسْليْمنَا حَرَمًـــا بإثْــمٍ ... وَلاَ الحُبُّ الْكَرِيْمُ لنا بِعَارِ

[٣١/أ] وقال المبرد: قال أعرابي أنشدنيه أبوالعالية:

أَلاَ تَسْأل المَكِّيَّ ذَا الْعلم مَا الَّذي ... يَحلّ من التَّقْبِيْل في رَمَضَانَ
فَقَالَ لِيَ المَكّــيُّ أمَّـــا لزَوْجَـــةٍ ... فَسَبْعٌ وَأَمَّا خلَّـــةٍ فثَمَـــانِ

وفي بعض النسخ: ألا تسألن عمرو بن دينار.

وأنشـــد أبوبكـــر الخطيب رحمه الله تعالى في كتاب الرواة[1] عن مالك رحمه الله لبعضهم:

أَقُوْلُ لمُفْـــت بيـــنَ مَكّـــةَ وَالصَّفَـــا ... لَكَ الْخَيْرُ هَلْ في وَصلهنَّ حَرَامُ
وَهَلْ فِي صُمُوتِ الحَجِل مَهْضُومَة الحَشَا ... عَذَاب الثَّنَايَا إنْ لَثَمـــتُ أثَـــامُ

= وقال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه، وهو أثبتهم في أبي هريرة.
وذكره ابن حزم في أصحاب الفتيا من الصحابة والتابعين ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا بتحقيقي برقم (١٦٩) في باب أهل المدينة بعد الصحابة رضوان الله عليهم. قلت: فانظر إلى فتياه في هـــذا الأمـــر حيث لم يجزه من قريب أو بعيد وحضه على الاكتفاء بما أحل الله تعالى له من زوجته ففيها الغنية والكفاية ومن مصادر ترجمته:
تهذيب الكمال (٥٠٥/١)، التاريخ الكبير (٥١٠/٣)، الجرح والتعديل (٥٩/٤)، شذرات الذهب (١٠٢/١)، تذكـــرة الحفـــاظ (٥١/١)، طـــبقات الحفـــاظ (١٧)، الـــبداية والـــنهاية (٩٩/٩)، النجوم الزاهرة (٢٢٨/١)، وغير ذلك كثير.

(١) ولـــرواة مالك كتاب آخر صنفه أبو عبدالله محمد بن أبي بكر عبدالله بن أحمد العيسي الشهير بابن ناصر الدين المتوفي سنة (٨٤٠)، وقد أعانني الله تعالى على تحقيقه منذ سنوات عدة واسمه: إتحاف السالك برواة الموطأ عن مالك وبلغ عددهم (٧٩) راويًا، ووضع لكل راو منهم ترجمة عرف فيها بالـــراوي وذكر أقوال أهل الجرح والتعديل فيه وذكر نماذج من مروياته. وسنة وفاته وميلاده إن وجـــد إلى ذلك سبيلا. وقد وفقني الله تعالى إلى تخريج أحاديث، وإحالتها إلى مصادرها خصوصًا في الموطـــأ وذكر مصادر تخريج هؤلاء الأعلام حتى يتسنى لمن يريد عمل ترجمة وافية لأحدهم أن يقف على المصادر المساعدة له في ذلك.

فَقَالَ لِيَ الْمُفْتِي وَسَالَتْ دُمُوعُهُ عَلَى الخَدِّ منْ عَيْنَيْه فَهِيَ تُوَامُ
أَلاَ ليتني قَبَّلْتُ ذَاكَ عَشيَّةً بَبَطْنِ منىً وَالْمُحْرِمُونَ نِيَامُ

ورواه الحاكم في كتابه فضائل الشافعي رحمه الله تعالى بسند جيد فقال: حدثنا أبوالعلاء بن كوشياذ الحاوي أنبأنا علي بن سليمان الأخفش عن محمد بن الجهم قال: سمعت الربيع يقول: حضرت الشافعي بمكة وقد دفع إليه رجل رقعة فيها:

أَقُوْلُ لمُفْت خيْف مَكَّةَ وَالصَّفَا لَكَ الْخَيْرُ هَلْ فِي وَصْلهنَّ حَرَامُ
وَهَلْ فِي ضُيُوقَ الحجل مَخْطُوطَة الحَشَا عذَاب الثَنَايَا إنْ لَثمْتَ أَثَامُ

قال : فوقع الشافعي فيها:

فَقَالَ لِيَ الْمُفتي وَفَاضَتْ دُمُوعهُ على الخَدِّ منْ عَيْنٍ وَهُنَّ نيَامُ
ألاَ لَيْتَني قَبَّلْتُ تلْكَ عَشيَّةً ببطْنِ منًى والْمُحْرِمُونَ قيَامُ(١)

وفي تاريخ دمشق للحافظ أبي القاسم ابن عساكر(٢):

أنشد بعض المعتزلة:

(١) من المشهور والمعروف عن الشافعي رحمنا الله تعالى وإياه شدة الورع والزهد والتعفف والتحرز من الشبهات فكيف بما ليس فيه شائبة شبه، ثم إنه لا يفعله بل يأمر به ويدعو إليه حاشا لله أن يفتي الشافعي بمثل هذه الفتيا أو أن يدعو إلى مثل هذا الأمر ، وأين ؟ في أيام الحج وبمنى !! أعاذه الله من ذلك ورحم الله الشافعي ورزقنا الله وإياكم حسن الختام.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٥٤/٢٠) : الإمام العلامة الحافظ الكبير المجوِّد، محدث الشام، ثقة الدين، أبوالقاسم الدمشقي الشافعي، صاحب (تاريخ دمشق). نقلت ترجمته من خط ولده المحدث أبي محمد القاسم بن على فقال: ولد في المحرم في أول الشهر سنة تسع وتسعين وأربعمائة، وسمعه أخوه صائن الدين هبة الله في سنة خمس وخمسمائة وبعدها ارتحل إلى العراق في سنة عشرين، وحج سنة إحدى وعشرين قلت: وارتحل إلى حراسان على طريق أذربيجان في سنة تسع وعشرين وخمسمائة، وهو علي بن الشيخ أبي محمد الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين ، فعساكر لا أدري لقب من هو من أجداده، أو لعله اسم لأحدهم.

.... ولابن عساكر شعر حسن يمليه عقيب كثير من مجالسه، وكان فيه انجماع عن الناس وخير، وترك للشهادات على الحكام وهذه الرعونات.

وتوفي في رجب سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ليلة الاثنين حادي عشر الشهر، وصلى عليه القطب النيسابوري وحضره السلطان صلاح الدين ودفن عند أبيه بمقبرة باب الصغير ومن مصادر ترجمته:

معجم الأدباء (٧٣/١٣)، مرآة الجنان (٢١٢/٨)، المنتظم (٢٦١/١٠)، وفيات الأعيان (٣٠٩/٣)، المختصر له (٥٩/٣)، العبر (٢١٢/٤)، تذكرة الحفاظ (١٣٢٨/٤)، تاريخ بغداد (١٨٦/٦)، مرآن الجنان (٣٩٣/٣)، البداية والنهاية (٢٩٤/١٢)، طبقات الإسنوي (٢١٦/٢)، شذرات الذهب (٢٣٩/٤) ، مفتاح السعادة (٢٦٦/١) ، النجوم الزاهرة (٧٧/٦) ، طبقات (٤٧٤).

سَأَلْنَا أَبَا عُثْمَان عَمْرًا وَوَاصلا عَنِ الضَّمِّ وَالتَّقْبِيْلِ للْخَدِّ والجِيْدِ [٣١/ب]
فَقَالاَ جَمِيْعًا والَّذي هُو عادلٌ يَجُوْزُ بلاَ إِثْم فَدَعِ قَوْل تَفْنِيــد

وفيه أيضًا قال إسحاق بن شبيب السقلاطوني:

سَأَلنا شُيُوخَ الوَاسطي جَمِيْعهم عَن الرَّشْف وَالتَّقْبِيْل هَلْ فِيْهما إِثْمُ
فَقَالُوا جَمِيْعًا لَيْسَ إِثْمًا لِزَوجَة وَلا لخلَّة وَالضَّمُّ مِنْ هَذه غُنْــمُ

وأنشد أبوالحسن على بن إبراهيم بن محمد بن سعيد الخير، في كتاب القرط شرح الكامل:

فَلَمَّا أن أُبِيْحَ لَنَا التَّلاَقِــي تَعَانَقْنَا كَمَا اعْتَنَقَ الصَّدِيْقُ
وَهَلْ حَرَجًا تَرَاه أو حَرَامًا مُشُوق ضَمَّه صَبٌّ مَشُوقُ

وأنشد أبو الرقعمق شاعر المصريين في كتابه المسمى رستاق الانفاق لعمر بن سفيان ابن ابنة جامع بن مرخية:

أَنَــا سَأَلنَــا مَالكًــا وَقَرِينــه لَيْثَ بن سَعْد عَنْ لثَام الوَامقِ
أَيَجُوْزُ؟ قَالاَ: الَّذي خَلَقَ الوَرَى مَا حَرَّمَ الرَّحْمَنُ قُبْلَةَ عَاشقِ

وأنشد له أيضًا وكتب بها إلى ابن عيينة:

وَقُلْنَا لسُفْيَان الهلاَلي مَرَّة أَيحْرُمُ ضَمّ العَاشق المُشْتَاق
لحَبِيْبه مِنْ بَعْد نَأْي نَالَهُ فَأَجَابَ لاَ وَالْوَاحد الخَلاَّق

وأنشد لجامع جده وكتب بها إلى على بن زيد بن جدعان(١):

---

(١) ذكـــرد الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/٢٠٦): فقال: على بن زيد بن جدعان الإمام العالم الكبير أبوالحســن القرشــي التيمي البصري، ولد أظن في دولة يزيد ... ولد أعمى كقتادة، وكان من أوعية العلم على تشيع قليل فيه وسوء حفظ يغضُّه من درجة الإتقان.

قال أبو زرعة: ليس بالقوي، وقال البخاري وغيره: لا يحتج به.

وقــال ابن خزيمة: لا أحتج به لسوء حفظه. وقال الترمذي: صدوق، وكان ابن عيينة يلينه. وقال شــعبة: حدثــنا عــلي بن جدعان -وكان رفاعًا- وقال مرة: حدثنا قبل أن يختلط..... وقال الفسوي: اختلط في كبره. وقال الدارقطني: لا يزال عندي فيه لين.

قلت: وقد استوفيت أخباره في ميزان الإعتدال وغيره، وله عجائب ومناكير لكنه واسع العلم.

قال منصور بن زاذان: لما مات الحسن قلنا لعلي بن زيد اجلس مكانه.

وقــال الجريري: أصبح فقهاء البصرة عميانًا: قتادة، وابن جدعان، وأشعث الحداني. ومات على سنة إحدى وثلاثين ومائة. ومن مصادر ترجمته:

طــبقات خليفة (٢١٥)، التاريخ الكبير (٦/٢٧٥)، تهذيب الكمال (٩٦٩)، تاريخ الإسلام (٥/ =

سَأَلْنَا ابن جُدْعَانٍ بن عَمرو وأَخَا العُلى أيَحْرُم لَثْمُ الحبِّ في لَيْلَة القَــدْر
فَقَالَ لَنَــا المكّــي وَنَاهِيْــكَ عِلْمُـــه ألاَ لاَ وَمَنْ قَدْ جَاءَ بِالشَّفْعِ وَالْوَتْر

وأنشد لإبراهيم بن المدبر، وكتب بها لأبي بكر بن عياش المقري:

سألت ابن عياش وكان مُعَلّمَا لَكَ الخَيْر هَلْ في ضَمَّة الحبّ منْ وزر[٣٢/أ]
فَقَال أبُوبَكْر وَلاَ في لِثَامِــهِ أَلَمْ يَجْتَنِبْنَــا اللهُ بِالْوَضْــعِ للإصْــر

وأنشــد لآخر وكتب بها إلى الإمام أحمد رحمه الله تعالى: قال: وزعم بعضهم أنه إسحاق بن معاذ بن زهير شاعر أهل مصر في وقته:

سَأَلْنَا إمَامَ النَّاسِ نجْل ابن حَنْبل عَنِ الضَّمِّ وَالتَّقْبِيْلِ هَلْ فيه منْ باسِ
فَقَالَ: إذَا جَلَّ العَزَاءُ فَوَاجِبٌ لأَنَّكَ قَدْ أحْيَيْتَ جُمْلَة ذَا النَّاسِ

ويشــبه أن يكون هذا: مسند شيخنا العلامة تقي الدين [ابن][1] تيمية رحمه الله إذ سئل عن هذه المسألة فأجاب بقريب من هذا القول، وأنشد لابن مرخية، وكتب بها إلى أبي حنيفة رحمه الله تعالى:

كَتَبْنَا إلَى النُّعْمَان يَوْمًا رسَالَةً نُسَائلهُ عنْ لَثْم حبٍّ مُمَنَّعِ
فَقَالَ لَنَا: لاَ إثْــم فِيْهِ وَإنَّـــهُ شَهِيٌّ إذَا كَانَتْ لِعَشْر وَأَرْبَعِ

وفي كــتاب المحبة : وحدثني محمد بن الحسين قـــال : كتب رجل إلى أبي جعفر الطحاوي:

أَبَا جَعْفَــر مَـــا ذَا تَقــُولُ فَإنَّـــهُ إذَا نابَنَا خَطْبٌ عَلَيْــكَ المعَــوَّلُ
فَلاَ تُنكرَنَّ قَوْلي وَأَبْشر برَحمَة الإله منَ الأَمْرِ الَّــذي عَنــْهُ تُسْـــأَلُ
أبالْحُبِّ عَارٌ أَمْ منَ الحُبِّ مهْــرَبٌ وَهَلْ مَنْ لَحَا أَهْلَ الصَّبَابَة يَجْهَلُ
وَهَلْ بِمُبَــاحٍ فِيْــه قَتْــل مُتَيَّـــم يُهَاجرُهُ أحْبَابُه و[هُوَ][2]يُوصــلُ
فَرَأْيكَ فــِي رَدِّ الجَــوَاب فَإنَّنــي بمَا فِيْ تَقْضِي أَيُّهَا الحَبْرُ أَفْعَــلُ

قال: فأجابه أبوجعفر الطحاوي[3] رحمه الله تعالى:

=

١١١)، تذكــرة الحفــاظ (١/ ١٤٠)، مــيزان الاعتدال (٣/ ١٢٧)، العقد الثمين (٦/ ١٧٤)، شذرات الذهب (١/ ١٧٦).

(١) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

(٢) ما بين المعقوفين استدراك استدركه الناسخ على الكتاب ووضعه بالهامش وقال لعله: هو.

(٣) هــو: أبوجعفــر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبدالملك المصري الطحاوي، الأزدي الحنفي محدث =

سَأَقْضِـي قَضَـاءً بِـالَّذي عَـنْهُ أُسْأَلُ | وَأَحْكُـمُ بَـيْنَ العَاشِـقَيْن فَـأَعْدِلُ
فَدَيْـتُكَ مَـا بالْحُـبِّ عَـارٌ عَلِمْـتُهُ | وَلِلْعَـارُ تَـرْكُ الحُبِّ إنْ كُنْتَ تَعْقِلُ
[٣٢/ب]وَمَهْمَا لَحَا فِي الحُبِّ لاَحٍ فإنَّهُ | لعَمْرِكَ عِنْدي مِنْ ذَوِي الجَهْلِ أجْهَلُ
وَلَـيْسَ مُـبَاحًا عِـنْدَنَا قَـتْلُ مُسْـلِم | بِـلا تِـرَةٍ بَـلْ قَـاتِلُ النَّفْس يُقْتَلُ
ولكـنَّه إنْ مَـاتَ في الحُـبِّ لَمْ يَكُنْ | لَـهُ قَـود عِـنْدي وَلاَ مِـنه يعْقَلُ
وَوَصْـلُكَ مَـنْ تَهْوَى وإن صَدَّ واجب | عَلَـيْكَ كَـذَا حُكـم المُتَـيم يَفْعَلُ
فَهَذا جَـوَابٌ فِيـه عِنْـدي قَنَاعَـة | لَمَّا جئْت فِيْه أيُّهَا الصَّبُّ تَسْـأَلُ

فإن قيل فما مثير الهوى من المحبوب؟

قلنا: فهم دلالة[١] الإخلاص [وعلم إشارة الاختصاص][٢] تصدق الحال دون نطق المقال، عن مقابلة الشكلين، ومماثلة المثلين، فإذا ارتفعت حجب الكتمان، وتوقدت بينهما النيران[٣]، وأضاءت جواهر الصفاء والصدق، وانكشفت سرائر الوفاء والحق، ولاحت بين الألـيفين، في مقام العارفين من شواهد المنصفين[٤]، إشارات أنفاس إلى سرّ أنفس، وبث شـكايات بغـير كـلام، فحينـئذ تلتئم ألفة القلوب، وتظهر سرائر الغيوب من المحب والمحبوب[٥]: لقد تمازج قلبانا كأنهما، تَراضَعَا بدم الأحشاء لا باللبن.

آخر الجزء الأول من الواضح المبين
في ذكر من استشهد من المحبين

=

الديـار المصـرية وفقيهها من أهل قرية طحا بمصر ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين وبرز في علم الحديث والفقه، وكان ثقة ثبتًا فقيهًا عاقلاً وصنف الكتب الكثيرة النافعة والمشهورة. وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة في مستهل ذي القعدة.

ومن مصادر ترجمته: سير أعلام النبلاء (٢٧/١٥)، شذرات الذهب (٢٨٨/٢)، النجوم الزاهرة (٢٣٩/٣)، طبقات الحفاظ (٣٣٧)، الوافي بالوفيات (٩/٨)، وغير ذلك.

(١) في المخطوط: دلّة. والتصويب من المصون (١٠٥).

(٢) زيادة من المصون.

(٣) في المصون: بينهما شهب البيان.

(٤) في المخطوط: المتَّصفين. والتصويب من المصون.

(٥) إلى هنا جاءت العبارة بالمصون وما بعدها ليس منه، ثم جاء بعدها بيتٌ من الشعر هو:

ويعدو حسود القوم فيهم منكرًا | يحيل من المعشوق فيهم ولا يدري

الجزء الثاني منه

كتابٌ جمعتُ فيه جُلَّ ما تفرَّق من قصص العاشقينا
وكُنتُ ألومهم دائبا فصرتُ لهم أحد العاذرينا

[٣٣/أ] بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر الحكماء الأوائل أن النفوس ثلاث:

ناطقة: ومحبتها منْصَرفة إلى المعارف، واكتساب الفضائل[١].

ونفس حيوانية غضبية[٢]: فمحبتها منصرفة نحو القهر والرئاسة والغلبة.

ونفس شهوانية: فمحبتها منصرفة إلى المآكل، والمشارب والمناكح.

فسبب العشق هو مصادفة هذه النفس ما يلائم طبعها، فتستحنه وتميل إليه وأكثر ذلك النظر، ولا يكون باللمح بل بالتثبت في النظر ومعاودته.

وإذا غاب المحبوب عن العين طلبته النفس الشهوانية، ورامت القرب منه، ثم تمنت الاستمتاع به، فيصير فكرها فيه وتصورها إياه في الغيبة حاضرًا، وشغلها به، فيحدث من ذلك أمراض لانصراف الفكر إلى ذلك المعنى، وكلما قويت الشهوة البدنية قوي الفكر في ذلك ولذلك علامات:

فمنها: إدمان النظر، إذ العين باب النفس الشارع، وهو المنقب عن السرائر، والمعبر عن الضمائر، والمعرب عن البواطن فيرى الناظر لا يطرف بتنقل المحبوب [وينزوي بانزوائه، ويميل حيث مال][٣] كالحرباء مع الشمس.

فَلَيْسَ لعَيْني عِنْدَ غَيْرِكَ مَوْقِفٌ ... كَأَنَّكَ مَا يَحْكُونَ مِنْ حَجَرِ البَيْتِ

أُصَرِّفُهَا حَيْثُ انْصَرَفْتُ وَكَيْفَ مَا ... تَقَبَّلْت كَالْمَنْعُوتِ فِي النَّحْوِ[٤] والنَّعْتِ

---

(١) سأل أبو حيان مسكويه في الهوامل والشوامل بتحقيقي مسألة (٣٦) فقال فيما قال فيها: ما الإلف الذي يجده الإنسان لمكان يكثر الجلوس فيه، ولشخص يتقدم الأنس به؟
... فكان جواب مسكويه: الإلف هو تكرر الصورة الواحدة على النفس أو على الطبيعة مرارًا كثيرة . فأما النفس فإنما تكرر عليها صور الأشياء إما من الحس، وإما من العقل.
فأما، ما يأتيها من الحس فإنها تخزنه في شبيه بالخزانة لها -أعني موضع الذكر- وتكون الصورة كالغريبة حينئذ، فإذا تكرر مرات شيء واحد، وصورة واحدة زالت الغربة ، وحدث الأنس ، وصارت الصورة والقابل لها كالشيء الواحد، فإذا أعادت النفس النظر في الخزانة -التي ضربتها مثلاً- وجدت الصورة الثانية فعرفتها بعد أنس وهو الإلف. وهذا الإلف يحدث عن كل محسوس بالنظر وغيره من الآلات.

(٢) في متن المخطوط: غضينة، والتصويب من هامش المخطوط بخط الناسخ.

(٣) ما بين المعقوفين زيادة من طوق الحمامة (ص: ٦) والكلام فيه بنحوه وهو مأخوذ منه قطعًا ولكن دون إشارة.

(٤) في المخطوط: النحر، والتصويب من طوق الحمامة والشعر لابن حزم الأندلسي.

ومنها: حبسه نظره على محبوبه فلا يرى غيره[١].

إنْ يَحْجبُوهَا عَنِ الْعُيُونِ فَقَدْ حَجبْت عَيْنِي لَهَا عَنِ البَشَرِ

ومنها: إغضاؤه عند نظر محبوبه إليه[٢].

لَمْ تَغْمض العَيْنُ مُذْ عُلِّقَتْ حُبّكم إلاَّ إذَا خَالَسَتْها عَيْنكَ النَّظَرا

ومنها: شغل عينه بالدمع عن النظر إلى غير محبوبه[٣].[٣٣/ب]

سَأَمْنَعُ عَيْنِي أَنْ تَلذَ بِمَنْظَرٍ وَأَشْغَلُهَا بِالدَّمْعِ عَنْ كُلِّ مَنْظَرِ

ومنها: كثرة غيرته على محبوبه.

قال جميل لبثينة: ما رأيت عبدالله بن عمرو بن عثمان يخطر بالبلاط إلاّ أخذتني الغيرة عليك وأنت بالجناب.

إنّي لَمِنْ نَظَرِي أَغَارُ وَإِنَّنِي ب ـكِ عَنْ سِوَاكِ مِنَ الأَنَامِ لأَنْفَسِ

ومنها: محبة القتل والموت ليبلغ رضاه.

فَإنْ تَقْتُل فَقَتْلُكَ مُسْتَلَذ وَقدْمًا لَمْ يَكُنْ قَتْل يَطِيْب

ومنها: الإقبال بالحديث بما لا يكاد يقبل على سوى محبوبه، ولو تعمد [غير][٤] ذلك، وإن التكلف ليستبين لمن يرمقه فيه والإنصات لحديثه إذا حدث، وعدم استغراب كل ما يأتي

---

(١) هذا نوع من الاستغراق أو الاستئثار بالشيء أو الحرص عليه فهو حريص كل الحرص على اغتنام فرصة وجود محبوبه وهو يخشى أن لا تتكرر مشاهدته له عن قريب فلا يضيع الوقت بالانشغال بغيره فيظل حاصرًا نظره في زاويته.

(٢) ربما كان السبب في ذلك شدة حياء أحد المحبوبين من الآخر وربما كان هذا فيمن يعشق ويعف ولا يريد من محبوبه سوى التمتع بالنظر وحرصه على أن لا ينكشف أمره وربما لا يريد أن يعلم محبوبه بحبه له حتى لا يفقده لسبب سلطان أو عاذل أو رقيب.

(٣) قال ابن حزم في طوق الحمامة (١٩) في ذكره لأخبار في باب علامات الحب: والبكاء من علامات المحب ولكن يتفاضلون فيه، فمنهم غزير الدمع هامل الشؤون تجيبه عينه وتحضره عبرته إذا شاء.

ومنهم جمود العين عديم الدمع -وأنا منهم- وكان الأصل في ذلك إدمان أكل الكندر لخفقان القلب، وكان عرض لي في الصبا، فإني لأصاب بالمصيبة الفادحة، فأجد قلبي يتفطر ويتقطع وأحس في قلبي غصَّة أمر من العلقم تحول بيني وبين توفية الكلام حق مخارجه، وتكاد تشرقني النفس أحيانًا ولا تجيب عيني البتة إلا في الندرة بالشيء اليسير من الدمع.

(٤) هذه زيادة يتطلبهـــا السياق لإيضاح المعنى واستقامته وقد زادها أيضًا محقق كتاب طوق الحمامه، وهو ما يفيد المؤلف نقل عن ابن حزم هذا القول دون الإشارة ثم مع عدم الترتيب في أخذه عنه، وهذه العلامة من علامات الحب في طوق الحمامة (ص:١٣).

به ولو أنه عين المحال وخرق العادات، وتصديقه وإن كذب، وموافقته وإن ظلم، والشهادة له وإن جار، واتباعه كيف سلك[١]، وأي وجه من القول تناوله.

ومنها: الإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه، والتعمد للقعود بقربه، والدنو منه، وإطراح[٢] الإشتغال[٣] الموجبة للزوال عنه، والاستهانة بكل خطب جليل داع إلى مفارقته، والتباطؤ في الشيء عن القيام عنه[٤].

وإذَا قُمت عَنْكَ لَمْ أَمْـشِ إلاَّ مَشي عَان[٥] يُقادُ نَحو الفَنَاء
في مَجِيئي إلَيْكَ أحْتث[٦] كَالْبَدرِ إذَا كَانَ قَاطعًـا لِلْسَّمَـاء
وَقيَامِي إنْ قُمْت كَالأنْجُم الْعَا لِيَة الثَابتَات في الإبْطَـاء[٧]

ومنها: بهت وروعة تبدوان على المحب عند رؤية من يحب [فجأة، وطلوعه بغتة][٨].

وَمَـا هُـوَ إلاَّ أنْ أرَاهَـا فَجْـأةً فَأبْهَتُ حَتَى مَا أكَادُ أُجِيـبُ
فَأرْجعُ عَنْ رَأْيِي الَّذي كُنْتُ أرْتَئي وَأُذْكَرُ مَا أعْدَدْتُ حِيْنَ تَغِيْبُ[٩]

[٣٤/أ] ومنها: اضطراب يبدو على المحب عند رؤية من يشبه محبوب أو عند سماع اسمه [فجأة][١٠].

وَدَاعٍ دَعَا إذْ نَحْنُ بالْخيف منْ مِنَى فَهَيَّجَ أشْجَان الفُؤاد وَمَـا يَـدْري
دَعَا بَاسْمِ لَيْلَى غَيْرَهَـا فَكَأَنَّمَـا أطَارَ بلَيْلَى طَائرًا كَانَ في صَدْرِي[١١]

---

(١) في المخطوط: ملك. وهو تحريف والكلام بنصه في طوق الحمامة، والتصويب منه.
(٢) في المخطوط: طرح. والتصويب من طوق الحمامة.
(٣) في المخطوط: الاشتغال . والتصويب من طوق الحمامة.
(٤) راجع طوق الحمامة (١٣).
(٥) العاني هو المجهد أو المريض أو المثقل بالأغلال ، أو المكره على ما يفعل، أو من يجد فيما يعمل عناء ومشقة.
(٦) احتث أي أحث الخطى أو أسرع السير حثيثًا كي أصل إليك مبكرًا أو مسرعًا.
(٧) والأبيات لابن حزم صرح بذلك في طوق الحمامة (ص:١٣).
(٨) ما بين المعقوفين زيادة من طوق الحمامة (ص: ١٤).
(٩) الشعر ليس من طوق الحمامة.
(١٠) ما بين المعقوفين زيادة من طوق الحمامة (ص: ١٤).
(١١) الشعر ليس من طوق الحمامة . ويقول ابن حزم في طوق الحمامة في (ص: ١٥) في العلامات المتضادة : .. ومن أعلامها أنك تجد المحب يستدعي سماع اسم من يحب ويستلذ الكلام في أخباره ويجعلها هجيراه (أي عادته ودأبه) ولا يرتاح لشيء ارتياحه لها ولا ينهنه (أي لا يكفه) عن ذلك خوف أن يطقع السامع ويفهم الحاضر. وحبك الشيء يعمي ويصم.

ومنها: أن يحب جيرانه ومن ساكنه.

فَيَاسَاكِنِي أَكْنَاف دِجْلَة كُلّكُم إِلَى القَلْب مِنْ أَجْلِ الحَبِيْب حَبِيْبُ

ومنها: اصفرار لون العاشق وحبس لسانه.

لِي فِي محَبّتـــه شُهُود أَرْبَعٌ وَشُهُود كُلّ قَضِيّــة اثْنَــان

خَفقَانُ قَلْبِي وَارْتِعَاد مَفَاصِلِي وَصَفَار لَوْنِي وَاعْتِقَال لِسَانِي

ومنها: أن يجود المحب[١] بكل[٢] ما [كان][٣] يقدر عليه مما كان يمتنع[٤] به قبل ذلك كأنه هو الموهب له[٥]، وهذا قبل استعار نار الحبّ، فإذا تمكن وأخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سرارا والإعراض عن كل ما حضر إلاّ عن المحبوب [جهارًا][٦].

لَوْ كَانَ يَمْلِكُ رُوْحَهُ فِي كَفِّه جَادَ المُحبُّ بِهَا وَسَائِر مُلْكه

ومنها: الانبساط الكثير الزائد، والتضايق في المكان الواسع، والمجاذبة على الشيء يأخذه أحدهما، وكثرة الغمز الخفي، والميل بالاتكاء، وتعمد لمس اليد عند المحادثة ولمس ما أمكن من الأعضاء الظاهرة، وشرب فضلة ما أبقى الحب[٧] في الإناء، وتحري المكان الذي قابله[٨] فيه[٩].

فيَّ انقَبَاضٌ وحِشْمَــة فَإذَا صَادَفْتُ حُبّي يَومًا مِنَ الدَّهْر

أَرْسَلْتُ نَفْسِي عَلَى سَجِيَّتِهَا وَصِرْتُ مُخْتَبِطًا بِهِ عُمْرِي

=

فلو أمكن المحب أن لا يكون حديث في مكان يكون فيه إلا ذكر من يحبه لما تعداه.

(١) في الطوق: المرء.

(٢) في الطوق: ببذل كل.

(٣) ما بين المعقوفين من الطوق.

(٤) في الطوق: ممتنعًا.

(٥) وأنا أسوق ما جاء بعد هذا بنصه عند ابن حزم فقد حدث به سقط كثير فيقول: والمسعيّ في حظه، كل ذلك ليبدي محاسنه ويرغب في نفسه، فكم بخيل جاد، وقطوب تَطَلّق، وجبان تشجع، وغليظ الطبع تطرب، وجاهل تأدب، وتفل تزين، وفقير تجمل، وذي سن تفتى، وناسك تفتك، ومصون تبذل وهذه العلامات تكون قبل استعار نار الحب، وتأجج حريقه، وتوقد شعله، واستطارة لهبه، فأما إذا تمكن وأخذ مأخذه فحينئذ ترى الحديث سرارًا والإعراض عن كل ما حضر إلا عن المحبوب جهارًا. ولي أبيات جمعت فيها كثيرًا من هذه العلامات. فذكرها.

(٦) ما بين المعقوفين من الطوق.

(٧) في الطوق : المحبوب.

(٨) في الطوق: يقابلة.

(٩) راجع الفقرة بتمامها أو بنصها فيه (ص:١٥).

ومنها: علامات متضادة وهي على قدر الدواعي والعوارض الباعثة [٣٤/ب] والأسباب المحركة والخواطر المهيجة والأضداد أنداد والأشياء إذا أفرطت في غايات تضادها ووقفت في انتهاء حدود اختلافها[١] تشابهت، قدرة من الله تعالى تضلّ فيها الأوهام، وتقف دونها الأفهام[٢].

عَلاَمَة العَاشِق عِنْدَ اللِّقَاء ... رَعْشَته وَالنَّظَر الخفْــضُ
الدَمْع مِنْ عَيْنَيْه مرفــضٌ ... وَالشَّوْق فِي أحْشَائه غَضُّ

ومنها: امتداد نفسه

رُبَّ لَيْل أَمَدّ مِنْ نَفْسِ العَاشِقِ ... طُــولاً قَطعْتُهُ بانتحَــابِ

ومنها: سروره بالصَدِّ

صُدُودكَ عَنّى إنْ أَسأتَ يَسُرُّنِي ... وَلَمْ أرَ قَبْلِي عَاشقًا سُرَّ بالصَدِّ
سُرِرْتُ به أنّي تَيَقَّنْتُ كُلَّمَــا ... دَعَاكَ إلَيْه رَغْبَةً مِنْكَ فِي وِدّي
وَلَوْ كُنْتَ فِيْه زَاهدًا لَمْ تبل به ... وَلَكِنَّمَا عُتب المُحبّ مِنَ الوَجْد
فَيَا فَرْحَة لِي إذْ رَأَيْتكَ عَاتبًا ... عَلَيَّ لِذَنْب كَانَ مِني عَلَى عَمْدِ

ومنها: أنك تجد المحب يستدعى سماع اسم محبوبه[٣] ويستلذ الكلام في أخباره

---

(١) في المخطوط: أخلاقها . والتصويب من طوق الحمامة (ص: ١٥).

(٢) هذه العبارة: "وتقف دونها الأفهام" لم ترد في الطوق، وجاء بعدها: فهذا الثلج إذا أدمن حبسه في اليد فعل فعل النار، ونجد الفرح إذا أفرط قتل والغم إذا أفرط قتل، والضحك إذا كثر واشتد أسال الدمع من العينين، وهذا في العالــم كثير، ونجد المحبين إذا تكافئا في المحبة وتأكدت بينهما تأكدًا شديدًا أكثر بهما جدُّهما بغير معنى وتضادهما في القول تعمدًا ، وخروج بعضهما على بعض في كل يسير من الأمور ، وتتبع كل منهما لفظة تقع من صاحبه وتأولها على غير معناها.
كل هذه تجربة ليبدو ما يعتقده كل واحد منهما في صاحبه، والفرق بين هذا وبين حقيقة الهجرة والمضادة المتولدة عن الشحناء ومخارجة التشاجر سرعة الرضى ، فإنك بينما ترى المحبين قد بلغ الغاية من الاختلاف الذي لا يجدر يصلح عند الساكن النفس، السالم من الأحقاد في الزمن الطويل، ينجبر عند الحقود أبدًا فلا تلبث أن تراهما قد عادا إلى أجمل الصحبة، وأهدرت المعاتبة وسقط الخلاف، وانصرف في ذلك الحين بعينه إلى المضاحكة والمداعبة، هكذا في الوقت الواحد مرارًا، وإذا رأيت هذا من اثنين فلا يخالجك شك ولا يداخلك ريب البتة، ولا تتمارَ في أن بينهما سرًا من الحب دفينًا، واقطع فيه قطع من لا يصرفه عنه صارف.
ودونكها تجربة صحيحة، وخبرة صادقة، هذا لا يكون إلا عن تكلف في المودة، وائتلاف صحيح، وقد رأيته كثيرًا.

(٣) في طوق الحمامة (ص:١٥): ومن يحب.

ويجعلها هجيراه[1].

وَآخرُ شَيْءٍ أَنْتَ فِي حَالِ قُدْرَتِي وَأَوَّلُ شَيْءٍ عِنْدَ هُبُوبِي

ومنها : حب الوحدة والأنس بالانفراد ، ونحول الجسم دون حدّ يكون فيه ولا وجع مانع من القلب والحركة والمشي ، دليل لا يكذب ، ومخبر لا يخون.

عَنْ كَلِمَةٍ[2] فِي النَّفْسِ كَامِنَةٍ والسُّهْدُ[3] مِنْ أَعْرَاضِ الْمُحِبِّينَ
لَيْتَ شِعْرِي أَمِنْ جَوىً طَالَ لَيْلِي أَمْ بَرَانِي البَارِي قَصِيرَ الجُفُونَ

|٣٥/أ| وقد أكثروا[4] الشعر في وصفه وحكوا أنهم رعاة الكواكب[5]:

إِنْ كُنْتَ تُنْكِرُ مَا بُلِيْتَ به وَتَشُكُّ فِي وَجْدِي وَفِي كَبْدِي
فَسَلِ الكَوَاكِبَ قَدْ رَضِيْتُ تُنْبِئْكَ عَنْ سَهرِي وَعَنْ سُهْدِي

ومنها: القلق عند رجائه لقاء محبوبه فيعرض دونه حائل[6].

أَقَمْتُ إِلَى أَنْ جَاءَنِي اللَّيْلِ رَاجِيَا لِقَاءَكَ يَا سُؤْلِي ويَا غَايَةَ الأَمَلْ
فَأَيأَسَنِي الإِظْلَامُ عَنْكَ وَلَمْ أَكُنْ لأَيأَسَ يَوْمًا إِنْ بَدَا اللَّيْلُ يَتَّصِلْ
وَعِنْدِي دَلِيْلٌ لَيسَ يَكْذِبُ خُبْرُهُ بِأَمْثَالِه فِي مُشْكَلِ الأَمْرِ يُسْتَدَلْ
لأَنَّكَ لَوْ رُمْتَ الزِّيَارَةَ لَمْ يَكُنْ ظَلَامٌ وَدَامَ النُّورُ فِيْنَا وَلَمْ يَزُلْ

ومنهــا : وعند[7] حادث يحدث بينهما من عتابٍ لا يدري حقيقته إلاّ بالوصف.

---

(١) أي عادته، وديدنه، وجاء بعده فيها: ولا يرتاح لشيء ارتياحه لها، ولا يُنَهْنِهَهُ عن ذلك تخوف أن يفطن السامع، ويفهم الحاضر، وحبك الشيء يعمي ويُصم.

(٢) في المخطوط: كله. والتصويب من طوق الحمامة (ص: ١٦).

(٣) في الطوق: السهر. والبيت جاء فيه في وضع النثر، ثم لم يذكر البيت الثاني.

(٤) في المخطوط: أكثر. والتصويب من الطوق.

(٥) جاء بعدها في الطوق: وواصفوا طول الليل، وفي ذلك أقول وأذكر كتمان السر، وأنه يتوسم بالعلامات:

تعلمت السحائب من شئوني فعمت بالحيا السّكب المُتُونِ

في أبيات ذكرها.

(٦) جاء قبل هذه العبارة في الطوق (١٨): ويعرض للمحبين القلق عند أحد أمرين أحدهما: عند رجائه.... فذكر العبارة ثم قال خبر: وإني لأعلم بعض من كان محبوبه يعده بالزيارة، فما كنت أراه إلا جائيًا وذاهبًا لا يقرّ به القرار، ولا يثبت في مكان واحد، مقبلاً مدبرًا قد استخفه السرور بعد ركانة، وأشاطه بعد رزانة، ولي في معنى انتظار الزيارة. ثم ساق الأبيات الأربعة كما هي.

(٧) في المخطوط: وعيد. و التصويب من الطوق، وقبله لفظ: والثاني، فذكر هذا القول ثم زاد: فعند ذلك يشتد القلق حتى توقف على الجليلة.

=

حُلْوُ العتَاب يُهَيجُــه الإدْلاَلُ　　لَمْ يَحْلُ إلاّ بالْعتَاب وصَــالُ
لَمْ يَهْوَ قَط وَلاَ يُسَمَّى عَاشقًا　　منْ كَانَ يَصْرفُ وَجْهه التعدالُ
وَجَميْعُ أسْبَاب الغَرَام يَسيْرَة　　مَا لَمْ يَكُنْ غَدْر وَلاَ اسْتبْــدَالُ

ومنها: الاستكانة لجفاء المحبوب ومن أعراض المحبة الجزع الشديد والحمرة المقطعة تغلب عندما يرى من إعراض محبوبه(١).

دُمُوعُ عَيْني بهَا انْبسَاطُ　　وَنوْم عَيْني به انْقبَاضُ
وَذَا قَليْل لمَنْ دَهَتْــهُ　　بلَحْظهَا الأعين المَراض

ومنها: محبته أهل محبوبه وقرابته(٢).

وَقَالُوا يَا جَميْلُ أَتَــى أخُوهَــا　　فَقُلْتُ أتَى الحَبيْبُ أخُو الحَبيْب
أُحبّكَ أنْ حَلَلْتَ حبَالَ جسْمي　　وَأن جَاوَر بُثَيْنَة منْ قَريْــب

[٣٥/ب] ومنها: البكاء، والناس متفاوتون في كثرته وقلته(٣).

لَعَلَّ انْسْكَاب الدَّمْع يُعْقبُ رَاحَةً　　منَ الوجد أوْ يَشْفي نَجيَّ البَلاَبل

ومنها: محبة سماع الأذى في محبوبه والعذل فيه(٤):

=
فإما أن يذهب تحمُّله إن رجا العفو، وإما أن يصير القلق حزنًا وأسفًا إن تخوف الهجر.
ثم لم يذكر هذه الأبيات التي أوردها المؤلف هاهنا.

(١) في الطوق (ص:١٨) قبل هذه العبارة: ويعرض للمحب الاستكانة لجفاء المحبوب عليه.... ومن أعراضه .... ثم ذكر العبارة كما هنا. ثم زاد: عنه ونفارد منه، وآية ذلك الزفير وقلة الحركة والتأود وتنفس الصعداء، ثم ذكر شعرًا ليس هو الذي هنا.

(٢) في الطوق (ص:١٩): ومن علاماته أنك ترى المحب يحب أهل محبوبه وقرابته وخاصته حتى يكونوا أحظى لديه من أهله ونفسه ومن جميع خاصته. و لم يذكر عقبه شعرًا.
قلت: ويذكرني ذلك بما روته السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها من أن النبي صلى الله عليه وسلم كان نائمًا في بيتها بين النائم واليقظان إذ دخل هانئ بن أبي هانئ ، فما أن سمع صوته حتى قام مسرعًا إلى هانئ فاعتنقه، وهو يقول: "هانئ هانئ" فهذا يدلنا على مدى حب رسول الله صلى الله عليه وسلم لخديجة رضي الله تعالى عنها لما كانت عليه من خلق كريم وإيمان قوي ومواساة له عندما كذبه أهل مكة فكان حبه لابنها من غيره من قلبه بهذا المكان مكافأة لها على إخلاصها لدينها، ووفائها لزوجها صلى الله عليه وسلم، وكثيرة هي المواقف التي ظهر فيها وفاء النبي صلى الله عليه وسلم لهذه السيدة الجليلة حتى عند فتح مكة يوم أن قال: اضربوا لي خيمة عند قبر خديجة فصلى الله عليه وسلم من نبي علمنا من الوفاء بالعهد.

(٣) ذكر نحوه ابن حزم في الطوق (ص:١٩).

(٤) هذا أمر غريب لا أعرف له سببًا ولا معنى وقد دلل عليه المؤلف بما أورد بعده من شعر مما يؤكد
=

لاَ يَطِيْبُ الهَوَى وَلاَ يَحْسُن الحُبّ ... لِصَبٍّ إلاَّ بِخَمْسِ خِصَالِ
بِسَمَاعِ الأَذَى وَعَــذْلِ نَصِيْــحٍ ... وَعِتَابٍ وَهَجْرَة وَتَعَــالِ

ومنها: جمود العين عند التذكر أو الوداع[1].

تَاللهِ مَا جَلَدِي مِنْ بَعْدِهِم يُسْلِي ... وَلا اخْتِزَانِي دُمُوعِي بَعدكمُ بُخل

ومنها: تركه للبكاء إشفاقًا.

لَوْكُنْتُ أَمْلِكُ عَيْنِي مَا بَكَيْتُ بِهَا ... تَطَيُّرًا مِنْ بُكَائِي بعْدَهم شَفَقا

ومنها: عجزه عن حمل اللوم في محبوبه.

لاَ أَحْمِلُ اللَّوْمَ فِيْهَا وَالغَرَامَ بِهَا مَا ... حَمَّلَ اللهُ نَفْسًا فَوْقَ مَا تَسعُ

ومنها: سوء الظن[2]، واتهام كل كلمة من أحدهما وتوجيهها إلى غير توجيهها؛ وهذا أصل العتاب بين المحبين.

أُسِيءَ ظَنِّي بِكُلِّ مُحْتَقَـــرٍ ... يَأْتِي بِه وَالْحَقِيْرُ مِــنْ حَقَــرْ[3]
كَيْ لاَ يُرَى أَهْل هجْره وقلى ... فَالنَّارُ فِي بَــدْءِ أَمْرِهَــا شَــرَرْ[4]
[وَأَصْلُ عُظْمِ الأُمُور أَهْوَنُهَا ... وَمِنْ صَغِيرِ النَّوَى تَرَى الشَّجَرْ][5]

ومنها: كثرة شفقته على محبوبه، حتى يؤديه لسوء الظن، كما قيل في مثل قديم: الشفيق مولع بسوء الظن.

ثم إن أحوالهم في العشق تختلف: فمنهم: من يعشق أثرًا رآه[6].

=
أنه ليس فيه تحريف أو سقط في المخطوط إذ إن الشعر يحمل نفس المعنى ولا أفهم مغزى ذلك الأمر ، والمفترض والذي عليه الفطر السليمة هو العكس من ذلك، فالله أعلم.

(١) ذكر ابن حزم هذه العلامة في الطوق وأسهب فيهــا وحكى عن نفسه سببًا أدى به إلى جمود العين مع شدة تفطر القلب من المصيبة.

(٢) جاء قبلها في الطوق (ص: ٢٠): ويعرض في الحب سوء الظن... ثم ساق الكلام كما هنا ثم قال : وإني لأعلم من كان أحسن الناس ظنًا وأوسعهم نفسًا وأكثرهم صبرًا وأشدهم احتمالاً وأرحبهم صدرًا، ثم لا يحتمل ممن يحب شيئًا ولا يقع له معه أيسر مخالفة حتى يبدي من التعديد فنونًا، ومن سوء الظن وجوهًا.

(٣) في المخطوط: حقرد. والتصويب من الطوق.

(٤) في المخطوط: شررد. والتصويب من الطوق.

(٥) ما بين المعقوفين من الطوق.

(٦) يذكرني ذلك بقول الشاعر وإن لم يكن موافقًا لهذا تمامًا، إلا أنه في مجراه إذ يقول:
النفس تفجع بعد العين بالأثر
وقوله: والأذن تعشق قبل العين أحيانًا

يحكى أن: رجلاً عشق أثر كف امرأة رآه في حائط، فلما أيس أهله من صلاحه، تركوه يومًا حتى غاب لحاجته، ومسحوا ذلك الأثر، فلما قدم و لم يره بكى حتى [٣٦/أ] مات.

ومنهم: من يحبّ في النوم بشكل لا يعرف فيهم به.

يَالَيْتَ شِعْرِيَ مَنْ كَانَتْ وَكَيْفَ سَرَتْ ... أَطَلْعة الشَّمْس كَانَتْ أَمْ هِيَ القَمَرُ
أَظُنُّهَـا العَقْـلُ أَبْدَاهَـا تَدَبُّـرُهُ ... أَوْ صُوْرَة الروْح أَبْدَتْهَا لِيَ الفِكَرُ
أَوْ صُوْرَة مُثِّلَتْ فِي النَّفْسِ مِنْ أَمَلِي ... فَقَدْ تَحَيَّر فِي إِدْرَاكِهَا البَصَـرُ
أَوْ لَمْ تَكُنْ كُلّ هَذَا فَهِيَ حَادِثَـةٌ ... أَتَى بِهَا سَبَبًا فِي حَتْفِيَ القَـدَرُ

ومنهم: من يحب بالوصف دون المعاينة(١)، ولهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن تصف المرأة لزوجها امرأة أخرى.

أَيَا مَنْ لاَ مَنِي فِي حُبِّ ... مَنْ لَمْ يَـرَهُ طَرْفِـي
لَقَدَ أَفْرَطْتَ فِي وَصْفِكَ ... لِي فِي حُبِّ مَنْ ضَعُفَ
فَقُلْ هَلْ تُعْرَفُ الْجَنَّـةُ ... يَومًا بِسِوَى الْوَصْـفِ

ومنهم: من يحب بسماع النغمة دون الرؤية(٢).

يَا قَوْم أُذْنِي لِبَعْضِ الحَيِّ عَاشِقَة ... وَالأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانًا

ومنهم: من يعشق باللمس.

قال حباحب، وبرجان: اللمس رأس الشهوة:

---

(١) يقول ابن حزم في طوق الحمامة في باب من أحب بالوصف (ص:٢١): ومن غريب أصول العشق أن تقع المحبة بالوصف دون المعاينة، وهذا أمر يترقى منه إلى جميع الحب، فتكون المراسلة والمكاتبة، والهم، والوجد والسهر على غير الإبصار، فإن للحكايات ونعت المحاسن ووصف الأخبار تأثيرًا في النفس ظاهرًا.

(٢) ويكمل في الطوق فيقول أيضًا في (ص : ٢١) : وأن تسمع نغمتها من وراء جدار فيكون سببًا للحب واشتغال البال.

وهذا كله قد وقع لغير ما واحد، ولكنه عندي بُنيان هار على غير أسٍّ، وذلك أن الذي أفرغ ذهنه في هوى من لم ير لابد له إذ يخلو بفكره أن يمثل لنفسه صورة يتوهمها وعينًا يقيمها نصب ضميره، لا يتمثل في هاجسه غيرها، قد مال بوهمه نحوها، فإن وقعت المعاينة يومًا فحينئذ يتأكد الأمر أو يبطل بالكلية وكلا الوجهين قد عرض وعرف، وأكثر ما يقع هذا في ربّات القصور المحجوبات من أهل البيوتات مع أقاربهن من الرجال، وحب النساء في هذا أثبت من حب الرجال لضعفهن، وسرعة إجابة طبائعهن إلى هذا الشأن وتمكنه منهن وفي ذلك أقول شعرًا منه. فذكر الشعر الذي ذكر من قبل في باب من أحب بالوصف والذي أوله:

يا من لامني في حب ... من لم يره طرفي

.... الأبيات.

أمامةُ قَدْ وُصِفْتِ لَنَا بِحُسْنٍ وَإنَّا لاَ نَرَاكِ فَأَلْمِسِيْنَا

ومنهم: من يعشق بالشم:

وَالْعَيْنُ تَعْشَقُ مَنْ تَهْوَى وَتُبْصِرُهُ كَذَاكَ يَعْشَقُ أَيْضًا الأَنْفُ وَالأُذْنُ

ومما يخالف به العاشق غيره: أن العرب كانوا إذا خرجوا في سفر لا يلتفتون، ومتى التفتوا تطيروا ذلك إلا العاشق فإنهم يتفاءلون له بذلك ليرجع إلى من خلف. ذكره أبوعبيدة[١] البكري في كتاب الاحتفال.

ومنهم: من يحب من نظرة[٢] .

ومنهم: من يحب جنية رآها في نومه[٣]، ووصفت نفسها له، وجاءته غير مرة على زعمه كما عرض لجعفر بن أبي جعفر المنصور العباسي الآتي ذكره، وخبره في[٣٦/ب] بابه.

ومنهم: من لا يحب إلا مع المطاولة[٤] وكثرة المشاهدة وتمادي الأنس، وإدمان النظر

(١) كذا في المخطوط ، وفي سير أعلام النبلاء (١٩/٣٥): العلامة المتقن أبوعبيد عبدالله بن عبدالعزيز بن محمد البكري نزيل قرطبة... صنف في أعلام النبوة، وعمل شرحًا لأمالي القالي، وكتاب اشتقاق الأسماء وكتاب معجم ما استعجم من البلدان والأماكن، وكتاب النبات، وكان من أوعية العلم والفضائل توفي سنة أربع وثمانين وأربعمائة.
ومن مصادر ترجمته : القلائد للفتح (١٩١)، الصلة (١/٢٨٧)، الحلة السيراء (٢/١٨٠)، المغرب في حلي المغرب (١/٣٤٧)، طبقات النحاة (٣٣٦)، بغية الوعاة (٢/٤٩)، نهاية الأرب (٥/ ١٤٥)، وغير ذلك كثير.

(٢) قال ابن حزم في الطوق (ص: ٢٣) في باب من أحب من نظرة واحدة: وكثيرًا ما يكون لُصُوق الحب بالقلب من نظرة واحدة، وهو ينقسم قسمين، فالقسم الواحد: مخالف للذي قبل هذا، وهو أن يعشق المرء صورة لا يعلم من هي ولا يدري لها اسمًا ولا مستقرًا، وقد عرض هذا لغير واحد ثم يحكي خبرًا طويلاً في قصة يوسف بن هارون الشاعر الرمادي. ثم يقول: والقسم الثاني: .... وهو أن يعلق المرء من نظرة واحدة جارية معروفة الاسم والمكان والمنشأ.....

(٣) قال ابن حزم في باب من أحب في النوم (ص: ٢٠): ولابد لكل حب من سبب يكون له أصلاً وأنا مبتدئ بأبعد ما يمكن أن يكون من أسبابه ليجري الكلام على نسق ، أو أن يبدأ بالسهل والأهون ، فمن أسبابه شيء لولا أني شاهدته لم أذكره لغرابته، ... ثم يذكر خبرًا جرى بينه وبين أبي السري عمار بن زياد في رؤيا رآها في جارية في المنام. ثم يقول: وهذا عندي من حديث النفس وأضغاثها وداخل في باب التمني وتخيل الفكر، ثم يذكر شعرًا لنفسه في ذلك.

(٤) يقول في طوق الحمامة (ص: ٢٥) باب من لا يحب إلا مع المطاولة: ومن الناس من لا تصح محبته إلا بعد طول مخافتة وكثير المشاهدة ومتمادي الأنس، وهذا الذي يوشك أن يدوم ويثبت ولا يحبك فيه مر الليالي فما دخل عسيرًا لم يخرج يسيرًا، وهذا مذهبي. وقد جاء في الأثر: أن الله قال للروح حين أمره أن يدخل جسد آدم وهو فخار فهاب وجزع: ادخل كرهًا واخرج كرهًا، حدَّثناه عن شيوخنا.

وطول الحديث فإن انضم إلى ذلك معانقة وتقبيل فقد تم استحكام العشق.

وفي كتب الحكمة:

إذا وصلت بلّة من ريق المتحابين كل واحد منهما إلى معدة الآخر اختلط ذلك بجسيع البدن ووصل إلى جرم الكبد.

وكذلك إذا تنفس كل واحد منهما في وجه صاحبه، فإنه يخرج من ذلك النفس شيء من نسيمهما فيختلط بأجزاء الهواء[1] فإذا استنشقاه دخل في الخياشيم فوصل بعضه إلى الدماغ فسرى به كسريان النور في جرم القلب، ووصل بعضه إلى جرم الرئة، ثم إلى القلب فيدب في العروق الضوارب، وفي جميع البدن، فينعقد من بدن هذا ما تحلل من بدن هذا. فيصير مزاجًا فيتولد العشق انتهى.

وهذا الذي أميل إليه، ويوشك أن يدوم ويثبت، ولا يحيل فيه مر الليالي، وعند

=

ولقد رأيت من أهل هذه الصفة من أحس من نفسه بابتداء هوى أو توجس من استحسانه ميلاً إلى بعض الصور استعمل الهجر وترك الإلمام لئلا يزيد ما يجد فيخرج الأمر عن يده ويحال بين العير والنزوان، وهذا يدل على لصوق الحب بأكباد أهل هذه الصفة، وأنه إذا تمكن منهم لم يحل أبدًا، وفي ذلك أقول قطعة منها:

سأبعد عن دواعي الحب إني	رأيت الحزم من صفة الرشيد
رأيت الحب أوله التصـدّي	بعينك في أزاهيـر الخـدود
فبينـا أنت مغتبـط مخلـي	إذا قد صرت في حلق القيود
كمعتر بضحضـاح قريـب	فزل فغاب في غمر المـدود

وأني لأطيل العجب من كل من يدعي أنه يحب من نظرة واحدة ولا أكاد أصدقه ولا أجعل حبه إلا ضربًا من الشهوة، وأما أن يكون في ظني متمكنًا من صميم الفؤاد نافذًا في حجاب القلب، فما أقدر ذلك، وما لصق بأحشائي حب قط إلا مع الزمن الطويل وبعد ملازمة الشخص لي دهرًا، أخذي معه في كل جد وهزل، وكذلك أنا في السلو والتوقي، فما نسيت ودًّا لي قط، وإن حنيني إلى كل عهد تقدم لي ليغصُّني بالطعام ويشرقني بالماء، وقد استراح من لم تكن هذه صفته.

وما مللت شيئًا قط بعد معرفتي به ولا أسرعت إلى الأنس بشيء قط إلا بعد معرفتي به ولا أسرعت إلى الأنس بشيء قط أول لقائي له، وما رغبت في الاستبدال إلى سبب من أسبابي مذ كنت لا أقول في الألاف، والإخوان وحدهم، لكن في كل ما يستعمل الإنسان من ملبوس ومركوب ومطعوم وغير ذلك، وما انتفعت بعيش ولا فارقني الإطراق والانغلاق مذ ذقت طعم فراق الأحبة وإنه لشجي يعتادني وولوع هم ما ينفك يطرقني ، ولقد نغَّص تذكري ما مضي كل عيش أستأنفه، وإني لقتيل الهموم في عداد الأحياء، دفين الأسى بين أهل الدنيا. والله المحمود على كل حال لا إله إلا هو.

(١) في المخطوط: الهوى . وهو تحريف.

الامتحان يكرم المرء أو يهان.

قال المأمون رحمه الله في كلام طويل: الحب ذل لذيذ بالمؤانسة.

وقال أعرابي: العشق نبت بذره النظر، وماؤه المزاورة، وثماره الوصل، وقلبه الهجر، وحصاده التجني.

محبة صدق لم تكن بنت ساعـــة   ولا رويت حتى ارتياد زنادها
ولكن على مهل سرت وتولدت   بطول امتزاج فاستقرّ عمادها

ومن المحبين: من يكون شرس الأخلاق صعب الشكيمة جموح القياد، فإذا أحب، عاد صعب ذلك الأمر يسيرًا، وجليله حقيرًا.

كما حكي عن بعضهم: أنه كان بهذه السمة، فلما أحب رجع عما كان يعهده من نفسه حتى إنه كتب إلى [٣٧/أ] عشيقته يومًا:

لَكِنَّ ذُلَّ الحُبِّ يَمْنَعُنِي   مِنْ أَنْ أحرِّكَ بالْجَوَابِ فَمَا

وكتب إليها أيضًا:

شَكَوْتُ فَقَالَتْ: كُلّ هَذَا تَبَرُّمًــا   بِحُبِّي أَرَاحَ قَلْبَــكَ مِــنْ حُبِّــي
فَلَمَّا كَتَمْتُ الحُبَّ قَالَتْ لشدَّمَــا   صَبَرْتَ وَمَا هَذَا بفِعْلِ شَجِي القَلْب
وَأَدْنُو فَتَقْصِيْنِي فَأَبْعُــدُ طَالِبًــا   رِضَاهَا فَتَعْتَدُ التَّبَاعُد مِــنْ ذَنْبِــي
فَشكْوَايَ يُؤْذِيْهَا وَصَبْرِي يَسُؤُهَا   وَتَجزعُ مِنْ بُعْدِي وَتَنْفِرُ مِنْ قُرْبِي

ومنهم: من يعشق ثم تحصل له من معشوقه نفرة لا سبب لها فيترك من يحبه ظاهرًا أنفة من الهوان وتجلدًا(١).

ولقد: عهدت شابًا كان يعشق جارية زمانًا حتى إنه كان تمر له الليالي لا ينام فيها إلاّ مارًا على بابها إلى الصباح وفي خلال ذلك قد يظفر منها بكلام أو نظر، وقد لا يظفر، ومكث على ذلك سنين ، إلى يوم أظهرت له جفاءً وإعراضًا، فأنف من ذلك ، ولم يتعرض لها إلى الآن . ويخبرني أن بقلبه منها المقيم المقعد، وأنها راسلته بعد ذلك فلم يجبها.

ومنهم: من إذا بعد زاد عشقه وحنينه.

---

(١) قلت: هذا ربما راجع نفسه ووقف لها عندما يحسن لها فجاهدها فانتصر عليها واكتفى بما هو مباح لها فيما ملكته انشغاله وسهله عليه ونفعه به فصرف نفسه عما لا يزيدها إلا شقاء وأسفًا في الدنيا والآخرة. وهو أمر محمود لا يقدر عليه إلا من كان ذا شكيمة قوية ورأي حازم، ومن إذا حدث له نفسه أن يخرج إلى الحق والعقل والصواب ولم يركب رأسه ويستمر في الجهل والعناد والفساد ويخالف هواها ويردها إلى ربها راضية مرضية لا نادمة ولا مخزية.

ومنهم: عكس ذلك[1].

بِكُلٍّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يَشْفَ مَا بِنَا ... عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ البُعْدِ

ومنهم: من لا يطيب له العشق إلا بالذل، وهذا هو الغالب على العشاق[2].

تَذَلَّلْ لِمَنْ تَهْوَاهُ تَكْسَبُ عِزَّةً ... فَكَمْ عِزَّةٍ قَدْ نَالَهَا المَرْءُ بِالذُّلِّ

ومن شروط المحبة

عدم الشريك فإن كان كذلك لم يكن محبًا حقيقة بل مراده إزالة شهوة يشتهيها. [٣٧/ب]

كَذَبَ المُدَّعِي هَوَى اثْنَيْنِ حَتمًا ... مِثْلَ مَا فِي الأُصُولِ أَكْذَبَ مَانِي[3]

لَيْسَ فِي القَلْبِ مَوْضِعٌ لِحَبِيبَيْنِ ... وَلاَ أَحْـدَثُ الأُمُـورِ بِثَانِـي

فَكَمَا العَقْلُ وَاحِدٌ لَيْسَ يَدْرِي ... خالقًـا غَيْـرَ وَاحِدٍ رَحْمَانِـي

فكذا القَلْبُ وَاحِدٌ لَيْسَ يَهْوَى ... غَيْرَ فَـرْدٍ مُبَاعِـدٍ أَوْ مُدَانِـي

هُوَ فِي شِرْعَةِ المَوَدَّةِ ذُو شَـكٍّ ... بعيـدٌ مِـنْ صِحَّـةِ الإِيمَانِ

وَكَذَا الدِّينُ وَاحِـدٌ مُسْتَقِيمٌ ... وكَفُـورٌ مَـنْ عِنْـدَهُ دِينَـانِ

وقال مسلم بن الوليد:

---

(١) هذا متوقف على ترويض النفس وتعويدها على الصبر والتحمل وتدريبها على الرضا بالقدر خيره وشره حلوه ومره فتسكن لكل قضاء يعرض لها إما بصبر وإما بشكر فتكون في كل محمودة مأجورة.

(٢) المراد ليس كما هو ظاهر من قول المؤلف وإنما يريد الترقق والتلين والتلطف وخفض الجناح للمحبوب والتغاضي عن زلاته وهفواته وترك ملامته والتصبر على شدته وقسوته والاحتيال عليه بكل الطرق لكسب رضاه وإدخال السرور عليه ولو كان في ذلك جور على العاشق أو مكلف له. أو يعرضه لبعض الأمور التي تضايقه، كل هذا ليكسب ود معشوقه.

(٣) الشعر في طوق الحمامة (ص:٥٧) وعلق الإسناد محققه على تلك الكلمة بقوله: ماني: منسوب إليه المذهب المانوي. قلت: وهو من الملل الباطلة المخالفة للشرع، الحنيف ومن الفرق الضالة عافانا الله وإياكم.

وهم ينسبون إلى ماني بن ماش، كان في الأصل مجوسيًا، فأحدث دينًا ودعا إليه وزعم أن صانع العالم اثنان -فهو ثنوي- أحدهما فاعل الخير والنور وثانيهما فاعل الشر، وهو الظلمة، وهما قديمان، لم يزالا، ولن يزالا وهما مختلفان في النفس والصورة متضادان في الفعل والتدبير، وقد ظهر في أيام سابور بن أردشير، وتبعه خلق عظيم من المجوس، وادعوا له النبوة وما زال إلى أن قتل في زمان سابور ، وقيل: في زمن بهرام بن هرمز بن سابور. ولك أن تراجع فيه: سرح العيون (ص: ١٥٥)، الملل والنحل (١/٢٤٤).

وَأَوْطَنُ قَلْبِي حُبَّكَ اليَوْم فَامْتَلي   فَمَا لِسِوَاكَ الدَّهْر فِي القَلْبِ مَوْطِنِ

وقد ترقى قوم: إلى أن ليس لمحبوبهم في العالم شبهًا ولا مثالاً(١).

قال النوقاني: وقوم من المتيمين عابوا من يرى مثالاً أو شبهًا لمحبوبه وذمّوهم وخطئوا آرآهم وقالوا: إن من ظن أن في هذه الدنيا أحدًا سوى محبوبه فقد أشرك به وارتكب أجل ذنوبه.

ومنها: يفضي للمحب سمعه وبصره، يبقى إذا كلمته باهتًا، ونفسه مما بها سكرى، تحسبه مستمعًا منصتا، وقلبه في أمة أخرى.

ومنها: دقة الخط وقرمطته.

أنشد المرزباني في كتابه المفصل للتالشي:

كَتَبْتُ إِلَيْه أَشْتَكِي حَرْقَ الهَوَى   بِخَط دَقيْق وَالْخُطوطُ فُنُــونُ

فَقُلْتُ حَكَانِي فِي نُحُولِي وَدِقَّتِي   كَذَاكَ خُطُوطُ العَاشِقِيْنَ تَكُونُ

ومنها: هجره كثيرًا من الأشياء التي كان يحبها.

---

(١) قال ابن حزم في طوق الحمامة (ص: ٢٨) باب من أحب صفة لم يستحسن بعدها غيرها مما يخالفها: واعلم أعزك الله أن للحب حكمًا على النفوس ماضيًا ، وسلطانًا قاضيًا، وأمرًا لا يخالف، وحدًا لا يعصى، وملكًا لا يتعدى، وطاعة لا تصرف، ونفاذًا لا يرده وأنه ينقضي المرر (أي العقول)، ويحل المبرم، ويحلّ الجامد، ويخل الثابت، ويحل الشغاف (غلاف القلب) ويحل الممنوع، ولقد شاهدت كثيرًا من الناس لا يتهمون في تمييزهم ولا يخاف عليهم سقوط في معرفتهم ولا اختــلال بحسن اختيارهم ولا تقصير في حدسهم، قد وصفوا أحبابًا لهم، في بعض صفاتهم بما ليس بمستحسن عند الناس، ولا يرضى في الجمال، فصارت هجيرهم (أي ديدنهم) وعرضه لأهوائهم ومنتهى استحسانهم ، ثم مضى أولئك إما بسلوٍّ أو بين أوهجر أو بعض عوارض الحب، وما فرقهم استحسان تلك الصفات ولا بان عنهم تفضيلها على ما هو أفضل منها في الخليقة ولا مالوا إلى سواها بل صارت تلك الصفات المستجادة عند الناس مهجورة عندهم وساقطة لديهم، إلى أن فارقوا الدنيا ، وانقضت أعمارهم حنينًا منهم إلى من فقدوه وألفة لمن صحبوه . وما أقول أن ذلك كان تصنعًا لكن طبعًا حقيقيًا واختيارًا لادخل فيه، ولا يرون سواه ولا يقولون في طي عقدهم بغيره وإني لأعرف من كان في جيد حبيبه بعض الوقص فما استحسن أعيد، ولا غيداء بعد ذلك. وأعرف من كان أول علاقته بجارية مائلة إلى القصر فما أحب طويلة بعد هذا . وأعرف أيضًا من هوى جارية في فمها فوه (أي اتساع في الفم وانفراج في الشفتين عن الأسنان) لطيف ، فلقد كان يتقذر من كل فم صغير ويذمه ويكرهه الكراهية الصحيحة.

وما أصف عن منقوص الحظوظ في العلم والأدب لكن عن أوفر الناس قسطًا في الإدراك، وأحقهم باسم الفهم والدراية. قلت: يريد الأكثر دراية بالشئون الاجتماعية ومن لهم احتكاك أكثر بحياة الناس الخاصة إذ إن أهل العلم والأدب في شغلهم بالعلم انشغال عن كثير من هذه الأمور.

ومنها: إذا سئل عن أمر أجاب بخلافه.

ومنها: كثرة التثاؤب والتمطي والتكسُّل إذا نظر إلى محبوبه.

ومنها: مكْثه في الأرض بإبهام رجليه ويختلج شفتاه.

وهكذا كثير مما يعرض [٣٨/أ] للنسوان:

منها: عضها على شفتها السفلى.

ومنها: دمع عينيها وضربها بيدها على عضديها وثدييها.

ومنها: إظهارها محاسنها لمن تهواه موهمة أنها تري ذلك بعض أهلها.

ومنها: نظرها إلى أعطافها.

ومنها: أنها تتحدث بالحديث فتضعه في غير موضعه.

إياك أعني فاسمعي يا جارة(١).

إِذَا أَرَدْت لقَائِي خَالِيَـةً وَكَانَ وَجْهُ اللّقَاءِ مُجْتَنبَا
سَمَّــتْ بِهَا لُعْبَة حَظِيَّتُها وَلَقَّبَتْنِي بِلُعْبَــةٍ لَقَبَــا

ومنها: سرعة سُكره.

مَنْ كَانَ لاَ يزْعمُني عَاشقًــا أَحْضَرْتُه أوْضَحَ البُرْهَان
إِنِّي عَلَى رَطْلَيْنِ أُسْقَاهُمَــا أرُوحُ فِي أثْوَاب سَكْرَان
وَكُنْتُ لاَ أَسْكَرُ مِنْ تسْعَــة يَتْبَعُهَا رَطْل وَرَطْــلاَنْ
فَصَارَ لِي مِنْ غَمَرَات الهَوَى والرَّاح سَكْرَان عَجِيْبَان

ومنها: كثرة الإطراق(٢).

مَتِّع جُفُونَكَ أَيُّهَا المُشْتَاقُ وانْظُرْ فَلَيْسَ يَفُوْتُكَ الإِطْرَاقُ

---

(١) من مأثور القول.

(٢) ومما يذكر ابن حزم أيضًا من أوصافهم في كتابه طوق الحمامة (ص: ١٦): ... وفي الحديث فإنه يفاتحك مبتهجًا فتعرض له خطرة من خطرات الفكر فيمن يحب فتستبين الحوالة في منطقه والتقصير في حديثه.

وآية ذلك الوجوم والإطراق، وشدة الانفلاق، فبينما هو طلق الوجه خفيف الحركات صار منطبقًا متثاقلاً حائر النفس جامد الحركة يبرم من الكلمة ويضجر من السؤال.

ومن علامته: حب الوحدة والأنس بالانفراد، ونحول الجسم دون حدٍّ يكون فيه، ولا وجع مانع من التقلب والحركة والمشي دليل لا يكذب، ومخبر لا يخون عن كلمة في النفس كامنة.

والسهر من أعراض المحبين وحكوا أنهم رعاة الكواكب وواصفو طول الليل وفي ذلك أقول وأذكر كتمان السر، وأنه يتوسم بالعلامات. فذكر شعرًا له.

إنَّ المُحبَّ إذَا رَأَى أحْبَابَهُ　　　خَرَسَ اللسَان وَعَادَه الإشفَاقُ

ومنها: إقباله على التي فيها محبوبه وعدم انصرافه عنها.

ومنها: استلذاذه العتاب فيه:

وَقَفَ الهَوَى بِي حَيْثُ أَنْتَ فَلَيْسَ لِي　　　مُتَأَخَّرٌ عَنْـهُ وَلاَ مُتَقَـدَّمُ

أَجِد الملاَمة فـي هَـوَاكَ لَذِيْـذَةً　　　حُبًّا لِذِكْرِكَ فَلْيَلُمْنِي اللُوَّمُ

ومنها: محبة موت محبوبه.

وهذا نوع مستهجن؛ ولكن الحصري ذكره لبعضهم: [٣٨/ب]

تَرْدَاد أَنْفَاس المُحِـبِّ تَدلُنَـا　　　عَلَى كُنْه ما أخْفَاهُ مِنْ أَلَم الحُبِّ

إذا خطرات الحب خامرن قلبه　　　تَنَفَّسَ حَتَّى ظَلَّ مُنْصَدِعَ القَلْب

وهذه المعاني: أوسع ذرعًا من أن تبلغها مذاكرة، أو تحويها محاورة، وإنما أخذنا يسيرًا من كثير وثمادًا[1] من بحور.

وهنا: وقف بنا الكلام على غايته، وانتهى بنا المقال إلى نهايته، وقد آن لنا الرجوع إلى ما أصّلناه.

ومن الله نستمد الإعانة فيما طلبناه، فهو ولي ذلك والقادر عليه.

---

(١) الثَمدُ، والثَّمَدُ: الماء القليل الذي لا مادّ له. قلت: وإني أرى أن كتاب طوق الحمامة لابن حزم أوفى كتاب في هذا الباب في حدود معلوماتي وإن كان في نسبته إلى ابن حزم نظر فلا يقدح هذا في كونه من أوفى الكتب التي تناولت هذا الباب إن لم يكن أوفاها والله أعلم.

باب الألف

١ - شهيد[١]

[صاحب آية: ﴿ألم يأن للذين آمنوا﴾][٢]

قال أحمد بن أبي الحواري فيما ذكره الخطيب: بينما أنا في بعض طرقات البصرة إذ سمعت صعقة، فأقبلت نحوها فرأيت رجلاً مغشيًا عليه فقلت: ما بال هذا؟!

فقالوا: سمع آية من كتاب العزيز.

فقلت: وما هي؟

فقال: قوله تعالى: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله﴾[٣]، قال أحمد: فأفاق عند سماعها وهو يقول:

أَلَمْ يَــأْنِ لِلْهِجْــرَانَ أن يَتصَرَّمَــا ... وَلِلْغُصْنِ غُصــْن أنْ يَتكَلَّمَــا
وَلِلْعَاشِقِ الصَّبِّ الَّذِي ذَابَ وَانْحَنَى ... أَمَا آنَ أَنْ يُبْكَى عَلَيْهِ وَيُرْحَمَــا
كَتَبْتُ بِمَاءِ الشَّوْقِ بَيْنَ جَوَانِحي ... كِتَابًا حَكَى نَقْش المُوَشَّى المُنَمْنَما

۞ ۞ ۞

---

(١) سبق أن ذكر أنه سوف يذكر من لم يسم من العشاق في حرف الراوي عنه الخبر. ثم إنه يذكر من قتله الحب أو العشق وكان في حياته مسلمًا بلفظ شهيد.

(٢) ما أجعله بين المعقوفين بعد كلمة شهيد أو قتيل إنما هو زيادة تصنيفية من عملي لكي أعنون بها لكل قصة أو حكاية ليسهل العثور عليها من الكتاب وغالبًا ما أحاول أن أجعلها باسم صاحب أو صاحبة القصة حتى يكون الاهتداء إليها أسهل والله الموفق والهادي إلى الصواب.

(٣) سورة الحديد (الآية: ١٦): وكم كانت هذه الآية لها تأثير شديد على كثير ممن سمعها ومن بين هؤلاء وأشهرهم الفضيل بن عياض الذي كان لصًا ثم صار من أشهر العباد والزهاد على مدار التاريخ.

٢- شهيـــد

[الوفية الباكية عند قبر محبوبها](١)

قال الخرائطي: حدثنا الزيادي حدثنا أحمد بن إسماعيل المزني قال سمعت امرأة عند قبر وهي تقول:

كَفَى حُزْنًا أَنِّي أَرُوْحُ بِحَسْـــرَة ... وَأَغْدُو عَلَى قَبْر وَمَنْ فِيْهِ لا يَدْرِي

فَيَا نَفْسُ شُقي جَيْب عُمْرك عِنْدَهُ ... ولا تَبْخَلِي بالله يا نَفْسُ بالعُمْري

فَمَا كَانَ يَأْبَى أنْ يَجُودَ بِنَفسِـــهِ ... لِينْقذنِي لَوْ كُنْت صَاحِبَة القَـــدْرِ

[٣٩/أ] ثم لم تزل تبكي حتى ماتت.

(١) هذا وفاء لا ندري ما إن كان لزوج أم لأب أم لأخ أم لابن، أو لعشيق. فإن كان لأي منهم سوى الأخير فهو حميد مشكور وكثيرات هن اللواتي وفين لآلهم وأزواجهم من النساء وعلى رأس من وفين لأخوتهن الخنساء فقد فاقت كل من سبقها في بكائها على أخيها صخر وقد غلب على شعرها وصارت أشهر شاعرة عربية مع هذا الوفاء النادر لأخيها أما الوافيات لأزواجهن فكثيرات جدًا قديمًا وحديثًا.

٣- قتيـــل(١)
[أحمد بن كليب، وأسلم بن سعيد]

(١) تخير المؤلف لفظ قتيل لغير المسلمين من العشاق أو من مات على غير هدى من الله ممن يدعون أو ينتسبون إلى الإسلام وقد ختم لهم بما يخرج إيمانهم أو عقيدتهم من قول أو فعل وشهد على ذلك أحد من الناس.

وأما أحمد بن كليب. فقد قال عنه السيوطي في بغية الوعاة، (ت٦٨٣، ١/ ٣٥٤): النحوي الأندلسي. قال ياقوت: شاعر مشهور الشعر لا سيما شعره في أسلم بن أحمد بن سعيد قاضي قضاة الجماعة.

وقد اشتد كلفه به، وفارقه صبره، واشتهر حاله، حتى اختفى أسلم، وترك الخروج من منزله.

ومات ابن كليب سنة ست وعشرين وأربعمائة. ومن شعره فيه:

أسلـــم يا راحة العليـــل ... رفقًا على الهائم النحيل
وصلك أشهى إلى فؤادي ... من رحمة الخالق الجليل

قلت: وهذا الشعر قد ذكره المؤلف هاهنا وذكر اعتراض سامعه عليه، وبه ذكره المؤلف بلفظه: قتيل بدل شهيد نظرًا لعدم احتمال الشعر غير إلى غير ظاهره وذكر السراج في مصارع العاشقين (١/١‏/٣٠١) تحت عنوان: شعر ملحون فقال: كتب ابن كليب إلى محمد بن حطاب شعرًا يتغزل فيه بأسلم، فعرضه ابن خطاب على أسلم، فذكر تعليق أسلم عليه بأنه ملحون، وسيأتي ذكره بعد قليل أثناء سرد المؤلف لقصته مع أسلم، وإصلاحه لما أصاب الشعر من لحن.

قال الحصري في المصون في سر الهوى المكنون (٣٣٠): في أعلال الهوى وأعراضه وأسقامه: قال: قد انتهيت إلى معالمه، وانتبهت على دعائمه. فما أعلاله وأعراضه وأسقامه، وأمراضه؟ قال: تلك أربعة لا يتعداها ولا يتخطاها إلى سواها، وإن تفرعت شعبها وتنوعت أضرابها وهي: قرب، وبعد ووصل ، وصد . فأما من أسعف من المحب بمساحة القرب فحقيق عليه أن يقابل النعمة بالثناء على موليها والحمد لمؤتيها، ولا يشغل بسكرها عن شكرها، فالشكر قيد المنة، وثمن الجنة، ويقرن ذلك بتسكر محبوبه، الموافق به على مطلوبه، فقد قيل: من كنت طليق بره فلتكن أسير شكره....

وأما البعد: فهو: السهم الذي لا يعدل عن القتل، والسيف الذي لا يختل ضربه ولا يفلّ غربه. قال أبو تمام:

أما الهوى فهو العذاب فإن جرت ... فيه النوى فأليم كـــل أليـــم
لا والطلـــول الدارســـات إليـــه ... من مغرق في العاشقين حميم
ما حاولت عيني تأخـــر ساعـــة ... بالدمع مذ صار الفراق غريمي

.... وأما إذا كان الفراق من الأحباب، وقطعت المحب عن اللحاق الأسباب، فذلك السم القاتل، بل الموت العاجل، الذي لا تبلغه الأوصاف ولا تناله الوصاف، وكل رزء سواه يسير وكل أمر دونه حقير، وسأجول في بعض ما قيل في ذلك.

قال أبو تمام:

=

قرأت على يحيى المقدسي عن العلامة بهاء الدين أنبأنا العلامة أبو محمد جعفر بن أحمد قال: حدثني محمد بن عبدالله الأبراشي وكتبه لي بخطه قال: حدثني الفقيه أبو محمد ابن حزم قال حدثني أبوعبدالله محمد بن الحسن المذحجي الطبيب الأديب قال: كنت أختلف في النحو إلى محمد بن خطاب في جماعة، وكان معنا عنده أبوالحسن أسلم بن سعيد الأسلمي قاضي قضاة الأندلس وكان أجمل من رأته العيون، وأحمد بن كليب وكان من أهل الأدب والشعر، فاشتد كلفُه بأسلم، وفارق صبره وصرف فيه القول متسترًا بذلك، إلى أن فشت أشعاره وجرت على الألسنة وتنوشدت في المحافل، فلعهدي بعرس في بعض شوارع قرطبة، والزامر يغني بقول أحمد بن كليب:

أَسْلَمَنِـي فِـي هَـــوَاهُ ... أسْلم هَـذَا الرَّشَـا
غَـــزَالٌ لَـــهُ مُقْلَـــةٌ ... يُصِيْبُ بهَا مَنْ يَشَا
وَشَـــى بَيْنَنَــا حَاســـدٌ ... سيُسْأَلُ عَمَّا وَشَـــى
لَوْ شَاءَ أنْ يَرْتَشِي عَلَى الوَ ... صْل رُوْحِي لارْتَشَا

ومغن حسن يسايره فيها.

قال: فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته والجلوس

=

لـو كـان في البين إذ بانوا لهم دعة ... لكـان بينهم من أعظم الضرر
فكيف والبين موصول به تعب ... تعسف البيد في الإدلاج والبكر
لـو كـان مـا تبتلي الحادثات به ... يلقى على الماء لم يشرب من الكدر
أو كـان بالعيس ما بي يوم بينهم ... أعيت على السائق الحادي ولو تسر
كـأن أيدي مطاياهم إذا وخدت ... يقعن في حر وجهي أو على بصري

وقال معقل أخو أبي دلف:

لعمري لئن قرت بقربك أعين ... لقد سخنت بالبين منك عيون
فسر أو أقم وقف عليك صبابتي ... مكانك من قلبي عليك مصون

وقال آخر:

أحن إلى أرض الحجاز وحاجتي ... خيام بنجد دونها الطرف يقصر
وما نظري نحو الحجاز بنافعي ... أجل لا ولكني على ذاك أنظر
أفي كل يوم نظرة ثم عبرة ... بعينيك يجري ماؤها يتحدر
متى يستريح القلب إما مجاور ... حزين وأما نازح يتذكر

على بابه.

وكان أحمد بن كليب لا شغل له إلا بالمرور على بابه سائرًا ومقبلا نهاره كله. فامتنع أسلم عن الجلوس على باب داره فعيل صبر أحمد فتحيل في بعض الليالي ولبس جبّة من جباب أهل البادية، واعتم بمثل عمائهم، وأخذ بإحدى يديه دجاجًا، وبالأخرى قفصًا فيه بيض، وتحين جلوس أسلم عند احتلاط الظلام على بابه، فتقدم إليه، وقبّل يده وقال: يا مولاي تأمر بقبض هذا. فقال أسلم: ومن أنت؟

فقال: أجيرك في الضيعة الفلانية. وقد كان عرف أسماء ضياعه والعاملين فيها.

[٣٩/ب] فأمر أسلم غلمانه بقبض ذلك منه على عادتهم في قبول هدايا العاملين في الضياع عند ورودهم منها.

ثم جعل يسأله عن الضيعة، فلما جاوبه أنكر الكلام، فتأمله فعرفه.

فقال له: يا أخي وَهْنًا بلغت بنفسك، وإلي هاهنا تتبعُني؟ أما كفاك انقطاعي عن مجالس الطلب، وعن الخروج جملة، وعن القعود على بابي نهارًا، حتى قطعت عليّ جميع مالي فيه راحة، فقد صرت كأني في سجن، والله لا فارقت بعد هذه الليلة قعر منزلي ، ولا جلست بعدها على بابي ليلاً ولا نهارًا، ثم قام فانصرف أحمد بن كليب كئيبًا.

قال محمد بن الحسن: واتصل به ذلك، فقلنا لأحمد بن كليب: وخسرت دجاجك وبيضك؟

فقال: هات في كل ليلة قُبلَة في يده وأخسر أضعاف ذلك.

قال: فلما أيس من رؤيته البتة نمكته العلة وأضجعه المرض.

قال محمد بن الحسن: فأخبرني شيخنا أبوعبدالله محمد بن خطاب، أنه عاده، قال: فوجدته بأسوء حال، فقلت له: ألا تتداوى؟

فقال: دوائي معروف، وأما الأطباء فلا حيلة لهم فيّ ألبتة.

فقلت له: ما دواؤك؟

قال: نظرة من أسلم، فلو سعيت في أن يزورني لأعظم الله أجرك بذلك، وكان هو والله أيضًا يؤجر. قال: فرحمته وتقطعت نفسي له، فنهضت إلى أسلم، فاستأذنت عليه، فأذن لي وتلقاني بما أحب.

فقلت له: لي حاجة. قال: وما هي؟

قلت: قد علمت ما جمعك مع أحمد بن كليب من ذمام الطلب عندي.

فقال: نعم، ولكن قد تعلم أنه بَرَّح بي وشَهَر اسمي، فآذاني.

فقلت: كل ذلك يغتفر في مثل الحال التي هو فيها، فتعوده.

فقال لي: والله ما أقدر على ذلك، فلا تكلفني هذا.

فقلت له : لا بد ، فليس عليك في ذلك شيء [٤٠/أ] وإنما هي عيادة مريض.

قال: فلم أزل حتى أجاب.

قال: فقلت: قم الآن.

فقال لي: لست والله أفعل ذلك إلا غدًا.

فقلت: بلا خلاف؟ قال : نعم.

قال: فانصرفت إلى أحمد بن كليب فأخبرته بوعده حتى يأتيه، فسر بذلك سرورًا شديدًا.

فلما كان من الغد بكرت إلى أسلم، فقلت له: الوعد.

فوجم وقال: والله لقد تحملني على خطة صعبة عليَّ، وما أدري كيف أطيق ذلك؟

قال: فقلت له: لابد أن تفي بوعدك لي.

قال: فأخذ رداءه ونهض معي راجلا.

قال: فلما أتينا منزل أحمد، وكان يسكن في آخر درب طويل، وتوسطنا الزقاق وقف، واحمر وخجل، وقال لي: يا سيدي الساعة والله أموت وما أقدر أنقل قدمي ولا أستطيع أن أعرض هذا على نفسي(١).

قال: فقلت: لا تفعل بعد أن بلغت المنزل تنصرف!

فقال: لا سبيل والله إليه، ورجع هاربًا، فاتبعته، فأخذت بردائه فتمادى، وخرق الراداء وبقيت قطعة منه في يدي لشدة إمساكي له.

ومضى و لم أدركه فرجعت، ودخلت على أحمد بن كليب.

قال: وقد كان غلامه دخل إليه إذ رآنا من أول الزقاق مبشرًا.

قال: فلما رآني دونه تغير وجهه وقال: وأين أبوالحسن؟

قال: فأخبرته بالقصة.

---

(١) في المخطوط العبارة على النحو التالي: أن أعرض على هذا نفسي. وقد جاء تقديم وتأخير في لفظي على، هذا، فسقت العبارة على الصواب. وكان الناسخ قد وضع على كل كلمة حرف (م) يرمز لذلك إلى هذا الخطأ.

قال: فاستحال من وقته وجعل يتكلم بكلام لا يعقل منه أكثر من التَّرَجُّح، فاستبشعت الحال، وجعلت أترجع وقمت.

قال: فثاب إليه وجهه وقال لي: يا أبا عبدالله.

قلت: نعم.

قال: اسمع مني واحفظ عني، ثم أنشأ يقول:

أَسْلِـــمْ يَا رَحـــةَ العَلِيْـــلِ ... رِفْقًا عَلَى الهَائِمِ النَّحِيْـــلِ
وَصْلُكَ أَشْهَى إلى فُؤَادِي ... مِنْ رَحْمَةِ الخَالِقِ الجَلِيْلِ[1]

قال: فقلت له: اتق الله، ما هذه العظيمة؟

فقال لي: قد كان قال.

فخرجت [٤٠/ب] عنه، فوالله ما توسطت الزقاق حتى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا.

قال الحافظ أبومحمد: وهذه قصة مشهورة عندنا، ومحمد بن الحسن ثقة، ومحمد بن خطاب ثقة.

وأسلم هذا من بني خلف، وكانت فيهم وزارة وحجابة.

وهو صاحب الديوان المشهور في غناز رباب، وكان شاعرًا، وابنه الآن يكنى أبا الجهد.

قال أبو محمد: ولقد ذكرت هذه الحكاية لأبي عبدالله محمد بن سعيد الخولاني الكاتب فعرفها وقال: لقد أخبرني ثقة أنه رأى أسلم هذا في يوم شديد المطر لا يكاد أحد يمشي في طريق وهو قاعدٌ على قبر أحمد بن كليب زائرًا له، وتحين غفلة الناس في مثل

(١) عافنا الله إياكم من سوء الخاتمة فإنما هذا من أسبابها، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((...وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا شبر أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها)) .

فاللهم أحسن لنا الختام وأمتنا على دين الإسلام اللهم آمين فإنا نعوذ بك من الكفر بعد الإسلام.

ويقول ابن حزم في طوق الحمامة (٢٨) في باب من أحب صفة: واعلم أعزك الله أن للحب حكمًا على النفوس ماضيًا، وسلطانًا قاضيًا، وأمرًا لا يخالف، وحدًا لا يعصى، وملكًا لا يتعدى، وطاعة لا تصرف، ونفاذًا لا يرد، وأنه ينقضي المِرَر (العقول)، ويحل المبرم، ويحلل الجامد، ويحل الثابت، ويحل الشَّغاف (غلاف القلب)، ويحل الممنوع.

ولقد شاهدت كثيرًا من الناس لا يتهمون في تمييزهم، ولا يخاف عليهم سقوط في معرفتهم، ولا اختلال بحسن اختيارهم ولا تقصير في حدْسهم، قد وصفوا أحبابًا لهم في بعض صفاتهم بما ليس بمستحسن عند الناس ولا يرضى في الجمال، فصارت هجيراهم، وعرضة لأهوائهم، ومنتهى استحسانهم.

ذلك النهار.

وقال أبو محمد: وحدثني قاسم بن محمد القرشي قال: كتب ابن كليب إلى محمد بن خطاب شعرًا يتغزل فيه بأسلم فعرضه ابن الخطاب على أسلم.

فقال: هذا ملحون. وكان ابن كليب قد أسقط التنوين من لفظة في بيت الشعر. قال: فكتب ابن خطاب إلى ابن كليب بذلك فكتب إليه ابن كليب مسرعًا:

أَلْحِقْ لَنَا التَّنْوِيْنَ فِي مَطْمَــعٍ ... فَإِنَّنِي أُنسيـــتُ إِلْحَاقَــهُ
لاَسِيَّمَا إِذْ كَانَ فِي وَصْلِ مَنْ ... كَدَّرَ لِي فِي الحبِّ أَخلاَقَهُ

قال: وقد أهدى له كتاب الفصيح[1]

هَذَا كِتَابُ الفَصِيْحِ ... بِكُلِّ لَفظٍ مَلِيـــحِ
وَهَبْتُـــه لَكَ طَوْعًا ... كَمَا وَهَبْتُكَ رُوحِي

وذكر أبو محمد في كتاب الطوق شيئًا يخالف ما أسلفناه عنه، فالله تعالى أعلم بالصواب في الخبرين.

والقلب إلى صحة الأول أميل، لأنه فيه زيادة من ثقة، والزيادة من الثقة مقبولة ويجمع بينهما: أن وضع كتاب الطوق كان [٤١/أ] أولاً، ثم رواه بعد اطلاعه على زيادة لم يثبتها فيه.

قال: ولقد حدثني أبو السري عمار بن زياد صاحبنا عمّن نثق به: أن الكاتب أحمد بن كليب المعروف بابن قزمان امتحن بمحنة أسلم بن سعد أخي الحاجب هاشم، وكان

---

(١) وكتاب الفصيح ليس من تأليفه وربما كان عنده نسخة منه أهداها إليه.
وكتاب الفصيح قاله عنه حاجي خليفة في كشف الظنون (١٢٧٢/٢): الفصيح: في اللغة اختلف في مؤلفه فقيل: للحسن بن داود الرقي، وقيل: لابن السكيت والأصح: أنه لأبي العباس أحمد بن يحيى المعروف بثعلب الكوفي النحوي المتوفى سنة ٢٩١.
وهو كتاب صغير الحجم كثير الفائدة اعتنى عليه الأئمة فشرحه أبوالعباس محمد بن يزيد المبرد المتوفي سنة ٢٨٥، وابن درستويه عبدالله بن جعفر النحوي المتوفي سنة ٣٤٧، وابن خالويه حسين بن أحمد النحوي اللغوي المتوفي سنة ٣٧٠، ويوسف بن عبدالله الزجاجي المتوفي سنة ٤١٥، وأبوالفتح عثمان بن جني المتوفي ٣٩٢، وأبوسهل محمد بن على الهروي المتوفي سنة ٤٢٣، وسماه التلويح في شرح الفصيح أوله: أما بعد فإنه لما كان جمهور الناس.... الخ وأبو علي أحمد بن محمد المرزوقي المتوفي سنة ٤٢١، وشهاب الدين أبو جعفر أحمد بن يوسف الفهري اللبلي النحوي المتوفي سنة ٦٩١، بتونس شرحين أحدهما تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح. قال ابن الخنائي: وهو كتاب لم تكتحل عين الزمان بمثله في تحقيقه وغزارة فوائده، ومنه يعلم فضل الرجل الذي ألفه وبراعته انتهى.

أسلم كثير الألمام به والزيارة له ولا علم له بأنه أصلُ دائه إلى أن توفي أسفًا ودنفًا.

قال المخبر: فأخبرت أسلم بعد وفاته بسبب علته وموته فتأسف وقال: هلا أعلمتني؟

قلت: ولِمَ؟

قال: كنت والله أزيد في صلته وزيارته، فما علي في ذلك ضرر.

وكان أسلم هذا من أهل الأدب البارع والتفنن فيه مع حظ من الفقه وافر وذا بصارة بالشعر، وله شعر جيد مع معرفة بالأغاني وتصرفها.

وله ديوان عجيب جدًا.

۞ ۞ ۞

٤ – شهيــــدان

[فتيان من الكوفة][(١)]

قال أبومحمد بن محمد الغنوي فيما ذكره في ذم الهوى: دخلت الكوفة، فجاءني ظرفاؤها، وقالوا: هنا فتيان تحابا وقد اعتل أحدهما، فنريد أن نعوده، فذهبت معهم ليعودوا العليل، وأعود الصحيح، فوجدنا فتىً ملقى على سرير آخر، متكئًا عليه، يذب عنه، وينظر في وجهه، فلما رآنا فرّج لنا عن صاحبه، فجلس أصحابي حوله، وجلست بإزاء الصحيح، فكان العليل إذا قال: أوَّه، قال الصحيح: أوَّه، فإذا قال الصحيح: أوَّه من فخذي، قال العليل: أواه من فخذي، وإذا قال: أوه من يدي، قال: أواه من يدي، إلى أن قالوا: قضى رحمه الله تعالى.

فشد أصحابي لَحْيي العليل، وشددتُ لحيي الصحيح، وما برحنا حتى دفناهما.

۞ ۞ ۞

٥ – قتيــــل

[الأعرابي، والسبع، والعشيقة]

قال أحمد بن عمر الزهري: حدثني عمي عن أبيه، فيما ذكره أبوبكر محمد بن

---

(١) قال ابن حزم في طوق الحمامة (١١٣) في باب الموت: وربما تزايد الأمر (يريد السلو) ورق الطبع، وعظم الإشفاق وكان سببًا للموت ومفارقته الدنيا....

ولقد حدثني أبوالسري عمار بن زياد صاحبنا عمن يثق: أن الكاتب بن قزمان امتحن بمحبة أسلم بن عبدالعزيز، أخي الحاجب هاشم بن عبدالعزيز، وكان أسلم غاية في الجمال حتى أضجره لما به وأوقعه في أسبابه المنية.

وكان أسلم كثير الإلمام به والزيارة له ولا علم له بأنه أصل دائه إلى أن توفي أسفًا ودنفًا.

خلف بن المرزبان [قال](١) خرجت في بغاء ضالة لي فآواني المبيت إلى خيمة أعرابي معه تَلْد(٢) من غنم.

فقلت: هل من قِرًى.

قال لي: انزل.

فنزلت [٤١/ب] فثنى لي وسادة، وأقبل علي يحدثني، ثم أتاني بقرى، فأكلت فبينا أنا بين النائم واليقظان، إذا أنا بفتاة قد أقبلت، لم أر مثلها جمالاً وحسنًا ، فجعلت تحدث الأعرابي ويحدثها ليس غير ذلك حتى طلع الفجر، ثم انصرفت.

فقلت: والله لا أبرح موضعي هذا حتى أعرف خبر الجارية والأعرابي.

قال : فمضيت في طلب ضالتي يومًا ، ثم أتيته عند الليل، فأتى بقرى، فبينا أنا بين النائم واليقظان، وقد أبطأت الجارية عن وقتها وقد قلق الأعرابي فهو يذهب ويجيء ويقول:

مَا بَال مَيَّةَ لاَ تَأْتِـــي كَعَادَتِهَـــا(٣) ... أَعَاجَها طَرَبٌ أَمْ صَدَّهَـــا شُغُـــلُ

لَكنَّ قَلْبِي عَنْكُم لَيْـــسَ يَشْغَلُـــهُ ... حَتَّى المَمَات وَمَالِي غَيْركُم أَمَـــلُ

لَوْ تَعْلَمِيْنَ الَّذي بِي مِنْ فِرَاقكُـــمُ ... لَمَا اعْتَذَرْت وَلاَ طَالَتْ لَك العلَلُ

نَفْسِي فِدَاؤُكِ قَدْ أَحْلَلْت بِي سقَما ... يَكَادُ مِنْ حَرِّه الأَعْضَاءُ تَنْفَصِـــلُ

لَوْ أَنَّ غَادِيَة مِنْـــهُ عَلَـــى جَبَـــل ... لَمَادَ وَانْهَدَّ(٤) مِنْ أَرْكَانه الجَبَـــلُ

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب: التَّالدُ: المال القديم الأصل، الذي ولد عندك، وهو نقيض الطَّارف. قال ابن سيدة: التَّلْدُ والتُّلْدُ، والتَّلِيْدُ، والإتْلاَدُ، كالإسنام، .....: ما ولد عندك من مالك أو نتج ... وقيل: التِّلاَدُ: كل مال قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء، وهو التَّالدُ، والتَّليدُ والمتّلَدُ.

قال الشاعر يصف خيلاً:

تلائد نحن افتلينا هُنَّه ... نعم الحصون والعتاد هُنَّه

وتَلَدَ المال يَتّلدُ تُلودًا، وأَتْلَدَهُ هو، وأَتْلَدَ الرجل: إذا اتخذ مالاً.

ومال مُتّلدٌ، وخلق مُتْلَدٌ: قديم قلت: والمراد أنه معه غنم قد تكاثرت من طول مكثه في هذا المكان وأنه ليس حديث عهد به.

(٣) والخبر ذكره السرَّاج في مصارع العشاق كما هنا (١٠٤/١)، وجاءت هذه الكلمة فيه: لعادها.

(٤) يريد لتحرك من مكانه واندك وهي صورة شعرية لبيان ما يعاني من حالة الحب والهيام التي يعيشها والحزن والأسف الشديد في حالة فقد محبوبه أو فراقه أو قلقه عليه.

ثم أتاني فنبّهني، ثم قال لي: إن خلّتي رأيت بالأمس قد أبطأت عليَّ وبيني وبينها غَيْضَةٌ[1]، فلست آمن السَّبُع عليها، فانظر ما ههنا حتى أعلم علمها ثم مضى فأبطأ قليلاً، ثم جاء بها يحملها، وإذا السبع قد أصابها، فوضعها بين يديَّ ثم أخذ سيفه ومضى، فلم أشعر إلا وقد جاء بالسبع يجره مقتولاً وهو يقول:

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْثُ الْمُحلُّ[2] بنَفْسه ... هُبلْتَ لَقَدْ جَرَّتْ يَدَاكَ لَنَا شَـرًّا[3]
وأَخْلَفْتَني فَرْدًا وَحِيْدًا مُدَلَّهَا ... وَصَيَّرتَ آفَاقَ البلاَد بهَـا قَبـْرًا[٤٢/أ]
أَأَصْحَبُ دَهْرًا خَانَني بفرَاقهَا ... مَعَاذ إلهي أَنْ أكُون لَهَـا نَـزْرا[4]

ثم أقبل عليَّ فقال: هذه ابنة عمي كانت من أحب الناس إليّ فمنعني أبوها أن أتزوجها وزوجها رجلاً من أهل هذه الأبيات، فخرجت من مالي كله، ورضيت بالمقام هنا على ما ترى، راعيًا إبلاً تُرعى[5] لهم، لتأتيه ابنة عمه فيراها وتراه.

فكانت إذا وجدت خلوة أوغفلة من زوجها أتتني فَحَدَّثَتْني وحَدَّثْتها ليس شيء غيره.

وقد آليت على نفسي أن لا أعيش بعدها.

فأسألك بالحرمة التي جرت بيني وبينك إذا أنا متّ فكفني وإياها في هذا الثوب، وادفنا في مكاننا هذا، واكتب على قبرنا هذا الشعر:

كُنَّا عَلَى ظَهْرِهَا وَالدَّهْرُ في مَهَلٍ ... وَالْعَيْشُ يَجْمَعُنَا وَالدَّارُ وَالوَطَنُ
فَفرَّقَ الدَّهْر بالتَّصْرِيْفِ أُلْفَتَنَـا ... فَالْيَوْمَ يَجْمَعُنَا فِي بَطْنِهَا الكَفَنْ

ثم اتكأ على سيفه فخرج من ظهره.

فلففتهما كما قال، وكتبت الشعر عليه كما أمرني.

وذكر العتبي أن جبلة بن الأسود حدثه قال: وما رأيت شيخًا مثله. قال: ضلت لي

(١) الغَيْضَةُ: هي المكان الذي يجتمع فيه ويلتف ويتكاثف بعضه على بعض.
قال صاحب اللسان: الغَيْضَةُ: الأجمة، وغَيَّضَ الأسد: ألفَ الغيضة. والغيضة مغيض ماء يجتمع فينبت فيه الشجر، وجمعها غياض وأغياض.... وفي حديث ابن عمر: ((لا تنزلوا المسلمين الغياض)). والغياض جمع غَيْضَة: وهي الشجرة الملتفُّ لأنهم إذا نزلوها تفرقوا فيها فتمكن منهم العدو.

(٢) في المصارع: المضر.

(٣) في المصارع: لنا الشر.

(٤) كذا في المخطوط، وفي المصارع: بهابرا.

(٥) في المخطوط: ران يدعي. وعلق بالهامش على الكلمة الأولى بقوله: لعله: إبلاً. فأثبت ما بالهامش وضبط ما بعدها بما يستقيم مع السياق. ثم إن عبارة راعيًا إبلاً ترعى لهم.
وعبارة: لتأتيه ابنة عمه فيراها وتراه لم تردا في مصارع العشاق.

إبل فذكره.

وفي آخره ثم رد الغنم التي معه على صاحبها، ثم نمت وإياه، فلما أصبحت وجدته ميتًا. ففعلت ما أمرني، ورددت الغنم على صاحبها، وأعلمته القصة، فحزن حزنًا شديدًا، أشفقت منه على نفسه أسفًا على ما فرَّط من عدم اجتماعهما[1].

٦- شهيـــد

[شهيد التلاوة الذي مات عند قوله: ؟وأما الذين سعدوا ففي الجنة؟]

قـــرأت على المسند المعمر فتح الدين الدَّبوسي عن أبي الحسن عن أبي الفضل الحافظ أنبأنا أبوالعباس طراد أنبأنا البردعي أنبأنا ابن أبي الدنيا أنبأنا محمد بن الحسين عن إسحاق بن إبراهيم الثقفي قال قرأت في المصلى: ﴿ وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ﴾[2] فتأوه في الحلقة [رجل][3] [٤٢/ب] فما صليت العصر حتى دفناه.

٧- شهيـــد

[الفتى الرافقي]

قال إسحاق الرافقي فيما ذكره ابن الجوزي: كنت في مجلس بالرافقة[4] مع عدة من الظرفاء والفتيان ومعنا فتىً كأهيأ ما رأيت من الفتيان، وعليه أثر ذلة الهوى يديم الأنين والبكاء.

---

(١) إن صح هذا الخبر فهو يبين مدى حرص الإسلام على جمع الخليلين ومراعاته لمشاعر الأخلاء ما دامت من الطرق المشروعة ويتضح ذلك تمامًا في استئذان العروس قبل إتمام عقد النكاح وإبطاله بدون الرجوع إليها أو إكراهها عليه، أو إتمامه بدون علمها، تجنبًا لحدوث مثل تلك الأحوال، ولعدم إعطاء فرصة لاتخاذ الأخدان والعشاق، ثم إن حدث ذلك كانت العقوبة المغلظة حيث أعطاها من الفرص ما لا يجعل لها حجة في مثل تلك التصرفات المقيتة والشنيعة واعتبرها عنصرًا فاسدًا يجب بتره من المجتمع ليعيش المجتمع على العفة والطهارة والنقاء.

(٢) سورة هود (الآية : ١٠٨) .

(٣) ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

(٤) قال ياقوت في معجم البلدان في : الرافقة: قال أحمد بن الطيب: الرافقة: بلد متصل البناء بالرقة وهما على ضفة الفرات وبينهما مقدار ثلاثمائة ذراع، وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل، وهي على هيئة مدينة السلام ولها ربض بينها وبين الرقة وبه أسواقها.

وقال أحمد بن يحيى: لم يكن للرافقة أثر قديم إنما بناها المنصور سنة (١٥٥) على بناء مدينة بغداد، ورتب بها جندًا من أهل خراسان.

فَغَتَّ ظريفة يومًا:

إنِّي لأَبْغَضُ كُلَّ مُصطَبِـــرٍ عَنْ إلْفه فِي الوَصْلِ وَالْهَجْرِ
الصَّبْرُ مُحْسنٌ فِي مَوَاطِنِه مَا لِلْفَتَى الْمَحزُون وَالصَّبْــرِ

قال: فنظر إليها الفتى وتبادرت عبراته ثم وثب على قدميه ووضع يده على رأسها، وقال:

غَدًا يَكْثُرُ البَاكُونَ مِنَّا وَمِنْكُمُ وَتَزْدَادُ دَارِي مِنْ دِيارِكُمْ بُعْدًا

ثم رمى بنفسه فسقط من قامته فحملناه ميتًا رحمه الله.

٨- شهيــد
[رجل من البحرين قتيل الموت]

وبالإسناد إلى ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن الحسين حدثنا داود بن المحبر(١) حدثنا عقبة بن أبي الصهباء قال سمعت إبراهيم بن عيسى السكري يقول: دخلت على رجل بالبحرين قد اعتزل الناس، وتفرغ لنفسه، فذكرته شيئًا من أمر الآخرة، وذكر الموت فجعل والله يسهو حتى خرجت نفسه وأنا أنظر إليه.

قال: فدخل الناس عليه، فقالوا: يا عبدالله ما أردت إلى هذا؟ لعلك أن تكون ذاكرته بشيء من أمر الموت؟

قال: قلت: أجل والله، لقد كان ذلك.

قال: فبكى رجل من جيرانه، وقال: رحمك الله لقد خفت أن يقتلك ذكر الموت حتى والله لقد قتلك.

---

(١) داود بن المحبر هذا: هو صاحب كتاب العقل، وهو داود بن المحبر بن قَحْذَم بن سليمان بن ذكوان أبو سليمان الطائي البصري نزل بغداد وحدث بها قلت: وقد لينه يحيى بن معين فقال عنه: ليس بكذاب، وقال مرة: كان داود ثقة. وقال مرة: كان داود ثقة ولكنه جفا الحديث، ثم حدث. وقال مرة: ليس له بخت. وقال ابن حنبل: شبه لا شيء، وقال البخاري: منكر الحديث، شبه لا شيء كان لا يدري ما الحديث، وقال أبوزرعة: ضعيف الحديث. وقال الجوزجاني: كان يروي عن كل أحد فكان مضطرب الأمر.

وقال صالح بن محمد البغدادي: يُكَذَّب ويضعف في الحديث. وقال صالح بن محمد جزرة: ضعيف صاحب مناكير.

وقال النسائي: ضعيف. وقال الدارقطني: متروك الحديث. وتوفي سنة ست ومائتين يوم الجمعة في الثامن من جمادى الأولى وراجع ترجمته في تاريخ بغداد (٨/٣٥٩).

قال: فأخذنا في تجهيزه ودفنه.

٩- شهيـــد

[أسد بن صهلب]

وبه إلى ابن أبي الدنيا قال حدثني أبو حاتم حدثنا محمد بن عبدالكريم عن عبدالرحمن بن مصعب قال: كان عندنا بالكوفة رجل من البحرين يقال له: أسد بن صهلب، وكنا نكتمه جور العمال مخافة أن يقدم عليهم.

قال: فبينا [٤٣/أ] هو على شاطئ الفرات، فسمع تاليًا يتلو: ﴿إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون﴾(١) فتمايل.

قال: فلما قال التالي: ﴿لا يُفتر عنهم﴾(٢) سقط في الماء فمات.

قال المينجالي: كان أسد عابدًا ثقة، وكان سفيان يقول: لا تقتله إلا آية من كتاب الله عز وجل، فقرئت عليه، ثم مات.

١٠- شهيـــد

[رجل أسود](٣)

قال ميمون بن سياه: كنت أنا وخالد الربعي ونفر من أصحابنا نذكر الله فوقف علينا رجل أسود، فقال: هل ذكرتم الموت فيما كنتم فيه؟

قال: فقلنا: إنا لنذكره كثيراً، وما ذكرناه يومنا هذا.

قال : فبكى وقال: أغفلتم من لا يغفلكم، ونسيتم من يحصي عليكم الأنفاس، لقدومه عليكم.

قال: ثم مال ليسقط، وسانده رجل من القوم قال: فخرجت نفسه، وأنا أنظر إليه.

---

(١) سورة الزخرف (الآية ٧٤).

(٢) سورة الزخرف (الآية ٧٥).

(٣) يعد هذا وأمثاله من شهداء العشـــق الإلهي حيث يهيمون في حبهم ويعيشون مع خالقهم بكل وجدانهم في حالة شفافية وصفاء نفسي لا نظير له، وإن كنت أتمنى أن أكون واحدًا من هؤلاء إلا أنني لا أقر ما يكون عليه في حالتي التي أنا بها الآن حيث أن أنظر إليهم من منطوق العقل والشرع فالعقل يعرف ما ألفه وما اعتاده وجبل عليه، والشرع يعرفنا ويحضنا على الوسطية والاعتدال في كل الأمور والأحوال، غير أننا كثير ما سمعنا عن مثل هؤلاء العشاق الذين ماتوا حبًا في خالقهم، فرحمات الله تعالى عليهم سائلين الله أن يحسن ختامنا اللهم آمين.

قال: فنظرنا فلم نجد أحدًا يعرفه فغسلناه، وحنطناه، وكفناه، ودفناه.

١١- قتيــل [امرؤ القيس]

ذكر ابن داود في كتاب الزهرة: أن فتىً يقال له امرؤ القيس(١) هوى فتاة من حيِّه، فلما علمت بحبه لها هجرته، فزال عقله وأشفى على التلف، وصار رحمة الناس ، فلما بلغها ذلك أتت ، فأخذت بعضادتي الباب وقالت: كيف تجدك يا امرأ القيس؟ فقال:

أَتتَ وَحِيَاضُ المَوْت بَيْنِي وَبَيْنَهَا ... وَجَادَتْ بوَصْلٍ حِيْن لاَ يَنْفَع الوَصْل

(١) لا أدري ما إن كان هذا هو امرؤ القيس الكندي الشاعر المشهور أم غيره؟ فإنه أيضًا كان يعشق ابنة لقيصر وكان يتصل بها وكانت وفاته بسببها أيضًا على ما حكاه ابن قتيبة في الشعر والشعراء (١٦: ٢٠) فقال: ..... ونظرت إليه ابنة قيصر فعشقته، فكان يأتيها وتأتيه وطبن -أي فطن- الطماح بن قيس الأسدي لهما -وكان حجر قتل أباه- فوشى به إلى الملك، فخرج امرؤ القيس متسرعًا، فبعث قيصر في طلبه رسولاً فأدركه دون أنقرة بيوم ومعه حلة مسمومة فلبسها في يوم صائف فتناثر لحمه وتفطر جسده وكان يحمله جابر بن حنين التغلبي فذلك قوله:

فإما تريني في رحالة جابر ... على جرح كالقر تخفق أكفاني

الأبيات.

بـــاب البـــاء

١٢- [بشرة والأحوص بن محمد]

قال ابن الأعرابي[١]: خرج الأحوص بن محمد إلى دمشق ومعه جارية يقال لها: بشرة ، وكان شديد الإعجاب بها لا يكاد أن يصبر عنها، وكانت هي أيضًا له من المحبة على أكثر من ذلك.

فاشتكى الأحوص واشتدت علته، وحضرته الفتاة[٢]، فأخذت رأسه فوضعته في حجرها، وجعلت تبكي فقطرت من دموعها على خده، فرفع رأسه إليها وقال: [٤٣/ب]

مَا لِجَدِيْدِ المَوْتِ يَا بِشْرُ لَـــذَّةٌ ... وَكُلُّ جَدِيدٍ تُسْتَلَذ طَرَائِفُـــهْ
فَلاَ ضَيْرَ[٣] إِنَّ اللهَ يَا بِشْرُ سَاقَنِي ... إِلَى بَلَدٍ جَاوَرْت فِيه[٤] خَلاَئِفُهْ
فَلَسْتُ وَإِنْ عَيْشٌ تَوَلَّى بِجَازِعٍ ... وَلاَ أَنَا مِمَّا حَمَّمَ المَوْتُ خَائِفُهُ

ثم مات من يومه، فجزعت عليه بِشْرَةُ جزعًا شديدًا و لم تزل تبكي وتندبه إلى أن شهقت شهقة فماتت فدفنت إلى جانب قبره.

۞ ۞ ۞

---

(١) ذكر السراج القصة كما هنا في مصارع العشاق (٢/٢٨٤) فذكر الإسناد على النحو التالي: حدث أبوعمرو بن حيوية، حدثنا أبوبكر بن المرزبان، حدثني العباس بن الفضل الأسدي حدثني محمد بن زياد الأعرابي، فذكر الخبر.

(٢) كذا في المخطوط: وفي مصارع العشاق الوفاة وهو الأرجح عندي والله أعلم.

(٣) في المخطوط: صبر. والتصويب من مصارع العشاق.

(٤) كتبت هذه الكلمة فوق الشطر الثاني للبيت بقلم مغاير لمداد المخطوط مما يدل على حداثة إضافتها وجاء تعليق على هامش المخطوط نصه: يستقيم بلفظه فيه، لكن يصير في البيت إقواء. وهذا التعليق بقلم الناسخ، وبخط دقيق. وهو مما يـــدل على أن ناسخ المخطوط كان على قدر كبير من الدراية بالشعر وفنونه وأوزانه وبحوره وخلافه.

١٣ – قتيـــل
[بطة[١] (طير)]

قال محمد بن هارون، حدثني أبي فيما ذكره السرّاج قال: اشتريت زوج بط، فذبحت الذكر فجعلت الأنثى تضطرب تحت المكبة ، حتى كادت أن تقتل نفسها.

فقلت: ارفعوا عنها المكبة. فرفعت، فجاءت فلم تزل تضطرب في دم الذكر حتى ماتت.

وقال أبوعبدالله محمد بن محمد التميمي في كتاب امتزاج النفوس: ليس في جميع الطير أوْفَى من: القمري والقمرية[٢]، الشفني، والشفنية.

وذلك أنه إذا مات أحد الزوجين تعزب الآخر بعده ولا يتأنس إلى غيره، ولا يألف رفيقًا ولا ساكنًا، ولا يزال باكيًا فرداً إلى أن يلحق به.

۞ ۞ ۞

١٤ – قتيـــل
[أبو البلاد بشر بن العلاء الطهوي وسلمى]

ذكر محمد بن خلف بن المرزبان: أن أبا البلاد الطُّهَوِيّ[٣]، واسمه بشر بن العلاء

---

(١) بطة هذه هي أنثى الطير المعروف الذي يربى في البيوت ويعيش في الماء ويهوى السباحة كالأوز، وهذه الحكاية عايشت نظيرها وأنا صغير في قريتنا العافولة مركز مغاغة محافظة المنيا بمصر، وإن كنت لم أر بطة ماتت لذبح أحد أفراد فصيلتها ولكن رأيت الجزع الشديد الذي ينتاب هذه الأنواع من الطيور وقد حض الإسلام على عدم إحداث ذبح الحيوان أو الطير أمام غيره من الحيوانات أو الطيور، وهو من باب الرفق بالحيوان، ويبين هذا مدى حرص الإسلام على مراعاة شعور أبسط المخلوقات وإكرامها والشفقة في معاملتها في الحدود التي لا تضر بالإنسان ولا تعود عليه بفائدة من إظهارها أمام نظائرها وفي ذلك درس له حتى يكون بأخيه من البشر أحرص في مراعاة شعوره وظروفه.

(٢) قال الدميري في حياة الحيوان: القمري: طائر مشهور كنيته أبو ذكري وأبوطلحة وهو حسن الصوت، والأنثى قمرية ...

وقال ابن سيدة: القمري طائر صغير من الحمام، والأنثى قمرية وجمعها : قماري، وقمر....

وقال القزويني: إذا ماتت ذكور القماري لم تتزواج أناثها، وتنوح عليها إلى أن تموت.

(٣) الطُّهَوِيّ: بضم الطاء المهملة، وفتح الهاء هذه النسبة إلى بني طُهَيَّة، وهم بطن من بني تميم، وطهية بنت عبدشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم.

وقد تسكن الهاء فيقال: طُهْوي، وقد تفتح الطاء مع إسكان الهاء فيقال: طَهْوي. ثلاث لغات.

قال أبو على الغساني: هكذا قيدناه في غريب المصنف لأبي عبيد. ذكر ذلك صاحب الأنساب (٨٩/٤): قلت: وطهية امرأة نسب أولادها إليها، ثم إليها نسبت البطن من تميم.

عشق ابنة عمه سلمى ابنة عمرو بن حنيف ، وكان يهاب عمه أن يخطبها، فغاب غيبة فزوجها أبوها ، أحد بني عمها ، وبلغ ذلك بشرًا، فذهل عقله وأتى الخباء الذي فيه سلمى، كعادته، فرأت سلمى في وجهه صفرة وزمعًا[1]، فحسبته جائعًا، فدفعت إليه من وراء الستر جفنة فجعل يأكل كالمجنون، فظنت به عارضًا من الحمى.

فخرجت من كسر البيت تريد بيت أختها ليلى فسمع حفيف ثوبها، فخرج معارضًا لها السيف فضربها على حبل عاتقها.

وسمعت ليلى الوجبة، فصرخت فخرج هاربًا، [٤٤/أ] قال: وضربته ليلى بهراوة[2] فتتعتع لها، وأنشد:

وَإِنَّ لِلَيْلَى بَيْنَ أُذنِي وَعَاتِقِي ... كَضَرْبَةِ سَلْمَى يَوْمَ نَعْفَ الشَّقَائِق

واستصرخ أبوها وأخوالها فهرب بشر وأوى إلى مغارة حذاء أبياتهم، يأوى فيها نهارًا، فإذا كان الليل نزل فرآها وهي تضطرب، وقد أوقدوا لها نارًا إلى أن ماتت، فقال أبو البلاد:

يَا مُوْقِد النَّارِ وَهَنًا مُوقدَ النَّـــارِ ... بجَانِبِ الشَّيْخ مِنْ قَرْصَاب[3] اعفَارِ
يَا مُوْقَدَ النَّارِ أَشْعِلْهَا بعَرْفَجَـــة ... لِمَنْ تُنَوِّرُهَا مِنْ مَدْلَـــج سَـــارِي
نَارٌ تُضِيءُ سُلَيْمَى وَهِي حاسِرَةٌ ... سُقْيًا لِمَوْقِد تِلْكَ النَّارِ مِـــنْ نَـــارِ

ولم يزل به وسواسه وهيامه[4] حتى مات. وزعم السُّكَّرِي في كتاب النقائض : أنها كانت مشهورة بجمال فائـــق ، ولم يكن يتخذ لها شبه وأن أبا البلاد لما خطبها إلى عمه، عيَّره بالفقر.

فذهب ليعمل ويجمع مهرًا، فلما أتى بالمال إلى عمه وجده يجهزها لغيره، فقلتها وقال:

---

(١) الزَّمَعُ: الدَّهَش، والزَّمَعُ: رِعْدَةٌ تعتري الإنسان إذا هم بأمر.
وزمع الرجل بالكسر، زَمَعًا: خَرِقَ من خوف وجزع. والزَّمَعُ: القَلَقُ. راجع لسان العرب.

(٢) العصا: العصا الغليظة. ويقال كل عصا هراوة، وتطلق في عصرنا على ما يستخدمه رجال الأمن لفض المظاهرة والسيطرة على محدثي الشغب، وهي في عصرنا، مصنوعة من الجلد المضغوط.

(٣) القَرْصَبَ: الشيء تقطعه، أو قطع الشيء، وقَرْصَبَ الشيء: قطعه.

(٤) يقول ابن القيم في مدارج السالكين (٨٣/٣) في الفرق بين الهيمان والدهش: إن الهائم قد يستمر هيمانه مدة طويلة، بخلاف المدهوش، وصاحب الهيمان يملك عنان القول كيف يشاء. ويتمكن من التعبير عنه.
وأما الدهش: فلضيق معناه، وقصر زمانه، لم يملك النعت، فالهائم أملك بنعت حاله ووارده من المدهش.

غُدِرْت أبَا البِلاَدِ بِقَتْلِ سَلْمَى وَكَنْتُ أَبَا البِلاَدِ فَتىً غَيُورًا

١٥- شهيــدان
[بشر، وهند][١]

قرأت على المسند الرحالة شرف الدين المصري رحمه الله تعالى عن ابن بنت الجميزي عن شهدة أنبأنا أبومحمد بن أحمد الحافظ أنبأنا أبوبكر محمد بن عبدالملك بن بشران رحمه الله قراءة عليه أنبأنا أبوالحسن محمد بن أحمد بن رزيق[٢] في شهر ربيع الآخر من سنة تسع وثمانين وثلثمائة حدثنا أبوبكر ابن عبدالله بن إبراهيم الشافعي قراءة عليه سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة، حدثنا أبوالعباس أحمد بن مسروق حدثنا عمر بن عبدالحكم وجعفر بن عبدالله الوراق والقاسم بن الحسن عن أبي سعيد [٤٤/ب] عن أبيه قال: ذكروا أنه كان في بدء الاسلام، وبعضهم يزيد على بعض في حديث بعض [كان][٣] رجل شاب يقال له بشر، وكان يختلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من بني أسد بن عبدالعزى وكان طريقه إذا غدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أخذ على جهينة، وإذا فتاة من جهينة يقال لها : هند نظرت إليه فعشقته ، وكان لها من الحسن والجمال حظ عظيم.

وكان للفتاة زوج يقال له: سعد بن سعيد، وكانت الفتاة تقعد كل غداة لبشر

(١) قال ابن حجر في الإصابة (١/١٥٧) عن بشر هذا بعد أن ذكره في القسم الأول: بشر الأسدي، صاحب هند الذي مات من حبها.
روى القصة جعفر السرَّاج مطولة في كتاب مصارع العشاق له، وجعفر المستغفري، وتبعه أبو موسى في الصحابة وقال عن هند في القسم الأول أيضًا (٤/٤٢٧): هند الجهنية: ذكرها أبوموسى في الذيل عن المستغفري عن الحسن بن محمد بن أبي عبدالله بن محفوظ السمرقندي عن أبي بكر الشافعي عن ابن العباس بن مسروق بن عمر بن الحكم، وحفص الوراق، والقاسم بن الحسن عن ابن سعد عن أبيه قال: كان في بدء الإسلام رجل شاب يقال له بشر، وكان من بني أسد بن عبد العزى، وكان إذا توجه إلى رسول الله أخذ على جهينة، فنظرت إليه فتاة جميلة، ولها زوج يقال له: سعد بن سعيد، فعلقته، فكانت تقعد له في كل غداة لينظر إليها.
فذكر القصة مطولة. ولم يترجم لزوجها سعد بن سعيد إلا بقوله: زوج الجهنية، وقال: يأتي ذكره في باب هند من النساء إن شاء الله تعالى. غير أنه لم يذكر عنه شيء في ذكره لهند غير أن ذكر أنه زوجها.
(٢) في المخطوط: رزق: والتصويب من مصارع العشاق (٢/٢٣٥).
(٣) ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

حتى يجتاز بها لتنظر إليه، فلما أخذها حبه كتبت إليه:

تَمُرُّ بِبَابِي لَيْسَ تَعْلَمُ مَا الَّذي ... أُعَالِجُ مِنْ شَوْق إِلَيْكَ وَمِنْ جهْدي
تَمُرُّ رَضِيَّ[1] البَالُ مِنْ رَوْعَة الهوَى ... وَأَنْتَ خَلِيّ الذَّرْع[2] ممَّا بَدا عنْدي
فَدَيْتُكَ فَانْظُرْ نَحْوَ بَابِيَ نَظْرَةً ... فَإِنَّكَ أَحْظَى النَّاس كُلّهم عنْدي
فَوَاللهِ لَوْقَصَّرْتَ عَنَّا فَلَمْ تَكُنْ ... تَمُرُّ بِنَا أَصْبَحْتُ لاَ شَكَّ فِي لَحْدي

فأجابها الفتى بقوله:

عَلَيْك بتَقْوَى اللهِ وَالصَّبْر إنَّهُ ... نَهَانَا عَنْ إتْيَان النِّسَاء التَّعَبُّدُ[3]
وَصَبْرًا لأَمْرِ اللهِ لاَ تَقْرَبِي الَّذي ... نَهَى اللهُ عَنْهُ وَالنَّبِيُّ مُحَمَّدُ
فَوَاللهِ لاَ آتـي حَليْلَةَ مُسْلـم ... إلَى أَنْ أُدَلَّ في القُبُور وَأُفْقَدُ
أُحَاذرُ أَنْ أَصْلَى جَحيْمًا وَأَنْ أَكُنْ[4] ... صَرِيعًا لنَار حَرُّهَا يَتوَقَّدُ
فَلاَ تَطْمَعِي فِي أَنْ أَزُوْرَكِ طَائِعًا ... وَأَنْتِ لغَيْرِي فِيَ الخَبَاء[5] تُعَوَّدُ

فأرسلت إليه:

أَمَرْتَ بتَقْوَى اللهِ وَالصَّبْر وَالتُّقَى ... فَكَيْفَ وَمَالي منْ سَبيْلٍ إِلَى الصَّبْر
وَهَلْ تَسْتَطِيْع الصَّبْر حَرَّى حَزِيْنَةٌ ... مُعَذَّبَةٌ بالْحُبِّ مُوقُورَةُ[6] الظَّهْرِ؟
وَوَاللهِ مَا أَدْعُوكَ يَا حِبُّ للَّذي ... تَظُنُّ وَلَكـنَّ للْحَدِيْث وللشِّعْر
وَلَسْتُ فَدَتْكَ النَّفْسُ أَبْغِيْكَ مُحَرَّمًا ... وما[7]ذاك منْ شأني وَلاَ ذَاكَ مِنْ أمري[8]
وَمَا حَاجَتِي إلاَّ الحَدِيْث وَمَجْلسٌ ... يُسَكِّنَ دَمْعًا قَدْ يَسِيْلُ[9] عَلَى النَّحْرِ

---

(١) تريد: خالي البال أو هادئ البال صافي الذهن.
(٢) مثله: خالي البال مطمئن الفؤاد.
(٣) جاء الشطر الثاني على النحو التالي في المصارع (٢/٢٣٥):
نهى عن فجور بالنساء موحد
(٤) في مصارع العشاق: أرى.
(٥) في المصارع: بالخناء مُعَوَّدُ.
(٦) في المصارع: مُوَقَرةُ.
(٧) جاء قبله في مصارع العشاق بيت نصه:
وكي نتداوى ما تراكد داؤة ... من الشوق والحب الذي لك صدري
(٨) في المصارع: وما. بدل: ولا.
(٩) في مصارع العشاق:
يسكن دمعًا يستهل على النحر

فأجابها بشر:

مَنَعَ الزِّيَـــارَة أَنْ أَزُورَكَ طَائِعًـــا ... أَخْشَى[1] الفَسَادَ إِذَا فَعَلْتُ فَنعْتَدي
أَخْشَى دُنُوًّا مِنْك غَيْــرُ مُحَلَّـــل ... فَأَكُونُ قَدْ خَالَفْتُ دِيْنَ مُحَمَّد
وأخَافُ أَنْ يَهْوَاكَ قَلْبِي سَارِقًا[2] ... فَيَكُونَ حَتْفِي بِالَّذِي كَسَبَتْ يَدي
وَالصَّبْرُ خَيْرُ عَزِيْمَةٍ فَاسْتَحْصِني[3] ... وَإلَى إِلَهِك ذِي المَعَارِجِ فَاقْصِدي
وَإِذَا أَتَتْـــكِ وَسَــاوِسٌ وَتَفكُّرٌ ... وَتَذكُّرٌ فَلِكُلِّ ذَلِـــكَ فَاطْـــرِدي
وَعَلَيْكِ يـــس فَـــإِنَّ قِرَانَهـــا[4] ... يَنفِي[5] الهُمُومَ وَذَاكَ نَفْسكِ عَوِّدِي

فكتبت إليه الفتاة:

لَعَمْرِكَ مَا يس تُغْنِي مِنْ الهَـــوَى ... وَقُرْبُكَ مِنْ يس أَشْهَى إِلَـــى قَلْبِـــي
فَدَعْ ذِكْرَ يس فَلَسْتَ[6] بِنَافِعِي ... فَإِنِّي فِي غَمْرِ الحَيَـــاةِ وَفِي كَـــرْبِ
تَحَرَّجتَ عَنْ أَتْيَانِنَا وَحَدِيْثِنَـــا ... فَقَتْلِي إِنْ فَكَّرتَ مِنْ أَعْظَمِ[7] الذَّنْبِ
وَإِتْيَانُنَا أَدْنَى إِلَـــى اللهِ زُلْفَـــةً ... وَأَحْسَنُ مِنْ قَتْلِ المُحبِّ بِلاَ عَتْـــبِ

فلما قرأ بشر هذه الأبيات غضب غضبًا شديدًا وحلف لا يمر بباب هند، ولا يقرأ لها كتابًا فلما امتنع من ذلك كتبت إليه:

سَأَلْتُ رَبِّي وَقَدْ أَصْبَحْتَ لِي شَجَنًا ... أَنْ تُبْتَلَى بِهَوى مَنْ لاَ يُبَالِيْكَا[٤٥/ب]
حَتَّى تَذُوقَ الَّذِي قَدْ ذُقْتُ مِنْ نَصَبٍ ... وَتَطْلُبَ الوَصْلَ مِمَّنْ لاَ يُوَافِيْكَـــا[8]
رَمَاكَ رَبِّـــي بِحُمَّـــاةٍ[9] مُقَلْقَلَـــةٍ ... وَبِامْتِنَـــاعِ طَبِيْـــبٍ لاَ يُدَاوِيْكَـــا
وَأَنْ تَظَلَّ بِصَحْرَاةٍ عَلَـــى عَطَـــشٍ ... تُطَالِبُ[10] المَاءَ مِمَّنْ لَيْسَ يَسْقِيْكَـــا

---

(١) في المخطوط: حتى. والتصويب من المصارع
(٢) كذا في المخطوط، وفي المصارع: شارقًا. ولا أرى وجهًا لما في المصارع، وأري أن ما هنا هو الصواب لمناسبة السياق والمراد يخشى أن يهواها قلبه في غفلة منه أو في حالة ضعف.
(٣) في المصارع: فاستعصمي. والمعنى واحد.
(٤) في المصارع: بدرسها. والمعنى واحد والمراد من كلاهما تكرار قراءتها أو تلاوتها.
(٥) في المصارع: تُنفي، وكلا المعنيين واحد أيضًا.
(٦) في المصارع: ليس. والمعنى مختلف كثيرًا.
(٧) في المصارع: أكبر. المعنيين واحد.
(٨) في المصارع: يؤاتيكا . وكلا المعنيين واحد.
(٩) تريد الحمَّى، وهو مرض معروف عافانا الله تعالى وإياكم منها.
(١٠) في المصارع: تطلب.

فلما لجَّ بشر وترك الممر ببابها أرسلت إليه بوصيفة لها، فأنشدته هذه الأبيات فقال للوصيفة: الأمر كيت[١]، فلما جاءت الوصيفة إليها أخبرتها بقول بشر، فكتبت[٢] إليه الفتاة[٣]:

كَفِّرْ يَمِيْنكَ إنَّ الذَّنْبَ مَغفُورُ ... واعْلَم بأنَّكَ إنْ كَفَّرْتَ مَأْجُورُ
لاَ تَطْرُدَنَّ رَسُوْلِي وَارْثِيَنَّ لَهُ ... وَاعْلَم بأَنَّ قَلِيْلَ الذَّنْب مَغْفُورُ[٤]
وَاعْلَمْ بأَنِّي أبِيْتُ اللَّيْلَ سَاهِرَةً ... وَدَمْعُ عَيْني عَلَى خَدِّي مَحْدُورُ
أَدْعُوه بِاسْمكَ فِي كَرْبٍ وَفِي تَعَبٍ ... وَأَنْتَ لاَهٍ قَرِيْرُ العَيْنِ مَسْرُورُ

فلما لجَّ بشر وترك الممر ببابها اشتدَّ ذلك عليها[٥]، ومرضت مرضًا شديدًا، فبعث زوجها إلى الأطباء.

فقالت: لا تبعث إليَّ طبيبًا، فإني قد عرفت دائي، قَهَرَني جنيٌّ في مغتسلي.

فقال لي: تحولي عن هذه الدار، فليس لك في جوارنا خير[٦].

فقال لها زوجها: وما أهون هذا؟!

فقالت: إني رأيت في منامي أن أسكن ببطحاء تراب

قال: اسكني بنا حيث شئت، فاتخذت دارًا على طريق بشر، فجعلت تنظر إليه كل غداة إذا غدا إلى النبي صلى الله عليه وسلم، حتى برئت من مرضها، وعادت إلى حسنها.

[فقال لها زوجها: إني لأرجو أن يكون لك عند الله خير لما رأيت في منامك: أن اسكني بطحاء تراب، فأكثري من الدعاء][٧].

وكانت مع هند في الدار عجوز، فأفشت إليها أمرها، وشكَتْ ما ابتليت به،

---

(١) في المصارع: "لأمر ما لا أمر". أي أنه لم يصرح لها في رواية السرّاج بالسبب وربما أن الوصيفة توقعت ذلك بخبرة النساء، فأوقعت بينهما من باب مكر النساء، والله أعلم.

(٢) في المخطوط: كتبت والتصحيح من المصارع.

(٣) في المصارع: فكتبت وهي يقول.

(٤) الشطر الثاني في مصارع العشاق على النحو التالي:
إن الرسُولَ قَلِيلَ الذنب مَأْمُورُ

(٥) في المصارع: اشتدَّ عليها ذلك.

(٦) في المخطوط: خيرة. والتصويب من مصارع العشاق.

(٧) لم يرد ما بين المعقوفين في المخطوط وقد أضفته من مصارع العشاق (٢/٢٣٨)، وسيأتي لي تعليق على تلك الفقرة بآخر القصة إن شاء الله.

وأخبرتها أنها خائفة إن علم بشر بمكانها ترك المرور به[1].

فقالت لها العجوز: لا تخافي، فإني أعلم لك أمر الفتى، وإن شئت أقعدتك |٤٦/أ| معه ولا يشعر بمكانك.

قالت: فليت ذاك قد كان فقعدت العجوز على طريق باب الدار فلما أقبل بشر.

قالت له العجوز: يا فتى هل لك أن تكتب لي كتابًا إلى ابن لي [بالعراق][2]؟

قال بشر: نعم، فقعد يكتب والعجوز تملي عليه، وهند تسمع كلامهما.

فلما فرغ بشر قالت[3] له العجوز[4] : يا فتى إني لأظنك مسحورًا.

قال بشر: وما علمك بالعلة[5]؟

قالت لي بذلك علم، فمن الذي يُتهم[6] ؟

قال لها: إني كنت أمر على جهينة، وإن قومًا منهم كانوا يُرسلون إليّ ويدعوني إلى أنفسهم، ولست آمنهم أن يكونوا قد فعلوا بي شيئًا[7] .

فقالت له العجوز: انصرف عني اليوم حتى أنظر في أمرك.

فلما انصرف دخلت العجوز على هند. فقالت: هل سمعت ما قال لي[8]؟

قالت: نعم.

قالت: فأبشري فإني أراه فتىً حدثًا لا عهد له بالنساء، ومتى ما أتى زينتك وطيبتك[9] ، وأدخلتك عليه فتغلب[10] شهوته وهواه دينه ، فانظري أي يوم يخرج زوجك إلى شغله[11]، فأخبريني. فسألت هند زوجها، فأخبرها أنه خارج يوم كذا وكذا

(١) جاء بعد هذه العبارة مع تغيير في بعض ألفاظها على النحو التالي مع الإضافة: أن يترك الممر في طريقه، ويأخذ طريقًا آخر. ثم استمر السياق كما هنا.

(٢) مابين المعقوفين ليس من المخطوط وأضفته من مصارع العشاق.

(٣) في المخطوط: قال: وهو تحريف.

(٤) في مصارع العشاق: قالت العجوز لبشر.

(٥) في المصارع: بذلك.

(٦) في المصارع: قالت له: ما قلت لك حتى علمت فما الذي تتهم؟

(٧) في المصارع قد أضمروا لي شرًا.

(٨) لم ترد تلك اللفظة في المصارع.

(٩) في المصارع: وزينتك هنيئة، وطيبتك.

(١٠) في المصارع: غلبت.

(١١) في المصارع: القرية.

فأخبرت العجوز[١].

فواعدت العجوز بشرًا ميعادًا تنظر له في نجمه[٢]، فلما كان في ذلك الوقت جاء بشر إلى العجوز.

فقالت إني شاكية لست أقدر على أن أنْشُرك إلا في البيت وهو أستر عليك[٣]، فدخل معها البيت. وجاءت هند خلفها فدخلت البيت على بشر.

فلما دخلت خرجت العجوز، وأغلقت الباب عليهما. وقدم زوج هند من الخروج في ذلك اليوم [إلى الضيعة][٤]، فجاء حتى دخل داره، فوجد مع امرأته رجلاً في البيت.

فطلق امرأته[٥]، ولبَّب[٦] الفتى، فذهب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا نبي الله سَلْ هذا الرجل بأي حق دخل داري، وجامع زوجتي.

فبكى بشر، وقال: والله يا رسول الله ما كذبتك مذ صدقتك، وما كفرت [٤٦/ب] بالله مذ[٧] آمنت بك، ولا زنيت مذ[٨] شهدت أن لا إله إلا الله، فقصّ على رسول الله صلى الله عليه وسلم قصته، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى العجوز، وهند، فأحضرهما، فأقَرَّتَا[٩] بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: ((الحمد لله الذي جعل من أمتي نظير يوسف الصديق عليه السلام)).

ثم قال لهند: ((استغفري لذنبك)) وأدب العجوز، وقال لها: ((أنت رأس الخطيئة)) فرجع بشر إلى منزله، وهند إلى منزلها. فهاج ببشر حب هند فصبر[١٠] حتى إذا قضت عدتها بعث إليها يخطبها.

فقالت: لا والله لا يتزوجني وقد فضحني عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم

---

(١) في المصارع: فأخبرت هند العجوز.
(٢) في مصارع العشاق جاءت العبارة على النحو التالي: وواعد بشرًا ميعادًا. لتنظر له في نجمه.
(٣) في المصارع: لست أقدر أن أجعل النُّشْرَة (أي الرقية من السحر)، ولكن بيتي أستر عليك.
(٤) ما بين المعقوفين زيادة من مصارع العشاق.
(٥) في المصارع: فطلقها.
(٦) في المخطوط: فلبث، والتصحيح من المصارع. والمراد أخذ بطوقه يجره إليه ليذهب به حيث شاء.
(٧) في المصارع: منذ.
(٨) في المصارع: منذ.
(٩) في المخطوط: فأقرا، والتصويب من المصارع.
(١٠) في مصارع العشاق: فسكت.

مرض بشر من حبها، وعاد إليها الرسول فقال: إنه مريض[١]، وإنك إن لم تفعلي ليموتن.

فقالت: أماته الله، فطال ما أمرضني، قال: فزاد مرض بشر واشتد مرضه، وبلغ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خبره، فأقبلوا إليه يعودونه.

فقال بعضهم: أنا أرجو أن يعذب الله هند فأنشأ بشر[٢] يقول:

إلَهِي إنِّي قَدْ بُلِيتُ بِحُبِّهَا[٣] ... وَأَصْبَحْتُ يَا ذَا العَرْشِ فِي أَشْغَلِ[٤] الشُّغلِ
أُكَابِدُ نَفْسًا قَدْ تَوَلَّى بِهَا الهَوَى ... وَقَدْ مَلَّ إخْوَاني وَقَدْ مَلَّني أَهْلِي
وَقَدْ أَيْقَنتْ نَفْسِي بِأَنِّي هَالِكٌ ... بِهِنْد وَأَنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَهَا قَتْلِي
وإِنِّي وَإِنْ كَانَتْ إلَيَّ مُسِيئَةً ... يَشُقُّ عَلَيَّ أَنْ تُعَذَّبَ مِنْ أجْلِي

قال: وشهق شهقة فمات رحمه الله . وأقامت عليه أخته مأتمًا فقالت أخته تندبه، وجاءت هند إلى مأتمه وهي تقول[٥]:

وَابشْرَاهُ مِنْ لَوْعَةِ الهَوَى قَدْ تَوَلَّى ... وَابشْرَاهُ ذَا الحَاجَات لاَ تُقْضَى
وابشْرَاهُ جَمَالُهُ[٦] مَا تَمَلاَّ ... [وابشْرَاهُ صَحيْحًا قَدْ تَوَلَّى][٧]
وَابشْرَاهُ لكتَابِه[٨] مَا أقْرا ... وَابشْرَاهُ بَيْنَ أَصْحَابِه مَا يَرَى
وَابشْرَاهُ للضَّيْفِ مَا أقْرى[٩] ... وَابشْرَاهُ مُعَجَلاً إلَى الغُرَبَا

قال: فلما سمعت ذلك هند صرخت ووقعت ميتة، [رحمهما الله][١٠]، فدفنت مع بشر.

فلما مضى لهما أيام جاءت العجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : يا

---

(١) في المخطوط: جاءت على الرسم التالي: لما به. والتصويب من مصارع العشاق.
(٢) لم يرد اسمه في هذا الموضع من المصارع.
(٣) في المصارع الشطر الأول على النحو التالي:
إلهي إني قد بليت من الهوى
(٤) في المخطوط: شغل. والتصويب من مصارع العشاق.
(٥) العبارة الأخيرة في المصارع على النحو التالي: فجاءت هند وأخته تقول:
(٦) في المصارع: شبابه.
(٧) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط، وأثبته من مصارع العشاق.
(٨) في المخطوط: لمكتابه. والتصويب من المصارع.
(٩) في المخطوط: قرى. والتصويب من المصارع.
(١٠) ما بين المعقوفين من المصارع.

رسول الله أنا رأس الخطيئة [كما قلت][1]، أنا الذي كنت سبب الأمر، وقد خشيت أن لا يكون لي توبة، فقال عليه السلام: ((استغفري لذنبك وتوبي، فإن الله عز وجل يقبل التوبة النصوح)) انتهى[2].

وقد ذكر بعض هذه القصة الحافظان أبوموسى المديني في كتابه الصحابة ، وابن الأثير في أسد الغابة، وترك شيئًا يلزمه ذكره استدركناه، في كتاب الإبانة.

١٦- شهيـــد

[وضّاح اليمن وأم البنين]

قال أبو مسهر: كان وضاح اليمن[3]، والمقنع الكندي، وأبـــو زبيـــد الطـــائي

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من مصارع العشاق.

(٢) وبغض النظر عن إسناد الحديث وما فيه فإن مثل هذه الأحاديث لا يعول على مثلها إذ فيها من العوار ما فيها وإن كان يعتمد على العامل النفسي البشري ، فكيف يليق مثل هذا بخيرة البشر وخيرة القرون والعصور والذين اصطفاهم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث لا يجدون على الخير أعوانًا؟!!! فامرأة تخون زوجها، وعجوز تمهد لهذا، ناهيك عن اعتراضها عن ما وجه إليها من نصحه لها بقراءة القرآن واعتراضها عليه والذي هو كفر، ثم الكلام عن اعتقادهم في الجن وقدرتهم على الأذى لبني البشر، ومثل هذا لا يليق بأمثالهم أيضًا، واستسلام هذا الشاب لتلك العجوز ومجاراتها وحضور الزوج في الوقت الذي رسمه واضع الخبر كل هذا لا أراه يوافق ما كانوا عليه من تقوى، وورع وعفة وطهر، وهذه إشارة عاجلة أدرت أن أشير بها إلى ما في هذا الخبر من عوار والله أعلم.

(٣) قال ابن حبيب في أسماء المغتالين : والذي أعانني على تحقيقه في وضاح اليمن هذا (ترجمة رقم ١٢٦): هو وضاح بن إسماعيل بن عبد كلال أحد أبناء الفرس الذي قدموا مع وَهْرَزَ الفارسي، فقتلوا الحبشة، وأقاموا بصنعاء، وكان شاعرًا ظريفًا غزِلاً، فعشقته أم البنين بنت عبدالعزيز بن مروان، وكانت تحت الوليد بن عبدالملك، ولها منه عبدالعزيز بن الوليد.

وكان يكون عندها في صندوق مخبوءًا. ثم ذكر نحو القصة هنا مختصرة ودون ذكر دفن الخادم الذي أخبره بذلك الخبر.

وكان لي على هذا الخبر تعليق في تبرئة أم البنين من مثل هذه الأقوال أو الأفعال فراجعه في الموضع المشار إليه، وكن على تريث من تصديق مثل تلك الأخبار ولا تنس وأن تقرأ أن أصحاب هذه القصص والحكايات أناس مثلنا ولهم من الحرمة وصون العرض ما للأحياء ، بل إن الأحياء قد يدافعون عن أنفسهم أن يكون لهم من يغير على أعراضهم فيدفع عنهم بالغالي والرخيص ما يشينهم وعلينا نحن أن نرد الغيبة عنهم حيث سمعنا مثل هذا أو قرأناه حتى لا نكون ممن يشارك في الإثم، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ [البقرة: ١٣٤، ١٤١] ولكن علينا أن نأخذ العبرة وأن نتعظ مما يسرد علينا =

دون القطع بصحته، وأن نتعرف على بعض حيل وألاعيب بعض النساء، وبعض فسقة الناس في الغدر أو في الوصول إلى ما لا يجب الوصول إليه أو ما لا يحق له بوجه الحلال أو المباح، أو الواجب لنحذر من مثل هذا ونحذر غيرنا والله يعصمنا وإياكم من فتن الدنيا وبلائها اللهم آمين.

ثم إن المؤلف بما لديه من قدرة عالية على النقد فهو من رجالات الحديث المعدودين المشهورين بالإتقان قد فند هذه القصة بآخرها ، وستقف عليه إن شاء الله تعالى، وقد ذكر القصة بنحو مما هنا أيضًا السراج في مصارع العشاق (٢/١٩٢): وأنا هنا أسرد لك طرفًا من آثار أم البنين وفضائلها وإن لم يكن هناك مانع من أن يكون هناك ميل في قلب كل منهما إلى الآخر، ولكن دون تعد أو حدوث ما يشين من سمعتها أو يحط من قدرها رحمها الله تعالى، وللعلم ليست هي من جداتي حتى أدافع عنها كل هذا الدفاع إنما هي امرأة مسلمة لها علي وعلى كل مسلم من الحقوق الشرعية ما يجعلنا ندافع عنها، ثم أنا أبدأ في سرد بعض تلك الفضائل التي ذكروها عنها نقلاً عن كتاب أعلام النساء (١/١٥٠) قال: من ربات الفصاحة والبلاغة قرعت بجوابها حجة الحجاج وأفحمته بكلام مبين وذلك أن الحجاج بن يوسف وفد على الوليد بن عبدالملك فوجده في نزهة فاستقبله فلما رآه ترجل له وقبل يده وجعل يمشي وعليه درع، وكنانة وقوس عربية.

فقال له الوليد: اركب يا أبا محمد. فقال: دعني يا أمير المؤمنين أستكثر من الجهاد فإن ابن الزبير، وابن الأشعث شغلاني عنك.

فعزم عليه الوليد حتى ركب، ودخل الوليد داره وتفضل في غلالة ، ثم أذن للحجاج فدخل عليه في حاله تلك وأطال الجلوس عنده، فبينما هو يحادثه إذ جاءت جارية فساررت الوليد ومضت، ثم عادت فساررته، ثم انصرفت.

فقال الوليد للحجاج: أتدري ما قالت هذه يا أبا محمد؟ فقال: لا والله. قال: بعثتها إليَّ ابنة عمي أم البنين بنت عبدالعزيز تقول: ما مجالستك لهذا الأعرابي المتسلح في السلاح وأنت في غلالة فأرسلت إليها أنه الحجاج فراعها ذلك ، وقالت: والله ما أحب أن يخلو بك وقد قتل الخلق. فقال الحجاج: يا أمير المؤمنين دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنما المرأة ريحانة وليست بقهرمانة فلا تطلعهن على سرك ولا مكايدة عدوك، ولا تطمعهن في غير أنفسهن ولا تشغلهن بأكثر من زينتهن وإياك مشاورتهن في الأمور فإن رأيهن إلى أفن وعزمهن إلى وهن واكفف عليهن من أبصارهن بحجبك ولا تملك الواحدة منهن من أمور ما يجاوز نفسها ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها ولا تطل الجلوس معهن فإن ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك، ثم نهض الحجاج، فخرج، ودخل الوليد على أم البنين، فأخبرها بمقالة الحجاج ، فقالت: يا أمير المؤمنين: أحب أن تأمره غدًا بالتسليم عليَّ. فقال: أفعل، فلما غدا الحجاج على الوليد قال له: يا أبا محمد سِرْ إلى أم البنين فسلم عليها، فقال: اعفني من ذلك يا أمير المؤمنين، فقال: لابد من ذلك. فمضى الحجاج إليها فحجبته طويلاً، ثم أذنت له فأقرته قائمًا ولم تأذن له في الجلوس ، ثم قالت: إيه يا حجاج، أنت المتمني على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير ، وابن الأشعث ، أما والله لولا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلاك برمي الكعبة، ولا بقتل ابن ذات النطاقين، وأول مولود ولد في الإسلام. وأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبدالملك، فأغاثك بأهل الشام،

=

وأنت في أضيق من القرن، فأظلتك رماحهم، وأنجاك كفاحهم ولولا ذلك لكنت أذل من النقد.

وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته والامتناع من بلوغ أوطارده من نسائه ، فإن كن يفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك فما أحقه بالأخذ عنك والقبول منك وإن كن ينفرجن عن مثل أمير المؤمنين فإنه غير قابل منك ولا مصغ إلى نصيحتك، قاتل الله الشاعر وقد نظر إليك وسنان غزالة الحرورية بين كتفيك حيث يقول:

أسد عليَّ وفي الحروب نعامـــة	ربداء تفزع من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى	بل كان قلبك في جناحي طائر
صدعت غزالة قلبـــه بفوارس	تركت مناظره كأمس الدائر

اخرج عني، فدخل إلى الوليد من فوره، فقال: يا أبا محمد ما كنت فيه، فقال : والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إليَّ من ظاهرها، فضحك الوليد حتى فحص برجله ثم قال: يا أبا محمد إنها بنت عبدالعزيز.

ثم ذكر المؤلف طرفًا من ذكر حجها والتشبيب الذي كان سببًا في قتل الوليد له غيلة، والذي ذكره هنا المؤلف ردًا خبر عشقها المقيت الذي سرد.

ثم قال مؤلف الأعلام: ومن كلام أم البنين وأعمالها الخيرية أنها قالت: أف للبخل لو كان قميصًا ما لبسته ولو كان طريقًا ما سلكته.

وكانت أم البنين تبعث إلى نسائها فتجمعهن فيتحدثن عندها وهي قائمة تصلي، ثم تنصرف إليهن فتقول: أحب حديثكن فإذا أقمت في صلاتي لهوت عنكن ونسيتكن، وكانت تكسوهن الثياب الحسنة، وتعطيهن الدنانير، وكانت تقول: جعل لكل قوم نهمة في شيء، وجعلت نهمتي في البذل والعطاء والله للصلة والمؤاساة أحب إلي من الطعام الطيب على الجوع، ومن الشراب البارد على الظمأ.

وكانت تقول: وهل ينال الخير إلا باصطناعه. وكانت تقول: ما حسدت أحدًا قط على شيء إلا أن يكون ذا معروف فإني كنت أحب أن أشركه في ذلك. ودخلت عزة كثير على أم البنين فقالت لها: ما سبب قول كثير:

قضى كل ذي دين فوفى غريمه	وعزة ممطول مُعَنّى غريمها؟

قالت: كنت وعدته قبلة فتحرجت منها.

قالت أم البنين: أنجزيها وعليَّ إثمها، فتندمت أم البنين على قولها هذا فأعتقت لكلمتها هذه سبعين رقبة.

وذكر ابن عساكر: أن أم البنين كانت فيمن حدث من النساء، وروى عنها إبراهيم بن أبي عقيلة وأما دار أم البنين فقد كانت بدمشق بقرب طاحونة الثقفيين المعروفة في زمن ابن عساكر بطاحونة القلعة، وكانت لها دار أخرى خارج باب الفراديس على يسار المار إلى المقبرة.

قلت : فانظر إليها تكفر عن كلمة قالتها بسبعين رقبة فكيف يتسق هذا مع ما ذكر عنها من ضده، فالله نسأل لها الرحمـــة ولنا الستر وحسن الختام اللهم آمين.

يردون مواسم العرب متبرقعين يسترون وجوههم خوفًا من العين، وحذرًا على أنفسهم من النساء لجمالهم وكان وضاح اليمن نشأ هو وأم البنين بنت عبد العزيز صغيرين فأحبها وأحبته، فكان لا يصبر عنها حتى إذا بلغت حجبت عنه.

قال المرزباني: هو ابن إسماعيل بن عبد كلال بن يزداد بن أبي حمد من الأبناء، وكان من أجمل الناس وجهًا.

وقال الحافظ أبو موسى بن عساكر: وضاح لقب، واسمه عبدالله. وقال أبوالفرج الأصبهاني عبدالرحمن بن إسماعيل، وأمه من آل ذي قيقان، ثم من آل ذي جدن.

قال أبومسهر: فلما زوجت أم البنين بالوليد بن عبد الملك، ذهب عقل وضاح، وذهب يذوب وينحل ، فلما طال عليه البلاء خرج إلى الشام فجعل يطيف بقصر الوليد بن عبد الملك في كل يوم ولا يجد حيلة [٤٧/ب] حتى رأى يومًا جارية صفراء، فلم يزل يأنس بها.

فقال لها: هل تعرفين أم البنين؟

قالت: إنك تسأل عن مولاتي.

فقال: إنها لابنة عمي، وإنها لَتُسَرُّ بموضعي لو أخبرتها. قالت: نعم، فإني أخبرها. فمضت الجارية، فأخبرت أم البنين، فقالت: ويلك، أَوَ حَيٌّ هو؟ قالت: نعم.

قالت: قولي له: كن بمكانك حتى يأتيك رسولي.

قال الخرائطي: حدثنا محمد بن يحيى الفريابي حدثنا إسحاق بن الضيف عن أبي مسهر أنه قال: فأدخلته في صندوق، فمكث عندها حينًا إذا أمنت أخرجته، فقعد معها، وإذا خافت عين رقيب أدخلته الصندوق.

فأهدي للوليد بن عبدالملك جوهر، فقال لبعض خدمه، خذ هذا الجوهر فامضِ به إلى أم البنين.

قال: فدخل الخادم من غير أن يستأذن، ووضاح معها، فلمحه، و لم تشعر أم البنين، فأدى الخادم الرسالة، وقال لها: هبي لي من هذا الحجر حجرًا.

فقالت: لا أم لك، وما تصنع أنت بهذا؟ فخرج وهو عليها حنق.

فجاء إلى الوليد، فأخبره بما رأى، ووصف له الصندوق الذي رأى وضاحًا داخله. فقال له كذبت لا أم لك.

ثم نهض الوليد مسرعًا فدخل عليها وهي في ذلك البيت وفيه عدة صناديق، فجاء حتى جلس على الصندوق الذي وصفه له الخادم.

فقال لها: يا أم البنين، هبي لي صندوقًا من صناديقك هذه.

قال: يا أمير المؤمنين هي لك وأنا أيضًا. فقال: أريد هذا الصندوق الذي تحتي فقط.

فقالت: إن فيه شيئًا من أمور النساء. قالت: ما أريد غيره.

فقالت: هو لك. فأمر به فحمل.

ودعا بغلامين أعجمين، فأمرهما بحفر بئر فحفرا حتى إذا بلغ الماء وضع فمه على الصندوق وقال: أيها الصندوق قد بلغنا عنك شيء فإن كان حقًا فقد دفنا خبرك، وإن كان كذبًا فما علينا في دفن صندوق من خشب حرج.

ثم أمر به فالقي في الحفرة [٤٨/أ] وأمر بالخادم فقذف به فوقه، ثم طوى عليهما جميعًا التراب.

قال أبو مسهر: فكانت أم البنين لا تزال توجد في ذلك المكان تبكي إلى أن وجدت فيه يومًا مكبوبة على وجهها ميتة.

زاد التميمي في كتاب امتزاج النفوس: فلما دفن وضَّاح، أقام الوليد معها في ذلك البيت ثلاثًا لا يبرح.

قال: ويقال: إنه لم يجمعهما بعد ذلك اليوم فراش.

والله أعلم . انتهى كلام الخرائطي والتميمي وفيه نظر في مواضع:

الأول : قول أبي الفرج على بن الحسين الأموي : كان وضَّاح يهوى جارية يقال لها روضة. وله فيها أشعار كثيرة منها قوله : ووفد على الوليد بالشام.

أَبَتْ بالشَّام نَفْسي أنْ تَطيْبا ... تَذَكَّرت المَنازِلَ والْحَبيْبَا
تَذَكَّرتَ المَنازِلَ مِنْ شُعُوب ... وَحَيًّا أصْبَحُوا قطَنا شُعُوبَا
سَبَوا قَلْبي فَحَلَّ بحَيثُ حَلُّواً ... وَيَعْظُم أنْ دَعَوا ألاَّ يُجيْبَا
ألاَ لَيْتَ الرِّيَاحَ لَهُ رَسُولٌ ... إلَيْكُمُ أوْ شِمَالاً أوْ جَنُوبَا
فَيَأْتِيْكُمْ بمَا قُلْنَا سَرِيْعًا ... ويَبْلُغُنَا الَّذي قُلتُم قَرِيْبا
ألا يَا رَوْضُ قَدْ عَذَّبْتَ قَلْبِي ... فَأَصْبحَ مِنْ تَذَكُّرَكُمْ كَئِيْبَا

فلو كانت أم البنين شجته لما تشوق غيرها لا سيما قطين بلدها، وممن عشقها صغيرًا على ما زعم أبو مسهر.

الثاني: ما رواه الهيثم بن عدي وغيره: من أن أم البنين استأذنت الوليد في الحج فأذن لها وهو يومئذ خليفة، وكتب يتوعد الشعراء أن يذكرها أحد منهم أو يذكر أحدًا ممن معها.

فقدمت فتراءت للناس، وتصدى لها أهل الغزا والشعراء فوقعت عينها على

وضاح فهويته.

وقال مديح، فأرسلت إلى كثير ووضَّاح: أن شبباني(١).

فأما وضاح فإنه ذكرها وصرح بها في التشبيب(٢) فوجد الوليد بن عبدالملك [٤٨/ب] عليه السبيل فقتله.

فلما قتله حجت بعد ذلك أم البنين محتجبة لا تكلم أحدًا إلى أن شخصت.

وقال العتبي: مدح وضاح، الوليد وهو يومئذ خليفة ووعدته أم البنين أن ترفده عنده، وهويت أن تراه(٣).

فقدم عليه بقصيدته التي أولها:

صَبَا قَلْبِي وَمَالَ إِلَيْكِ مَيْلاً ... وَأَرَّقَنِي خَيَالك يَا أُثَيْلاَ

فأحسن رفده ومدحه بعدة قصائد، ثم نما إليه أنه شبب بأم البنين فجفاه وأمر بأن يحجب عنه.

فمدحه بقصائد، فلم يزل مجفوًا حتى وجد الوليد غرة فبعث إليه من اختلسه ليلاً فجاء به فقتله ودفنه في داره، فلم يوقف له على خبر.

وقال خالد بن كلثوم: ولما شبب وضاح بأم البنين، وهي أم عبدالعزيز بن الوليد، فبلغ ذلك الوليد، فأمر به أن يقتل.

فقال له ابنه عبدالعزيز لا تفعل ذلك يا أمير المؤمنين فتحقق قوله.

ولكن افعل معه كفعل معاوية بأبي دهبل الجمحي، تبره وتحسن إليه فيستحي ويكف.

فلم يقبل ذلك الوليد، ودفنه حيًا في صندوق. فهذه الأخبار مصرحة بأنها لم تكن إلفًا له في الصغر، وإنما رأته إذ حجت.

وموضحة بأن قدومه الشام إنما كان لأجل مديح الوليد.

---

(١) في المخطوط: انسباني. وهو تحريف. والتصويب من أعلام النساء.

(٢) في المخطوط: في النسب. وهو تحريف أيضًا والتصحيح يفهم من السياق.

(٣) في المخطوط: امرأة. وهو تحريف.

وعلى تقدير أن يكون وَرّى بذلك فلا يخفى خبره على من تعشقه لا سيما وله فيها مدائح وأشعار تحن بها مع طول مقامه ببلدها.

الثالث: يؤيد ما أسلفناه، قول خالد بن كلثوم والزبير وغيرهما: أن شعوبيًا وضع كتابًا زعم أن أم البنين عشقت وضّاحًا، وكانت تدخله صندوقًا عندها.

فوقف على ذلك خادم، فأخبر سيده فدفنه حيًا، الحديث بطوله.

الرابع: قصة وضّاح كانت بعد تزوج الوليد بها بزمان يدل على ذلك: أن ذلك الوقت كان عبدالعزيز ابنها رجلاً.

وهناك زعم أنه بعد التزوج ذهب عقله . وهذا متناقض لأن من يصبر عن عشيقته عشرين سنة لا يذكرها، غير صحيح المحبة.

[٤٩/أ] **الخامس**: قوله: كانت لا تزال تبكي إلى أن ماتت. مردود بقول الكلبي: ما رأت أم البنين لذلك أثرا في وجه الوليد بن عبدالملك، وكذلك هو حتى فرّق الدهر بينهما. ويخدش في وجه هذا الجواب قول العطوي:

بمَ قُلْنَ الحَديث حَدَّث عن الـ ـعشاق عن كل ماجد جحجاح
فَتَحَدَّثْ عَنْ سُلَيْمَى وَعَني لاَ عَـنْ أُمِّ البَنِيْـنِ وَالوَضَّـاح

السادس: تفردة بوفاتها على ذلك المكان وهو[1] شيء لم أره لغيره.

والله تعالى أعلم.

ذكر المعافى بن زكريا: أن الخليفة الفاعل لذلك هو يزيد بن عبدالملك بن مروان وفيه نظر.

باب التّاء

١٧ – شهيدان

[الجارية التغلبية النصرانية والغلام المسلم]

ذكر التميمي في كتاب الامتزاج: عن أبي يزيد النحوي عن رجل من أصحاب الحديث[2] قال: دخلت ديرًا في بعض المنازل، ذُكر لي أن فيه راهبًا حسن المعرفة بأخبار الناس

(١) في المخطوط: وهي. وهو تحريف.

(٢) من الملاحظ أن هذا الرجل مجهول فتكون الرواية في عرف أهل الحديث ضعيفة. وعلى كل فإن الخبر الوارد هنا يذكرنا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم: ((**المرء على دين خليله**)) .
وقول القائل:

عن المرء لا تسل وسل عن خليله فإن الخل بالخليل قرين

=

وأيامهم فصرت إليه فوجدته في حجرة وعليه زي المسلمين، فسألته عن سبب إسلامه.

فحدثني: أنه كان في هذا الدير جارية نصرانية من بني تغلب كثيرة الأموال. وأنها هويت غلامًا مسلمًا، وكانت تبذل له الأموال والرغائب، والغلام يأبى عليها.

فلما أعيتها الحيلة، أعطت رجلاً مصورًا مائة دينار على أن يصور لها صورة الغلام، ففعل ذلك، فما زالت تأتي كل يوم إلى تلك الصورة، فتلثم ما تحب منها، ثم تجلس بإزائها تبكي، فإذا أمست قبلتها وانصرفت.

فما زالت على ذلك مدة، فتوفي الغلام، فعملت مأتمًا عليه صارت به مثلاً.

ثم رجعت إلى الصورة، فلم تزل تلثمها وتقبلها وتبكي إلى أن أمست فباتت إلى جانبها، فلما أصبحنا وجدناها ميتة ويدها ممدودة على الحائط وقد كتبت عليه تقول:

يَا مَوْتُ دُوْنَكَ رُوْحِي بَعْدَ سَيِّدِهَا ... خُذْهَا إِلَيْكَ فَقَدْ أَوْدَتْ بِمَا فِيْهَا

[٤٩/ب]أَسْلَمْتُ رُوْحِي لِلرَّحْمَنِ مُسْلِمَةً ... وَمِتُّ مَوْتَ حَبِيْبٍ كَانَ يَعْصِيْهَا

لَعَلَّهَا فِي جِنَانِ الْخُلْدِ يَجْمَعُهَا ... يَوْمَ الحِسَابِ وَيَوْمَ البَعْثِ بَارِيْهَا

مَاتَ الحَبِيْبُ وَمَاتَتْ بَعْدَهُ كَمَدًا ... مُحِبَّةٌ لَمْ تَزَلْ تَشْقَى مُحِبِّيْهَا

قال: فشاع ذلك حتى بلغ المسلمين فاحتملوها ودفنوها إلى جانبه، وأخذوا مالها. فبت مغمومًا بما آل إليه أمرها، فرأيتها في المنام، فقلت: فلانة، ما فعل الله بك؟ فقالت:

أَصْبَحْتُ فِي رَاحَةٍ مِمَّا أُكَابِدُهُ ... وَبِتُّ جَارَةَ فَرْدٍ وَاحِدٍ صَمَدِ

مَحَى الإِلَهُ ذُنُوبِي كُلَّهَا وَغَدَا ... قَلْبِي خَالِيًا مِنَ الأَحْزَانِ والكَمَدِ

لَمَّا قَدِمْتُ عَلَى الرَّحْمنِ مُسْلِمَةً ... وَقُلْتُ إِنَّكَ لَمْ تُوْلَدْ وَلَمْ تَلِدِ

=

وقول القائل: الطيور على أشكالها تقع.

وقال القائل: رُبَّ ضارة نافعة

والعقل إلى تصديق بعض هذه القصة يميل في أنها قد تكون أحبت رجلاً مسلمًا وعف عنها أو حال بينهما حائل من زواج أو غيره وظلت على رغبتها فيه إلى أن أتاها خبره فلم تتحمل أثر الصدمة ، ثم أعملت عقلها فهداها إلى فطرتها السليمة وهي أنها لكي تصل إلى ما تريد لابد أن تعود إلى الفطرة السليمة والتي كان عليها ذلك المحبوب وأن هذه الفطرة سوف تجمع بين كل مؤمنين مهتدين فثابت إلى رشدها فأسلمت وجهها إلى الله تعالى فكان أن ختم لها بخير ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((**إنما الأعمال بخواتيمها**)) فماتت على الإسلام لله تعالى تاركةً ما كانت عليه من الشرك، وربما أن يكون الراهب قد رأى في المنام ذلك منها، فآمن وهدي إلى الصواب أما كون الدير كله يسلم فهذا بعيد، والله تعالى أعلم.

أَثَابَنِي رَحْمَةً مِنْهُ وَأَسْكَنَنِي ... مَعَ مَنْ هَوَيْتُ جِنَانًا آخر الأَبَد

فعلمت أن الذي صارت إليه خير من الذي أنا عليه، فأسلمت وأسلم معي أهل الدير وكانت رحمها الله تعالى السبب.

١٨ – شهيد

[توبة بن الحمير بن حزم الخفاجي، وليلى الأخيلية]

ذكر أبوالفرج الأصبهاني: توبة بن الحمير بن حزم بن كعب بن خفاجة بن عمرو بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فقال: كان شاعرًا لصًا، وهو أحد عشاق العرب المشهورين بذلك(١).

---

(١) ذكر السرَّاج في مصارع العشاق القصة على غير هذا النحو (٢٨٣/١) بإسناده إلى مولى لعنبسة بن سعيد بن العاص مُركِّزًا على ليلى لا على توبة فقال: كنت أدخل مع عنبسة بن سعيد إذا دخل على الحجاج، فدخل يومًا، فدخلت إليهما وليس عد الحجاج غير عنبسة، فقعدت فجيء الحجاج بطبق فيه رطب، فأخذ الخادم منه شيئًا فجاءني به.

ثم جيء بطبق، حتى كثرت الأطباق، وجعل لا يؤتون بشيء إلاّ جاءني منه بشيء حتى ظننت أن ما بين يدي أكثر مما عندهم، ثم جاء حاجب فقال: امرأة بالباب. فقال له الحجاج: أدخلها. فدخلت، فلما رآها الحجاج، طأطأ رأسه حتى ظننت أن ذقنه قد أصاب الأرض فجاءت حتى قعدت بين يديه، فنظرت إليها، فإذا هي امرأة قد أَسَنَّتْ، حسنة الخلق، ومعها جاريتان لها، فقال لها: يا ليلى، ما أتى بك؟

فقالت: إخلاف النجوم، وقلة الغيوم وكَلَبُ البرد، وشدة الجهد، وكنت لنا بعد الله الرِّفد.

فقال لها: صفي لنا الفجاج (أي الطرق) فقالت: الفجاج مغبَرَّة، والأرض مُقشعِرَّة، والمنزل معتل، وذو العيال مختل، والهالك المقل، والناس مسنتون (أي مجدبون مقحطون)، رحمة الله يرجون، وأصابتنا سنون مجحفة مبطلة، لم تدع لنا هيعًا ولا ربعًا، ولا عاطفة (أي نعجة) ولا نافطة (أي عنز) أذهبت الأموال، وفرقت الرجال وأهلكت العيال، ثم قالت: إني قد قلت في الأمير قولاً: قال: هاتي. فأنشأت تقول:

أحجاج لا يفلل سلاحك إنما ال ... منايا بكف الله حيث تراها
أحجاج لا تعط العصاة مناهم ... ولا الله يعطي للعصاة مناها
إذا هبط الحجاج أرضًا مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها
شفاها من الداء العُضال الذي بها ... غلام إذا هَزَّ القناة سقاها
سقاها فرواها بشرب سجاله ... دماء رجال حيث قال حماها
إذا سمع الحجاج رزّ كتيبة ... أعد لها قبل النزول قراها
أعد لها مسمومة فارسية ... بأيدي رجال يحلبون صراها
فما ولد الأبكار والعون مثله ... بنجد ولا أرض يجف ثراها

=

قال: فلما قالت هذا. قال الحجاج: قاتلها الله، ما أصاب صفتي شاعر مذ دخلت العراق غيرها.ثم التفت إلى عنبسة بن سعيد فقال: والله إني لأعد للأمر عسى أن لا يكون أبدًا. ثم التفت إليها فقال: حسبك قالت: إني قد قلت أكثر من هذا.

قال: حسبك، ويحك حسبك. ثم قال: يا غلام، اذهب إلى فلان فقل له: اقطع لسانها.

قال: فأمر بإحضار الحجام، فالتفت إليه فقالت: ثكلتك أمك أما سمعت ما قال؟ اقطع لساني بالصلة. فبعث إليه يستثبته.

فاستشاط الحجاج غضبًا، وهم بقطع لسانه، وقال: ارددها، فلما دخلت عليه قالت: كاد وأمانة الله يقطع مقوَلي، ثم أنشأت تقول:

حجاج أنت الذي ما فوقــه أحــد إلا الخليفة والمُسْتَغْفَرُ الصَّمَــدُ

حجاج أنت شهاب الحرب إذ لقحت وأنت للناس في جنح الدجى تقدُ

ثم أقبل الحجاج على جلسائه فقال: أتدرون من هذه؟

قالوا: لا والله أيها الأمير... فذكر نص ما ورد هنا من قولهم، ثم استنشدها الحجاج طرفًا من شعر توبة فيها مما ورد ذكره هنا من قوله:

وهل تبكين ليلى إذا ما بكيتها

بنحو مما ورد هنا، ثم قال لها الحجاج: يا ليلى، ما الذي رابه من سفورك؟

فقالت: أيها الأمير، كان يلم بي كثيرًا، فأرسل إليَّ يومًا أني آتيك، وفطن الحيّ، فأرصدوا له، فلما أتاني أسفرت فعلم أن ذلك لشر، فلم يزد على التسليم والرجوع.

فقال: لله درك، فهل رأيت منه شيئًا تكرهينه؟

فقالت: لا والذي أسأله أن يصلحك، غير أنه قال لي مرة قولاً ظننت أنه قد خضع لبعض الأمر فقلت له: وذي حاجة قلنا له لا تبح بها

الأبيات ثم ذكر هذه الخبر بنحو مما هنا مع اختصار في الأشعار ثم قال لها الحجاج بعد ذكر خبر الفقعسي: سلي يا ليلى تعطي. قالت: أعط، فمثلك أعطى فأجزل. قال: لك عشرون. قال: زد، فمثلك زاد فأجمل.

قال: لك أربعون. قالت: زد، فمثلك زاد فأفضل.

قال: لك ستون. قالت: زد، فمثلك زاد فأكمل.

قال: لك ثمانون. قالت: زد، فمثلك زاد فأتم.

قال: لك مائة، واعلمي يا ليلى أنها غنم.

قالت: معاذ الله أيها الأمير، أنت أجود جودًا وأمجد مجدًا وأورى زندًا من أن تجعلها غنمًا.

قال: فما هي ويحك يا ليلى؟ قالت: مائة ناقة يدعى بها.

فأمر بها، ثم قال: ألك حاجة بعدها؟ قالت: تدفع إلى النابغة الجعدي في قَرَن. قال: قد فعلت.

وقد كانت تهجوه ويهجوها. فبلغ النابغة ذلك، فخرج هاربًا عائذًا بعبد الملك، فاتبعته إلى الشام، فهرب إلى قتيبة بن مسلم بخراسان فاتبعته على البريد بكتاب الحجاج إلى قتيبة.

فمات بقومس، ويقال بحلوان. ويقول عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في كتابه الشعر

وكان يهوى ليلى بنت عبدالله بن الرحال وقيل الرحال بن شداد بن كعب بن معاوية، وهو الأخيل، وهو فارس الهزاز.

وكان لا يراها إلا متبرقعة، فأتاها يومًا بعد ما شكاه قومها إلى السلطان، فأباحهم دمه متى أتاهم فمكثوا له في الموضع الذي يلقاها فيه.

فلما علمت به خرجت إليه مسفرة حتى جلست في طريقه.

فلما جاء ورآها مسفرة فطن لما أرادت وأنها لم تسفر إلا لأمر ، فقال:

نَأَتْكَ بِلَيْلَى دَارُهَا لاَ تَزُورَهَا ... وَشَطَّ[1] نَوَاهَا[2] واسْتَمَرَّ مَرِيْرهَا

يَقُولُ رِجَالٌ لا يَضُرُّكَ نَأْيُهَا[3] ... بَلَى[4] كُلّ مَا شَفَّ النُّفوس يُضيْرهَا

أَظُنُّ بِهَا خَيْرًا وَأَعْلَمُ أَنَّهَا ... سَتَنْفَكُ[5] يَوْمًا أَوْ يُفَكُ أَسِيْرُهَا

=

والشعراء (١٠٢) عن توبة، وليلى: هو من بني عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن خفاجي من بني خفاجة وكان شاعرًا لصًا وأحد العشاق العرب المشهورين بذلك، وصاحبته ليلى الأخيلية وهي بنت عبدالله بن الرحالة بن كعب بن معاوية -وهو الأخيل- بن عبادة.

وكان يقول فيها الشعر، ولا يراها إلا متبرقعة فأتاها يومًا فسفرت عن وجهها، فأنكر ذلك، وعلم أنها لم تسفر إلاّ عن حدث -قلت: وهذا من فطنه وفراسة اللصوص التي اشتهروا بها وسرعة بديهتهم التي فاقوا بها رجال الأمن- وكان أخوانها أمروها أن تعلمهم بمجيئه فسفرت لتنذره، ففي ذلك يقول:

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابني منها الغداة سفورها

وأول الشعر: نأتك بليلى دارها لا تزورها

فذكر الأبيات المذكورة هنا، ثم قال: وليلى بنت الأخيل من أشعر النساء لا يقدم عليها غير الخنساء ، وكانت هاجت النابغة الجعدي، وكان مما هجاها به قوله:

ألا حييا ليلى وقولا لها هلا

الأبيات. وراجعها في موضعها فلا ينبغي سردها هنا لما فيها من إسفاف، وقد ردت عليه بنحوه ثم قال: ودخلت على عبدالملك وقد أسنت، فقال: ما رأي توبة فيك حين عشقك؟ قالت: ما رأي الناس فيك حين جعلوك خليفة؟ فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها.

وسألت الحجاج أن يوفدها إلى قتيبة بن مسلم بخراسان ففعل، فلما انصرفت ماتت بساوة فقبرها هناك.

(١) في الشعر والشعراء (١٠٢): شطت.

(٢) في المخطوط: ثواها والتصويب من الشعر والشعراء.

(٣) في الشعر والشعراء: حبها.

(٤) في الشعر والشعراء: ألا.

(٥) في الشعر والشعراء: ستنعم. والبيتان التاليان له لم يردا في الشعر والشعراء.

بَلَى قَدْ يَضُر العَيْن أنْ تُكْثِرَ البُكَا ... وَيَمْنَعَ مِنْهَا نَوْمهَا وسُرُوْرَهَا
أرَى اليَوْمَ يَأْتِي دوْنَ لَيْلَى كَأَنَّمَا ... أتَت حجَّة مِنْ دُوْنِهَا وشُهُوْرهَا
حَمَامَة بَطْن الوَادِيَيـن تَرَنَّمِي ... سَقَاك مِنْ الغر العذَاب[1] مَطِيرهَا
أبِيْني لَنَا لاَ زَالَ رِيْشُك نَاعِمًا ... وَلاَ زِلْتُ فِي خَضْرَاء عَال بَرِيْرهَا
وَأَشْرفُ بالْقَود البَقَاعِ لَعَلَّنِي ... أرَى نَارَ لَيْلَى أوْ يَرَانِي بَصِيْرهَا
وَكُنْتُ إذَا مَا جِئْتُ لَيْلَى تَبَرْقَعَتْ ... فَقَدْ رَابَنِي مِنْهَا الغَدَاة سُفُورهَا
عَلَيَّ دمَاء الْبُدْن إنْ كَانَ بَعْلهَا ... يَرَى لِي ذَنْبًا غَيرْ أنِّـي أزُوْرَهَا
وَإنِّي إذَا مَا زُرْتُهَا قُلْتُ يا اسْلمي ... وَيَأبَى بِي قَوْل اسْلمي مَا يَضِيْرَهَا
وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بأَنِّـي فَاجِرٌ ... لِنَفْسِي تُقَاهَا أوْعَلَيْهَا فُجُورهَا

وقال فيها أيضًا:

وَلَوْ أنْ لَيْلَى الأخْيَلِيَّة سَلَّمَتْ ... عَلَيَّ وَدُونِي جَنْدلٌ[2] وصَفَائح
لَسَلَّمْت تَسْلِيم البَشَاشَة أوْرَقَا ... إلَيْهَا صدًا منْ جَانب القَبْر صَائحُ
وَلَوْ أنَّ لَيْلَى فِي السَّمَاء لأصعَدت ... بطَرْفِي إلَى لَيْلَى العُيُون اللَّوَائحُ
أغبط من ليلى بما لا أناله ... ألاَ كُلَّمَا قَرَّتْ بِه العَيْنُ صَالحُ
وهَلَ تَبْكِينَ لَيْلَى إذا متُّ قَبْلَهَا ... وَقَامَ عَلَى قَبْرِي النِّسَاء النَوَائحُ
كَمَا لَوْ أصَابَ المَوْتُ بَكَيْتُهَا ... وَجَادَ لَهَا دَمْعٌ مِنَ العَيْن سافحُ

[٥٠/ب] وهذا الشعر كان سبب موت ليلى. وذلك أن بعلها مرَّ هو وليلى بقبر توبة، فتجنبته ليلى.

فقال: ما رأيت رجلاً أكذب من صاحب هذا القبر.

فردت عليه ردًا سيئًا، وقالت: ولِمَ؟

قال: لقوله: لسلَّمْتُ. والله لتسلمي عليه حتى يتبين كذبه.

فاستعصته، فأبى، وهي على بعير، فدنت من القبر وسلمت، وكان بجانب القبر بُومة، فلما رأتها نفرت فنفر منه[3] البعير، فبردت ليلى.

فكان قبرها هناك، وقال المدائني: لما دخلت ليلى على الحجاج، قال لجلسائه:

(١) في الشعر والشعراء: الغوادي.

(٢) لم ترد الأبيات كلها بالشعر والشعراء وإنما ما ورد منه فيه اذكر الفوارق فيها مع ما هنا، وبدل هذه الكلمة فيه: تربة.

(٣) في المخطوط: منها. وهو تحريف.

أتدرون هذه؟

قالوا: لا والله، أيها الأمير، إلا أننا لم نَرَ(١) امرأة قط أفصح لسانًا، ولا أحسن محاورة، ولا أملح وجهًا، ولا أرصن شعرًا منها.

قال: هي ليلى الأخيلية التي مات توبة الخفاجي من حبها.

ثم قال لها: يا ليلى، هل رأيت منه جنوحًا لبعض الأمر؟

قالت: لا والله غير أنه قال لي مرة قولاً ظننت أنه قد خضع فيه لبعض الأمر، فأنشأت أقول:

وَذِي حَاجَةٍ قُلْنَا لاَ تَبحْ بِهَــا ... فَلَيْسَ إِلَيْهَا مَا حَيِيْتُ سَبِيْــلُ
لَنَا صَاحِبٌ لاَ يَنْبَغِي أَنْ نَخُونَهُ ... وَأَنْتَ لأُخْرَى صَاحِب وَخَلِيْلُ

فلا والله ما رأيت منه شيئًا حتى فَرَّقَ الموت بيني وبينه، ثم لم يلبث أن خرج في غزاة له فحصل له ضعف، وتذكارٌ لأحبته فأوصى ابن عمه إذا أتيت الحاضر من بني عبادة فناده بأعلى صوتك.

عَفَى اللهُ عنْهَا هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً ... منَ الدَّهْرِ لاَ يَسْرِي إليَّ خَيَالُهَا

فخرجت وأنا أقول:

وَعَنْهُ عَفَى رَبِّي وأَحْسنَ حَالَهُ ... فَعَزَّ عَلَيْنَا حَاجَةً لاَ يَنَالُهَا

[٥١/أ] قال الحجاج: ثم مه؟

قالت: ثم أتانا نعيه . وزعم الزجاجي في أماليه: أنه مات مقتولاً.

وسمعت غير واحد من أشياخي يزعم أنه مات عشقًا، والله أعلم.

قال فأنشدينا بعض مراثيك، فأنشدت:

كَــانَ فَــتَى الفِتْــيَانِ لَــمْ يَــنخ ... قَلائِــص يعــركْنَ الحَصَى بالكَرَاكرِ
وَلَمْ يَــثْنِ أبَــرادًا عَــيافًا لِفِتْــنَة ... وَلَــمْ يَــتَرَحَّل قَــبْلَهُم فِي الهَوَاجِــر
وَلَــمْ يَــنْجَلِ للصُّــبْح وعنه وبطنهً ... لَطِــيْفٌ كَطَــيِّ السِّيب لَيْسَ بحَاذِرِ
فَــتَىً كَــانَ لِلْمَوْلَــى سَــنَاء ورِفْعَة ... وَللطَّــارِق السَّــارِي قَويّ غَيْر فَاتِرِ
وَلَــمْ يَــدَعْ يَوْمًــا للحفَاظِ وَللنَّدَى ... وَلِلْحَــرْب تَــرْمِي نَارَهَــا بالشَّرَائِرِ
وَلِلْــبَاذلِ والكَــرْمَاءِ يَرْعَوا جَوادِهَا ... وَلِلْخَــيْلِ يَعْــدُو بِالْكَمَــاةِ المشَاعِرِ

---

(١) في المخطوط: نرى. وهو تحريف.

كَـأَنَّكَ لَـمْ تَقْطَـعْ فَـلاَةً وَلَمْ تُنِخْ قِلاَصًـا لِـذي فاوٍ مِنَ الأَرْضِ عابِرِ
جـنوحا بموماة كَـأَنَّ ضُـرُوعهَا صَـرِيْف خَطَاطِيْفُ الصَرى المُحَاوِرِ
فَأَقْسَمْتُ أَبْكِي بَعْدَ تَوْبَة هَالِكًـا وأخْفَلُ مَنْ مَالَتْ صُرُوف المَقَـادِرِ

فلما تم من إنشادها قال محصن الفقعسي للحجاج: من هذا الذي تقول هذه هذا فيه، فوالله إني لأظنها كاذبة.

فنظرت إليه ثم قالت: إن هذا القائل لو رأى توبة لسره أن لا يكون في داره عذراء إلا وهي حامل منه.

فقال الحجاج: هذا وأبيك الجواب الذي كنت عنه غنيًا.

وسأل معاوية بن [أبي][1] سفيان ليلى فقال: ويحك يا ليلى، أكما تقول الناس كان توبة؟

قالت: يا أمير المؤمنين، لقد كان سبط البنان، حديد السنان، عفيفاً، جميل المنظر، وهو كما قلت فيه: [٥١/ب]

بَعِيْدُ الثَّرَى لاَ يَبْلُـغُ القَـوْمُ قَعْـرَهُ أَلَدّ مُلدٌ يَغْلِبُ الحَقّ بَاطلـه
إذَا حَـلَّ رُكْنٌ فِي دَارِهِ فَظلُّه لِيمـ ـنعهُم مِمَّا يَخَـافُ نَوَازِلـه
حَمَاهُمْ بِنَصلِ السَّيْفِ مِنْ كُلّ قَادِحٍ بِخَافِقٍ مُرْخِي المَنُون خَصَائِله

فقال: ويحك يزعم الناس أنه كان عاهرًا خاربا؟

فقالت من ساعتها:

مَعَاذَ إِلَهِي كَـانَ وَالله سَيِّـدًا جَوَادًا عَلَى العلاَّت جَمًّا نَوَافِلُه
أغَرّ خَفَاجِيًا يَرَى المَـوْتَ سُبَّـة تَحْلبُ كَفَّاهُ النَّدَى وَأَنَامِلُـه
عَفِيْفًا بَعِيْدَ الْهَمّ صَلْبًـا قَنَاتُـهُ جَمِيْلاً مُحَيَّاهُ قَلِيْـلاً غَوَائِلُـهُ
وَكَانَ إِذَا مَا الضَّيْفُ أَرْغَى بعيرهُ لَدَيْه أَتَتْهُ دسعه[2] وَمَوَاصِلُـه
وَقَدَ عَلِمَ الجُوْعُ الَّذي بَاتَ سَارِيًا عَلَى الضَّيْفِ والجَرَار أَنَّكَ قَاتِلُه

فقال لها معاوية: ويحك قد تجاوزت.

فقالت: والله يا أمير المؤمنين، لو رأيته لعلمت أني مقصرة في نعته لم أبلغ كنهه. وكان

---

(١) ما بين المعقوفين سقطت من المخطوط.

(٢) أي أتته عطيته أو علفه كاملاً موفورًا جملة واحدة. والدسع: الدفع، وفيه كلام كثير راجعه في لسان العرب.

توبة لما دخل إلى الشام، مرَّ على بثينة في بني عذرة، فجعلت تنظر إليه، فشق ذلك عليه.

فقال له جميل: من أنت؟

فقال: أنا توبة. فقال جميل: هل لك في الصراع؟

فقال: ذلك إليك.

فنبذت بثينة إلى توبة ملحفة مورسة فاتزر بها، ثم صارعه، فصرعه جميل، ثم قال له: هل لك في النصال؟

قال: نعم. فسابقه فسبقه.

فضحك جميل، فقال له توبة: يا هذا إنك تفعل هذا بريح هذه الجالسة، ولكن اهبط بنا إلى الوادي بحيث لا تراها فهبطا، فصرعه توبة، وسبقه، ونصله وكان توبة كثير الغارة، وأهدى للطريق، وأشعر الناس.

۞ ۞ ۞

١٩- شهيد

[التركي والجارية الرومية][١] [٥٢/أ]

هَيْهَاتَ مَا حُرِمَا وِصَالا زَائلا إلاَّ لينفردا بوَصْلِ خالدِ

ذكر الشيرازي في كتابه: روضة القلوب: أنه رأى بحلب سنة خمس وستين وخمسمائة رجلاً تركيا له جارية رومية يهواها.

وأنها أحبت شابًا خياطًا، فأعلمت حيلة في وصله، فلم تقدر.

فطلبت من سيدها أن يعتقها ويتزوجها ففعل.

ثم أراد تزوجها، فاستنظرته حتى آن تزويجها، أرسلت إلى الخياط فتزوجته عند القاضي محيي الدين أبي حامد محمد بن محمد الشهرورزي.

---

(١) كم هي كثيرة ومتعددة حيل النساء ومكرهم الذي لا يكاد يصل الرجل إلى قليله أو يكتشفه قبل أوانه أو قبل حدوثه إلاّ في القليل النادر أو بمحض المصادفة المقدرة ومثل هذه القصة تذكرنا بقصة كانت في عهد سيدنا عمر، حيث طلبت امرأة من زوجها أن يصعد نخلة ليحضر لها بلحًا ولما صعد النخلة هددته بقطع الحبل الذي يشد به نفسه إلى النخلة إن هو لم يطلقها فطلقها، وجاء عمر رضي الله عنه وأخبره الخبر. فأبطل الطلاق لوقوعه تحت الإكراه.

وقصة أخرى في عهده أيضًا حيث طلبت امرأة من زوجها أن يجعل أمرها بيدها تدللاً ومزاحًا فوافق فاستوثقت ذلك منه ثم طلقته فذهب إلى عمر، فأخبره الخبر، فأمضى الطلاق حتى لا يلعب الناس بأمر النكاح.

والتي هددت زوجها بمدية وهو نائم بأن يطلقها وغير ذلك كثير من نظير هذه الحكاية عافانا الله وإياكم من كيد النساء ومكرهم.

فلما بلغ التركي ذاك، صاح صيحة عظيمة ثم اختلط ذهنه ووسوس فحمل إلى البيمارستان.

فأقام في الحديد خمسة أيام لم يأكل و لم يشرب حتى مات تلك الأيام.

٢٠- شهيد

[الفتى العذري وابنة عمه]

كتب إلينا من دمشق العلامة أبوالحسن علي بن عثمان بن حسان الفقيه الشافعي أنبأنا الإمام أبوالعباس أحمد بن عمر الواسطي قراءة عليه وأنا أسمع أنبأنا الإمام أبو....(١)

---

(١) موضع النقط بياض بالمخطوط قدره ثلاث كلمات. والخبر ذكره المؤلف هنا في حرف التاء نظراً لأن راويه رجل من بني تميم مجهول الاسم، وكذا لم يصرح هنا باسم العاشق ولا اسم معشوقته وقد ذكره السراج في كتابه مصارع العشاق (٢٨٠/١) بإسناده إلى شبابة بن الوليد العذري، فصرح باسم معشوقته وعلى غير هذا السياق والراوي هنا من نفس قبيلة العاشق فقال: إن فتى من بني عذرة يقال له أبو مالك بن النضر كان عاشقا لابنة عم له، عشقًا شديدًا ، فلم يزل على ذلك مدة، ثم أنه فقد بضع عشرة سنة و لم يحس له خبر.

قال شبابة بن الوليد: فضلت إبل لي فخرجت في طلبها فبينا أنا أسير في الرمال إذا بهاتف يهتف بصوت ضعيف، وهو يقول:

يا ابن الوليد ألا تحمون جاركم ... وتحفظون له حق القرابات

عهدي إذا جار قوم نابه حدث ... وَقَوْهُ من كل إضرار الملمات

هذا أبومالك المسمى ببلقعة ... مع الضباع وآساد بغابات

طليع شوق بنار الحب محترقٌ ... تعتاده زفرات إثر لوعات

أما النهار فيضنيه تذكره ... والليل مرتقب للصبح هل يأتي؟

يهذي بجارية من عذرة اختلست ... فؤاده، فهو منها في بليات

فقلت: دلني عليه رحمك الله. فقال: نعم اقصد الصوت، فلما قصدت غير بعيد، سمعت أنينًا من خباء أصغيت إليه، فإذا قائل يقول:

يا رسيس الهوى أذبت فؤادي ... وحشوت الحَشَا عذَابًا أليما

فدنوت منه، فقلت: أبو مالك؟ قال: نعم.

قلت: ما بلغ بك ما أرى؟

قال : حبي سعاد ابنة أبي الهيذام، فشكوت يومًا إلى ابن عم لنا من الحي ما أجد من حبها، فاحتملني إلى هذا الوادي، منذ بضع عشرة سنة.

ويأتيني كل يوم بخبرها ويقوتني حفظه الله من عنده.

فقلت له: إني أصير إلى أهلها، فأخبرهم بما رأيت قال: أنت وذاك. فانصرفت وصرت إلى أهل الجارية، فخبرتهم بحال الفتى، وما رأيت منه، وحدثتهم حديثه، فرقوا له فزوجوه بحضرتي، ورجعت إليه عامدًا لأفرج عنه لما رأيت منه، فلما أخبرته الخبر، حدد النظر إلي، ثم تأوه تأوهًا

أنبأنا الإمامان: أبوالفضل عبدالله، وأبومحمد عبدالرحمن أنبأنا أحمد بن محمد الطوسي بالموصل أنبأنا الحاجب أبوالحسن على بن محمد بن على بن محمد ابن العلاف في رمضان سنة أربع وتسعين وأربعمائة أنبأنا أبوالقاسم بن بشران قراءة عليه أنبأنا أبوالعباس أحمد بن إبراهيم الكندي. قراءة عليه أنبأنا العلامة أبوبكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل السامري قال: حدثنا أبوالفضل العباس بن الفضل أنبأنا الرؤاسي عن الأصمعي عن أبي عمرو قال حدثني رجل من بني تميم قال: خرجت في طلب ضالة لي، فبينا أنا أدور في أرض بني عذرة [٥٢/ب] أنشد ضالتي إذا أنا ببيت معتزل عن البيوت، وإذا في كسر البيت فتى شاب مغمى عليه ، وعند رأسه عجوز لها بقية من جمال ساهية تنظر إليه.

فسلمت، فردت السلام، فسألتها عن ضالتي، فلم يك عندها منها علم فقلت لها: أيتها العجوز، من هذا الفتى؟

قالت: ابني.

ثم قالت: هل لك في أجر لا مؤنة فيه؟

فقلت: والله إني لأحب الأجر، وإن رزئت.

فقالت: إن ابني هذا يهوى بنت عمه وكان علقها وهما صغيران، فلما كبر حجبت عنه فأخذه شبيه بالجنون، ثم خطبها إلى أبيها، فامتنع من تزويجه وخطبها غيره فزوجها إياه، فنحل جسم ولدي واصفر لونه وذهل عقله، فلما كان منذ شهرين، زفت إلى زوجها.

فهو كما ترى لا يأكل ولا يشرب مغمى عليه فلو وعظته؟

=

تنديدًا بلغ من قلبي ثم أنشأ يقول:

الآن إذ حشرجت نفسي وحاصرها ... فراق دنيا وناداها مناديها

ثم زفر زفرة، فمات، فدفنته في موضعه، ثم انصرفت، فأعلمتهم الخبر، فأقامت الجارية ثلاثًا لا تطعم طعامًا ثم ماتت.

قلت : والخبر الذي ذكره مغلطاي أقرب إلى العقل من هذا وإن كان راوي الخبر الأول مجهول الاسم حيث إن راوي هذا الخبر من نفس قبيلة العاشق والمعشوقة ومعروف له شخصيًا والديار قريبه من موضع العاشق الذي هو فيه فكيف يغيب مثل هدا الخبر مع قبيلة وكيف يتم بهذه السهولة الزواج بعد ذلك الضنا والهجر الغير مسبب في الرواية الثانية مع أن الرواية تذكر لنا أن ابن عم العاشق كان يأتيه بخبرها، فكيف لم يتدخل في هذا الأمر. ثم كيف تصبر القبيلة على هجر أحد أفرادها كل هذه المدة دون مناقشة أمره.

ثم كيف تظل هذه الفتاة دون زواج طيلة هذه المدة أيضًا، والمعروف أنهما لم يتعاشقا إلا بعد سن البلوغ الذي يتعدى الرابعة أوالخامسة عشرة من عمريهما ، والمعروف أن قبائل العرب تزوج فتيانها وفتياتها في عمر مبكرة. هذا وغيره كثير من الأسئلة. فالله أعلم.

قال: فنزلت فلم أدع شيئًا من المواعظ إلاّ وعظته، حتى إني قلت له فيما أقول: إنهن صواحبات يوسف عليه السلام، الناقضات العهد، وقد قال فيهن كثير:

هَلْ وصلُ عزَّة إلاَّ وَصْلُ غَانيَةٍ   فِي وَصْلِ غَانيَةٍ مِنْ وَصْلِهَا خَلَفُ

قال: فرفع رأسه محمرة عيناه كالمغضب وهو يقول: إن كثير كان رجلاً مانفا[1]، وأنا رجل وامق، ولكني كأخي تميم حيث يقول:

ألاَ لاَ يَضُر الحُبُّ مَا كَان ظَاهِرًا   وَلَكِنّ مَا أخْفَى الفُؤَادُ يُضِيرُ
ألاَ قَاتَلَ اللهُ الهَوَى كَيْفَ قَادَنِي   كَمَا قَيّدَ مَغْلُولُ اليدَيْنِ أسيْرُ

فقلت له: فإنه قد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((**من أصيب منكم بمصيبة فليذكر مصابه بي**)).

فأنشأ يقول: [٥٣/أ]

ألاَ مَا لِلْمَلَيْحَـــة لَمْ تَعُدْنـــي   أبُخل بالْمَلَيْحَـــة أمْ صُـــدُوْدُ
مَرِضْتُ فعادَنِي أهْلِي جَمِيْعًـــا   فَمَالَك لَمْ تُرَي فِيْمَنْ يَعُـــوْدُ
وَمَا اسْتَطَابَ غَيْـــرَك فَاعْلَمِيْـــه   وَحَوْلِي مِنْ ذَوِي رَحِمِي عَدِيْدُ
فَلَوْ كُنْتِ الْمَرِيضَ فَكُنْتُ أسْعَى   إلَيْك وَمَا يُهَدِّدنـــي الوَعِيْـــدُ

قال: ثم شهق شهقة وخفت فمات فبكت العجوز، وقالت: فاضت نفسه فدخلني أمر لم يدخلني مثله، فلما رأت العجوز ما حل بي قالت: يا بني لا تراع مات والله ولدي بأجله، واستراح من تباريحه وغصته.

ثم قالت: هل في استكمال الصنيعة؟

قلت: قولي، إن أحببت؟

قالت: تأتي البيوت فتنعاه إليهم ليعاونوني على رمسه[2] فإني وحيدة.

قال: فركبت نحو البيوت، فإذا أنا بجارية أجمل ما رأيت من النساء ناشرة شعرها حديثة عهد بعرس، فقالت: بفيك الحجر من تنعي؟

فقلت: أنعي فلانًا. قالت: أوقد مات؟

قلت: إي والله. قالت: فهل سمعت له قولاً؟

قلت: اللهم لا إلا شعرًا. قالت: وما هو؟

---

(١) كذا هي في المخطوط، ولا أعرف معناها.

(٢) أي على تجهيزه، ودفنه. ورمس الشيء دفنه أو طمسه.

فأنشدتها قوله:

أَلاَ مَا للْمَلِيْحَة لَمْ تَعُدْنِي الأبيات

فاستعبرت باكية، وأنشأت تقول:

عَدَانِي أنْ أَزُوْرَكَ يَـا مُنَـايَ مَعَاشر كلهم بَاغ حَسُودُ
أشَاعُوا مَا عَلمْتَ منَ الدَّوَاهي وَعَابُونَا وَمَا فِيْهِمْ رَشِيْدُ
فَلَمَّا أَنْ ثُوِيْتَ اليَـوْمَ لَحْـدًا وَكُلّ النَّاس دُوْنَهم لُحُودُ
فَلاَ طَابَتْ لِيَ الدُّنْيَـا فَوَاقًـا وَلاَ لَهُم أُثْرِي العَدِيْـد

ثم شهقت شهقة خرت مغشيًا عليها وخرج النساء من البيوت [٥٣/ب] فاضطربت ساعة، ثم ماتت.

فوالله ما برحت الحي حتى دفنتهما جميعًا.

وسيأتي شبيه لهذا الخبر والله أعلم أهو هو أم غيره، والذي يشبه أن يكون غيره لاختلاف الرواة[١].

حـــرف الثـــاء

٢١ - قتيـــل

[أخوان من ثقيف][٢]

قال عبد الملك بن عمير: كان أخوان من ثقيف، من بني كنة -يعني: كنة بن خذيمة بن واثلة بن شاكر بن ربيعة بن ماكل بن معاوية بن صعب بن دومان بن بكيل بن جشم بن خيران بن نوف بن همذان، ولهم ولادة في ثقيف. كذا قاله أبو عبيد -بينهما من التحاب والتواصل شيء لا يعلمه إلا الله.

كل واحد منهما عنده أخوه عدل نفسه، وأن الأكبر خرج إلى سفر -وله امرأة-

---

(١) ربما كان هذا هو الخبر المشار إليه فإني لم أقف عليه بعد.

(٢) تعطينا هذه القصة خطورة الاختلاط وفضيلة ما ذهب إليه الشرع الحنيف من التحذير من الحمو وهو أخو الزوج حيث إن الظاهر هو غيرته على حرمة أخيه وائتمان واطمئنان الأخ إلى رعاية أخيه لحرمته فمن يرعها له إن لم يرعها أخوه إلا أن النفس البشرية هي النفس البشرية والشيطان هو الشيطان فلهذا احتاط الشرع لمثل هذه الأمور وحذر من التساهل الشديد أو الزائد في مثل تلك الأمور حتى لا تحدث مثل تلك العواقب الغير حميدة ولله در من قال:

لا تأمنن على النساء ولو أخا ما في الرجال على النساء أمين

والقصة قد ذكرها السراج في كتابه مصارع العشاق وسأعود إليها بعد قليل إن شاء الله تعالى.

فأوصى أخاه بحاجة أهله فبينما المقيم في دار الظاعن إذ مرت امرأة أخيه وكانت من أجمل البشر في درع تجوز من بيت إلى بيت فرآها، فرأى شيئاً حَيَّرَهُ، فلما رأته وَلوَلت ووضعت يدها على رأسها ودخلت بيتها، ووقع حبها في قلبه، فجعل يذوب وينحل جسده، وتغير لونه، وقدم أخوه فقال: يا أخي مالي أراك متغيراً؟ ما وجعك؟

قال: ما بي وجع.

فدعا له الأطباء، فلم يقع أحد على دائه غير الحارث بن كلدة[1]، فقال: أرى عينين صحيحتين، وما أدري ما هذا وما أظنه إلا عشقاً.

فقال أخوه: سبحان الله أسألك عن وجع أخي وأنت تسهزئ؟!

قال: ما فعلت، وسأسقيه شراباً عندي فإن يكن عاشقاً، فسيستبين لكم.

فأتاه بشراب، فجعل، يسقيه قليلاً قليلاً، فلما أخذ الشراب منه تميج وبكى، ثم قال:

يَهِيْجُ ما يَهِيْجُ ويذكــر ... أَيُّهَا القَلْبُ الحَزِيْنُ مَا يَكُنّه

أَلَمَّا بي عَلَــى الأَبْيَــا ... ت مِنْ خَيف أَزُرْهُنَــه[2]

غَزَالاً مَا رَأَيْــتُ الْيَــوْ ... مَ فِي دُوْرِ بَنِــي كُنَّــه

غَــزَالٌ أَحْوَر العَيْــن ... وَفِــي مَنْطِقِــه غُنَّــهْ[3]

[٥٤/أ] فقالوا له: أنت أطب العرب، فمن؟

---

(١) الحارث بن كلدة هو ابن عمر بن علاج الثقفي طبيب العرب في وقته، أصله من ثقيف من أهل الطائف رحل إلى أرض فارس، وأخذ الطب عن أهل تلك الديار من أهل جند نيسابور وغيرها في الجاهلية وقبل الإسلام، وأجاد في هذه الصناعة وطبب بأرض فارس، وعالج، وحصل له بذلك مال هناك، وشهد أهل بلد فارس ممن رآه بعلمه، وقد كان عالج بعض أجلائهم فبرأ، وأعطاه مالاً وجارية سماها الحارث سمية. ثم إن نفسه اشتاقت إلى بلاده فرجع إلى الطائف، واشتهر طبه بين العرب.

وسمية جاريته هي أم زياد ابن أبيه الذي ألحقه معاوية بنسبه، وذكر أن أبا سفيان وطئ سمية بالطائف سفاحاً فحملت به منه، وولدت ولدين قبل زياد أحدهما أبو بكرة، ونافع أخوه، فانتسبا إلى الحارث بن كلدة، وادعيا أنه وطئ مولاته سمية فولدتهما منه.

وأدرك الحارث بن كلدة الإسلام، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر من كانت به علة أن يأتيه فيسأله عن علته.

راجع ترجمته بتمامها في أخبار الحكماء (ص: ١١١ : ١١٣).

(٢) في المخطوط: نزرهنه. والتصويب من المصارع.

(٣) على هذا البيت في هامش المخطوط على النحو التالي:

أسيل الخد مربوب ... وفي منطقه غنه

قال: سأعد له الشراب، فلعله يسمي.

قال فأعد له الشراب، فقال:

أَيُّهَـــا الحَــــيّ سَــــلِّمُوا ... وأَرْبِعُـــوا كَـــيْ تُكَلَّمُـــوا
وَتُغطِـــــوا لَـــــبانَة ... وَتُحَـــيِّوا وتقَـــيِّمُوا
أَخَـــذَ الحَــــيُّ حَظُّهــــم ... مِـــنْ فُـــؤَدَاي فَــانْعَمُوا
خَرجَتَ مُزْيَةٌ مِن البَحْرِ رَيَا تُحَمْحِــمُ ... هِيَ مَا مُكْنَتِي وتَزْعُمُ أَنِّي لَهَـا حَمُوا

قالوا فطلق أخوه امرأته.

فقال: المريض عليَّ كذا وكذا إن تزوجتها.

فمات من حبها، و لم يتزوجها[1].

ذكره الخرائطي في كتاب حمزة.

ثم ثاب إليه ثائب من القوة ففارق الطائف خفرًا، وهام في البرية فما رئي بعد ذلك فمكث أخوه بعده أياماً ثم مات كمدًا على أخيه، فضرب العرب به المثل فقالوا: أتيه من قتيل ثقيف[2].

باب الجيم

٢٢ – شهيد

[فتى اليمامة]

قال جبر بن حبيب البصري: أقبلت من مكة أريد اليمامة[3]، فنزلت بحي من بني عامر،

---

(١) الخبر ذكره السراج في مصارع العشاق مع تغاير بسيط لا يخل بسياق الأحداث راجع (٢/٢٠٩، ٢١٠).

(٢) هذا المثل ذكرته في كتابي على رأي المثل (موسوعة الأمثال العربية والعامية) تحت رقم (٣٥٢) ونصه: أتيه من فقيد ثقيف.

(٣) قال ياقوت في معجم البلدان:

اليمامة متقول عن اسم طائر يقال له: اليمام واحدته يمامة.

واختلف فيه فقال الكسائي : اليمام من الحمام التي تكون في البيوت والحمام البري.

وقال الأصمعي: اليمام ضرب من الحمام بريّ أما الحمام فكل ما كان ذا طوق مثل القُمري والفاختة.

ويجوز أن يكون من أَمَّ يَؤُمّ إذا قصد، ثم غير لأن الحمام يقصد مساكنه في جميع حالاته، والله أعلم.

... وقال بعضهم : يمامة كل شيء قطبه ، يقال : الحق بيمامتك، وهذا مبلغ اجتهادنا في اشتقاقة.

ثم وجدت ابن الأنباري قال: هو مأخوذ من اليمم واليمم طائره، قال: ويجوز أن يكون فعالة من يممتُ الشيء إذا تعمدته.

ويجوز أن يكون من الأمام من قولك: زيد أمامك ، أي قدامك فأبدلت الهمزة ياء وأدخلت الهاء =

فأكرموا مثواي، فإذا أنا بفتى حسن الهيئة، جاءني فسلم عليّ وقال : أين يريد الراكب؟

قلت: اليمامة. قال ومن أين أقبلت؟

قلت: من مكة.

قال: فجلس إلي فحدثني أحسن حديث، ثم قال: أتأذن في صحبتك إلى اليمامة؟

قلت أحب مصحوب.

فقام، فلم يلبث أن جاء بناقة كأنها قلعة بيضاء، وعليها أداة حسنة، فأناخها قريباً من ميلتي، وتوسد ذراعها.

فلما هممت بالرحيل أيقظته، فكأنه لم يكن نائماً، فقام وأصلح رحله، وركبنا، فقصر عليّ يومي بصحبته، وقصر علي سفري، فلما رأينا قصور اليمامة، تمثل الشاب:

وَأَعْرَضَت اليَمَامَة وَاشمَخَرّتْ ... كَأَسْيَاف بأَيْـــدي مُصلتيْنَا

[٥٤/ب] وهو في ذلك كله لا ينشدني إلا بيتاً معجباً في الهوى، فلما قربنا من

لأن العرب تقول: أمامه، وأمام.

قال أبو القاسم الزجاجي: هذا الوجه الأخير غير مستقيم أن يكون يمامه من أمام وأبدلت الهمزة ياء، لأنه ليس بمعروف إبدال الهمزة إذا كانت أولاً ياء. وأما الذي حكى أن اليمم طائر، فإنما هو اليمام.

حكى الأصمعي: أن العرب تسمى هذه الدواجن التي في البيوت التي تسميها الناس حماماً واحدها يمامة.

قال: والحمام عند العرب ذات أطواق كالقماری والقطا والفواخت واليمامة: في الإقليم الثاني، طولها من جهة المغرب إحدى وسبعون درجة وخمس وأربعون دقيقة، وعرضها من جهة الجنوب إحدى وعشرون درجة وثلاثون دقيقة.

وفي كتاب العزيزي: أنها في الإقليم الثالث وعرضها خمس وثلاثون درجة.

وكان فتحها وقتل مسيلمة الكذاب في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه سنة (١٢) للهجرة، وفتحها أمير المسلمين خالد بن الوليد عنوة ثم صولحوا، بين اليمامة والبحرين عشرة أيام وهي معدودة من نجد وقاعدتها حجر، وتسمى اليمامة جوا والعروض، بفتح العين، وكان اسمها قديماً جواً، فسميت اليمامة، باليمامة بنت سهم بن طسم.

قال أهل السير: كانت منازل طسم وجديس اليمامة، وكانت تدعى جواً وما حولها إلى البحرين، ومنازل عاد الأولى الأحقاف وهو الرمل ما بين عمان إلى الشحر إلى حضرموت إلى عدن إلى أبين.

وكانت منازل عبيل يثرب، ومساكن أميم برمل عالج، وهي أرض وبار، ومساكن جرهم بتهائم اليمن ثم لحقوا بمكة ونزلوا على إسماعيل عليه السلام، فنشأ معهم، وتزوج منهم ... وكانت منازل العماليق موضع صنعاء اليوم، ثم خرجوا فنزلوا حول مكة ولحقت طائفة منهم بالشام ومصر ... وقيل إن فراعنة مصر كانوا من العماليق، وكان منهم فرعون إبراهيم عليه السلام واسمه سنان بن علوان، وفرعون يوسف عليه السلام واسمه الريان، وفرعون موسى عليه السلام واسمه الوليد بن مصعب.

اليمامة مال عن الطريق إلى أبيات قريبة منا.

فقلت له: لعلك تحاول حاجة في هذه الأبيات؟

قال: أجل. قلت: انطلق راشداً. فقال: هل أنت موف حق الصحبة؟

فقلت: أفعل. قال ملْ معي.

فملت معه، فلما رآه أهل الصرم ابتدروه

وإذا فتيان له شارة.

قال: فأناخوا بنا، وعقلوا ناقتينا وأظهروا السرور، وأكثروا البر، ورأيتهم كأشد شيء له تعظيماً.

ثم قال: قوموا إن شئتم وقمت لقيامه حتى صرنا إلى قبر حديث التطين، فألقى نفسه عليه، وأنشأ يقول:

لئنْ مَنَعُونِي فِي حَيَاتِـي زِيَـارة ... أُجَافي بِهَا نَفْساً تَرَشَّقَهَا الحُبُّ

فَلَنْ يَمْنَعُونِي أَنْ أُجَاوِزَ لَحْدَهَـا ... فَيَجْمَعَ جِسْمَيْنَا التَّجَاوُرُ والتُرَبُ

ثم أن أنات، فمات.

فأقمت مع الفتيان حتى احتفروا له ودفنوه، فسألت عنه، فقالوا: هو ابن سيد هذا الغامط، وهذه ابنة عمه، وكان بها مغرماً، فماتت منذ ثلاث، فأقبل إلينا وقد رأيت إلى ما آل إليه أمره.

فركبت ناقتي وكأنني والله قد ثكلت حميماً.

لَيْـتَ الَّـذي بَـرَّحَ بِي حُـبه ... أَمَّ لِقَلْـبِي فِـيه تَـبْرِيْحُهُ

عَـذري إذَا مـتُّ جَـوًى بَعْـده ... يُغْـني عَـنِ التَّصْـرِيحْ تَلْوِيْحُـهُ

فَإنَّـهَ رُوْحِـي وَهَـلْ يُرتَجَـى ... بَقَـاء جِسْمٍ ذَهَبَـتْ رُوْحَـهُ

ذكر هذا الخبر ابن دريد في أماليه عن الرياشي أبنأنا الأصمعي عن جبر.

وكان ابن معين يقول: ثقة.

وكذلك أبو الفضل محمد بن ناصر السلامي البغدادي، وغيرهما.

وأخرج له الحاكم في مستدركه حديثاً وصح إسناده.

٢٣ - شهيد

[أبو جهيز مسعود]

قال إسماعيل بن نصر البغدادي(١): صاح صائح في مجلس صالح المري [٥٥/أ] ليقم

(١) كذا! في المخطوط ، وفي مصارع العشاق: إسماعيل بن نصر العبدي وقد ذكر القصة فيه في =

البكائون المشتاقون إلى الجنة. فقام أبو جهيز، فقال: يا صالح اقرأ. فقرأ: ﴿**وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا أصحاب الجنة يومئذ خير مستقراً وأحسن مقيلا**﴾(١).

فقال: أعدها يا صالح، فأعادها، فما انتهى حتى مات أبو جهيز.

ذكره ابن الأنباري محمد بن القاسم في أماليه فقال: حدثنا الكديمي عنه، ولفظ ابن أبي الدنيا في كتاب الخائفين: عن محمد حدثنا شعيب بن محرز حدثنا صالح المري قال: أتينا مسعوداً أبا جهيز الضرير(٢) لنسلم عليه، أنا ومحمد بن واسع(٣)، وحبيب بن محمد، وثابت البناني(٤) ومالك بن دينار(٥)، فخرج علينا في وقت صلاة الظهر كأنه قد نشر من

=

(١٩٨/١) كما هنا، وذكر إسنادها على النحو التالي:
أخبرنا القاضي أبو الحسين أحمد بن علي المحتسب قال حدثنا أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن سويد قال: حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري قال حدثنا الكديمي قال حدثنا إسماعيل بن نصر العبدي قال: فذكره.

(١) سورة الفرقان (الآية: ٢٣، ٢٤).

(٢) قال ابن الملقن في طبقات الأولياء (٥٧٠): مسعود الشيخ الصالح الحبر المذكور الضرير، اجتمع بخادم سيدي عبد الله بن أبي حمزة ومن جملة اجتماعاتي به في العقبة سنة سبع وأربعين وسبعمائة وسمعته ينشد:

وغنى لي مني قلبي ... وغنيت كما غنى
وكنا حيثما كانوا ... وكانوا حيثما كنا

(٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١٩/٦): الإمام الرباني القدوة أبو بكر، ويقال: أبو عبد الله الأزدي البصري أحد الأعلام. قال ابن شوذب: لم يكن لمحمد بن واسع عبادة ظاهرة، وكانت الفتيا إلى غيره، وإذا قيل من أفضل أهل البصرة؟ قيل: محمد بن واسع. وتوفي محمد بن واسع سنة ثلاث وعشرين ومائة وقيل: سنة سبع وعشرين ومائة.

(٤) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٢٠/٥): ثابت بن أسلم الإمام القدوة شيخ الإسلام أبو محمد البناني مولاهم البصري، وبنانة هم بنو سهم بن لؤي بن غالب.
ويقال هم بنو سعد بن ضبيعة بن نزار ولد في خلافة معاوية .. وكان من أئمة العلم والعمل رحمة الله عليه.
... قال أبو طالب: سألت أحمد بن حنبل عن ثابت وقتادة، فقال ثابت في الحديث وكان يقص، وقتادة كان يقص وكان أذكر وكان محدثاً من الثقات المأمونين صحيح الحديث وقال أحمد العجلي: ثقة رجل صالح.
وقال النسائي: ثقة.
.. واختلفوا في وفاة ثابت .. مات ثابت، ومالك بن دينار، ومحمد بن واسع سنة ثلاث وعشرين ومائة ... وقيل غير ذلك.

(٥) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء أيضاً (٣٦٢/٥): علم العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين ومن أعيان كتبة المصاحف كان من ذلك بلغته.

=

قبره فصلى، ثم قعد ناحية كأنه مهموم قال: فدنونا فسلمنا عليه.

فقال: اقرأ يا صالح، فلقد كنت أحب [أن][1] أسمع قرءاتك.

قال: فوالله ما أتممت الاستعاذة حتى خر مغشياً عليه، ثم أفاق.

فقال: اقرأ يا صالح فإني لم أقطع أربي من قراءتك.

قال: قعدت فقرأت: ﴿وقدمنا ... ﴾ الآية .

قال: فصرخ صرخة انكب لوجهه وتكشف عنه بعض ثوبه ثم جعل يخور كما يخور الثور، ثم هدأ.

فذهبنا ننظر، فإذا هو قد مات.

قال: فسألنا: هل له من أحد؟

قالوا: نعم، امرأة تأتيه من ها هنا، تخدمه.

قال: فبعثنا إليها، فجاءت. فقالت: ما شأنه؟

قلنا: قرئ عليه القرآن فمات. فقالت حق والله له أن يموت.

=

ولد في أيام ابن عباس.

.. وثقه النسائي وغيره، واستشهد به البخاري، وحديثه في درجة الحسن.

قال علي ابن المديني: له نحو من أربعين حديثاً قال جعفر بن سليمان: سمعت مالك بن دينار يقول: وددت أن رزقي في حصاة أمتصها لا ألتمس غيرها حتى أموت.

وقال : مذ عرفت الناس لم أفرح بمدحهم ولم أكره ذمهم لأن حامدهم مفرط، وذامهم مفرط ، إذا تعلم العالم العلم للعمل كسره وإذا تعلمه لغير العمل زاده فخراً.

قال الأصمعي: مر المهلب على مالك بن دينار متبختراً، فقال: أما علمت أنها مشية يكرهها الله إلا بين الصفين؟ فقال المهلب: أما تعرفني؟

قال: بلى، أولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة. فانكسر وقال: الآن عرفتني حق المعرفة.

قال حزم القطيعي: دخلنا على مالك وهو يكيد بنفسه، فرفع طرفه ثم قال: اللهم إنك تعلم أني لم أكن أحب البقاء لبطن ولا فرج.

قيل: كان أبوه من سبي سجستان، وكناه النسائي أبو يحيى وقال: ثقة قال جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار: إذا لم يكن في القلب حزن خرب.

.. قيل: دخل عليه لص، فما وجد ما يأخذه فناداه مالك: لم تجد شيئاً من الدنيا، فترغب في شيء من الآخرة؟ قال: نعم، قال: توضأ وصل ركعتين، ففعل ثم جلس وخرج إلى المسجد، فسئل من ذا؟ قال جاء ليسرق فسرقناه.

... توفي مالك سنة سبع وعشرين ومائة. وقيل: سنة ثلاثين ومائة.

(١) زيادة لتوضيح السياق أكثر.

ثم قالت: من الذي قرأ عليه؟ لعل صالحاً القارئ قرأ عليه.

قلنا: نعم، وما يدريك، من صالح؟

قالت: لا أعرفه غير أني كثيراً ما كنت [أسمعه](1) يقول: إن قرأ علي صالح قتلني.

قلنا : فهو الذي قرأ عليه .

قالت : فهو والله الذي قتل حبيبـــي .

قال: فهنأناه، وغسلناه، ودفناه، رحمه الله.

٢٤ – شهيد

[الشاب الذي راودته المرأة فأبى]

قال محمد بن خلف(2) **في إملائه:** [٥٥/ب] حدثنا إسحاق بن منصور، وحدثني جابر بن نوح قال: كنت بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم جالساً عند بعض أهل السوق، فمر بي شيخ حسن الوجه والثياب، فقام إليه البياع فسلم عليه، وقال له: أسأل الله أن يعظم أجرك، وأنْ يربط على قلبك بالصبر. فقال الشيخ مجيباً له:

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق.

(٢) هو محمد بن خلف بن المرزبان بن بسام أبو بكر الأخباري، الحافظ، الآجري البغدادي، المحولي.

المتوفي سنة (٣٠٥)، وقيل: سنة (٥٠٩).

ذكره ابن الغزي في ديوان الإسلام بتحقيقي ترجمه رقم (٧٨) وقال:

الآجري محمد بن خلف بن المرزبان، الإمام المحدث الرحاله، الحافظ، أبو بكر المحولي.

له مؤلفات منها: الحاوي في القراءات، وكتاب الحماسة، وكتاب الشعراء.

قلت: وذكرت له بهامشة قائمة بأسماء مؤلفاته في عشرين مؤلفاً من بينها كتاب المتيمين والمعصومين وأحسب أن تلك القصة وردت فيه.

وقال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٢٦٤/١٤): ابن المرزبان: الإمام العلامة الأخباري ... صاحب التصانيف.

... وقع لي قطعة من تأليفه، وله كتاب: الحاوي في علوم القرآن، وكتاب في الحماسة، وكتاب: المتيمين، وكتاب أخبار الشعراء، وغير ذلك وكان صدوقاً.

ومن مصادر ترجمته:

ديوان الإسلام (٧٨) ، معجم المؤلفين (٢٨٥/٩)، ميزان الاعتدال (٥٣٨/٣)، المنتظم (١٦٥/٦) المغني في الضعفاء (٥٤٧٥) الأنساب (١٢٨/١٢) لسان الميزان (١٥٧/٥) سير أعلام النبلاء (٢٦٤/١٤) الإكمال (٣١٠/٧) العبر في أخبار من غبر (١٤٤/٢) ، المحدث الفاضل (ت ١٦٥، ٧٨٣)، فهرست ابن النديم (٢١٣)، تاريخ بغداد (٢٣٧/٥)، النجوم الزهراة (٢٠٣/٣) الوافي بالوفيات (٤٤/٣) شذرات الذهب (٢٥٨/٢).

وَكَانَ يَمِينِي فِي الوَغَى وَمُساعدي ... فَأَصْبَحْتُ قَدْ خَانَتْ يَمِينَي ذِرَاعُهَا
فَأَصْبَحْتُ حَـــرَّاناً مِنَ الثِّقلِ حَاسِراً ... أُجَادِلُ مَنْ ضَاقَتْ عَلَيَّ رِبَاعُهَـــا

فقال البياع: الصبر معول المؤمن وإني لأرجو أن لا يحرمك الله الأجر على مصيبتك. فقلت للبياع: من هذا الشيخ؟

فقال: رجل منا من الأنصار، ثم من بني الخزرج. فقلت: وما قصته؟

فقال: أصيب بابنه وكان به باراً قد كفاه جميع ما يعنيه.

قال: وميتته أعجب ميتة.

قلت: وما كان سببها؟ وما كان خبره؟

قال: أحبته امرأة من الأنصار، فأرسلت إليه تشكو حبها، وتسأله الزيارة وتدعوه الى الفاحشة، وكانت ذات بعل فأرسل إليها.

إنَّ الحَرَامَ سَبِيْلٌ لَسْتُ أَسْلُكُهُ ... وَمَا أُمَرّ به مَا عِشْتُ فِي النَّاسِ
فَأَلْقِي العِتَابَ فَإِنِّي غَير مُتبِع ... مَا تَشْتَهِيْنَ وَكُونِي مِنْهُ فِي يَأْسِ

قال: فلما قرأت الأبيات كتبت إليه:

دَعْ عَنْكَ هَذَا الَّذي أَصْبَحْتَ تَذْكُرُهُ ... وَصِـــرْ إِلَى رَاحَتِي يَا أَيُّهَا القَاسِ

قال فأفشى ذلك الى صديق له.

فقال: لو بعثت إليها بعض أهلك فوعظها وزجرها رجوت أن تكف عنك. ففعل، فأبت أن تنزجر عنه.

فقال: [٥٦/أ] والله لا فعلت ولا صرت في الدنيا، وللعار في الدنيا خير من النار في الآخرة.

وقال: العَارُ فِـــي مُدَّةِ الدُّنْيَا وَقِلَّتِهَا ... يَفْنَى وَيَبْقَى الَّذي بالنَّار يُؤْذِيْنِي
وَالنَّارُ مَا[(١)] تَنْقَضِي مَا دَامَ بِي رَمَقٌ ... وَلَسْتُ ذَا مِيْتَةٍ فِيْهَا فَتُفْنِيْنِـــي
لَكِنْ سَأَصْبِرُ صَبْرَ الحُرِّ مُحْتَسِبـــاً ... لَعَلَّ رَبِّي مِنَ الفِرْدَوْسِ يُدْنِيْنِي

ثم إنه أمسك، فأرسلت إليه: إما [أن][(٢)] تزورني وإما أن أزورك؟

فأرسل إليها: أربعي أيتها المرأة على نفسك ودعي عنك التسرع إلى هذا

(١) في المصارع: لا.
(٢) ما بين المعقوفين ساقط من الأصل وأضفته من المصارع.

الأمر] [1].

قال: فلما أيست منه ذهبت الى امرأة كانت تعمل السحر، فجعلت لها الرغائب على أن تميجه [2]. قال: فعملت ما أمكنها [3].

قال: فبينا هو ذات ليلة مع أبيه إذ خطر ذكرها بقلبه، فهاج منه أمر لم يكن يعرفه من حبها [4]، فاختلط عقله [5].

فقام بين يدي أبيه مسرعاً فصلى، واستعاذ وجعل يبكي، والأمر يتزايد.

فقال له أبوه: يا بني ما قصتك؟

فقال: يا أبه، أدركني بقيد فما أراني [6] إلا وقد غلب على عقلي [7].

قال: فجعل أبوه يبكي، ويقول: يا بني حدثني بالقصة.

قال: فحدثه بقصته.

قال: فقام إليه فقيده وأدخله بيتاً، فجعل يضطرب [8] ويخور كما يخور الثور، ثم هدأ ساعة عند الباب، فإذا هو ميت وإذا الدم يسيل من منخريه [9].

٢٥ – شهيد

[جعفر بن أبي جعفر المنصور والجنية]

ذكر أبو الفرج الأموي: أن جعفر بن أبي جعفر المنصور كان يعشق امرأة من الجن [10]، فكبر ولعه بذلك، فصار يصرع في اليوم مرات حتى مات.

---

(١) كسابقه.

(٢) عبارة: علي أن تميجه. ليست في مصارع العشاق.

(٣) العبارة في مصارع العشاق على النحو التالي: فعملت لها فيه.

(٤) قوله: من حبه – ليست في مصارع العشاق.

(٥) هذه الكلمة ليست في المصارع.

(٦) كذا في المخطوط، وفي مصارع العشاق أرى.

(٧) كذا في المخطوط: في مصارع العشاق: قد غلب عليّ.

(٨) في المخطوط: يتضرر. وما أثبته من مصارع العشاق.

(٩) القصة كما هنا في مصارع العشاق (٢/٥٤).

(١٠) هذا ضرب من الخيال يعتقد فيه كثير من الناس قديماً وحديثاً، فكثير منهم يطلق لخياله العنان فيتصور أن الجن خلقوا على هيئات خير من مما خلق عليه بنو الإنسان وهذا خلل في العقيدة وفساد في التصور، فقد قال سبحانه وتعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾، وقال: ﴿يا =

فحزن عليه أبو جعفر حزناً شديداً ، وكان جعفر خليعًا ماجناً.

ولما نمى المنصور مطيع بن إياس عن صحبة ابنه جعفر.

قال: وأي مستصلح فيه، وأي غاية لم يبلغها في الفساد والهلاك؟!

قال ويلك، بأي شيء هذا؟

قال يزعم أنه يعشق امرأة من الجن [٥٦/ب] وهو مجتهد في خطبتها.

ودأبه جمع أصحاب العزائم عليها، وهم يعدونه ويغرونه ويمنونه، فوالله ما فيه فض لغير ذلك من جدل ولا هزل، ولا كفر ولا إيمان.

ومن شعره فيها، وقيل هو لغيره:

لابْنَةِ الجِنِّ فِي الحَيِّ طَلَلٌ   دَارِسُ الآيَاتِ عَافٍ كَالخَلَلِ

قال الثعالبي في فقه اللغة:

وزعموا أن التناكح قد يقع بين الإنس والجن لقوله تعالى: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾(١).

لأن الجنيات إنما يعرضن لصرع الرجال من الإنس على جهة العشق وطلب الفساد، وكذلك رجال الجن لنساء بني آدم.

=

أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الذي خلقك فسواك فعدلك في أي صورة ما شاء ركبك﴾، وقال: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾ قوله تعالى: ﴿وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ وغير ذلك كثير مما يفيد أن الله تعالى خلق بني آدم في صورة وهيئة حسنة وجميلة وقويمة تفوق كل الكائنات الأخرى كما ذكر ربنا سبحانه وتعالى ولو كان خلق الجن خير من خلقنا ما أخبرنا سبحانه وتعالى بعكس ذلك حاشاه سبحانه وعز وجل.

هذا من ناحية الشكل أما من ناحية المضمون فكيف يتسنى لخلقتين مختلفتين الألفة والاتحاد إلا أن يكون هناك خبل أو خلل، وإذا كان ذلك فقد رفع التكليف ومن رفع عنه التكليف لا يقبل له خبر ولا يصير في عداد الأسوياء أو من يعتد بأفعالهم أو يحتج بأقوالهم.

ومن جانب آخر أو أخير حتى لا أطيل: وهو الاختلاف التكويني الجسماني أو الشكلي للطرفين كيف يتم التغلب عليه أو التوفيق بينهما وأحدهما يرى الآخر من حيث لا يراه بدليل قوله تعالى : ﴿إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم﴾. وغير ذلك كثير، وفي هذا القدر كفاية لمن سطعت عليه أنوار الهداية.

(١) هذا استشهاد بالآية في غير وجهه، (الآية: ٦٤: الإسراء).

٢٦ – شهيد
[جميل[(١)] وبثينة]

---

(١) من أشهر العشاق وقد حازت شهرته مكاناً واسعاً في تاريخهم وهو من منافسي قيس بن الملوح المجنون وكذا كثير فإن هؤلاء وجماعة معهم ممن ضربت بهم الأمثال في العشق والهيام والتتيم والغرام بين العرب قديماً وحديثاً وما زال ذكرهم على ألسنة الناس حتى الآن الخاص منهم والعام.
وما أحسب جميل بثينة وأضرابه إلا من أهل المجون والخلاعة والاستهتار وإن كان قد وصفه بعضهم بالدين والعفة نعم ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت﴾ ولكن ما بلغنا عن جميل هذا وأضرابه إلا الدعوة إلى الحب والعشق على غير هدى من الله تعالى بل ترك لنفسه الحبل على الغارب ثم ضرب بحق زوج بثينة عرض الحائط، ثم لم يخف على بثينة من نار الآخرة ولا فضيحة الدنيا فذهب يعدها ويلتقي معها بل ويبيت معها الليالي ذوات العدد كما تحكي لنا أشعاره علام كانا يجتمعان؟ أيتحدثان في سياسة الدولة أم في تنظير المسائل الهندسية والحسابية، ثم يخرج لنا أو يدون لنا من يدون بأنه حب عذري أو حب شريف إن الإسلام لا يعرف إلا طريقاً واحداً للعلاقة بين المرأة والرجل وهو الزواج الذي تحت الشمس والذي يثمر الذرية العريقة النسب الشريفة الحسب التي تقف في وجه البشرية وتقول ها أنا ذا وهذا أبي، وتلك الشريفة العفيفة أمي وهذه أختي وتلك جدتي ولدنا من نكاح ولم نولد من سفاح ولم يتخذا أخدانا.
هذا ما نادى به الإسلام وينادي به كل الفطر الشريفة السليمة لا تقر غير هذا ولا تنفي أيضاً الحب والذي يتوج ويكلل بالزواج، والإسلام يحارب من يقف في طريق الجمع بين المتحابين ما لم يكن هناك مانع شرعي ولن يكون هناك مانع شرعي إلا إذا كان هناك خلل في تصرف أحد الطرفين.
فمثلا إن أحب شاب فتاة فليتقدم إليها وعلى وليها تزويجه ما لم يكن بالفتى ما يخدش الدين، هذا إذا كانت الأمور طبيعية.
أما إذا كانت الأمور غير طبيعة كأن أحبت امرأة متزوجة غير زوجها فعليها طلب الطلاق منه حتى لا تقع في المحظور وعليه أن يلبي لها طلبها ولا يمسكها ضرارا ولا يعتدي على حقها وحريتها حتى لا يأثم أمام الله، ولا يحقر نفسه أمام الناس بعد أن يفتضح أمره.
هذا ما يعرفه الإسلام وما يدعو إليه أما الطرق الأخرى فلا يعرفها ولا يقرها تحت أي مسمى بل ويحاربها ويعاقب كل من يصل أمره إلى السلطان في الدنيا، ومن أفلت من عقاب الدنيا فإنه أمامه يوم يجعل الولدان شيبا.
أما ما يسمى بالحب العذري فهو نسبة إلى بني عذرة وقد اشتهرت تلك القبيلة بكثرة العشاق من أفرادها رجالاً ونساء وادعى المدعون أنه لم يكن فيهم الفاحشة بل التعلق القلبي الذي يفضي بصاحبه إلى الموت في آخر المطاف دون أن يصل إلى غايته أو مطلبه أو مراده من محبوبه.
ومما يحكى عن جميل وبثينة أنه بات معها ليلة في فراشها حتى أصبحا وقد غلبهما النعاس فدخل عليها غلام لزوجها يقدم لها اللبن فرأى جميل معها في الفراش فعاد أدراجه إلى زوجها فزعاً ليخبر سيده بما رأى وفي طريق عودته لقى امرأة من صاحبات بثينة فعلمت منه بالخبر فأسرعت إلى بثينة وأعلمتها بما فعل الغلام ودبرت معها حيلة سريعة وهي أنهما وضعا على جميل فراش وأمتعة البيت =

ذكر أبو الفرج: جميل بن عبدا الله بن معمر بن طبيان بن جرير بن ربيعة بن حزام ابن ضبة بن عبد كثير بن عبد عذرة بن سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة، فقال: وهو شاعر فصيح مقدم جامع للرواية والشعر، كان راوية هدبة بن خشرم، وكان هدبة راوية للحطيئة، وكان الحطيئة شاعراً راوية لزهير وابنه.

وآخر من اجتمع له الشعر والرواية كثير، لأنه كان راوية جميل.

وكان مقدماً في النسب على أصحاب النسب صادقًا في الصبابة والعشق.

وكان قد عشق بثينة بنت حي بن ثعلبة بن الهون بن عمرو بن الأحب بن حي ابن ربيعة بن حزام بن ضبة صغيراً، فلما كبر خطبها فرد عنها(١)، فقال الشعر فيها سراً.

وكان منزلها وادي القرى، فجمع له قومها جمعاً ليأخذوه إذا أتاها فحذرته بثينة فاستخفى قال:

فَلَوْ أَنْ لنَا دُوْنَ بُثَينَة كُلهـم ... غَيَارَى وَكُل خَارِب مُزمِع قَتْلي
لحَاوَلْتهَا إمَّا نَهَاراً مُجَاهِـراً ... وَإمَّا سَرَى لَيْلى وَلَوْ قُطعَتْ رجلي

وهجا قومها فاستعدوا عليه مروان بن الحكم وهو يومئذ عامل المدينة، فنذر ليقطعن لسانه.

فلحق بجذام وقال: [٥٧/أ]

أَتَـانِي عَـنَ مَـرَوَان بالْغَيْـب أَنَّـهُ ... مُفـند دَمـي أَوْ قَاطِعُ منِّي لسَانيَا
فَفِي الْعَيْشِ مَنْجاةٌ وَفِي الأَرْضِ مَهْـرَبٌ ... إِذَا نَحـنُ رَفَعْنَـا لَهُـنَّ الْمَثانيَا

فأقام هناك حتى عزل مروان عن المدينة، فانصرف إلى بلاده، وكان يختلف إليها سراً.

ونامتا هي وصاحبتها في الفراش فجاء زوج بثينة وأبوها وأخوها فدخلا عليها ليجدا في الفراش بثينة وصاحبتها وهما متظاهرتان بالنوم فرجعوا خجلين وقضى جميل مع بثينة بقية يومه.

أي عفة في مثل هذه الحكاية؟ وأين من يدعون أن هذا حب عذري؟ كيف هي العذرية عندهم؟

وما أريد أن أقوله أن هذا ينكر على قبيلة بني عذرة بل إن هذه القبيلة من أوائل القبائل التي أسلمت وجاهدت مع النبي صلى الله عليه وسلم وساهمت إسهاماً كبيراً في نشر الدعوة ومؤازرتها أما أمثال جميل فلا يعتد به ولا يعتمد عليه وقد أهدر الخليفة دمه لما بلغه عنه من تصرفات مع بثينة.

(١) وكانت هذه عادة كثير من العرب إذا علموا أن رجلاً يحب امرأة لا يزوجونها له وكذا لو سلم عليها أو شبب بها أو ذكرها في شعره.

كما أن كثيرات من نسائهم كن يرغبن في أن يشبب بهن ليذكرن ويصرن مضرب المثل لإرضاء بعض رغباتهن في الثناء والمدح ضاربات عرض الحائط بسمعتهن وسمعة أهلهن أو ما يمكن أن يترتب عليه من قتال بين القبائل وإراقة دم.

وكان لبثينة أخ يقال له جواس، فشبب بأخت جميل.

فغضب جميل وتواعدا للمراجزة، فغلبه جميل.

ولما اجتمعوا لذلك قال أهل تيماء: قل يا جميل في نفسك ما شئت، فأنت الباسل الجواد الجميل ولا تقل في أبيك شيئاً، فإنه كان لصاً بتيماء في شملة لا تواري استه.

وقالوا لجواس: قل وأنت دونه في نفسك وفي أبيك ما شئت، فقد صحب النبي صلى الله عليه وسلم.

قال كثير، قال لي جميل يوماً: خذ لي موعداً من بثينة.

قلت: هل بينك وبينها علامة؟

قال : عهدي بهم وهم بوادي الدوم يرحضون(1) ثيابهم فأتيتهم فأجد أباها قاعداً بالفناء فسلمت، فرد وحادثته ساعة حتى استنشدني فأنشدته:

وَقُلْتُ لَهَا عَزَّ أَرْسَلَ صَاحِبِي ... عَلَى نَأْيِ دَارٍ وَالْمُوكَّلُ مُرْسَلُ

بِأَنْ تَجْعَلِي بَيْنِي وَبَيْنَكِ يَوْمَ لَقِيتِنِي ... بِأَسْفَلِ وَادِي الدَّوْمِ وَالثَّوْبُ يُغْسَلُ

فضربت بثينة جانب الستر وقالت أخاء فقال لها أبوها: مهيم؟

فقالت: كلب يأتينا إذا نام الناس من وراء هذه الرابية.

قال: فأتيت جميلاً، فأخبرته أنها وعدته وراء الرابية إذا نام الناس.

وخرج جميل مرة حتى انتهى الى خباء بثينة، فأقبلت ومعها نسوة فقعدن وقعدا يتحدثان ساعة، ثم [٥٧/ب] أخلوهما(2) فلم يزالا يتشاكيان حتى غشيهما الصبح فودع

---

(١) الرحض الغسل. أي وهم يغسلون ثيابهم.

(٢) انظر إلى تلك اللفظة، ما ذا تم بعد ذلك هل أخلوهما ليقيما الليل؟ أم ليعظها موعظة بليغة تنهمر منها دموعها؟!

أما عن جميل وترجمته فقد كلمنا المؤلف عنه هنا كثيراً وجاء ذكره في كثير من كتب التراجم والسير والتواريخ وكتب الأدب والشعر ومن تلك المراجع:

ديوان الإسلام بتحقيقي (ت: ٦٤٦)، الأعلام للزركلي (١٣٨/٢)، معجم المؤلفين (١٦٠/٣)، سير أعلام النبلاء (١٨١/٤) (٣٨٥/٤)، وفيات الأعيان (٣٦٦/١)، الأغاني للأصفهاني (٧٧/٧)، الشعر والشعراء (٣٤٦)، المؤتلف والمختلف للآمدي (٧٢)، شرح ديوان الحماسة (١/ ١٦٩)، طبقات فحول الشعراء (٥٤٣) تاريخ الإسلام (٣٤٧/٣)، البداية والنهاية (٤٤/٩) ، حسن المحاضرة (٥٥٨/١)، شذرات الذهب (٩١/١) خزانة الأدب (٤٤/٩)، تهذيب ابن عساكر (٣٩٨/٣)، شرح ديوان الحماسة للتبريزي (١٦٩/١)، تزيين الأسواق (٣٨/١) خزانة الأدب (٣٩٧/١)، الشعر والشعراء (٣٤٦) طبقات فحول الشعراء (٥٤٣)، الشعر والشعراء =

كل واحد صاحبه، ثم وضع جميل رجله في الغرز، فمالت إليه بثينة، فقالت : يا جميل ادن مني فمال إليها برأسه فسارته فخر مغشياً عليه، فلما أفاق قال:

فَمَـــا مُكْفَهِـــرٌ في رَجَـــاءِ مُـــرَجَّحَة وَلاَ مَـــا أَسَـــرّت في مَعَادِهَا النَحلُ
بِأَحْلَـــى مِـــنَ القَـــوْلِ الَّذِي قُلْـــتِ بَعْدَ ما تمكَّنَ في حَيْزُوم نَاقَتِي الرَّحْـــلُ

وقال ابن عياش:

خرجت من تيماء، فرأيت عجوزاً على أتان فقلت : من أنت؟

قالت: من عذرة.

قلت: هل تروين عن جميل ومحبوبته شيئاً؟

قالت: نعم ، إنا لعلى ماء بين الجناب، وقد اتقينا الطريق، واعتزلنا مخافة جيوش تجيء من الشام إلى الحجاز، وقد خرج رجالنا في سفر، وخلفوا عندنا غلماناً أحداثاً ، وقد انحدر الغلمان عشية إلى صرم لهم قريب منا ينظرون إليهم ، ويتحدثون عند جوار فيهم فبقيت أنا وبثينة نستبرم غزلاً لنا [إذ][(1)] انحدر علينا منحدر من هضبة حذائنا، فسلم ونحن مستوحشون، فرددت السلام، ونظرت فإذا أنا برجل واقف شبهته بجميل، ودنا فأتيته، فقلت: أجميل؟ قال: إي والله.

قلت: والله لقد عرضتنا ونفسك شراً فما جاء بك؟

قال: هذه الغول التي وراءك، وأشار الى بثينة، وإذا هو لا يتماسك فقمت إلى قعب فيه أقط مطحون وتمر، وإلى عكة فيها شيء من سمن فعصرته على الأقط، وأدنيته منه.

فقلت: أصب من هذا، ففعل ، وقمت إلى سقاء لبن فصببت له في قدح وصببت عليه ماء باردا وناولته فشرب فتراجع.

فقلت له: لقد جهدت فما أمرك؟

قال: أردت مصر، فجئت أودعكم وأسلم عليكم وأنا والله في هذه الهضبة [٥٨/أ] التي ترين منذ ثلاث ليال أنتظر أن أجد فرصة، حتى رأيت متحد فتيانكم العشية فجئت لأحدث بكم عهداً، فحدثنا ساعة ثم ودعنا وانطلق فلم يلبث إلا يسيراً حتى أتانا

=

لابن قتيبة (ص ١٠٠)، مصارع العشاق في (١/٥١، ٨٨، ١٠١، ١٥٩،٢٥٤، ٣١١)، (٢/ ٥٩، ٦٠، ١٠٢، ١٣٣،٢٤٢، ٢٦٢، ٢٨٠)، المصون في سر الهوى المكنون (١١٢، ١١٤، ٢٢٧، ٢٢٩)، زهر الآداب وثمر الألباب (١١، ١٧٦، ٢٣٥، ٢٣٦،٩١١، ٩٤٦).

(١) زيادة لتوضيح السياق.

نعيه من مصر.

قال ابن عياش: فظننت قوله:

فَمَنْ كَانَ فِي حُبِّي بُثَيْنَةَ يَمْتَرِي فَيَرْقَى ذِي ضَالٍ عَلَيَّ شَهِيْد

إنه أراد هذه الهضبة التي أقام فيها ما أكل وما شرب.

وفي أخبار المزنيين: أن قوم بثينة كانوا يقولون: إن جميلاً يتعشق وليدة لنا، فجاء جميل فبات معها وتركها وهي نائمة ليرى قومها أنها هي المعشوقة لا غيرها.

وقال سهل بن سعد الساعدي: لقيني رجل من أصحابي، فقال: هل لك في جميل، فإنه ثقيل؟

فدخلنا عليه وهو يكيد بنفسه، وما يخيل إلي إلا أن الموت يتكربه.

فقال: ما تقول في رجل لم يزن قط، ولم يشرب خمراً قط، ولم يقتل نفساً حراماً قط يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

قلت: أظنه قد نجا، فمن هذا الرجل؟ قلت: أنا.

قلت: والله ما أراك سلمت، وأنت مذ عشرين سنة تشبب ببثينة.

قال: إني لفي آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة فلا تأتيني شفاعة محمد يوم القيامة إن كنت وضعت يدي عليها لريبة قط، فما قمنا حتى مات(١).

---

(١) الأرجح في موته أنه مات سنة اثنتين وثمانين.

وقيل: في حدود سنة مائة. وقيل بقي إلى أن وفد على عمر بن عبد العزيز فالله أعلم.

ومن المناسب أن أذكر بعضاً مما ترجم له به بعض أهل التراجم فمن هؤلاء يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء في الموضع الأول الذي سبق الإشارة إليه:

جميل بن عبد الله بن معمر أبو عمرو العذري الشاعر البليغ، صاحب بثينة وما أحلى استهلاله حيث يقول:

أَلاَ أَيُّهَا النُّوَّامُ وَيْحَكُم هُبُّوا أُسَائِلُكُم: هل يَقْتُلُ الرجلَ الحُبُّ

ويحكى عنه تصون ودين وعفة. قلت: كذا قال الذهبي "يحكى".

ثم قال: مات سنة اثنتين وثمانين- وقيل: بل عاش حتى وفد على عمر بن عبد العزيز. وقال عنه في الموضع الثاني:

أبو عمرو العذري الشاعر الشهير، صاحب بثينة. له شعر في الذروة لطافة ورقة وبلاغة.

بقي إلى حدود سنة مائة، وكان معه في زمانه الأخطل، شاعر عبد الملك بن مروان. واسمه غياث بن غوث التغلبي النصراني مقدم الشعراء، وشاعر وقته جرير بن الخطفي، وشاعر العصر الفرزدق المجاشعي، وشاعر قريش عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي، وكثير عزة، ولد عبد الرحمن بن الأسود الخزاعي المدني وشاعر المدينة عبد الله بن قيس الرقيات الذي يتغزل في كثيرة

زاد ابن الختمي في كتاب الشامل المفيد:

لم يكن بأكثر من أن كنت آخذ يدها فأضعها على قلبي، فأستريح إليها.

ثم أغمي عليه عند ذكر يدها، فمات.

قال ابن قتيبة في الطبقات:

ذاكرت بهذا بعض مشايخنا، فقال: كيف هو القائل:

فَدَنَوْتُ مُخْتَفِياً أَمَرَّ بِبَيْتِهَا ... حَتَّى رَكِبْتُ عَلَى خَفِي المَوْلِجِ[٥٨/ب]
قَالَتْ وَعَيْشِ أَبِي وَنِعْمَةِ وَالِدِي ... لأُنَبِّئَنَّ الحَيَّ إِنْ لَمْ تَخْرُجِ
فَخَرَجْتُ خِيفَةَ أَهْلِهَا فَتَبَسَّمَتْ ... فَعَلِمْتُ أَنْ هَيَّهَا لَمْ تُلْجِج
فَلَثَمْتُ فَاهَا أَخْذاً بِقُرُونِهَا ... شُرْبَ الرِيفِ لِشُرْبِ مَاءِ الحَشْرَجِ

وقال جميل حين حضرته الوفاة:

بَكَرَ النَّعِيُّ وَمَا كَنَى بِجَمِيْلِ ... وَثَوَى بِمِصْرَ ثَوَاءَ غَيْرِ قَفُولِ
وَلَقَدْ أَجْرَى البُرْدَ فِي وَادِي القُرَى ... نَشْوَانَ بَيْنَ مَزَارِعٍ وَنَخِيْلِ
قُومِي بُثَيْنَةُ فَانْدُبِي بِعَوِيْلِ ... وَابْكِي خَلِيلَكِ دُوْنَ كُلِّ خَلِيْلِ

ولما بلغ بثينة برزت كأنها فلقة قمر وهي تتعثر في مرطها حتى أتت المنشد فقالت: يا هذا لئن كنت صادقاً فلقد قتلتني، وإن كنت كاذبا فلقد فضحتني؟

قال: قلت: والله إني لصادق، وأخرجت حلته، وكان أعطانيها لكي أنشدها فلما رأتها صاحت بأعلى صوتها،وصكت وجهها واجتمع نساء الحي تبكين معها وتندبنه حتى ضعفت فمكثت مغشياً عليها ساعة، ثم قالت، ولا يحفظ لها غيره :

وَإِنَّ سَلْوِى عَنْ جَمِيْلٍ لِسَاعَةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ مَا جَاءَتْ ولاَ جَاءَ حِيْنُهَا
سَوَاءٌ عَلَيْنَا يَا جَمِيْلُ بن مَعْمَر ... إِذَا مِت بَأْسَى الْحَيَاةِ ولِيْنُهَا

وجميل ممن رضي بالقليل في قوله:

أُقَلِّبُ طَرْفِي فِي السَّمَاءِ لَعَلَّهُ ... يُوَافِقُ طَرْفِي طَرْفَهَا حِيْنَ تَنْظُر

ومثله قول المعلوط في الرضى بالقليل:

أَلَيْسَ اللَّيْلُ يَجْمَعُ أُمَّ عمرو ... وَإِيَّانَا وَذَاكَ بِنَا تَدَانِي[٥٩/أ]

= والأحوص المدني عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح، وزياد الأعجم أحد البلغاء، وعدي بن زيد يعرف بابن الرقاع الأبرص.

أما عدي بن زيد الحماد العبادي فقدم نصراني شاعر مفلق.

بَلَى وَتَرَى الهِلاَلَ كَمَا أَرَاهُ ... ويَعْلُوهَا النَّهَارُ كَمَا عَلاَنِي

ونحوه قول بعض الأعراب:

وَما نِلْتُ مِنْهَا مُحَرَّماً غَيْرَ أَنَّنِي ... إِذَا هِيَ بَالَتْ بُلْتُ حَيْثُ تَبُولُ

ومن الإفراط قول جميل:

وَلَوْ أَنَ جلْداً غَيْرَ جلْدِك مَسَّنِي ... لَذَابَ مَضْجَعِي حَقّاً لِذَا التَّتْرِيْبُ

وَلَوْ أَنَّ رَاقِي الموت يَرْقِي جَنَازَتِي ... بِرِيْقِكِ يَوْمًا يا بُثَيْنَ حَيِيتُ

ويستجاد له في هذا الشعر:

خلِيْلَيَّ فِيمْا عِشْتُمَا هَلْ رَأَيْتُمَا ... قَتِيلاً يَبْكِي مِنْ حُبِّ قَاتِله قَبْلِي(١)

وقال أيضاً: ويستجاد من شعره: [٥٩/ب]

أَبُثَيْنَ إِنَّكِ قَدْ مَلَكْتِ فَأسجحي ... وَخُذِي بِحَظِّكِ مِنْ كَرِيْمٍ وَاصِلِ

فَلَرُبَّ عَارِضَةٍ عَلَيْنَا وَصْلَهَا ... بِالجَدِّ تَخْلطه بِقَوْلِ الهَازِلِ(٢)

فَأَجَبْتُهَا بِالقَوْلِ بَعْدَ تَسَتُّرٍ ... حُبِّي بُثَيْنَةَ عَنْ وَصالك شَاغِلِي

فَلَوْ كَانَ فِي قَلْبِي لِقَدْرِ ملاَمَة فَضْلاً ... وَصَلْتك أَوْ أَتَتْكِ رَسَائلي

وَيَقُلْنَ إِنَّكَ قَدْ رَضِيْتِ بِبَاطِلٍ مِنْهَا ... وَهَلْ لَكَ فِي اجْتِنَابِ البَاطِلِ

وَلَبَاطِل مِمَّا أُحِبُّ حَدِيْثه ... أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ البَغِيضِ البَاذلِ

لَتَرَكْتُ عَنْكَ هَوَايَ ثُمَّ يُضِلُّنِي ... إِذَا هَوَيْتُ فَمَا هَوَايَ بِزَائِلِ

صَادَت فُؤَادِي يَا بُثَيْن حِبَالكُمْ ... يَوْم الحُجُون وَأَخْطَأتْك حَبَائلي

مَنَّيْتِنِي فَلَوَيْت مَا مَنَّيْتِنِي ... وَجَعَلْت عاجل مَا وَعَدْت كَآجلي

فَتَثَاقَلَتْ لَمَّا رَأتْ شَغَفِي بِهَا ... أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ فَدَاك رَسَائلي

وَأَطَعْتِ فِيَّ عَوَاذِلاً فَهَجَرْتِنِي ... وَعَصَيْتُ فِيْكِ وَقَدْ جَهدتُ عَوَاذِلي

وله أيضاً وهو من جيد شعره:

---

(١) ذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء أيضاً الموضع السابق الإشارة إليه.

(٢) كنت قد قرأت فيما قرأت عن جميل وبثينة ولا يحضرني موضعه الآن: أن أهل جميل أرادوا أن يسلوه عن بثينة ويصرفوه عنها حتى لا يحدث بين قومه وقومها ما لا يحمد عقباه وهما من قبيلة واحدة فحتى لا تنشق عصاهم عرضوا عليه سبعا من خيرة نسائهم وأجملهن وزينوهن أمامه حتى يقع في هوى واحدة منهن فينكحوه إياها ويتسلى بها عن بثينة، فما استجاب لتلك الحيلة فربما أنه قال تلك القصيدة في مناسبة تلك الأحداث والله أعلم.

وَكَـانَ طَارِقُهَـا عَلَـى علل الكرى | وَالـنَّجمُ رَهْـناً قَـدْ دَنَـا لْـتُغُورِ
ليشَـاف رِيْـح مُدَامَـةَ مَعْلُولَـة | بِذَكـي مِسْـك أو سَـحيْق العَنبَرِ
إنّـي لأَحْفَـظُ غَيْـبَكمُ وَيَسُـرّنِي | لَـوْ تَعْلَسَـيْنَ بِصَـائح أَنْ تُذَكَرِي
وَيَكُـونُ يَـوْم لاَ أَرَى لَـكَ مُرْسَـلاَ | أَوْ نَلْـتَقِي فِـيْه عَلَـي كَأَشْـهُرِ
فَلَتَـبْكينِ البَاكَـيَاتُ وَلَـمْ أَبُـحْ | يَوْمـاً بِسِـرّى مُعلـنًا لَـمْ أَعـذرِ
يَـا لَيْـتني أَغْشَـى المَنِـيَّة بَغـتَةَ | إنْ كَـانَ يَـوْم لِقَـائكم لَـمْ يقدرِ
لَـوَ أَسَـتَطِيْع تَجَلُّـداً عَـنْ ذكْرِكُمْ | فَتَفِـيْقُ بَعْـضَ صَـبَابَتِي وَتَفكّـرِ
لَـوْ تَدَّعِيْنَ كَـمَا أُحِبّ مِنَ الهَوَى | لَعَـذَرْتِ أَوْ لَظَلَمْتِ إنْ لَـمْ تَعْذُرِ

قال أبو الفرج[1]:

وشت جارية بثينة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما:

---

(١) القصة التي يرويها أبو الفرج ربما كان ابن الجوزي فإن عكس تلك القصة يرويها أبو الفرج الأصبهاني في الأغاني عن الهيثم فيقول:

إن جميلاً طال مقامه بالشام، ثم قدم وبلغ بثينة خبره، فراسلته مع بعض نساء الحي، تذكر شوقها إليه ووجدها به وواعدته لموضع يلتقيان فيه، فصار إليها وحادثها طويلا، وأخبره بحاله بعدها.

قال: وقد كان أهلها رصدوها، فلما فقدوها تبعها أبوها وأخوها حتى هجما عليها، فوثب جميل فسل سيفه، وشد عليهما، فاتقياه بالهرب.

وناشدته بثينة بالانصراف، وقالت إن أقمت فضحتني، ولعل الحي أن يلحقوك.

فأبى وقال: أنا مقيم، وامض أنت وليصنعوا ما أحبوا.

فلم تزل تناشده حتى انصرف.

وقد هجرته مدة طويلة ولم تلقه، فقال هذه الأبيات الستة:

بمختـلف الأرواح بـين سـويقة | وأحـدبَ كـادت بعـد عهدك تَخْلَقُ
أضـرت بهـا النَّكـبَاء كـل عشـيةً | ونفـح الصـبا والوابـل المُتـبَعّقُ
وقفـتُ بهـا حـتى تجلّـتْ عَمَـايتي | ومـلّ الوقـوف الأرحَـبيُّ المُـنوقُ
وقـال خليـلي إن ذَا لصَـبابَة | ألا تزجُـرُ القلـبَ الـلجوجَ فيـلحَق
تَعَـزَّ وإن كانـت علـيك كـريمة | لعلـك مـن أسـباب بثيـنة تُعْـتَقُ
فقلـت لـه: إن الـبعادَ يشـوقني | وبعـضُ بعـاد الـبين النـأي أشـوَقُ

قلت: ترى أي الروايتين يراد منا أن نصدق وأي فضيلة في هذا الحب زوجة تخون زوجها وتواعد عشيقها وعشيق يريد قتل والد وأخي المعشوقة فأي تبجح هذا؟

وفي القصة التي ذكرها المؤلف يحدث بما يشبه الأفلام التي نراها في عالم السينما اليوم إذ نجد الأب والابن يرضيان بما آل إليه حال العشيق مع معشوقته ولا عبرة لزوج ولا عشيرة ولا دين وكأنهما يعيشان في دار لا يحكمها دين، ولا حتى قيم سبحان الله هذا بهتان عظيم عافانا الله وإياكم من هذا ورزقنا وإياكم حسن الختام.

إن جميلاً عندها الليلة.

فأتيا مشتملين على سيفيهما، فرأياه جالساً حجرة منها [٦٠/أ] يحدثها ويشكو إليها بثه، ثم قال لها:

يا بثينة، أرأيت ما بي من الشغف والعشق ألا تجزينه؟

قالت: بماذا. [قال](١): بما يكون بين المتحابين.

قالت له: يا جميل، أهذا تبغي؟ والله لقد كنت عندي بعيداً منه وإن عاودت بريبة، لا رأيت وجهي أبداً.

فضحك وقال: والله ما قلت لك هذا إلا لأعلم ما عندك، ولو علمت أنك تجيبني إليه لعلمت أنك تجيبين غيري، ولو رأيت منك مساعدة لضربتك بسيفي هذا ما استمسك في يدي إن طاوعتني نفسي، أو لهجرتك أبداً، أما سمعت قولي:

وَإِنِّي لأَرْضَى مِنْ بُثَيْنَةَ بِالَّذي ... لَوْ أَبْصَرَهُ الوَاشِي لَقَرَّتْ بَلابِلُه

بلى وبأن لا أستطيع وبالمنى ... وبالأمل المرجو قد خاب أمله

وبالنظره العجلي وبالحول ينقض ... أواخره لا نلتقي وأوائله

فقال أخوها لأبيها: قم فما ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من إتيانها.

وقال جميل أيضاً:

وَإِنِّي لأَستَحي مِنَ النَّاس أَنْ أُرى ... رَدِيْفاً لِوَصْلٍ أَوْ عَلَيَّ رَدِيْف

أَوْ أَشْرب رِيقاً مِنك بَعْدَ مَوَدَّة ... وَأَرْضَى بِوَصْلٍ منك وَهُو ضَعِيف

وَإِنِّي لِلْمَاءِ الْمُخَالِطِ لِلْقَذَى ... إِذَا كَثُرَتْ وُرَّادُهُ لَعَيُوفِ

وقال أيضاً:

مَنَعَ النَّوم شِدَّة الإِشْفَاق ... وَأَذكَارُ الحَبِيْب يَوْمَ الفِرَاق

لَيْتَ شِعْرِي إِذَا بُثَيْنَةَ بَانَتْ ... هَلْ لَنا بَعْدَ بَيْنِهَا مِنْ تَلاَقِي

وَلَقَدْ قُلْتُ يَوْمَ نَادَى الْمُنَادي ... مُسْتَحِثّاً بِرَحْله وَانْطِلاَق

لَيْتَ لِيَ اليَوْمَ بُثَيْنَة مِنْكُمُ ... مَجْلساً لِلْوَدَاعِ قَبْلَ فِرَاق

حَيْثُمَا كُنْتُمْ وَكُنْتَ فَإِنِّي ... غَيْر نَاسٍ لِلْعَهْدِ وَالْمِيْثَاق

[٦٠/ب] ودخلت بثينة على عبد الملك بن مروان، فرأى امرأة مولية خلقاً فقال لها: ما الذي رأى فيك جميل؟ فقالت: الذي رأى فيك الناس حين ولوك عليهم خليفة.

---

(١) زيادة يتطلبها السياق.

فضحك حتى بدت له سن سوداء كان يسترها.

فقال: ذاك الذي أردت.

وقيل: إن هذا جرى لليلى الأخيلية معه.

ومن أغرب ما رأيت ما ذكره الزبير في أخبار جميل:

أن بثينة كانت بنته.

آخر الجزء الثاني

يتلوه في الجزء الثالث

باب الحَاء

الجزء الثالث

من

الواضح المبين

رَثى لَهُم مَنْ ذَاقَ الَّذِي لَقَـى   فَأَلَّفَ فِيمَا قَـدْ لَقُـوهُ إِمَامَـا
وَجَمَعَ مِنْ أَخْبَارِهِمِ فِي هَوَاهُمُ   أَحَادِيثَ مِثْلِ الرَّوْضِ جيد غَمامَا

[٦١/أ] بسم الله الرحمن الرحيم

باب الحاء

٢٧ - [شهيد]

الشاعر الذي مات خوفاً من النار

قرأت على المسند الفقيه أبي النون بن عبد القوي عن أبي المقير أنبأنا الحافظ ابن ناصر فيما أجازناه الزيدي أنبأنا ابن صفوان أنبأنا ابن أبي الدنيا حدثني حسين بن يحيى حدثني حازم بن جبلة بن أبي نصرة العبدي عن أبي يسار[1] عن الحسن عن حذيفة قال: كان شاعرٌ على عهد النبي صلى الله عليه وسلم يبكي عند ذكر النار، حتى حبسه ذلك في البيت، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم ، فأتاه، فلما نظر إليه الشاب قام إليه فاعتنقته وخر ميتاً، فقال عليه السلام:

جهزوا صاحبكم فإن الفرق من النار فلذ كبده، والذي نفسي بيده لقد أعاذنا الله تعالى منها، من رجى شيئاً طلبه، ومن خاف شيئاً هرب منه.

٢٨ - شهيد

عاشق القرآن الكريم

قال ابن أبي الدنيا، وحدثنا محمد بن يحيى وحدثنا محمد بن كثير حدثنا أبو عمرو حدثنا أبو عاصم إمام مسجد ابن جراد قال: كان عندنا رجل يشهد معنا الصلاة، ثم يدخل منزله، فلا نراه إلا في الصلاة الأخرى، فقال لي ذات يوم: أجد عندك مصحفاً[2]؟

---

(١) إسناده ضعيف ، لأن أبا يسار هذا هو القرشي وقد قال عنه ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل إنه مجهول.
وورد الحديث من طريق آخر عند الحاكم من حديث حذيفة وفي إسناده هناك عبد الملك بن عمير وقد احتلط وتغير حفظه، ثم إنه موصوف بالتدليس وقد عنعن الحديث.
فالحديث لا يعتد به وإن كان الحاكم قد حكم عليه بالصحة في المستدرك ومن المعلوم أن الحاكم رحمه الله كان متساهلاً، وراجع موسوعة رجال الكتب التسعة بتأليفي من آخر في إسناد هذا الحديث. أما أطراف هذا الحديث فعند: الحاكم في المستدرك (٤٩٤/٢)، المندري في الترغيب والترهيب (٢٦٢/٤)، المتقي الهندي في كنز العمال (٥٩٠٠)، الألباني في الضعيفة (٣٦٥).

(٢) مثل هذا الخبر وأشباهه مما سيمر علينا في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ليس له من الصحة مكان حيث إن كثيرًا من غلاة الصوفية ومن ليس على علم منهم كانوا يختلقون مثل هذه القصص والحكايات، تحبيباً لمريديهم في الزيادة في التعبد، وإذا قيل لأحدهم: مثل هذا لا يجوز في دين الله تعالى، كان يقول: هذا في فضائل الأعمال والترغيب، ثم وضعوا الأحاديث ونسبوها إلى رسول

قلت: نعم، فأخرجت له مصحفاً لي فدفعته إليه، فلما مضى به سمعته يقول: ليكونن لي ولهذا المصحف نبأ.

قال: فأذنت العصر، فلم أره، وكذلك المغرب، والعشاء.

فقلت خدعني عن مصحفي، فجئت فدخلت البيت الذي كان له، فإذا هو ميت، وإذا المصحف على صدره وإذا ليس معه في البيت شيء فخرجت فصليت بهم الغداة وأنا أفكر من أين أجد له كفناً، فلما سلمت، وإذا بمحمد بن واسع، وحسان ابن أبي سنان، وحبيب أبو محمد وأظنه قال: ومالك بن دينار مع كل واحد منهم كفن وحنوط فقالوا: أتعرف هنا رجلاً مات البارحة؟

قلت ما أعرف أحداً مات هنا إلا رجلاً غريباً كان ينزل هنا.

قالوا أنت أشقى من أن تعرف حجاماً، فدخلوا [٦١/ب] فتنافسوا في تكفينه وكفنوه واجتمع أهل البصرة، فصلوا عليه ودفنوه.

٢٩ – شهيد
ابن لقمان الحكيم

قال: وحدثنا ابن إبراهيم حدثنا يحيى بن معين، سمعت يحيى بن آدم سمعت حسن بن صالح قال:

بلغنا أن لقمان لما قال لابنه ﴿**إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة**﴾(١) الآية. تفطر فمات.

قال عبد الله: وحدثني سلمة بن شبيب عن الحسن بن رافع عن ضمرة عن حفص بن عمر الكندي قال:

= الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك، ولما أن قيل لهم في خطورة هذا وأنه يعرض صاحبه لعذاب النار للكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإدخال ما ليس من دين الله فيه، قالوا: إننا لم نكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنما نكذب لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

انظر كيف لبس عليهم الشيطان ليوقعهم في أشر الأعمال ، وهي الافتراء على الله ورسوله الكذب.

عافانا الله وإياكم من هذا، وفيما ذكر لنا الله ورسوله من قصص الأنبياء والصالحين العظة والعبرة والكفاية لمن كان له قلب.

(١) سورة لقمان (الآية: ١٦).

وضع لقمان لابنه جراباً من خردل وجعل يعظه موعظة ويخرج خردلة، قال: فنفذ الخردل، فقال: يا بني، لقد وعظتك موعظة لو وعظتها جبلاً لتفطرمنه.

قال: فتفطر منه[1].

٣٠ - شهيد
[عابد بني إسرائيل والغانية]

وروى الحسن البصري:

أن امرأة من بني إسرائيل كانت أعطيت من الجمال عجباً، قال: فبلغ من أمرها أنها كانت لا تمكن من نفسها إلا من أعطاها مائة دينار، فاتخذت من ذلك سريراً من ذهب، وأنه أبصرها رجل من العابدين، فأعجبته، فانطلق فالتمس مائة دينار فأتاها بها قال[2]: إني رأيتك فأعجبتني، فانطلقت، فتمحلت حتى جمعت لك مائة دينار.

قالت: فادفعها إلى الجهيد حتى ينتقدها ففعل.

قال: فتهيأت كما كانت تتهيأ وجلست على سريرها، فلما جلس منها مكان الرجل من امرأته ذكره الله برحمته، فانتفضت إليه نفسه، فقام عنها.

وقال: المائة دينار لك وافتحي لي الباب.

فقالت ما بالك؟ ألست زعمت أنك رأيتني، فأعجبتك فتمحلت، وابتعت حتى جمعت هذه المائة دينار؟ فما رأيت؟

---

(١) هذا خبر قد ذكره ابن كثير أيضًا في تفسيره ولم يعلق عليه، وهو خبر موقوف على حفص ابن عمر الكندي، وهو إخبار بما سبق ولم يشاهد الكندي هذا الحدث، ولم يذكر لنا إسناده إلى لقمان الحكيم عليه السلام فكيف لنا أن نقبل بمثل هذا؟

(٢) في المخطوط: قالت وهو تحريف، وهذا الخبر ما أراه إلا من صنع اليهود فهم أجرأ خلق الله تعالى عليه وعلى أنبيائه فهم يتهمونه بالزنا فكيف بأمهاتهم ومن المعلوم أن الأنبياء من سلالات عريقة النسب وإن كانوا فقراء من الناحية المالية ولم يتهمهم متهم أو يسبهم ساب ممن خالفهم بالطعن في أنسابهم فجميعهم عليهم الصلاة والسلام ولدوا من نكاح صحيح صريح معترف به غير نبي الله عيسى عليه السلام، فإنه كلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وقد طهر الله تعالى أمه في غير آية من القرآن الكريم وبرأها من كل شبهة فكل نبي من أنبياء الله تعالى أمه طاهرة عفيفة شريفة وإن لم تكن على الدين الحق؛ فإن خللها لم يكن في شرفها لكن في عقيدتها عافانا الله وإياكم من سوء الفهم وحفظنا وإياكم من اتهام أبسط الناس بتلك التهم الخطيرة فضلاً عن أنبياء الله تعالى ورسله، ومن أظهر ما في القصة من عوار أنه لم تكن هناك مساجد في عصورهم إنما عرف اسم المسجد بعد ظهور الإسلام وكانت أماكن العبادة تسمى بأسماء أخرى وإن كانت كلها بمعنى واحد.
ثم أمر آخر هو أنهم جعلوا أبا الأنبياء هنا من الأقل إيماناً، وغير ذلك كثير لو فندنا الحكاية.

قال: ليس في الأرض أبغض إليّ الآن منك. قالت: و لم؟

قال هذا شيء لم أفعله قط.

قالت: ما قال هذا لي أحد، ولئن كنت صادقاً ، ما أريد زوجاً غيرك، فلي عليك أن تتزوجني.

قال: نعم، فقنع رأسه، ورجع فلحق ببلده وقلبه مشتغل بها.

وأقبلت تبيع متاعها، ثم [٦٢/أ] ارتحلت إليه،فانتهت إلى البلد الذي هو فيه فسألت عنه، فقيل لها هو ذا في المسجد.

فقيل له: جاءت ملكة أرض كذا وكذا تسأل عنك.

قال: فأتته، فلما نظر إليها نظرة مال ميتاً.

فوجدت عليه وجداً شديداً، ثم قالت أما هذا فقد فاتني، هل له أخ أو قريب؟ فقيل: إن له أخاً ضعيفاً، يعني ليس في العبادة كأخيه، فتزوجته، فولدت منه سبعة أنبياء عليهم السلام.

٣١ – شهيد

[من راودته الجارية في خلوته فخاف مقام ربه]

ذكر ابن أبي الدنيا عن سعيد بن يعقوب حدثنا المعتمر عن أبي كعب عنه أيضاً، قال: وعن الحسن قال[1]: كان شاب على عهد عمر ملازماً للمسجد والعبادة، فعشقته جارية فأتته في خلوة فكلمته.

فحدث نفسه بذلك فشهق شهقة غشي عليه.

فجاء عم له، فحمله إلى بيته، فلما أفاق، قال: يا عم، انطلق إلى عمر رضي الله عنه، وأقره مني السلام، وقل له ما جزاء من خاف مقام ربه؟

فانطلق عمه فأخبر به عمر. فقال: جنتان.

فلما بلغه ذلك شهق شهقة مات بها شهيداً.

(١) هذا خبر مرسل، ثم هو من حكايات غلاة الصوفية الذين قد أشرت إلى خبرهم قبل قليل، وكذا ما يأتي بعده من حكايات لم ينص عليها في حديث صحيح أو آية قرآنية صريحة في شأن تلك القصة أو الحكاية.

٣٢ – شهيد
[أبو الحسين وصاحبه]

قال أبو يحيى التيمي:

كان يختلف معنا فتىً من النساك يقال له: أبو الحسين إلى مسعر بن كدام(١) وكان يختلف معه فتىً حسن الوجه يفتن الناس، إذا رأوه.

فأكثر الناس القول فيه وفي صحبته إياه.

فمنعه أهله صحبته وكلامه فذهل عقل أبي الحسين حتى خشي عليه التلف فبلغ ذلك مسعراً، فقال: قولوا له لا يقربني، ولا يأتي مجلسي، فإني له كاره. فلقيته، فأخبرته بذلك فتنفس الصعداء، ثم أنشأ يقول:

يَا مَنْ بَدَائعُ حُسْنِ صُوْرَته ... تُثْنِي إِلَيْهِ أَعِنَّةَ الحَدَقِ
لِي مِنْكَ مَا لِلنَّاسِ كُلِّهِمِ ... نَظَرٌ وَتَسْلِيْمٌ عَلَى الطُّرُقِ
لَكِنَّهُم سعِدُوا بِأَمْنِهِم ... وَشَقِيْتُ حَيْنَ أَرَاكَ بالْفَرَقِ

[٦٢/ب] ثم صرخ صرخة وشخص ببصره، فإذا هو ميت(٢).

ذكره الحافظ أبو حفص عمر بن أحمد بن شاهين عن جعفر بن محمد حدثنا أحمد بن محمد بن مسروق حدثنا فضل اليزيدي حدثنا إسحاق بن إبراهيم الهلالي عنه.

---

(١) قال الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء (٧/١٦٤) الإمام الثبت شيخ العراق أبو سلمة، الهلالي، الكوفي، الأحول، الحافظ، من أسنان شعبة.

... وعن خالد بن معمر قال: رأيت مسعراً كأن جبهته ركبة عنز من السجود وكان إذا نظر إليك حسبت أنه ينظر إلى الحائط من شدة حوَولته.

وروى ابن عيينة عن مسعر قال: دخلت على أبي جعفر المنصور فقلت: يا أمير المؤمنين، نحن لك والد، وأنت لنا ولد، وكانت جدته أم الفضل هلالية يعني والدة ابن عباس. فقال لي: تقربت إلي بأحب أمهاتي إليَّ، ولو كان الناس كلهم مثلك لمشيت معهم في الطريق.

قال أبو مسهر حدثنا الحكم بن هشام حدثنا مسعر قال: دعاني أبو جعفر ليوليني، فقلت: إن أهلي يقولون: لا نرضى اشتراءك لنا في شيء بدرهمين، وأنت توليني؟!

أصلحك الله، إن لنا قرابة وحقاً، قال: فعافاه.

... وقال مسعر: من صبر على الخل والبقل، لم يستعبد.

.. وقال محمد بن سعد: كان لمسعر أم عابدة، فكان يخدمها، وكان مرجئاً، فمات فلم يشهده سفيان الثوري، والحسن بن صالح.

.. توفي في رجب سنة خمس وخمسين ومائة.

(٢) الخبر ذكره السراج في مصارع العشاق (١/٢٦٧) كما هنا.

٣٣ - قتيـــل
[حبيش وصاحبها الأسير[١]]

ويقال: حبيشة وعبد الله بن علقمة.

---

(١) ذكر هذه القصة كثير من أهل الكتب السنن والسير بطرق عدة من بينهم النسائي في السنن الكبرى (٥/٢٠١) حديث رقم (٨٦٦٣)، وقد عدد لنا المؤلف رحمنا الله وإياه هنا طرق الحديث، عند عدد من أهل تلك الكتب والتي تدور كلها مع اختلاف ألفاظها حول أن رجلاً تعلق بامرأة، ولا تقطع الروايات بما إذا كانت تلك المرأة عشيقة أو زوجة أم من محارمه، والذي أذهب إليه أو أرجحه هو أنها كانت زوجة أليفة محبوبة معشوقة عاشقة له إذ هو راحل بها في بعض الروايات، ولو أنها كانت غير زوجة له لما استقبح النبي صلى الله عليه وسلم سلوكهم معه كل هذا الاستقباح.

وكان هذا الحديث وأحاديث أخرى صحيحة كنت قد قرأتها تدور حول مراعاة الإسلام لتلك المسائل النفسية الجياشة التي يتعرض لها الإنسان من الحب الشديد الذي يؤثر في صاحبه تأثيراً غريباً ، يجعله يسلك مسالك غريبة إن لم يجب إلى طلبته ، مما جعلني أفكر في جمع تلك الأحاديث قدر طاقتي وتحقيقها والتعليق عليها في كتاب لبيان كيفية معالجة الإسلام لتلك الظواهر النفسية وكيفية التغلب عليها والاستفادة منها في آن واحد.

ثم بيان أن الإسلام لم يغفل، ولم يحارب، ولم يهرب من مثل تلك الأمور بل رحب بها وتعامل معها وبين أنها أمور طبيعية تدل على سلامة صاحبها واستقرار نفسه وسلامة حسه ورقة طبعه، ومن لم يشعر في حياته بنحو من تلك المسائل فإنها تدل على قسوة القلب وجلافة الطبع وجمود المشاعر.

فالإنسان السوي لابد له وأن يحب، يحب دينه يحب أهله، يحب أولاده، يحب وطنه، يحب الزهور، يحب الشعر، يحب للناس الخير والفرح والهناء والسعادة . كما أنه لابد له وأن يكره، يكره مخالفة ما شرع الله، ومن كره شرع الله تعالى، ومن عاداه، لهذا يكره الأماكن التي ليس فيها ما يرضي ربه، يكره ما لا يحمد من الأقوال، والأفعال إلى غير ذلك مما يحب وما يكره.

ومن لم تكن فيه تلك الجبلات فهو إنسان غير سوي معقد لا يستقر له قرار، ولا يهدأ له بال، يعيش في الحياة وليس له هدف، أو يعيش وهو يكره الآخرين ويتمنى أن يراهم في هم وكدر.

ومكن المعروف لدى العقلاء أن الفرح لا يصلح أن يكون مع إنسان وحده، بل لابد له أن يشاركه فيه غيره وهو الحب.

أما الكره أو الحزن فيتم للفرد ولا يشترك فيه غيره ويكون غاية تمامه كلما انفرد المحزون بنفسه.

أما الفرح فيكون غاية تمامه إذا اجتمع معه أهله وخلانه.

هكذا راعى الإسلام مسائل الحب وأقرها في إطار منضبط لا يهلك الفرد ولا يفسد المجتمع ثم إني لما رأيت هذا الكتاب قلت أكتفي بأن أضع تعليقات بهامش بعض تلك الآراء والنكات حتى لا يغتر الشباب ببعض الأحاديث كما لا يخفى البعض الآخر ويظن أن الأمر منهي عنه أو محرم أو مكروه. وسأشير إلى شيء من ذلك إن شاء الله تعالى في مقدمة الكتاب بعد الانتهاء من تحقيقه إن شاء الله تعالى.

أنبأنا الإمام بقية المجتهدين المسندين أسد الدين عبد القادر بن شهاب الدين عبد العزيز بن أبي بكر بن أيوب بن شادي قراءة عليه وأنا أسمع قال: أنبأنا الشيخ الصالح أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن أحمد بن أبي الفتح أنبأنا القاضي أبو محمد هبة الله بن يحيى بن علي بن حيدرة، أنبأنا أبو محمد عبدالله بن رفاعة أنبأنا أبو الحسن الخليعي أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر البزاز أنبأنا أبو محمد عبدالله بن جعفر بن أبي الورد حدثنا أبو سعيد عبد الرحيم بن عبد الله البرقي حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام حدثنا زياد بن عبدالله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي قال حدثني يعقوب بن عبيد بن المغيرة بن الأخفش عن الزهري عن أبي حدرد الأسلمي(١) قال: لما أرسل النبي -صلى الله عليه وسلم- خالد بن الوليد إلى بني خزيمة كنت يومئذ في خيله، فقال لي فتىً من بني خزيمة هو في سني، وقد جمعت يداه إلى عنقه بزمة ونسوة مجتمعات غير بعيد منه يا فتى قلت: ما تشأ؟

قال: هل أنت آخذٌ بهذه الزمة، فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي إليهن حاجة، ثم تردني بعد فتصنعوا ما بدا لكم؟

قال: قلت: والله ليسير ما طلبت، فأخذت بزمته فقدته بها حتى أوقفته عليهن. فقال: اسلمى حبيش على بعاد العيش.

أَرَأَيْتُكِ(٢) إذَا طَالَبْتُكُم فَوَجَدتكُم ... بِخَلْيَةٍ(٣) أَوْ أَلْفَيْتكُم بِالْخَوَانِقِ

أَلَمْ يَكُ أَهْلاً(٤) أَنْ يُنَوّل عَاشِق ... تَكَلَّفَ إِدْلاَجَ السُّرَى والوَادِق(٥)

وَلاَ ذَنْب لِي إِذْ قُلْت إذَا هِلْنَا مَعاً ... أَنِيبِي بِوُدّ قَبْل إِحْدَى الصَّفَائِق(٦)[٦٣/أ]

آتِينِي بِوُدّ قَبْل أَنْ يَشْحط النَّوَى ... وَيُنَادِي أَسِيرٌ بِالْحَبِيبِ المُفَارِقِ(٧)

فَإِنِّي لاَ ضَيَّعتُ سِرّاً مَا سَمِعْتُهُ(٨) ... وَلاَ رَاقَ عَيْنِي عَنْكِ بَعْدكِ رَائِق

---

(١) جاء بهامش المخطوط تعليق بحذاء تلك الكلمة لم أتبينه وقد ذهب بعضه في تصوير الأصل هذا نص ما بقي منه قدر ما تيسر لي من قراءته:
الذي مر سيره أمر ... الناس.

(٢) في المتن: أرأيت. والتصويب من هامش المخطوط.

(٣) في المصارع: (٣١٥/١) ببرزة والمعنى واحد وهو المكان البعيد الخالي من العمران.

(٤) في المصارع: أما كان حقاً.

(٥) في المصارع: وهو راهق.

(٦) لم يرد هذا البيت في المصارع.

(٧) لم يرد هذا البيت أيضاً في المصارع.

(٨) هذه الكلمة غير مقروءة في المخطوط وأثبت مكانها ما يفيد المعنى والبيت في المصارع على النحو التالي: =

سـوَى أن مـا بَال العَشِيْرة شَاغَل عَنِ الوُدِّ إلاّ أنْ يكْـون التَّوَامُـق[1]

قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر تنكر البيتين الأخيرين منها له.

قال ابن إسحاق: حدثني يعقوب عن الزهري عن أبي حدرد قال:

فقالت[2]: وأنت حييت سبعاً وعشراً وتراً وثمانيا.

قال: ثم انصرفت به، فضربت عنقه.

قال ابن إسحاق: فحدثني أبو فراس الأسلمي عن أشياخ منهم عمن كان حضرها منهم قالوا: فقامت إليه حين ضربت عنقه، فأكبت عليه، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده.

وزاد أبو عبد الرحمن في سننه التي أخبرنا به إجازة ملحق الأصاغر بالأكابر أبو الحسن علي بن نصر الله الشافعي المعروف بابن الصواق عن ابن باقا قراءة عليه وقرأها على الشيخ المسند البقية عبد الله بن علي بن شبل المغربي أنبأنا المشايخ المسندون شاكر الله بن الشمعة، وغيره قالوا:

أنبأنا عبد العزيز بن أبي الفتح بن باقا أنبأنا أبو زرعة أنبأنا الدوري أنبأنا الكسار أنبأنا ابن السني عنه حدثنا محمد بن علي بن حرب بن علي بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس:

أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث سرية. قال: فغنموا، وفيهم رجل، فقال لهم: إني لست منهم عشقت امرأة فلحقتها، فدعوني أنظر إليها نظرة ثم اصنعوا بي ما بدا لكم.

قال: فإذا امرأة طويلة أدماء.

فقال لها: اسلمي حبيش قبل نفاد العيش. قالت: نعم فديتك.

قال: فقدموه فضربوا عنقه.

فجاءت امرأة عليه فشهقت شهقة أو شهقتين، ثم ماتت، فلما قدموا [٦٢/ب] على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروه الخبر قال: "**أما كان فيكم رجل رحيم**".

وأخرجه أبو عبد الله الحاكم في مستدركه، وقال: إسناده صحيح وفيه زيادة لفظة

=

فإني لا سراً لدي أضعتهُ ولاَ رَاَقَ عَيْني بَعْدَ وجْهكِ رَائقُ

(١) في المصارع على النحو التالي:

على أن ما بات العشية شاغل فلا ذكرَ إلا أن تكون توامق

ثم جاء بعده بيت آخر.

(٢) في المخطوط: قال. وهو تحريف.

مليحة عجيبة، إلاّ أن الراوي لم يقم الشعر.

وقال في كتاب الإكليل:

أنبأنا ابن بالويه حدثنا محمد بن يونس حدثنا محمد بن بشار حدثنا ابن عيينة عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن ابن عاصم المزني عن أبيه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بطن نخلة في سريـــة ، فبينا نحن نسير في أرض تهامة ، إذ لحقنا رجل معه ظعائن له يسوقهن أمامه ، فقلنا له: أسلم. قال: وما الإسلام؟ قال: فعرضته عليه وهو لا يعرفه. فقال: أرأيتم أن لا أسلم فما أنتم صانعون؟ قلنا: نقتلك. قال: فهل أنتم تاركي حتى ألحق بهؤلاء الظعائن؟ فقلنا: افعل ونحن تاركوك لا محالة. قال: فأتى هودج ظعينة منهن وقد وصفنا للنبي صلى الله عليه وسلم حسنها وجمالها - فقال:

أَرَأَيْتــكِ إِنْ طَالَبْتكـــُم فَوَجَدْتُكَم بِمَكَّةَ أَوْ أَدْرَكْتُـــكُمْ بِالخَـــوَانِقِ

الأبيات الأربعة.

قال فقالت له: أسلم حبيش قبل انقطاع العيش.

قال: فقال ما أسلم عشراً أو تسعاً وتراً وثمانياً تترا.

قال: فجاء فمد عنقه، فضربناه.

فلقد رأيت تلك الظعينة نزلت من هودجها وحنت عليه حتى ماتت.

فأخبرنا النبي صلى الله عليه وسلم خبره: فضحك حتى بدت نواجذه تعجبًا. ثم قال(١): هذه القصة في غزوة بني جذيمة(٢) كانت لا محالة.

وذكر الهيثم بن عدي في هذا الخبر زيادة تبين لك أصل حب الفتى للفتاة واسمه، فقال: حدثني سعد بن سنان عن أبي مسعود عن أبيه قال:

نشأ فينا غلام يقال له: عبد الله بن علقمة، وكان جميلاً، فهوى جارية من غير فخذه يقال لها حبيشة، فكان يأتيها ويتحدث إليها.

قال فخرج ذات [٦٤/أ] يوم من عندها ومعه أمه فرأى في طريقه ظبية على رابية، فأنشأ يقول:

يَـــا أُمَّـــنَا خَـــبِّرِينِي غَـــيْر كَاذِبَـــة وَ لاَ يُـــرِيْدُ مَسْؤول الخُبْر بالكَذب(٣)

(١) في المخطوط: قالت. وهو تحريف.

(٢) في متن المخطوط: خزيمة، والتصويب من هامش المخطوط بقلم الناسخ.

(٣) الشطر الثاني من البيت في المصارع (٣١٤/١) على النحو التالي:

ولا تشوبي سوء الخير بالكذب

حُبَيْشُ أَحْسَنُ أَمْ ظَبْيٌ بِرَابِيَةٍ ... لاَ بَلْ حُبَيْشَةُ مِنْ دُرٍّ وَمِنْ ذَهَبِ

ثم انصرف من عندها مرة أخرى، فأصابته السماء، فأنشأ يقول:

وَمَا أَدْرِي إِذَا أَبْصَرْتُ يَوْماً ... أَصَوْبَ القَطْرِ أَحْسَنُ أَمْ حُبَيْشُ

حُبَيِّشٌ وَالَّذِي خَلَقَ الهَدَايَا ... عَلَى أَنْ لَيْسَ عِنْدَ حُبَيْشٍ عَيْشُ

فلما كثر ذلك منه واشتهر[١] بها، قال قومه لأمه: إن هذا الغلام يتيم، وإن أهل هذه المرأة يرغبون بأنفسهم عنكم، فانظري جارية من قومك ممن لا يمتنع[٢] فزينيها واعرضيها عليه لعله يتعلقها، ويسلو[٣] تلك.

ففعلت وحضر[٤] نساؤها، فجعلن يعرضن[٥] عليه نساء الحي، فقلن:[٦] يا عبد الله، كيف ترى؟

فيقول: إنَّها[٧] والله حسناء جميلة[٨]، إلى أن قالت[٩] قائلة منهن: أهي أحسن أم حبيشة؟ فقال: مرعى ولا كالسعدان[١٠].

فلما يئسن من انصرافه عنها قالت بعضهن لبعض: عليكن بحبيشة، وطمعن أن يأتي الأمر من قبلها.

فقلن لها: والله لئن أتاك فلم تزري وتتجهميه[١١] وتقولي له: أنت أبغض الناس إليَّ فلا تقربني، ونحن بمرأى ومسمع لنفعلن بك ما يسؤوك.

فأتاها، فلم تعلمه بشيء كما قالوا[١٢]، ولم تزد على أن نظرت إليه ونظر إليها، ثم

(١) في مصارع العشاق: وشهر.
(٢) في مصارع العشاق: يمتنع. وكلاهما واحد.
(٣) في المصارع: ويسلى.
(٤) في المصارع: وحضرها.
(٥) في المصارع: فجعلوا يعرضون.
(٦) في مصارع ثم يقولون له:
(٧) في المصارع: إيها.
(٨) ليست هذه الكلمة في المصارع.
(٩) في المخطوط: قال: وهو تحريف.
(١٠) مثل عربي يرد إن شاء الله تعالى في الموسوعة التي أعدها وقد دفعت منها بالجزء الأول إلى الطباعة واسمها (على رأي المثل) أو موسوعة الأمثال العربية والعامية. والسعدان نبت صحراوي له شوك ترعاه الإبل وهو من أفضل ما ترعى والمراد أنهن كلهن جميلات ولكن محبوبته أحسن منهن.
(١١) المراد أمرنها بتحقيره وعدم الاهتمام به وإظهار التعالي والترفع عليه.
(١٢) في المصارع: تكلمه بشيء مما قالوا.

أرسلت عينها تبكي[1].

فانصرف عنها وهو يقول:

وَمَا كَانَ حُبِّي عَنْ نَــوَال بَذَلْتِــه ... وَلَيْسَ بِمُسْلِيّ التَّجَهُّم[2] وَالهَجْــرُ
ثُــمّ أنَّ دَائِـــي منـــْك دَاءُ مَـــوَدَّة ... قَدِيْمًا وَلَمْ يُمْزَج كَمَا يُمْزَجُ الخَمْرُ
وَمَا أنْسَ مَلي الأَشْيَاء لاَ أنْس دَمْعها ... وَمُقْلَتَهَا[3] حَتَّى يُغيبَنِي القَبْـــرُ[4]

[٦٤/ب] فبينما هما على أشد ما كانا عليه من الهوى والصبوة إذ هجم عليهم جيش خالد بن الوليد يوم الغميصاء، فذكروا وداعه لها، وأنها قالت: حياك الله عشراً وتسعاً وتراً وثلاثة تترا، فلما أرى مثلك يقتل صبراً.

وخرجت تشتد وعليها خمار أسود قد لاثته على رأسها، وكأن وجهها القمر[5] ليلة البدر، فقال حين نظر إليها أرأيتك .. الأبيات[6].

وزاد:

فَهَا أَنَا مَأْسُوْرٌ لَدَيْكِ مُكبَّل ... وَمَا أَنْ أرَانِي بَعْدَهُ اليَوْم نَاطِقُ[7]

فأجابته:

أَرَى لَكَ أَسْبَاباً أَظُنُّكَ مُخرِجَا ... بِهَا النَّفْس مِنْ جَنْبِيَّ وَالرُّوحَ زَاهِقُ

فأجابته:

وَأَنْتِ الَّذي قَفَلْت جِسْمِي[8] عَلَى دَمِي ... وَعَظْمِي وَأَسْبَلْت الدُّمُوع عَلَى النَّحْرِ[9]

فأجابته:

وَنَحْنُ بَكَيْنَا مِن فراقِــكَ مَــرَّةً ... وَأُخْرَى وَقاسَيْنَا[10] لَكَ العُسْرَ بالْيُسْرِ

---

(١) في المصارع: بالبكى.

(٢) في المخطوط: التهجم. وهو تحريف، والتصويب من مصارع العشاق.

(٣) في المصارع: ونظرتما.

(٤) في المخطوط: يعيني الصبر.

(٥) وفي المصارع: وكان وجهها مثل القمر ليلة البدر.

(٦) الأبيات سبق ذكرها قبل قليل.

(٧) الشطر الثاني في المصارع على النحو التالي:

وما أنا بعد اليوم بالعتب ناطق

(٨) في المصارع: جلدي.

(٩) في المصارع: النهر، وما هنا أوفق.

(١٠) في المصارع: قايسنا.

فَأَنْتَ فَلاَ تَبعُدْ فَأَنْتَ أَخُو النَّدىَ　　جَميْلُ المُحيًّا في المُـرُوءَةِ والبِشْـرِ

قال أسره(١)، فلما سمعت ذلك منهما(٢) أدركتني الغيرة، فضربته ضربة قطعت بما(٣) يده وعنقه، فلما رأته قد سقط قالت لي:

ائذن لي أن أجمع بعضه إلى بعض. فأذنت لها فجمعته، وجعلت تمسح التراب عن وجهه بخمارها وتبكى، ثم شهقت شهقة خرجت منها(٤) نفسها، انتهى.

وعبد الله بن علقمة هذا لم يذكره المرزباني في معجمه، ولا في كتابه المستنير ولا أبو الفرج الأموي.

وذكرته في كتابي المسمى ترك المراء في الزيادة على معجم الشعراء(٥).

أنشدنا شيخنا العلامة محمود الحلبي لنفسه إجازة يخاطب الذي قتله:

بـالله أَمَـا كَففْـتَ فَإنَّـهُ　　قَـبْلَ الوُلُـوعِ بقَـتْله مَقْـتُولُ

لاَ تُشْـرِكَنَّ فـيْه الهَـوَى فَلَـهُ دَمٌ　　هَـدْرٌ عَلَـى حُكْـمِ الهَـوَى مَطْلُولُ

مَـاذَا بَخَلْـتَ بِـه عَلَـيْه المُقْلَـة　　تَهْمِـى وَدَمْـعٌ في الخُـدُود يَسِـيْل

أَوْنَظْـرَةَ يَـرْتَادُهَا وأمَامُهَـا　　بَـيْنٌ كَمَا حَكَمَ القَضاءُ طَوِيْلُ[٦٥/أ]

دَعْـهُ وَمَـا حَكَـم الفِـراق فَإنَّهُ　　لِلْحَتْـفِ فِي قَبْضِ النُّفُوس رَسُـولُ

❁ ❁ ❁

٣٤ – شهيد

[الحارث بن الشريد وعفراء بنت أحمر]

قال السري بن عبد المطلب:

كان الحارث بن الشريد مفتوناً بعفراء ابنة أحمر فبقي سقيماً برهة من دهره وكانت تحبه، فلما أجهده الأمر كتب إليها فيما ذكره السامري:

---

(١) في المصارع: قال الذي أخبر به.

(٢) في المخطوط: منها. والتصويب من المصارع.

(٣) في المصارع: منها.

(٤) في المصارع: معها.

(٥) يريد أنه استدرك عبد الله بن علقمة على من سبقه ممن ألف في الشعراء حيث لم يذكره من بينهم فاعتبر ذلك سقطًا فاستدركه لتتم الفائدة بالنظر فيما ألف هو من كتاب يتم به كتب السابقين ونيستفيد به اللاحقون.

وكانت هذه عادتهم وديدنهم دائماً ، فكانوا يحرصون على أن يقدموا خيراً لمن بعدهم لا ليظهروا تفوقاً علمياً على السابقين ولكن ابتغاء الأجر من رب العالمين، اللهم تقبل منا ومنهم أجميعن آمين آمين.

صَبَرْتُ عَلَى كِتْمَان حُبّك بُرْهَـــةً ... وَلِي منْك فِي الأَحْشَاء أَصْدَقُ شَاهد
هَوَ الْمَوْتُ إنْ لَمْ يَأتنِي منْك رُقْعَة ... تَقُومُ لِقَلْبـــي فِي مَقَـــام العَوَائـــدِ

فكتبت إليه:

كُفِيّتَ الّذي تَخْشَى وَصرْتَ إلَى المُنى ... وَنِلْتَ الّذي تَهوى بِرَغْمِ الحَوَاسد
وَوَاللهِ لَـــوْلاَ أنّ يُقـــالُ تَظُنّيـــا ... بِيَ السُّوْءَ مَا جَانَبْتُ فِعْلَ العَـــوَائد[١]

فلما وصلت الرقعة إليه وضعها على وجهه، شم رائحة يدها، وكانت من أعظم النساء في زمانها شهق شهقة ثم قضى نحبه.

فقيل لعفراء: ماكان يضرك لو روحت عن قلبه وأحييته بزورة؟

قالت[٢]: منعني من ذلك قولكم عفراء قد صبت إلى الحارث، ووالله لأقتلن نفسي على إثره من حيث لا يعلمن بي إلا الله تعالى ففعلت ذلك.

٣٥- شهيـــد
[النجدي العامري]

قال ابن داود:

يروى أن الحكم بن عمرو الغفاري[٣] كان يسير ببعض كور خراسان وهو واليها فسمع رجلاً يتغنى:

تَعَـــزَّ بصَـــبْرٍ لاَ وَرَبّـــك لاَ تَـــرَى ... سَـــنَامَ الحمَـــى أُخْرَى اللّيَالَى الغَوَابر

---

(١) يبين من طلب العاشق من معشوقته التذلل والرجاء فيما يخفف عنه ألم الفراق أو البعد ويبين منه أيضاً سرعة استجابتها لطلبه مع محاولة المحافظة على ما تبقى من حسن سيرتها وسمعتها غير أنها في نهاية القصة يظهر منها الجزع وعدم الصبر والانتحار على أرجح الظن ولا تبين لنا القصة سبب عدم التقاء الحبيبين والذي يتكرر دائماً هو رفض الولي الجمع بينهما على الأرجح.

(٢) في المخطوط: قال: وهو تحريف.

(٣) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٤٧٤/٢) الأمير، أخو رافع بن عمرو، وهما من بني ثعيلة، وثعيلة أخو غفار. نزل الحكم البصرة. وله صحبة ورواية وفضل وصلاح، ورأى وإقدام.

... روى هشام عن الحسن: أن زياد بن أبيه بعث الحكم بن عمرو، على خراسان، فغنموا فكتب إليه: أما بعد، فإن أمير المؤمنين كتب إلي: أن اصطف له الصفراء والبيضاء لا تقسم بين الناس ذهباً ولا فضة.

فكتب إليه الحكم: أقسم بالله لو كانت السماوات والأرض رتقاً على عبد، فاتقى الله، يجعل له من بينها مخرجاً، والسلام. ثم قال للناس اغدوا على فيئكم، فاقسموا.

قال خليفة: مات بخراسان والياً عليها سنة (٥١).

وقال الواقدي: سنة خمسين رضي الله عنه.

كَـأَنَّ فـؤَادِيَ مِنْ تَذَكُـرِه الحِمَـى وَأَهـلُ الحِمَى يهفُونَه رِيْش طَائـر

فوقف الحكم وقال: عَلَيَّ بالرجل. فلما أُتِيَ به قال: من أين؟

قال: رجل من أهل نجد عامري؟ قال: فهل لك في الحِمَى؟

قال: مالي إلى ذلك من سبيل، ولي بتلك البلاد أهل [٦٤/ب] وولد.

قال: فإني أحملك إلى أهلك وبلدك. قال: لا حاجة لي في هذا.

قال: ليس من هذا بُدٌّ، وأمر به أن يحمل، فاضطرب في أيديهم حتى مات.

قال ابن داود:

هذا من أعجب ما سمعت، ولا أعرف له عذرًا في الفرار من الموضع الذي يحبه ويهواه إلا أن يكون قد اتصل به عن محبوبه من الغدر مالا تنبسط على مثله يد الصبر، فإن المقام على البعد والفراق والتجلد على دواعي الاشتياق أهون عليه من مشاهدة ما لا طاقة له به عند التلاق.

وأنشد الشهاب محمود لنفسه إجازة:

يَـا قَمَـراً هَـانَ فِي هَـوَاهُ عَلَـيَّ كَـلّ مَـا لَـمْ يَكُنْ يَهُونُ
قُـرْبك وَهُـوَ المُـنَى تَـنَائِي عَـنْهُ التَـنَائي وَهُـوَ المْـنُونُ
كَـيْ لاَ تَـرَى العَيْـنَ مِنْـكِ مَالاَ تُغَضـَى عَلَـى مِثْـلِهِ الجُفُـونُ

۞ ۞ ۞

٣٦- شهيد
[جارية المأمون]

عن أبي حماد المراكبي فيما ذكره المعافى في كتاب الأنيس قال:

وصفت للمأمون جارية بكل ما توصف امرأة من الكمال والجمال(١).

---

(١) أرى في سرد مثل هذه الحكايات استخفافًا بعقول الناس لا من المؤلف ولكن من مؤلفيها ومخترعيها إذ ليس بهذه السرعة التي تشبه سريان الكهرباء في الأسلاك النحاسية، يتحول الإنسان الطبيعي إلى وضع الحب والهيام والتتيم والفنى والمرض والموت وكأن الإنسان وعاء فارغ ينتظر ما يملأ فيه، وبسرعة تدفق السائل يمتص الإناء ما يسكب فيه ويتحول إلى تركيبة وشكل آخر كما يريد ويهوى من يصب عفواً، لطفاً ورحمة بعقولنا فإنه ما زال فيها بقية من وعي ولا زال لدينا بعضٌ منها ندرك به ما يسرد علينا.
ثم إن هؤلاء تنسج حولهم القصص والحكايات التي تصورهم وكأنهم لاهم لهم سوى النساء، والخمور، وهم من هم جهاداً وورعا وعبادة وتقوى وحفظا لشرع الله تعالى.
ولقد كان عندهم من أمور الحكم ما يشغلهم عن هذا الذي يتصوره بعض السذج فإنه لو غفل

فبعث في شرائها، فأتي بها وقت خروجه إلى بلاد الروم، فلما هَمَّ ليلبس درعه خطرت بباله، فأمر فخرجت إليه، فلما نظر إليها أعجب بها وأعجبت به فقالت: ما هذا؟

قال: أريد الخروج إلى بلاد الروم.

فقالت : قتلتني يا سيدي ، ثم جرت دموعها على خدها كاللؤلؤ،وأنشأت تقول:

سَأَدْعُو دَعْوَةَ المُضْطَرِ رَبًّا يُثِيبُ عَلَى الدُّعَاءِ وَيسْتَجِيبُ
لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَكْفِيكَ حَرْبًا وَيَجْمَعُنَا كَمَا تَهْوَى القُلُوبُ

فضمها المأمون الى صدره وأنشأ متمثلاً يقول:

فَيَا حُسْنَهَا إِذْ يَغْسِلُ الدَّمْعُ كُحْلَهَا وَإِذْ هِيَ تُذْرِي الدَّمْعَ مِنْهَا الأَنَامِلُ
صَبِيْحَةَ قَلَتْ فِي العِتَابِ قَتَلْتَنِي وَقَتْلِي بِمَا قَالَتْ هُنَاكَ تُحَاوِلُ[٦٦/أ]

ثم قال لخادمه: يا مسرور احتفظ بها وأكرم محلها، وأصلح لها كلما تحتاج إليه من المقاصير والخدم والجواري إلى وقت رجوعي.

فلولا ما قال الأخطل:

قَوْم إِذَا حَارَبُوا شَدُّوا مَآزِرَهُم دُوْنَ النِّساءِ وَلَوْ بَاتَتْ بِأَطْهَارِ

لكان لي ولها شأن.

ثم خرج فلم يزل يتعاهدها ويصلح ما أمر به، فاعتلت الجارية علة شديدة أشفق عليها منها.

وورد نعي المأمون، فلما بلغها ذلك تنفست الصعداء، وتوفيت،وكان مما قالت وهي تجود بنفسها:

إِنَّ الزَّمَانَ سَقَانَا مِنْ مَرَارَتِهِ بَعْدَ الحَلاوَةِ أَنْفَاسًا وَأَروَانَا
أَبْدَى لَنَا تَارَةً مِنْهُ فَأَضْحَكَنَا ثُمَّ انْثَنَى تَارَةً أُخْرَى فَأَبْكَانَا
إِنَّا إِلَى اللهِ فِيْمَا نَرَاكَ لَنَا مِنَ القَضَاءِ وَمِنْ تَلْوِيْنِ دُنْيَانَا
دُنْيَا تَرَاهَا بَرِئْنَا مِنْ تَصَرُّفِهَا مَا لاَ يَدُوْمُ مُصَافَاةً وَأَحْزانَا
وَنَحْنُ فِيْهَا كَأَنَّا لاَ نُزَايِلُهَا لِلْعَيْشِ أَحْيَاؤُنَا يَبْكُوْنَ مَوْتَانَا[1]

=

حاكم لضاع ولضاعت رعيته ولتداعت عليه الأمم من حوله.

(١) القصة ذكرها السراج في مصارع العشاق (٢/١٥٧) كما هنا.

باب الخاء

٣٧- شهيد

[قتلى القرآن من الجن]

ذكر ابن أبي الدنيا عن خليد قال: كررت ليلة هذه الآية: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾(١) فنادى مناد لم تردد هذه الآية لقد قتلت بها أربعين نفرًا من الجن لم يرفعوا رءوسهم إلى السماء حتى ماتوا.

باب الدال

٣٨- شهيد

[الأسدي الكوفي والجارية المبيعة للبغدادي]

قال أبو بكر محمد بن خلف بن المزربان: حدثنا أبو بكر العامري حدثنا دعبل بن علي الخزاعي قال: كان بالكوفة رجل من بني أسد، عشق جارية لبعض أهل الكوفة، فتعاظم أمرها فكان يقول فيها الشعر.

ويذكر بعض أهل الكوفة: أنه مات من حبها وأنهم وضعوا له كتاباً في ذلك مثل كتاب جميل وبثينة، وعفراء وعروة، فباعها مولاها لرجل من أهل بغداد من الهاشميين.

فروى أنه مات حين خرجت [٦٦/ب] من الكوفة وأنه لما بلغها موته ماتت أسفاً عليه فمن شعره فيها:

---

(١) سورة آل عمران (الآية: ١٨٥) سورة الأنبياء (الآية: ٣٥)، سورة العنكبوت (الآية: ٥٧)، وسبق أن أشرت إلى أن غلاة الصوفية يختلقون مثل هذه القصص، فلم يكتف مؤلف هذه القصة بأن يخبرنا عن عالم الإنس حتى أخذنا إلى عالم ما وراء المشاهدة والذي منه عالم الجن بما خصه الله تعالى من هذه الخاصية التي اقتضاها لهم لحكمة يعلمها سبحانه ولو كان في ظهورهم فائدة لنا، ما منع الله ظهورهم كما أخفى عنا عالم الملائكة، وكثير من العوالم التي عرفنا بعضاً منها كعوالم الطير، وغير ذلك وعرفنا أن مخلوقاته أمم أمثالنا وأن لهم ما يقوم حياتهم ولهم طريقتهم في تسبيح ربهم سبحانه وتعالى بما ألهمهم وأوحى به إليهم فما يخصنا نحن بعالم الجن؟ وإن كان مكلفا كتكليفنا كما عرفنا ربنا بذلك، غير أننا لا يعنينا أمرهم في شيء كما لا يعنيهم أمرنا في شيء فنحن نؤمن أنهم موجودون كما يؤمنون أننا موجودون، ويروننا ولا نراهم لكن ليس بيننا وبينهم احتكاك من قريب ولا من بعيد، فلنقف عند حدود ما عرفنا ربنا سبحانه وحدود ما أراد لنا أن نعرف، فإننا لن نعرف أكثر مما أخبرنا به وأي محاولة وراء ذلك درب من دروب الخيال، والمحال، والكذب والتخمين وادعاء معرفة ما لم ينزل به سلطان رزقنا الله وإياكم حسن الاعتقاد وحسن الختام.

جَدّ الرَّحِيْلُ وَحثّني صَحبي | قَالُوا الرَّحِيْل فَطَيِّرُوُا قَلْبي
وَاشْتَقْتُ شَوْقًا كَادَ يَقْتلنـــي | فَالنَّفْسُ مُشْرِفَةٌ عَلَى نَحْبِي
لاَ صَبْرَ لِي عِنْدَ الفِراق عَلَي | فَقْد الحَبِيْب وَلَوْعَة الحُبِّ

٣٩- شهيـــد
[ابن الدوري الحمصي والصبي]

ذكرالشيرازي في كتاب روضة القلوب:

أنه رأى بحماة مؤدباً يقال له: ابن الدوري من حمص وكان فاضلاً في فنه فافتتن بصبي من صبيانه وهام به.

فبلغ ذلك أباه فمنع الصبي من المضي إليه ، وأرسله إلى مؤدب آخر كان عدواً له. فكرب لذلك وأسف، فكتب إلى أبيه يستعطفه.

فأجابه بأنه متى ذكره شكاه إلى السلطان.

فلما قرأ الرقعة أطرق ساعة واحمرت عيناه ووجهه حتى كاد يقطر منه الدم، ثم خاست[١] نفسه وجاءه القيء فخرج إلى باب المسجد فتقيأ قيئاً أسود، ومضى إلى بيته والدم يخرج من حلقه ساعة بعد ساعة فجيء له بطبيب فأخبر أن كبده انفطرت فعالجه ثلاثة أيام فلم ينقطع الدم ومات في اليوم الرابع.

باب الذال المعجمة
٤٠- شهيد
[الجارية ذات الأطمار وأسماك البحر]

قال ذو النون المصري[٢] فيما ذكره أبو عبد الله محمد بن جعفر القنطري في أماليه:

---

(١) التخويس : التنقيص ، وهو أيضاً ضمور البطن.
والمتخوس من الإبل الذي ظهر شحمه من السمن.
قاله ابن منظور في لسان العرب
قلت: والأول هو المراد.

(٢) قال ابن الملقن في طبقات الصوفية (ص٢١٨): ذو النون بن إبراهيم المصري الأخميمي أبو الفيض، أحد رجال الحقيقة. قيل اسمه: ثوبان، وقيل: الفيض.
وقيل: ذو النون لقبه واشتهر بذلك.
=

بينا أنا في ساحل البحر إذ بصرت بجارية عليها أطمار شعر، وإذا هي ناحلة ذابلة، فدنوت منها لأسمع ما تقول فرأيتها متصلة الأحزان فلما عصفت الرياح واضطربت الأمواج وظهرت الحيتان، فصرخت[1]، ثم سقطت إلى الأرض، فلما أفاقت قالت: سيدي بك تقرب المتقربون في الخلوات ولعظمتك، سبحت الحيتان في البحار الزاخرات بجلال قدسك، تصافقت الأمواج المتلاطمات، أنت الذي سجد لك سواد[٦٧/أ] الليل وبياض النهار في الفلك الدوار، والبحر الزخار، والنجم الزهار، وكل شيء عندك بمقدار، لأنك الله العلي الغفار، ثم أنشأت تقول:

يَا مُؤْنِسَ الأَبْرار في خَلَوَاتِهِم ... يَا خَيْرَ مَنْ حَطَّت به النُزَّالُ[2]
مَنْ ذَاقَ حُبَّك لاَ يَزَالُ مُتَيَّماً ... فَرِحَ الفُؤَادِ وَحَشْوه بَلْبَالُ

فقلت لها: عسى أن تزيدينا من هذا.

فقالت: إليك عني، ورفعت طرفها نحو السماء وقالت:

أُحبُّكَ حُبَّيْنِ حُبَّ الْوِداد ... وَحُبًّا لأَنَّكَ أَهْلٌ لذاكَا
فَأَمَّا الَّذي هُوَ حُبَّ الْوِدادَ ... فَحُبٌّ شُغلْتُ بِه عَنْ سُوَاكَا
وَأَمَّا الَّذي أَنْتَ أَهْلٌ لَهُ ... فَكَشْفُكَ للْحُجْبَ حَتَّى أَرَاكَا
فَمَا الْحَمْدُ في ذَا وَلاَ ذَاكَ لِي ... وَلكِن لَكَ في ذَا وَ ذَاكَا

ثم شهقت شهقة، فإذا هي ميتة.

فبقيت أتعجب مما رأيت منها، فإذا أنا بنسوة قد أقبلن عليهن مدارع

=
وكان أحد العلماء الورعين في وقته، نحيفاً تعلوه حمرة، ليس بأبيض اللحية.
وكان أسود نوبياً، فيما قيل.
سئل عن سبب توبته، فقال: خرجت من مصر إلى بعض القرى فنمت في الطريق في بعض الصحاري، ففتحت عيني، فإذا أنا بقنبرة عمياء، سقطت من وكرها على الأرض ، فانشقت الأرض فخرجت منها سكرجتان واحدة ذهب والأخرى فضة في إحداهما سمسم ، وفي الأخرى ماء ، فجعلت تأكل من هذا، وتشرب من هذا فقلت: حسبي، قد تبت، ولزمت الباب.
مات يوم الاثنين سنة خمس، وقيل: ست وأربعين ومائتين، ودفن بالقرافة الصغرى، وعلى قبره مشهد مبنى جلالة ومعه قبور جماعة من الأولياء.
قلت: وفي سرد ما ذكر ابن الملقن من حكاية توبته مبالغة.

(١) في المخطوط: صرخت. والفاء يتطلبها السياق.
(٢) جاء بالمصارع بعد هذا البيت بيت آخر هو:
من ذاق حبك لا يرى متبسمًا ... في طول حزن للحشا يغتال

الشعر،فاحتملنها، فغيبنها عني فغسلنها، ثم أقبلن بها في أكفانها فقلن لي: تقدم فصل عليها، فتقدمت فصليت عليها وهن خلفي، ثم احتملنها ومضين[1].

باب الرَّاء

٤١ – قتيل

[الغلام المنادي في الأسواق شوقاً وعبد الملك بن مروان[2]]

ذكر أبو القاسم على بن المحسن التنوخي عن أبي ريحانة أحد حجاب عبد الملك بن مروان قال: كان عبدالملك يجلس في كل أسبوع يومين جلوساً عاماً.

فبينما هو جالس في مستشرف له ، وقد أدخلت عليه القصص، إذ وقعت في يده قصة غير مترجمة، فيها: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر جاريته فلانة تغنيني ثلاثة أصوات، ثم ينفذ فيَّ ما يشاء من حكمه فعل. فاستشاط من ذلك غضباً، وقال: علي بصاحب هذه القصة.

فخرج الناس جميعاً ، فأدخل عليه غلام كما عذر كأهيأ الفتيان وأحسنهم. فقال له عبد الملك: يا غلام[٦٧/ب] أهذه قصتك؟

قال نعم يا أمير المؤمنين.

قال : وما الذي غرك مني ؟ والله لأمثلن ولأردعن بك نظراءك من أهل الجسارة.

[ثم قال][3]: علي بالجارية.

فجيء بها كأنها فلقة قمر بيدها عود فطرح لها كرسي، فجلست.

فقال عبد الملك: مرها يا غلام.

فقال لها: غني يا جارية بشعر قيس بن ذريح[4]:

---

(١) ذكر السراج القصة كما هنا في مصارع العشاق (٢٧٤/١) في الجارية الصوفية.

(٢) ذكر المؤلف هذه القصة أكثر من مرة وستأتي قريباً.

وقد ذكر السراج هذه القصة في مصارع العشاق (١٠١/٢)تحت عنوان: عبدالملك والغلام العاشق، وبالإسناد التالي: أنبأنا أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي رحمه الله حدثنا أبو بكر محمد بن عبد الرحيم المازني حدثنا أبو علي الحسين بن قاسم بن جعفر الكوكبي حدثنا الكديمي أبو العباس، أخبرنا السلمي عن محمد بن نافع مولاهم عن أبي ريحانة أحد حجاب عبد الملك بن مروان قال : فذكره.

(٣) سقطت العبارة من المخطوط وأثبتها من المصارع.

(٤) قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص١٤٧): هو من كنانة من بني ليث أحد عشاق العرب المشهورين بذلك وصاحبته لبنى كانت تحته فطلقها، وتتبعتها نفسه، واشتد وجده فكان يلم بها سراً من قومه.

=

لَقَدْ كُنْتُ حَسْبَ النَّفْسِ لَوْ دَامَ وُدّنَا ... وَلَكِنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعُ غُرُوْرِ
وَكُنَّا جَمِيْعاً قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ الهَوَى ... بِأَنْعَمِ حَالِي غِبْطَةٍ وَسُرُوْرِ
فَمَا بَرِحَ الوَاشُوْنَ حَتَّى بَدَتْ لَنَا ... بُطُونُ الهَوَى مَقْلُوبَةً بِظُهُوْرِ

قال: فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تخريفاً.

فقال له عبد الملك: مرها تغنيك الصوت الثاني.

فقال: غني شعر جميل[1]:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيْتَنَّ لَيْلَةً ... بِوَادِي القُرَى إِنِّي إِذاً لَسَعِيْدُ
إِذَا قُلْتُ مَا بِي يَا بُثَيْنَةُ قَاتِلِي ... مِنَ الحُبِّ قَالَتْ ذَاكَ مِنكَ يَزِيْدُ
فَلاَ أَنَا مَرْدُودٌ بِمَا جِئْتُ طَالِبًا ... وَلاَ حُبُّهَا فِيْمَا يَبِيْدُ يَبِيْدُ
يَمُوتُ الهَوَى مِنِّي إِذَا مَا لَقِيْتُهَا ... وَيَحْيَى إِذَا فَارَقْتُهَا فَيَعُودُ

قال: فغنته الجارية فسقط الغلام مغشياً عليه ساعة، ثم أفاق.

فقال له عبد الملك: مُرْهَا فلتغنيك الصوت الثالث.

فقال: يا جارية غني بشعر قيس بن الملوح [المجنون][2]:

وَفِي الجِيْرَةِ الغَادِيْنَ مِنْ بَطْنِ وَجْرَةٍ ... غَزَالٌ غَضِيْضُ المُقْلَتَيْنِ رَبِيْبُ

= فزوجها أبوها رجلاً من غطفان، وعاود قيس لزيارته إياها فخرج أبوها إلى معاوية وشكا له فنذر دمه إن هو ألم بها، فقال:

فإن يحجبوها أويحل دون وصلها ... مقالة واش أو وعيد أمير
فلن يحجبوا عيني من دائم البكا ... ولن يذهبوا ما قد يجن ضميري
إلى الله أشكو ما ألاقي من الهوى ... ومن كرب تعتادني وزفير

وكانت لبنى نذرت أن لا تقدر على غراب إلا قتلته، وذلك لطير قيس منه، وذلك قوله:

ألا يا غراب البين ويحك نبني ... بعلمك في لبنى وأنت حبير
فإن أنت لم تخبر بشيء علمته ... فلا طرت إلا والجناح كسير
ودرت بأعداء حبيبك فيهم ... كما تراني بالحبيب أدور

وهو القائل في تطليقه لها:

فأصبحت الغداة ألوم ... على شيء وليس بمستطاع
كمغبون يعض على يديه ... تبين غبنه بعد البياع

(١) جميل هو جميل بن معمر صاحب بثينة وقد مر الكلام عنهما فيما تقدم وهو من أمثال صاحبنا هذا في العشق بل أكثر منه شهرة في العشق وإن كان أكثر شهرة في الشعر.

(٢) ما بين المعقوفين زيادة من مصارع العشاق.

فَلاَ تَحْسَبَــي الغَرِيْبَ الَّذي نــأى ... وَلَكِــنْ مَنْ تَنْأين عــنْهُ غَرِيْبُ

فلما غنَّته [الجارية][1] طَرَحَ الغلام نفسه من المستشرف فلم يصل إلى الأرض حتى تقطع.

[٦٨/أ] فقــال عبد الملك: ويْحه لقد عَجلَ عليَّ بنفسه[2]، ولقد كان تقديري فيه غير الذي فعل. وأمر بالجارية، فأخرجت من قصره، ثم سأل عن الغلام.

فقالوا: غريب لا يعرف إلا أنه منذ ثلاث ينادي في الأسواق ويده على رأسه:

غَدًا يَكْثُرُ البَاكُوْنَ مِنَّا وَمِنْكُمُ ... وَتَزْدَاد دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بُعْدَا

٤٢ – شهيد

[الفتى ابن صديق الريان بن علي الأديب]

قال الريان بن علي الأديب في ما ذكره في عقلاء المجانين[3]:

عشق فتى من أبناء بعض أصدقائي جارية فأنحله العشق وتيمه، فزال عقله، وأخذ في الهجر والهذيان.

فمررت به ذات يوم في بعض الخرابات فقلت له: يا فلان ما حالك؟

قال بأسوأ حال، عقل هائم، وغمٌّ لازم وفكر دائم، ثم أنشأ يقول:

تَيَّمَنِي حُبُهَــا وَأَضْنَــانِي ... وَفِي بِحَــارِ الهُمُــومِ أَلْقَــانِي

كَيْفَ احْتِيَــالِي وَلَيْسِ لِي جَــلَدٌ ... وَدَفْــعُ مَــا بِي وَكَشْــفُ أَحْــزَانِي

يَارَبَ فَأَعْطِفْ بِقَلْبِهَــا فــعَسى ... تَرْحم ضَعْفِي وَطــول أَشْجَــانِي

ثم مررت به بعد أيام وهو يبكي ويتمرغ في التراب، فلما رآني قال:

يا عم إني ميت الليلة. فقلت: الله يكفيك، فقبض من ليلته.

٤٣ – شهيد

[ابن الرواس والمرأة الميتة]

قــال ابــن الجــوزي: كان ببغداد سنة ثمان وستين وأربعمائة غلام يقال له: ابن الرواس، يهوى امرأة فماتت، فحزن عليها وبقي أياما لا يطعم، ثم خنق نفسه فمات.

---

(١) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط وأثبته من مصارع العشاق.

(٢) في مصارع العشاق: عَجَّلَ عليَّ نفسه.

(٣) كــانوا يطلقــون على هؤلاء العشاق إذا خرجوا في عشقهم عن طور المألوف من الحب وأنواعه، من الهيام التيم والوجد إلى حد الهذيان أو ما لا يعقل أو يليق لفظ المجانين أو المجنون مجازاً أي المفتون، لذا تجد كلامًا موزونًا ورصينًا وجميلاً وبديعًا وشعرهم رائق وصاف وليس فيه ذكر حالهم وحال محبوبهم.

٤٤- شهيد

[الفتى العابد والجارية المتعبدة]

قال رجاء بن عمرو النخعي فيما ذكره الخرائطي: كان بالكوفة فتىً جميل الوجه شديد التعبد والاجتهاد، وكان أحد الزهاد فنزل في جوار قوم من النخع، فنظر إلى جارية منهم جميلة فهويها، وهام بها عقله[١]. ونزل بها مثل الذي نزل به، فأرسل يخطبها من أبيها. فأخبره أبوها أنها مسماة لابن عم لها.

فلما اشتد عليهما ما يقاسيان من ألم الهوى [٦٨/ب] أرسلت الجارية قد بلغني شدة محبتك لي، وقد اشتد بلائي لذلك مع وجدي بك، فإن شئت زرتك، وإن شئت سهلت لك أن تأتيني إلى منزلي.

فقال للرسول: ولا واحدة من هاتين الخلتين: ﴿**إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم**﴾[٢] أخاف ناراً لا يخبو سعيرها، ولا يخمد لهبها.

فلما انصرف الرسول إليها، فأبلغها ما قال.

قالت: وأراه مع هذا زاهداً يخاف الله تعالى؟ والله ما أحدٌ أحق بهذا من أحد، وإن العباد فيه لمشتركون، ثم انخلعت من الدنيا، وألقت علائقها خلف ظهرها، ثم لبست

(١) تعتبر هذه القصة من قصص المحظوظين من العشاق ويصدق فيهم قول القائل رب معصية جرت إلى طاعة وتوبة فكانت قصة هذا الشاب وتلك الفتاة من هذا القبيل فقد فكرت الفتاة في قضاء وطرها من هذا الشاب إلا أن الله حفظه وحفظها بما كان عند الشاب من الخوف من الله ومراقبته في السر والعلن وما هذا إلا أنه آثر حب الله تعالى على ما سواه ، وآثر ما عنده على ما في تلك الدنيا الفانية ونظر بعين الإيمان إلى عواقب الأمور لا إلى أوائلها فإن أوائلها كما قال القائل معظم النار من مستصعر الشرر.

ولما أن خاف الله أبدل الله ما في قلب محبوبته حباً له سبحانه، وأبدلها برجائه في الدنيا رجاء الآخرة ؛ لأن كلاً منهما وقف بعد ذلك عند حدود ما شرع الله تعالى، أما التعلق القلبي فلا متملك لما فيه.

أما الجانب الغير مضيء في تلك القصة فهو موقف الولي حيث تجاهل مشاعر ابنته، ووقف مستحجراً عندما وعد به ابن أخيه أنها له مهما تكن التكلفة أو التضحيات، وكأنها سلعة لا حسّ لها ولا إدراك ولا رأي، ولكن توضع حيث يرى لها صاحبها ويبيعها لمن يروق له وفي أي وقت شاء وبأي سعر.

وهذا ما حذر الإسلام منه وحض على استئذان واستئمار النساء قبل الاتفاق على الرفض أو القبول بعد العلم بحسن دين المرء وأخلاقه ، وإلا تكن الفتنة والفساد الكبير.

(٢) سورة الأنعام (الآية: ١٥)، يونس (الآية: ١٥)، الزمر (الآية: ١٣).

المسوح وجعلت تتعبد، وهي مع ذلك تذوب وتنحل حبًا للفتى وأسفاً عليه [حتى](١) ماتت تشوقاً إليه، فدفنت.

فكان الفتى يأتي قبرها فيبكي عنده ويدعو لها، فغلبته عينه ذات يوم على قبرها، فرآها في منامه وهي في أحسن منظر.

فقال: كيف أنت وما لقيت بعدي؟ فقالت:

نِعْمَ المَحبَّة يَا حَبِيْبي حُبكَ ... حُبًّا يَقُوْدُ إلىَ خَيْرِ وإحْسَانِ

فقال: على ذاك إلى ما صرت؟ فقالت:

إلىَ نَعِيْمٍ وَعَيْشٍ لاَ زَوَالَ لَهُ ... فِي جَنَّةِ الخُلدِ مُلْكٌ لَيْسَ بِالْفَانِي

فقال لها أذكرتيني هناك، فإني لست أنساك؟

فقالت: ولا أنا والله ما أنساك، ولقد سألت قربك من مولاي ومولاك فأعني على ذلك بالاجتهاد، ثم ولت مدبرة. فقال لها: متى أراك؟

قالت: ستأتينا عن قريب فترانا فلم يعش الفتى بعد الرؤيا إلا سبع ليال حتى مات.

٤٥ - شهيد

[الجارية التي أقسمت على الربيع أن يقبرها مع حبيبها]

وذكر عن الربيع بن زياد قال: رأيت جارية وهي تقول:

بنفسي فتىً أَوْلَى البَرِيَّة كُلّهَا ... وَأَقْوَاهُمْ فِي المَوْتِ صَبْراً عَلَى الحُبّ

[٦٩/أ] فقلت: بما صار أقواهم وأوفاهم؟

قالت: هويني، فكان أهلي إذا جاهر بحبي لاموه، وإذا كتمه عنفوه(٢)، فلما أخذه الأمر قال بيتين من الشعر لم يزل يرددهما إلى أن مات.

قلت: وما هما؟ قالت: قوله:

(١) زيادة يتطلبها السياق.

(٢) وتلك القصة أيضاً إنها لمن غرائب الأمور حيث لا هم زوجوا الفتى ممن يحب، ولا هم استحوا مما يقال في بنتهم من تشبيب وتغزل وكأن حسهم قد تبلد ومشاعرهم قد تحجرت بل واستلذوا ما قبح، واستقبحوا ما استلذ، فعجباً من الفطر عند انتكاسها، ومن الطباع عند تبلدها أتصير إلى حدٍّ لم تصل إليه الحيوانات. إن من الحيوانات لمن يغار على أنثاه، وإن منها لمن يحزن على إلفه إذا مات فلا يطعم حتى يموت من عدم الأكل وكثرة النواح كالكروان والفشن وأنواع أخرى كثيرة، وكم في الدنيا من العجائب حفظنا الله وإياكم ورزقنا حسن الختام.

يَقُوْلُونَ إن جَاهَرْت قَدْ عَضكَ الهَوَى ... وَإنْ لَمْ أَبُحْ بِالْحُبّ قَالُواْ تَصبَّرَا
فَمَا لِلّذي يَهْوَى وَيَكْتُمُ حبَّهُ ... مِنَ الأمْرِ إلاَّ أَنْ يَمُوتَ فَيُعْذَرَا

ووالله يا هذا لا أبرح أو يتصل قبرانا، ثم شهقت شهقة، وتصايح النساء، وقلن: ما قضت.

قال الربيع: والذي اختار لها الوفاة، ما رأيت أسرع ولا أوفى من أمرها.

٤٦ – شهيد

[الرباب ابنة امرئ القيس والحسين بن علي(١)]

وذكر: أن الرباب ابنة امرئ القيس كان زوجها الحسين بن علي فأحبها حبًّا شديداً.

قالت سكينة: فكنت أراه ينظر في وجهها، ثم يبتسم ويقبلها، وقال فيها:

لَعَمْرُكَ إنَّنِي لأُحبُّ دَاراً ... تَحلُّ بهَا سُكَيْنَة وَالرَّبَابُ
أُحِبُّهمَا وَأَبْذُلُ جُلَّ مَالي ... وَلَيْسَ لعاذل عِنْدي عِتَابُ

وكانت معه يوم أصيب فرجعت إلى المدينة مصابة مع من رجع.

فخطبها الأشراف، فقالت: والله لا يكون لي حَمو بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعاشت بعده سنة لا يظلها سقف بيت حتى بليت، ثم ماتت كمداً. ومن شعرها فيه:

---

(١) تعرض آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم لبلاء شديد بعد موت سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعد اندلاع فتنة المطالبة بدمه، وما كانت تلك إلا ذريعة ، يَتذرع بها أعداء الإسلام من السبئية وأعوانهم ليقضوا على دعوة الحق في ظنهم إلا أن الله تعالى أبى إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون فاستمرت مسيرة الإيمان وأشرق نور الإسلام على الأرض كلها حتى بلغ أيامنا نحن وسيبلغ من بعدنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما مكر الكافرين إلا كخيوط وبيوت العنكبوت وإنها لمن أوهن البيوت كما وصف ربنا.
وقد نال آل بيت رسول الله القدر الأكبر من تلك الفتنة، نعم كُلّ على قدر إيمانه أصابه، وكل على قدر تحمله ابتلاه الله عز وجل، وكان من بين هؤلاء الإمام الشريف الكامل سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته من الدنيا أبو عبد الله الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة مع أخيه الحسن فكان مصاب الأمة فيه كبيرًا وكان جرحاً لا يزال ينزف منه كل قلب تشبع بالإيمان إلى يومنا هذا وإلى أن تقوم الساعة فإني أتناسى دائماً تلك الفترة من تاريخ الأمة الإسلامية، لما فيها من آلام وأحداث لا يمكن أن تخطر على بال إنسان ولا يمكن أن يتصور حدوثها في تلك الفترة، التي هي في القرن الأول والذي هو أول الأخيار الثلاثة التي وصف لنا نبينا صلى الله عليه وسلم.
عفا الله عن الجميع ورزقنا السير على النهج الذي يرضيه عنا برحمته آمين.

إنَّ الَّذي كَانَ نُورًا يُسْتَضَاءُ بِـهِ | بكَرْبَـلاَء قَتِيْـلاً غَيْـرَ مَدفُـوْنِ
سِبْطَ النَّبي جَـزَاكَ اللهُ صَالحَـةً | منْـهُ وَجُنِّبْـتَ خُسْـرانَ المَوَازِيْـنِ
قَدْ كُنْتَ لِي جَبَلاً صَعْباً أَلُوْذُ بِـهِ | وَكُنْتَ تَصْحَبُنَـا بالرَّسْـمِ وَ الدِّيْـنِ
مَنْ لِلْيَتَامَى وَمَنْ للسَّائلينَ وَمَـنْ | يُغْنِي وَيأْوَى إليْه كُلّ مسْكيْنِ[٦٩/ب]
وَاللهِ لاَ أَبْتَغِي صِهْـرًا بِصِهْرِكُمُ | حَتَّى أُغَيَّب بَيْنَ الرَّمْـلِ والطِّيْـنِ(١)

باب الزاي

٤٧- شهيد

[من مات عند قوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾(٢)]

قال بهز بن حكيم فيما ذكره ابن أبي الدنيا: أمَّنا زرارة بن أبي أوفى(٣) في مسجد بني قسيرًا، فقرأ المدثر فلما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ خر ميتاً. قال بهز: فكنت فيمن حمله.

٤٨- شهيد

[من مات عند قوله تعلى: ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق﴾]

قال الزبير بن عيسى: بينا رجل يطوف إذ سمع رجلاً يصلي خلف المقام، ويردد هذه الآية: ﴿ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق(٤)﴾.

---

(١) ذكر الأستاذ محمد رضا كحالة في كتاب أعلام النساء الرباب، ولم يزد في ترجمتها على أن ذكر شعرها وشعر سيدنا الحسين الواردين هنا (١/ ٤٣٨) وقال: شاعرة من شواعر العرب، وكانت من خيار نساء عصرها وأفضلهن ثم ذكر رثاءها في سيدنا الحسين.

(٢) سورة المدثر (الآية: ٨).

(٣) هو الإمام الكبير، قاضي البصرة أبو حاجب العامري، البصري، أحد الأعلام. صح أنه قرأ في صلاة الفجر، فلما قرأ: ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ [المدثر: ٨] خر ميتًا وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين.

عن صالح المري عن قتادة عن زرارة بن أوفى عن ابن عباس قال: سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي العمل أحب إلى الله؟ فقال: "**الحال المرتحل**". قال: يا رسول الله، وما الحال المرتحل؟ قال: "**صاحب القرآن يضرب في أوله حتى يبلغ آخره وفي آخره حتى يبلغ أوله**"

ثم ذكر خبر موته عن بهز كما هنا. سير أعلام النبلاء [٤/٥١٥].

(٤) سورة الأنعام [الآية: ٦٢]، أحسب أن هذه القصة والتي قبلها وما هو على شاكلتها من

فجعل الرجل يصرخ ويضطرب حتى مات.

٤٩ - قتيل

[زرعة بن رقيم الحميري ومفداة][(١)]

قال ابن دريد: حدثنا أبو السكن عن العباس بن هشام عن أبيه عن جده قال حدثنا مصدع بن غلاب الحسيري وكان مخضرماً قال: حدثني أبو غلاب قال: كان بذمار[(٢)] فتى من حمير من أهل بيت شرف يقال له: زرعة ابن رقيم وكان جميلاً شاعرًا لا تراه امرأة إلا صبت إليه وكان في ظهر ذمار رجل شيخ كثير المال وكانت له بنت تسمى مفداة بارعة الجمال حصيفة اللب[(٣)] ذات لسان مصلق[(٤)]، تفحم البليغ، وتخرس المنطيق.

وكان زرعة يتحدث إليها في فتية من الحي، وكان [ممن[(٥)]] يتحدث إليها فتى من قومها يقال له: حيي، ذو جمال وعفاف وحياء، وكانت تركن الى حديثه، وتشمئز[(٦)] من زرعة لرهقه[(٧)]، فساء ذلك زرعة، وأحزنه.

فاجتمعا ذات يوم عندها، فرأى إعراضها عنه وإقبالها على حيي فقال:

صُدُوْدٌ وَإعْرَاضٌ وَإظْهَار بَغْضَةٍ ... عَلاَمَ وَلِمِ يَابِنْتَ آل العُذافِرِ

فقالت مجيبة له:

علَى غَيْرِ مَا سَوءٍ[(٨)] ولكنَّكَ امْرؤٌ ... عُرِفْتَ بِغـلِ[(٩)] المُومِسَات العَوَاهِرِ

=

موافقـات القدر أن تأتي منية إنسان في لحظة معينة عند حدث أو قول فيكون نوعاً من البشارات التي يستبشر بها الناس وليس للحدث أو للقول دخل في أجل من وافقه.

(١) القصة في مصارع العشاق [١/١١٥] تحت عنوان: لم يفتها جواره ميتًا، والإسناد التالي أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن طاهر الدقاق بقراءتي عليه قال أخبرنا الأمير أبو الحسن أحمد بن محمد المكتفي بالله قال: حدثنا ابن دريد قال: حدثنا السكن بن سعيد عن العباس بن هشام عن أبيه عن جده قال: حدثني مصدع بن غلاب فذكر ما هنا من إسناد ثم ذكر الخبر كما هنا.

(٢) ذمار هذا موضع قريب من صنعاء اليمن.

(٣) أي متوقدة الذكاء ببيهة العقل.

(٤) أي: مفوهة بليغة.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من المصارع.

(٦) أي لا تستريح له وتنفر منه.

(٧) أي لخفة عقله وطيشه وعدم رزانته ولا هدوء في حال وجوده معها، أو بين الجالسين.

(٨) في مصارع العشاق: شر.

(٩) أي: زيـر نساء والمراد يدخل على البغايا ابتغاء قضاء وطره منهن، وهو شيء تكرهه ولا يليق بمن =

فقال حيي: [٧٠/أ]

جَمَالُكَ يَـــا زَرْعَ بن أَرْقَمَ إِنَّما ... يُنَاجِي القُلُوبَ بِالْعُيُونِ النَواظِرِ

فقال زرعة:

فَإنْ كَان ممَاَ خَس[١] حظي لأنَّني ... أُصَابِي فَتُصَيْبِني عُيُونُ القَصَــائر

فإِنِّي كَــرِيْمٌ لاَ أُزَن بِرِيْبَـــــةٍ ... ولاَ يَعْتَرِي ثَوْبِي رَيْنَ العَوَاهِرِ[٢]

فقالت المُفدَّاةُ:

كَذَاكَ فَكُن يَسْلَمْ لَكَ الْعَرْض إِنَّهُ ... جَمَالُ امْرِئٍ أنْ يُصْبِح العِرْضُ طَاهِرِ[٣]

فقال حيي:

حَيَاءَكمَا لاَ تَعْصِياهُ فَإِنَّمَا ... يُضيعُ الحَيَاءَ مَـــنْ لاَ يُوَقِّي المَعَائر[٤]

فانصـــرف زرعة، وقد خامره من حبها ما غلب على عقله، [فغبر أياماً عنها][٥] ومنعه من الطعام والشراب، والقرار فقال:

أَيَا بُغْيَةُ[٦] أهْدَتْ إلى القَلْب لَوْعَةً ... لَقَـــدْ خُبِئَـــتْ لي مِنْكَ إحْدىَ الدَّهَارس

وَمَا كُنْتُ أَدْرِي وَالعَطَـايَا[٧] مُظِلَّةٌ ... بــأَنَّ حمَــامي يُخْــفَ لَحْــظَ مَخالسِ

حَبَسْتَ[٨] عَلَى مَكْتُوبِهِ القَلْبَ طَائعاً ... فَيَا طَوْعَ مَحْبُوسٍ لأعْنق[٩] حَابِــسِ

فشاع هذا الشعر في الحي وبلغ المفداة، فاحتجبت عنه، وامتنعت عن محادثة الرجال.

=

هو من أهل الدين والشرف والعفاف

(١) فإن كان ممن أنقص حظي أو حظوتي أو حط من قدري هذا الأمر فإنه ليس كما تظنين.

(٢) في المصارع: لا يعتري ثوبي رين المعاير..

(٣) في المصارع: على النحو التالي:

ينال امرأً أن يرتدي عرض طاهر

(٤) الشطر الثاني في المصارع على النحو التالي:

يكون الحياء من توقي المعاير

والمعنى واحد أو قريب.

(٥) ما بين المعقوفين من مصارع العشاق.

(٦) في المصارع : يا بغيه. بدون ألف في أول أداة النداء في صدر البيت.

(٧)في المصارع: البلايا.

(٨) في المصارع: جلست.

(٩) في المخطوط: لاعتق ، والتصويب من مصارع العشاق.

فامتنع زرعة من الحركة والطعام فغبر[١] بذلك حولاً، ومات عظيم من عظماء القبائل فبرز مأتم النساء، فبلغ زرعة أن المفداة في مأتم من تلك المآتم[٢]، فاحتمل حتى آتى[٣] نشزًا، واجتمع إليه لِداتُهُ يفندون رأيه، ويعذلونه.

فأنشأ يقول:

لَمْ يُلَمْ فِي الهَوَى[٤] مَنْ كَتَمَ الحُبَّ ... وَأَغْضَى عَلَى فُؤَادٍ لَهِيْدِ[٥]

[٧٠/ب] صَابِنَا ذَاكَ لاسم[٦] مَنْ جَلَبَ السَّقْمَ عَلَيْهِ وَنَفْسُهُ في الوَرِيْدِ

ثم شهق شهقة فمات.

وتصايح أصحابه ونساؤه، وبلغ المفداة خبره، فقامت نحوه حتى وقفت عليه وقد تعفر وجهه بالتراب[٧]، وأهله ينضحونه بالماء، فهمت أن تلقى نفسها عليه، ثم تماسكت وبادرت خباءها فسقطت تائهة العقل تكلم فلا تجيب سحابة يومها، فلما جن عليها الليل رفعت عقيرتها[٨] فقالت:

بِنَفْسِي يا زَرْعَ بن أَرْقَمَ لَوْعَةٌ ... طَوَيْتُ عَلَيْهَا القَلْبَ والسِّرُّ كَاتِمُ

لَئِنْ لَمْ أَمُتْ حُزْنًا عَلَيْكَ فَإِنَّنِي ... لآلامُ مَنْ نِيْطَتْ عَلَيْهِ التَّمائِمُ

لَئِنْ فُتَّنِي حَيًّا فَلَسْتَ بِفَائِتِي ... جِوَارُكَ مَيْتًا حَيْثُ تَبْلى الرَّمَائِمُ

ثم تنفست أنبه من حولها، فإذا هي ميتة.

فدفنت إلى جنبه فقالت امرأة من حمير أشْبَلَتْ[٩] على ولدها بعد زوجها:

وَفَّيتُ لابْنِ مَالِكِ بن أَرْطَاه ... كَمَا وَفَّتْ لِزُرْعَةَ المُفَدَّاه

[وَاللَّهِ لاَخِسْتُ بِهِ أَوْ أُلْقَاه[١٠]] ... حَيْثُ تَلاَقَى وَامِقٌ مَنْ يَهْوَاهُ

---

(١) أي امتنع عن فعل الشيء الذي كان يفعل أو يعتاد.

(٢) في المصارع: الجملة مختصرة على هذا النحو أن المفداة في المأتم.

(٣) في المصارع: تناءى.

(٤) في المصارع: الوفاء.

(٥) أي القلب الحسير الحزين المنكسر.

(٦) في المخطوط صائباً ذاك لائيم، والتصويب من مصارع العشاق.

(٧) هذه الكلمة ليست في مصارع العشاق.

(٨) أي رفعت صوتها بتلك الأبيات معبرة عما يجيش في نفسها غير آبهة بما يقال عنها أو ما ينتج عنه من ردود فعل، فكان فيما قالت حتفها.

(٩) المرأة تقف نفسها على أولادها.

(١٠) سقط الشطر الأول من هذا البيت في المخطوط، وأثبته من مصارع العشاق.

مِــنْ مُمْتَطى ناحِيَةَ شَمَرْدَاه　　　وَعَاثِرٌ قَدْ خَذَلَتْهُ رِجْــلاهُ

قال ابن دريد: يريد قول الجاهلية: إن الناس يحشرون ركباناً على البلايا، ومشاة إذا لم يعقر[1] مطاياهم على قبورهم وهو شيء كان من فعل الجاهلية. انتهى. وزرعة هذا لم يذكره المرزباني ولا الأموي. وذكرته في كتابي مستدركاً عليهما وكذلك حَيِّا. والله الموفق.

٥٠ - قتيــل

[فتاة بني نهد وزوجها صائد الظبي[2]]

ذكر أبو الفرج الأموي عن الزبير بن بكار قال: انصرفت من عمرة المحرم، فبينا أنا ناحية العرج، إذا أنا بجماعة مجتمعة، فأقبلت إليهم، فإذا برجل يقنص الظبي، وقد وقع ظبي في حبالته فذبحه، فانتفض في يده، فضرب [٧١/أ] بقرنه صدره، فنشب القرن فيه فمات فأقبلت فتاة كالمهاة، فلما رأت زوجها ميتاً شهقت ثم قالت:

يَا حُسْنُ[3] لَوْ لَمْ يَطُلْ لَكِنَّهُ أَجَــلٌ　　　عَلَى الإِثَابَةِ مَا أَوْدَى بِهِ بَطَــلُ

يَا حُسْنُ[4] جَمَّع أَحْشَائي وَقَلْقَلَهَا　　　وَذَاكَ يَا حُسْنُ[5] لولا غَيْرِه جَلَلُ

أَضْحَتْ[6] فَتَاةُ بَني نَهْدٍ عَــلاَنية　　　وَبَعْلُهَا بَيْنَ أَيْدِي القَوْمِ مُحْتَمَلُ[7]

ثم شـــهقت فماتـــت. فما رأيت أعجب من ثلاثة: الظبي مذبوح، والرجل ميت جـــريح، والفتاة ميتة جوى، فلما حدث بها أحمد بن عبدالله بن طاهر أعطى عشرة آلاف درهم وقال: ما استفدناه من الشيخ أكثر مما استفاده منا. فقلت: أي شيء هو؟

قال : قوله : علانية أي ظاهرة ، وهذا حرف لم أسمعه في كلام العرب قبل هذا.

---

(١) العقـــر هـــو ضرب قوائم الناقة أو الفرس أو أي دابة حتى لا تنتقل من مكانها وكان أهل الجاهلية يفعلـــون ذلك بمطايا الميت عند قبره ليركبها عند البعث وهو أشبه بما كان يفعله قدماء المصريين بموتاهم.

(٢) ذكـــر القصـــة الســـراج في مصارع العشاق (٥٦/٢) بنحوها تحت عنوان: ميتان وامرأة حرى، وإســـناده على النحو التالي: أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بالشام بقراءتي عليه أخبرنا علي بن أبي علي البصري حدثنا الحسين بن محمد بن سليمان الكاتب حدثنا جحظة قال:

(٣) في المصارع: يا خَشْنُ.

(٤) في المصارع: يا خَشْنُ.

(٥) في المصارع: يا خَشْنُ.

(٦) في المصارع: أمست.

(٧) الأبيات الثلاثة بنحو مما هنا وبها كلمات مستبدلات تعطي معاني ما هنا.

بـــاب السيـــن

٥١- شهيـــد

[الفتى الخائف من الآخرة والمرأة المتعبدة على يديه(١)]

قال جعفر بن معاذ: أخبرني أحمد بن سعيد العابدي [عن] أبيه فيما ذكره السراج قال: [كان(٢)] عندنا بالكوفة شاب يتعبد لازماً للمسجد ولا يكاد يخلو منه، وكان حسن الوجه والقامة والسمت، فنظرت إليه امرأة ذات يوم فشغفت به، وطال ذلك عليها، فلما كان ذات يوم وقفت له على طريقه وهو يريد المسجد.

فقالت له: يا فتى، اسمع مني كلمات أكلمك بها.

فأطرق وقال لها: هذا موقف تهمة(٣)، وأنا أكره أن أكون للتهمة موضعاً.

فقالت له: والله ما وقفت موقفي هذا جهالة من أمرك، ومعاذ الله أن يتشوف العباد إلى مثل هذا مني؛ والذي حملني على هذا هو أن جوارحي كلها مشغولة بك، فالله الله في أمري وأمرك.

قال: فمضى الشاب إلى منزله، وأراد أن يصلي، فلم يعقل كيف يصلي(٤) فأخذ قرطاسًا، فكتب كتاباً، ثم خرج [٧١/ب] من منزله، وكان في الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم

اعـــلمي أيـــتها المرأة أن الله تبارك وتعالى إذا عصي حلم، فإذا عاود العبد المعصية ستره، فإذا لبس ملابسها غضب الله عز وجل غضبة تضيق بها السماوات والأرض والجبال والشجر والدواب، فمن ذا يُطيق غضبه؟

فـــإن كان ما ذكرت باطلاً ، فإني أذكرك : ﴿**يوم تكون السماء كالمهل**﴾(٥) وتجثو

---

(١) تشبه هذه القصة بالقصة التي مرت في الترجمة رقم (٤٣) تحت عنوان:
الفتى العابد والجارية المتعبدة، وراجع قولي فيها هناك وهو ينجر على تلك القصة.

(٢) زيادة يتطلبها السياق.

(٣) يـــريد موقف شبهة ، وعلى العاقل أن يجنب نفسه مواضع ومواطن الشبهات حتى لا يكون عرضة لقول قائل أو لفتنة جاهل.

(٤) كـــذا هي نفس الإنسان تقاومه ويقاومها توافقه تارة وتشرد منه أخرى يتبعها مرة، وتتبعه أحياناً فهـــو معها على صراع دائم ومن النفوس ما هو ذكي نقي يلوم صاحبه على التفريط ويحثه على الطاعة، وهذا النوع نوع طيب كريم أقسم به الله تعالى فقال: ﴿**لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة**﴾.

(٥) سورة المعارج (الآية: ٨).

الأمم لصولة الجبار العظيم ، وإني والله قد ضعفت عن إصلاح نفسي فكيف بإصلاح غيري؟

وإن كان ما ذكرت حقاً، فإني أدلك على طبيب يداوي هذه الكلوم الممرضة والأوجاع، وهو رب العالمين، فاقصديه على صدق المسألة، فإني مشغول عنك بقول الله عز وجل: ﴿**وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾ (١) فأين المهرب من هذه الآية(٢)؟

قال: فجاءت له بعد أيام.

فلما رآها من بعيد أراد الرجوع إلى منزله لئلا يراها.

فقالت: يا فتى لا ترجع، فلا كان الملتقى بعد هذا أبداً إلا بين يدي الرب عز وجل ثم بكت بكاء شديدًا.

ثم قالت: أسأل الله الذي بيده مفاتيح قلبك أن يسهل ما قد عسر من أمرك ثم تبعته فقالت: امنن عَليَّ بموعظة أحلمها عنك، وأوصني بوصية أعمل بها.

فقال لها: أوصيك بوصية نفسك من نفسك، وأذكرك قوله تعالى:

﴿**وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار**﴾ (٣).

قال: فأطرقت وبكت بكاء أشد من بكائها الأول، ثم فاقت فقالت:

واللهِ مَا حَمَلَتْ أُنْثَى وَلاَ وَضَعَتْ   إنْساً كَمِثْلِكَ فِي مِصْرِي وأحْيَاءِ

وذكرت أبياتاً لم يحفظ منها إلا قولها:

[٧٢/أ] لأَلْبَسَنَّ لِهَذَا الأَمْرِ مَدْرَعَةً   وَلا رَكَنْتُ إلَى لَذَات دُنْيَايَا

ثم لزمت بيتها وأخذت في العبادة(٤).

قال: فكانت إذا أجهدها الأمر تدعو بكتابه فتضعه على عينها.

فيقال(٥) لها: وهل يغني هذا شيئاً فتقول: وهل لي دواء غيره.

---

(١) سورة غافر (الآية: ١٨، ١٩)

(٢) هكذا تكون الدعوة، وهكذا تكون التقوى، ومثل هؤلاء من يدخل في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، جعلنا الله وإياكم منهم برحمته آمين.

(٣) سورة الأنعام (الآية: ٦٠).

(٤) انظر إلى الدعوة إذا كانت صادقة من الداعي لم يبتغ من ورائها سمعة ولا مصلحة و لم يراع فيها غير الله عز وجل كيف هي في نفس المدعو إن لها لسلطانًا لا يعلم مداه إلا من علم بصدق من يدعو إليها فنظر من بحر رحمته تجعل الكافر ولياً وها هي ذي تلك المرأة جاءت بادئ أمرها تدعوه لما كانت تدعوه ، فأخذها من حضيض العهر والرذيلة إلى ذرى الإيمان والطهر والعفة والفضيلة.

(٥) في المخطوط: فقال. وهو تحريف، والتصويب من مصارع العشاق.

بَاتَ كِتَابُ الحَبِيْب نَدْمَانِي   مُحَدِّثِي تَارَةً وَرَيْحَانِي
أَضْحَكَنِي بِالْكِتَابِ أَوَّلَهُ   ثَمَّ تَمَادَى بِهِ فَأَبْكَانِي

وكان إذا جن عليها الليل قامت إلى محرابها فإذا صلت قالت:

يَا وَارِثَ الأَرْضِ هَبْ لِي مِنْكَ مَغْفِرَةً   وَحُلْ عَنِّيَ هَوَىَ ذَا الهَاجِرِ الدَّانِي
وَانْظُرْ إلى خَلَّتِيَ[1] يَا مُشْتَكَى حـزْنِي   بِنَظرةٍ مِنْكَ تَجْلُو كُلَّ أَحْزَانِي

ثم لم تزل على ذلك حتى ماتت كمدًا[2]، فكان الفتى يذكرها بعد موتها، ثم يبكي عليها.

فيقال : مما بكاؤك وأنت قد أيستها؟

فـيقول إني ذبحت طمعها مني في أول أمرها وجعلت قطعها دخيرة لي عند الله عز وجل وإني لأستحي من الله تعالى أن أسترد دخيرة دخرتها عنده.

وفي رواية: فلما أخذت المرأة الورقة ابتليت ببلية في جسمها، فكان الطبيب يقطع مـن لحمها أرطالاً، وكان قد عرف حديثها مع الفتى، فكان إذا أراد أن يقطع من لحمها يحدثهـا بحديث الفتى فما كانت تجد لقطع ذلك اللحم ألمًا، ولا كانت تتأوه، فإذا سكت عن ذكره تأوهت وصرخت.

فلم تزل على ذلك حتى ماتت كمدًا[3].

٥٢- شهيـد

[رجل من ولد سعيد بن العاص، وقيل من ولد عثمان بن عفان وجارية، وقيل: اسمها نفيسة السهمية]

ذكـر الزبير بن بكار أن رجلاً من ولد سعيد بن العاص عشق جارية مغنية بالمدينة فهام بها دهرًا وهو لا يُعلمها بذلك، ثم إنه ضجر.

---

(١) الخلة: الحاجة والفقر والعوز.

(٢) ومن المعلوم أن الأحزان تفضي كثيراً إلى أمور خطيرة وكلنا يعلم قصة سيدنا يعقوب وحزنه على سـيدنا يوسف والذي أفضى إلى أبيضاض عينيه كما أخبرنا ربنا في قرآنه الكريم فأنا لا أستبعد مسـألة الموت كمداً في مصارع العشاق حيث أعتبره نوعًا من المرض الذي يصيب القلب فيتلفه فينـتهي أمر صاحبه إلى الموت، والله تعالى أعلى وأعلم، كما ظهرت في عصورنا أمراض عديدة لـلحزن: أشـهرها مرضا الضغط والسكر، قد علل الأطباء كثرة انتشارهما إلى الكبت النفسي ، الذي يعاني منه معظم الناس في تلك الأيام.

(٣) القصة بتمامها كما هنا في مصارع العشاق (٤٥/١) تحت عنوان: من الحب اليائس إلى التعبد.

فقال: والله لأباوحنها[1]، فأتاها عشية فقال لها: بأبي أنت أتغنين:

أُحبّكم حُبًّا بكلِّ جَوارحي ... فَهلْ لَكُمْ علْمٌ بِمَا لَكُمْ عنْدي؟

|٧٢/ب|أتَجزُونَ بالْوُدِّ المُضاعَفِ مثْلَهُ ... فإنّ الكَريمَ مَنْ جزَى الْودّ بالوُدّ

قالت: نعم أغني أحسن منه، ثم غنت:

للّذي ودَّنا المَودّةَ بالضِّعْف ... وفَضْل البَادي بهَا لاَ يُجازَا

لَوْ بدَا مَا بنَا لَكُمْ مَلأَ الأرْضَ ... وأقْطَارَ شَامِهَا والحجَازَا

فازداد بها كلفًا وعشقًا، واتصل ما بينهما فبلغ الخبر عمر بن عبد العزيز وهو أمير المدينة فابتاعها وأهداها له[2]. فسكنت عنده سنة ثم ماتت.

فبقي مولاها شهراً ثم مات أسفاً عليها وكمداً.

فقال أبو السائب واسمه عبد الله: حمزة سيد الشهداء، وهذا سيد العشاق. فامضوا حتى نجزيه كما كبر النبي صلى الله عليه وسلم على حمزة سبعين تكبيرة[3].

قال الزبير وبلغ أبا حازم الخبر، فقال: أما من محب في الله يبلغ مبلغ هذا؟

وزعم أبو الفرج الأصبهاني في كتاب القيان: أن الرجل من ولد عثمان بن عفان، وأن الجارية اسمها نفيسة جارية سهمية، وكانت حسنة الوجه والغناء وممن أخذ عن معبد، وأنه هويها وهويته حتى اشتهر أمرها، وعذله ذوو النباهة من أهل بيته فلاموه، وهو مطرق، فرفع رأسه إليهم فقال:

---

(١) أي لأخبرنها بما أكنه لها من حب وإعجاب واستلطاف.

(٢) أنظر إلى حكمة الحاكم وخوفه على أفراد شعبه ورعيته وكيف يعالج قضاياهم وأمورهم ويحل مشاكلهم التي نراها نحن بسيطة أو تافهة حتى لا تكون صعيرة على صغيرة فتصبح جبالا من المشاكل والهموم الكبيرة في الدولة يصعب تداركها.

(٣) هذا خلط بين الأمور فكيف يماثل بين موقفين متباينين تماماً رجل يقف وسط ساحات الوغى وأشدها وأشهرها ويوم أن فر أقوى الرجال وأشجعهم فيثبت في موقعه وينافح عن دين الله عز وجل ويقتل عدداً من صناديد الكفر وحتى لا يستطيع أحد أن يقف في وجهه إلى أن تمتد إليه يد الغدر والاغتيال وتحاك ضده المؤامرة في وسط ساحة القتال فلا يواجه بل يغتال.

وهذا الذي قتله الحب والوله والعشق والتتيم والهيام، فيجمع بينهما هذا برباط السيادة، أو يعقد لهما لواء الريادة ويجمع لهما في صلاة الجنازة بهذا العدد من التكبيرات.

فإني ما أرى أن في ذلك التشبيه أدنى توفيق ولا يستحق أن يستشهد بمثل هذا القول الذي هو زلة لعالم أو سقط متاع أو غفلة عقل أو اندهاش موقف أجرى على لسان قائله ما قال عن غير قدرة على التعبير عما رأى.

إني والله كما قلت في نظرائكم لأمري منها وهي حاضرة فقلت:

أَنْت عُـذْرُ الفَتَى إذا هُتِكَ السِّتْر ... وإنْ كَانَ يُوسُفَ المَعْصُومَا
مَنْ يَلُمْ في هَوَاكِ يُؤْزَرُ عَلَى اللَّوْمِ ... وَلَمَّا رَآكِ كَانَ المَلُومَا

فبلغ خبره عمر بن عبد العزيز، وهو إذْ ذاك والي المدينة فاشتراها ووهبها له مع ما يصلح لها.

فمكثت عنده حولاً ثم ماتت فقال فيها: [٧٣/أ]

قَدْ تَمَنَّيْتُ جَنَّةَ الخُلْدِ في ... الدُّنْيَا فَأُعْطِيتَهَا بلاَ اسْتمهَالِ
ثُمَّ أُخرْتُ إذْ تَطَمَّعْتُ بالنِّعْمَةِ ... فِيْهَا فَالمَوْتُ أحْسَنُ حَالِ

ثم مكث بعدها مدة يسيرة لا ينتفع بنفسه ثم مات، فدفن إلى جانب قبرها.

فقال أشعب: هذا سيد أهل الهوى في زمانه، ومضى وكبر على قبره سبعين تكبيرة وبلغ أبا حازم خبره فقال الخبر المذكور.

٥٣- شهيد

[سعدى وابن قومها]

ذكر أبو بكر بن خلف بن المرزبان قال: هوى فتى من بني أسد فتاة من فخذه اسمها سعدى وكان أيسر منها وأغنى، وكان أبوه يرى أنه أغنى من أن يتزوجها ويريد أشرف منها وأيسر، ويعرض عليه غيرها فيأبى إلا هي فيمتنع أبوه من ذلك[١]. وكان أبوها[٢] قد حبسها

(١) هذا من مسببات الانحراف عن طريق الهدى والحق والصلاح وسد طرق الخير والاستقامة أمام الأبناء والأفراد التي تجبر من هو ضعيف التحمل منهم إلى اللجوء إلى أقرب سبيل، أو أضيق طريق أو أعوص الحيل فيسلكها لكي يصل إلى هدفه ومراده، ودائمًا كلنا يعلم أن الممنوع مرغوب، وأن ما تملكه اليد تزهده النفس.

فما يصنعه الناس من تلك العقبات مما يسمى بالفوارق الاجتماعية أو الثقافية أو الجنسية أو النسبية كل هذه الأمور هي التي تؤدي إلى تلك العواقب الوخيمة بالفرد ثم بالمجتمع.

وليس معنى ذلك أني لا أحبذ أن تراعى تلك المسائل أثناء التزويج، ولكن إذا كان الأمر في حالة الشذوذ تطلب ذلك فلا مانع لارتكاب أخف الضررين وإن لم تستقم الحياة الزوجية بينهما بعد فالإسلام قد شرع الطلاق ويغني الله تعالى كلاً من سعته.

ولكن في الأمور الطبيعية يجب أن نراعي عوامل السن والثقافة والحالة الاجتماعية والبيئية إلى غير ذلك ما دام عامل الدين متوفرًا في كل من هو متقدم، وذلك لتستقيم حياة الأسرة ثم المجتمع.

(٢) في المخطوط أبوه. وهو تحريف.

عليه رجاء أن يتزوجها، فلما طال على أبيها وأيس منه زوجها من غيره.

فلقيها الفتى يوماً فقال لها:

لَعَمْرِكَ يَا سُعْدَى لَطَالَ تَأَثُّمِي وَمَعْصِيَتِي شَيْخَيَّ فِيكِ كِلاَهُمَا
وَتَرْكِي ذَا الحَيَّيْنِ لَمْ أَبْغِ مِنْهُمَا سِوَاكِ وَلَمْ يَرْتَعْ هَوَايَ عَلَيْهِمَا

فقالت له الجارية:

حَبِيبِي لاَ تَعْجَلْ لِتَفْهَمَ حُجَّتِي كَفَى بِي مَا بِي مِنْ بَلاَءٍ وَمِنْ جَهْدِي
وَمِنْ عَبَرَاتٍ تَعْتَرِينِي وَزَفْرَةٍ تَكَادُ لَهَا نَفْسِي تَسِيلُ مِنَ الوَجْدِ
غَلَبْتَ عَلَى نَفْسِي جِهَارًا وَلَمْ أُطِقْ خِلاَفًا عَلَى أَهْلِي لِهَزْلٍ وَلاَ جِدِّ
فَلَنْ يَمْنَعُونِي فِي أَنْ أَمُوتَ بِرَغْمِهِمْ غَدًا خَوْفَ هَذَا العَارِ فِي حَدَثٍ وَجِدِّي
فَلاَ تَنْسَ أَنْ تَأْتِي هُنَاكَ فَتَلْتَمِسْ مَكَانِي فَتَشْكُو مَا تَحَمَّلْتُ مِنْ جَهْدِي

فلما كان في غد أتاها حيث زعمت فوجدها ميتة فحملها وأدخلها شعبًا ثم [٧٣/ب] التزمها فمات معها.

قال: فالتمسا حولاً فلم يقدر عليهما و لم يعلم لهما خبر.

فإذا هاتف يهتف على الجبل الذي هما فيه، وكان الجبل يدعى: أعراف[(١)].

إِنَّ الكَرِيمَيْنِ ذَوِي التَّصَافِي الذَّاهِبَيْنِ بِالْوَفَاءِ الصَّافِي
وَاللهِ مَا لاَقَيْتُ فِي تَطْوَافِي أَبْعَدَ مِنْ عُذْرٍ وَمِنْ إِخْلاَفِ
مِنْ مَيِّتَيْنِ فِي ذِي أَعْرَافِ

قال فصعد القوم الجبل فوجدوهما ميتين فواروهما.

٥٤- شهيد

[العابد والمرأة المجهولة]

ذكر ابن المرزبان في كتاب الذهول عن سعيد بن عبد الله بن ميسرة قال:

حدثني شيخ من أهل الشام قال:

صحبني فتى في بعض أسفاري فكنت كثيراً ما أسمعه ينشد:

أَلاَ إِنَّمَا التَّقْوَى رَكَائِبُ أَدْلَجَتْ وَأَدْرَكَتْ السَّارِي بِلَيْلٍ فا ...[(٢)]

---

(١) أرى أن هذا من مبالغات الحكاية كما هي الصفة السائدة على كتب هذا النوع من الموضوعات.

(٢) موضع النقط قطع من التصوير من أصل المخطوط لأن البيت جاء بهامش المخطوط بعد أن كان =

وَفِي صُحْبَةِ التَّقْوَىَ غَنَاءٌ وَثَرْوَة وَفِي صُحْبَةِ الأَهْوَاءِ ذُلٌّ مَعَ العَدَم
فَلاَ تَصْحَبْ الأَهْوَاءِ واهْجُرْ مُحِبَّها وَكُنْ لِلتَّقِيِّ إلْفاً تَكُنْ فِي الهَوَى عَلَم

فسألنا: لمن هذه الأبيات؟

فقال: كان لي أخ وكنت أحبه [حبًا][1] شديدًا وما رأيت فتًى مع التقوى أمرح منه، فسألته أذلك للدنيا أم للآخرة؟

فقال: لا بل من أمر الدنيا ولست أبديه حتى يخرج الأمر من يدي فلا أستطيع رده[2].

وكان ينشد هذه الأبيات كثيراً.

وضنى ضنًا شديدًا حتى سقط على الفراش ودخل الأطباء عليه بعضهم يقول: سُل، وبعضهم يقول: غم، فلا يتكلم بغير هذه الأبيات حتى غلبَ على عقله وضاق به مكانه، فأدخلناه مكانًا فكان يصرخ الليل كله فإذا مَلّ وأمِنَ الصراخ أنَّ.

فأشاروا علينا بتخليته، فكان إذا أصبح خرج يقعد على باب داره فكل من مَرّ به. سأله أين يريد؟

فيقول: أريد موضع كذا وكذا.

فيقول: اذهب محفوظًا لو كان طريقك على بغيتنا أودعناك[٧٤/أ] كلامًا.

=

سقط منه من متن المخطوط.

(١) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق

(٢) هـذه سمة من كان على فهم في دين الله تعالى، فهو يعطي نفسه ساعة لقوله: ﴿**ولا تنس نصيبك من الدنيا**﴾ وهذه الساعة يجعلها تفرض نفسها ولا يتكلفها، فهي عندما تطلبها النفس أو يتطلبها الموقف فهو يدعها تنطلق.

أما إذا كان المرء لا يحسن فهم الشرع فهو إما أن يفرط في هذه الساعة وإما أن يفرط فيها وفي كلا الأمرين هلكة له وضياع.

وكما نعلم جميعًا أن ديننا دين الوسطية في الأمور كلها فعلى العاقل أن يزن بميزان الشرع فيسلم في كل الأمور ولابد للنفس من تلك الساعة ضرورة وضرورة قصوى لتعود وتقبل على العبادة تواقة إليها حيث تستريح النفس الطيبة الذكية إلى قيود الشرع وتستلذها كما تستلذ ساعات المرح وتستعذبها وتكون أكثر استعذابًا لها بعد أن تعود من رحلة ممتعة وهذه أمور جربتها في حياتي كثيراً ولست مقياسًا ولكني أحكي عن شخصي فربما وافق ذلك بعض من هو مثلي وربما خالفه. المهم أن ساعة المرح هامة وحض عليها النبي صلى الله عليه وسلم وفعلها مع الصحابة والأحباش ومع أبي النضير، ومع السيدة عائشة ومع الحسن والحسين وغير ذلك كثير.

قال: فمر به يومًا بعض إخوانه فسأله.

فقال: أريد حيث تحب، فهل لك من حاجة؟

قال: نعم. قال: وما هي؟ قال:

تُقْري السلام عَلَى الحَبِيْب تَحِيَّةً ... وَبَتِيْه بِمَطَاوِل الأسْقَـــامِ

وَتَقُلْ لَهُ إِنَّ التُّقَـــى ذَمّ الهَـــوَى ... لَمَّا سَمَى مُسْتَعْوِلاً بِزمَامِ

قال: نعم. فما كان بأسرع من أن رجع فقال: قد بلغتهم رسالتك، فقالوا:

لَـئِن كَـانَ تَقْـوىَ اللهِ ذَمَّـك أَنْ تَـنَلْ ... أُمُـوراً نَهَـى عَـنْهَا فَهُـنَّ حَرَامِ

فَـزُرْنَا لِنَقْضِـي مِـنْ حَـدِيْثٍ لبـانة ... وَتَسْعَى نُفُوسًـا آذَنَتْ بِسِقَـامِ

قال فوثب قائمًا ثم أنشأ يقول:

سَأَقْبَلُ مِنْ هَذَا وَفِيْه لذي الهَوَى ... شفَاء وَقَدْ يَسْلُو الفَتَى جَدّ وَامِق

إِذَا اليَأْس حَلَّ القَلْبَ لَمْ يَنْفَع البُكَا ... وَهَلْ يَنْفعُ المَعْشُوق دَمْعَة عَاشِـق

قـال: ومضـى فقمت خلفه وحدي حتى أتى منزل رجل من أهل الفضل والرأي والنهي، وكانت له ابنة من أجمل النساء فوقف على الباب، وقال:

فَهَا أَنَا ذَا قَدْ جِئْت أشْكُو صَبَابَتِي ... وَأُخْبِركُمْ عَمَّا لَقِيْت مِنْ الحُبّ

وَأُظْهِرُ تَسْلِيْمًـا عَلَيْكُم لِتَعْلَمُـوا ... بِأَنِّي وَصُولٌ ثُمَّ ذَا فِيْكُم حَسْبِي

قال: فلما فهمت القصد وخشيت أن يظهر أمره.

قلت له : ما جلوسك على باب القوم و لم يألوك(١)؟

قال: بلى.

قلت: وكيف وهم يقولون:

بـالله رَبـك لاَ تَمُـرّ بِـنَـا ... إِنَّـا نَخَـافُ مَقَالَـةَ الحُسَّـاد

وَدَعِ التَّعَتُّـبَ والتَّـذَكُّر إِنَّـهُ ... يَنْقُلُـهُ عَنـكَ أَجِلَّـة العـوَّاد؟

فقال يا صالح: قد قالوا هذا؟

قلت: نعم.فجعل يهذي ويقول:[٧٤/ب]

إِنَ كَانَ قَدْ كَرِهُوا زِيَارَةَ عَاشِقٍ ... فَلَـرُبَّ مَعْشُـوقٍ يَزُورُ العَاشِقَا

فلما رجعت سألوني عن قصته.

---

(١) أي لم يهتموا بك و لم يعيروك بالاً و لم ينزلوك منزلك أو لم يقدرك قدرك.

قلت: ما أخطأ الجبال. فلزم بيته فلم يزل بزائل العقل حتى مات[(١)].

٥٥- شهيد

[الفتى العربي التقي والمرأة السائلة]

ذكر أبو بكر الأنباري[(٢)] عن سعيد بن عبد الله بن راشد قال:

علقت فتاة من العرب فتًى من قومها، وكان الفتى عاقلاً فاضلاً[(٣)].

فجعلت تكثر التردد إليه فتسأله عن أمور النساء وما في قلبها إلا النظر إليه والاستمتاع بكلامه.

فلما طال ذلك عليها مرضت وتغير حالها واحتالت في أن خلا لها وجهه وقتاً فتعرضت ببعض الأمر فصرفها ودفعها عنه وتزايد المرض حتى سقطت على الفراش.

فقالت له أمه: إن فلانة مرضت ولها علينا حق.

قال فعوديها، وقولي لها يقول لك ما خبرك؟

فصارت إليها أمه فقالت لها: ما بك؟ ما علتك؟

فتنفست الصعداء وقالت:

يَـا سائلي عَـنْ علَّتِي وَهُـوَ علَّتِي ... عَجِيْبٌ مِنَ الأَنْبَاءِ جَاءَ به الخَبَرْ

فانصرفت أمه إليه، فأخبرته، وقالت: كنت أحب أن تسألها المصير إلينا لنقضي حقها ونلي خدمتها. قال: فسليها ذلك.

قالت: قد أردت أن أفعله ولكن أحببت أن يكون عن رأيك.

فمضت إليها فذكرت لها ذلك فبكت [وقبلت[(٤)]] وقالت[(٥)]:

يُبَاعِدُنِي عَـنْ قُـرْبِهِ وَلِقَائِهِ ... فَلَمَّـا أَذَابَ الجِسْـمَ مِـنَّ تَعَطَّفَـا

---

(١) هـذا من النوع الذي نسأل الله العافية منه، وهو الذي انتقل من التعبد إلى ساعة التريض ثم أفرط إلى أن خرج عن حد الاعتدال، ثم آل أمره إلى ما آل إليه.

(٢) الخبر في مصارع العشاق (١٠٨/٢) تحت عنوان يسائلني عن علتي وهو علتي.

(٣) صاحب هذه القصة كان أحرص وأذكى من صاحبه الذي في القصة التي قبله حيث عالج الأمر عن بعد فسلم من حبائل الشيطان وشراك الهوى وخدع النساء ومكرهن وما كل تقي ذكي ولكن ﴿**وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم**﴾. ثم إنه كادت أن تنطلي عليه الحيلة التي كان ممكنًا أن يقع فيها لولا رحمة ربه به إذ رفضت هي الإذعان لمطلب أمه أو ما وافق عليه هو بعد عرض أمه عليه.

(٤) ما بين المعقوفين من مصارع العشاق.

(٥) في المصارع: ثم أنشأت تقول.

فَلَسْتُ آتي مَوْضعًا فيْه قَاتلِي ... كَفى[1] بي سَقَمًا أَنْ أَمُوتَ كَذي كَفى

فألحت عليها فأبت وتزايدت[2] العلة بها والمرض حتى ماتت كمدًا.

۞ ۞ ۞

٥٦- شهيـــد

[المرأة البصرية الداعية حول الكعبة]

وذكر ابن أبي الدنيا عن سعيد بن جبير قال:

مـــا رأيـــت أحداً أرعى لحرمة هذا البيت ولا أشد شوقًا له من أهل البصرة لقد رأيت جارية منهم ذات ليلة تعلقت بأستار[٧٥/أ] الكعبة، فجعلت تدعو وتصرخ حتى ماتت[3].

۞ ۞ ۞

٥٧- قتيـــل

[قاتل نفسه بالمذبة]

ذكر ابن الجوزي عن سعيد بن أحمد قال: رأيت بالبصرة في خان عطاء بن مسلم شاباً في يده مذبة[4] وهو ينادي بأعلى صوته والناس حوله:

يَـــوْم الفـــرَاق منَ القيَامَة أَطْوَلُ ... وَالمَوْت منْ أَلَم التَّفَرُق أَجْمَل

قَالُوا: الرَّحيْل، فَقُلْت لَسْتَ براحِل ... لَكـــنَّ مُـــهْجَتِي الَّتِي تَتَرَحَّلُ

ثم بقر بطنه بالمذبة فمات.

فســـألت عـــنه فقيل لي إنه كان يهوى فتًى لبعض الملوك فحجب عنه يومًا واحدًا ففعل هذا بنفسه.

۞ ۞ ۞

---

(١) في المصارع: كفاني والمعنى واحد أو قريب.

(٢) في المصارع: وترامت العلة بها وتزايد المرض حتى ماتت.

(٣) يطلـــق الصوفية على هؤلاء الجماعة الذين يموتون وجدًا وتعلقاً بربهم بشهداء العشق الإلهي، وهم الذين يموتون على صفة من صفات العبادة أو في مكان من الأماكن المشتهرة بالتعبد أو عند موافقة تلاوة آية قرآنية أو عند سماع موعظة دينية تحبب في ثواب الله تعالى أو تخوف من عقابه.

(٤) هـــو مـــا يسمى في أيامنا هذه: مضرب الذباب وقد صنع في أيامنا من البلاستيك أما قديماً فكان يصنع مـــن معـــادن قوية كالحديد والنحاس ونظائرهما أو يصنع من الخشب ثم من سعف النخل إلى أن صار يتخذ من ذيول الحيوانات الكبيرة كالثيران والخيول، ثم صار في أيامنا من البلاستيك.

يقول ابن منظور في لسان العرب:

المذبة: هنة تسوى من هلب الفرس يذب بها الذباب.

٥٨- شهيد

[الطائي والطائية]

ذكر العتبي عن الأخفش سعيد بن مسعدة[١] صاحب النحو قال:

خرجت في سفر، فنزلنا على ماءٍ لطيء فبصرت بخيمة من بعيد، فقصدت نحوها، فإذا فيها شاب على فراش كأنه الخيال.

فلما بصرني أنشأ يقول:

أَلا مَا للحَبِيْبَة لاَ تَعُودُ ... أَبُخْلٌ بالمليْحَة[٢] أَمْ صُدُوْدُ
مَرِضْتُ فَعَادَنِي عُواد قَوْمي ... فَمَالَك لَمْ تُرَيْ فِيْمَنْ يَعُوْدُ
فَلَوْ كُنْت المرِيْضَ وَلاَ تَكُوْنِي ... لَعدتُكَم ولَوْ كَثُرَ الْوَعِيْدُ
وَمَا[٣] اسْتَبْطَأْتُ غَيْرك فَاعْلميْه ... وَحَوْلِي مِنْ ذَوِي رَحِمي عَدِيْدُ

قال: ثم أغمي عليه، فمات.

فوقعت الصيحة في الحي، فخرج من آخر الماء جارية كأنها فلقة قمر فتخطت رقاب الناس، حتى وقفت عليه فقبلته، وأنشأت تقول:

عَدَانِي أَنْ أَعُودَكَ يَا حَبِيْبي ... مَعَاشر فيْهِمُ الوَاشي الحَسَودُ
أَذَاعُوا مَا عَلمْتَ منَ الدَّوَاهي ... وَعَابُونَا وَمَا فيْهم رَشيْدُ
فَأَمَّا أَن[٤] حَلَلْتَ ببطْنِ أَرض ... وَقصْر النَّاس كُلِّهم اللْحُودُ
فَلاَ بَقِيَتْ لِيَ الدُّنْيَا فَوَاقا ... وَلاَ لَهُمُ وَلاَ أَثْرى عَدِيدُ

قال: فشهقت شهقة، فخرت ميتة منها.

فخرج من بعض الأخبية شيخ، فوقف عليهما فترحم عليهما وقال: والله لئن لم

---

(١) في المخطوط: عن الأخفش عن سعيد بن مسعدة ولفظ "عن" زائد على الإسناد فإن الأخفش هو سعيد بن مسعدة البلخي البصري إمام النحو أبوالحسن مولى بني مجاشع.
قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/٢٠٦):
أخذ عن الخليل بن أحمد، ولزم سيبويه حتى برع، وكان من أسنان سيبويه بل أكبر منه قال أبو حاتم السجستاني: كان الأخفش قدرياً رجل سوء كتابه في المعاني صويلح وفيه أشياء في القدر.
وقال أبو عثمان المازني: كان الأخفش أعلم الناس بالكلام وأحذقهم بالجدل. ومات سنة نيف وعشرة ومائتين.

(٢) في المصارع: بالحبيبة.

(٣) في المصارع: ولا.

(٤) في المصارع إذ.

أجمع بينكما حيين لأجمع بينكما ميتين، فدفنهما في قبر واحد احتفره لهما. فسألته، فقال: هذه ابنتي، وهذا ابن أخي[1].

٥٩- شهيد

[سعاد، وابن عمها الميت]

ذكر الأصمعي: أنه خرج لبعض الأحياء -فيما ذكره ثعلب- قال:

فجنني[2] الليل فآويت إلى جبانة، فتوسدت قبراً، فسمعت في الليل قائلاً من القبر:

أَنْعَمَ اللهُ بالخَيَالين عَيْنًا ... وبِمسْرَاك يَا سُعَادُ إلَيْنَا
وَحْشَةٌ مَا لَقِيْتُ مِنْ خَلَلِ الْقَبْرِ ... عَسَى أَنْ نَرَاكِ أَوْ أَنْ تَرَيْنَا

قال: فأرقت ليلتي.

فلما أصبحت دخلت الحي فإذا أنا بجنازة قد أقبلت فسألت عنها فقيل لي: هذه سعاد، كانت تحب ابن عم لها تعاقدا على الوفاء، فهلك فلم تزل باكية عليه، وها هي قد لحقت به فتبعتهم حتى دفنت إلى جانب القبر الذي بت عنده، فإذا هو قبر ابن عمها.

فحدثتهم بما سمعت، فأكثروا التعجب من ذلك.

۞ ۞ ۞

باب الشين المعجمة

٦٠- شهيد

[الشاب المكي الباكي تحت الميزاب والجارية البصرية[3]]

ذكر النوقاني عن ابن الأشدق قال: كنت أطوف بالبيت فرأيت شاباً تحت الميزاب، قد أدخل رأسه في كسائه يئن كالمحموم.

فسلمت فرد [السلام[4]]، ثم قال: من أين؟

قلت: من البصرة. قال: وراجع[5] إليها؟

قلت: نعم.

---

(١) جاء بهامش المخطوط بالمداد الأحمر: تكررت هذه الحكاية قلت: نعم في ليلى الأخيلية، والخبر ذكره في مصارع العشاق (١/١١٠) تحت عنوان: يجتمعان في القبر.

(٢) يريد غشيني الليل بظلامه وعسعس بحلاكته وصرت لا أرى الظلمة والوحشة.

(٣) القصة في مصارع العشاق (١/٣٠٩) تحت عنوان: ميتا الحب.

(٤) ما بين المعقوفين من مصارع العشاق.

(٥) في المصارع: أترجع.

قال: إذا دخلت النباج(1)، اخرج إلى الحي ثم ناد: يا هلال(2)، تخرج إليك جارية، فأنشدها هذا البيت.

قلت: وما هو(3)؟ قال:

لَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى أَنْ تَكُوْنَ مَنِيتِي ... بِعَيْنَيْكِ حَتَّى تَنْظُرِى مَيِّتَ الحُبِّ

ثم مات مكانه. قال ابن الأشدق:

فلما دخلت النباج(4)، أتيت الحي فناديت يا هلال(5).

فخرجت إلى جارية لم أر أحسن [76/أ] منها.

فقالت: ما وراءك؟

قلت: شاب بمكة أنشدني هذا البيت، فأنشدتها إياه(6).

قالت: وما صنع الشاب(7)؟ قلت: مات.

فخرت مكانها ميتة.

61- قتيــل
[أبرويز(8) وشيرين]

إنَ شـــيرين كانـــت تعشق أبرويز ويعشقها من الصغر، وأنه لما تملك تزوجها بعد

(1) في المخطوط: النتاج. والتصويب من المصارع وبهامشه : النباج : قرية في البادية.
(2) في المصارع: كرر النداء بالاسم.
(3) لم ترد تلك العبارة بالمصارع.
(4) كسابقتها في المخطوط، والتصويب من المصارع أيضًا.
(5) تكرر كذلك النداء بالإسم في المصارع.
(6) لم ترد هذه العبارة في المصارع.
(7) لم ترد هذه اللفظة في المصارع.
(8) أبرويـــز هذا هو أحد ملوك الفرس، وقبل أن أسترسل في ذكره فإنه ورد في كل مواضعه في القصة بلفظ: أبرواز، وهو تحريف.
وأبرويز هذا هو ابن هرمز بن أنوشروان يقول ابن الأثير في الكامل في التاريخ (366/1) كان من أشـــد ملوكهم بطشًا، وأنفذهم رأيا، وبلغ من البأس والنجدة وجمع الأموال ومساعدة الأقدار ما لم يبلغه ملك قبله ولذلك لقب إبرويز، ومعناه: المظفر.
وكـــان في حياة أبيه قد سعى به بهرام جوبين إلى أبيه أنه يريد الملك لنفسه فلما علم ذلك سار إلى أذربيجان سراً وقيل غير ذلك...
فـــلما وصلها بايعه من كان بها من العظماء واجتمع من بالمدائن على خلع أبيه، فلما سمع أبرويز بـــادر الوصـــول إلى المدائن قبل بهرام جوبين، فدخلها قبله ولبس التاج وجلس على السرير ، ثم دخـــل إلى أبـــيه وكان سُملَ فأعلمه أنه بريء مما فعل به ، وإنما كان هربه للخوف منه فصدقه، وسأله أن يرسل إليه كل يوم من يؤنسه، وأن ينتقم ممن خلعه وسمل عينيه.

صعوبة شديدة وغيبة كبيرة عنه، أيس كل واحد منهما من الآخر.

فلما هلك عنها وكان شرط أن لا يطأ غيرها ولا يطأها غيره.

أراد القائم بعده وهو شيرويه تزويجها، فأبت عليه أشد الإباء فلما أعجزها فتحت ناوس أبرويز، واعتنقته ومصت خاتماً مسموماً فماتت.

فلما أخبر بذلك شيرويه أسف عليهما أسفاً كثيراً لما كان يحكى عنها من الجمال والعقل والأدب، وأنها كلما جومعت عادت بكرًا.

باب الصاد المهملة

٦٢- شهيد

[المتردية من السطح عند سماع التلاوة(١)]

قرأت على الرحلة يونس بن إبراهيم عن أبي الحسن البغدادي عن الحافظ السلامي أنبأنا أبو العباس الزنيبي أنبأنا ابن صفوان حدثنا أبو بكر بن عبيد القرشي حدثنا محمد حدثنا صالح بن عبد الله قال:

خرجت منذ نحو من ستين سنة، فلما صرنا عند الجبل في بعض تلك السكك ومعنا قارئ لنا يقرأ، فقرأ، وامرأة على السطح.

---

(١) سبق أن أشرت أن هذه ، وأمثالها ممن يسمون بشهداء العشق الإخي إنما تأتي مناياهم موافقة لبعض الظروف أو الأماكن أو الألفاظ الحسنة فيستبشر بهذا طائفة من الناس، ويعتبرون أن هؤلاء الناس صفوة الله من خلقه وخيرته من عباده وليس في ذلك دليل من كتاب أو سنة وقد تحدث مثل هذه الأمور مع شرار الخلق وأطغاهم وأفجرهم فبمَ يفسرون ذلك، وهل هذا أيضاً دليل على رضى ربهم عن أعمالهم التي اقترفوها فآذوا بها البلاد والعباد و لم يسلم من بطشهم وظلمهم ذو رحم ولا يتيم.

إنما أمثال هذه إنما هو أمور توافق آجال ﴿**وأن ليس للإنسان إلا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى**﴾ [سورة النجم الآية: ٣٩:٤١] فلا ينفعه يومئذ متى مات ولا كيف مات ولا في أي مكان مات، ولا في أي يوم مات، إنما المعول عليه أولاً وأخيراً هو عمله، أكان على ما يرضى الله تعالى وعلى ما أمر به نبيه صلى الله عليه وسلم أم كان على هواه، وعلى غير ما طلب منه الشرع، فإن كانت الأولى فالخير والبشرى والنعيم المقيم، وإن كانت الثانية فالأمر إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر سبحانه ﴿**ورحمتي وسعت كل شيء**﴾، ﴿**ولا يسئل عما يفعل وهم يسألون**﴾.

نسأل الله لنا ولكم حسن الختام ودخول الجنة بسلام بغير مناقشة حساب ولا سابقة عذاب اللهم آمين.

فصرخت ثم سقطت من السطح، فحملت وأدخلت داراً، فما برحنا حتى ماتت.

قال: ونودي في أهل البصرة، فما رأيت يومًا أحسن ولا أكثر جمعًا من ذلك اليوم.

۞ ۞ ۞

٦٣- شهيـــد

[من مات عند سماع قوله تعالى: ﴿إذ الأغلال في أعناقهم﴾]

وعـــن صـــالح المـــري قال: قدم علينا محمد بن السماك مرة فقال: أرني عجائب عبّادكم. فذهبت به إلى رجل في بعض الأحياء في خص له.

فاستأذن عليه فإذا رجل يعمل خوصًا له، فقرأت: ﴿**إذ الأغلال في أعناقهم**﴾[(١)].

فشهق الرجل شهقة، فإذا هو قد يبس فخرجنا من عنده وتركناه [٧٦/ب] على حاله.

۞ ۞ ۞

٦٤- شهيد

[من مات عند قوله تعالى: ﴿ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد﴾]

وذهبنا إلى آخر، فاستأذنا عليه ، فقال : ادخلوا إن لم تشغلونا عن ربنا فإذا رجل جالس في مصلى له ، فقرأت ﴿**ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد**﴾[(٢)].

فشهق شهقة بدر الدم من منخريه، فجعل يتشحط في دمه حتى يبس.

فخرجنا من عنده وتركناه على حاله.

قال صالح، حتى أدرته على ستة أنفس كل يخرج من عنده وهو على هذه الحال ثم أتيت به السابع.

۞ ۞ ۞

٦٥- شهيد

[الخائف من مقام الحق]

فاستأذنت فإذا امرأة من وراء الخص تقول: ادخلوا. فدخلنا، فإذا شيخ فانٍ جالس في مصلاه فسلمنا فلم يعي لسلامنا[(٣)].

---

(١) سورة غافر (الآية: ٧١) والحكاية من مغالات الصوفية.

(٢) سورة إبراهيم (الآية: ١٤). والحكاية كسابقتها.

(٣) أي لم يرد ، وليس هذا من سمات الصلاح، ولا دليل على أن المرء يخاف الله بل دليل على العكس مـــن ذلـــك فإن في الرد فضيلة أجر، ثم هو قضاء حق المسلم عليك والرد واجب فكيف يكون حريصـــاً على الأجر وقضاء حقوق الآخرين وإرضاء رب العالمين وهو لا يفعل ذلك عن عمد إذ إن الكلام بعده يفيد أنه كان سامعاً لهم؟!

فقلت بصوت عال: إن للحق غدًا مقامًا قال الشيخ بين يدي من ويحك، ثم بقي مبهوتاً فاتحًا فاه شاخصًا ببصره يصيح بصوت له ضعيف، ثم انقطع.

فقالت امرأته: اخرجوا عنه فإنكم لا تنفعون به الساعة.

فلما كان بعد ذلك سألت عن القوم، فإذا ثلاثة قد فاقوا، وثلاثة قد لحقوا بالله تعالى.

وأما الشيخ فإنه مكث ثلاثة أيام على حالته مبهوتًا متحيرًا لا يؤدي فرضًا[1]، فلما كان بعد ثالثة عقل.

٦٦- قتيلان[2]

[الصمة بن عبد الله القشيري وابنة عمه ريا]

ذكر الشيرازي في كتاب روضة القلوب عن الهيثم:

أن الصمة بن عبد الله القشيري رأى ابنة عم له يقال لها: ريا فهويها فخطبها إلى أبيها، فأجابه على مائة ناقة فحمل أبوه له ما طلب، فلما عدها وجدها ناقصة فطلبها، فحلف الصمة أن لا يأتي بها، وحلف أبوها أن لا ينكحه إلا بها، فرحل عنهم مغاضبًا.

فلما رأته ريا راحلاً قالت: ما رأيت رجلاً أضاعه أبوه وعمه ببعير إلا الصمة[3]. ثم توجه إلى العراق، وندم على ما صنع وتزايد به الوجد ولم يقدر على الرجوع، فقال:

---

(١) وربما كان هذا الشيخ ممن يصرع فيرفع عنه التكليف فكيف تصير حالة صرعه حالة تجلٍّ وإقبال شديد على ربه والواقع العكس حيث رفع ربه عنه التكليف؟

(٢) كذا وصفهما قتيلان ، ولم يأت في القصة أن أيًا منهما قتل نفسه وهو يضع في غالب الأمر لفظ قتيل لمن قتل نفسه وشهيد لمن قتله الحب.

(٣) انظر إلى قولها هذا تعرف مدى تجني الآباء على الأبناء.

وأخرى تعرف من كان له قلب رقيق ومن ليس له قلب.

وغير ذلك من عرف الحب قلبه كان أحنى على العباد في الدعوة والحياة.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: ما دخل الرفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه.

فصلى الله عليه وسلم من نبي هو رحمة للعالمين وسبحان من قال فيه ﴿**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**﴾.

والقائل فيه أيضًا : ﴿**بالمؤمنين رؤف رحيم**﴾ والناصح له بالرفق واللين فقال له : ﴿**فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظًا غليظ القلب لانفضوا من حولك**﴾.

فصلي الله عليه وسلم من نبي كان يقوم الليل حتى تتورم قدماه، وكان يضع يده على رأس اليتيم حنانا، وكان يحتمي به الصحابة عندما يشتد وطيس المعركة جهادًا.

فاللهم لا تحرمنا رؤيته يوم لقائك آمين.

أَمِن ذِكْرِ دارٍ بالرّقاشين أعـــصَفَتْ ... بهَ بارحَاتُ الصَّيْف بَدْءًا وَرَجْعَا
حَنَنت إلَى رَيَّــا وَنَفْسكَ بــاعَدَت ... مَزَارِكَ مِنْ رَيَّا وشعْبَاكُمَا مَعا
فَيَا حَسَنٌ أنْ تَأتِي الأَمْرَ طَائعًا[٧٧/أ] ... وَتَجْزَعْ إنْ دَاعِي الصَّبَابَة أسْمَعا
كَــأنَكَ لَــمْ تسـْمَعْ وَدَاعَ مُفَــارِق ... ولَمْ تَرَ شعْبًا ضَاحيَين تَقَطَعَا
بَكَــتْ عَيْني اليُمْنَى فلَــمَّا زَجــرْتُهَا ... عَنِ الجَهْــلِ بَعْدَ الحِلْمَ أسْبَلَتَا معَا

ثم إن الصمة ضاقت به العراق فخرج إلى الثغور متشاغلاً.

فلما وصل طبرستان اشتد به الوجد ونهكه المرض، و لم يطق الوثوب على راحلته، فدخل بستاناً فاضطجع فيه وأنشأ يقول لرفيق معه:

تَعَــزَّ تَصَبَّر لا وَجِــدّك لاَ يُــرَى ... سَلاَم الحِمَى إحْدَى اللّيَالِي الْغَوَائرِ
كَــأنَّ لِسَانِيَ مِنَ تَذَكُرِى الحِمَى ... وَأهْلَ الحِمَى تَهْفُوا بِهِ رِيشَ طَائرِ

و لم يزل يرددهما حتى مات.

فلما وصل الخبر ريا لم تزل باكية عليه حتى ماتت.

۞ ۞ ۞

بـــاب الطـــاء

٦٧- شهيــد

[من ماتوا في مجالس الذكر(١)]

قال أبو طارق التبان فيما ذكره ابن أبي الدنيا: شهدت ثلاثين رجلاً ماتوا في مجالس الذكر يمشون بأرجلهم صحاحًا إلى المجالس.

وأجوافهم والله قرحة فإذا سمعوا الذكر والموعظة انصدعت قلوبهم.

قال يحيى بن بسطام: قلت لأبي طارق: مجتمعين؟

قال: لا بل متفرقين في المجالس والرّجل والرجلان، ونحو ذلك.

وقـــال: أيضًا: كان عبد العزيز بن سليمان إذا ذكر القيامة والموت صرخ كما تصرخ الثكلى ويصرخ الخائفون من جوانب المسجد فربما رفع الميت والميتان من مجلسه.

۞ ۞ ۞

(١) هـــذا من النوع الذي أشرت إليـــه من أنه أقوال غلاة الصوفية ومن عندياتهم وليس له في الواقع صحة، هدانا الله وإياهم إلى سواء السبيل.

٦٨- شهيد

[طلحة الصوفي، والغلام المخزومي[١]]

ذكر الحافظ أبو محمد جعفر بن محمد بن أحمد عن محمد بن مصعب بن الزبير المكي قال: حدثني أبي قال حدثني رجل من أهل المدينة ونحن ببلاد الروم في سرية[٢]، وعلينا محمد بن مصعب الطرسوسي قال: كان بالمدينة غلام من بني مخزوم موصوف ببراعة الجمال، فإذا كان في أيام الحج حجبه أبوه عن الخروج إلى المسجد حتى [٧٧/ب] يصدر آخر الحاج، إشفاقًا عليه من أعين الناس، وحذرًا عليه منهم.

فاشتهر جماله، ووصف كماله، فكانت الرفاق تتحدث عنه[٣].

فقدم علينا رجل من الصوفية اسمه: طلحة[٤]، عند انقضاء عمرتهم وقد رجعوا من الحج، لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وما بالمدينة يومئذ أحد من الحجاج[٥] غيرهم.

فخرج المخزومي في ذلك اليوم، فأتى قبر النبي صلى الله عليه وسلم فسلم عليه ثم قعد في الروضة ينتظر الصلاة.

فوقف عليه طلحة ينظر إليه [مليًا[٦]] فرأى شابًا[٧] لم ير مثله قط، فنظر إليه مليًا[٨]، ثم قال: يا فتى، اسمع[٩]، إياك واقتراف المعاصي في هذه البلدة[١٠]، فإنك لا تأتي فيها أمراً عليك فيه تبعة إلا الله تعالى له حفيظ والنبي صلى الله عليه وسلم عليك به شهيد

---

(١) القصة أوردها السراج في مصارع العشاق (١٨٧/١) تحت عنوان: العظة القاتلة.

(٢) والسرية هي الجماعة الصغيرة من الجيش يكون على رأسها رجل منهم يعرف بالعريف.

(٣) في مصارع العشاق: تتحدث بحديثه.

(٤) لم يذكر في المصارع اسم الرجل الصوفي.

(٥) في المصارع: الحاج.

(٦) زيادة من المصارع.

(٧) في المصارع: شيئًا.

(٨) قوله: فنظر إليه مليًا. لم ترد في المصارع وربما استعاض عنها بالأولى.

(٩) في المصارع جاء بعد تلك الكلمة مايلي:

عني مقالتي، واعرض على قلبك كلامي وافهم مني عظتي فإني قد بدأتك بالنصيحة لما أملت لك من الله عز وجل فيها من حسن الجزاء وجميل الثناء:

يا حبيبي أتدري من يراك ومن يشهد عليك؟

قال : ومن هما يا عم؟ قال الله تعالى يراك ونبيه صلى الله عليه وسلم يشهد عليك، ثم أتبعه ما هنا قبل هذه عبارة:

(١٠) في المصارع بحضرة نبيك صلى الله عليه وسلم.

[وأصحابه لك خصوم[1]] وكفى خصمًا يكون القاضي عليه خالقه والشاهد [عليه[2]] نبيه [صلى الله عليه وسلم[3]] وخصومه خيرة الله من خلقه، والصالحون من عباده.

قال: فانتفض الغلام وسقط مغشيًا عليه.

فاجتمع الناس واحتملوه إلى منزله فما أتى عليه ثلاثة أيام حتى مات.

٦٩- قتيل
[سمنون[4] والطائر الصغير]

ذكر الكنجي في تاريخ القدس: عن إبراهيم بن بابل قال:

بينما سمنون يتكلم في المحبة في المسجد إذ جاء طائر صغير، فقرب منه فلم يزل يدنو حتى [وقف] على يده ثم ضرب بمنقاره الأرض حتى سال منه الدم.

باب العين

٧٠- شهيدان
[الجارية مغنية[5] عبد الله بن جعفروالشاب الذي هويها]

ذكر ابن الخيمي في كتاب الشامل المفيد:

أن عبد الله بن جعفر كانت عنده جارية مغنية من أحسن الناس غناءً وصورة. فطلبها منه يزيد بن معاوية. فتأبى عليه زماناً.

قال فأتتني عجوز من عجائزنا، فذكرت أن شاباً من المدينة يهواها، وأنه يأتي كل يوم متنكرًا، فيقف بالباب ليسمع غناءها فيبيت ليله متقنعًا مستخفيًا، فدعوت قيمة

---

(١) من المصارع.

(٢) من المصارع.

(٣) من المصارع.

(٤) سمنون هو: ابن حمزة، ويقال: ابن عبد الله أبو الحسن الخواص، ويقال: أبو القاسم، وسمى نفسه: سمنون الكذاب لكتمه عسر البول بلا تضرر.

ومن مصادر ترجمته: طبقات الأولياء (٢٤٤)، طبقات الصوفية (١٦٥)، حلية الأولياء (١٠/ ٣٠٩)، تاريخ بغداد (٩/٢٣٤)، المنتظم (٦/١٠٨)، سير أعلام النبلاء (١٣/٥٦٠)، مصارع العشاق (٢/٥٠).

ويسمى سمنون المحب.

(٥) زيادة يتطلبها سياق ما اشترط المؤلف في أول الكتاب أو في مقدمته حيث جعل الترتيب على حروف المعجم لاسم المترجم له أو من يروى عنه القصة أو الترجمة.

الجارية فأمرتها بإصلاح شأنها وتعجيلها.

فلما جاءت بها إليَّ نزلت بها قابضاً [٧٨/أ] على يدها وفتحنا الباب ثم حركت الرجل فانتبه مذعورًا.

فقلت لا بأس عليك خذ بيد هذه الجارية فهي لك، وإذا هممت ببيعها فارددها على لأشتريها. فدهش الفتى وليط[١] به.

فقلت ويحك قد أظفرك الله ببغيتك فانصرف بها إلى منزلك.

فإذا الفتى ميت كأنه لم يكن.

فلم أر شيئاً أعجب من ذلك وهانت الجارية في عيني فمكثت مدة ثم ماتت ولا أظنها ماتت إلا كمدًا وأسفًا على الفتى.

٧١- شهيد

[عامر بن غالب المزني وجميلة المزنية[٢]]

ذكر الأصمعي أنه رأى بالبادية رجلاً قد دق عظمه وضؤل جسمه، ورق جلده. فتعجبت منه ودنوت منه لأسأله عن حاله فقالوا له: اذكر له شيئاً من الشعر يكلمك فقلت:

سَبَقَ القَضَاءُ بِأَنَّنِي لَكَ عَاشِقٌ ... حَتَّى المَمَاتِ فَأَيْنَ مِنْكَ مَذَاهِبِي

فشهق شهقة ظننت أن روحه قد فارقته ثم أنشأ يقول:

أَخْلُو بِذِكْرِكَ لاَ أُرِيدُ مُحَدِّثًا ... وَكَفَى بِذَلِكَ نِعْمَةً وَسُرُورَا
أَبْكِي فَيُطْرِبُنِي البُكَاءُ وَتَارَةً ... يَأْتِي فَيَأْتِي مَنْ أُحِبُّ أَسِيْرَا
فَإِذَا أَنَا أَسْمَعُ[٣] بِفُرقَةِ بَيْنَنَا ... أُعْقِبتُ مِنْهُ حَسْرَةً وَزَفِيْرَا

فقلت أخبرني عنك[٤]؟

قال إن كنت تريد علم ذلك، فاحملني وألقني على باب تلك الخيمة.

ففعلت، فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه جهده.

---

(١) أي أصابه الذهول والفزع والإضطراب الذي يؤدي إلى خلل في وعيه وربما أصابه المرض الشديد.

(٢) ذكر القصة السراج في مصارع العشاق (٢/٢٦) تحت عنوان: ماتا متعانقين.

(٣) في المصارع: فإذا أنا سمع.

(٤) في المصارع قال: فقلت: أخبرني عن حالك.

أَلاَ مَـا لِلْحَبِيْبَةِ(١) لاَ تَعُـوْدُ ... أَبُخْلٌ ذَاكَ مِنْهَا أَمْ صُدُوْدُ؟
فَلَوْ كُنْتِ المرِيْضَةَ كُنْتُ(٢) أَسْعَى ... إِلَيكِ وَلَمْ يُنَهْنِهِني الوَعِيْدُ

فإذا جارية مثل القمر، قد خرجت فألقت بنفسها عليه فاعتنقها، وطال ذلك فسترتهما بثوبي خشية أن يراهما الناس فلما خفت عليهما الفضيحة فرّقتُ [٧٨/ب] بينهما فإذا هما ميتان.

فسألت عنهما.

فقيل [لي(٣)] هذا عامر بن غالب، وهذه جميلة بنت أميل.

قال الأصمعي: فتركتهما وانصرفت.

ذكره الحافظ أحمد بن محمد بن علي الأبنوسي في أخباره.

٧٢- قتيل

[الفتى التميمي ويقال: اسمه عباس والجارية الشيبانية]

قال أبو مسكين فيما ذكره الخرائطي:

ضلت ناقة لفتى من بني تميم فخرج إلى حي من بني شيبان ينشدها(٤)، فإنه لكذلك إذ بصر بجارية كأنها الشمس حُسناً وجمالاً.

فعشقها عشقًا مبرحًا، فرجع إلى قومه وقد أذهبت عقله.

فما تمالك أن رجع إلى حيهم، فلما هدأ الليل قال: لعلي أسكن بالنظر إليها بعض

(١) في مصارع العشاق: المليحة.

(٢) في المصارع: جئت.

(٣) زيادة من مصارع العشاق.

(٤) في المخطوط: ينشدهما. وهو تحريف. والقصة في مصارع العشاق (١٤٣/٢) تحت عنوان: يقتل حبيبته وينتحر، غير أنه بدأها بغير ما بدأت هنا فقال: خرج ناس من بني حنيفة يتنزهون فبصر فتى منهم بجارية، فعشقها. فقال لأصحابه: انصرفوا حتى أقيم وأرسل إليها.
فطلبوا إليه أن يكف وأن ينصرف، فأبى وانصرف القوم.
وجعل يراسل الجارية حتى وقع في نفسها فأقبل في ليلة إضحيان متقلدًا قوسًا والجارية نائمة بين إخوتها.
فأيقظها، فقالت: يا فاسق انصرف وإلا، والله، أيقظت إخوتي، فقاموا إليك، فقتلوك. فقال: والله للموت أهون علي مما أنا فيه.
ثم ذكر القصة كما هنا مع اختلاف طفيف.

ما بي.

فأتاها وهي جالسة وإخوتها نيام حولها.

فقال لها: يا قرة عيني، قد والله أذهب الشوق عقلي، وكدر علي عيشي.

فقالت له: امض إلى حالك، وإلا أنبهت إخوتي فيقتلونك.

فقال لها: إن القتل أهون علي مما أنا فيه.

قالت: وهل يكون شيء أشد من القتل؟

قال: نعم، ما أنا فيه من حبك.

قالت له: فما تشاء؟

فقال: أمكنيني من يدك حتى أضعها على قلبي، ولك عهد الله أن أرجع.

ففعلت.

فلما كانت القابلة عاد فوجدها على مثل حالها. فقالت له كقولها.

فقال أمكنيني من شفتيك حتى أرشفهما وأنصرف.

فلما فعلت ذلك وقع في قلبها منه كهيئة النار. فأقبلت تتلقاه كل ليلة.

فنذر[1] به حيها وإخوتها فقالوا: ما لهذا الكلب قد أطال المكث في هذا الجبل وهو يتخطانا؟ فقعدوا لطلبه في ليلتهم تلك.

فأرسلت إليه: أن القوم يريدونك فكن على حذر، وإياك والغفلة.

فجاءت[2] السماء بمطر حال بينهم وبين طلبه.

ثم انجلت السماء وطلع القمر فتطيبت الجارية ونشرت شعرها وأعجبت بنفسها، فاشتهت أن يراها على تلك الحال فقالت لترب[3] لها، قد كانت [٧٩/أ] قد أطلعتها على شأنها؛ يا فلانة: أسعديني على المضي إليه.

فخرجتا يريدانه، وهو على الجبل خائف من الطلب لما حذرته، فبصر بشخصين يسيران في القمر.

فلم يشك أنهما من الطالبين له ليقتلوه فنزع بسهم فما أخطأ قلب صاحبته.

---

(١) المراد: شعر به أهل الحي لكثرة تردده عليهم في غير حاجة ظاهرة مما أثار حوله وجوه الريب والشكوك ، فترصدوه ليعرفوا خبره وما يريد من وجوده بينهم.

(٢) أي أرسلت سحبها ما تحمل من الماء وكان فيما يبدو شديدًا حيث حال بين القوم وبين بغيتهم أو وجهتهم فكفوا عنه تلك الليلة.

(٣) أي لقرينة لها في السن وصاحبة لها قرين وهي من تطلعها على أسرارها وكما بين ابن حزم أنهن يفضين بعضهن لبعض وقل أن تشي واحدة منهن بهذا السر إلا في القليل النادر وتكون بينهن مقيتة.

قال: فسقطت لوجهها مضرجة بدمائها، فلم تزل تضطرب حتى ماتت.

فبهت شاخصًا[١] ينظر إليها ثم أنشأ يقول:

نَعبَ[٢] الغرَابُ بمَا كَرِهْتُ ... وَ لاَ إزَالَـةَ لِلْقَـدَرْ

تَبْكـي وَأَنْـتَ قَتَلْتَـهَا ... فَاصبِرْ وَإلاَّ فَانْتَحِـر

ثم جمع نبله، فجعل يجأ بها أوداجه حتى قتل نفسه.

وفي كـتاب الكلبي عن أبي مسكين: خرج ناس من بني حنيفة يتنزهون فبَصُر فتًى منهم اسمه عباس بجارية فعشقها.

فقال لأصحابه: انصرفوا حتى أقيم وأرسلها.

قال: فطلبوا إليه أن يكف، فأبى[٣].

فذكر الحديث وفي آخره: فجاء الحي فوجدوهما ميتين، فدفنوهما في قبر واحد.

۞ ۞ ۞

٧٣- قتيـل

[ابن بنت أبي العباس أو أبي العنبس الثقفي وجارته بنت أبي الحكم[٤]]

لمـا جـاوز أبو العباس الثقفي بمكة، ووجدته في نسخة: -أبو العنبس[٥] ومعه ابن ابنـته، وإلى جانبهم قوم من آل الحكم مجاورون، فعشق الفتى جارية منهم، فأرسل إليها، فأجابته، وكان يتحدث إليها.

فلما أراد جده الرحيل جعل الفتى يبكي أحر بكاء.

فقال له جده: يا بني مالك؟ لعلك ذكرت مصر[٦]؟

قال: نعم، وأنشأ يقول فيما ذكره أبو الحسن المدائني:

يُسَائِلُنِـي غَـدَاةَ البَيْـنِ جَـدِّي ... وَقَدْ وَبِلَتْ دُمُوع العَيْن تَجْري[٧]

(١) أي مذهـولاً من شدة المفاجأة التي لم تكن تخطر له على بال وما كان يمكن أن يناله ولو أمسك ولو لبرهة واحدة.

(٢) في المخطوط: نعت. وهو تحريف.

(٣) صرح هنا الكلبي باسمه مع أنه بدأ القصة كما بدأها صاحب المصارع.

(٤) ذكر القصة السراج في مصارع العشاق (١٣٩/٢) تحت عنوان: الفتى الحاج والجارية المكية.

(٥) في مصارع العشاق أبو العنيس.

(٦) بعدها في مصارع العشاق. وكانوا من أهل مصر.

(٧) في المصارع الشطر الثاني على النحو التالي:

وقد بلت دموع العين نحري

أمِنْ جـزَعٍ بكَيْت ذكَرْتَ مصْـــرًا؟ فَقُلْتُ نَعَمْ وَمَا بي ذكْر مصْر
ولَكن للّـذي[١] خلّفـتُ خَلْفـي بكَتْ عَيْني وَعيْل[٢] اليَوم صَبْري
[٧٩/ب]فَمَنْ ذا إنّ هَلَكْتُ وَحانَ مَوْتي[٣] يُخبِّرْ والدَيَّ بكُلٍ[٤] أمْري؟
ليحْفَظ[٥] أهْـل مكّـة في هَوائـي وَإنْ كَانُوا أُولي[٦] سَقَمي وَضُرّي

ثم ارتحلوا، فلما خرجوا عن أبيات مكة، قال:

رَحَلـوا وكُلُّهم يـحنّ صَبـابَةً شَـوْقًا إلى مصْـرَ وَدَاري بالحَـرَمْ[٧]
لَيْـتَ الرّكَابَ غَدَاةَ جَمّ[٨] فراقنا كَانَـتْ لُحومًـا قُسّمتْ فَوْق الوَضَمْ[٩]
نَاخوا[١٠] سـرَاعًا يُعْملُون مَطيّهُم قُدُمًـا[١١] وَبـتُ مـنَ الصَّبابَة لَمْ أنَمْ
طُوْبَى لَهُمْ يَبْغُونَ قَصْدَ سَبيْلهمْ وَالْقَلْـبُ مُرْتَهـنُ بِبِنْتِ أبِي الحَكَـمْ

ثم إن الفـتى اعـتل واشتدت علته، فلما وردوا أطراف الشام مات، فدفنه جده، ووجد عليه وجدًا شديدًا وقال يرثيه:

يَا صَاحب القَبْر الغَرْيب بالشّام منْ أرْضِ[١٢] الكَثيْب
بـالشّعْب بيْنَ صَفَائح حُمّ تُرَصّـفُ بالجُنُوب[١٣]
لَمَّـا[١٤] سَمعْـتُ أنيْنَهُ وَدُعَـاءَهُ[١٥] عـنْدَ المغيب
أقْبلْـتُ أطْلُـبُ طبَّهُ وَالمَوْتُ يَعْضـلُ بالـطّبيْب

---

(١) في المصارع: للتي.
(٢) في المصارع: وقل .
(٣) في المصارع: يومي.
(٤) في المصارع: دائي.
(٥) في المصارع: فيحفظ.
(٦) في المصارع: أتوا.
(٧) في المخطوط: الحرم. والتصويب من المصارع.
(٨) في المصارع: حان.
(٩) الوضم : كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو أبارية يوقى به من الأرض.
(١٠) في المصارع: راحوا.
(١١) في المخطوط: قدرا، والتصويب من المصارع.
(١٢) في المصارع: طرف.
(١٣) البيت من مصارع العشاق.
(١٤) في المصارع: ما إن.
(١٥) في المصارع: ونداءه.

وَاللَّيْلُ مُنْسَــدِلُ الدُّجَى   وَحشُ الجنابِ مِنَ الغُرُوبِ

۞ ۞ ۞

٧٤- قتيــل

[الفتى المقيد بالسلسة في الدير[١]]

ذكر عبد الله بن عبد العزيز السامري فيما ذكره السراج قال:

مررت بدير هرقل أنا وصديق لي فقال [لي[٢]] هل لنا أن ندخل فنرى من فيه من ملاك المجانين؟ فقلت: ذاك إليك.

فدخلنا، فإذا بشاب حسن الوجه مرجل الشعر[٣] مكحول العينين أزج[٤] الحاجب[٥]، كأن شعر جفانه مقاوم[٦] النسور، وعليه طلاوة[٧]، وتعلوه حلاوة[٨]، ومشدود بسلسلة إلى جدار.

فلما بصر بنا قال: مرحبًا بالوفد، قرب الله ما نأى منكما[٩] بأبي أنتما[١٠].

قلنا: وأنت متع الله الخاصة والعامة بقربك [٨٠/أ] [وآنس جماعة ذوي المروءة بشخصك[١١]] وجعلنا وسائر من يحبك فداك.

فقال: أحسن الله عن جميل القول جزاءكما وتولى عني مكافأتكما.

قلنا: ما تصنع في هذا المكان الذي أنت لغيره أهلٌ؟ فقال:

اللهُ يَعْلَــمُ أَنِّي كَمَــدُ   لاَ أَسْتَطِيْعُ أُبُثُّ مَا أجدُ

نَفْسَانِ لِي نَفْسٌ تَضَمَّنَهَا   بَلَدٌ وَأُخْرَى حَازَهَا بَلَدُ

أَمَّــا المُقِيْمَةُ لَيْسَ يَنْفَعُهَا   صَبْرٌ وَلَيْسَ يِقُرِّبُهَا جلَدُ

---

(١) الخبر عند السراج في مصارع العشاق (١٩/١) بعنوان: مجنون دير هرقل.

(٢) من مصارع العشاق.

(٣) أي ممشط الشعر ومعتنى به.

(٤) دقيق شعر الحاجب.

(٥) في المصارع: الحواجب.

(٦) في المصارع: قوادم.

(٧) أي نضارة وجه.

(٨) أي جمال صورة.

(٩) في المحظوط: منكم، والتصويب من المصارع.

(١٠) في المخطوط: أنتم، والتصويب من المصارع.

(١١) ما بين المعقوفين من المصارع.

وَأَظُن غائبَتِي[1] كشَاهِدَتِي بِمَكَانِهَا تَجدُ الَّذي أجِدُ

زادَ التميمي في كتاب امتزاج النفوس:

أَتُرى المُحبِّيْنَ الَّذي سَلَفُوا وَجَدُوا منَ الأَحْبَاب مَـا أجدُ
بَيْنَ الجَوَانِـحِ جَمْرَةٌ تَقِدُ تَنفي الكرَى وَيُزوْرُ السَّهَدُ[2]

ثم التفت إلينا فقال: أَحْسَنْتُ؟ قلنا: نعم، ثم ولينا.

فقـال: بـأبي أنـتما[3] مـا أسـرع مللكما[4] بالله أعيروني فهم[5] أفهامكما، وأذهانكما[6].

قلنا: هات. فقال:

لَـمَّا أَنَاخُوا قُبَيْلَ الصُّبْحِ عِيْـرَهُمُ[7] وَرَحَلُـوا[8] فَسَـارَتْ بـالهَوَى الإبلُ
وَقَلَّبَتْ منْ خلالَ السِّجْفِ[9] نَاظرهَا تَـرْنُو إِلَـيَّ وَدَمْـعُ العَيْنِ مُنْهَـمِلُ
وَوَدَّعَـتْ بِبَنَـان عقدُهـا عَنَمٌ[10] نَادَيْـتُ: لا حَمَلَـتْ رِجْـلاكَ يا جَمَلُ
وَيْلِي منَ البَيْنِ مَاذَا حَلَّ بِي وَبِـهَا؟ مِـنْ نَـازِلِ البَيْنِ[11] حَلَّ البَيْنُ وَارْتَحَلُوا
يَا حَادِيَ[12] العِيْسِ عَرِّجْ كَيْ أُوَدِّعَهَا يَـا رَاحِـلَ العَـيْسِ فِي تَرحَالِكَ الأَجَلُ
إِنِّي عَلَى العَهْدِ لَمْ أَنْقُضْ مَوَدَّتَكُـمْ فَلَيْـتَ شِعْرِي وَطَالَ العَهْدُ مَا فَعَلُـوا؟

وقلنا و لم نعلم حقيقة ما وصف مجونًا منا: ماتوا.

فقال: أقسمت عليكم، ماتوا؟

---

(١) في المخطوط: غائلتي. والتصويب من المصارع.

(٢) مـن أول قوله: زاد التميمي الى موضع العلامة ليس من المصارع بل من امتزاج النفوس كما أشار المؤلف رحمنا الله وإياه.

(٣) في المخطوط، والمصارع: أنتم، وهو تحريف.

(٤) في المخطوط: أنتم مللكم، والتصويب من المصارع.

(٥) لم ترد الكلمة في المصارع.

(٦) في المخطوط والمصارع: أفامكم، وأذهانكم، وهو تحريف.

(٧) في المصارع: يمسهم.

(٨) في المصارع: ورحلوها.

(٩) الشق بين السترين

(١٠) العنم: شجر له ثمرة حمراء تشبه الأنامل.

(١١) في المصارع: يا نازح الدار.

(١٢) في المصارع: يا راحل.

فقلنا للنظر ما يصنع؟ [نعم[1]] ماتوا.

فقال: إني والله ميت في إثرهم.

ثم جذب نفسه [٨٠/ب] منها لسانه، وندرت[2] لها عيناه وانبعث شفتاه بالدماء، فتلبط ساعة ثم مات.

قال عبد الله: فلا أنسى ندامتنا على ما صنعنا.

وفي كتاب التميمي أنه قال لهم: إن أبي كان عقد علي ابنة عمي فمات قبل زفافها عن مال عظيم، فقبض عمي ذلك جميعه، وزعم أبي مجنون فحبسني هنا وأنشدهما أيضاً آخرًا:

أَبِنْ لِي أَيُّهَا الطَّلَلُ ... عَنِ الأَحْبَابِ مَا فَعَلُوا؟
تُرَىَ سَارُوا تُرَى نَزَلَوا ... بَأَرْضِ الشَّامِ أَمْ رَحَلُوا؟

قالوا: ماتوا... فذكره.

وحكى أبو العباس محمد بن يزيد اليماني هذا الخبر بعينه:

عن نفسه وابنه هو المشاهد لذلك، وزاد: فما برحنا حتى دفناه.

٧٥- قتيل
[عبد الله بن العجلان وطليقته هند[3]]

ذكر أبو الفرج الأصبهاني في تاريخه الكبير: عن عبد الله بن العجلان بن عبد الأحب بن عامر بن كعب بن صباح بن نهد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحارث بن قضاعة، فقال:

شاعر جاهلي أحد المتيمين من الشعراء ممن قتله الحب.

وكانت له زوجة يقال لها: هند، فطلقها ثم ندم على طلاقها، فتزوجت زوجًا غيره، فمات أسفًا عليها.

قال الهيثم: كان ابن عجلان سيدًا في قومه، وابن سيد من ساداتهم، وكان أبوه أكثر بني نهد مالاً.

---

(١) ما بين المعقوفين من المصارع.

(٢) أي برزت من مواضعها أو خرجت من مكانها لشدة الخنق.

(٣) قال الأستاذ محمد رضا كحالة في كتابه أعلام النساء (٥/٢٣٧) هند امرأة عبد الله بن العجلان النهدي: من فواضل نساء عصرها كان زوجها عبد الله بن العجلان، ذكرها في شعره وكانت أحب الناس إليه وأحظاهم عنده فمكثت معه سنين سبعًا أوثمانيًا لم تلد.

وكانت هند امرأة من قومه من بني نمد[1] وكانت أحب الناس إليه، وأحظاهم[2] عنده، فمكثت عنده سبع سنين أو ثماني سنين لم تلد.

فقال له أبوه: إنه لا ولد لي غيرك، ولا ولد لك، وهذه المرأة عاقر، فطلقها وتزوج غيرها.

فأبى ذلك عليه، فآلى أن لا يكلمه أبدًا حتى يطلقها.

فأقام على أمره، ثم عمد إليه يومًا [٨١/أ] وقد شرب الخمر حتى سكر، وهو جالس مع هند.

فأرسل إليه: أن سر[3] إلينا.

فقالت له هند: لا تمض إليه[4]، فأبى وعصاها فتلعقت بثوبه، فضربها بمسواك فأرسلته، وكان في يدها زعفران فأثر في ثوبه مكان يدها.

ومضى إلى أبيه، فعاوده في أمرها وأنبه وضعفه وجمع عليه مشيخة الحي وفتيانهم، فتناولوه بألسنتهم، وعيروه[5] بشغفه بها وضعف حزمه، ولم يزالوا [به[6]] حتى طلقها.

فلما أصبح خبر بذلك، وقد علمت به هند، فاحتجبت عنه.

وعادت إلى بيت أبيها، وأسف عليها أسفًا شديدًا.

فلما[7] رجعت إلى أبيها خطبها رجل من بني نمير، فزوجها أبوها به فبنى بها عندهم، ثم أخرجها إلى بلده.

فلم يزل ابن عجلان دنفًا سقيمًا [وأخذ[8]] يقول فيها الشعر ويبكيها حتى مات أسفًا وعرضوا عليه فتيات الحي جميعاً فلم يقبل واحدة منهن.

وقال في طلاقه إياها:

---

(١) في المخطوط: هند وهو تحريف وقد حدث في الكلمة إقلاب أو تقديم أو تأخير.

(٢) أي أحبهم إليه وأقربهم إلى قلبه.

(٣) في أعلام النساء: صر إلى.

(٤) بعدها في أعلام النساء: ما يريدك لخير وإنما يريدك لأنه بلغه أنك سكران فطمع فيك أن يقسم عليك فتطلقني فنم مكانك ولا تمض إليه.

(٥) في المخطوط: عزوه. والتصويب من أعلام النساء.

(٦) ما بين المعقوفين من أعلام النساء.

(٧) من العلامة رقم (١) إلى العلامة رقم (٢) لم يرد بأعلام النساء والذي أخذ الترجمة من الأغاني.

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من أعلام النساء.

طَلَّقْــتُ[1] هنــدًا طَــائعًا | فَندمْت بَعْدَ فراقهَــا
فَالْعَيْــنُ تَذْرِفُ[2] دَمْعَــــةَ | كَالــدُّر مِنْ آمَاقهَــا
مُتَحَلِّيَـــا فــوْقَ الــــرِّدَاء | يَجُولُ[3] فِي رَقْرَاقهَــا
خَــود[4] رَوَاحٌ طفْلَـــــــةٌ | مَا الفُحْش مِنْ أَخْلاقهَا
إِنَ كَنْــت سَــاقيَــة بنَـــزْ | ل الأدم أَوْ بحقَاقهَا[5]
فَــاسْقــي بَنِي نَــهْــدٍ إذا | شَــرِبُوا خيَــار رِقَاقهَا
فَالْخيــْلُ تَعْلَــدُ كَيْفًـــا | لحقها غــداة لحاقهــا
بأسنــــة زرْق صحنــــا | لقــومٍ حَـدَّ رِقَاقهَــا
[٨١/ب] حتَّى تَرَى قَصْدَ القَنَــا | وَالبيــْضُ فِي أَعْنَاقهَا

وقال أبوعمرو الشيباني: لما طلق ابن عجلان هندًا، نكحت في بني عامر، وكانت بينهم وبين بني[6] نهد مغاورات فجمعت نهد لبني عامر جمعًا، وأغارت[7] على طوائف منهم [فيهم[8]] بنو العجلان ، وبنو الوحيد، وبنو الجريش، وبنو قشير فنذروا بهم فقتلوا قتالاً شديدًا، وانهزمت بنو عامر، وقتلوا منهم جماعة من أشرافهم فقال ابن العجلان في ذلك:

أَلاَ أَبْلغْ بَنِي الحَجَاج عَنِّي | فَلاَ يُنْبئْكَ بِالْحَدَثَان غَيْري
بأَنَّا قَدْ قَتَلْنَا الخير قرطا | وَجَوْنًا فِي سَــرَاةِ بني نُميْر
وَأَقْبَلْنَا بَنُو شكل رِجَالاً | حُفَــاة يَرْقَؤُونَ عَلَى سَمِيْرِ

(١) في أعلام النساء: فارقت.
(٢) في أعلام النساء: تذري.
(٣) في أعلام النساء: من.
(٤) الخود: الفتاة الحسنة الخلق الشابة ما لم تصر نصفا. وقيل الجارية الناعمة.
(٥) جاء قبل هذا في اعلام النساء:
وَلَقَدْ أَلَذ حَدِيْثَهَا | وَأُسِرّ عِنْد عِناقهَا
ومن أول العلامة حتى نهاية الشعر لم يرد بأعلام النساء.
(٦) ثم وصل كحالة الكلام كما هنا بدونذكر من قاله ، ووصل الكلام بلفظه ثم واستمر الكلام كما هنا.
و لم ترد الكلمة التي فوقها العلامة في كتابه.
(٧) في أعلام النساء: أغاروا.
(٨) لم ترد زيادة من أعلام النساء.

قال أبو عمرو:

فلما اشتد بما به[1] من الوجد خرج سرًا من أبيه، مخاطرًا بنفسه حتى أتى أرض بني عامر، ولا يرهب ما بينهم من [الشر، و[2]] التراث حتى نزل ببني نمير وقصد خباء هند[3]، فلما قاربه رآها[4]، وهي جالسة على الحوض، وزوجها يسقي ويذود الإبل عن مائه.

فلما نظر إليها، ونظرت إليه، رمى بنفسه عن بعيره، وأقبل يشتد إليها [وأقبلت تشتد عليه[5]] واعتنق كل واحد منهما صاحبه، وجعلا يبكيان [وينشجان[6]] ويشهقان حتى سقطا على وجهيهما[7].

وأقبل زوج هند لينظر ما حالهما؟ فوجدهما ميتين[8].

قال أبو عمرو: وأخبرني بعض بني نهد: أن ابن عجلان لما أراد المضي إلى بلادهم منعه أبوه وخوفه الثارات، وقال له: نجتمع معهم في الشهر الحرام بعكاظ. فلما كان ذلك الوقت حج مع أبيه.

---

(١) ثم ساق كلامًا ثم ذكر ما هنا بدون ذكر لأبي عمرو، وعند موضع العلامة قال بدلاً من هذا اللفظ: ما بعبد الله بن العجلان من السقم خرج سرًا، ثم ساق الحكاية كما هنا.

(٢) زيادة من أعلام النساء.

(٣) في أعلام النساء: حتى نزل على خباء هند، وما بينهما من كلام ليس فيه.

(٤) في أعلام النساء: قارب دارها.

(٥) ما بين المعقوفين من أعلام النساء.

(٦) زيادة من أعلام النساء.

(٧) في أعلام النساء: وجوههما.

(٨) ومما زاده الأستاذ محمد رضا كحالة في ترجمتهما أنه قال:

ثم جمعت بنو عامر لبني نهد.

فقالت هند لغلام منهم يتيم فقير من بني عامر: لك خمسة عشر ناقة على أن تأتي قومي، فتنذرهم قبل أن يأتيهم بنو عامر.

فقال: أفعل.

فحملته على ناقة زوجها ناجية وزودته تمرًا ورطبًا ولبنًا.

فأتاهم والحي خلوف في غزوة وميرة، فنزل بهم وقد يبس لسانه.

فلما كلموه لم يقدر على أن يجيبهم، وأومأ لهم إلى لسانه.

فأمر خراش بن عبد الله بلبن وسمن فأسخن وسقاه إياه، فابتل لسانه وتكلم.

وقال لهم: أنا رسول هند إليكم تنذركم فاجتمعت بنو نهد واستعدت.

ووافتهم بنو عامر، فلحقوهم على الخيل فاقتتلوا قتالاً شديدًا، فانهزمت بنو عامر.

هذا ما زاده كحالة في ترجمتها في كتابة أعلام النساء.

فنظر إلى زوجها يطوف بالبيت وأثر كفها في ثوبه بخلوق.

فرجع إلى أبيه في منزله فأخبره [٨٢/أ] بما رأى، ثم إنه سقط على وجهه فمات.

وحدثنا عبد الله حدثنا نصر بن علي عن الأصمعي عن عبد العزيز بن أبي سلمة عن أيوب عن ابن سيرين قال خرج ابن عجلان في الجاهلية فقال:

أَلاَ إنَّ هِنْدًا أَضحَت مِنْكَ مُحَرَّما   وَأَصْبَحْت مِنْ دَاني حُمُوَّتِهَا حَمَا
فَأَصْبَحْتُ كَالْمَقْهُورِ جَفن سِلاَحِهِ   يُقَلِّبُ بِالْكَفِّ قَوْسا وَأَسْهُمَا

ثم مد بها صوته ومات.

قال ابن سيرين: فما رأيت أحدًا مات عشقًا غير هذا.

قال أبو الفرج: وهذا الخبر عندي خطأ لأن أكثر الرواة تروي هذين البيتين لمسافر بن أبي عمرو بن أمية، قالهما لما خرج إلى النعمان بن المنذر يستعينه في مهر هند بنت عتبة بن ربيعة.

فقدم أبو سفيان بن حرب فسأله مسافر عن أخبار مكة، وهل حدث بعده شيء؟ فقال: لا إلا أبي تزوجت هند بنت عتبة.

فمات مسافر أسفًا عليها. يدل على صحة ذلك قوله.

من أدنى حموتها حما

لأنه ابن عم أبي سفيان لحاً، وليس النميري المتزوج هندًا النهدية ابن عم ابن عجلان فيكون من أحمائهما. والقول الأول على هذا أصح.

وفي سبب خروج مسافر رواية أخرى هي: أنه عشق هندًا، وعشقته، فاتهم بها وحملت منه.

قال معروف بن خربوذ: فلما بان حملها أو كاد، قالت: اخرج فخرج حتى أتى الحيرة، لبعض ما كانت قريش تأتيها.

فلقي رجلاً فسأله، فقال: تزوجت هندًا، فداخله من ذلك ما اعتل معه حتى استسقى بطنه، فوصف له الكي فاكتوى فلم يزدد به إلاّ ثقلاً.

فخرج يريد مكة، فلما انتهى إلى هبالة توفي فدفن.

قال أبو الفرج يقال [٨٢/ب] إن قوله:

ألا إن هندًا أضحت منك محرمًا

لهشام بن المغيرة المخزومي، وكانت عنده أسماء النهشلية، فولدت له أبا جهل بن

هشام[1] وغيره.

ثم غضب عليها، فظاهر منها وهو أول ظهار كان.

فتزوجت أخاه أبا ربيعة، فقال فيها هشام هذا وكنى عن أسماء.

وفي كتاب الطبقات لابن قتيبة: عبد الله بن عبد الله العجلاني شاعر جاهلي من عشاق العرب الذين ماتوا عشقًا.

وقد ذكره بعض الشعراء فقال:

فَإِنْ مِتُّ مِنَ الحُبِّ فَقَدْ مَات ابن عَجْلَانَ[2]

وأنشد له: ألاَ إنَّ هِنْدًا

ثم قال: وهذا يدل على أنها كانت تحته فطلقها.

وقال المرزباني: كان ابن عجلان حجازيًا غزلا قتل عشقًا وضرب به المثل.

قال قيس بن ذريح، ويقال ابن الدميثه:

---

(١) ومن المعلوم أن أبا جهل بن هشام بن المغيرة المخزومي كان من أشد الناس إيذاءً للنبي صلى الله عليه وسلم وللإسلام وللمسلمين وأما اسمه فهو عمرو بن هشام، وأما كنيته الحقيقية فهي أبو الحكم.

وأما أبو جهل، فالمسلمون هم سموه كذلك فكان اسمًا على مسمى نظرًا لعدم تقبله دعوة الحق وشدة قسوته على أهل تلك الدعوة وانغلاق عقله الشديد الذي رفض دعوة النور وأبى إلا أن يظل على جهله وضلاله بل ورفض أن يدخل ذلك النور غيره أيضًا لا عقلاً بل قهرًا فلا هو استجاب عقله لتلك الدعوة، ولا هو خلى بين الناس وبين الدعوة يقبلونها أو يرفضونها بعقولهم وقلوبهم بل ذهب ينكل برسول الله صلى الله عليه وسلم وبكل من آمن معه بتلك الدعوة ثم جيش له الجيش يوم بدر، فكان هلكته فيه على يد رويعي الغنم على حد تعبيره وهو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه الذي كان من أشد الصحابة قصرًا وفقرًا ولكنه كان من أقواهم إيمانًا، وكان من أكثرهم فقهًا وحبًا للقرآن الكريم، فرضي الله عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أجمعين.

(٢) ذكر ابن قتيبة هذا البيت في الشعر والشعراء (ص ١٦٩) وكان ذكر قبله البيت الذي أشار هنا إلى شطره الأول: ألا إن هندًا.

مع بيت بعده وقد علق بعدها على أن في هذين البيتين دلالة على أن هندًا كانت تحته ثم طلقها ثم تبعتها نفسه.

وقد علق على البيت الأول مصحح الكتاب بالهامش فقال ما نصه:

ذكر في اللسان ما نصه: وقال رجل كانت له امرأة فطلقها وتزوجها أخوه:

لقد أصبحت أسماء حجراً محرماً وأصبحت من أدنى حمولها حمًا

أي أصبحت أخا زوجها بعد ما كنت زوجها.

وَفِي عُرْوَةَ العُذْرِي إن متّ أُسْوَة ... وَعِنْد ابن عَجْلَان الَّذي قَتَلَتْ هِنْدُ
فَبِي مِثْــلُ مَــا مــاتا غَيْرَ أنَّنِي ... إلَى أَجَــلٍ لــَمْ يَأْتِنِي وَقْتُــهُ بَعْدُ

وقال قيس أيضًا:

فَمَا وَجَدَتْ وجْدي بهَا أُم وَاجد ... وَلاَ وَجَدَ النَّهْديُّ وَجْدي عَلَى هِنْد
وَلاَ وَجَدَ العُذْرِيّ عُرْوَةَ فِي الهوَى ... كَوَجْدِي وَلاَ مَنْ كَانَ قَبْلي وَلاَبَعْدَي

وقال البحتري:

هَوىً لا جَمِـيْلُ فِي بُثَينَة نَالَــهُ ... بِمثْلِي وَلاَ عَبد بن عَجْلاَن فِي هِنْدِ

قال أبو الفرج ومن مختار شعر ابن العجلان في هند قوله:

عَــاود عَيــني نَصْبَهَــا وغوُورهــا ... اســم عَــراها أمْ لهذا لعُورهاَ
أو الــدار أمْسَتْ قَــدْ تعفّتْ كَــأنَّها ... زُبورُ يَمــاَن نَقَشتْــهُ سُطورهَا
[٨٣/أ] ذَكَرْتُ بهَا هِنْدًا وَأَتْرابُهَا الأُلى ... بَهَا يُكْذب الوَاش ويُعْصَى أسيْرهَا
فَمــَا معْــوَلٌ تَبْكــِي لِفَقْــدِ أليْفهَا ... إذَا ذَكَــرَتْهُ لاَ يَكُــفُ زَفيْــرهَا

وقال أيضًا:

لَقَــدْ طَالَ شَوْقِي وَعَادَنِي طَرَبِيَ ... مِــنْ ذكْرِ خَوْد كَرِيْمَة الحَسَب
غــرَّاء مثْــل الهــلاَل صُــوْرَتُهَا ... أوْ مِثْــلِ تِمْثَال صُورَة الذَهَب

وقال أيضًا:

إنِّي لعَمرُكَ مَا أخْشَى إذَا كرمَتْ ... مِنِّي الخَلاَئقُ فِي مُسْتَكْرَه الزَّمَــنِ
ألاَّ أكُــوْنَ إذَا مــَا أزْمَةٌ أزَمتْ ... ملينــا ذَا قَــرِيْضٍ أمْلَــسَ البَدَن
وَلاَ أبــَالِي إذا لــَمْ أجْنِ فَاحِشَةً ... طُوْلَ الشُّحُوب وَلاً أرْتَاح لِلسِّمَنِ

وقال أيضًا:

ألاَ أبْلغــَا هنــْدًا سَلاَمي وَإن نَأتْ ... فَقَلْبِي بِمَنْ شَطّتْ بهَا الدَّارُ مُدنَفُ
وَلَم أرَ هِنْدًا بَعْدَ مَوْقِف سَاعَــة ... بِأنْعَم فِي أهــْلِ الدِّيَــار تَطَوّف
أَبتْ بيْنَ أَتْرَاب تَمَايَس إنْ مَشَتْ ... دَبِيْب القَطَــا أوْهُــنَّ مِنْهُنَّ أنْطَفُ
يُبَــاكِرْنَ مــِرْآةً جَلِيَّــا وَدَارَة ... دكْنَــاء وَبالأَيْدي مَداك ومُسوّفُ
أشَــارَتْ إلَيْنَا فِي حَيَاء ذرَاعهــا ... سُراةَ الضُحَى مِنِّي عَلَى الْحَيِّ موقفُ
وقَالَتْ تبَــاعَدْ يَا ابْنَ عمِّ فَإنَّنِي ... مُنِيْب بــِذِي صَــوْلٍ يَغَارُ وَيَعْنفُ[1]

(١) تــريد أنها بعد أن كانت مع حبيب وابن عم وبين أهل وعشيرة صارت لغريب وممن أهل غارات =

وقال أيضًا : وزعم ابن أبي طاهر في المنثور والمنظوم أنه لرجل من مزينة

خَلِيْلَيَّ زُوْرَا قَبْلَ سَخط النَّوَى هِنْدًا ... وَلاَ تَأمَنَا مِنْ ذَا رَدَى لُطفُ سُعْدَى
وَلاَ تَعْجَلاَ لَمْ يَدْرِ صَاحِبُ حَاجَة ... أغَيًا يُلاَقِي فِي التَّعَجُّلِ أمْ رُشْدَا
وَمُرَّا عَلَيْهَا بَارَكَ اللهُ فِيْكُمَا ... وَإنَ لَمْ يَكُنْ هِنْدٌ لوَجْهِكُمَا قَصْدَا
وَقُولا لَهَا لَيْسَ الضَّلاَلُ أجَازَنا ... وَلَكِنَّنَا جُزْنَا لنَلْقَاكُم عَمْدَا
غَدًا يَكْثُر البَاكوْنَ مِنَّا ومِنْكُمُ ... وَتزْدَادُ دَارِي مِنْ دِيَارِكُمْ بُعْدَا

وذكر ابن المرزبان في كتاب الذهول والنحول تأليفه: أنه أولاً استبهم أمره فمرض وضنى ودخلت عليه عجوز، فلما رأته قالت: صاحبكم عاشق.

قالوا لها: كيف لنا بعلم ذلك؟

قالت: اذبحوا له شاة، واصنعوها طعامًا، وأتوه بها جميعًا، وغيبوا قلبها ففعلوا ذلك. فجعل يرفع بضعة ويضع أخرى.

فقال: أما لشاتكم قلب؟!

فقال أخوه: ألا أراك عاشقًا و لم تطلعنا على خبرك.

فيحكى أنه قال: أوّه، وَمَدَّ بها صوته فمات[1].

وفي نوادر أبي علي الهجري أن هندًا لما طلقها عبدالله بن عجلان قال:

فَسَرَرتَ مَا أخلَوْلِي وَكَدَّرْت مَا صَفَى ... وَأشْمَتّ بِي مَن كَانَ فِيكَ لَحَانِيَا[2]

وأنشد له ابن أبي طاهر في كتاب المنثور:

وَحَقَّةَ مِسْك مِنْ نِسَاء لَبسْتُهَا ... شَبَابِي وَكَأْسٌ بَاكَرَتْنِي شُمُولهَا
جَدِيْدٌ سِرْبَال الشَّبَاب كَأنَّهَا ... شَقِيْقَة بُرْدي تُمَنِّيهَا غُيُولُهَا
وَمُحَمَّلَة بِاللَّحْمِ مِنْ دُوْنِ ثَوْبِهَا ... تَطُول القِصَارُ وَالطِّوالُ تَطُولهَا

= عليهم وصولات لا رحمة فيها ولا هوادة، وكل هذا ترجعه إلى حمقه وعدم طاعته في أن لا يذهب إلى أبيه وهو ثمل حتى لا يحدث ما صار إليه حالهما.

(١) ذكر نحو هذا السراج في مصارع العشاق (٢٧/٢) تحت عنوان عبد الله بن عجلان صاحب هند، ولم يطل هو ولا ابن قتيبة في الشعر والشعراء في ترجمته.

(٢) وهذا أيضًا عتاب شديد منها تذكره فيه أيام الفرح والرضى والسرور وتمنى النساء أن يعشن حياتها وأن يسعدن سعادتها، فإذا بالأيام تعطيها ظهرها فتعكس كل هذا إلى مرارة وأسى ولوعة وحزن وفرقة وبعاد وهجر وجفوة وكل هذا إنما كان سببه حبيبها والذي ما زال حبيبها فكانت لوعتها لا نظير لها.

كـــأن دَمَقسًا أَوْ فُـــرُوع عَمامَةٍ عَلَى مُنْتَهَى حَيْثُ اسْتَقَـــر جَذِيلهَا

۞ ۞ ۞

٧٦- شهيد

[الباكية عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم]

ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد الله بن المبارك: أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها: اكشفي لي عن قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكشفت لها عنه، فلما رأته بكت حتى ماتت[١].

۞ ۞ ۞

٧٧- شهيد

[أبو عبد الله الحبشاني وصفراء العلاقمية[٢]]

ذكـــر أبـــو القاســـم التنوخي: أن أبا عبد الله الحبشاني كان يعشق صفراء العلاقمية، وكانت سوداء، فاشتكى من حبها [٨٤/أ] وضنى حتى صار إلى حد الموت.

فقال بعض أهله لمولاها: لو وجهت صفراء إلى أبي عبد الله [الحبشاني[٣]] فلعله يعقـــل إذا رآها. ففعل، فلما دخلت عليه صفراء. قالت له[٤]: كيف أصبحت يا أبا عبد الله؟ قال: بخير ما لم تبرحي.

قالت: ما تشتهي؟ قال: قربك.

قالت: فما تشتكي؟ قال: حُبكِ.

قالت: فتوصني[٥] بشيء؟

قال: نعم، أوصي عليّ[٦].

(١) كمـــا ســـبق أن أشرت أكثر من مرة أن مثل هذه الحكايات من وضع غلاة الصوفية، وأصحاب كتب العشق الإذني.

(٢) الخـــبر في مصـــارع العشـــاق (٤٩/٢) تحت عنوان: صفراء السوداء بالإسناد التالي: أخبرنا ابن التوزي، والتنوخي قالا: حدثنا أبو عمر محمد بن العباس، حدثنا محمد بن خلف قال: وذكر بعض الرواة عن العمري: فذكره.

(٣) زيادة من مصارع العشاق.

(٤) لم ترد في المصارع.

(٥) في المصارع: أفتُوصى بشيء؟

(٦) في المصارع جاءت العبارة على أطول وعلى النحو التالي: أوصي بك إن قبلوا مني.

فقالت: إني أريد الانصراف. قال: فتعجلي ثواب الصلاة علي.

=

فقامت وانصرفت، فلما رآها مولية تنفس الصعداء، ومات من ساعته.

٧٨- شهيد

[أخو عبد الله بن أحمد بن يحيى وجارية الدرب]

ذكـــر ابن حزم عن أبي القاسم الهمداني قال: كان معنا ببغداد أخ لعبدالله بن أحمد بن يحيى بن دحون الفقيه بقرطبة وأنه جاز يوماً بدرب قطنه يتقد فدخل فيه.

فرأى في أقصاه جارية واقفة مسفرة ، فقالت له : يا هذا ، إن الدرب لا ينفذ.

قـــال: فلما نظر إليها، هام بها وانصرف إلينا قد تزايد أمره، وخشي الفتنة، فخرج إلى البصرة، فمات بها عشقاً وكان فيما يذكر من الصالحين، وكان أعلم من أخيه وأجل مقدارًا، وما كان من أصحابنا ببغداد مثله في العلم والدين.

٧٩- شهيدان[١]

[المغنية وصاحب المذَبة]

ذكر أبو محمد الحسن بن على الجوهري: أن عبدالرحمن بن إسحاق القاضي قال: انحـــدرت من سر من رأى[٢] مع محمد بن إبراهيم بن إسحاق[٣]، ودجلة تزخر من كثرة مائها.

فلما أن سرنا ساعة قال: ارفعوا[٤] بنا ثم دعا بطعامه، فأكلنا.

ثم قال: ماترى في النبيذ؟

قلت له : أعزك الله أيها الأمير، هذه دجلة قد جاءت بمدّ عظيم ترغَبُ عن مثله[٥]، وبينك وبين منزلك مبيت ليلة؟! فلو شئت أخرته.

=

فقامت فانصرفت، فلما رآها مولية تنفس الصعداء ومات من ساعته.

وكـــأن مـــا هـــنا سقط من المخطوط بعد كلمة أوصي فيكون هذا الكلام إلى كلمة: علي. ثم يسترسل ما فيه حتى ما هو هنا.

(١) هذان قتيلان ، لأنهما انتحرا صراحة ولا أدري! لماذا اعتبرهما شهيدين على أنه اعتاد ممن فعل ذلك أن يقول عنه قتيل إلا في القليل النادر والذي هذا منه.

(٢) هي سمراء من بلاد العراق وهي معروفة.

(٣) في مصارع العشاق: مع محمد بن إبراهيم أخي إسحاق.

(٤) في المصارع: أرفق.

(٥) في المصارع: يرعب مثله. وهو سقط وتحريف.

قال: لابد لي من الشراب[1].

فضربت ستارة، واندفعت مغنية تغني وأخرى تجيبها[2]: [٨٤/ب]

يَا رَحْمَتَا[3] لِلْعَاشِقِينْــا   مَا أَنْ أَرَى لَهُمَا مُعِينَــا
كم يُشْتَمــُونَ وَيُضْرَبُونَ   وَيُهْجَرُونَ فَيَصْبِــرُونَــا

فقالت لها المغنية الأولى: فيصنعوا ماذا؟

قالت: يصنعون هكذا، ورفعت الستارة وقذفت نفسها في دجلة.

وكان بين يدي محمد غلام ذكر أنه[4] شراه بجملة[5] من ذهب[6] بيده مذبة[7] لم أر أحسن منه، فوضع المذبة، وقذف بنفسه في دجلة وهو يقول:

أَنْتِ الَّــذي غــَرَّقْتِنِ   بَعْدَ القَضَــا لَوْ تَعْلَمِينَا
لاَ خَيْرَ بَعْدَكِ إنْ بَقَيْت   وَالْموت زَيْن العَاشِقِيْنَا[8]

فـــأراد الملاحون أن يطرحوا أنفسهم خلفهما فصاح بهم محمد دعوهما يغرقان إلى لعنة الله قال: فرأيتهما وقد خرجا[9] من الماء متعانقين ثم غرقا[10].

وفي كـــتاب الســـامري: فاشـــتد ذلك على ابن إسحاق، ورفع الشراب، وأمر بطلبهما، فأخرجا من الماء فدفنا.

(١) في المصارع: الشرب.
(٢) في المصارع: واندفعت أخرى فغنت.
(٣) في المخطوط: يا رحمتي. والتصويب من المصارع.
(٤) في المخطوط: أن. والتصويب من المصارع.
(٥) في المخطوط جملة. وهو تحريف.
(٦) في المصارع شراه بألف دينار.
(٧) ما يذب أو يطير بها الذباب عن الوجه وسبق أن ذكرت أنواعًا منها.
(٨) لم يرد هذا البيت في المصارع.
(٩) قلت: يريد أثناء اندفاعهما لأعلى وأسفل قبل تمام غرقهما فربما كانا متعانقين في حالة الغرق.
(١٠) الخـــبر ذكره السراج في مصارع العشاق (١١٣/١) تحت عنوان: غريقا الهوى بالإسناد التالي: أخبرنا محمد الحسن بن علي الجوهري بقراءتي عليه سنة إحدى وأربعين وأربعمائة قال أخبرنا أبو عمـــر محمد بن العباس بن حيوية قال: حدثنا محمد بن أحمد الكاتب قال حدثنا ميمون بن هارون الكاتب حدثني عبد الرحمن بن إسحاق القاضي.

٨٠- قتيـــل(١)

[أحد ولد عبد الرحمن بن عوف وابنة عمه والفقر]

ذكر هشام بن محمد بن السائب في كتاب اللباب قال: كان بالمدينة رجل من ولد عبد الرحمن بن عوف، وكان عنده ابنة عم له، وكان لها عاشقًا وبها مستهترًا فضاق ضيقة شديدة.

فأراد المسير إلى هشام بن عبد الملك بالرصافة فمنعه من ذلك ما كان يجد بها وكره فراقها.

فقالـــت له يومًا وقد بلغ منها الضيق: يا ابن عم ألا تأتي الخليفة لعل الله أن يقسم لك منه رزقًا فنكشف به بعض ما نحن فيه.

فـــلما سمع ذلك منها نشط للخروج فتجهز ومضى حتى إذا كان من الرصافة على أميال خطر ذكرها بقلبه وتمثلت له فلبث ساعة شبيها بالمغمى عليه، ثم أفاق.

فقال: والله لا نخطو خطوة إلا راجعة.

فـــرجع فلما كان من المدينة على قدر ميل لقيه بعض بني عمه ، فأخبره أن امرأته قد توفيت. فشهق شهقة وسقط عن ظهر البعير ميتًا :

أَتَظْعَنُ عنْ حَبيْبكَ ثمَّ تَبْكِي ... عَلَيْه فَمَا دَعَاكَ إلىَ الفرَاقِ
كَأنَّكَ لَمْ تَذُقْ طَعْمًا لِبَيْنٍ ... فَتَحْسَبُ أنَّهُ مُرّ المَـــذَاقِ

٨١- شهيد

[عبد العزيز بن الشاة، ومحمد بن الحسين الضبي(٢)]

ذكـــر السراج : أن محمد بن الحسين الضبي، وعبد العزيز بن الشاة التميمي، كانا

(١) لا أرى هذا قتيلاً وقد تردى من على بعيره عنوة عنه أو عن غير قصد إنما أذهلته المفاجأة فانهارت قواه فلم يتماسك فسقط، فمات فليس له في ذلك دخل، وعموماً: ربهم أعلم بهم. ولكني أتكلم حسب منهج المؤلف.

(٢) الخبر ذكره السراج في مصارع العشاق (١/١٨٧) تحت عنوان : خليلان في الجنة بالإسناد التالي: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر بقراءتي عليه قال: حدثنا أبو صالح السمرقندي الصوفي قـــال: حدثـــنا عبدالله الحسين بن القاسم بالقرافة قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الديـــنوري قال حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي قال: حدثنا محمد بن الأحوص الثقفي قال حدثني أبي قال حدثني رجل من أصحابنا قال: كان محمد بن الحسين الضبي فذكره كما هنا.

كأنهما هلالان أو وردتان من حسنهما وجمالهما، فسمعا كلام أبي عبد الله الديلمي، وكان من أحسن الناس كلامًا وأظهرهم جزعًا(١)، وأكثرهم صلاة واجتهادًا، فاصطحباه(٢) مدة طويلة على خير وعفاف.

فحضر محمد الوفاة، فجزع عليه عبدالعزيز جزعًا شديدًا لم ير مثله، وأقام أيامًا لا يطعم ولا يتكلم.

قال الراوي عنه: فرأيته في صلاة الغداة من بعد اربعة أيام قام إلى جنبي في الصف، فسمعته يدعو بعد ما فرغ من الصلاة:

اللهم لا تجمع علي كرب الدنيا وعذاب الآخرة وعجل خروجي من الدنيا سالماً منها إلى رضاك ومغفرتك، وارحم غربتي واجب دعوتي واجمع بيني وبين من أحبني فيك وأحببته لك، ولا تفرق بيني وبينه، واجعل اجتماعنا في محل الفائزين، ثم قال: أقسمت عليك إلاّ فعلت، ثم خرّ ساجدًا(٣)، فأطال السجود، فدنوت منه فحركته، فإذا هو قد قضي، فدفن(٤) إلى جنب صاحبه(٥).

ومكثت حينًا من الدهر أسأل الله أن يريني أحدهم في المنام.

فرأيت عبد العزيز [ابن الشاة] عليه ثياب خضر، وهو يطير بين السماء والأرض. [فناديته، فوقف].

فقلت: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي.

قلت: بماذا؟

قال: بقول الناس فِي مالا يعلمون ورميهم إياي بالإفك والظنون.

[٨٥/ب] قلت: فما فعل محمد بن الحسين؟

---

(١) في المصارع. خشوعًا.

(٢) هنا جاءت القصة كما في المصارع، أما بعد هذا ففي المصارع القصة مطولة جدًا، وسأذكر أثناء الترجمة بعضًا منها إن شاء الله تعالى.

(٣) جاء بعدها في المصارع، بعد أن كان ذكر كلاماً كثير وذكر بعده موضوع الدعاء كما هنا أضاف بعد العلامة: فظننت أنه قد سجد. ثم ساق الكلام كما هنا.

(٤) في المصارع: فدفنته.

(٥) في المصارع. بعدها ما يلي: فكنا حينا من الدهر نتحدث بحديثهم وبما وهب الله عز وجل لهما من الاجتماع في الدنيا والآخرة، وبما أفضوا إليه من الكرامة والرحمة، فمكثت سنين أتمنى أن أرى واحدًا منهم في منام.
ثم أرسل الكلام كما هنا.

قال: جمع الله بيني وبينه وأنا وهو في درجة واحدة[١].

٨٢- شهيد

[مُحبة بيت ربها]

ذكر ابن أبي الدنيا عن عبد العزيز بن أبي رواد قال: دخل قوم حجاج ومعهم امرأة تقول أين بيت ربي؟

فنقول لها: الساعة ترينه.

فلما رأوه قالوا: هذا بيت ربك أما ترينه؟!

فخرجت تشد وتقول: بيت ربي حتى وضعت جبهتها على البيت، فوالله ما رفعت إلا ميتة[٢].

وعنه قال: لما نزلت: ﴿**يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارًا**﴾[٣]. تلاها النبي صلى الله عليه وسلم على أصحابه ذات يوم فخر فتىً مغشيًا عليه. فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده على قلبه، فإذا هو يتحرك، فقال: "**يا فتى، قل: لا إله إلا الله**". فقالها، فبشره بالجنة.

فقـــال أصحابه: يا رسول الله أمن بيننا؟ فقال : أما سمعتم قوله تعالى : ﴿**ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد**﴾[٤]؟

٨٣- شهيد

[الفتى الهائم بين الحجيج سائلاً عن محبوبة[٥]]

ذكر أبو محمد السراج أن عبد الملك بن محمد قال: خرجت من البصرة، وأنا أريد

---

(١) ثم ذكر القصة بأتم مما هنا بكثير.

(٢) سبق أن قلت كثيرًا : إنه من مغالات المغالين من الصوفية وربما صادف أجل كما أشرت إلى ذلك في مواضع عدة من توافق آجال في أماكن أو عند سماع ألفاظ .. إلى آخره.

(٣) سورة التحريم ﴿الآية: ٦﴾.

والحديـــث إســناده ليس بذاك لكلام في محمد بن يزيد بن خنيس، وعبد العزيز بن أبي رواد،وقد أخرج الحديث الحاكم في المستدرك(٢/٣٥١).

(٤) الآيــة من سورة إبراهيم (رقم ١٤) والحديث إسناده ليس ليس بذاك للكلام في محمد بن يزيد بن خنيس، وعبد العزيز بن أبي رواد، وقد أخرج الحديث الحاكم في المستدرك (٢/٣٥١).

(٥) القصة عند السراج في مصارع العشاق (٢/٢٤٦) بعنوان: الدمع المبتذل.

بالإسناد التالي: أنبأنا القاضي أبو الطيب سمعت أبا جعفر الموسائي العلوي يقول: حدثني محمد بن أحمد بن الرصافي قال: قال لي عبد الملك بن محمد.

الحج، فإذا أنا بفتى نضو قد نهكه السقام يقف على محمل محمل وهودج هودج يتطلع فيه ويقول:

أَحُجَاجَ بَيْتِ اللهِ فِي أَيِّ هَوْدَجٍ ... وَفِي أَيِّ خُدْرٍ مِنْ خُدُورِكُم قَلْبِي؟
أَأَبْقَى أَسِيْرًا لِحُبٍّ فِي دَارِ غُرْبَةٍ ... وَحَادِيْكُمُ يَحْدُو بَقَلْبِي فِي الرَّكْبِ؟

فلم أزل أتبعه حتى جاء إلى المنزل فاستند إلى جدار، ثم قال:

خَلِّ فيض الدَّمْع يَنْهَمِلُ ... إنَّ مَنْ تَهْوَاهُ قَد رَحَلُوا
كُلِّ دَمْــعٍ صَانَه كَلِفٌ ... فَهُــوَ يَوْمَ البَيْنِ مُبْتَذلُ

قال: ثم تنفس الصعداء وشهق فحركته فإذا هو ميت.

٨٤- شهيد

[الأصمعي والمرأة التي استكتمته أمرها]

ذكــر ابــن المــرزبان في كــتاب الذهول والنحول: أنبأنا أحمد أنبأنا محمد بن زكــريا عــن [٨٦/أ] المساور بــن حمــيد قــال: مــا رأيــت الأصــمعي[١] قط

(١) الأصــمعي هــو: الإمام الحافظ حجة الأدب لسان العرب أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملــك بــن علي بن أصمع بن مظهر بن عبد شمس بن أعيا بن سعد بن عبد بن غنم بن قتيبة بن معن بن مالك بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان الأصمعي، البصري، اللغوي، الأخباري، أحد الأعلام.
يقال اسم أبيه عاصم، ولقبه قريب.
ولد سنة بضع وعشرين ومئة... وقد أثنى أحمد بن حنبل على الأصمعي في السنة.
قال الأصمعي: قال لي شعبة: لو تفرغت لجئتك.
قال إسحاق الموصلي: دخلت على الأصمعي أعوده فإذا قمطر، قلت: هذا علمك كله؟
فقــال: إن هذا من حق لكثير وقال ثعلب: قيل للأصمعي: كيف حفظت ونسوا؟ قال: درست وتركوا.
قال عمر بن شبة: سمعت الأصمعي يقول: أحفظ ستة عشر ألف أرجوزة.
وقال محمد بن الأعرابي: شهدت الأصمعي وقد أنشد نحوًا من مئتي بيت ما فيها بيت عرفناه.
قال الربيع: سمعت الشافعي يقول: ما عبر أحد عن العرب بأحسن من عبارة الأصمعي. وعن ابن معين قال: كان الأصمعي من أعلم الناس في فنه.
وقــال أبــو داود: صدوق: قال أبو داود السنجي: سمعت الأصمعي يقول: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في جملة قوله عليه السلام:"من كذب علي فليتبوأ مقعده من النار".
وقال نصر الجهضمي: كان الأصمعي يتقي أن يفسر الحديث كما يتقي أن يفسر القرآن.
=

خفر[1] إلا في شيء واحد فلا أدري أعرب رأيه عنه، أم عمينا نحن عما قصد له؟ قلت: وما ذاك؟

قال: أخبرني أنه مضى يوما من الأيام في حداثته متنزهًا، فرأى في طريقه امرأة قائمة لم ير أحسن منها قط وهي كالمتحيرة أو كالمترقبة لشيء ضال.

فقلت لها: ما بك؟ فقالت:

مَا يُقِيْمُ الغَزَال وَسَط الطَّرِيْق　　　طَمَعًا فِي صَدِيْقَة أَوْ صَدِيْق

فقالت: اترك ذاك فإني عنك في شغل أأترك إنسانة مثلي في قدري وشكلي قد روت الأخبار، وعرفت الأشعار، واجتمع فيها من الخصال ما تفوق بها سواها، فهي كما

=

قال المبرد: كان الأصمعي بحرًا في اللغة لا نعرف مثله فيها، وكان أبو زيد أنحى منه. وقيل لأبي نواس قد أشخص الأصمعي وأبو عبيدة على الرشيد؟

فقال: أما أبو عبيدة فإن مكنوه من سفره قرأ عليهم علم أخبار الأولين والآخرين، وأما الأصمعي: فبلبل يطربهم بنعماته.

قال أبو العيناء: قال الأصمعي: دخلت أنا وأبو عبيدة على الفضل بن الربيع فقال: يا أصمعي كم كتابكَ في الخيل؟ قلت: جلد، فسأل أبا عبيدة عن ذلك، فقال: خمسون جلدًا، فأمر بإحضار الكتابين وأحضر فرسًا، فقال لأبي عبيدة: اقرأ كتابك حرفًا حرفًا، وضع يدك على موضع موضع.

قال: لست ببيطار، إنما هذا شيء أخذته من العرب.

فقال لي: قم فضع يدك فقمت فحسرت عن ذراعي وساقي، ثم وثبت، فأخذت بأذن الفرس، ثم وضعت يدي على ناصيته، فجعلت أقبض منه بشيء شيء، وأقول: هذا اسمه كذا، وأنشد فيه، حتى بلغت حافره، فأمر لي بالفرس، فكنت إذا أردت أن أغيظ أبا عبيدة ركبت الفرس وأتيته.

وعن ابن دريد: أن الأصمعي كان بخيلاً ويجمع أحاديث البخلاء.

وقال محمد بن سلام: كنا مع أبي عبيدة بقرب دار الأصمعي فسمعنا منها ضجة، فبادر الناس ليعرفوا ذلك، فقال أبو عبيدة: إنما يفعلون هذا عند الخبز، وكذا يفعلون إذا فقدوا رغيفاً.

قلت: (أي الذهبي): كتب شيئًا لا يحصى عن العرب وكان ذا حفظ وذكاء ولطف وعبارة، فساد.

قال عمرو بن مرزوق: رأيت الأصمعي، وسيبويه يتناظران، فقال يونس: الحق مع سيبويه، وهذا يغلبه بلسانه. وتصانيف الأصمعي ونوادره كثيرة، وأكثر تواليفه مختصرات. وقد فقد أكثرها.

قال خليفة وأبو العيناء: مات الأصمعي سنة خمس عشرة ومئتين.

وقال محمد بن المثنى والبخاري: سنة ست عشرة، ويقال: عاش ثمانياً وثمانين سنة رحمه الله.

قاله الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/١٧٥).

ومصادر ترجمته كثيرة راجعها بهامش سير أعلام النبلاء.

(١) الخفر شدة الحياء.

قال الشاعر:

كَبِكْرِ المعاناة البياض بِصُفّرَةٍ غَذَاهَا نَمِيْرُ المَاءِ غَيْر المُحَلّلِ

فقلت لها: هذه صفة من تعنين فما صفاتك أنت؟

قالت: أنا كما قال الشاعر:

برَهْرَهَــةٌ رُودَةٌ رَخصَــةٌ كحزعوُنه البانــة المُنْفَطرْ

فَتُورُ القيَامِ قَطُوعُ الكَلاَمِ يَفْتر عَنْ ذِي عَزُوبٍ أشِرْ

قال: فقلت: أنت والله أحسن صفة ممن ذكرت.

قالت: لا والله بل هي كما قال الشاعر:

خَوْدٌ[1] خَدلَجَةٌ[2] دَعْجَاءُ[3] بُهنكة مَتْنَاءُ مُفَلَّجَةٌ كَالبَدْرِ فِي الدجُنِ

قال: فقلت: إن عندي من الحديث والمفاكهة ما يقوم مقام الباه.

قالت: تبًا لك، والله ما شأن أهل الأدب بالدخول في الريب ولو لم يكن ورع يمنع لكان حياء حجز ، وهل نحن إلا في نزهة من الأدب وروضة من أخبار الناس؟

قال: ثم قالت: ضمنت لك ولأهلك ألا تزال تميم فذكرت هذا البيت: [٨٦/ب].

ظَلُوم الَّتِي قَالَتْ لجَارات بَيْتها ضَمَنْتُ لَهُمْ أَلاَّ يَزَال يَهِيْمُ

ثم قالت: وأعجب من ذلك أنها كما قال الشاعر:

لَمْ يَخْلق الله أخَا فِتْنَةٍ إلاَّ وَعَنْ قَوْسٍ لَهَا يَرْمِي

ثم أومــأت إلى حي من أحياء العرب تخبرني أنها عندهم وبين أظهرهم في منعة من نفسها وعلو من أمرها.

وحانت مني التفاتة إلى بعض من نظرت إليه فكأن الأرض اختطفتها.

فتعطلت علي نزهتي، ووقعت من الفكر وشغل القلب فيما لا قوام لي به.

فانصرفت ثم عدت مع عدة من أهل الأدب حتى أتيت الحي، فسألت.

فــإذا هي نبيهة الذكر عالية القدر فرمت الدخول، فلم أجد إلى ذلك سبيلاً وإذا جــوار بالباب، فقلت لبعضهن: استأذني على مولاتك، وأعلميها باسمي. فأذنت لي، فإذا هي على سرير، فلما رأتني قالت:

---

(١) الخودُ، الفتاة الحسناء.

(٢) الخَدَلَّجةُ: الرَّيَّاءُ الممتلئة الذراعين والساقين.

(٣) الدعج: شدة بياض بياض العين، وشدة سواد سواد العين. والمراد به جمالها.

مرحبًا، وأهلاً وسهلاً، ما كنت لنا، بزوار، فما بدا لك؟

قلت: قصدتك لما يذكر من شأنك وحلاوة لسانك.

فقالـــت لي: يا أبا سعيد، أنا أناشدك الله أن تشهرني أو تشيد بذكري، فإنك تعلم السلطان وما هو عليه ومثلك لا يزور مثلي، على أنني في علة، أحسبها ستفرق بيني وبينك عـــن قريب، وإذا لها محراب عليه ثوب حرير عليه كتاب في تربيعة. وإذا صحيفة مفصلة بذهب منشورة بين يديها وعصابة منسوجة بالذهب، فقرأته وإذا فيه:

أَشْدُدْ إزارِي عَلَى جَسَـــد بَـــالي مَخَافَةَ أَنْ أَنْسَلَّ مِنْ تَحْتِ سِرْبَالِ

فقلت: ما أشبه هذا البيت بما أنا فيه.

فقالـــت: الله الله أن تعود إلى ذكر هذا. قال: فقلت: إني غير عائد وإن لي حاجة.

قالت: وما هي؟

قلت: أنصيب أهل الهوى في هذا [٨٧/أ] الزمان كما روينا في أخبار المتقدمين؟

قالت: ولي الأمان لا تذكره؟ قلت: ذلك لك، وهو أمان من سخطك.

قالت: أما إذا سألت عن هذا، فسأحدثك عن سبب عليّ هذه:

كنت سراجًا للأوانس، ومفزعًا للآلاف. ومشكى لكل ذي حاجة.

فعـــبرت بذلـــك زماناً أسمع منهن وأحكم بينهن أقضي لهن ما أجد إليه السبيل. فجاءتني جارية من أهل القدر والنعمة كأنما قلبها تخفق منه أمواج البحر وعواصف الريح، وقـــد كانت تجيئنا وتغشانا على سبيل التلذذ والتفكه، فلا تسمع بقتيل الهوى إلا قالت: زاده الله، ولا ببيـــت غزل إلا قالت: كذب صاحبه والله، ولا ترى دمعة تسيل إلا هزئت بصاحبها فكنا نحتملها لموضعها ومكانها. فجاءتني يومًا وهي كالوالهة، وقد أريت في المنام صورة رجل أو جارية وقعت في قلبها بالمقة، وقد صورت[1] تلك الصورة معجبة.

فلم تلتذ بطعام ولا شراب، وانفردت بتلك الصورة حتى أشفقت عليها أن يذهب عقلها، فعدلتها[2] فلم ينفعني ذلك.

فكانت بعد مسعدة[3] لكل ذي شجون ومن لم يلك أرته من حالها ما يرق فيبكي لبكائها.

---

(١) في المخطوط: ذلك، وهو تحريف.

(٢) أي حاولت تبصيرها إلى خطورة ما تصنع دون جدوى.

(٣) المســعدة مـــن الإسعاد . وهو النوح على الموتى والقول فيهم من النساء ترثين به الميت وقد نهى الإسلام عن الإسعاد والمسعدة في حالتها من تسليها بقصص وحكايات الحب والعشق والعشاق.

فاجتمع إليَّ جميع أهلها، ومن كنت أعرف في طلب الحيلة لها، فتعذر ذلك إلى أن كتبت لها في الثوب الحرير من الشعر ما تراه، فكانت تنظر إلى البيت فينة[1] فتقرأه وتستحسنه فيصفو عيشها حتى اعتلت علة شديد، ثم نظرت بعد ذلك في الحيلة لها، وعندي الصورة التي كانت صورتها، فأحضرت المصورين والمزوقين.

فزوقت لها بيتًا وجعلت فيه من كل الصورة، ثم جعلت الصورة الأولة في صدر المجلس كأحسن ما يكون. وجعلت يد الصورة على وجهها للغم والاكتئاب. وجمعت [٨٧/ب] كل من حضر إليَّ من أهل الأدب من الجواري ليسلوها عما هي عليه، واتخذت لهن طعامًا.

ثم أتيتها فقلت لها: أو دخلت بيتًا قد مُتِّعت فيه العيون ولا أحب أن تقع عليه إلا عينك.

فنظرت إليه ثم خرجت إلى الجواري فأنست بهن، وتحدثت معهن باقي يومها، فوثبت إلى البيت الذي وصفته لها فاستقبلت الصورة التي كانت في صدر البيت. فوالله ما سمعت لها كلمة ولا شهقة ولا أنة، من أنى دخلت البيت، فرأيت قريبًا من الصورة بخطها: أنت قتلتني، لِمَ جعلتيها مكتئبة؟ لو أردت سروري، حطيتها ضاحكة، وأنا أسألك بحق الله، وبَحق ما كَان بيننا إلا دفنتني في هذا البيت إن حدث على حادث الموت، و لم تخرجيني منه. وأبطأ عليَّ خبرها.

فقلت لبعض الجواري: اعلمي لي علمها فمضت ثم رجعت، فقالت: دعوها فإنها كالنائمة.

ثم إنه جاء وقت الظهر، فقمت أنظر ما حالها؟ ومعي جماعة ممن كن معي فدخلنا إليها فوجدناها معتنقة للصورة وهي ميتة كأنها لم تزل كذلك.

فكان من جمعت من الجواري للفرج والطعام الذي عملت لهن صار للحزن والمأتم.

فبعثت إلى أهلها فحضروها ودفنوها كما قالت، فهذا قبرها.

ثم أصابني من الغم والأسف والعلة مالا بقاء لي بعدها.

وقد كنت أمرت من كان معي من أهل الأدب أن ينتخبوا ما قدروا عليه من الشعر الذي رأيت على الثوب، فوافق فراغها من الحزن فراغهم مما كنت أمرتهم.

فأومأت إليهم أن امضوا. وانصرفت عنها وقد ضمنت لها أن أعود وأبعث إليها رسولاً ، وقد كنت خلفتها بحال من العلة عندما حدثتني بهذا الحديث.

---

(١) حيناً بعد حين.

فــلما كان الغد، وجهت من يعرف خبرها خوفاً [٨٨/أ] من أن تغضب فوجدها قد ماتت.

قـــال مساور : فقلت له: والله، إنه لحق ما بلغني: أنك أرق أهل زمانك، إلا أنني ظننتك أن تقف ذلك الموقف.

فقـــال: يا ابن أخي، لو رأيتها ما ملكت لنفسك ضرًا ولا نفعًا، ولتمنيت أنك لو تصورت خالاً(١) في أسفل رجلها تطأ بك الأرض.

فقلت أحب أن تعطيني الأبيات التي أمرت أن تكتب.

فقال: أما الكل فلا، ولكن أكتب البعض، فأملى:

أَرَى حُبَّهَا يَزْدادُ في كُـلِّ لَـحْظَةٍ ... وَجِسْمِي عَلَى مَرِّ الزَّمان يَذُوبُ
فَلَوْ أَنَّهَـا ميْـتٌ تَعَلَّلَـتْ بالْمُنَـى ... وَلَكِن حَظي جَفْـوَةٌ وَقُطُـوبُ
وَلَوْ أَبْصَـرَتْ عَيْنَاكَ قَلْبِي رَأَتْ بِـه ... جَوى وَتَذَوُّبًـا مَا لَهُنَّ طَبِيْبُ
هَجَرْتُكَ لاَ هَجْرَ الَّذِي عَزَمَ القِلَى(٢) ... وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لِي مِنْ هَوَاكَ نَصِيْب

وأملى علي أيضاً:

يَـا مُـوْقِدَ النَّارِ يُذكيْهَا وَيُخمدُهَا ... قَـرَّ الشِّتَـاء بِـأَرْيَاحٍ وَأَمْطَارِ
قُم فَاصْطَلِي النَّارَ مِـنْ قَلْبِي مُضَرَّمَة ... بالشَّـرْق يُغْرِبُهَا يَا مُوْقِد النَّارِ
وَيَا أخَا الذَّوْد قَـدْ طَالَ الظَّمَا بِهَا ... لَمْ تَدْرِ مَا الرِّيَّ مِنْ جَدْبٍ وَإِقْفَارِ
رِدْ بالعِطَـاشِ عَلَى عَيْنِي وَمحجرهَا ... تَرَى العِطَاش بَدَمْعٍ وَاكِفٍ جَارَي
إِنْ غَابَ شَخْصكَ عَنْ عَيْنِي فَلَمْ تَرَهُ ... فَـإِنَّ ذِكْرَكَ مَقْـرُونٌ بإِضْمَارِي

٨٥- شهيـد

[الباكية شعرًا عند القبر حتى الموت]

ذكر القالي: أن الأصمعي قال:

رأيت بالبادية امرأة على راحلة تطوف حول قبر وهي تقول:

يَـا مَنْ بمَقْتَلِـه زَهَـى الـدَّهْرُ ... قَدْ كَانَ فِيْـكَ تَضَاءلَ الأَمْرُ
زَعَمُـوا قُتِلْـتَ وَمَـا لَهُـمْ خَبَرٌ ... كَـذَبُوا وَقَبْرِكَ(٣) مَا لَهُمْ عُذْرُ

---

(١) الخال: العلامة أو الشامة تكون بجلد الإنسان وخيرها ما كان على الخد.

(٢) القلَى: البعد، أو الترك، أو التجافي، أو الإعراض.

(٣) القصة في مصارع العشاق (١/٢١٦) تحت عنوان: ماتت على القبر، وهذا قسم بما لا يجوز القسم به الشطر الأول في المصارع على النحو التالي:

=

[٨٨/ب] يَا قَبْر سَيِّدنَا المجن سَمَاحَةً ... صَلَّـى الإلـهُ عَلَيْكَ يا قَبْرُ
مَا ضَـرَّ قَبْرًا فيْه شَلُوكَ سَاكِنٌ ... إلاَّ يَمُــر رَيَاضـه القَـطْرُ
فَلْيَتْبَعَنَّ سَمَاح جودك في الثرى ... وَلْيُـورِقَنَّ بقُرْبـكَ الصَّخْـرُ
وَإذَا غَضبْـت تَصَدَّعَـت فَرَقًـا ... منـكَ الجبَالُ وَخَافَكَ الذُّعْرُ
وَإذَا رَقَـدتَ فَـأنْتَ منقبَـة ... وَإذَا انْتَبَهْـت فَوَجْهكَ البَدْرُ
وَالله لَـو يـك لَـمْ أَدَعْ أحَـدًا ... إلاَّ قَتَلْـتُ لـفَاتَني الـدَّهْرُ(١)

قال: فدنوت منها لأسألها عن أمرها فإذا هي ميتة.

۞ ۞ ۞

٨٦- شهيـد
[المستزينة عند قبر حبيبها(٢)]

ذكر ابن دريد حدثنا الرياسي حدثنا الأصمعي عبد الملك بن قريب قال: مررت أنا وصاحب لي بجارية عند قبر لم أر أحسن منها ولا أجمل، وعليها ثياب نظيفة وحلي كثيرة، وهي تبكي على القبر، فتعجبت من حالها وزينتها(٣).

فقلت: يا هذه، علام هذا الحزن الشديد؟

فبكت، ثم أنشأت تقول:

فَإنْ تَسْألاني فيْمَا حُزْني فَإنَّني ... رَهِيْنَـةُ هَـذا القَبْـر يَـا فَتَيَـان
وَإنِّي لأَسْتَحْيِيه وَالتُّرْبُ بَيْنَنـا ... كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيه(٤) حَيْثُ(٥) يَرَاني

قال: فعجبنا منها ومن طرفها، فاستحيينا منها.

فتقدمنا قليلاً، ثم جلسنا نسمع ما تقول بحيث لا ترانا(٦)، ولا تعلم بنا، فسمعناها تقول:

يَا صَاحِبَ القَبْرَ يَا مَنْ كَانَ يُؤنِسُني ... وَكَـانَ يُكْثِرُ فِي الدُّنْيَـا مُؤَاتَاتِي

=
يا قبر سيدنا عليك رضى

(١) الأبيات كما هنا غير أن بها تغير طفيف.
(٢) القصة عند السراج في مصارع العشاق (٨٨/٢)، تحت عنوان: عبرى مولهة.
(٣) في المصارع: فلم نزل نتعجب من جمالها وزينتها وحزنها.
(٤) أي أستحيي منه.
(٥) في المصارع: حين.
(٦) لم ترد هذه الكلمة في المصارع وبدلاً منها حرف و : أي: ولا ترانا.

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ فِي حَلْيِي وَفِي حُلَلِي ... كَـأَنَّنِي لَسْتُ مِـنْ أَهْلِ الْمُصِيبَاتِ
لَزِمْتُ مَا كُنْتَ تَهْوَى أَنْ تَرَاهُ وَمَا ... قَـدْ كُنْت تَأْلَفهُ مِنْ كُلِّ هَيْئَاتِ[1]
فَمَنْ رَآنِي رأى عَبْرَى مُوَلَّهَةً ... مَشْهُورَةَ الزَّيِّ تَبْكِي بَيْنَ أَمْوَاتِ

[٨٩/أ] فلم نزل قعوداً حتى انصرفت فتبعناها حتى عرفنا موضعها ومن هي.

فلما خرجت إلى هارون الرشيد قال [لي[2]]: يا أصمعي، ما أعجب ما رأيت بالبصرة؟ فأخبرته خبر المرأة[3]. فقال: ما سمعت بأعجب منها[4].

وكتب إلى متولي البصرة بأن يجهزها[5] بعشرة آلاف درهم ويحملها إليه.

قال الأصمعي: فحملت إلى هارون، وقد سقمت حزنا على الميت، فلما وصلت إلى المدائن ماتت أسفاً. فَقَلَّ ما ذكرها الخليفة إلاَ دمعت عيناه.

٨٧- شهيد

[الرجل الداعي عبد الواحد بن زيد إلى الكف عن الموعظة]

ذكر ابن أبي الدنيا عن حصين بن القاسم الوزان، وأبي عبد الله الشحام: أنهما كانا في مجلس عبد الواحد بن زيد[6] وهو يعظ ويشوق الناس.

فناداه رجل من ناحية المسجد: يا أبا عبيدة قد كشفت قناع قلبي.

---

(١) الشطر في المخطوط على النحو التالي: قد كنت بالغة من أهل هيئات
والتصويب من المصارع.

(٢) من مصارع العشاق.

(٣) في المصارع فأخبرته خبرها.

(٤) هذه الجملة ليست في المصارع.

(٥) يمهرها، وما بعد ذلك جاء بما يفيد ما هنا وليس نصًا.

(٦) في المخطوط: عبد الواحد بن يزيد، وهو تحريف وصوابه من السير (١٧٨/٧): وقال في ترجمته: الزاهد، القدوة، شيخ العباد، أبو عبيدة.
قال البخاري: تركوه. وقال النسائي: متروك الحديث. وقال ابن حبان: كان ممن غلب عليه العبادة، حتى غفل عن الإتقان، فكثرت المناكير في حديثه. قال ابن أبي الحواري: قال لي أبو سليمان: أصاب عبد الواحد الفالج، فسأل الله أن يطلقه في وقت الوضوء، فكان إذا أراد الوضوء انطلق، وإذا رجع إلى سريره فلج. وفي الجملة عبد الواحد من كبار العباد، والكمال عزيز.
وقد سقت من أخباره في: "تاريخ الإسلام" ولكن ابن عون ومسعر وهؤلاء أرفع وأجل.
مات بعد الخمسين ومائة، ويقال: بقي إلى سنة سبع وسبعين ومائة، وهذا بعيد جدًا وإنما المتأخر إلى هذا التاريخ الحافظ عبد الواحد بن زياد البصري.

قال: فلم يلتفت عبد الواحد إلى ذلك، ومر في كلامه. فلم يزل الرجل يقول: كف يـــا أبا عبيدة، فقد كشفت قناع قلبي وعبد الواحد لا يقطع موعظته حتى حشرج، والله، الرجل حشرجة الموت، ثم خرجت نفسه.

قـــال الـــوزان: فأنا والله شهدت جنازته فما رأيت بالبصرة يومًا أكثر باكيًا من يومئذ.

۞ ۞ ۞

٨٨- شهيـــد
[الشاب والقينة وصاحبتها(١)]

ذكـــر العتيبي قال: جلست يومًا عند جماعة من أهل الأدب، فنزع بنا الحديث إلى أخبار العشاق.

وفي الجماعة شيخ ساكت فسئل، فقال: كانت لي ابنة، وكانت تهوى شابًا ونحن لا نعلم بذلك وكان الشاب يهوى قينة، وكانت القينة تهوى ابنتي.

فحضرت في بعض الأيام مجلسًا فيه ذلك الشاب والقينة، فغنت:

عَلاَمَةُ ذُلِّ الهَوَى ... عَلَى العَاشِقِيْنِ البُكَا
وَلاَ سِيَّما عَاشِقٌ ... إذَا لَمْ تَجِدْ مُشْتَكَى

فقال لها الشاب أحسنت يا سيدتي، أتأذنين لي أن أموت؟

فقالت: نعم مت راشدًا إن كنت عاشقًا.

قال: فنام وغمض عينيه، فمات.

فانصرفنا مهمومين إلى منازلنا.

فأخبرت [٨٩/ب] أهلي بما كان من شأن الفتى.

فلما سمعت ابنتي كلامي نهضت إلى مجلس لنا مبادرة.

فأنكرت ذلك منها، فوجدتها توسدت كما كنت وصفته عن الفتى فحركتها فإذا

(١) نعم لنا أن نقرأ مثل هذه الحكايات ولكن ليس حتمًا علينا أن نصدقها، فهي تصلح لتسلية الأطفال وتحريضهم على حب بعضهم البعض وحب الآخرين وتعويدهم على الإيثار على النفس من قبيل حكايتـــا لهم عن قصص الطيور والحيوانات كما هو مدون في كتاب بيدبا صاحب كتاب كليلة ودمـــنة وهـــو ضمن كتب الأدب كما هو مصدر هنا في أول تلك الترجمة حيث يقول واضعها. جلست يومًا عند جماعة من أهل الأدب.

وهـــذا النوع من الناس ينزع علمهم إلى الخيال والتصور وتراكيب تلك الخيالات والصور داخل أحداث محبكة تؤدي في النهاية إلى حكاية متكاملة الأطراف والعناصر. وعليه يمكن أن تكون مثل هذه القصة منها. والله أعلم.

هي ميتة.

فأخذنا في جهازها وغدونا بجنازتها وجنازة الشاب.

فــإذا نحــن بجنازة ثالثة، فسألنا عنها، فإذا هي جنازة[1] القينة، بلغها موت ابنتي ففعلت مثل ما فعلت فماتت.

فدفنا الثلاثة في يوم واحد.

٨٩- شهيــدان[2]

[الشاب والفتاة المتعاتبان]

وقــال أيضًــا: كنت في مجلس فيه شاب، وفتاة كأنها المهاة يتعاتبان ويتباكيان ثم نظرت إليه وأنشدت:

وَأَنْتَ الَّــذي أَخْلفْتَني مَــا وَعَدْتَني ... وَأَشْمَتَّ بي مَنْ كَانَ فيْكَ يَلُوْمُ
وَأَبْرَزْتَني للنَّــاسِ حَتَّــى تَــرَكْتَني ... لَهُمْ غَرَضًا أُرْمَى وأَنْتَ سَليْمُ

فقال مجيباً لها:

غَدَرْتُمْ وَلَمْ نَغْدُرْ وَخُنْتُمْ وَلَــمْ نَخنْ ... وَفي بعْضِ هَذَا للْمُحــب عَزَاء
جَزَيْتُكِ ضِعــْفَ الــوُدِّ ثُمَّ حَرَمْتِني ... فَحمَّلْتُ قَلْبي مِنْ صُدُوْدِكِ دَاء

فقالت:

تَجَاهَلْتَ وَصْلي حيْنَ لاَحَتْ عَمايَتي ... فَهَــلاً صَرَمْتَ الوُّ إذْ أنَا أُبصرُ
وَلي مِنْ قُوَي الحَبْــلِ الَّذي قَدْ قَطَعْتَهُ ... نَصيْبُ وَحَــالي للْوصَالِ مُوَفَّرُ

فقام إليها وقبلها واعتذر كل واحد منهما إلى صاحبه وبكى بكاءً طويلا، ثم أنشأ يقول:

دَمْعي عَلَيْكَ منَ الجُفُون سَكُوبُ ... وَالْقَلْب منْك مُرَوَّعٌ مَكرُوْبَ
لاَ شَيء في الدُّنْيا أَلَذّ منَ الهَوَى ... إنْ لَمْ يَحنِ عَهْدَ الحَبيْب حَبيْبُ

[٩٠/أ] فأجابته:

خَلَوْتُمْ بأَنْوَاعِ السُّرُور هَنَاكُم ... وَأَفْرَدْتُمــُوني للصَّبَــابَه وَالحُزْنَ
وَعَذَّبْتُمُوني بالصّــدُوْدِ وَإنَّني ... لَرَاضٍ بمَــا تَرْضَوْنَهُ لي منَ الفَتْنَ

فأجابها:

(١) في المخطوط: جناة. وهو تحريف.

(٢) في هــذه القصة قتل أحد العاشقين نفسه فلم سماهما شهيدين؟ فهل قدم الأفضل فكان قال شهيد عــلى العموم ، هو أصبح غير ملتزم بذكر شهيد لمن قتله الهوى دون دخل منه ولا قتيل لمن قتل نفســه أسفا على معشوقه أو معشوقته ، عافانا الله وإياكم من كلا الأمرين، فكلاهما غير محمود ولا يدل على علو منزلة في الدنيا ولا رفع درجة في الآخرة فلا خير فيهما جميعًا.

وَقَدْ كُنْت أَنْهَي النَّفْس عَنْكَ لَعَلَّهَا   إذَا وُعِـدَتْ بِالنَّائي عَنْكَ تَطِيْبُ[1]

قال: فصاحت صيحة عظيمة وقالت:

أو كنت تفعل هذا وطابت نفسك عنه، والله ما فيك من خير.

ثم نظرت إليّ وقالت يا عم والله ما فيه من خير وإنه قاسي القلب.

ثم قالت: يا عم إذا كان في السحر تعالى إلى عندي.

فخرجنا من عندها معتمين.

فلما كان في السحر جئت إلى دارها، فإذا صراخ في الدار وضجة عظيمة.

فقلت: ما الخبر؟

فقالت الجارية: إنما بعد خروجكما وضعت في حلقها أنشوطة وخنقت نفسها وجلست نحدثنا ساعة، ثم تذكرت قوله وشهقت شهقة خرت ميتة.

فلما سمع الفتى بذلك بكى وجلس على قبرها يبكي حتى رآها في النوم وهي تقول له: هلا كان في الحياة؟

فصرخ ومات. ذكره الشيرازي في روضة القلوب.

٩٠- شهيد

[مضيف عبيد الثعلبي الباكي عند قبر محبوبه]

ذكر ابن دريد قال حدثنا عبيد الثعلبي غلام أبي الهذيل[2] قال:

(١) كثيرًا ما يحدث العتاب بين المتحابين ، وهو نوع من الدلال والزيادة في المحبة وحب التقرب وأمل في زيادة المودة والقرب وهو إنما يرمي في آخر الأمر إلى التصافي لأنه لا يكون كعتاب الناس العاديين الذي قد يؤدي عتابهم الى شجار وفراق وتنافر ومقاطعة. إلا أن هذا العتاب لابد وأن ينتهي بالقرب الأشد والالتصاق الأقوى والتداني لا التنائي ، وإنما يحدثانه كنوع من بيان مدى تعلق أحدهما بالآخر وحتى لا تفتر العلاقة عند أحد الطرفين وليس في ذلك اتفاق ضمني وإنما هو شيء إيحائي إذا خاف أحد الطرفين أو أحس بخلل في علاقة محبوبة أو معشوقة، وما في قلبيهما إلا الحب وكل الحب لبعضهما وليس لغيرهما في قلبيهما موضع.

(٢) هو: أبو الهذيل محمد بن الهذيل البصري العلاف رأس المعتزلة وصاحب التصانيف.

قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٢): زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي بحيث أن حركات أهل الجنة تسكن حتى لا ينطقوا بكلمة.

وأنكر الصفات المقدسة حتى القدرة والعلم وقال: هما الله، وأن لما يقدر الله عليه نهاية وآخر. وأن للقدرة نهاية لو خرجت إلى الفعل، فإن خرجت لم تقدر على خلق ذرة أصلاً. وهذا كفر وإلحاد.

وقيل: إن المأمون قال لحاجبه: من بالباب؟ قال: أبو الهذيل، وعبد الله بن أبان الخارجي، وهشام بن الكلبي.

فقال: ما بقي من رؤوس جهنم إلا من حضر.

=

انصرفت من جنازة من مسجد الرضي في وقت الهاجرة، فلما دخلت سكك البصرة اشتد عليَّ الحر فتوخيت سكة ظليلة فاضطجعت على باب دار فسمعت ترنمًا يجذب القلب.

فطرقت الباب، واستسقيت ماءً، فإذا فتى اجتهر جماله إلا أن العلة والسقم عليه بين فأدخلني الى حش نظيف، وفرش سري، فلما اطمأننت.

خرج الفتى ومعه وصيفة معها [٩٠/ب] طست وماء، ومنديل.

فغسلت رجلي وأخذت ردائي ونعلي وانصرفت.

فإذا بجارية أخرى، قد جاءت بطست وماء.

فقلت: قد غسلت يدي.

فقالت: إنما غسلت رجليك، فاغسل الآن يديك للغداء.

وإذا الفتى أقبل ضاحكًا ليؤنسني، وأنا أعرف الغيرة في عينيه.

وجيء بالطعام، فأقبل يأكل كأنه يغص بما يأكله، وهو في ذلك ينتظر، فلما انقضى أكلنا، أتينا بشراب فشرب قدحًا، وشربت آخر.

ثم زفر زفرة ظننت أن أعضاءه قد زالت، وقال لي: يا أخي إن لي نديمًا فقم بنا إليه.

فقمت وتقدمني، ودخل مجلسًا، فإذا قبر عليه ثوب أخضر، وفي البيت رمل مصبوب فقعدت على الرمل، وطرح لي مصلى.

فقلت: والله لا قعدت إلا كما قعدت.

فأقبل يردد العبرات، ثم شرب كأسًا وشربت آخر، فأنشأ يقول

أَطَأُ الثَّرى وَأَنْتَ رَهنُ حفيْرَة ... هَالَتْ يَدَيَّ عَلَى صَدَاكَ تُرَابَها
إنّي لأَعْذُرُ مَنْ مَشَى إنْ لَمْ أطَأْ ... بجُفُونِ عَيْني مَا حَيِيْتُ حبَابَها
لَوْ أنَّ حُمْــو جَوَانحِي مُتَلبِّسٌ ... بالنَّارِ أَطْفَأَ حَرهَا وأَذَابَهَا

=

ولم يكن أبو الهذيل بالتقي حتى نقل أنه سكر مرة عند صديقه، فراود غلامًا له، فرماد بتور، فدخل في رقبته، وصار كالطوق، فحتاج إلى حداد يفكه. وكان أخذ الاعتزال عن عثمان بن خالد الطويل تلميذ واصل بن عطاء الغزال. وطال عمر أبي الهذيل، وجاوز التسعين وانقلع في سنة سبع وعشرين ومائتين. ويقال: بقي إلى سنة خمس وثلاثين.

أخذ عنه: علي بن ياسين وغيره من المعتزلة.

ومن مصادر ترجمته: طبقات المعتزلة (٤٤)، تاريخ بغداد (٦/٢٠)، روضات الجنات (١٥٨) وغير ذلك كثير.

ثم أكب على القبر مغشيًا عليه فجاء غلام بماءٍ فصبه على وجهه، فأفاق، وشرب قدحًا، ثم أنشأ يقول:

اليوْم بَاتَ لِيَ السُّرُور لأنَّني ... أيْقَنْتُ أَني عَاجِلٌ بِكَ لاَ حِقُ
فَغَدًا أُقَاسِمُكَ البِلَى وَيَسُوقني ... طَوْعًا إِلَيْكَ مِنَ المَنِيَّةِ سَائقُ

ثم قال: قد وجب حقي عليك، فاحضر غدًا جنازتي.

فقلت: يطيل الله عمرك. قال: إني ميت لا محالة. فدعوت له بالبقاء.

فقالت: لقد عققتني، ألا قلت:

[٩١/أ] جَاوِرْ خَلِيلكَ مُسْعِدًا في رَمْسِهِ ... كَيْمَا يَنَالكَ مِنَ البِلَى مَا نَالَهُ

فانصرفت، فطالت علي ليلتي، وغدوت فإذا هو قد مات.

٩١- شهيد

[العشق وقبيلة بني عذرة[1]]

ذكر ابن المرزبان: أن عروة بن الزبير قال لرجل من بني عذرة:

يا هذا بحق الله إنكم أرق الناس قلوبًا؟

قال: نعم، والله لقد تركت في الحي ثلاثين شاباً قد خامرهم الموت مالهم داء إلا الحب.

---

(١) إلى بني عذرة ينسب الحب العذري، وهو نوع من الوجد والهيام يستبد بالعاشق فيسيطر على كل تفكيره وخياله فلا يفكر ولا يتخيل سوى محبوبته ويظل يفكر فيها ليلاً ونهارًا ممتنعًا عن العمل والطعام حتى يصل إلى درجة عالية من الهزال ثم تفضي به تلك الحالة إلى الموت كمدًا.
وقد كثرت في تلك القبيلة هذه الحالة وبنو عذرة هم قوم كانوا ينزلون في البادية العربية شمال الحجاز في وادي القرى الذي يقع على مقربة من الطريق التجاري بين مكة والشام. وهو واد يمتاز بالخصب لهذا استقرت به تلك القبيلة من قديم الزمان. ومما هو مشهورعن تلك القبيلة منذ ظهورها هو القوة والمنعة والشرف، وقد دخلت الإسلام في السنة السابقة للهجرة، وشاركت في الغزوات والفتوحات الإسلامية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مع خلفائه من بعده وأبلت بلاء حسنًا يشهدبه التاريخ.
أما هؤلاء العشاق فلا يعد وجودهم بهذه الكثرة في تلك القبيلة شرفًا لها، ولا وبالاً عليها، فالإسلام لا يحمل إنسانًا وزر غيره، وألزم كل إنسان عمله. فمن أحب لم يرتكب إثمًا ولم ينل شرفًا إنما المعول على من أحب؟ وكيف سلك مع محبوبه؟ وإلى ما أفضى حبه؟ فإن كانت الإجابة في مثل تلك الأسئلة موافقة للشرع فلا ضير على صاحبه، وإن كانت مخالفة له، فإنما يقع إثمها عليه هو وحده ولا تنجر على سواه ولو كان أقرب المقربين إليه.
وهذا هو ميزان العدل الذي أنزل ربنا سبحانه وتعالى.

وقـــال عيينة بن عبد الكريم الباهلي، وأبو سمح الأعرابي: ليس حي في العرب أكثر عشقًا، ولا أصدق حياءً من بني عذرة وبهم يضرب المثل في العشق. قال أبو العميثل:

وَقَـــدْ رَابَنِي مِنْ جَعْفَرٍ أَنَّ جَعْفَرًا يَشدُّ عَلَى خُبْزِي وَيَبْكي عَلَى جَمَلي
فَلَوْ كُنْتَ عُذْرِيَّ العَلاَقَة لَمْ تَكُنْ أَكُـــولاً وَأَنْسَاكَ الهَوَى كَثْرَةُ الأَكْلِ

وقال أبو عبيدة:

قال رجل من بني فزارة لرجل من بني عذرة تعدون موتكم من الحب مزية وفضيلة وإنما ذلك من ضعف البنية، ووهن العقيدة، وضيق الروية.

فقال العذري:

أمـــا أنكم لو رأيتم المحاجر البلج، ترشق الأعين الدعج، من فوقها الحواجب الزج، والشفاه السمر، تفتر عن الثنايا الغر، كأنها سرد الدر لجعلتموها اللات والعزى.

❁ ❁ ❁

٩٢- شهيـــد
[العباس بن الأحنف بن الأسود وفوز(١)]

---

(١) قال الأستاذ محمد رضا كحالة في ترجمة فوز في أعلام النساء (١٨١/٤):
كانـــت لمحمد بن منصور والملقب بفتى العسكر، ثم اشتراها بعض شباب البرامكة فدبرها وحج، فلما قال العباس بن الأحنف ألا قد قدمت فوز فقرت عين عباس في أبيات ذكرها، ثم قال: فبعث إليه فوز أظننا ظلمناك يا أبا الفضل، فاستجيب لك فينا ما زالت البارحة ساهرة ذاكرة لك.
فذكر أبياتاً له في ذلك. و لم نزد في ترجمتها على ذلك.
أمـــا عن العباس بن الأحنف الشاعر فيقول الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٢٧/١٢): كان ظريفًا حلـــوًا مقبولاً حسن الشعر، و لم يقل في المديح والهجاء إلا شيئًا نزرًا وشعره في الغزل، وله أخبار كثيرة مـــع هارون الرشيد، وغيره. وقيل: إنه العباس بن الأحنف بن الأسود بن طلحة بن جدان بن كلدة بن جـــذيم بن شهاب بن سالم بن دحية بن كليب بن عبد الله بن عدي بن حنيفة ابن لجيم بن صعب بن عـــلي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب ابن أفصى بن دعمي بن جديلـــة بن أسد بن ربيعة بن نزار بـــن معد بن عدنان وقال إبراهيم بن العباس الصولي: العباس بن الأحنف من ولد الديل بن حنيفة أخي عدي بن حنيفة، والله أعلم.
قـــال سمعت إبراهيم بن العباس الكاتب يقول وقد ذكر العباس بن الأحنف فقال: هو العباس بن الأحنف بن الأسود بن قدامة بن هميان -من بني هميان- بن الحارث بن ذهل بن الديل بن حنيفة.
قال أبو بكر الصولي: وقيل : العباس بن الأحنف أصله من عرب خراسان، ومنشأه بغداد و لم تزل العلماء تقدمه على كثير من المحدثين ولا يزال قد ندر له الشيء البارع جدًا حتى يلحقه بالمحسنين.
قال الصولي: سمعت العطوي يقول: كان ابن الأحنف شاعرًا مجيدًا غزلاً، وكان أبو الهذيل العلاف البطال يبغضه ويلعنه لقوله:
إذا أردت سلواً كان ناصركم قلبي فهل أنا من قلبي منتصر
=

ذكــر أبــو الفرج العباس بن الأحنف بن الأسود الشاعر المشهور وزعم أنه نشأ ببغداد، وهو القائل:

وَيْحَ الُمحِبِّيْنَ مَا أَشْقَى حُدُودَهُـــم   إنْ كَانَ مِثْلَ الَّذي بي بِالُمحِبِّيْنَا
يَشْقَوْنَ فِي هـــَذه الدُّنْيَا بعشْقهِـــم   لاَ يُدْرِكُوْنَ به دُنْيَا وَلاَ دِيْنَـــا
يَـــرِقُ قَلْبي لأَهْـــلِ العِشْقِ أَنَّهـــُم   إذَا رَأَوْنِي وَمَـــا أَلْقَى يَرِقونَا

وله أيضًا:

[٩١/ب] أَيُّهَا النَّادبَ قَوْمًا هَلَكُوا   صَارَت الأَرْضُ عَلَيْهم طَبَقَا
أنــْدُبُ العُشَّـــاقَ لاَ غَيْرهُـــمُ   إِنَّمَـــا الهَالكُ مَنْ قَدْ عَشَقَا

قـــال ابن الأنباري: كان يعشق جارية يقال لها فوز، وفيها يقول أبياتًا كثيرة أولها سيدتي سيدتي، منها:

=
فأكثروا أو أقلوا من إساءتكم   فكل ذلك محمول على القدر
فكان أبو الهذيل يقول:
يعقد الفجور، والكذب في شعره، ويلعنه، قال العطوي: وقد أحسن في تمام هذا الشعر:
وضعت خدي لأدنى من يطيف بكم   حتى احتقرت وما مثلي بمحتقر
... أخـــبرني محمد بن المهني قال: كان عباس بن الأحنف مع إخوان له على شراب، فجرى ذكر مسلم بن الوليد، فقال بعضهم: صريع الغواني.
فقال عباس: والله ما يصلح إلا أن يكون صريع الغيلان.
فاتصل ذلك بمسلم فأنشأ مسلم يهجوه يقول:
بنو حنيفة لا يرضى الدعي بهم   فاترك حنيفة واطلب غيرها نسبا
في أبيات ذكرها.
وـــله تـــرجمة طويلة، وجاء فيها في وفاته: حدثنا محمد بن يزيد قال: مات أبو العتاهية وعباس بن الأحـــنف، وإبراهـــيم الموصـــلي في يوم واحد، فرفع خبرهم إلى الرشيد، فأمر المأمون بحضورهم والصلاة عليهم، فوافى المأمون وقد صفوا له في موضع الجنائز، فقال: من قدمتم؟
فقـــالوا: إبراهيم، قال: أخروه وقدموا عباسًا، فلما فرغ من الصلاة اعترضه بعض الظاهرية فقال له: أيها الأمير بم قدمت عباسًا؟ فقال: يا فضولي بقوله:
سماك لي قـــوم وقالـــوا إنهـــا   هي التي تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك كظنهم   إني ليعجبني المحب الجاحد
قـــال الخطيب: في هذا الخبر نظر لأن وفاة العباس كانت بالبصرة واختلف في الوقت الذي مات فـــيه... إلى أن قال: سمعت إبراهيم بن العباس الصولي يقول: توفي العباس بن الأحنف سنة اثنتين وتسعين ومائة، وتوفي أبوه الأحنف سنة خمسين ومائة ودفن بالبصرة. قال: وكان انتقال أهله إلى خراسان من البصرة ولهم فيها منازل.

سَيِّدتي سَيِّدتــي إنَّـــــهُ ... لَيْسَ بِالْعَاشِقِيْنَ اكْشِحَـــامْ
سَيِّدتي سَيِّدتــي وَاسْمَعي ... دُعَاءَ صَبَّ عَاشِق مُسْتَهَـــامْ
سَيِّدتي سَيِّدتــي إنَّـــــني ... أعْجزُ عَنْ حَمْلِ البَلاَيا العظَامْ

فلما سمعها أبو نواس قال: لقد خضعت لهذه المرأة خضوعًا ظننت أنك تموت قبل تمام القصيدة. وكان ابن المعتز يقول: لو قيل لي ما أحسن ما تعرفه لقلت قول العباس في معشوقته:

قَدْ سَحَبَ النَّاسُ أذْيَال الظُّنُون بنَا ... وَفرّقَ النَّاسُ فِيْنَا قَوْلَهُم فرَقَــا
فَكَاذِبٌ قَــدْ رَمَى بالظَّنِ غيْركُمُ ... وَصَادِق لَيْسَ يَدْرِي أنَّهُ صَدَقَا

وكان بشار بن برد يقول:

مـــا كنا نعد هذا الغلام في الشعراء حتى قال هذين البيتين يعني ابن الأحنف، ومن شعره الجيد:

نَزَفَ البُكَاءُ دُمُوعَ عَيْنكَ فَاسْتَعرْ ... عيْنًا لغَيْركَ دَمْعها مدْرَارُ
مَنْ ذَا يُعيْرُكَ عــيْنهُ تَبْكي بــهَا ... أرَأَيْتَ عَيْنًا للْبُكَاءِ تُعَارُ

وله أيضًا:

إذا أَردْتَ سَلْـــوًا كَانَ نَـــاصِرَكُم ... قَلْبِي فَهَلْ أنَا منْ قَلْبِـــي بِمُنْتَصِـــر؟
فأكْثِــروُا وَأقلُّـــوا منْ مُساءَتكُـــم ... فَكُلّ ذَلكَ مَحْمُولٌ عَلى القَدَرِ[٩٢/أ]
وَضَعْتُ خدِّي لأَدْنى مَنْ يَطِيْفُ بكُم ... حَتَّى احْتُقِرْتُ وَمَا مِثْلِـي بمُحْتَقَـــرِ
يَا مَـــنْ يُسَائلُ عَنْ فَـــوْز وَصُوْرَتهَا ... إنْ كُنْتَ لَمْ تَرَهَا فَانْظُرْ إلَـــى القَمَـــرِ
مَا زِلْتُ أَحْسَبُ أنَّ الشَمْسَ وَاحدَةً ... حَتَّى رَأَيْت لَهَـــا أُخْتًا مِـــنَ البَشَـــرِ
يَقُــوْلُ قَلْبي لعَيْني كُلَّمــا نَظَــرَتْ ... كَـــمْ تَنْظُرِيْـــنَ رَمَـــاكِ اللهُ بالسَّهَـــرِ

وقال الأصمعي:

دخلت عليه وهو على فراشه ملقى، وهو يقول:

يَا بَعِيْدَ الدَّار عَنْ وَطَنه ... مُفْرَدًا يَبْكي عَلَى شَجَنه
كُلَّمَـــا جَدَّ النَّحيْبُ به ... زَادَت الأَسْقَامُ فِي بَدَنِه

ثم أغمي عليه، فأفاق بتغريد طائر على شجرة وهو يقول:

لَقَدْ زَادَ الفُؤاد شَجَي ... هَاتف يَبْكي عَلَى فَنَنه
شَاقَهُ مَا شَاقَني فَبَكَى ... كُلَنَا يَبْكِي عَلَى سَكَنِه

ثم أغمي عليه فظننتها مثل الأولى فحركته فإذا هو قد مات.

ومن جيد شعره فيها:

إِذَا شِئْتَ أَنْ تُبْصِر شَيْئًا يُعْجِبُ النَّاسَا
فَصَوِّرهَا هُنَا فَوْزًا وَصَوِّرْ ثَمَّ عَبَّاسَا
وَقِسْ بَيْنَهُمَا شِبْرا وَإِنْ زَادَ فَـلا تَاسَا
فَإِنْ لَمْ يَدْنُوَا حَتَّى تَرَى رَأْسَيْهِماَ رَاسَا
فَكَذِّبْهَا بِمَا قَالَتْ وَكَذِّبْهُ بِمَا قَـاسَا

وهذا كقول عمر بن ربيعة، ولعله أخذه منه:

إِذَا مَا شِئْتَ أَنْ تُبْصِر شَيْئًا يُعْجِبُ البَشَرَا
فَصَوِّرْ هَا هُنَا هِنْدًا وَصَوِّرْ هَا هُنَا عُمَرَا
فَإِنْ لَـمْ يَدْنُوَا حَتَّى تَرَى بَشَرَيْهِمَا بَشَرَا
فَكَذِّبْهَا بِمَـا ذَكَرَتْ وَكَذِّبْهُ بِمَـا ذَكَرَا

٩٣- شهيـد

[عتبة بن الحباب بن المنذر وريًّا بنت الغطريف السلمية[١]]

قــال عبد الله بن معمر القيسي: حججت سنة فبينما أنا ذات ليلة جالس بين القبر والروضة إذ سمعت أنينًا عاليًا وحنينًا نادئًا، فانصرفت إليه فإذا هو يقول:

أَشْجَاكَ نَـوْح حَمائِم السِّدْر فَأَهَجْنَ مِنْكَ بَلاَ بل الصَّدْر
أَمْ عَـزَّ يَوْمَـكَ ذِكْرُ غَانِيَة أَهْدَتْ إِلَيْكَ وَسَاوِسَ الفِكْر
يَا لَيْلَـةً طَـالَتْ عَلَى دَنِفٍ يَشْكُو الفِراقَ وَقِلَّة الصَّبْـر
أَسْلَمْت مَنْ تَهْوَى لِحَرِّجَوىً مُتَوَقِّـدٍ كَتَوَقُّـدِ الجَمْـر

(١) قال الأستاذ محمد رضا كحالة في أعلام النساء (٤٧٣/١) في ترجمة ريّا:
شاعرة من أهل العصر الأموي.
كانت تسكن بادية السماوة بين مكة والكوفة والشام مع أبيها وأهلها.
وكــان أبوها من أشراف قومه وهي صاحبة الخبر المشهور مع عتبة بن الحباب الأنصاري الشاعر.
وكان قد أحبها فخطبها من أبيها فزوجه بها.
وأقبلــت معــه من السماوة يريدان المدينة. فخرجت عليهما خيل فقتل عتبة فرثته ريا بأبيات. ثم ماتت على أثره ودفنت بجانبه.

فَالْبَــدْرُ يَشْهَدُ أَنّي كَلِــفٌ   مُغْرىً بِحُبّ شَبِيْهِة البَــدْرِ
مَا كُنْتُ أَحْسِبُنِي لَهَــا شَجِنًا   حَتَّى بُلِيْتُ وَكُنْتُ لاَ أَدْرِي

قال: ثم انقطع الصوت و لم أدر من أين جاءني فبقيت متحيرًا ساعة وإذا به قد أعاد البكاء والحنين وهو يقول:

أَشجَاكَ مِــنْ لَيْــلٍ خَيَــالٌ زَائِرٌ   وَاللَيْلُ مُسْــوَدَّ الذَّوَائِب عَاكِــرُ
وَاعْتَــادَ مُهْجَتَكَ الهَوَى بِرَسِيْسِه   وَاهْتَــاجَ مُقْلَتَكَ الخَيَــالُ الزَّائِــرُ
نَادَيْــتُ لَيْــلَى وَالظَّــلاَمُ كَــأَنَّهُ   يَمٌّ تَلاَطَــمَ فِيْــهِ مَــوْجٌ زَاخِــرُ
وَالْبَدْرُ يَسْــرِي فِي السَّمَــاءِ كَأَنَّهُ   مَلِكٌ تَرَجَّلَ وَالنُّجُــوم عَسَاكِــرُ
وَتَرَى بِه الجَوْزَاءَ تَرْقُصُ فِي الدُّجَى   رَقْصَ الحَبِيْبِ عَلاَهُ سُكْرٌ ظَاهِــرُ
يَا لَيْــلُ طُلْــتَ عَلَى مُحِبّ مَالَهُ   إِلاَّ الصَّبَاحَ مُسَــاعِدٌ وَمُؤَازِرُ[٩٣/أ]
فَأَجَابَنِي: مُتْ حَتْفَ أَنفِكَ وَاعْلَمَنْ   أَنَّ الهَــوَى لَهُــوَ الهَــوَانُ الحَاضِــرُ

قــال: فنهضت أُؤم الصوت، فرأيت غلاماً كما بقل عذاره، وقد حَرَق الدمع في وجنتيه حرقي، فسلمت عليه، فنسبني، فانتسبت له(١)، فقال: ألك حاجة؟

فقلت: راعني صوتك فبنفسي أقيك وبنفسي أفديك.

فقال: اجلس أنا عتبة بن الحباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري رأيت عند مسجد الأحزاب جارية مرة لم أسمع لها خبرًا، ولا قفوت لها أثرًا، فأنا حيران انتقل من مكان إلى مكان.

ثم صــرخ وأكــب على الأرض مغشيًا عليه، ثم أفاق كأنما صبغت ديباجتا خديه بورس، ثم أنشأ يقول:

أَرَاكُمْ بِقَلْــبِي مِنْ بِلاَدٍ بَعِيْدَةٍ   تُرَاكُمْ تَرَوْنِي بِالْقُــلُوْبِ عَلَى بُعْــدِ؟

---

(١) الانتســاب : هو الارتفاع في النسب، وهو أن يذكر الإنسان اسمه واسم أبيه، واسم جده، ووالد جــده، ووالــد والد جده إلى آخر ما يعرف من نسب نفسه حتى ينتهي إلى القبيلة والتي عادة ما تشتهر برجل منها فتنسب كلها إليه وكلهم يعترف بذلك ويقر به وعادة ما يفتخر به وينفى من انتسب إليه من غير فروعه ويحمل تبعة تلك القبيلة كل أفرادها في الجاهلية وتحمل هذه القبيلة في الإســلام تــبعات بعــض تصرفات الأفراد دون بعض فالمتعلق بالثواب والعقاب الرباني يتحمله الشــخص نفســه ولا يجــر عاره على غيره من القبيلة، وما يتعلق بالعقاب الرباني الذي فيه شق اجتماعي أو ما يسمى في عصرنا بالجنائي فتتحمل معه القبيله بعضه كالقتل مثلاً فهي تتحمل معه دية القتل،وهو ما يسمى في عصرنا بالتعويض.

فُؤَادي وَطَرْفِي يَأسفَان عَلَيْكُم وَعِنْدَكُم رُوْحِي وَذِكْرُكُمْ عِنْدِي
وَلَسْتُ ألَذُّ العَيْش حَتَّى أَرَاكُم ولَوْ كُنْت فِي الفِرْدَوْسِ أَوْجَنَّةِ الخُلْدِ(١)

قال: فشرعت في تسليته.

فقال: هيهات ما أنا بسالٍ حتى يؤوب القارطان.

فلم أزل به حتى طلع الصبح، فقلت له: قم بنا إلى مسجد الأحزاب.

فسمعته يقول:

يَا للرِّجَال لِيَوْمِ الأَرْبَعاءِ أَمَا يَنفَكُ يَحدُثُ لِي بَعْدَ النَّوَى طَرَبَا
مَا أَنْ يَزَال غَزَال فِيْه يَظْلمني يَهْوَى إلَى مَسْجد الأحْزَاب مُنْتَقِبَا
يُخْبِر النَّاس أَنَّ الأَجْرَ هِمَّتَهُ وَمَا أَتَى طَالبًا للأَجْرِ(٢) مُحْتَسبا
لَوْ كَانَ يَبْغِي ثَوَابًا مَا أَتَى ظُهْرًا مُضَمَّخًا بفتيتِ المسكِ مختضبا(٣)

فلما صلينا الظهر، إذا بنسوة قد أقبلن وما الجارية فيهن، فقلن:

يا عتبة ما ظنك بطالبة وصلك وكاسفة بالك؟

قال: وما بالها؟

قلن: أخذها أبوها وارتحل إلى [٩٣/ب] السماوة.

فسألتهن عن الجارية.

فقلن: هي ريا بنت الغطريف السلمي فرفع رأسه وهو يقول:

خَلِيْلَيَّ رَيَّا قَدْ أَجَدَّ بَكُورهَا وَسَارَتْ إلَى أَرْضي السَمَاوةِ(٤) غيرهَا

---

(١) هـذا قول لا يجوز أن يقوله مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر من أيامنا نحن فضلاً عن أن يسب مثل هـذا القـول إلى رجل من التابعين أبوه هو من هو مكانة وفضلاً في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) في المخطوط: للهجر، وهو تحريف.

(٣) وفي باقي الشعر طعن في نوايا أمثال عتبة ومعاصريه من أنهن كن يتخذن النقاب والصلاة ذريعة يتذرعن بها للوصول إلى أغراض يرفضها الإسلام وتأباها الفضيلة، سبحانك هذا بهتان عظيم، وما شهدنا إلا بما علمنا عن حسن سير أهل هذه الفترة من الزمان ، والذي كان ما زال مليئًا بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه.
وعلينا أن نعرف أن هؤلاء الناس أعراضًا وإن لم يكونوا بيننا وعلينا حفظها فنتحرى الدقة في نسبة مثل هذا إلى أي شخص مسلم حيًا كان أو ميتًا، فهذا حقه علينا.

(٤) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: إنما سميت السماوة لأنها أرض مستوية لا حجر بها. والسماوة: ماء بالبادية.

=

خَلِيْلَيَّ إِنِّي قَدْ غشيتُ مِنَ البُكَا   فَهَلْ عِنْدَ غَيْــري عَبْــرَةٌ أَسْتَعْيرُهَــا

قــال: فقلت: يا عتبة، إني وردت بمال جزيل، أريد به أهل الستر، ووالله لأبذلنه أمامك حتى تبلغ رضاك، وفوق الرضا، فقم بنا إلى أرض مجلس الأنصار.

فقمنا حتى أشرفنا على ملأ منهم، فرحلنا بجماعة منهم حتى أشرفنا على بني سليم. فحرج الغطريف مبادرًا، وذبح الذبائح.

فقلنا: لسنا بذائقي طعامك حتى تقضي حاجتنا. [فقال: وما[1]] هي؟

[فقلنا[2]]: نخطب عقيلتك على عتبة.

فقال: يا أخوتي، إن التي تخطبونها أمرها إلى نفسها.

ثم مضى إلى ريا مغضبًا. فسألته ابنته عن غضبه، فأخبرها.

فقالت: بالله لقد سمعت عن عتبة هذا أنه يفي بما وعد، ويدرك إذا قصد.

فقال: أقسم لا أزوجنك به أبدًا، فقد نمى إلي بعض حديثك.

قالت: ما كان ذلك، ولكن إذا أقسمت فإن الأنصار لا يردون مردًا قبيحًا فأحسن لهم الرد. قال: بأي شيء؟

قالت: أغلظ لهم في المهر.

قال: ما أحسن ما قلت[3].

ثم خرج، فقال أريد مهر مثلها، فمن القائم به؟

قال: أريد ألف دينار، وخمسة آلاف درهم هجرية، ومائة ثوب من الأبراد والحبر،

=

وكانت أم النعمان سميت بها، فكان اسمها ماء، فسمتها العرب ماء السماء.

وبادية السماوة التي هي بين الكوفة والشام قفرى أظنها مسماة بهذا الماء.

وقال السكري: السماوة: ماء آل كلب، قاله في تفسير قول جرير:

صبحت عمان الخيل رهوا كأنما   قطًا هاج من فوق السماوة ناهل

وقال عدي بن الرقاع:

بغــــراب إلى الإلاهــة حتــى   تبعت أمهاتهــا الأطــلاء

ردني في النحم واستقبلت وحارت   كل يــوم عشية شهبــاء

فـــترددن بالسمــاوة حتــى   كذبتهن غــدرها والنهــاء

(١) ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

(٢)ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

(٣) عادة ما يكون للعشاق قلب رفيق وفكر رائق وحيل مسبوكة في الوصول إلى مرادهم، وفي غالب أحوالهم لا يلجأون إلى الأساليب ولا الوسائل العنيفة، ولا ما يثير في الأجواء كدرًا.

وخمسة أكرشة من العنبر.

قال: قلت: لك ذلك، فهل أجبت؟

قال: أجل.

قال: فعملت الولائم أربعين يومًا.

ثم قال: خذوا فتاتكم وانصرفوا.

وحملها في هودج وجهزها بثلاثين راحلة من التحف.

وسرنا حتى بقي بيننا وبين المدينة مرحلة واحدة، خرجت [٩٤/أ] علينا خيل مغيره أحسب أنها من سليم.

فحمل عليها عتبة فقتل منها عدة رجال وانحرف راجعًا وبه طعنة تفور دمًا، ثم سقط إلى الأرض ميتًا[١].

فقلنا: واعتبتاه.

فسمعت الجارية، وأطلقت نفسها من البعير، وجعلت تصيح بحرقة، وتقول:

تَصَبَّرْتُ لاَ أَنِّي صَبَرْتُ وَإِنَّمَا أُعَلِّلُ نَفْسِي أَنَّهَا بك لاَحِقَة
وَلَوْ أَنْصَفَتْ رُوحِي لَكَانَتْ إِلَى الرَّدَى أَمَامَكَ مِنْ دُونِ البَرِيَّة سَابِقَة
فَمَا أَحَدٌ بَعْدِي وَبَعْدَكَ مُنْصِفٌ خَلِيْلاً وَلاَ نَفْس لِنَفْسٍ مُوَافِقَة

ثم شهقت شهقة واحدة، قضت نحبها.

قال: فاحتفرنا لهما[٢] قبرًا واحدًا وواريناهما فيه.

ورجعت إلى ديار قومي فأقمت سبع سنين ثم عدت إلى الحجاز، ووردت إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم للزيارة فقلت: والله لأعودن إلى قبر عتبة فأزوره.

---

(١) كانت مثل هذه الغارات تحدث كثيرً قبل ظهور الإسلام، ولما جاء الإسلام قل أو كاد أن ينعدم ظهورها ثم عادت بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم هذه الظاهرة للظهورة مرة أخرى تدريجيًا، ثم ظلت إلى عهد قريب حيث كانت تغير على قوافل الحجيج، وكانت مصر من البلدان التي تجعل لحجيجها جماعة من الجند تقوم على حراستهم ورعايتهم منذ خروجهم من مصر في منطقة تسمى بركة الحاج وهي موجودة حتى الآن بشمال شرقي القاهرة كانت ملتقى حجيج مصر لا ينطلقون حتى يتجمعوا فيها جميعًا ثم يأتي كبير الجند وكان يطلق عليه أمير الحج، فيأذن بالتحرك من تلك المنطقة فيتحرك الحجيج في حراسته من مثل هذه الهجمات التي كانت تشن عليهم حتى يقضوا مناسكهم ويعودوا إلى نفس المنطقة.

فالحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الأمن في هذه الأيام.

(٢) في المخطوط: لها. وهو تحريف.

فإذا عليه شجرة عليها عصائب حُمر وصفر وخضر.

فسألت ما هذه[1] الشجرة؟

قالوا: شجرة العروسين، فأقمت عند القبر يومًا وليلة، ثم انصرفت[2].

ذكر شيخنا العلامة محمود في منازل الأحباب ومنازه الألباب.

۞ ۞ ۞

٩٤- شهيدان

[الفتى العذري وجارية الحي]

ذكر أيضًا: أن رجلاً من بني عذرة قال: كان فينا فتًى ظريف غزل وكان كثيرًا ما يتحدث إلى النساء ، فهوى جارية من الحي فراسلها فأظهرت جفوته فوقع مضنًى دنفًا[3].

فظهر أمره فلم يزل النساء من أهله وأهلها يكلّمونها فيه، حتى أجابت وسارت إليه عائدة ومسلمة.

فلما نظر إليها تحدرت عيناه بالدموع، وأنشأ يقول:

أرأَيْتِ إنْ مَرَّتْ عَلَيْكِ جَنَازَتي ... تَمـــرُّ بهَا أيـــد طـَـوالٌ وَشرَّع

أَمَا تَتبعِن النَّعْش حَتَّى تُسلِّمي ... عَلَى رَمْسِ مَيِّت في الحَفيْرَةِ مُوْدَع

قال: فبكت رحمة له، وقالت: ما ظننت أَن الأمر بلغ بك كل هذا، فوالله [٩٤/ب] لا ساعدنك ولأدومن على وصلك فهملت عيناه بالدموع، وأنشأ يقول:

أَتَتْ وَحيَاضُ المَوْت بيْني وَبَيْنَهَا ... وَجَاءَتْ بِوَصْلٍ حِيْنَ لاَ يَنْفَعُ الوَصْل

ثم شهق شهقة خرجت روحه، فوقعت عليه تلثمه وتبكي.

فرفعت عنه مغشيًا عليها، فما مكثت بعده إلا أيامًا حتى ماتت.

قال: وقلت على لسانها:

---

(١) في المخطوط: هدا وهو تحريف.

(٢) في المخطوط: انصرف. وهو تحريف، ومثل هذه الأمور من فساد عقائد بعض الناس.

(٣) من مثل هذا حذر الإسلام من النظر المتكرر إلى النساء، والحديث الطويل معهن مما يؤدي إما إلى التعلق القلبيّ، أو رفع الكلفة بين المتحدثين إلى درجة تجعل أحدهما أو كليهما يطمع في الوصول إلى ما لا حق له فيه عند الآخر فتكون الهلكة وفساد العباد والبلاد، وظهور الفاحشة والتسيب، واللقطاء من الأولاد، وتموت النخوة عند الرجال، ويذهب الحياء من النساء، ويستخف السفهاء بجريمة الزنا، وتظهر العشيقات والأخدان، وتعتاد الخلة بين الرجال والنساء.

وقد ظهرت في أيامنا نوع من هذا مقنع تحت ستار ما يسمى زميلة في العمل عافانا الله وإياكم من كل ما لا يرضيه عنا، وحفظنا الله وإياكم من الشقاق وسوء الأخلاق برحمته آمين.

مَـا عَـدَانِي فِي الزِّيَـارَةِ إِلاَّ خَشْيَـةُ العَارِ أَوْ كَلاَمٌ يُقَالُ
فَكَتَمْتُ الأَسَى وَفِي القَلْبِ مِنِّي نَارُ وَجْدٍ لَهَا بِدَمْعِي اشْتِعَالُ
فَسَأَقْضِي كَمَـا قَضَى ثُمَّ آتِيهِ وَمَـا لِلظُّنُـونِ فِيْنَـا مُحَالُ
حَيْثُ لاَ يُنْكِرُ اللِّقَاءُ وَلاَ القُرْبُ عَلَيْنَـا وَلاَ يُمَنُّ الوِصَـالُ

٩٥- شهيـد

[عبد الله بن مسروق والرجوع إلى مولاه]

ذكـر ابـن الجوزي في كتاب روح الأرواح قال: قال عبد الله بن مسروق وزير الرشـيد له يومًا، وهو بين يديه: يا أمير المؤمنين، لو استغاث بك رجل في رد عبد هرب إليك أما كنت ترده إليه؟ قال: بلى.

قال: فأنا قد فررت إلى خدمتك فاتركني، فقد أردت الرجوع[1].

فـبكى الرشيد، وخلى سبيله. فخرج محرمًا، وهو يقول: لبيك اللهم لبيك، حتى انتهى إلى البيت. فلما وقع بصره عليه سقط ميتًا رحمه الله.

٩٦- شهيـدان

[إسلام عبد المسيح والفتاة النصرانية والشاب المسلم]

ذكـر الشيرازي في كتاب روضة العشاق: أنه كان بعمورية[2] راهب يسمى عبد

---

(١) هذا الموقف أشبه بما يسمى في عصرنا بالاستقالة المسببة يقدمها الوزير إلى رئيس الجمهورية أو إلى رئيس الوزراء وذلك بعد ما طال به عناء العمل، واحتاج إلى الراحة من هذا الشاغل الذي يشغل عـن الغاية التي من أجلها خلق الإنسان فتجد من وفقه الله يحن إلى فسحة الإيمان ورياض العبادة وشـوق القـرب مـن الله تعالى قبل لقائه ليختم حياته وقد تعود على مخاطبته ومناجاته ليلاً في صلاته.

(٢) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: بلد في بلاد الروم غزاه المعتصم حين سمع شراة العلوية.
قيل: سميت بعمورية بنت الروم بن اليفز بن سام بن نوح عليه السلام، وقد ذكرها أبو تمام، فقال:
يا يوم وقعة عمورية انصرفت عنك المنى حفلاً معسولة الحلب
قال بطليموس: مدينة عمورية طولها: أربع وتسعون درجة، وعرضها: ثمان وثلاثون درجة، وست عشـرة دقيقة، طالعها: العقرب. بيت حياتها: تسع درجات من الدلو حتى أربع عشرة درجة من السرطان، يقابلها مثلها من الجدي، بيت ملكها: مثلها من الحمل، بيت عاقبتها: مثلها من الميزان، وهـي في الإقليم الخامس... وهي التي افتتحها المعتصم في سنة (٢٢٣)، وفتح أنقرة بسبب أسر العلوية، في قصة طويلة، وكانت من أعظم فتوح الإسلام.
وعموريـة أيضًا بليدة على شاطئ العاص بن قامية وشيزر فيها آثار خراب ولها دخل وافر، ولها =

المسيح أسلم فسئل عن سبب إسلامه فقال: كان عندنا شاب مسلم، فهوى جارية نصرانية تبيع الخبز، وكان لا يبرح ناظرًا إليها. فلما علمت به سلطت عليه الصغار يضربونه، ويصيحون به.

وكان يفعل ذلك به كل يوم، فلما علمت صدقه دعته إلى نفسها حرامًا فأبى، فعرضت عليه التنصر ويتزوجها فأبى، فسلطت عليه الصغار، فأثخنوه [٩٥/أ] قتلاً.

قال عبد المسيح: فأدركته وهو لما به، وهو يقول:

اللهم اجمع بيننا في الجنة، ومات.

فلما كان في الليل رأت الجارية الشاب قالت: فأخذ بيدي وانطلق بي إلى الجنة، فلما أردت أن أدخلها منعت لأجل الكفر.

قالت : فأسلمت ، ودخلت معه ، فرأيت شيئًا عظيمًا ، ورأيت قصرًا من الجوهر.

فقال : هذا لي ولك ، وأنا لا أدخله إلا بك ، ولي خمس ليالٍ تكونين عندي.

فلما استيقظت أسلمت، وجلست عند قبره، وماتت في الليلةً الخامسة.

وكان ذلك سبب إسلامي.

٩٧- شهيد

[عروة بن حزام العذري[1] وابنة عمه عفراء بنت معاصر]

ذكر المرزباني في معجمه: عن عروة بن حزام بن مالك بن ضبة بن عبد كثير، من بطن يقال لهم بنو هند بن عذرة، يكنى أبا سعيد.

وهو شاعر مخضرم كان في صدر الإسلام وهو العاشق الذي يضرب به المثل في شدة العشق.

وكان يهوى ابنة عمه عفراء بنت معاصر بن مالك، ومات عشقًا وضرب به المثل في العشق[2].

=

رحي تُغل مالاً.

(١) ذكره السراج في مواضع عدة في مصارع العشاق، مستشهدًا بشعره وذاكراً ترجمته يتوسع في (١/ ٣١٦،٣١٧) تحت عنواني: موت عروة بن حزام، قصة عروة وعفراء وكذا ترجم له ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص١٤٥).

(٢) من هذه الأمثال : أعشق من عروة بن حزام.

وقد وفقني الله تعالى لعمل موسوعة تحوي حوالي عشرين ألف مثل عربي وعامي اسمها (على رأي
=

قال أبو عيينة:

فَمَا وَجَدَ النَّهْدِيُّ إذْ مَاتَ حَسْرَةً ... عَشيَّةَ بَاتَتْ فِي حَبَائلِه هِنْدُ

وَلاَ عُرْوَةَ العُذْرِيُّ إذْ طَالَ وَجْدُهُ ... بعَفْرَاء حَتَّى شَفَّ مُهْجَتَهُ الوَجْدُ

كَوَجْدِي غَدَاةَ البَيْنِ عِنْدَ التْفَاتِهَا ... وَقَدْ طَارَ عَنْهَا بَيْن أتْرَابهَا البُرْدُ

روى عروة بن هشام عن أبيه عن النعمان بن بشير[1] قال:

استعملني عثمان بن عفان على صدقات بني عذرة، فرأيت شابًا مدنفًا لم يبق منه إلا شبحه وعيناه تدوران في رأسه فنظر إليّ وأنشأ يقول:

كَأنَّ قَطَاةً عُلِّقَتْ بجَنَاحِهَا ... عَلَى كَبِدِي مِنْ شِدَّةِ الخَفَقَانِ

جَعَلْتُ لعرّاف اليَمَامَةِ حكْمَهُ ... وَعرّاف حجر إن هُمَا شَفَيَانِ

[٥٩/ب] فَقَالاَ نَعَمْ تَشْفَى مِنَ الدَّاء كُلِّه ... وَقَامَا مَعَ العُوّاد يَبْتَدرَانِ

فَمَا تَرَكَا مِنْ سَلْوَةٍ يَعْلَمانهَا ... ولاَ رُقْيَةٍ إلا وَقَدْ رَقَيَانِ

وَقَالاَ شفَاكَ اللهُ وَاللهِ مَا لَنَا ... بما ضَمِنَتْ منْكَ الضُلُوع يَدَانِ[2]

ثم غمض عينيه فظننت أنه غشي عليه، فقامت عجوز كانت إلى جانبه فاطلعت في وجهه، فإذا هو قد مات.

فقلت: من هذا؟ فقالت: عروة بن حزام. فشهدت غسله والصلاة عليه[3].

[وقال أبو] الفرج الأموي بعد قوله: ولا نعرف له شعراً إلا في عفراء بنت عمه:

لَعَمْرُكَ إنِّي يَوْمَ مُضْرِب نَاقَتِي ... لمُخْتَلَف الأَهْوَاء مصْطَحَبان

مَتَى تَحْملِي شَوْقِي وَشَوْقَكِ تَطلعِي ... وَمَالك بالحْمل الثَّقيلِ يَدَانِ

ألاَ يَا غُرَابِي دِمْنَةَ الدَّارِ خَبِّرا ... أَبَا البَيْنِ[4] مِنْ عَفْرَاء يَلْتَجِئَانِ

=

المتن) أو موسوعة الأمثال العربية والعامية.

(١) ذكر نحو هذه القصة : ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء وذكر البيت الأول وبيتًا قبله.

(٢) البيتان الأولان ذكرها السراج في مصارع العشاق (١١٨/٢) ، وذكر بنحو القصة سيذكره المؤلف بعد قليل دون أن يذكر البيتين الذين هنا.

(٣) اختلفت الروايات كما سيمر عليك في كيفية موته ومكانه، وأين دفن ومن حضر الوفاة ومن صلى عليه اختلافا شديدًا.

(٤) يعرف الغراب دائمًا بأنه أبو البين، أي الفراق، ويعتقد كثير من الناس الذين لا يفهمون الدين الصحيح أنه سبب في ذلك ويتشاءمون من رؤيته وخصوصًا إذا رأوه صباحًا باكرًا.

وقد نهى الإسلام عن الشؤم والتشاؤم والطيرة، وما إلى ذلك، وأعاد أمر كل ذلك إلى الله سبحانه =

فإنْ كَـــانَ حَقًا مَا تَقولاَن فَانْهَضَا بلَحْمي إلَى وَكْرَيْكُمَا فَكُلاَنِي
وَلاَ تُعْلمَـــنَّ النَّاسَ مَـــا كَانَ مَيْتَتِي وَلاَ يَأْكُلَـــنَّ الطَّيْرُ مَـــا تَذَرَان
خَليْلَيَّ مِـــنْ عَـــلْيَا هلاَل بن عَامر بَصَنْعَاء عَرِّجَا اليَـــوْم وَانْتَظرَان
وَلاَ تَزْهَدَا في الأَجْر عنْدي وَاعْمَلاَ فإنَّكُمَـــا فيّ اليَـــوْم مُبْتَلَيَـــان
ألَمَّـــا عَلَى عَفــرَاء إنَّكُما غَـــدًا بوَشْك النَّوى وَالبَيْنِ مُفْتَرِقَان
يَا وَاشيَـــا عَفْرَاء وَيْحكُمَـــا بمَنْ وَمَا وَإلَى مِنْ حَيْثُمَـــا تَشيَان
بمَـــنْ لَـــوْ أرَاهُ غَائبـــاً لَفدَيْتُهُ وَمَنْ لَـــوْ يَرَاني غَائبًـــا لَفدَاني
مَتَى تَكْشفَا عَنِّي القَميْصَ تبينَا بي الضرُّ مَـــنْ عَفْرَاء يَا فتَيَانِ
إذَا تَرَيَـــا لَحْمًـــا قَليْلاً وَأعْظُمًا بَليْـــنَ وَقَلْبًا دَائـــم الرَّجَفَـــان
فَقَـــدْ تَركْتَني لاَ أعي لمحُـــدِّث حَديْثًـــا وَإنْ نَاجَيْتُـــهَ وَ نَجَانَ
فوَيْلي عَلَى عَفْـــرَاءَ وَيْلٌ كَأنَّهُ عَلَى الصَّدْرِ وَالأَحْشَاء حَرّ سَنَانَ
أُحبُّ ابْنَةَ العُذْرِيّ حُبًّا وَإنْ نَأتْ وَدَانَيْتُ فيْهَا غَيْر مَـــا مُتَـــدَان
إذَا رَامَ قَلْبي هَجْرهَا حَالَ دُوْنَهُ شفيعَـــان منْ قَلْبي لَهَا جَدلاَن
إذَا قُلْتُ: لا،قَالاَ: بَلَى ثم أصْبَحَا جَميْعًا عَلَى الرَّأي الّذي يَرَيَان
تَحمَّلْتُ منْ عَفْرَاء مَا لَيْسَ لي به وَلاَ للْجبَـــال الرَّاسيَات يَدَان
فَيَارَبّ أنْتَ المُسْتَعَانُ عَلَى الّذي تَحمَّلْتُ مِـــنْ عَفْرَاء مُنْذ زَمَان
فَعَفْرَاءُ أحْظَى النَّاسُ عنْدي مَوَدَّة وَعَفْرَاءُ عَنّي المُعـــرِضُ المُتَوَاني
لَوْ أنَّ أشَـــدّ النَّاسِ وَجْدًا وَمثْلَهُ مَنَ الإنْسِ بَعْـــدَ الجنِّ يلْتَقيَـــان
فَيشْتَكيَان الوَجْد ثَمة أشْتَكـــي لأُضْعَفَ وَجْدي فَوْقَ ما يَجدَان
أفي كُلِّ يَوْم أنْتَ رَام[1] بلادَهَـــا بعَيْنَيْـــن إنْسَان هُمَـــا عرفَـــاني
ألاَ فَاحْملاَني بـــارَكَ الله فيْكُمَا إلَى حَـــاضِرِ الرَّوْحَاءِ ثم ذَرَاني

وفي كتاب الأنيس للمعاني:

=

فهـــو وحـــده الذي يدبر أمور الكون ويصرف شئونه ولا راد لقضائه ولا دافع لما أراد سبحانه وتعالى ﴿**لا يسئل عما يفعل وهم يسألون**﴾.

(١) المـــراد رائي. والروم الشيء طلبه، ورام الشيء: يرومه روما ومرامًا: طلبه... وقال ابن الأعرابي: رومت فلانًا ورومتُ بفلان: إذا جعلته يطلب الشيء. لسان العرب.

حدثـــا الأخفش عن المبرد حدثنا مسعود عن بشر المازني حدثنا العتبي عن أبيه عن رجل عن هشام عن أبيه بلفظ: قال النعمان:

فدفعـــت إلى فتى تحت ثوب، فكشفت عنه فإذا رجل لم يبق منه إلا رأسه فقلت: وما شأنك؟

فقال: فذكر البيتين، ثم تنفس حتى ملأ منه الثوب الذي كان فيه ثم خمد فإذا هو قد مات[1].

وزعم الزبير : أن عروة هو المشاهد موته لا النعمان، وفي ذلك نظر.

فقـــال: حدثني أبي قال عروة بن الزبير[2]: مررت بوادي القرى، فقيل لي: هل لك في عروة بن حزام؟

فقلت: الذي يلقى من الحب ما يلقى قالوا: نعم.

فخرجت حتى [٩٦/ب] جئته، فإذا هو في بيت منفرد عن البيوت، وإذا والله حوله أخوات له أمثال التماثيل، وأمه، وخالته، فقلت له: أنت عروة؟

قال: نعم. قلت: صاحب عفراء؟

قال: صاحب عفراء، ثم استوى قاعدًا فقال: وأنا الذي أقول:

وَعَيْنَان مَا أُبْقِيَتْ[3] نَشْزًا فَيَنْظُرا بِمَـــا فِيْهِما لاَ هُمَـــا يكفَـــانِي

أَلاَ فَاحْمِلاَنِي بَـــارَكَ اللهُ فِيْكُمَا إِلَى حاضِـــرِ البَلْقَـــاءِ ثُمَّ ذَرَانِي

ثم التفت إلى أخواته[4] فقال:

مَن كَانَ مِنْ أُمَّهَاتِي بَاكِيًا أَبَدًا فَالْيَوْم إِنِّي أرَانِي[5] اليَوْم مَقْبُوضَا

لِتَسْمِعْنَهُ فَإِنِي غَيْر سَامِعه[6] إِذَا عَلَوتُ رِقَابَ القَوْم مَعْرُوضَا

قال عروة بن الزبير: فلما سمعت قوله برزن والله يضربن حرار[7] الوجوه ويشققن

(١) بنحو هذا ذكره السراج في مصارع العشاق (٢/ ١١٨) تحت عنوان موت عروة بن حزام.

(٢) قـــال الســـراج في مصـــارع العشاق تحت عنوان وفاة عروة (١/٣١٦): قال أبوبكر بن المرزبان وأخبرنا أحمد بن زهير، أخبرنا الزبير بن بكار، أخبرني أبي قال عروة بن الزبير: فذكره.

(٣) في المصارع: ما أوفيت.

(٤) في المخطوط: إخوته. والتصويب من المصارع.

(٥) في المصارع : أراك .

(٦) في المصارع: من كان يلحو فإني غير سامعه.

(٧) في المصارع: حُرَّ.

جيوبهن.

قال عروة: فقمت، فما وصلت إلى منزلي حتى لحقني [رجل[1]]

وذكر أبو محمد بن خلف بن المرزبان: أنه وعفراء نشآ جميعًا فعلقهما علاقة الصبى، وكان عروة يتيمًا في حجر عمه، حتى بلغ فكان يسأل عمه أن يزوجه عفراء، فيسوفه إلى أن خرجت عير لأهله إلى الشام، وخرج عروة فيها[2].

ووفد على عمه: ابن عم له من البلقاء، يريد الحج فخطبها، وتزوجها[3]، وحملها معه[4].

وأقبل عروة في[5] عيره[6] حتى إذا كان بتبوك نظر إلى رفقة مقبلين من نحو المدينة، وفيها امرأة على جمل أحمر.

فقال لأصحابه: والله لكأنها[7] شمائل عفراء.

فقالوا: ويحك، فما تترك ذكر عفراء لشيء قال: وجاء القوم، فلما [دنوا منه[8]] تبين الأمر ييس [وبقي[9]] قائمًا لا يتحرك، ولا يحر كلامًا ولا يرجع جوابًا حتى بَعد القوم..

فذلك حيث يقول:

وَإِنِّي لَتَعْرُوني لذكْرَاك رِعْــدَةٌ ... لَهَــا بَيْنَ جلْدِي وَالعظَام دَبِيْبُ
فَمَــا هُوَ إلاَّ أَنْ أَرَاهَــا فَجْأَةً ... فَأُبْهَــتُ حَتَّى مَا أَكَــادُ أُجِيْبُ
فَقُلْتُ لِعَرَّاف اليَمَامَــة دَاوِنِي ... فَإِنَّــكَ إنْ أَبْــرَأْتَني لَطَبِيْــبُ
فَمَا بِي منْ حُمَّى وَلاَ مَسَّ جِنَّة ... وَلَكِنَّ هَذَا[10] الحِمْيَرِي كَذُوْبُ
عَشِيَّــةَ لاَ عَفْرَاء مِنْكَ بَعيْــدَةٌ ... فتَسْلَى وَلاَ عَفْراءُ مِنْكَ قَرِيْبُ[11]

---

(١) زيادة من المصارع.
(٢) في المصارع: إليها.
(٣) في المصارع: فزوجها إياه.
(٤) لم ترد في المصارع.
(٥) في المخطوط: من. والتصويب من المصارع.
(٦) في المخطوط: عيره تيك. وهو لفظ زائد حذفته و لم يرد بالمصارع.
(٧) في المصارع: إنهما.
(٨) الزيادة من المصارع.
(٩) زيادة من المصارع.
(١٠) في المصارع: عمى.
(١١) لم يرد هذا البيت بمصارع العشاق، وجاء بعده ما يلي: قال أبوبكر: وعراف اليمامة هذا الذي

ثم إن عـــروة انصـــرف إلى أهله، وأخذه[البكاء(١)] الهلاس حتى نحل، فلم يبق منه شيء.

فقال بعض الناس: هو مسحور.

وقال قوم: بل به جنة.

وقـــال آخرون: هو موسوس، إن بالحاضر من اليمامة لطبيب له تابع من الجن هو أطب الناس ، فلو أتيتموه [فلعل الله يشفيه(٢)].

فساروا إليه [من أرض بني عذرة حتى داواه(٣)] فجعل يسقية [السلوان(٤)] وينشر عنه(٥) وهو يزداد سقماً.

فقال له عروة: يا هناه، هل عندك للحب دواء أو رقية؟

فقال: لا والله.

فانصرفوا حتى مروا بطبيب بحجر فعالجه وصنع به مثل ذلك.

فقال له عـــروة : ما دائي ودوائي والله إلا شخص بالبلقاء مقيم هو وراني(٦) -أي أمرضني- فهناك يقول:

جَعَلْتُ لَعَراف اليَمامَةِ حكْمَة   وَعَرَّافِ حِجْرٍ إنْ هُمَا شَفَيَانِي

الأبيات(٧).

=

ذكـــره عـــروة وغيره من الشعراء هو: رياح بن راشد، ويكنى أبا كحيلة عبد لبنى يشكر، تزوج مولاة، امرأة من بني الأعرج فساقه في مهرها، ثم ادعى بعد نسبه في بني الأعرج.

(١) زيادة من المصارع.

(٢) زيادة من المصارع.

(٣) زيادة من المصارع.

(٤) زيادة من المصارع.

(٥) وقوله: وينشر عنه. لم ترد بالمصارع.

(٦) في المصـــارع: هو دائي وعنده دوائي ثم أورود بعدها ما هنا ثم قال: والورى داء يكون في الجوف مثل القرحة والسل قال سحيم عبد بني الحسحاس:

وَرَاهُنَّ رَبِّي مِثْلَ مَا قَدْ وَرَيْنَنِي   وَأَحْمى عَلَى أَكْبَادِهِنَّ المَكَاوِيَا

ثم ساق الرواية كما هنا من أول قوله:

جعلت لعارف اليمامة حكمة

(٧) فذكر بعده ثلاثة أبيات.

قال : فلما قدم على أهله [وكان له أخوات أربع ووالدة وخالة[(١)]] مرضه أهله دهرًا.

فقال لهم يومًا: إني لو نظرت إلى عفراء نظرة ذهب وجعي.

فذهبنا[(٢)] به حتى نزلوا البلقاء مستخفين فكان لا يزال يلم بعفراء، وينظر إليها، وكانت عند رجل كريم سيد، كثير المال والماشية[(٣)]. فبينما عروة يومًا يسوق إلى البلقاء إذ لقيه رجل من بني عذرة، فسأله عن حاله ومقدمه، فأخبره فقال: والله لقد سمعت أنك مريض، وأراك قد صححت.

فلما أمسى الرجل دخل على زوج عفراء فقال: متى قدم هذا الكلب عليكم الذي فضحكم؟

قال زوج عفراء: أي كلب هو؟ قال: عروة [٩٧/ب].

قال: أو قد[(٤)] قدم؟ قال: نعم.

قال: أنت والله أولى بها منه أن تكون كلبًا[(٥)] ما علمت بقدومه ولو علمت لضممته إلي.

فلما أصبح غدا يستدل حتى جاءه، فقال: قد قدمت هذا البلد، ولم تنزل بنا؟ ولم [تر أن[(٦)]] تعلمنا مكانك ؟ فيكون منزلك عندنا وعليَّ أن كان لك منزل إلاّ عندي.

قال: نعم نتحول إليك الليلة أو في غدٍ فما وَلّى.

قال عروة لأهله: قد كان ما ترون وإن أنتم لم تخرجوا معي لأركبن رأسي ولألحقن بغيركم[(٧)] فليس علي بأس.

فارتحلوا و ركبوا، ونكس عروة و لم يزل مدنفًا حتى نزلوا وادي القرى فتوفي[(٨)].

---

(١) الزيادة من المصارع.

(٢) في المخطوط فذهبوا، والتصويب من المصارع.

(٣) في المصارع: الغاشية.

قلت: يريد بالغاشية كثير الأضياف.

(٤) في المخطوط: قد قدم؟ وما هنا من المصارع وكلاهما صحيح للاستفهام.

(٥) يريد أنه رد الشتم على الواشي إليه لقرابة عروة من عفراء.

(٦) زيادة من المصارع.

(٧) كذا في المخطوط، وربما كان الصواب بعيركم. وفي المطالب غير ذلك ففيها: لألحقن بقومكم.

(٨) لم ترد هذه الكلمة في المصارع، ووادي القرى كما هو معلوم محل وديار قوم عروة.

وروى الكلبي عن أبي مسكين: أن عفراء لما بلغها وفاة عروة قالت لزوجها: يا هناة قد كان من أمر هذا الرجل ما بلغك ، ووالله ما كان ذلك إلا [على[1]] الحسن الجميل وإني[2] قد بلغتني وفاته قبل أن يصير إلى أرضه في أرض غربة[3].

فإن رأيت أن تأذن لي فأخرج في نسوة من قومي فنندبه ونبكي عليه.

قال: إذا شئت، فأذن لها فخرجت وقالت ترثيه:

أَلاَ أيُّهَا الرَّكْبُ المُخبُّونَ وَيْحَكُمْ ... بَحَقٍ نَعَيْتُم عُرْوَةَ بن حِزَامِ؟
فَلاَ هَنِئ الفِتْيَان بَعْدَهُ[4] بغَارَةٍ ... وَلاَ رَجَعُوا مَنْ غَيْبَة بسَلاَمِ
فَقُلْ لِلْحُبَالَي لاَ تُرْجِينَ غَائِباً ... وَلاَ فرِحَاتٍ بَعْدَهُ بِغُلاَمِ

قال و لم تزل تردد هذه الأبيات وتبكي حتى ماتت، فدفنت إلى جانبه.

فبلغ الخبر معاوية، وقيل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقال:

لو علمت بهذين الشريفين لجمعت بينهما[5].

وفي كتاب الزهرة لابن داود: أنها وضعت نفسها على القبر سرًّا منهم واعتنقته فوجدوها ميتة.

روى الهيثم بن عدي[6]: أن عفراء لما بلغها موته قالت:

---

(١) زيادة من المصارع.
(٢) في المصارع: وإنه.
(٣) في المصارع العبارة مختصرة على هذا النحو: وإنه قد بلغني أنه قد مات في أرض غربة.
(٤) في المصارع: بعدك.
(٥) في المصارع فبلغ الخبر معاوية فقال: لو علمت...
ثم قال: وقد روى مثل هذا الكلام عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
(٦) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٠/١٠٣): الهيثم بن عدي بن عبد الرحمن بن زيد بن أسيد بن جابر الأخباري العلامة أبو عبد الرحمن الطائي الكوفي المؤرخ قال علي ابن المديني: هو عندي أصح من الواقدي.
وقال عباس الدوري: حدثنا بعض أصحابنا قال قالت جارية الهيثم بن عدي: كان مولاي عامة الليل يصلي، فإذا أصبح جلس يكذب.
وقال ابن معين وأبو داود: كذاب. وقال البخاري: سكتوا عنه وقال النسائي وغيره: متروك الحديث.
قلت (أي الذهبي) : توفي بفم الصلح في سنة سبع ومائتين، وله ثلاث وتسعون سنة.
ومن مصادر ترجمته: تاريخ ابن معين (٢٢٦)، تاريخ خليفة (٤٧٢)، البيان والتبيين (١/٣٤٧)، التاريخ الكبير (٨/٢١٨)، تاريخ بغداد (١٤/٥٠)، معجم الأدباء (١٩/٣٠٤)، إنباه الرواة =

عَدَانِي أنْ أزُوْرَكَ يَـا خَلِيْلِي ... عَاشِر كُلّهُمْ وَاشٍ حَسُوْدُ
أشَاعُوا مَا عَلمْتَ مِنَ الدَّوَاهِي ... عَابُونَا وَمَا فِيْهِـمْ رَشِيْدُ
فَأمَّا إذْ ثُويت اليَوْمَ لَحْـدًا ... دُوْر النَّاسِ كُلـهم لُحُودُ
فَلاَ طَـابَتْ لِيَ الدُّنْيَا فوَاقًا ... لاَ لَهُـمُ وَلاَ أثرى العَدِيْدُ

ثم أكبت على القبر ثلاثًا لم تأكل و لم تشرب، فما رفعت إلا ميتة.

قال ابن داود: كان عروة لما انصرف من عند عفراء، توفي، فمر به ركب فعرفوه، فلما انتهى إلى منزله صاح بعضهم:

ألاَ أيُّهَا القَصْرُ المُقَفّل أهْلُهُ ... بَحَقّ نَعَيْنَا عُرْوة بن حِزَامِ

فأجابته عفراء: ألاَ أيُّهَا المجْنُونُ .. الأبيات

فأجابها:

نَعَمْ قَدْ تَرَكْنَاهُ بِأرْضٍ بَعِيْدَةٍ ... مُقِيمًا بِهَا فِي دَكْدَكٍ وَأكَامِ

قالت:

فَإنْ كَانَ حَقًّا مَا تَقُوْلُونَ فَاعْلَمُوْا ... بِأنْ قَدْ نَعَيْتُمْ بَدْرَ كُلّ ظَلاَمِ
فَـلاَ لَقِـيَ الفِتْيَانُ بَعْـدَكَ لَذَّةً ... وَلاَ رَجعُوا مِنْ غَيْبَةٍ بِسَلاَمِ
وَلاَ وَضَـعَتْ أُنْثَى تَمَـامًا بِمِثْلِهِ ... وَلاَ فَرِحَتْ مَنَّ بَعْدِهِ بِغَلاَمِ

وروى الحافظ أبو بكر بن ثابت الخطيب عن معاذ الصنعاني قال:

خرجت من مكة إلى صنعاء، فلما كنا منها على خمس مراحل رأيت الناس ينزلون من محاملهم ويركبون دوابهم.

فقلت: أين تريدون؟

فقالوا: ننظر إلى قبر عفراء وعروة.

فنزلت عن محملي وركبت حماري واتصلت بهم، فانتهيت إلى قبرين متلاصقين، قد خرج من هذا القبر ساق شجرة، ومن هذا القبر ساق شجرة حتى صارا على قامةٍ فالتفا فكان الناس يقولون:

=

(٣٦٥/٣)، وفيات الأعيان (١٠٦/٦)، ميزان الاعتدال (٣٢٤/٤)، العبر (٣٥٣/١)، طبقات المفسرين (٣٥٤/٢).

تآلفا في [٩٨/ب] الحياة وفي الممات.

وقيل لمعاذ: أي ضرب هي من الشجر؟

قال: لا أدري، وقد سألت أهل القرية عنه، فقالوا: لا نعرف هذه الشجرة ببلادنا.

٩٨- شهيد

[الشاب الذي أحب ابنة عمه واستحى أن يخطبها(١)]

ذكر ابن دريد عن الرياشي قال: قال العركن بن الجميح الأسدي: كان لي صديق من الحي، وكان شابًا جميلاً، يعشق ابنة عم له، وكانت له محبة.

وكانت هيبة عمه تمنعه أن يخطبها إليه فحجبت عنه، فكان يأتيني فيشكو شوقه إليها.

فما لبث أن مرض عمه مرضًا شديدًا(٢)، فكان الفتى يدخل إليه [وابنته عند رأسه(٣)] فيستشفي(٤) بالنظر [إليها(٥)]، ثم يخرج إليَّ مسرورًا جذلاً إلى أن برئ عمه، فقال:

أَبْكِي مَنَ الخَوْفِ أَنْ يَبْرَأَ فَيَحْجُبُهَا ... وَلَسْتُ أَبْكِي عَلَى عَمِّي مِنَ الجَزَعِ

لاَ مَاتَ عَمِّي وَلاَ عُوْفِي مِنَ الوَجَعِ ... وَعَاشَ مَا عَاشَ بَيْنَ اليَأْسِ وَالطَّمَعِ

فخطبت الجارية، فزوجها أبوها [غيره]، فجاءني الفتى فودعني وقال: هذا وداع لا نتلاقى بعده أبدًا، فناشدته، فإذا الجزع قد حال دون فهمه.

[فقلت: وأين تذهب؟] (٦).

فقال: أذهب ما وجدت أرضًا، ومضى.

فكان آخر العهد به، ولقد التمسه عمه آفاق البلاد فما قدر عليه.

---

(١) ذكر صاحب المصارع هذا الخبر في كتابه (٢/٧٧) تحت عنوان لا مات ولا عوفي: بالإسناد التالي: أخبرنا الأمير السيد أبو محمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله حدثنا أحمد بن منصور اليشكري حدثنا أبو بكر بن دريد حدثنا الرياشي قال: قال عركن بن الجميع الأسدي، فذكر الخبر.

(٢) في المصارع: مرضًا أشفي منه. قلت أي أشرف منه على الموت.

(٣) زيادة من المصارع.

(٤) في المخطوط: فيشتفي. وما أثبته من المصارع.

(٥) زيادة من المصارع.

(٦) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط، واثبته من المصارع.

ولم يطل عمر الجارية بعده شهرًا[1].

۞ ۞ ۞

٩٩- شهيد

[أبو عامر والجواري اللواتي هوينه[2]]

ذكر ابن حزم: أن أبا عامر المحدث كان جماله رائعًا، وكانت الشوارع تخلى من المارة لتعمدهم [الحضور[3]] على بابه الملاصق لبابنا لا لشيء إلا للنظر إليه، ولقد مات من محبته جوارٍ كن علقن أذهانهن به ورنين له فخانهن ما أملنه منه، وقتلهن الوجد.

وأنا أعرف جارية منهن كانت تسمى عفراء عهدي بها لا تستتر لمحبته حيث ما جلست ولا تجف دموعها.

[وكانت قد تصيرت من داره إلى البركات الخيال صاحب الفتيان[4]]

۞ ۞ ۞

١٠٠- شهيد

[الفتى العذري المستشفى له عند ابن عباس[5]]

ذكر الزبير عن عكرمة مولى ابن عباس قال: إني لمعي مولاي عشية عرفة إذ أقبل فتية من بني عذرة يحملون فتًى من [٩٩/أ] بني عذرة قد بلى بدنه حتى أوقفوه بين يديه، ثم قالوا له : استشف لهذا يا ابن أخي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فقال: وما به؟ قالوا: العشق.

فترنم الفتى بصوت ضعيف حتى لا يبين :

بَنَا مِنْ جَوَى الأَحْزَانِ وَالحُبِّ لَوْعَةٌ ... تَكَادُ لَهَا نَفس الشَّفيْقِ تَذُوبُ

وَلَكِنَّمَــا أبْقَى حُشَاشَه مقْــوَلٍ[6] ... عَلَى بَابه عُودٌ هَنَاكَ صَلِيْبُ[7]

(١) لم ترد تلك الكلمة في المصارع.

(٢) ذكرها ابن حزم -رحمنا الله- وإياه في كتابه الشهير طوق الحمامة (ص:٧٢) بأتم مما هنا وأطول وبنحوه.

(٣) زيادة من طوق الحمامة.

(٤) القصة عند ابن حزم أيضًا في المصدر السابق (ص ٧٣)، وما بين المعقوفين زيادة منه.

(٥) بنحوه ذكره السراج في مصارع العشاق (٢١٧/٢) تحت عنوان: عود صليب.

(٦) في المصارع: ما ترى.

(٧) الشطر الثاني في المصارع على النحو التالي:

=

وَمَا عَجَبي مَوْت المُحِبِّيْنَ في الهَوى ... وَلَكِنْ بَقَاءُ العَاشِقِيْنَ عَجِيْبُ[(١)]

ثم شهق شهقة فمات.

قال عكرمة: فما زال ابن عباس بقية يومه يتعوذ بالله تعالى من الحب[(٢)].

۞ ۞ ۞

١٠١- شهيـــدان

[علي بن صالح بن داود والقينة التي هواه[(٣)]]

ذكر أبو الحسن القاري رحمه الله تعالى: أن علي بن صالح بن داود ذكر له: أن جارية من جوار القيان تميل إليه وتحبه وتكلف به، وكانت موصوفة بالأدب شاعرة.

فكره مراسلتها، فحضر يومًا عند [بعض[(٤)]] أهل البصرة وكانت عنده.

فلما رآها عليّ قالت: طاب عيشنا في يومنا [هذا[(٥)]]. فلم يلتفت إليها، فأطرقت هي أيضًا [فلم تنظر إليه[(٦)]] ثم دعت بدواة فكتبت على منديل كان معها. ثم تغافلت[(٧)] أهل المجلس فألقت إليه المنديل، فأخذه فيه:

لَعَلَّ الَّذي أَبْلَى[(٨)] بِحُبِّكَ يَا فَتَى ... يَرُدّكَ لي يَوْمًا إلَى أَحْسَنِ العَهْدِ

قال عليّ: فما هو إلا أنْ قرأت الشعـــر حتى وجدت في قلبي من أمرها مثل النار. فقمت وانصرفت خوفًا من الفضيحة.

فلم أزل أعمل الحيلة في ابتياعها، من حيث لا تعلم، فعسر ذلك عليَّ فعرفتها الخبر وما

=

على ما ترى عود هناك صليب

(١) لم يذكر هذا البيت في المصارع.

(٢) كما أسلفت بنحو مما هنا ختم أيضًا القصة في المصارع.

(٣) ذكر القصة السراج في المصارع (٢٨٨/١) تحت عنوان علي بن صالح والقينة بالإسناد التالي: ذكر أبو عمر بن حيويه في ما نقلته من خطه قال: حدثنا محمد بن خلف قال حدثنا الحسين بن جعفر قال حدثنا عبد الله بن أحمد العبدي قال حدثني سليمان بن علي الهاشمي: أن علي بن صالح بن داود ذكر عن جارية من القيان أنها كانت تميل إليه محبة وكلفًا، فذكر القصة كما هنا.

(٤) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط وأثبته من المصارع.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من المصارع.

(٦) ما بين المعقوفين زيادة من المصارع.

(٧) في المصارع: ثما غافلت.

(٨) في المصارع: أبلى.

عزمت عليه من ابتياعها فأعانتني على ذلك حتى امتلكتها فلم أوثر عليها أحدًا من حريمي ولا أهلي و لم يبق[1] عندي شيء يعدلها، فتوفيت، فأنا لا عيش لي [بعدها ولا[2]] سرور.

فوالله ما لبث بعد [٩٩/ب] هذا الكلام إلا أياما يسيرة ، ومات[3] أسفًا عليها وكمدًا ، فدفن إلى جنبها[4].

قفي أُخبِرْكَ مَا صَنَــع الغَرَامُ ... عَشيَّةَ قُوِّضَــتْ تِلْكَ الخِيَامُ

لَقَدْ فَتَكَ الهوَى بي يَوْمَ سَاروا ... وَلَوْ لَــمْ تُؤثِرُوا قَتْلي أَقَامُــوا

سَروا وَ الليلُ في ثَوْبَيْ حِــدَاد ... وَقَــدْ أَلْقَى مَرَاسِيهُ الظَّــلاَمُ

وَقَدْ هَتَكُوا الأَهلَّةَ[5] عَنْ بُدُورٍ ... كَوَامِل[6] لَيْسَ يَبْرَحُهَا التَّمامُ

وَفِي الأَحْــدَاجِ ذُو لَعَس لَمَاهُ ... لَنَــا كَأسٌ وَرِيْقَتُــهُ مُــدَامُ

رَمَى وَقُلُوبُنَــا الأَغْرَاضُ فانْظُرْ ... بَعْينِكَ هَلْ يَطِيْشُ لَهَا[7] سِهَامُ

١٠٢- شهيــدان

[علي بن أديم والقينة منْهلَة[8]]

ذكر الأصبهاني في كتاب القيان: كانت منهلة من أحسن الناس وجهًا وغناء، وكانت لامرأة من بني عبس تنزل الكوفة، وكان بها رجل يقال: إنه أسدي، ويقال: جعفي، يقال له: علي بن أديم يهواها، وله فيها أشعار كثيرة. فباعتها مولاتها من رجل هاشمي، وبلغ عليًا ذلك، فمات كمدًا بعد ثلاثة أيام جزعًا عليها. فمن شعره فيها:

يَا نُصْبَ عَيْني لاَ أَرَى ... حَيْثُ التَفَتّ سِوَاكَ شَيْئًا

إنّي لَمَيّتٌ إنْ هَجَرْتِ ... وَإنْ وَصَلْتِ رَجَعْتُ حَيًّا

(١) في المصارع: ولا كان عندي شيء يعدلها.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط وأثبته من مصارع العشاق.

(٣) في المصارع: حتى مات.

(٤) جاء بعد هذا في المصارع عنوان ثم امتداد للقصة ونص العنوان ريقته مدام. وامتداد القصة قول المؤلف: ولي من قصيدة أولها: فذكر القصيدة التي هنا.

(٥) في المصارع: الأكلة.

(٦) في المصارع: كوامن.

(٧) في المصارع: له.

(٨) يذكر السراج القصة في مصارع العشاق (٢٠٥/١) تحت عنوان لابسة السواد. كما هنا، وسيأتي نص حكايته بعد قليل بعد سرد الرواية الأولى.

وله فيها أيضًا:

جَـدَّ الرَّحِيْلُ وَحَثَّنِي صَحْبِي		قَالُـوا الرَّوَاحِ فَطَـيَّرُوا قَلْبِي
وَاشْتَقْـتُ شَوْقًا كَادَ يَقْتُلنِي		وَالنَّفْسُ مُشْـرِفَةٌ عَلَى النَّحب
وَلاَ صَبْرَ لِي عِنْدَ الفِراقَ عَلَى		فَقْـدِ الحَبِيْبِ وَلَـوْعَة الحُبِّ
لَـمْ يَلْقَ عِنْدَ البَيْنِ ذُو كَلَف		يَوْمًـا كَمَا لاَ قيْتُ مِنْ كَرْبِ

[١٠٠/أ] فلما مات ابن أديم عمل أهل الكوفة كتابًا ذكروا فيه أخباره مع منهلة يومًا يومًا، وحالاً حالاً، وهو كتاب معروف عندهم.

أخبرني ابن المرزبان عن أبي صالح الأزدي عن محمد بن الحسين الرقي قال: [أخبرني محمد بن سماعة القرشي قال[1]]:

آخر من مات عشقًا علي بن أديم [مولى[2]] أديم الجعفي [وكان خرازًا مر بكتاب الكوفة في بنى عبس[3]]، فرأى[4] صبية تمشي في بني عبس يقال لها: منهلة، تختلف في الكتاب عليها قميص أسود -لأجل المداد[5]- فهويها.

ثم قال فيها:

إِنِّي لِمَـا يِعْتَـادنِي		مِنْ حُبِّ لاَبِسَة السَّوَاد
فِي فِتْنَـة وَبَلِيَّـة		مَا إن يُطِيْقهُمَا فُؤَادي
فَبَقِيْتُ لاَ دُنْيَاً أَصَبْتُ		وَفَـاتَنِي طَلَـبُ المَعَادِ

ويقال إنه خرج إلى أم جعفر يستعينها على شرائها.

فقالت له جارية: كيف خليت حبيبتك ورحلت عنها؟

فرجع فمات يوم وصوله الكوفة، وكان قد تمادى حبه لها.

فنشأت وتعلمت الغناء.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة من مصارع العشاق وهذه الرواية هي التي ذكرها في كتابه.
(٢) زيادة من مصارع العشاق.
(٣) زيادة من المصارع أو سقط من المخطوط فأضفته.
(٤) في المصارع: رأى.
(٥) لم ترد هذه العبارة بالمصارع والخبر فيه بنحوه والمراد بتلك العبارة: أنها لبست ذلك السواد حتى لا يظهر فيه ما يقع عليه من المداد أو الحبر الذي تأخذه أو تعطيه لصاحب الكتاب.

وكان علي خرازًا[1] موسرًا ، فأراد شراءها فلم ترض سيدتها، وباعتها من غيره.
فمات عشقًا، وبلغ الجارية خبرة فماتت بعد ثلاثة أيام حبًا له أيضًا.

١٠٣- ناج[*]

[بائع الجارية التي تبعتها نفسه]

قال ابن حزم علي بن أحمد: لم أزل أسمع عن ملوك الزاب[2]، والبربر[3]: أن رجلاً أندلسيًا باع جارية كان يجد بها وجدًا شديدًا لفاقة أصابته لرجل من أهل البلد.

ولم يظن أن نفسه تتبعها ذلك التتبع فلما حقت الصفقة كادت نفسه تخرج.

(١) الخراز: هو صانع الأحذية. قال صاحب اللسان الخرز: خياطة الأدم.
وكل كتبة من الأدم: خرزة، على التشبيه بذلك، يعني كل ثقبة وخيطها وفي المثل: اجمع سيرين في خرزة، أي: اقض حاجتين في حاجة، والجمع خرز . وقد خرز الخف وغيره يخرزه. والخراز: صانع ذلك، وحرفته: الخرازة .

(*) هذه التسمية من عندي حيث إنه يجمع في كتابه من مات عشقًا رغم أنفه أو قتل نفسه أما هذا فقد حاول الانتحار فنجا منه بقدر الله تعالى.

(٢) ومما قال السمعاني في الأنساب عن الزاب: قال: والزاب ناحية في عدوة الأندلس مما يلي المغرب، ثم عدد أعلامًا منها.

(٣) وقال ابن حزم أيضًا في جمهرة أنساب العرب (ص: ٤٩٥) في نسب البربر:
قال قوم: إنهم من ولد حام بن نوح عليه السلام وادعت طوائف منهم إلى اليمن، إلى حمير، وبعضهم إلى بر بن قيس عيلان. وهذا باطل لا شك فيه، وما علم النسابون لقيس عيلان ابنًا اسمه بر أصلاً.
ولا كان لحمير طريق إلى بلاد البربر، إلا في تكاذيب مؤرخي اليمن ورأيت لبعض نسابي البربر أن زناته هو شانا بن يحيى بن صولات بن هرسق بن كراد بن مازيغ بن هواك بن هريك بن بدا بن بديان بن كنعان بن حام بن نوح النبي صلى الله عليه وسلم.
ذكر ذلك يوسف الوراق عن أيوب بن يزيد مخلد بن كيداد بن سعد الله بن مغيث بن كرمان بن مخلد بن عثمان بن وريمت بن خوبنفر بن سميران بن يفرن بن شانا، وهو زناتة.
قال: وقد أخبرني بعض البربر بأسماء زائدة بين يفرن، وشانا.
فولد بر: مادغس، وبرنس، فولد برنس:
كتامة، وصنهاجة، وعجيسة، ومصمودة وَأوربة، وأزداجة، وأوريغ، فولد أوريغ بن برنس: هوار.
ولكل هؤلاء بطون عظيمة جدًا ثم يشرع ابن حزم في ذكر نسب أولاد بر، ولدًا ولدًا إلى أن يقول في صفحة (٤٩٨) وهذه بيوتات البربر في الأندلس:
وزداجة: منهم بنو دليم الفقهاء.
ملزوزة: منهم عوسجة الذي ينسب إليه بلاط عوسجة بشنت برية، ومنهم كان إبراهيم بن راح، قاتل أزهر بن مهلب المولد، الفارس المشهور الذكر من أهل والبة من عمل شنت.
مغيلة: منهم بنو إلياس رهط الوزير أحمد بن إلياس، وبنو زروال الأمراء بالمنتانية.
ثم يعدد أهل بيوتهم هناك في عصره.

فأتى الذي ابتاعها منه، وحكمه في ماله أجمع وفي نفسه فأبى.
فتحمل عليه بأهل البلد، فلم يجب.
فتصدى للملك وهو في متشرف عالٍ فذكر له قصته.
فطلب المبتاع، وشفع له، فأبى، وقال: أنا أشد حبًا لها.
فبذل له أموالاً جمة، فامتنع.
فقال [١٠٠/ب] للأندلسي: قد ترى ما جهدت لك، وهو يتعذر لشدة محبتها.
فقال الأندلسي: لم يبق لي عندك حيلة؟ قال: لا.
قال: فجمع الرجل يديه، وانصب من أعلى الأرض.
فارتاع الملك، وأمر بالمبادرة إليه فقضى أنه لم يتأذَّ كبير أذى.
فصعد به إلى الملك، فقال له: ماذا أردت بهذا؟
قال لا سبيل لي والله إلى العيش بعدها، ثم جبذ يده من الماسكين له ليترامى ثانية فسنع.
فقال الملك: الله أكبر، قد ظهر وجه الحكم في هذه المسألة.
ثم قال للمشتري: أنت تزعم أنك تحبها أكثر منه، فافعل كفعله وارم بنفسك من حيث رمى، فإن مت فبأجلك، وإن عشت كنت أولى بالجارية منه، ويمضي الرجل، وإن أبيت نزعتها من يدك رغمًا ودفعتها إليه.
فتمنع ساعة، ثم قال: أترامى، فلما قرب من الباب، ونظر إلى الهوى تحته فرجع.
فقال له الملك: هو والله ما قلت لك.
فهم ثم نكل، فلما لم يقدم قال له: تتلاعب بنا خذوا يا غلامان برجله فاقذفوه.
فلما رأى العزيمة قال: أيها الملك قد طابت نفسي بالجارية فأخذها وسلمها إلى بائعها وانصرف.

❁ ❁ ❁

١٠٤- شهيدان

[العاشق المودع البيمارستان(١) وفتاته التي أرسلت له الشعر]

ذكر ابن المرزبان عن أبي الحسين علي بن الحسين بن علي بن الحسين الصوفي المعروف برباح قال: حدثني بعض أصدقائي أنه دخل بيمارستان ببغداد فرأى شابًا حسن

(١) البيمارستان: كلمة غير عربية ومعناها يوافق في عصرنا مستشفيات الأمراض العقلية أو المصحات النفسية، وكانت منتشرة قديمًا في حين أنها قليلة نسبيًا في هذه الأيام.

الوجه نظيف الثياب جالسًا على حصير نظيف وعن يساره مخدة، وفي يديه مروحة وإلى جانبه كراز[1] فيه ماء.

فسلمت عليه، فرد أحسن رد.

فقلت له: هل لك في حاجة؟

قال: نعم، أريد قرصتين عليهما فالوذج.

قال: فمضيت وجئته بذلك، وجلست مقابله حتى أكل.

ثم قلت له: هل بقى لك حاجة؟

قال: نعم، ولا أظنك تقدر عليها.

قلت أذكرها فلعل الله [١٠١/أ] أن ييسرها قال: تمضي إلى نهر الزجاج، درب أحمد الدهقان، إلى دار على باب زقاق الغفلة، فاطرق الباب وقل: إن فلانًا قال:

مُر بِالْحَبِيْبِ وَقُلْ لَهُ: مَحْبُوبُكُمْ مَنْ أَنْحَلَه[2]؟

قال: فمشيت وسألت عن الدرب والزقاق، فطرقت الباب، فخرجت إلى عجوز فأبلغتها الرسالة.

فدخلت وغابت عني ساعة، ثم خرجت، فقالت:

ارْجِعْ إِلَيْهِ وَقُلْ لَهُ وَعَلَيْلكُمْ مَنْ أَعْلَلَهُ؟

فرجعت إلى الفتى وأخبرته بالجواب فشهق شهقة فمات.

وعدت إلى القوم فوجدت الصراخ في الديار وقد ماتت الجارية.

١٠٥ – شهيدان

[الكوفي صاحب الوردة الذي نصح صاحبته بالعبادة[3]]

ذكر ابن مسروق عن محمد بن الحسين حدثنا سويد بن سعيد بن سعيد قال سمعت

---

(١) قال ابن منظور في لسان العرب:
الكراز: الكبش الذي يضع عليه الراعي كرزه فيحمله ويكون أمام القوم ولا يكون إلا أجم لأن الأقرن يشتغل بالنطاح.

(٢) هذه عبارة عن كلمة سر بين الحبيبين، أو إشارة أو رسائل مشفرة يقوم بها الرسول دون أن يعرف في الغالب المراد منها أو على الأقل من المراد بها ما لم يكن مكلفًا بإحضار الرد أو إرسال مع الشفرة رسالة أخرى.

(٣) القصة سبق نظائرها ممن يعشقون فيكون العشق سببًا في هدايتهم أو اهتدائهم إلى الطريق القويم. والقصة ذكرها السراج في مصارع العشاق (١٦/١) تحت عنوان: العاشق التقي.

علي بن عاصم يقول: قال لي رجل من أهل الكوفة من بعض إخواني: ألاَ أُريك فتًى عاشقًا؟

قلت: بلى، والله، فإني أسمع الناس يذكرون العشق وذهاب العقل فيه وإني لأحب رؤيته، [فعدني يومًا أجيء فيه، قال، فوعدته يومًا(1)]، فمضينا(2) فأنشأ صاحبي يحدثني عن نسكه وعبادته، وما كان فيه من الاجتهاد.

قلت: وبمن هو متعلق؟

قال بجارية لبعض أهله، كانت تختلف إليهم فوقعت في نفسه فسألهم أن يبيعوها منه، فأبوا فبذل لهم جميع ملكه وهو سبعمائة [١٠١/ب] دينار فأبوا عليه ضرارًا وحسدًا أن يكون مثلها في ملكه.

فلما أبوا عليه، بعثت إليه الجارية، وكانت تحبه حبًا شديدًا: أمرني (3) بأمرك والله لأطيعنك، ولأنتهين إلى قولك(4) في كل ما أمرتني به.

فأرسل إليها عليك بطاعة الله عز وجل فإن عليها المعول(5) ثم لزم الاجتهاد في العبادة وهو مع ذلك مشغول القلب بها، لا يكاد يفارقه ذكرها.

فوالله ما زال الأمر به حتى قطعه فهو الآن ذاهب العقل واله في منزله.

فلما استأذنا عليه ودخلنا إلى دار قوراء(6) سرية.

وإذا به جالسًا(7) في وسط الدار على حصير متزر بإزار مترد(8) بآخر.

---

(١) ما بين المعقوفين من المصارع.

(٢) في المخطوط فمضيت، والتصويب من المصارع.

(٣) في المصارع: مرني.

(٤) في المصارع: أمرك.

(٥) جاء بعدها في المصارع ما يلي: والسكون إليها، وبطاعة من يملك رقك، فإنها مضمومة إلى طاعة ربك عز وجل، ودعي الفكر في أمري لعل الله عز وجل أن يجعل لنا فرجًا يومًا من الدهر، فوالله ما كنت بالذي تطيب نفسي بنيل شيء أحبه أبدًا في ملكي فأمنعه، أمد يدي إليه حرامًا بغير ثمن، ولكن أستعين بالله على أمري فليكن هذا آخر مرسلك إلي، ولا تعودي فإني أكره والله أن يراني الله تعالى وأنا في قبضته ملتمسًا أمرًا يكرهه مني، فعليك بتقوى الله، فإنها عصمة لأهل طاعته، وفيها سلوى عن معصيته.
قال: ثم لزم الاجتهاد الشديد، ولبس الشعر، وتوحد فكان لا يدخل منزله إلا من ليل إلى ليل. ثم ساق الخبر كما هنا.

(٦) أي واسعة.

(٧)في المطالع: وإذا أنا بشاب في وسط الدار.

(٨) في المصارع: مرتد.

قال علي: فسلمنا عليه، فلم يرد علينا السلام.

فجلسنا إلى جنبه، فإذا هو من أكمل[1] من رأيت من الشباب وجهًا[2].

وهو بطريق ينكث في الأرض، ثم ينظر إلى ساعده[3] ثم يتنفس الصعداء، حتى أقول: قد خرجت نفسه، وهو مع ذلك كالخلال من شدة الضر الذي به.

قال: فالتفت، فإذا أنا بوردة حمراء مشدودة في عضده.

قال: فقلت لصاحبي ما هذه، فوالله ما رأيت العام وردًا قبل هذا؟

قال: أظن فلانة -سماها- بعثت بها[4] إليه فلما سماها رفع رأسه فنظر إلينا[5] ثم قال:

فَجَعَلْتُ مِنْ وَرْدِهَا ... تميْمَـــــةً في عَضُـــدِي
أَشُمُّهَـــا مِـــنْ حُبِّهَا ... إِذَا عَـــلاَنِي كَمَـــدِي
فَمَنْ رَأَى مِثْلِي فَتًى ... بِالْحُسْنِ[6] أَضْحَى مُرْتَدِي
أَسْقَمَهُ الحُـــبُّ وَقَدْ ... صَـــارَ حَلِيـــفَ الأَوَدِ
وَصَارَ سَهْـــوًا دَهْرَهُ ... مُقَـــارِنًـــا لِلْكَمَـــدِ

[١٠٢/أ] زاد ابن المرزباني في كتابه الذهول والنحول:

أَلاَ فَمَنْ يَرْحَمُ أَوْ ... يَرِق لِي مِنْ كَمَدِي[7]

فقلت: والله الساعة يموت[8].

قال علي بن عاصم: فورد علي من أمره ما لم أتمالك، وقمت أجر ردائي، فوالله ما بلغت الباب حتى سمعت الصراخ.

فقلت: ما هذا؟ فقالوا: مات والله.

قال علي: فقلت: والله لا أبرح حتى أشهده.

---

(١) في المصارع: أجمل.

(٢) في المصارع: من رأيت وجهًا.

(٣) في المخطوط: ساعة.

(٤) في المخطوط: به والتصويب من المصارع.

(٥) في المخطوط إليها، والتصويب من المصارع.

(٦) في المصارع: بالحزن.

(٧) لم يرد هذا البيت في المصارع وقد أشار المؤلف إلى أنه لم يرد عند المرزباني والذي نقل عنه السراج.

(٨) في المصارع: الساعة والله يموت.

قال: وتسامع الناس ، فجاءوا بطبيب ، فقال : خذوا في أمر صاحبكم فقد مضى لسبيله. فغسلوه، ودفنوه، فانصرف الناس.

فقال لي صاحبي: امض بنا. فقلت: امض أنت، فإني أريد الجلوس هنا ساعة، فمضى. فما زلت أبكي، وأعتبر به، وأذكر أهل محبة الله تعالى[١].

فبينا أنا على ذلك إذ[٢] بجارية، قد أقبلت كأنها مهاة وهي تكثر الالتفات.

فقالت [لي[٣]]: يا هذا، أين دفن هذا الفتى؟

قال علي: فرأيت وجهًا ما رأيت قبله مثله، فأومأت إلى القبر[٤].

قال: فذهبت إليه.

فوالله ما تركت على القبر ترابًا إلا ألقته على رأسها، وجعلت تتمرغ فيه حتى ظننت أنها ستموت، فما كان بأسرع من أن طلع قوم يسعون حتى جاءوا إليها، فأخذوها، وجعلوا يضربونها.

فقمت إليهم فقلت: رفقًا بها يرحمكم الله تعالى.

فقالت: دعهم أيها الرجل يبلغوا همتهم[٥]، فوالله ما[٦] انتفعوا بي بعده، أيام حياتي، فليصنعوا بي ما شاءوا.

قال علي: فإذا هي التي كان يحبها الفتى، فانصرفت وتركتها، ولم أدر ما صار من أمرها.

زاد النوقاني في كتاب المحبة: فلم تزل المرأة تصرخ على قبره وتشهق حتى ماتت.

فأخبرنا الحي بذلك، فجاءوا فدفنوها إلى جانبه.

ذكره عن أبي بكر الخياط حدثنا أبو بكر محمد بن الحسين حدثنا محمد بن سهل البغدادي قال سمعت ابن عبد السلام الكاتب فذكره بمعناه.

❁ ❁ ❁

---

(١) في المصارع: محبة الله عز وجل، وما هم فيه.
(٢) في المصارع: إذ أنا بجارية.
(٣) زيادة من المصارع.
(٤) في المصارع: إلى قبره.
(٥) في المصارع: همتهم، وما هنا أوفق للسياق والله أعلم.
(٦) في المصارع: لا.

١٠٦- شهيـــدة(١) وقتيـــل
[العاشق الذي تنصر، والفتاة التي أسلمت]

قال ابن الجوزي:

ذكر لي شيخنا [١٠٢/ب] أبو الحسن علي بن عبيد الله الزاغوني:

أن رجلاً عشق جارية نصرانية حتى غلب على عقله ، فحمل إلى البيمارستان.

وكان له صديق يترسل بينهما، فلما زاد به الأمر، ونزل به الموت قال لصديقه:

قد قرب الأجل و لم ألق فلانة في الدنيا وأخشى إن مت على الإسلام لا ألقاها فتنصر ومات.

فمضى صديقه إلى النصرانية، فوجدها عليلة، فقالت: أنا ما لقيت صاحبي في الدنيا وأريد أن ألقاه في الآخرة، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، ثم ماتت.

۞ ۞ ۞

١٠٧- شهيـــدان
[العلاء بن عبد الرحمن التغلبي والجارية القينة(٢)]

ذكر السراج : أن العلاء بن عبد الرحمـــن التغلبي كان مـــن أهل الأدب والظرف.

فواصلته جارية من جوار القيان، فكان يظهر لها ما ليس في قلبه، وكانت الجارية على غاية العشق له والميل إليه(٣).

فلم يزالا على ذلك حتى ماتت الجارية عشقًا [له(٤)] ووجدًا.

فذكرها بعد ذلك وأسف على ما كان من جفائه لها وإعراضه عنها.

فرآها ليلة في منامه، وهي تقول له:

أَتَبْكِي بَعْدَ قَتْـــلك لِي عَلَيَّـــا ... فَهلاَ كَانَ ذَا إذْ كُنْتُ حَيَّـــا
سَكَبْتَ دُمُوعَ عَيْنكَ لِي وَفَاءً ... وَمِن قَبْلِ المَمَاتِ تُسي(٥) إِلَيَّا

(١) في المخطوط: شهيد وقتيل. فزدت تاء التأنيث لبيان حال كل منهما في صدر الترجمة وهنا يظهر جليًا أنه يفرق بين من مات حتف أنفه من الحب وبدون تدخل منه، وبين من قتل نفسه أو أخل بعقيدته بسبب الحب أو المحبوب حفظنا الله وإياكم على دينه ورزقنا حسن الختام.

(٢) ذكر السراج القصة في مصارع العشاق (٢٥٣/١) تحت عنوان: أماتها ومات أسفًا عليها.

(٣) في المخطوط: له، والتصويب من المصارع.

(٤) ما بين المعقوفين زيادة من المصارع.

(٥) الأصل: تُسيُء. وسهلت للشعر.

فَيَا قَمَرًا بَرى جِسْمِي وَرُوْحي وَيَقْتُلُني وَمَا أبْقَى عَلَيَّا
أَقِلَّ مِنَ النِّيَاحَةِ وَالْمَرَاثِي فإنِّي مَا أَرَاكَ صَنَعْتَ شَيَّا

قال: فزاد ما كان عليه من الأسف، والغم، والبكاء، حتى فاضت نفسه فمات رحمه الله تعالى.

۞ ۞ ۞

١٠٨- شهيد
[عمر بن عون وصاحبته ينا[١] المرية[٢]]

ذكر ابن المرزبان قال: كان فتى من بني مرة يقال له عمر بن عون.

وكان يحب جارية من قومه يقال لها: ينا.

فتزوجها رجل من قومه يقال له: دُهَيْم، وفر بها إلى اليمن في بني الحارث بن كعب[٣].

فطلبها عمر، فخفي عليه أمرها [١٠٣/أ] ولم يعلم موضعها فمكث حينًا يبكي ويبكي له من عرفه.

ثم خرج حاجًا على ناقة له مع أصحاب[٤] له.

وقال: لعلي أتعلق بأستار الكعبة وأسأل الله فعسى [أن[٥]] يرحمني فيردها عليَّ أو يذهب بقلبي عن حبها.

فلما كان بمنى نظر إليه فتىً من بني الحارث بن كعب فأعجبه.

فجلس إليه يتحدث معه.

وأنشد[٦] عمر بعض شعره في ينا، وشكى إليه بعض ما هو فيه من البلاء، فرق له.

فقال له الفتى وسأله عن صفتها، وصفة زوجها.

فقال له عمر: صفها[٧]. [فوصفها له[٨]].

---

(١) في المصارع: بيا بنت الركين.
(٢) ذكر السراج القصة في مصارع العشاق (٢١٣/١) تحت عنوان عمر بن عون وحبيبته بيا.
(٣) جاء معنى هذا في المصارع.
(٤) في المصارع: صحابة.
(٥) سقط في المخطوط وأثبته من مصارع العشاق.
(٦) في المصارع: أنشده.
(٧) لم ترد العبارة في المصارع.
(٨) زيادة من المصارع.

فقال الفتى: عندي صفة[1] هذه المرأة، وهذا الرجل، منذ سنوات.

فخر عمر لله [تعالى[2]] ساجدًا ، ثم سأله عن حالها.

فذكر له أنها سالمة، وأنها باكية حزينة لا يهنئها شيء من العيش.

فقال له عمر: هل لك في صنيعة عند من يحسن الشكر؟

فقال له الفتى: أفعل ماذا؟

قال: [عمر[3]] تتخلف عن أصحابك، وأتخلف عن أصحابي، حتى لا يكون [عند[4]] أحد منا علم ، ثم أمضي معك مبكرًا[5]، حتى تخفيني في موضع وتعلمها بمكاني[6].

قال الفتى: ذلك في عنقي.

فلما بَانَ[7] النفر، تخلف كل واحد منهما عن أصحابه، وأقاما بمكة أيامًا ثلاثة، أو أربعة[8]، حتى ارتحل الحاج [ثم[9]] مضينا حتى وصل الفتى إلى أهله.

فأدخله مع امرأته وأخته في منزلهما ومضى إلى ينا، فأخبرها به.

فكانت تجيئه كل يوم ويتحدثان ويشكوان ما كانا فيه من [البلاء[10]] والوحشة. فاستراب زوجها من كثرة غشيانها[11] ذلك البيت، ولم تكن [من قبل[12]] تغشاه، ولا تعرف[13] أهله. واستراب أيضًا[14] تطييب[15] نفسها، فإنها ليست كما كانت.

فخرج في رفقة من نجران على أن يغيب عشر ليال.

---

(١) في المصارع: خبر.

(٢) زيادة من المصارع.

(٣) زيادة من المصارع.

(٤) سقط من المخطوط وأثبته من المصارع.

(٥) في المصارع: متنكرًا.

(٦) ما بين هامش رقم (٧)، و(٨) لم يرد في المصارع.

(٧) في المصارع: كان.

(٨) في المخطوط: ثلاثة وأربعة والتصويب من المصارع.

(٩) زيادة من المصارع.

(١٠) زيادة من المصارع.

(١١) في المصارع فاستراب زوجها بغشيانها.

(١٢) زيادة من المصارع.

(١٣) في المصارع: تقرب.

(١٤) لم ترد تلك الكلمة بالمصارع.

(١٥) في المصارع: بطيب.

فأقام ليلتين مختفيًا في موضع، ثم أقبل راجعًا في الليلة الثالثة، وقد أمنه عمر، وظن أنه قد ذهب. فأتاها ففرشت له بساطًا قدام البيت فتحدثا ساعة(١)، ثم غلبهما النوم، وهي على جانب البساط، وعمر على جانبه الآخر.

[١٠٣/ب] فأقبل الزوج، فوجدهما على تلك الحال.

فنظر في وجه عمر [فعرفه(٢)] فأثبته(٣)، وأنبهه(٤) فوثب [بالسيف(٥)] فزعًا.

فقال له الزوج: ويلك يا عمر، ما ينجيني منك بر ولا بحر؟

فقال عمر: يا ابن عم، ما أنا على ريبةٍ وما يسألني الله عز وجل عن أهلك عن قبيح قط.

ولكن نشأت أنا وهي فألفتها وألفتني ونحن صبيان، فلست أعطى عنها صبرًا، وما بيننا شيء أكثر من هذا الحديث الذي ترى.

فقال له الزوج: أما أنا فلم أهرب إلى هذه البلاد إلا منك.

فأما بعد أن صح عندي من عفتك [وصدق قولك(٦)] وأمانتك(٧) فإني لا أهرب منك أبدًا. فأقاموا سنوات وهم على تلك الحال.

فمات عمر وَجدًا فكانت تبكي عليه الدماء فضلاً عن الدموع، ثم مات دهيم بعد ذلك. وعمرت هي.

قال ابن أبي طاهر في كتاب المولهين: أخبرني أبو عبد الله محمد بن صالح بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن حسن بن حسن: أنه(٨) رآها وسألها عن سبب عشق عمر لها، ولا أرى عليك معاني حسن؟ فقلت: ما كنت قبيحة، وكان أكثر حسني الحلاوة، وكنت شاعرة رواية، كاتمة للسر، حافظة للغيب، وافية بالوعد،

---

(١) لم ترد هذه اللفظة في المصارع.

(٢) زيادة من المصارع.

(٣) في المخطوط: فانتبه، والتصويب من المصارع.

(٤) في المصارع: وانتبه عمر.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط وأثبته من مصادر العشاق.

(٦) زيادة من المصارع.

(٧) لم ترد في المصارع.

(٨) في المخطوط: أنها وهو تحريف.

مليلة التلون[1].

١٠٩- شهيد

[عمر بن ميسرة وابنة عمه]

ذكر ابن المرزبان: أن عمر بن ميسرة كان كهيئة الخيال وكأنه صبغ بالورس[2] لا يكاد يكلم أحدًا ولا يجالسه، وكانوا يسألونه عن حاله فيقول:

يُسَائلُني ذُو اللُّـبِّ عَنْ طُوْلِ علَّتِي ... وَمَا أَنَا بِالمُبْدِي لذي النَّاسِ علَّتِي
سَأَكْتُمُهَا صَبْرًا عَلَى حَرِّ جَمْرِهَا ... وَأَكْتُمُهَا إِذْ ذَاكَ فِي السَّتْرِ رَاحَتِي
وَإِذَا كُنْت قَدْ أَبْصَرْت مَوْضِعَ علَّتِي ... وَكَانَ دَوَائِي فِي مَوَاضِع لَـذَّتِي
صَبَرْتُ عَلَى دَائي احْتِسَابًا ورَغْبَةً ... وَلَمْ أَكُ أَحْذَر بَابَ أَهْلِي وَحلَّتِي

قال: فما ظهر أمره، ولا علم أحد بقصته حتى كان عند الموت قال:

إن العلة [١٠٤/أ] التي كانت بي من أجل فلانة ابنة عمي.

وإنه والله ما حجبني عنها وألزمني الصبر إلا خوف الله تعالى.

فمن بلى في هذه الدنيا بشيء، فلا يكن أحدًا أوثق عنده لسره من نفسه، ولولا أن الموت نازل بي الساعة ما حدثتكم به فأقرؤها مني السلام ومات. ذكره في كتاب الذهول والنحول.

١١٠- شهيدان

[عقيلة بنت الضحاك بن المنذر، وابن عمها عمرو[3]]

ذكر ابن دريد عن الرياشي أن الفرزدق[4] قال: أبق غلام لرجل من بني نهشل

---

(١) كل ما ذكرته هنا من محاسن المرأة الخَلقية والخُلقية لا ينبغي كونها كانت جميلة أو موفورة الجمال ولكنه ذكاء منها في الإجابة أبانت به عما تجمع مع الجمال من الأدب والظرف.

(٢) يريد شديد الصفر، وذلك لشدة المرض والهزال والضنى.
وقال صاحب لسان العرب: الورس: شيء أصفر مثل اللطخ، يخرج على الرمث بين آخر الصيف وأول الشتاء، إذا أصاب الثوب لونه.
وفي التهذيب: الورس: صبغ، والترويس مثله.
وفي الصحاح: الورس: نبت أصفر يكون باليمن تتخذ منه الغمرة للوجه.

(٣) ذكر الخبر السراج في مصارع العشاق (١/١٢٣)، تحت عنوان: الفرزدق، والبدوية الحسناء. وذكره الأستاذ محمد رضا كحالة في ترجمتها في كتابه أعلام النساء (٣/٣٢٠).

(٤) الفرزدق هو: همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية بن عقال. وكان جده صعصعة عظيم القدر في

الجاهلية، وكان اشترى ثلاثين موؤدة إلى أن جاء الله عز وجل بالإسلام منهن أم العيس بن عاصم المنقري.
ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم.
وأم صعصعة: قفيرة بنت مسكين الدارمي، وكانت أمها أمة وهبها كسرى لزرارة فوهبها زرارة لهند بنت يثربي،فوثب أخو زوجها، وهو مسكين بن حارثة بن زيد بن عبد الله بن دارم على الأمة فأحبلها فولدت له قفيرة.
وكان جرير يعير الفرزدق بها. وكان لصعصعة قيون منهم جبير، ووقبان وديسم؛ فلذلك جعل جرير مجاشعًا قيون، وكان جرير ينسب غالب بن صعصعة إلى جبير فقال:

وجدنا جبيرًا أبا غالب بعيد القرابة من معبد

يعني معبد بن زرارة، وكان يعيبهم بالخزيرة، وذلك أن ركبًا من مجاشع مروا بشهاب التغلبي، فسألهم أن ينزلوا فحمل إليهم خزيرة، فجعلوا يأكلون وهي تسيل على لحاهم، وهم على رواحلهم وأما غالب أبو الفرزدق، فكان يكنى أبا الأخطل، واستجير بقبره بكاظمة فاحتملها عنه. وكان له أخوة منهم همیم بن غالب. وبه سمى الفرزدق والأخطل كان أسن منه، وابنه محمد بن الأخطل كان توجه مع الفرزدق إلى الشام فمات بها.
وأخت يقال لها جعثن كانت امرأة صدق ونزل الفرزدق في بني منقر، والحي خلوف، فجاءت أفعى فدخلت مع جارية فراشها، فصاحت، فاحتال الفرزدق فيها حتى انسابت، ثم ضم الجارية إليه فزبرته ونخته فقال : فذكر شعرًا هجاها فيه ، واستعدت عليه زياد فهرب إلى مكة في كلام وشعر كثير إلى أن قال: وقال له خالد بن صفوان يومًا وهو يمازحه يا أبا فراس، ما أنت بالذي ﴿**لما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن**﴾.
قال : ولا أنت بالذي قالت الفتاة لأبيها ﴿**يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين**﴾. وكانت علته الدبيلة، وكان يسقي عليه النفط الأبيض، وهو يقول: أتعجلون لي النار في الدنيا.
قال أبو عبيدة : وكان الفرزدق يشبه من شعراء الجاهلية بظهير، وكانت النوار امرأته بنت أعين بن ضبيعة المجاشعي الذي وجهه علي بن أبي طالب أيام الحكمين إلى البصرة فقتله الخوارج هناك.
وخطبها رجل من قريش، وأهلها بالشام.
فبعثت للفرزدق أن يكون وليها، وكان أقرب من هناك إليها.
فأشهد عليها أنها قد وكلته وخرج بالشهود، فقال: أشهدكم أني قد تزوجتها على مائة ناقة حمراء.
فتنجت النوار ، وخرجت إلى عبد الله بن الزبير ، فاستعدت عليه يومئذ وإلى الحجاز والعراقان، فنزلت علي خولة بنت منظور بن زبان، فوعدتها الشفاعة عند زوجها. ونزل الفرزدق على حمزة بن عبد الله بن الزبير ، وهو من خولة . فشفع كل واحد منهما لصاحبه فأنجحت خولة وخاب حمزة. وقال الفرزدق وقد أمره عبد الله أن لا يقربها حتى يتحاكما إلى عامله بالبصرة.

أما بنوه فلم تنجح شفاعتهم وأنجحت بنت منظور بن زبانا
ليس الشفيع الذي يأتيك متزرًا مثل الشفيع الذي يأتيـــك عريانًا

يقال له: الخضر.

قال: فخرجت في طلبه، أريد اليمامة، وأنا على ناقة لي عيساء .

فلما صرت على ماء لبني حنيفة، ارتفعت سحابة فرعدت وبرقت وأرخت عزاليها.

فعدلت إلى بعض ديارهم فسألتهم القرى فأجابوا.

فأنخت ناقتي، وجلست تحت بيت لهم من جريد النخل، وفي الدار جويرية سوداء، فدخلت جارية أخرى كأنها فلقة قمر ، فسألت السوداء:

لمن هذه العيساء(١)؟

فأشارت إلي [وقالت لضيفكم هذا فعدلت إلي(٢)]، فأشارت إلي وسلمت.

وقالت : ممن الرجل؟.

فقلت: من [بني(٣)]تميم.

فقالت: من أيهم؟

قلت: من بني نهشل.

قالت: أنتم الذي يقول لكم الفرزدق:

إن الَّذي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا بَيْتًا دَعَائمُهُ أعَزُ وأطــْوَلُ

بَــيْتُ زُرَارَةُ مُحْتَبِــي بِفَــنَائِــهِ ومُجــَاشِعٌ وأَبُو الفَوَارِس نَهْشَلُ

قلت: نعم.

قال: فضحكت، وقالت: فإن جريراً هدم عليه حيث يقول:

أخْزَىَ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاء مُجَاشِعاً وَأَحَلَّ بَيْتَكَ بِالْحَضِيضِ الأَوْهَدِ

قال: فأعجبتني، فلما رأت ذلك في عيني.

قالت: أين تؤم؟

قلت: اليمامة. فتنفست الصعداء ثم قالت:

تَذَكَّــرْتُ اليَمَامَـــةَ إنَّ ذِكْرى بهَــا أَهْـــلَ الْمــُرُوءَةِ وَالكَرَامَة

ألاَ فَسَقَى المَلِيْكُ أَجَشَّ جَوْنَــا يَجُــودُ بسَحِّــهِ تلكَ اليمامــة

---

(١) أي الناقة الكريمة.

(٢) سقط من المخطوط وأثبته من المصارع.

(٣) سقط من المخطوط وأثبته من المصارع.

[١٠٤/ب] أُحَيِّ بِالسَّلَامِ أَبَا نُجَيْدٍ وَأَهْــلٌ لِلتَّحِيَّـــةِ وَالسَّــلَامَةْ

قال: فأنست بها، فقلت: أذات خدر[١]، أم ذات بعل؟

فقالت- في رواية النوقاني، وهي ساقطة من كتاب ابن دريد-:

إِذَا رَقَدَ النِّيَــامُ فَــإِنَّ عَمْرًا تُــؤَرِّقُهُ الْهُمُوْمُ إِلَى الصَّبَاحِ
تُقَطِّعُ قَلْبَــهُ الذِّكْرَى وَقَلْبِي وَلَا هُوَ بِالْخَلِي وَلَا بِصَاحِي
سَقَى اللهُ الْيَمَــامَةَ دَارَ قَوْمٍ بِهَــا عَمْرٌو يَحِنُّ إِلَى الرَّوَاحِ

فقلت لها: من عمرو؟ فأنشدت:

إِذَا رَقَــدَ النِّيَامُ فَإِنَّ عَمْرًا هُوَ القَمَرُ الْمُنِيْرُ الْمُسْتَنِيْرُ
وَمَالِي فِي التَّبَعُّلِ مِنْ مَرَاحٍ وَلَوْ رُدَّ التَّبَعُّلُ لِي أَسِيْرُ

ثم سكتت كأنها تسمع كلامًا[٢]، ثم أنشأت تقول:

يُخَيَّلُ لِي أَبَا كَعْبِ بن عَمْرٍو بِأَنَّكَ قَدْ حُمِلْتَ عَلَى سَرِيْرِ
فَإِنْ تَكُ هَكَذَا يَا عَمْرُو إِنِّي مُبَكِّرَةٌ عَلَيْــكَ إِلَى القُبُوْرِ

ثم شهقت شهقة [فماتت فسألت عنها[٣]] فقيل لي: هي عقيلة بنت الضحاك[٤] بن النعمان بن المنذر بن ماء السماء.

وسألت عن عمرو، فقيل: ابن عمها وكان مغرمًا بها وهي كذلك.

فدخلت اليمامة فسألت عن عمرو ، فإذا به قد مات في ذلك اليوم في ذلك الوقت.

۞ ۞ ۞

١١١- قتيــل

[عمرو بن امرئ القيس بن بابليون ملك مصر]

ذكر صاحب جامع اللذة : أن الملك الذي أراد سارة على نفسها ومنعها الله تعالى

---

(١) في المصارع: خدين.

(٢) في المخطوط: كأنها لم تسمع كلامًا.
وأرى أن أداة النفي زائدة فحذفتها.
وفي المصارع : كأنها لم تسمع كلامي. وأرجح القول الأول الذي أثبته بعد حذف الزيادة وذلك لما يأتي بعد ذلك من كلام.

(٣) ما بين المعقوفين يتطلب السياق بعضه، وبعضه من المصارع.

(٤) كذا في المخطوط، وهو موافق لما في أعلام النساء، وفي المصارع : بنت النجاد.

منه مات من حبها[1].

وزعم ابن هشام في كتاب التيجان أن اسمه عمرو بن امرئ القيس بن بابليون ملك مصر.

١١٢- قتيـــل
[غلام محمد بن حميد الطوسي وجاريته]

ذكر الجاحظ عمرو بن بحر[2]: أن محمد بن حميد الطوسي كان جالسًا يومًا مع ندمائه وقد أخذ الشراب [١٠٥/أ] برءوسهم إذ غنت جارية له من وراء الستارة.

يَا قَمــَرُ القَصْرِ مَتَى تضطْلُعُ ... أَشْقَى وَغَيْرِي بِكَ يَسْتَمْتِعُ
إِنْ كَانَ رَبِّي قَدْ قَضَى كُلَّ ذَا ... مِنْكَ عَلَى رَأْسِي فَمَا أَصْنَعُ

قال: وعلى رأس محمد غلام كأحسن ما يكون وبيده قدح ليسقيه به.

---

(١) مثل هذه الأخبار إنما يراد بها الطعن في زوجات الأنبياء والرسل عليهم جميعًا صلوات الله تعالى وسلامه، وهن الطاهرات المطهرات المبرآت من فوق سبع سموات فما يختار الله عز وجل لنبي أو رسول من أصفيائه إلا خيرة النساء وأصفاهن وأطهرهن وأتقاهن وأنقاهن وكما يعصم الله عز وجل أنبيائه من المعاصي فكذلك يعصم من يختارهن ويصطفيهن لهم وخصوصًا في أمر من مثل هذه الأمور التي هي دنيوية صرفة ولا متوجه فيها إلى الله تعالى.
فعلى القارئ أن لا يقبل أي شيء يقال في أنبياء الله تعالى ورسله ولو على سبيل المدح فإنه إنما يراد به في أغلب الأحيان الذم من حيث لا يدري القارئ أو السامع ولا تقبل فيهم غير ما عرفنا به عنهم ربنا سبحانه وتعالى، أو أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وكل ما يقال حول حديث الإفك أو مع سيدنا إبراهيم ونسائه أو مع سيدنا يعقوب وبناته أو مع سيدنا أيوب وزوجته أو مع سيدنا يوسف وامرأة العزيز فكل ذلك محض افتراء خلا ما ذكر ربنا عنهم في كتابه أو جاء في خبر صحيح عن نبينا صلى الله عليه وسلم.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: العلامة المتبحر ذون الفنون أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي صاحب التصانيف.
أخذ عن النظام ، قال ثعلب: ما هو بثقة. وقال يموت بن المزرع: كان جده جمالاً أسود. وعن الجاحظ: نسيت كنيتي ثلاثة أيام، حتى عرفني أهلي.
قلت (أي الذهبي): كان ماجنًا قليل الدين له نوادر.
قال المبرد: دخلت عليه فقلت: كيف أنت فقال: كيف من نصفه مفلوج ونصفه الآخر منقرس ؟ لو طار عليه ذباب لآلمه والآفة في هذا أني جزت التسعين. وقيل: طلبه المتوكل، فقال: وما يصنع أمير المؤمنين بشق مائل، ولعاب سائل، قال ابن زبر: مات سنة خمسين ومائتين.
وقال الصولي: مات سنة خمس وخمسين ومائتين.
وكان من بحور العلم وتصانيفه كثيرة جدًا.

فوضع القدح من يده وقال: تصنعين مثل ذا، ثم رمى بنفسه من الدار إلى دجلة.

فلما رأت الجارية ذلك هتكت الستارة ثم رمت بنفسها على إثره فغرقا جميعًا.

قال الجاحظ: فقطع محمد الشراب بعد ذلك شهرًا.

١١٣ – قتيــلان

[الفتى صاحب القصاصة وجارية سليمان بن عبد الملك[(١)]]

وذكر أيضًا: أن سليمان بن عبد الملك قعد يومًا للمظالم، وعرضت عليه القصص فمرت به قصة : إن رأى أمير المؤمنين أن يخرج إليَّ فلانة تغني لي ثلاثة أصوات، فعل.

(١) سبق أن ذكر نحو هذا الخبر تحت رقم (٧٠) من هذا الكتاب، وذكره السراج في مصارع العشاق (٢/١٠١)، (٢١٥) بنحو مما هنا وكما سبق في الترجمة الأولى، وتحت عنوان عبد الملك والفتى العاشق.

وأما سليمان بن عبد الملك فيقول الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء (٥/١١١).

سليمان بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. الخليفة أبو أيوب، القرشي، الأموي، بويع بالخلافة بعد أخيه الوليد سنة ست وتسعين وكان له دار كبيرة مكان طهارة جيرون وأخرى أنشأها للخلافة بدرب محرز وعمل لها قبة شاهقة صفراء. وكان دينًا فصيحًا مفوهًا عادلاً محبًا للغزو. يقال: نشأ بالبادية، مات بذات الجنب.

ونقش خاتمه: أومن بالله مخلصًا وأمه وأم الوليد هي ولادة بنت العباس بن حزن العبسية ولسليمان من البنين: يزيد، والقاسم، وسعيد، ويحيى، وعبيد الله، وعبد الواحد والحارث، وغيرهم.

جهز جيشه مع أخيه مسلمة برًا وبحرًا لمنازلة القسطنطينية، فحاصرها مدة حتى صالحوا على بناء مسجدها.

وكان أبيض الوجه مقرون الحاجب جميلاً، له شعر يضرب منكبيه، عاش تسعًا وثلاثين سنة، وقسم أموالاً عظيمة ونظر، في أمر الرعية، وكان لا بأس به، وكان يستعين في أمر الرعية بعمر بن عبد العزيز، وعزل عمال الحجاج، وكتب: إن الصلاة كانت قد أميتت، فأحيوها بوقتها، وهم بالإقامة ببيت المقدس، ثم نزل قنسرين للرباط، وحج في خلافته.

وقيل: رأى بالموسم الخلق، فقال لعمر بن عبد العزيز: أما ترى هذا الخلق الذين لا يحصيهم إلا الله، ولا يسع رزقهم غيره؟!

قال: يا أمير المؤمنين، هؤلاء اليوم رعيتك، وهم غدًا خُصَماؤك:

فبكى، وقال: بالله أستعين.

وعن ابن سيرين قال: يرحم الله سليمان، افتتح خلافته بإحياء الصلاة، واختتمها باستخلاف عمر.

وكان سليمان ينهى الناس عن الغناء ... كفن سليمان في عاشر صفر سنة تسع وتسعين، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز.

وقيل: عاش أربعين سنة، وخلافته سنتان وتسعة أشهر وعشرون يومًا عفا الله عنا وعنه.

وكانت الجارية من بعض جواري عبد الملك فغضب سليمان، وأمر من يخرج إليه يأتيه برأسه.

ثم أتبعه برسول آخر يأمره بالدخول.

فلما مثل بين يديه قال له: ما الذي حملك على ما صنعت؟

قال الثقة بعفوك، والاتكال على الله تعالى، ثم على عفوك.

فأمره بالقعود حتى إذا لم يبق من بني أمية أحد، أمر الجارية، فأخرجت إليه ومعها عود. ثم قال له اختر.

قال: تغني بقول قيس بن الملوح:

تَعَلَّقَ رُوْحي رُوحهَا قَبْل خَلْقها ... وَمنْ بَعْد مَا كُنَّا نطَافًا وَفي المَهْد

فَعَاشَ كَمَا عشْنَا وَأَصبْح نَاميًا ... وَلَيْسَ وَإِنْ متْنَا بمُنْتَقض العَهْد

وَلَكنَّهُ بَاق عَلَى كُلِّ حَادث ... وَزَائرُنَا في ظُلْمَة القَبْرِ وَاللَّحْد

يَكَادُ بَصيْصُ المَاءَ يَخْدشُ جلْدَهَا ... إِذَا اغْتَسَلَتْ بالمَاء منْ رقَة الجلد

وإِنِّي لَمُشْتَاقٌ إِلَى رِيحْ جَيْبِهَا ... كَمَا اشْتَاقَ إِدْرِيْسُ إِلَى جَنَّة الخُلْد

[١٠٥/ب] فغنته ثم قال مر لي برطل فأمر له به ثم قال: غني بقول جميل:

علَقْتُ الهَوَى منْهَا وَليْدًا فَلَمْ يَزَلْ ... إلى اليَوُمِ يَنْمَى حُبّهَا وَيَزِيْدُ

وَأَفْنَيْتُ عُمْري بِانْتِظَارِ نَوَالَهَا ... وَأَبْلَتْ بِذَاكَ الدَّهْر وَهُوَ جَدِيْدُ

فغنته ثم قال: مر لي برطل.

فأمر له، ثم قال: غني بقول قيس بن ذريح:

لَقَدْ كُنْتُ حسْب النَّفْس لَوْ دَامَ وُدُّنَا ... وَلَكنَّمَا الدُّنْيَا مَتَاعَ غُرُوْرِ

وَكُنَّا جَمِيْعًا قَبْلَ أَنْ يَعْلَقَ الهَوَى ... بأَحْسَنِ حَال غبْطَة وَسُرُوْرِ

فَمَا بَرِح الوَاشُوْنَ حَتَّى بَدَتْ لَنَا ... بُطُون الهَوَى مَقْلُوبة بِظُهُورِ

فغنته فقال سليمان: قل ما تشاء.

فقال: مر لي برطل، فأمر له به فما استتمه[١] حتى وثب فصعد في أعلا قبة ثم زج بنفسه على دماغه.

فقال سليمان: إنا لله وإنا إليه راجعون أتراه الجاهل توهم أني أخرج إليه جاريتي

(١) في المخطوط استتمته. وهو تحريف.

وأردها إلى ملكي.

وفي كتاب المحنة: اقترح عليها أولاً:

غَدًا يَكْثُرُ البَاكُونَ منـا وَمنْكُمُ ... وَتَزْدَادُ دَاري مـنْ دِيَـارِكُمْ بُعْدَا
فَإِنْ شِئْتِ حَرَّمْت النِّسَاء عَلَيْكُمُ ... وَإِنْ شِئْتِ لَمْ أَشْرَبْ لَذِيْذًا وَلاَ بَردْا

وفي الثاني قول امرئ القيس:

أَفَاطِمُ مَهْلاً بَعْـدَ هَـذَا التَّدَلُّلِ ... وَإِنْ كُنْتَ قَدْ أَزْمَعْت حزمًا فَأَجْمِلِي
وَإِنْ كُنْتَ قَدْ سَاءتْك مِنِّي خَلِيقَة ... فَسُـلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِـكِ تَنْسَلِ
أَغَرّكِ مِنِّي أَنَّ حُبَّـكِ قَـاتِلِي ... وَأَنَّـكَ مَهْمَـا تَأْمُرِي القَلْبَ يَفْعَلِ
وَمَا ذَرَفَتْ عيْنَـاكِ إلاَّ لتقْدَحي ... بَسْهَمَيْـكِ فِي أَعْشَارِ قَلْب يُقَتَّلِ

[١٠٦/أ] وفي الثالث:

تَأَلَّقَ البَرْقُ نَجْدِيـًا فَقُلْتُ لَهُ ... يَا أَيُّهَا البَرْقُ إِنِّي عَنْكَ مَشْغُوْلُ
يَكْفِيْكَ مِنِّي عَدُوًا ثَائر حَنِقٍ ... بِطَفِّهِ كَحُبَاب المَاءِ مَصْقُـولُ

ثم قـال الخليفة: يا غلام خذ بيدها فانطلق إلى أهله إن كان له أهل وإلا فبيعوها فتصـدقوا بثمـنها عنه. فلما انطلقوا بالجارية نظرت إلى حفيرة في دار الخليفة قد أعدت للمطر.

قال: فجذبت يدها من أيديهم وأنشأت تقول:

مَنْ مَاتَ عِشْقًا فَلْيَمُتْ هَكَذَا ... لاَ خَيْرَ فِي مَوْتٍ بلاَ عِشْقِ

ثم زجت بنفسها في الحفيرة على دماغها فماتت. فدفنا في قبر واحد.

١١٤- شهيد

[أبو مسلم الرياحي الحويرثي ومي الشريدية]

ذكر أبو علي هارون بن زكريا الهجري في أماليه: أنشدني إبراهيم بن عبد الله بن محمد بن جعفر والمنصوري لأبي مسلم الرياحي رياح سليم ويعرف بالحويرثي، ثم أحد بني الحويرث.

وخبره وشعره مجموع في امرأته: مي الشريدية، وكانت سعت فيه ورواءه لتراجعه،

ففاتما فلقبت خنان[١].

وتزوجت رجلاً من بني سعد، فندم وذلك أيام موسى بن عيسى بن محمد بن جعفر بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن جعفر.

ومات وجدًا عليها، فذكر أبياتًا كثيرة منها:

أَلاَ أَيُّهَا القَلْبُ الَّذِي هُوَ سَاقَنِي ... إِلَى هِجْرَتِي كُلَّ مَا حَمَّ وَاقِعُ
نَزَعْتَ إِلَى هِجْرَانِهَا حِيْنَ نَازَعَت ... فَقَدْ ذُقْتَ مَا كَانَتْ إِلَيْهِ تُنَازِعُ
تَابَعْتَهَا فِيمَا أَحَبَّت وَإِنَّمَا ... إِلَى المَوْتِ مِنْ بَيْنِ الأُمُورِ تَتَابعُ
وَطَاوَعْتُ فِيْهَا الكَاشِحِيْنَ وَلَمْ تَؤُب ... بنصحك فِي هِجْرَانِهَا مَنْ تُطَاوِعُ
فَوَاللهِ مَا أَدْرِي إِذَا شَطَّتْ النَّوَى ... بِمَيّ وَبَانَتْ مَا أَنْتَ صَانِعُ
[١٠٦/ب] أَأَصْبِر حَتَّى يَبْلُغَ الجَهْدُ غَايَتِي ... أَمْ أَجْزَعُ وَالمَغْلُوبُ لأَبَد جَازِعُ؟
وَأَصْبَحْتُ أَبْكِي كُلَّمَا دَرّشَارِقٌ ... مِنَ الشَّمْسِ أَوْغَنَّى الحَمَامُ الوَاجِعُ
وَقُلَ مِنْ المَحْزُون قَدْ بَانَ إِلْفُهُ ... ضُحَى كُلَّ يَوْم أَنْ تَفِيْض المَدَامِعُ
نَدِمْتُ عَلَى مَيٍّ رَأَيْت سَاعَةً ... نَدِمْتَ وَقَدْ أَفْرَى عَصَى البَيْنُ صَادِعُ
أَتَانِي مِنَ البَلْوَى الَّتِي لَمْ أَجِدْ لَهَا ... مُرِيْحًا وَمَا مِمَّا قَضَى اللهُ مَانِعُ
أَتَجْزَعُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْتَ جَنَيْتَهُ ... نَعَمْ إِنَّ مِنْ زَلاتِي الْيَومَ جَازِعُ
عَسَى اللهُ فِي صَرْفِ الهَوَى أَنْ يَرُدَّهَا ... وَيَجْمَعهَا لِي فِي المَلاَ الجَوَامِعُ
فَكَمْ مِنْ جَمِيْعٍ شَتَّتَ اللهُ بَيْنَهُمْ ... وَمِنْ نَازِحٍ قَدْ قَرَّبَتْهُ الصَّنَائِعُ
كَأَنِّي وَمَيًّا لَمْ نَبِتْ ذَاتَ لَيْلَة ... هَجِيْعَيْن[٢] لَمْ تَحْنُنْ عَلَيْنَا المَضَاجِعُ

---

(١) أي كثيرة البكاء بالصوت الخفيض.

والخنن في اللغة كما قال صاحب لسان العرب: الخنين: من بكاء النساء دون الانتحاب. وقيل: هو تردد البكاء حتى يصير في صوت غنة.

وقيل: هو رفع الصوت بالبكاء . وقيل: هو صوت يخرج من الأنف، خَنَّ يَخَنُّ خَنِيْنًا وهو بكاء المرأة تخن في بكائها.

وفي حديث علي، أنه قال لابنه الحسين رضي الله عنهما: أنك تخن خنين الجارية. وقال شمر: خن خنينًا: في البكاء إذا ردد البكاء في الخياشيم .

(٢) المجع أو المجوع: النوم ليلاً خاصة ولا يكون لنوم النهار هذا الاسم واختاره لما في الليل من أثر كبير على قلوب العاشقين فهم يستحثون النهار طلبًا لليل ليخلوا فيه يناجون فيه أحبابهم بعيدًا عن عيون الناس تحت أستاره وفي أحضان أسراره سواء اجتمع الحبيب مع حبيبه أو اجتمع الحبيب =

وَلَــمْ تَسْــقِنِي مَــيٌّ عَلَــى لَوْحِ غلّة ... بِــبَرْدِ الثَّــنَايَا وَالْعُــيُونُ هَوَاجِــعُ
وَلَــمْ أُدْنِهَــا تَحْتَ اللِّحَافِ وَلَمْ نَبِتْ ... سِــعادَ الحَشَــا وَاللَّيْلُ حَيْرَانُ خَاضِعُ
وَلَــمْ أَثْــنِ مِــنْهَا جِــيْدَ أدْماء مغزل ... جَــذُوْلِ الطِــلاَ أحَلَّت عَلَيْهَا المرَاتِعُ
تَسَــايَلُ أَحْــيَانًا فَتَثْــنَّى بِجِــيْدِهَا ... عَلَــيْكَ كَمَــا أنْهَــار السبَقَا المتَدَافِع
عَاطِــيْكَ مَعْسُــولاً كَــأَنَّ رُضَــابه ... جَــنَى الــنَّحْلِ أحْمَاهُ الشَظَى المَوَانِعُ
نَهَــارِي بَهــا أحْلَــى نَهَــار وَلَيْلــنَا ... يَطِيْــبُ لَــرَيَاهَا الــبِطَاحُ الأَجَارِعُ
كَــأَنِّي بِمَــيٌّ كُنْــتُ فِي ظِــلِّ جَنَّة ... فَــنَزَعَ عَــنِّي ظِلّهَــا الــيَوْمَ نَــازِعُ
فَــإِن فَــاتَني مِــنْهَا الرَّبِــيْعَا فَلَمْ أَكُنْ ... بِــأَوَّلِ رَاجٍ أخلَفَــتْهُ المَطَــامِعُ
لَعَمْــرِي لَسَــوْت مَــرَّةً وَاسْتِرَاحَــةً ... وَبَأْسُكَ فِيْمَــا أعْوَزَتْــكَ المَطَــامِعُ

وقال أيضًا: [١٠٧/أ]

تَجَلَّــتْ لَنَــا الدُّنْيَــا بِمَيٍّ لَيَالِيَا ... قَلاَئِل ثُمَّ اسْتَعْفَيْتُ عَشِيَّــة هَتْرَا
فَقَلَّ امْرءٌ يَبْكِي عَلَى صَحْبَة امْرئ ... تَحلَّتْ لَــهُ الدُّنْيَا بِصَاحِبَة عَصْرًا
تَقُولُ رِجَالٌ مِــنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهِمْ ... تَعَــزَّ فَمَا رَاجَعت عُرْفًا وَلاَ نُكْرًا
فَطَلَبُونِي بَيْنَ العَــوَازِلِ مُسْنَدًا ... أَرَى غَمَرَاتٍ دُوْنَ أوْجُههم صُفْرًا

آخــر الجــزء الثالــث

=

بطيف حبيبه، فهم أروح أرواحًا فيه يبثون إليه شكواهم وأشواقهم فيستريحون هنيهة من ألم الفراق وضنى البعاد، وكلهم يغني لليل. وكما قال القائل:

كل يغني لليل، وكل يغني على ليلاه.

فاللهم احفظنا بحفظك يا رحيم.

الجـــزء الرابـــع

من الواضح المبين فيمن استشهد من المحبين

تصنيف من ذاق من سـلافته ... الصقور وما فاته مكدرها

يطوي أحاديث وجده ودموع ... العين في فيضهن تنشرها

[١٠٧/ب] بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وآله وصحبة وسلم

باب الفاء

١١٥- قتيل

[الشاب البغدادي وأخته]

[قال[١]] أبو القاسم علي بن المحسن التنوخي[٢]: إن المهلب بن فتح الباب حدث عن أبيه: أن شابًا اكترى دارًا بدربه، زعم أنه يستحفي من دين عليه وسألني أن أندب له رجلاً يبتاع له كل يوم ما يريده، فكان ينفق نفقة عظيمة من خبز ولحم وفاكهة وحلوى، فكان على هذا سنة ولا يجيء إليه أحد ولا يراه لا أنا ولا غيري إلى أن جاءني ليلة فقال: أغثني بقابلة.

فجئته بقابلة. فأقامت عنده ليلة.

ثم لما كان الظهر، ماتت المرأة، فرأيت منه جزعًا لم أر مثله من أحدٍ.

فقال: الله، الله، لايبكيني، ولا يعذبني، فأرسلت من حفر قبرًا.

وقال لي: لا أريد أن يراني من الحفارين أحد وأنا وأنت نحمل الجنازة إن تفضلت؟

فقلت: أفعل.

---

(١) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق.

(٢) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٧/٦٤٩).

القاضي العالم المعمر، أبو القاسم علي بن القاضي أبي علي المحسن بن علي، التنوخي، البصري، ثم البغدادي.

صاحب كتاب: الطوالات، وولدُه صاحب كتاب: الفرج بعد الشدة، وكتاب: النشوار، وغير ذلك.

ولد في شعبان سنة خمس وستين وثلاثمائة بالبصرة.

وسمع لما كمل خمسة أعوام من: علي بن محمد بن سعيد الرزاز، وعلى بن محمد بن كيسان، وأبي سعيد الحرفي، وأبي عبد الله الحسين بن محمد العسكري ، وعبد الله بن إبراهيم الزبيبي ، وإبراهيم بن أحمد الخرقي ، وخلق كثير.

قال الخطيب: كان متحفظًا في الشهادة عند الحكام، صدوقًا في الحديث، تقلد قضاء المدائن، وقرميسين، والبردان.

وقال أبوالفضل بن خيرون : قيل: كان رأيه الرفض والاعتزال وقال شجاع الذهلي : كان يتشيع، ويذهب إلى الاعتزال . مات في ثاني المحرم سنة سبع وأربعين ومائة.

فلما كانت العتمة قلت له: اخرج بنا.

فقال: ألا تأمر بنقل الصبية المولودة الى دارك على شرط.

قال : إن نفسي لا تطيق الجلوس في هذه الدار بعد زوجتي، ولا المقام في البلد، ومعي مال عظيم، فتتفضل بأخذه وأخذ الصبية، وتنفق عليها من المال، فإن ماتت فهو لك، وإن كبرت جهزتما به.

فوعظته، وثبته، فلم يكن إلى ذلك سبيل ففعلت ما أمر، وحملت أنا وهو الجنازة حتى صرنا الى شفير القبر.

فقال: تتفضل وتبعد، فإني أريد وداعها، وكشف وجهها فقبله، ثم شد كفيها وأنزلها القبر.

ثم سمعت صيحة من القبر.

قال فتح: ففزعت، فاطلعت، فإذا هو قد أخرج سيفًا كان مخبأ معه فاتكأ عليه فخرج من ظهره، فمات فأضجعته معها في اللحد، ورددت فوقهما التراب، وأنا لا أعرف من أمرهما شيئًا.

فلما كان من سنة، إني جالس على بأبي إذ جاز شيخ له [١٠٨/أ] هيئة حسنة وتحته بغلة، فذكر لي من أمره شيئًا، فذكرت له أمره.

فاسترجع وقال: أعطني الصغيرة، وخذ المال.

فقلت: أخبرني أمره(١).

---

(١) مثل هذه القصة التي سيرويها الرجل من مصائب الدنيا حقًا خصوصًا عندما يغيب نور الدين عن القلوب، وهذا الرجل يذكر أنه قد بدل جهده في تعليم أولاده ورعايتهم غير أن البلاء لا مهرب منه وسبحان الله عز وجل إذ يقول: ﴿**إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء**﴾، [القصص: ٥٦]، وقد عرفت في حياتي وقرأت كذلك على صفحات الجرائد اليومية والأسبوعية العديد من أمثال هذه القصص، والتي يرتكب فيها الولد الفحش مع أخته، وأشد من ذلك، فمنهم من ارتكب الفحش مع أمه بعد أن خدرها وكانت قد أفنت شبابها في القيام على رعايته وتربيته ولم تتزوج بعد وفاة أبيه حتى لا تؤذيه بزواجها، فكانت تلك مكافأته لها، وكذلك أعرف أكثر من أب يمارس الفاحشة مع ابنته التي هي من صلبه وشكا بعضهم إلي وأعرف أيضًا من يمارس اللواط مع ابنه وشكا لي ذلك أيضًا وكلنا في مصر قرأنا عن تلك الطبيبة التي كانت تعطي والدها منشط وهي وأخواتها الأربع موانع الحمل ليمارس معهن جميعًا تلك الفاحشة مع وجود أمهن.

فأي: انتكاس للفطر أكثر من ذلك عندما يذهب الدين من القلوب، فرب سلم سلم.

قال: يا أخي مصائب الدنيا كثيرة، الشاب ابني أدبته، وعلمته، ونشأت له أخت لم يكن ببغداد أحسن منها أصغر منه، فعشقها وعشقته، ونحن لا نعلم، ثم ظهر لي أمرهما، فزجرتهما وانتهى الأمر إلى أن افترعها، فبلغني ذلك، فضربته ضربًا شديدًا بالمقارع وإياها، وكتمت أمرهما لأجل الفضيحة، ففرقت بينهما وحجرت عليهما، وشددت عليهما أمهما مثل تشديدي.

فكانا يجتمعان على حيلة كما يجتمع الغرباء، وبلغنا ذلك.

فأخرجت الغلام من الدار، وقيدت الجارية، فكانا على ذلك شهورًا.

وكان يخدمني غلام كالولد، فكان يترسل بينهما، حتى أخذوا مني مالاً جزيلاً وهربوا منذ سنين، وكان ذلك بحيلة طويلة الشرح، فلم أقف لهم على خبر.

وهان علي المال لبعدهما واستراحتي منهما إلا أن نفسي كانت تحن إليهما.

فبلغني أن الغلام الذي كان يخدمني في بعض السكك، فذهبت إليه، وأمنته وسألته أن يخبرني خبرهما.

فقال: اذهب إلى درب فتح تجد خبرهما فيه.

ثم قال: أريد أن توقفني على القير.

فأريته إياه، وأعطيته الصبية والمال وانصرفت.

۞ ۞ ۞

١١٦- قتيل

[الفتى البغدادي وجارية هارون الرشيد]

قال الفضل بن الربيع فيما ذكره السامري:

اشتريت لأمير المؤمنين الرشيد جارية مدنية، فأعجب بها، فأمرني أن أبعث في حمل أهلها ومواليها لينصرفوا بالجوائز، وأراد بذلك تشريفها.

فوفد منهم إلى بغداد ثمانون رجلاً، ووفد معهم رجل من أهل العراق استوطن المدينة كان يهوي الجارية.

فلما بلغ الرشيد خبرهم، أمرني بكتب أسمائهم وحوائجهم.

ففعلت ذلك حتى [١٠٨/ب] بلغ الأمر العراقي ، فقال له الفضل : حاجتك؟

قال: إن أنت كتبتها وضمنت لي عرضها مع ما تعرض أنبأتك بها؟

فقلت أفعل.

فقال: حاجتي أن أجلس مع فلانة، وتغنيني ثلاثة أصوات، وأشرب ثلاثة أرطال، وأخبرها بما تجن ضلوعي من حبها[1].

قال: فقلت أنت موسوس مدخول عليك في عقلك؟!

قال: فقال: يا هذا، قد أمرت بأن تكتب ما يقول كل واحد منا، فاكتب ما أقول، واعرضه،فإن أجبت إليه وإلا فأنت في أوسع العذر.

قال: فدخلت إلى الخليفة مغضبًا، فقرأت ما كتبت.

فلما فرغت، قلت: يا أمير المؤمين، فيهم رجل مجنون، سأل ما أجل مجلس أمير المؤمنين عن التفوه فيه به.

قال: قل ولا تجزع.

فقلت: قال: كذا وكذا.

قال: فقال: اخرج إليه، فإذا كان بعد ثلاث يحضر حتى ننجز له ما سأل.

ودعا بخادم وقال: امض إلى فلانة وأعلمها ما جرى لتكون على أهبة.

قال الفضل: فأعلمت الفتى بالخبر، فانصرف.

فلما كان في اليوم الثالث حضر، وعرف الرشيد خبره.

فقال: يلقى له كرسي بحيث أرى، وللجارية مثله.

ولتخرج إليه، ويحضر ثلاثة أرطال.

---

(١) سبق ذكر نحو هذه القصة بعدة أساليب، وأضيفت إلى أكثر من خليفة من خلفاء بني أمية وآخر مرة ذكرت في هذا الكتاب في ترجمة رقم (١١٣) تحت عنوان: الفتى صاحب القصاصة، وجارية سليمان بن عبد الملك ثم هنا تضاف إلى هارون الرشيد وبأسلوب آخر، ثم يزعم فيها هنا أن هارون الرشيد قد قدم له أرطال الخمر فشربها على مرأى ومسمع منه.
وإني لأعجب من مثل هذه الحكاوي التي لم تقتصر على وصف الخلفاء بالخلاعة والمجون بل تريد أيضًا أن تثبت أنهم كانوا يساعدون على ارتكاب الفواحش والمحرمات، بل وتريد أن تثبت أنهم كانوا يعطلون شرع الله ويحكمون بما هو سواه، ويشجعون الرعية على ارتكاب ما حرم الله تعالى ويكافئونهم على ذلك لا يعاقبونهم عليه.
سبحانك هذا بهتان عظيم، وافتراء على خيار الناس وأتقاهم وأحرصهم على إحقاق الحق والحكم بالقسط والعدل وأحرصهم على أن تهتدي الرعية إلى ربها وأن تقبل على العبادة والطاعة فهذا المفترى عليه كان يحج عامًا ويجاهد عامًا فرحم الله الرشيد ورضي عنه آمين.

فجلس الفتى على الكرسي، والجارية بإزائه فحدثها، والرشيد يراهما.

ثم أخذ رطلاً، وخر ساجدًا، وقال: إذا شئت أن تغني فغني:

خَلِيْلَيَّ عَرِّجَا بَارَكَ اللهُ فِيكُمَـــا وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْد لأَرْضِكُما قَصْدا
وَقُولا لَهَا لَيْسَ الضَلاَلُ أَجَازَنَا وَلَكِنَّنَا جُـــزْنَا لِنَلْقَاكُـــمُ عَمْـــدَا
قَدْ يَكْثُر البَاكُوْنَ مِنَّـــا وَمِنْكُم وَتَزْدَادُ دَاري مِـــنْ دِيَارِكُم بُعْدا

قال فغنته، ثم شرب الرطل وحادثها ساعة، فاستحثه الخدم، فأخذ الرطل مدة، ثم قال: جعلني الله فداك [١٠٩/أ].

تَكَلَّم مِنَّـــا فِي الوُجُوهِ عُيُونَنَـــا فَنَحْنُ سُكُوْتٌ وَالهَوَى يَتَكَلَّمُ
وَنَغْضَبُ أَحْيَانًا وَنَرْضَى بِطَرْفِنَا وَذَلِكَ فِيْمَـــا بَيْنَنَا لَيْسَ يَعْلَمُ

فغنته، ثم شرب الرطل الثالث[١] وحدثها ساعة فاستحثه الخدم فخر ساجدًا يبكي، وأخذ الرطل بيده واستودعها الله تعالى، وقام على رجليه، ودموعه تستبق استباق المطر.

وقال: إن شئت أن تغني فغني:

أَحْسَن مـــَا كُنَّا تَفَرَّقْنَا وَخَانَنَا الدَّهْرُ وَمَا خُنَّا
فَلَيْتَ ذَا الدَّهْر لَنَا مَرَّة عَادَ لَنَا يَوْمًا كَمَا كُنَّا

فغنته الصوت.

فقلب الفتى ببصره، فبصر بدرجة في الصحن، فأمها، وأتبعه الخدم ليهدوه الطريق ففاتهم، وقصد الدرجة، فألقى نفسه إلى الأرض على رأسه فخر ميتًا.

فقال الرشيد: عجل عليَّ بنفسه، ولو لم يعجل لوهبناها له.

۞ ۞ ۞

١١٧- شهيد

[أبو الفتح الصوفي البغدادي والوجد الإلهي[٢]]

ذكر أبو القاسم التنوخي: أنه كان ببغداد صوفي يعرف بأبي الفتح الأعور، يجلس في مجلس أبي عبد الله البهلول يقرأ بالألحان قراءة حسنة، وصبي يقرأ: ﴿**أولم نعمركم ما**

(١) في المخطوط الثاني، وهو سهو.

(٢) ذكره السراج في مصارع العشاق (٢/٢٢٠) بعنوان: الصوفي المتواجد بالإسناد التالي: أنبأنا أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي أخبرني أبي حدثني أبو الطيب محمد بن أحمد بن عبد المؤمن، أحد الصوفية من أهل سرَّ من رأى قال: رأيت ببغداد صوفيًا أعور يعرف بأبي الفتح، فذكر القصة.

يتذكر فيه من تذكر﴾[1].

فزعق[2] الصوفي: بلى، بلى، دفعات، وأغمي عليه طول المجلس.

وتفرق الناس عن الموضع، وكان الاجتماع في صحن دار كنت أنزلها.

فلم يكن[3] الصوفي [أفاق فتركته مكانه فما أفاق[4]] إلى أن قرب العصر، ثم قام.فلما كان بعد أيام سألت عنه، فعرفت أنه حضر عند جارية في الكرخ تقول بالقضيب[5]، فسمعها[6] تقول الأبيات التي فيها:

وَجْهُكَ المَأْمُولُ حُجَّتُنَا   يَوْمَ يأْتِي النَّاس[7] بالْحُجج

فتواجد وصاح، ودق صدره إلى أن أغمي عليه، وسقط، فلما انقضى المجلس [١٠٩/ب] حركوه فوجدوه ميتًا، فغلسوه، ودفنوه.

قال التنوخي: واستفاض الخبر بذلك وشاع، وأخبر[8] به فئام من الناس.

والأبيات لعبد الصمد بن المعذل:

يَا بَدِيْعَ الدَّلِّ وَالغُنُجِ[9]   لَكَ سُلْطَانٌ عَلَى المُهَجِ
إنَّ بَيْتًا أَنْتَ سَاكِنُهُ   غَيْرُ مُحْتاجٍ إلَى السُّرُجِ
وَجْهُكَ المَعْشُوْقُ حُجَّتُنَا   يَوْمَ يَأْتِي النَّاسُ بالْحُجَجِ

والصوفية إذا قالوا: وَجْهُكَ المَأْمُولُ...

نقلوه الى ما لهم في ذلك من المعاني.

---

(١) سورة فاطر (الآية: ٣٧).

(٢) يريد صرخ بصوت عال جهير وجدًا وهيامًا وشوقًا.

(٣) في المخطوط: يفق. وهو تحريف والتصويب من المصارع.

(٤) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط وأثبته من المصارع.

(٥) في المخطوط: بالقصب. والتصويب من المصارع.

(٦) في المصارع: فسمعتها.

(٧) في المخطوط يوم يأتي الله وهو تحريف والتصويب من المصارع.

(٨) في مصارع العشاق: وأخبرني به.

(٩) قال ابن منظور في لسان العرب: امرأةٌ غنجة: حسنة الدل.
وغنجها وغناجها: (شكلها الأخيرة عن كراع)، وهو الغَنج والغُنج.
وقد تغنجت وغنجت، فهي مغناج وغنجة.
وقيل: الغنج: ملاحة العينين.
والمهَج: هي القلوب.

وكانت قصة هذا الرجل وموته في سنة خمسين وثلاثمائة،وأمره من مفردات الأخبار.

۞ ۞ ۞

بـــاب القـــاف

١١٨- شهيــد

[القاسم السوال والصبي المغني]

ذكر أبو القاسم الشروطي[1] في كتاب التسلي عن أبي الفرج الصوفي وغيره: أنه كان عندهم رجل صوفي يعرف بالقاسم السوال، وكان له عنزات يرعاهن.

وقال بعضهم: إنه لم يكن يحضر معهم مجالس السماع، ويجتذبونه إلى ذلك، ولم يكن له رغبة في ذلك.

قالوا: فبينا هو يومًا يرعى عنيزاته إذ سمع صبيًا من صبيان الصحراء يغني في حفل:

إنَّ هَـــوَاكَ الَّـــذي بَقَلْبِـــي ... صَيَّرَنِي سَـــامِعاً مُطِيْعَـــا
أَخَذْتَ قَلْبِي وَغَمَّضَ طَـــرفِي ... سَلَبْتَنَـــي العَقْلَ وَالْهُجُوعَا
فَذَر فُؤَادِي وَخَـــذ رُقَـــادِي ... فَقَـــالَ لاَ بَلْ هُمَا جَمِيْعَا
فَـــرَاحَ مِنِّي بِحَـــاجِبَيْـــهِ ... وَبِتّ تَحْتَ الهَوَى صَرِيْعَـــا

قال: فاعتراه طرب شديد.

فقال للصبي وأقبل نحوه: كيف قلت يا صبي؟

ففزع الصبي، وعدا، وهو يقول: لا بأس عليك، ولم يقف له.

ورجع إلى قصائدي[2] كان لهم بطبرية يقال له: حميد الفاخوري، حاذق بهذا المعنى.

فتردد إليه [١١٠/أ] ثلاثة أيام يردد عليه هذه الأبيات ثم تخلف في منزله عليلاً يصيح: فؤادي، فؤادي إلى أن قضى نحبه رحمه الله تعالى.

۞ ۞ ۞

---

(١) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/٢٠): الإمام الثقة المحدث، أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد، الواسطي، ثم البغدادي، الشروطي.
سمع ابن المسلمة، وأبا بكر الخطيب، وأبا الغنائم بن المأمون وطبقتهم.
روى عنه: ابن عساكر، وأبوموسى المديني، وطائفة آخرهم عمر بن طبرزد.
قال السمعاني: شيخ ثقة صالح مكثر، نسخ، وحصل الأصول ، وحدثنا عنه جماعة، وسمعتهم يثنون عليه، ويصفونه بالفضل والعلم والاشتغال بما يعنيه.
مات في ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وخمسمائة، عن ست وثمانين سنة.
ومن مصادر ترجمته:
المنتظم (٤١/١٠)، تاريخ الإسلام (٢٨٠/٤)، العبر (٧٥/٤) ، شذرات الذهب (٨٦/٤).

(٢) المراد بالقصائدي هو الرجل الذي يروي القصائد.

١١٩- قتيل
[أخو جقطاي وطليقته قطلوملك]

حدثني جقطاي مملوك نائب الكرك الساكن بالخرنفش(١): أن أخاه تزوج امرأة اسمها: قطلوملك.

وأنها كانت تجد به وجدًا شديدًا وولدت له ولـدًا ، وأقامت عنده مدة سنين، فحنث فيها يومًا فلما بلغها ذلك ألقت نفسهـا من سطح دارها أسفًا، وعشقًا. فلم تدرك إلا وهي مادة أصبعيها بالتشهد.

واستشهد بصهره علاء الدين إستادار(٢) نائب الكرك وغيره من الساكنين هناك

فقالوا: نعم هي قصة معروفة في تلك الحارة، شهدها النساء والرجال، ومكثوا حينًا يأسفون عليها ويبكون وكذلك زوجها اشتد حزنه وأسفه لفقدها وندم على طلاقها ندمًا شديدًا.

(١) الخرنفش الآن شارع من أهم وأقدم شوارع القاهرة وله شهرة تاريخية عريقة يرتاده السواح القادمون إلى مصر من كل حدب وصوب لما فيه من المعالم والآثار الإسلامية القديمة من مساجد وعمائر وسبل والحمامات وغير ذلك من الآثار وكذلك به بعض الآثار القبطية، وبه مصنع كسوة الكعبة، وهو يربط بين شارعي الخليج المصري، والمعز لدين الله، وإذا أردنا شيئاً من التفصيل عن هذا الشارع فيقول الأستاذ محمد كمال السيد محمد في كتابه: أسماء ومسميات من مصر القاهرة (ص ٣٣٩): شارع الخرشتف (الخرنفش): ...

شارع الخرشتف، وقد حرفته العامة إلى الخرنفش، والخرشتف هو ما يتحجر من وقود الحمامات ويستعمل مع الجير مادة لاصقة -أي مونة للبناء، واستعمله العزيز بالله في بناء الإسطبلات الخليفية بجوار القصر الغربي، فعرف به وكان موقع هذا الشارع هو الحد الشمالي للقصر الغربي الفاطمي.

وبهذا الشارع مشغل الكسوة الشريفة التي تعمل للكعبة وكانت ترسل سنويًا مع المحمل.

(٢) يماثل أو يناظر الاستادار في هذه الأيام المحافظ أو رئيس المحافظة أو فيما يناظر في بعض البلاد العربية بحاكم الولاية.

١٢٠- شهيد
[قيس[1] وليلى]

(١) قيس هذا اشتهر بالمجنون، أو بمجنون ليلى وقد شاع ذكره وصيته في العشق وصار كنار على علم فلا يجهله إلا جاهل أو متجاهل، وألفت في سيرته وعشقه الكتب والمصنفات، وقيل فيه وفي معشوقته ليلى من الأمثال والأشعار مالا يحصى، وله ديوان شعر كبير وذهب قوم إلى أنه خرافة لا أصل لها. كما اختلف في اسمه إن كان حقيقة اختلافًا كثيرًا.

وعلى كل فإني أذكر لك أخي القارئ بعضًا من المصادر التي ترجمت لقيس هذا، ثم أذكر لك بعضًا مما قيل فيها في ترجمته من بعض تلك المصادر فمن تلك المصادر:

الأغاني (١/٢)، تزيين الأسواق (٩٧/١)، خزانة الأدب للبغدادي (١٧٠/٢)، تاريخ الإسلام (٣/ ٦٤)، المؤتلف والمختلف (١٨٨)، نشوار المحاضرة (١٠٢/٥)، سمط اللآلئ (٣٥٠)، فوات الوفيات (١٣٦/٢)، سرح العيون (١٩٥)، شرح الشواهد (٢٣٨)، النجوم الزاهرة (١٧٠/١)، شذرات الذهب (٢٧٧/١)، وغير ذلك كثير.

ويقول الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥/٤): بعد أن ذكر بعضًا من الخلاف في اسمه ونسبه: قد أنكر بعضهم ليلى والمجنون، هذا دفع بالصدر فما من لم يعلم حجة على من عنده علم، ولا المثبت كالنافي، لكن إذا كان المثبت لشيء شبه خرافة، والنافي ليس غرضه دفع الحق، فها هنا مقدم وهنا تقع المكابرة وتنسكب العبرة.

فقيل: إن المجنون علق ليلى علاقة الصبا وكانا يرعيان البهم، ألا تسمع قوله وما أفحل شعره:

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهيَ ذَاتُ ذُؤَابَـةٍ ... وَلَمْ يَبْدُ للأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمُ

صَغِيرَيْنِ نَرْعَى البَهْمَ يَا لَيْـتَ ... إِلَى اليَوْمِ لَمْ نَكْبَرَ وَلَمْ تَكْبَرِ البَهْمِ

وعلقته هي أيضًا، ووقع بقلبها فاشتد شغفه بها حتى وسوس وتخبل في عقله. قال أبو عبيدة: تزايد به الأمر حتى فقد عقله، فكان لا يأويه رحل ولا يعلوه ثوب إلا مزقه.

ويقال: إن قوم ليلى شكوا المجنون إلى السلطان، فأهدر دمه، وترحل قومها بها، فجاء وبقي يتمرغ في المحلة ويقول:

أيا حرجات الحي حيث تحملوا ... بذي سَلَمٍ لا جَادَكُنَّ ربيعُ

وخيماتُك اللاتي بمنعرج اللِّوى ... بَلِيْنَ بلىً لَمْ تَبْلَهُنَّ رُبُوعُ

وقيل: إن قومه حجوا به ليزور النبي صلى الله عليه وسلم ويدعو حتى إذا كان بمنى سمع نداءً: يا ليلى فغشيَ عليه، وبكى أبوه فأفاق يقول:

داعٍ دعا إذ نحن بالخيف من منى

الأبيات.

وجزعت هي لفراقه وضنيت.

وقيل: إن أباه قيده، فبقي يأكل لحم ذراعيه ويضرب بنفسه فأطلقه، فهام في الفلاة، فوجد ميتًا فاحتملوه إلى الحي وغسلوه ودفنوه، وكثر بكاء النساء والشباب عليه.

وقيل : إنه كان يأكل من بقول الأرض، وألفته الوحوش، وكان يكون بنجد فساح حتى حدود الشام.

=

ذكر المرزباني عن قيس بن معاذ، وقيل: قيس بن الملوح، وقيل اسمه: معاذ بن كليب.

وقالوا: الملوح هو معاذ، ومعاذ هو صاحب ليلى وقيس ابنه.

وقيل: بل قيس هو صاحب ليلى.

واختلفوا فيه: أهو عقيلي، أو جعدي أو قشيري.

ومنهم من يقول: هو من بني أبي بكر بن كلاب.

وقال بعضهم: كان في بني عامر مجنونان.

وقيل: بل كانوا ثلاثة مجانين. وقيل:بل كانوا أربعة.

ومنهم من يذكر أنه لم يكن مجنونًا، وإنما استهيم بليلى.

وقال الأصمعي: سألت أعرابيًا من بني عامر عن المجنون؟

فقال: عن أيهم تسألني؟ فقد كان فينا جماعة رموا بالجنون.

فقلت: عن الذي كان يشبب بليلى؟

فقال: كلهم كان يشبب بليلى.

قال: وقيس كان يكنى أبا المهدي، وهو: قيس بن معاذ.

[وذكره(١)] أبو العباس المبرد ونسبه إلى بني عقيل بن كعب بن ربيعة [١١٠/ب] ابن عامر بن صعصعة.

ومن قال: قيس بن الملوح نسبة إلى بني جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن

=

وشعره كثير من أرق شيء وأعذبه، وكان في دولة يزيد، وابن الزبير.

قال محققه: وإن كان القول قد اختلف في كون قيس ليلى أو المجنون كما يقال حقيقة أم لا، فكذلك اختلف القول في شخصيات تاريخية كثيرة نسبت إليها وحولها الحكايات مثال ذلك جحا في النوادر، ورابعة العدوية في التعبد فلا أرى داع لأن يتشبث متشبث بالتأكيد على أي الأمرين حقيقته فإنه ليس بأمر تعبدي.

والمقصود من سرد تلك الحكايات هو الطرافات أو الظرف أو الإسعاد ورسم البسمة على الوجود، والترويح عن النفس للمتكدر، أو شحذ الهمم للمتكامل عن التعبد أو العبادة، أو عدم اللوم الشديد لمن تعلق بامرأة مادام تعلقه بمباح ولا حظر وتحريم فيما تعلق به ، ولكن ينصح بعدم المبالغة حتى لا يكون ما لا يحمد عقباه، وخضوعًا لقوله سبحانه: ﴿**لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم**﴾ [الحديد: ٢٣] أي لا تفرحوا كل الفرح، ولا تحزنوا كل الحزن، فديننا دين الوسطية في كل شيء، وخير الأمور الوسط. فلا داعي للشد والجذب في مثل تلك الأمور.

(١) زيادة يتطلبها السياق.

وأبو العباس المبرد هو: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر، الأزدي البصري الإمام النحوي صاحب الكامل.

صعصعة.

وكان مديد القامة، جعد الشعر، أبيض الوجه، وكان [من[1]] أحسن الرجال وقد نالته صفرة وهزل.

وقال أبوعبيدة معمر: هو البحتري بن الجعد.

وقال أبو العالية فيما ذكره ابن الجوزي: هو الأقرع بن معاذ .

وقال أبو الفرج الأموي: هو قيس بن الملوح بن مزاحم بن قيس بن عدي بن ربيعة بن جعدة.

وقال الأصمعي: لم يكن مجنونًا إنما كانت به لوثة كلوثة أبي حية النميري.

ويشهد لصحة هذا، قوله وقد عقر على قبر أبيه:

عَقَرْتُ عَلَى قَبْرِ المُلَوّح نَــاقَتِي ... بذي السَّرْح لَمَّا أَنْ جَفَتْهُ الأَقَارِبُ
وَقُلْتُ لَهَا كُوْ عَقِيْرًا فَإنَّنِي ... غَدَاةَ غَد مَاشٍ وَبَالأَمْسِ رَاكِــبُ
وَلاَيُبْعِدَنّــكَ الله يا ابْنَ مُزَاحِم ... فَكُلّ بِكَاسِ المَوْتِ لأَبَــدَ شَارِبُ

وقال أيوب بن عباية: سألت بني عامر بطنًا بطنًا عن مجنون بني عامر فما وجدت أحدًا عرفه، وليس له حقيقة. وكذا قاله أبو بكر العدوي.

وقال ابن دأب: قلت لرجل من بني عامر: أتعرف المجنون، وتروي من شعره شيئًا؟

قال: أو قد فرغنا من شعر العقلاء حتى نروي أشعار المجانين؟!

إنهم لكثير.

قلت: ليس هؤلاء أعني، إنما عنيت مجنون بني عامر الشاعر الذي قتله العشق.

قال: هيهات، بنو عامر أغلظ أكبادًا من ذلك، إنما يكون هذا في هذه اليمانية الضعاف السخيفة عقولها الصعلة رءوسها.

وقال الأصمعي: رجلان ما عرفا في الدنيا قط إلا باسم [المجنون[2]] مجنون بني عامر، وابن القرية، إنما وضعتها الرواة، انتهى كلامه.

وفيه نظر لما تقدم من التعريف بحال المجنون وشعره، وضعه فتى من بني أمية كان [١١١/أ] يهوى ابنة عم له وكان يكره أن يظهر ما بينه وبينها.

فوضع حديث المجنون والأشعار التي يرويها الناس ونسبتها إليه.

وليلى التي بلي بعشقها هي ابنة سعد بن مهدي بن ربيعة بن كعب بن ربيعة بن

(١) زيادة يتطلبها السياق، لأنه لا يعقل أن يكون أجمل من يوسف عليه السلام.

(٢) ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

عامر بن صعصعة.

وقال الهجري في نوادره: المجنون صحيح، ومن قال: إنه ليس بشيء، هذا خطأ.

وقال الجاحظ: ما ترك الناس شعرًا مجهولاً لا يعرف قائله قيل في ليلى إلا نسبوه إليه، ولا شعرًا قيل في لبنى إلا نسبوه إلى قيس بن ذريح.

وقال ابن قتيبة: لقب المجنون لذهاب عقله وشدة عشقه.

وهو من أشعر الناس، وكان هو وليلى يرعيان البهم وهما صبيان فعلقها علاقة الصبى، وفي ذلك يقول:

تَعَلَّقْتُ لَيْلَى وَهِيَ غُــرٌّ صَغَــيرة ... وَلَمْ يَبْدُ للأَتْرَابِ مِنْ ثَدْيِهَا حَجْمُ

صَغِيْرَيْنِ نَرْعَى البَهْمَ يَا لَيْتَ أَنَّنَا ... إِلَى اليَوْمِ لَمْ نَكْبَرْ وَلَمْ تَكْبَرِ البَهْمُ

ثم نشأ فكان يجلس معها يتحدث في ناس من قومه، وكان جميلاً ظريفًا راوية للشعر.

قال الحسن بن حبيب في كتاب عقلاء المجانين: سئل قيس عن سبب عشقه لليلى فقال: بينا أنا في عنفوان عزتي وريعان حدتي أسحب ذيل اللعب، وأرمي الكواعب من كثب أصبو إليهن، فيعرفن، وأهز أرباقهن فلا ينتصفن إذ اعتلقتني حبائل فتاة من بني عذرة فذهلني حبها وتيمني عشقها.

كذا قال، إنها من بني عذرة، وهو غير صواب.

والصواب، والذي كأنه إجماع أنها بنت عمه، والله أعلم.

قال ابن قتيبة: فلما هويها، كانت تعرض عنه، وتقبل على غيره، حتى شق ذلك عليه، وعرفته فأقبلت عليه يومًا، وقالت:

وَكُــلٌّ مُظْهِــرٌ فِي النَّــاسِ بُغْضًــا ... وَكُــلٌّ عِنْــدَ صَاحِبِه مَكِيْــنُ

[١١١/ب] وَأَبْرَار المَلاحظ لَيْسَ تَخْفَى ... وَقَدْ يَعْزِي بذي اللَّحْظَ الظُّنُــونَ

وَكَيْفَ يَفُــوتُ هَــذَا النَّاس شَــيء ... وَمَــا فِي النَّــاسِ تُظْهِرُهُ العُيُــونُ

ثم تمادى به الأمر حتى ذهب عقله، فكان لا يلبس ثوبًا إلا خرقه، ولا يعقل شيئًا إلا أن تذكر ليلى، فإذا ذكرت ليلى ثاب إليه عقله، وتحدث عنها لا يسقط حرفًا، وفي ذلك يقول:

وَشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الحَدِيْث سِوَى ... مَــا كَــانَ منك فَإِنَّهُ شُغْلِي

وَأُدِيْــم لَحْــظ مُحَدِّثي لِيَرَى ... أَنْ قَدْ فَهِمْت وَعِنْدَكُم عَقْلِي

فسعى عليهم نوفل بن مساحق بن عبد الله بن مخرمة، أحد بني مالك بن خالد بن عمر بن لؤي -يعني صاحب النبي صلى الله عليه وسلم ببدر، والمتوفى زمن عبدالملك بن

مروان-.

وقال الكلبي: المستعمل على هذه الصدقة رجل من قريش اسمه: محمد بن عبد الرحمن من قبل مروان [ابن[1]] الحكم.

فنزل جمعًا من تلك المجاميع، فرآه عريانًا يلعب بالتراب، فكساه ثوبًا.

فقال له قائل: هل تدري من هذا؟

قال: هذا المجنون.

فدعى به، فكلمه فجعل يجيبه عن غير ما يكلمه به.

فقالوا: إن أردت أن يكلمك كلامًا صحيحًا فاذكر له ليلى وسله عن حبه لها. ففعل، فأقبل عليه المجنون يحدثه بحديثها، وينشده شعره فيها.

فقال له نوفل[2]: الحب صيرك إلى ما أرى؟

قال: نعم ، سينمى بي إلى أشد مما ترى.

قال: أتحب أن أزوجكها؟ قال: نعم.

قال: وهل إلى ذلك من سبيل؟

قال : فانطلق معي حتى أقدم بك عليها، وأخطبها لك ، وأرغب لك في المهر.

قال: أتراك فاعلاً؟! قال: نعم.

قال: أنظر ما تقول.

قال: على أن أفعل ذلك فارتحل معه ، ودعا له بثياب ألبسه [١١٢/أ] إياها، وراح به معه كأصح أصحابه يحدثه وينشده.

فبلغ ذلك قومها، فتلقوه بالسلاح، وقالوا: والله يا ابن مساحق، لا يدخل المجنون منزلنا أبدًا أو يموت، وقد هدر السلطان لنا دمه.

فأقبل بهم وأدبر، فأبوا.

فلما رأى ذلك، قال للمجنون: انصرف.

---

(١) ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

(٢) هو ابن مساحق أو المساحقي ، وقد ذكر خبره السراج في مصارع العشاق مختصرًا (٢/٥٨): فقال: أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد الخلال بالتاريخ (أي في سنة ٤٣٧) حدثنا عبدالواحد بن علي بن الحسين حدثنا أبو يحيى بن أبي مسرة، حدثنا أبو غسان محمد بن يحيى، حدثنا المساحقي عن أبيه:

أنه خرج ساعيًا في بني عامر، فأتاه مجنون بني عامر، فسأله أن يكلم له عمه، فأبى أن يزوجه، فأمر المساحقي للمجنون بقلائص، فوهبها له، وأبى أن يقبلها، ثم أنشأ يقول:

تركت قلائص القرشي لما رأيت النقض منه للعهود

فقال له: والله ما وفيت.

قال: انصرف أيسر عليَّ من سفك الدماء.

فانصرف وهو يقول وقد أمر له بقلائص من قلائص الصدقة، فأبى أن يقبلها-:

رَدَدْتُ قَلائِصَ القُرَشِيِّ لَمَّا ... أَتَانِي النَّقْضَ مِنْهُ لِلْعُهُود

وَرَاحُوا مُقْصِدِيْنَ وَخَلَّفُونِي ... إِلَى حُزْنٍ أُعَالِجُهُ شَدِيْدِ

وقال أيضًا:

يَا صَاحِبَيَّ أَلِمَّا بِي بِمَنْزِلَةٍ قَدْ ... مَرَّ حِيْنٌ عَلَيْهَا أَيَّمَا حِيْنِ

فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ دِيْوَانُ مَعْرِفَةٍ ... لَمْ تُبْقِ بَاقِيَةً ذِكْرُ[1] الدَّوَاوِيْنِ

إِنِّي أَرَى رَجَعَاتِ الحُبِّ تَقْتُلُنِي ... وَكَانَ فِي يَدِهَا[2] مَا كَانَ يَكْفِيْنِي

أَلْقَى مِنَ اليَأْسِ تَارَاتٍ فَتَقْتُلُنِي ... وَللرَّجَاءِ بَشَاشَاتٌ[3] فَتُحْيِيْنِي

لاَخَيْرَ فِي الحُبِّ لَيْسَتْ فِيْهِ قَارِعَةٌ ... كَأَنَّ صَاحِبَهَا فِي نَزْعٍ مَوْتُونَ[4]

وفي رجوع عقله عند ذكرها يقول قصيدة طويلة منها:

أَيَا[5] وَيْحَ مَنْ أَمْسَى تَخَلَّصَ عَقْلَه[6] ... فَأَصْبَحَ مَذْهُوبًا بِهِ كُلَّ مَذْهَبِ

خَلِيًّا مِنَ الإِخْوَانِ إِلا مُعَذَّرً ... يُضَاحِكُنِي مَنْ كَانَ يَهْوَى تَجَنُّبِي[7]

إِذَا ذُكِرَتْ لَيْلَى عَقَلْتُ وَرَاجَعَتْ ... ذَوَائِعَ قَلْبِي مِنْ هَوَى مُتَشَعِّبِ

وَقَالُوا صَحِيحٌ مَا بِهِ طَيْفُ جِنَّةٍ ... وَلاَ لَمَمٌ إِلاَّ افْتِرَى التَّكَذُّبِ

وَشَاهِدُ وَجْدِي دَمْعُ عَيْنَيَّ وَحُبُّهَا ... يَرَى اللَّحْمَ عَنْ إِحْنَاءِ عَظْمِي وَمَنْكِبِي

تَجَنَّبْتُ لَيْلَى أَنْ يَلِجَ بِكَ الهَوَى ... وَهَيْهَاتَ كَانَ الحُبُّ قَبْلَ التَّحَبُّبِ

أَلا إِنَّمَا غَادَرْتِ يَا أُمَّ مَالِكٍ ... صَدًى أَيْنَمَا تَذْهَبُ بِهِ الرِّيْحُ يَذْهَبِ

فَلَمْ أَرَ لَيْلَى بَعْدَ مَوْقِفِ سَاعَةٍ ... بِبَطْنِ مِنًى تَرْمِي جِمَارَ المُحَصَّبِ

وَتُبْدِي الحَصَا مِنْهَا إِذَا قَذَفَتْ ... مِنَ البُرْدِ أَطْرَافَ البَنَانِ المُخَضَّبِ

---

(١) في الشعر والشعراء (ص ١٣٦): رسم، بدل: ذكر.

(٢) في الشعر والشعراء: في بدنها. وهو الأصوب.

(٣) في الشعر والشعراء: وللرجال. وما هنا أصوب أو أنسب.

(٤) لم يرد هذا البيت في الشعر والشعراء.

(٥) في الشعر والشعراء: بدون الهمزة في أولها.

(٦) في الشعر والشعراء: قلبه.

(٧) لم يذكر هذا البيت في الشعر والشعراء.

فَأَصْبَحْت مَنْ لَيْلى الغَدَاة كَنَاظِـرٍ مَعَ الصُّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْم مُغَـرِّب

وكان أبو المجنون ورهطــه أتوا أبا ليلى وأهلهـا ، فسألوهم بالرحم وأعظموا عليهم أمرها، وأخبروهم بما ابتلى به قيس.

فأبى أبو ليلى، وحلف أن لا يزوجه إياها أبدًا.

فقال الناس لأبيه: لو خرجت به إلى مكة، فعاذ بالبيت ودعا الله، رجونا أن ينساها، ويعافيه مما ابتلاه به(١).

فخرج، فبينا هو يمشي بمنى وقد أخذ أبوه بيده يريد الجمار، نادى مناد: يا ليلى، ومن تلك الخيام يا ليلى.

فخر مغشيًا [عليه(٢)]، فاجتمع عليه الناس، ونضحوا عليه من الماء.

وأبوه يبكي عند رأسه، ثم أفاق، وهو مصفر اللون متغير لونه وهو يقول:

وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحنُ بِالخَيْف مِنْ مِنىً فَهَيَّــجَ أَحْزَانَ الفُــؤاد وَمَايَدْرِي

دَعَــا بِاسْــمِ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا أَطَارَ بِلَيْلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي

ورآه(٣) أبو مسكين بمكة والناس حوله، فسألهم ، فقالوا: نمسكه خوفًا عليه من أن يردي نفسه من الجبل فلو شئت دنوت منه وأعلمته أنك قدمت من نجد، فيسألك عنها، وعن بلاده فتخبره. فقلت: أفعل.

فقالوا: يا أبا المهدي، هذا رجل قدم من نجد.

قال: فتنفس تنفسًا ظننت أن كبده قد انصدعت، ثم جعل يسألني عن وادٍ واد، وموضع موضع. وأنا أصف له، وهو يبكي [١١٣/أ] أحر بكاء(٤). وأوجعه للقلب، ثم قال:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي عَنْ عَوَارِضيَ فَيَا(٥) لَطُولِ اللَّيَالِي هَــلْ تَغَيَّرَتَا بَعْدِي(٦)

---

(١) ذكر نحو هذه القصة أيضًا السراج في مصارع العشاق (٧٧/٢) تحت عنوان حبذا نجد، بإسناد غير الذي هنا، فذكر قريبًا من هذه القصة.

(٢) زيادة يتطلبها السياق..

(٣) في المخطوط: رواه. وهو تحريف.

(٤) وذكر نحو القصة أيضًا ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص: ٣٧).

(٥) في المصارع، والشعر والشعراء: قنا.

(٦) جاء قبل هذا بالمصارع بيت:

ألا حبذا نجد وطيب ترابه وأرواحه إن كان نجد على العهد

وَهَلْ جَارَتَيْنَا[1] بِالنَّثِيل[2] إِلَى الحمَى عَلَى عَهْدنَا أَمْ لَمْ يَدُومَا عَلَى عَهْدِي
وَمِنْ عَلَــوِيَّات الرِّيَاحِ إِذَا جــرَتْ بِرِيْح الخزامي هَــلْ تَهبّ عَلَى نَجْد
وَعَن أُقْحُوَان الرَّمــْل مَا هُو فَاعِل إِذَا هُوَ أَسْرَى لِيْلَــة بثَرَى جَعْــد
وَهَــلْ تَنْفُضَنَّ الرِّيــْح أفْنَانَ لِمَّتِي عَلَى لاَحَقّ الرِّجْلَيْن مُنْدَلث الوَجْد
وَهَلْ أَسْمَعَنَّ الدَّهْر أَصْوَات هَجْمَة تُطَالِــع مَنْ وَهدٍ خَصِيْبٍ إِلى وَهْد

وقال:

دَعَا المُحْرِمُونَ الله يسْتَغْفِرُونَهُ بِمَكَّةَ لَيْلاً أنْ تُمْــحَى ذُنُوبُها
وَنَادَيْت يَارَبَّــاهُ أَول سُؤْلَتِي لِنَفْسِي لَيْلَى ثُمَّ أَنْتَ حَسِيْبُهَا

فإن أعط ليلى في حياتي لا يتب إلى الله عبد توبة لا أتوبها ونزل رجل من بني مرة بخباء ليلى، وهو لا يعرفها، فسألته: من أين أقبلت؟

فقال: من تهامة.

فقالت[3]: أي بلادها وطئت؟

قال[4]: ببني عامر. فتنفست الصعداء، فقالت: هل سمعت فتى منهم يقال له قيس؟ فقال[5]: إي والله.

فقالت: فما حاله؟

قال: يهيم في تلك الفيافي مع الوحش لا يعقل، ولا يفهم إلا إذا ذكرت له ليلى.

قال: فرفعت الستر، فإذا شقة قمر لم تر عيني مثلها قط.

فبكت وانتحبت حتى ظننت والله أن قلبها قد انصدع.

فقلت: أيتها المرأة، اتقي الله، فوالله ما قلت بأسًا.

فمكثت طويلاً على تلك الحال من البكاء ثم قالت: [١١٣/ب]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي وَالخُطُوبُ كَثِيْرَةٌ مَتَى رَحْــلُ قَيْسٍ مُسْتَقِلٌّ فَرَاجِعُ

---

(١) في المخطوط: حازتا والتصويب من مصارع العشاق.

(٢) النثيل موضع بأرضهم.

(٣) في المخطوط: فقال. وهو تحريف.

(٤) في المخطوط: قالت. وهو تحريف.

(٥) في المخطوط: فقالت. وهو تحريف والخبر بنحوه كذلك في مصارع العشاق (٣٣/١) تحت عنوان ليلى العامرية ومجنونها.

بِنفْسي مــنْ لاَ يَسْتَقِــلّ بِرَحْلِه ... وَمَنْ هوَ إنْ لَمْ يَحْفظ اللهُ ضَائِعُ

ثم بكت حتى غشي عليها، فلما أفاقت، قلت من أنت يا أمة الله؟

قالت: أنا ليلى المشئومة عليه غير المواسية له.

قال: فما رأيت[١] مثل حزنها ووجدها عليه ولا مثل جزعها.

وكان لأبيه نعمة ظاهرة، وخير كثير، وولد، وكان قيس أحب ولده إليه.

وكان أسرى من أبي ليلى، فلما فشا أمره وأمرها كرهه أبوها، وما كان يطمع في مثله فزوجها من رجل، فقال قيس:

وَقَدْ شَاعَت الأَخْبَارُ أَنْ قَدْ تَزَوَّجَتْ ... فَهَــلْ يَأْتِيْنِي بالطَّــلاَق بَشِيْــرُ

دَعــوْت إلهي دَعْــوَةً ما جهلتُهَا ... وَرَبِّي بِمَــا تُخْفِي الصُّدُور بَصِيْرُ

لِإنْ كُنْت تَهْدِي برد أَنْيَابَهَا العُلَى ... لأفقــر مــني إنَّــني لَفَقِــيْرُ

ورأى زوج[٢] ليلى يومًا فقال:

بِربك هَلْ ضَمَمت إلَيْكَ لَيْلَى ... قُبَيْلَ الصُّبْح أَوْ قَبَّلْت فَاهَا؟

وَهَلْ رَفَّتْ عَلَيْكَ قُرُوْن لَيْلَى ... رَفِيْف الأُقْحُوَانَة[٣] في نَدَاهَا

فقال: اللهم نعم.

فقبض قيس بكلتا يديه على الجمر، فما فارقها حتى خر مغشيًا عليه فسقط الجمر مع لحم راحتيه.

---

(١) الخبر هنا بنصه في الشعر والشعراء، واللفظ هنا في الشعر والشعراء: فوا الله ما رأيت، ثم ساق نحو ما هنا.

(٢) في المخطوط: زواج. وهو تحريف.

(٣) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة قحا: القحو: تأسيس الأقحوان، وهي في التقدير أفعلان من نبات الربيع مفوض الورق دقيق العيدان، له نور أبيض كأنه ثغر جارية حديثة السن.
قال الأزهري: الأقحوان هو القراص عند العرب، وهو البابونج، والبابونك عند الفرس.
وفي حديث قيس بن ساعدة: بواسق أقحوان، الأقحوان: نبت تشبه به الأسنان، ووزنه أفلان، والهمزة والنون زائدتان.
وقال ابن سيدة: الأقحوان البابونج أو القراص، واحدته أقحوانة ويجمع على أقاح.
وقد حكى قحوان، ولم ير إلا في الشعر، ولعله على الضرورة كقولهم في حد الاضطرار سامة في أسامة.
قال الجوهري: وهو نبت طيب الريح حواليه ورق أبيض ووسطه أصفر، ويصغر على أقيحيَ لأنه يجمع على أقاحي بحذف الألف والنون، وإن شئت قلت: أقاح بلا تشديد.

فلما استطير عقله حبسه أبوه وقيده.

فكان يعض لسانه وشفتيه حتى خشينا أن يقطعهما، فخلينا سبيله، فهو مع الوحش، يذهب كل يوم بطعامه فيوضع حيث يراه، فإذا تنحوا عنه جاءه فأكل منه.

فإذا خلقت ثيابه فعل به كذلك إلى أن ذهبوا إليه يومًا بالطعام، فلم يوجد.

قال صباح بن عامر النهدي في كتاب الذهول: فالتمسه إخوته فإذا [١١٤/أ] هو ميت في وادٍ من تلك الأودية، فاحتملوه، ودفنوه.

وفي كتاب المحنة:

قال له قائل: قيس، قد ماتت ليلى ففزع، وقال: فما لي لا أموت، ثم أنشأ يقول:

أمتَعَتْهُ بِالَموْتِ لَيْلَى وَلَمْ تَمُتْ ... كَأنكَ عَمَّا قَدْ أَضَلَّكَ غَافِلُ

ثم مضى على وجهه فلم يلبث أن مات.

وذكر ابن الكلبي: أن الذي كان يفعل به هذا من الأكل وغيره دابته، وكان لا يركن ولا يألف إلا لها.

وقال ابن المرزباني: إن الذي حبسه وقيده نوفل بن مساحق طلبًا لعلاجه.

وذكر له يومًا عروة وموته من العشق فقال:

عَجِبْتُ لِعُرْوَةَ العُذْرِي أَمْسَى ... أَحَادِيْثًا لقَــوْمٍ بَعْدَ قَوْمِ

وَعُرْوَة مَاتَ مَوْتًــا مُسْتَرِيْحًا ... وَهَا أَنَا ذَا أَمُوْتُ كَلَّ يَوْمِ

قال ابن قتيبة: وله عقب بنجد ولم يقل أحد من الشعراء في معنى قوله:

وَأَدْنَيتَنِي حَتَّى إِذَا مَا سَبَيْتَنِي ... تَقُول بِخَيْلُ العُصمِ سَهْل الأَبَاطِحِ

فَجَافَيْت عَنْهُ حِيْنَ لاَ لِيَ حِيْلَةٌ ... وَخَلّفْت مَا خَلّفْت بَيْنَ الجَوَانِحِ

شيئاً أحسن منه، وفيه نظر في موضعين:

الأول: قيس لم يتزوج لأنه علق ليلى صغيرًا، واستطير عقله بها كبيرًا، فأنى يكون الزواج.

الثاني: هذان البيتان لكثير بن أبي جمعة، إجماعًا. والله أعلم.

ومن جيد شعره:

وَخَبـــرْتُمَـــانَى أَنَّ تَيمــَاء مَنْــــزِلٌ ... بلَيْلَى إِذَا مَا الصَّيْفُ أَلْقَى المَرَاسِيَا

فَهَذِي شُهُور الصَّيف أَمْسَت قَدْ انْقَضَتْ ... فَمَا لِلنَّوىَ يُرْدِي بِلَيْلَى المَرَامِيَــا

فَلَوْ كَانَ وَاشٍ باليَمَامَة دَارُهُ ... وَدَارِي بأَعْلَى حَضْرَمَوْت اهْتَدَى لِيَا
إذَا مَا جَلَسْنَا مَجْلسًا نَسْتَلِذه ... تَوَاصَوْا بنَا حَتّي أمَلَّ مَكَانيَا[١١٤/ب]
وَمَاذَا لَهُمُ لاَ كَثَّر الله حَظَّهُم ... منَ الحَظّ في تَصْرِيمِ[١] لَيْلَى حبَالِيَا
وَإنِّي لأَسْتَغْشَى وَمَا بِيَ غَشْيَة ... لَعَلَّ خَيَالاً منْكَ يَلْقَى خَيَالِيَا
وَأَخْرُجُ مِنْ بَيْنَ الجُلُوسِ لَعَلَّنِى ... أُحَدِّثُ عَنكَ النَّفْس فِي البَيْنِ خَالِيَا
أعدّ اللّيَالِي لَيْلَة بَعْدَ لَيْلَة ... وَقَدْ عشْت دَهْرًا لاَ أعدّ اللَّيَالِيَا
أرَاني إذَا صَلّيْت يَمَّمْت أرْضَهَا ... بوَجهِي وَإنْ كَانَ المُصَلّى وَرَائِيَا
وَمَا بِي إشْرَاكٌ وَلَكِنّ حُبّهَا ... مَكَانَ الشَّجَا أعْيا الطَّبِيْبَ المُدَاوِيَا
أُحبَ منَ الأسْمَاء مَا وَافَقَ اسْمها ... وَأشْبَهَهُ إذَا كَانَ منْهُ مُدَانِيَا
فَأَنْت الّتِي إنْ شئتَ أشْقَيْت عِيشَتِي ... وَإنْ شئْت بَعْدَ الله أنْعمت بالِيَا

ومنه أيضًا في رواية المبرد:

جَرَى السَّيْل فَاسْتَبْكَانِي إذْ جَرَى ... وَفَاضَتْ لَهُ مِنْ مُقْلَتَيّ عَرْزَبُ[٢]
تَكُونُ أُجَاجًا دُونَكم فَإذَا انْتَهَى ... إلَيْكُمْ تَلَقَّى طِيْبكُمْ فَيَطِيْبُ
فَيَا سكنى أكْنَاف نَخْلَةَ كُلّكم ... إلَى القَلْب مِنْ أَجْلِ الحَبِيْب حَبِيْبُ
أظَلّ غَرِيْبَ الدَّار في أَرْض عَامِرٍ ... ألاَ كُلّ مَهْجُور هُنَاكَ غَرِيْبُ
وَإنّ كَثِيْبَ الفَرْد مِنْ أَيْمَن الحِمَى ... إليّ وَإنْ لَمْ آته لَحَبِيْبُ
فَلاَ خَيْر فِي الدُّنْيَا إذَا كُنْتَ لَمْ تَزُرْ ... حَبِيْبًا وَلَمْ يَقْرُبْ إلَيْكَ حَبِيْبُ
ألاَ أيّهَا البَيْت الذي لاَ أزُورُهُ ... وَهجْرَانُهُ منّي إلَيْه ذُنُوبُ
هَجَرْتُكَ مُشْتَاقًا، وَزُرْتُكَ خَائفًا ... وَفِيْكَ عَلَيَّ الدَّهْرُ منْكَ رَقِيْبُ
سَتَعْطِفُ الأَيْام فِيْكِ لَعَلَّهَا ... بِيَوْمِ سُرُرٍ فِي هَوَاكِ تُنِيْبُ

---

(١) تصريم: أي تقطيع، وقال ابن منظور في لسان العرب في مادة صرم: الصرم: القطع البائن- وعم بعضهم به القطع أي نوع كان، صرمه يصرمه صرمًا وصرمًا، فانصرم، وقد قالوا: صرم الحبْل نفسه... وفي التهذيب: الصرم، الهجران. وفي الحديث: لا يحل لمسلم أن يصارم مسلمًا فوق ثلاث. أي يهجره ، ويقطع مكالمته. وقال الليث: الصرم: دخيل، والصرم القطع البائن للحبل، والعذق، ونحو ذلك الصرام، وقد صرم العذق عن النخلة.

(٢) عرزب: أي: فاضت دموع عينيه فيضانًا شديدًا . وقال ابن منظور في لسان العرب: مادة عرزب: العرزب: المختلط الشديد . والعرزب : الصلب.

وأُفْــرِدْت إفْــرَاد الطَّرِيْد وَبــَاعَدتْ ... إِلَى النَّفْسِ حَجَات وَهْنَ قَرِيْبُ

[١١٥/أ] لئنْ حَالَ يَأْسٌ دُوْنَ لَيْلَى لَرُبَّمَا ... أَتَى الْيَأْسُ بَعْد الأَمْرِ وَهُو قَرِيْبُ

وَمَنَّيْتِنـــِي حَتَّـــى إِذَا مـَـا رَأَيْتِـــنِي ... عَلَى شَرَف للنَّاظِرِيْنَ يُرِيْـــــبُ

صَدَقْـــتِ وَأَشْمَتِّ العَــدُوّ بِصَرْمِنَا ... أَثَابَـــكِ يَا لَيْلَـــى الجَزَاءُ مُثِيْبُ

ولما منع من الإلمام بحي ليلى قال:

أأتْرُكُ لَيْلَى لَيْسَ بَيْنـــِي وَبَيْنَهَــا ... سُـــوَى لَيْلَة إِنِّي إِذًا لَصَبُـــورُ

هَبُونِي امْرَأً مِنْكُـــم أَضَلَّ بَعِيْرَهُ ... لَــهُ ذِمَّـــةٌ إِنَّ الذِّمَـــام كَبِيْرُ

وَلِلصَّاحِبِ المَتْرُوكِ أَعْظَم حُرْمَةً ... عَلَى صَاحِبٍ مِنْ أَنْ يَضِلَّ بَعِيْرُ

عَفَى اللهُ عَنْ لَيْلَى الغَـــدَاة فَإِنَّهَا ... إِذَا وَلِيَتْ حُكْمًا عَلَيَّ تَجُوْرُ(١)

ويستجاد قوله وهو أول علوقة بليلى:

نَهَارِي نَهَـــار النَّاسِ حَتَّى إِذَا بَدَا ... لِيَ اللَيْلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ المَضَاجِعُ

أُقَضِّي نَهَارِي بِالْحَدِيْثِ وَبِالْمنى ... وَيَجْمَعنِي وَالْهَـــمُ بِاللَّيْلِ جَامِعُ

كذا الرواية بالزاي.

وزعم ابن جنى أنها بالراء، ومن قالها بالزاي فقد صحف.

ومعناه كرهتني فنبت بي. والله أعلم.

ومن جيد شعره، ومشكور قوله، وهي غير القصيدة المذكورة قبل:

أَلاَ يَا حَمَامي قصْرِ ودَّانَـــي هِجْتُمَا ... عَلَيَّ الهَوَى لَمَّــا تَغَنَّيْتُمَـــا لِيَــا

وَأَبْكَيْتُمَانِي وَسْطَ صَحْبِي وَلَمْ أَكُن ... أُبَالِي دُمُوعَ العَيْنِ لَوْ كُنْت خَالِيَا

أَلاَ يَـــا خَلِيْلَيَّ حُـــبَّ لَيْلَى مُجْشِمِي ... حِيَاضَ المَنَايَا أَوْ مُعِيْـــدِي الأَعَادِيَا

وَيـــَا أَيُّهَـــا القمْرِيَّتَـــان تَجــاوَبَا ... بِلَحْنَيْكُمَا ثُـــمَّ اسْجَعَـــا عَـــلانِيَا

أُسَائِلكُم هَـــلْ سَالَ نُعْمَان بَعْـــدَنَا ... وَحَبّ إِلَيْنَا بَطْن نُعْمَـــان وَادِيَـــا

(١) ليس في هذا البيت منه تجن عليها أو اتهام وإنما فيه عتاب رقيق واستعطاف فهو متسامح معها بدليل دعائه لها في أول البيت راجيًا منها أن تجود عليه برسول أو وصل ولو بلحظ عين أو إشارة يد أو بسمة شفاه حتى يطيب ذلك شيئًا مما يعانيه ويجبر خاطره.

وورد ذكر قيس بن الملوح في مصارع العشاق في المواضع الآتية : (١/ ٣٣، ١٢٥، ٢٢٥، ٢٣٥)؛ (٢/ ٣٢، ٣٣، ٣٥، ٥٣، ٦٤، ٧٧، ٨٦، ٩٠، ١٠٢، ١٨١، ٢١٦، ٢٤٤، ٢٨٧).

١٢١ – شهيـــدان

[قيس بن ذريح[1]، ولبنى]

ذكر علي بن الحسين الكاتب في تاريخه:

قيس بن ذريح بن سنة بن حذافة بن طريف بن عتوارة بن عامر بن كثير[2] بن بكر بن عبد مناة- وهو علي- بن كنانة بن خزيمة[3].

وقال أبو شراعة: هو قيس بن ذريح بن الحباب بن سنة.

محتجًا بقول قيس:

---

(١) أحد مشاهير العشاق العرب وقد وضعت فيه سيرته مع لبنى الكتب كما هو الحال مع سابقه وكذا الحال في سيرته مع العشق كسيرة قيس بن الملوح غير أن هذا نال من محبوبته إذ كانا متزوجين قبل اشتعال نار الفرقة والبعد والحجر بينهما، والذي أودى خيالهما في آخر المطاف ومن قصة هذا الرجل يظهر بعضًا مما قد يصيب الأبناء من تعسف بعض الآباء في استخدام حقوقهم لدى أبنائهم إذ يتدخلون في مشاعرهم ويكلفونهم من الأمور ما لا يطيقون، ويضعون أنفسهم في كفة وأزواج أبنائهم في كفة أخرى ويذهب الابن يتأرجح بين الكفتين فهو بين ناري الحب الحلال وقطيعة الرحم المحرمة، ثم أمام ألسنة الناس التي لا ترحم في كلا الأمرين، فإن طلق لاموه، وإن أمسك عنفوه.

وهذا أمر كثيرًا ما نراه في حياتنا وهو من أشد عوامل هدم الأسر المترابطة المتماسكة فالأم ترى أنها ربت وكبرت ابنها ثم جاءت هذه البنت الغريبة فأخذت ابنها من حضنها ونسيت أن ابنها أخذ أخرى من بيت آخر وجاء بها إلى بيتها، ولهم في ذلك أمثال كثيرة يرددونها والأب يرى أنه طوع زوجته، وأن شخصية ابنه ذابت في شخصيتها أو انمحت بزواجه من تلك المرأة وكأن ابنه قد دخل في مباراة أمام تلك المرأة وكان يجب عليه أن يسمع تشجيع الجمهور له وهو يكيل اللكمات لها حتى يصير بطلاً قد كسب الجولات كلها.

رفقًا أيها الآباء بالأبناء وأيتها الأمهات بزوجات أبنائكم فإنهن عوان عندكم، وغدًا تكون بناتكم عوان عند غيركم، وكما تدين تدان، وصنائع المعروف تقي مصارع السوء، ومن أمثالكم: "من قدم السبت لقي الحد قدامه".

وكثيرًا ما يتذرع أهل الزوج بالإنجاب، وهذا معلوم أنه من قدر الله وأرزاقه ولقيس بن ذريح مصارد ترجمة كثيرة أذكر منها على سبيل المثال:

الشعر والشعراء (ص:١٤٧)، مصارع العشاق: (١٤٦/١، ١٥٨)، (٢١/٢، ١٠١، ١١٧، ١٦٤، ٢١٥) الأغاني (١٨٠/٩، ٢١٩)، تجريد الأغاني (ص ١٠٦٢: ١٠٨٤)، سير أعلام النبلاء (٥٣٤/٣)، المؤتلف والمختلف (١٢٠)، سمط اللآليء (٣٧٩، ٧٠١، ٧١٠)، تاريخ الإسلام (٦١/٣)، الوافي بالوفيات (٢٠٨/٣،٢٠٤)، البداية والنهاية (٣١٣/٨)، النجوم الزاهرة (١٨٢/١)، تزيين الأسواق (٦٢/١،٥٣)، عصر المأمون (١٥٢/٢)، رغبة الأمل (٢٤٢/٥).

(٢) في تجريد الأغاني: ليث بدل: كثير، وهو الأرجح، والله أعلم.

(٣) بعده في التجريد: ابن مدركة بن إلياس.

فَإنْ يَكُ تِهْيَامِي بِلُبْنَى غِوَايَة   فَقَدْ يا ذَرِيْحُ بن الحُبَاب غَوِيْت

وكان رضيع الحسين بن علي رضي الله عنهما أرضعته أم قيس، وكان منزله ظاهر المدينة.

وقيل: كان ينزل بسرف، فمر يومًا لبعض حاجته بخيام بني كعب من خزاعة، وهم خلوف[١].

فوقف على خيمة للبنى بنت الحباب الكعبيّة فاستسقى ماءً، فخرجت إليه بالماء، وكانت مديدة القامة، شهلاء[٢]، حلوة المنظر والكلام.

فلما رآها وقعت في نفسه، فلما شرب قالت له: أتنزل فتبرد[٣] عندنا؟

قال: نعم، فنزل بهم. وجاء أبوها، فنحر له وأكرمه[٤].

فانصرف قيس وفي قلبه منها حر لا يطفأ. فجعل ينطق بالشعر فيها حتى شاع وروي.

ثم أتاها يومًا آخر[٥]، وقد اشتد وجده بها، فسلم، فظهرت له، وردت سلامه، وتحفت به.

فشكى إليها ما يجد بها، وما لقى من حبها فبكت[٦]، وشكت إليه مثل ذلك، فأطالت وعرف كل واحد منهما ماله عند صاحبه.

فانصرف إلى أبيه، فأعلمه حاله، وسأله أن يزوجه بها[٧].

فأبى عليه وقال: يا بني عليك بإحدى بنات عمك فهي أحق بك.

وكان ذريح كثير المال موسرًا، فأحب ألا يخرج ابنه إلى غريبة.

فانصرف قيس ، وقد ســاءه ما خاطبة به[٨] . فأتى أمه ، فوجدها كأبيه[٩].

---

(١) أي : وقومها غائبون في شئونهم والخيام خاليه من أهلها إلاّ من بعض النسوة والأطفال.

(٢) الشهلاء: من خالط سواد عينيها زرقة.

(٣) في تجريد الأغاني ، فتتبرد. والمراد أن يقيل عندهم حتى تهدأ حرارة الشمس وتخف حدتها.

(٤) وكانت هذه هي عادات العرب وشيمهم وقد انفردوا بها بين شعوب الأرض واشتهروا، وليس لهم في هذا منافس.

(٥) في التجريد وذكر أن قيسًا أتاها يومًا آخر.

(٦) هذه الكلمة زائدة عما في التجريد.

(٧) في التجريد: إياها.

(٨) في التجريد: وقد ساءه ما صنع أبوه به.

(٩) في التجريد: فأتى أمه فشكى ذلك إليها، واستعان بها على أبيه، فلم يجد عندها ما يحب.

فأتى الحسين بن علي، وابن أبي عتيق[١]، فشكى إليهما ما به، وما رد أبوه عليه.

فقال له الحسين: أنا أكفيك. [١١٦/أ] فمشى معه إلى أن أتى أبا لبنى فأعظمه [ووثب إليه[٢]] وقال: يا ابن رسول الله [ما جاء بك[٣]] ؟! ألا بعثت إلي؟

فقال: إن الذي جئت فيه يوجب قصدك، [وقد[٤]] جئتك خاطبًا ابنتك لقيس بن ذريح.

فقال: يا ابن رسول الله، ما كنا لنعصي لك أمرًا، وما بنا عن الفتى رغبة، ولكن أحب الأمرين إلينا أن يخطبها [ذريح[٥]] أبوه عليه[٦]، وأن يكون ذلك عن أمره [فإني أخاف إن لم يسع أبوه في هذا أن يكون عارًا وسبة علينا[٧]] فأتى الحسين ذريحًا، فكلمه في ذلك فلم يسعه إلا السمع لما قاله.

فخرج بوجوه قومه حتى خطبها على ابنه[٨]، وبنى بها، وأقاما مدة لا ينكر أحدهما من صاحبه شيئًا، وكان أبر الناس لأمه فألهاه عكوفه على لبنى عن بعض ذلك، فوجدت أمه في نفسها، وقالت: لقد شغلت هذه المرأة ابني عن بري.

ولم تر للكلام في ذلك موضعًا حتى مرض قيس مرضًا شديدًا[٩] فلما مرض قيس قالت لأبيه: لقد خشيت أن يموت ولم يترك خلفًا، وقد حرم الولد من هذه المرأة، فزوجه غيرها لعل الله أن يرزقه ولدًا، وألحت عليه.

فقال له، فأبى أشد الإباء، فعرض عليه التسري.

فقال: والله لا أسوؤها أبدًا.

فأقسم عليه أن يطلقها، وأن لا يكنه سقف بيت أبدًا حتى يطلقها.

---

(١) في التجريد: وكان صديقه بعد تلك العبارة.

(٢) زيادة من التجريد.

(٣) زيادة من التجريد.

(٤) زيادة من التجريد.

(٥) زيادة من التجريد.

(٦) لم ترد في التجريد.

(٧) زيادة من التجريد.

(٨) العبارة هنا مختصرة من التجريد.

(٩) زيادة من التجريد، ثم يسوق الخبر بعد ذلك كما هنا ولكن بشيء من الاختصار البسيط وإن كان يستخدم نفس العبارات والألفاظ في الغالب.

فكان يخرج فيقف في حر الشمس، يجيء قيس فيقف إلى جنبه فيظله بردائه ويصلي هو بحر الشمس، حتى يفيء الفيء فينصرف عنه، ويدخل على لبنى فيعانقها ويبكيان.

وتقول له: لا تطع أباك فتهلك [وتهلكني[1]] فمكث على ذلك سنة وقيل عشر سنين حتى طلقها[2].

فلما كان أنْ بانت منه استطير عقله، ولحقه مثل الجنون، وجعل يبكي.

وبلغها الخبر، فأرسلت إلى أبيها، فاحتملها.

فلما رأى ذلك قيس أقبل على جاريتها وقال: ويحك ما دهاني فيكم؟

قالت: لا تسلني وسل لبنى.

فذهب ليسألها فمنعه قومها ، وأقبلت عليه امرأة من قومه فقالت: ويحك، كأنك جاهل أو تتجاهل، هذه [١١٦/ب] لبنى ترتحل[3] الليلة أو غدًا.

فسقط مغشيًا عليه، لا يعقل، ثم أفاق وهو يقول:

وَإِنِّي لَمفْنٍ دَمْـعَ عَيْنِي بالبُكَـا ... حذَارَ الَّذي قَدْ كَانَ أَوْ هُوَ كَائِنُ
وَقَالوا غَدًا أَوْبَعْـدَ ذَاكَ بلَيْلَـة ... فِرَاقُ حَبيْب لَـمْ يَبنْ وَهُوَ بَائنُ
وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِيَ ... بِكَفَّيْكِ إلاَ أَنَ مـَا حَانَ حَائِنُ

وقال أيضًا:

يَقُولُونَ لُبْنَـى فِتْنَـةٌ كُنْـتَ قَبْلَهَا ... بخَيْرٍ فَلاَ تَنْدَمْ عَلَيْهَـا وَطَلِّـق
فَطَاوَعْتُ أَعْدَائي وَعَاصَيْتُ نَاصِحي ... وَأَقْرَرْتُ عَيْنَ الشَامِت المُتَخلِّقِ[4]

---

(١) زيادة من التجريد متممة للمعنى والخبر.

(٢) وذكر ابن الحموي في التجريد: أن قيسًا كان خير أباه بين أمور ثلاثة، فقال، وما هي؟
قال: تتزوج أنت فلعل الله أن يرزقك ولدًا غيري.
قال: ما في فضل لذلك.
قال دعني أرحل عنك بأهلي، وأصنع ما كنت صانعًا لو مت في علتي هذه.
قال: لا ولا هذه: قال: فأدع لبنى عندك وأرتحل عنك فلعلي أسلوها فإني ما أحب بعد أن تكون نفسي طيبة أنها في خيالي.
فقال: لا أرضى أو تطلقها، ثم حلف أن لا يكنه سقف.

(٣) في المخطوط بترتحل . والتصويب من تجريد الأغاني .

(٤) المدعي ما ليس فيه من نبل ومروءة وحسن رأي ونصيحة ودراية بالأمور وما إلى ذلك مما يدعي من التكلف بما ليس هو له بأهل.

وَدِدْتُ وَبَيْتِ اللهِ أَنِّي عَصَيْتُهُم ... وَحُمِّلْتُ فِي رِضْوَانِهَا كُلَّ مُوبِقِ[1]
كَأَنِّي أَرَى النَّاسَ الْمُحِبِّينَ بَعْدَهَا ... عُصَارَةَ مَاءِ الْحَنْظَلِ الْمُتَفَلِّقِ
فَتُنْكِرُ عَيْنِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْظَرٍ ... وَيَكْرَهُ سَمْعِي بَعْدَهَا كُلَّ مَنْطِقِ

وسقط غراب قريبًا منه فجعل ينعق مرارًا، فتطير به، وقال:

لَقَدْ نَادَى الغُرَابُ بِبَيْنِ لُبْنَى ... فَطَارَ القَلْبُ مِنْ حَذَرِ الغُرَابِ
وَقَالَ: غَدًا تَبَاعَدُ دَارُ لُبْنَى ... وَتَنْأَى[2] بَعْدَ وُدٍ واقْتِرَابِ
فَقُلْتُ: تَعِسْتَ وَيْحَكَ مِنْ غُرَابٍ ... وَكَانَ الدَّهْرَ سَعْيُكَ فِي تَبَابِ

فلما ارتحل بها أبوها تبعها مَلِيًا، ثم وقف ينظر إليهم يبكي حتى غابوا عن عينه كر راجعًا.

فلما رأى أثر خف بعيرها أكب عليه يقبله، ويقبل موضع مجلسها، وأثر قدمها. فليم على ذلك وعنف على تقبيله التراب[3].

---

(١) الشيء المُوبق. المهلك سواء مادي أو معنوي.

(٢) التنائي : البعد الشديد، وهنا بعد حقيقي ومعنوي غير أنه ليس بعد ما في قلبيهما، وإنما هو بعد مكان وفرقة محرقة مؤلمة حتى أن العين لا تراها، ثم إن أخبارها لن تأتي إليه سريعًا فهي مع هذا الفراق ليست قريبة فيتابع أخبارها أولاً بأول ولكن شطت بها الدار. فكيف بالأخبار؟!

(٣) انظر أخي إلى هذه الحالة النفسية المتردية إلى أبعد درجة من ألم وشدة الفراق، فأنا لا ألومه، ولكن ألوم من كان سببًا في التفريق بين الأحبة حينما لا يكون هناك سببٌ جوهريٌ يستدعي مثل هذا التفريق، ويكون صاحب القرار فيه هو الزوج نفسه، وأما مناقضة الرجل الذي جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: إن امرأتي لا ترد يد لامس فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**طلقها. قال: إني أحبها، فقال له: استمتع بها. وفي رواية قال: إني أخاف أن تتبعها نفسي**" حديث موضع ذكره ابن الجوزي وغير واحد من الأئمة في الأحاديث الموضوعة.
هكذا تكون التربية والنصيحة وكان من الممكن أن يصر على ما أمره به ولم يكن أمام السائل إلا الاستجابة إلا أنها النبوة التي لا تنطق عن الهوى، والرحمة المهداة، والرأفة بالمؤمنين، ومعرفة الطبيعة البشرية والنفس التي ركبها الله في البشر وجبلها على الحب والكره، فاللهم أضمنا رشدنا يا كريم في الأمور كلها.
وكذا تذكر لنا كتب السنن والسير عندما أعتقت السيدة عائشة بريرة واختارت فراق زوجها مُغيث ، وقد كان يسير خلفها يبكي في شوارع المدينة، فكلمها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: يا رسول الله أشيءٌ واجب؟ قال: "**لا إنما أشفعُ له**" .
وفي رواية : أتشفع أم تأمر؟ فقال: "**لا بل أشفع**"، فقالت: لا أتزوجه. أترى بعد ذلك رحمة ومودة وشفقة فإن لها مشاعر كما أن له مشاعر، فاللهم ألهمنا رشدنا يا كريم في الأمور كلها

فقال:

وَمَـــا أَحْبَبْـــتُ أَرْضَكُـــمُ وَلَكِـــنْ   أُقَبِّل أَثَر مَنْ وَطِيء التُّرَابَا
لَقَـــدْ لاقَيْـــتُ مِـــنْ كَلَفِـــي بِلُبْنَى   بَلاءً مَا أُسِيْغ[1] به الشَّرَابَا
[١١٧/أ] إِذَا نَادَى الْمُنَادِي[2] بِاسْمِ لُبْنَى   عَيِيتُ فَلاَ[3] أُطِيْقَ لَهُ جَوَابَا

ثم نظر إلى ربعها ودثوره فقال:

أَلا يَـــا رَبْعَ لُبْنَى مَـــا تَقُوْل   أَيَنْ لِي اليَـــوْمُ مَا فَعَل الحُلُولُ
فَلَـــوْ أَنْ الدِّيَـــارَ تُجِيبُ صَبًّا   لَرَدَّ جَوَابِيَ الرَّبْـــعُ الُمحِيـــلُ
وَلَوْ أَنِّي غَدَرْتُ بَكَتْ وَقَالَتْ[4]:   غَدَرْتَ وَمَـــاءُ مُقْلَتِهَا يَسِيْلُ
نَحَرْتُ النَّفسَ حِيْنَ سَمِعْتُ مِنْهَا   مَقَالتهَـــا وَذَاكَ لَهَـــا قَلِيـــلُ
شَفَيْتُ غَلَيْـــل نفْسِي مِنْ فِعَالٍ   وَلَمْ أَعْبُر بِـــلاَ عَقْـــلٍ أَجُولُ
كَـــأَنِّي وَالِـــهٌ لِفِـــرَاقِ لُبْنَـــى   يَهِيْمُ بِفَقْدِهَا واحدها عَجُولُ
أَلاَ يَا قَلْبُ وَيْحكَ كُنْ جَلِيْـــدًا   لَقَدْ رَحَلَتْ وَفَازَ بِهَا الدَّمِيْلُ
وَأَنَّـــكَ لاَ تُطِيْـــق رُجُوعِ لُبْنَى   إِذَا رَحَلَتْ وَإِنْ كَثُرَ العَوِيْلُ
وَكَمْ قَـــدْ عِشْت بِالتَّقْرِيْبِ مِنْهَا   وَلَكِـــنَّ الفِـــرَاقُ هُوَ السَّبِيْلُ
فَصَبْـــراً كُلُّ مُؤْتَلِفَيْـــنِ يَوْمًا   مَنَ الأَيَّـــامِ عَيْشُهُمَا يَزُوْلُ

فلما جن عليه الليل، وانفرد، أوى إلى مضجعه، فلم يتقار، وجعل يتململ فيه تململ السليم، ثم وثب حتى أتى موضع خبائها، فجعل يتمرغ فيه ويبكي وهو يقول:

بِتُّ وَالْهَمُّ يَـــا لُبْنَـــى ضَجِيْعِي   وَجَرَتْ مُذْ نَأَيْت عَنِّي دُمُوْعِي
وَتَنَفَّسْـــتُ إِذْ ذَكَـــرْتُكِ حَتَّى   زَالَتْ الْيَوْمَ عَنْ فُؤَادي ضُلُوْعِي
أَتَنَـــاسَاكِ كَي يُرِيْغَ[5] فُـــؤَادِي   ثُـــمَّ يَسْتَمِدُّ عِنْدَ ذَاكَ وُلُوعِي

=

وارزقنا حسن الختام آمين.

(١) في المخطوط: له. والتصويب من التجريد.

(٢) في التجريد: مناد.

(٣) في التجريد: فماً.

(٤) الشطر في التجريد على هذا النحو: ولو أني قدرت غداه قالت
ثم لم يذكر بالتجريد الأبيات الستة بعده ثم ذكر البيت الأخير.

(٥) يبعد أويميل حتى لا أصاب بخبل أو خلل أو جنون.

يَا لُبَيْنَي فَـدَتْكِ نَفْسِي وَأَهْلِي ... هَلْ لِدَهْرٍ مَضَى لَنَا مِنْ رُجُوعِ

ثم قال أيضًا: [١١٧/ب]

قَدْ قُلْتُ لِلْقَلْبِ لاَ لُبْنَاكَ فَاعْتَرِف ... فَضَّ اللُّبَانَةَ مَا قَضَيْت وَانْصَرِف

قَدْ كُنْتُ أَحْلِـفُ جَهْدًا لاَ أُفَارِقُهَا ... أُفٌّ لِكَثْرَة هَذَا القِيْلِ وَالحلف

حَتَّـى تَكَنَّفَنِي الـوَاشُوْنَ فَـاقْتَلَتْ ... لاَ تَأْمَنَنَّ أَبَدًا مِنْ غِشٍّ مُكْتَنِف

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَـدْ أَمْسَتْ مُجَاوِرة ... أَهْلَ العَقِيْقِ وَأَمْسَيْنَا عَلَى سَرِف

حَـيّ يَمَـانُوْنَ وَالْبَطحَـاء مَنْزِلنَـا ... هَذَا لعَمْرِكَ شَكْلٌ غَيْر مُؤْتَلِف

قال: فأرسلت إليه أمه بقينات تغنين عنده لبنى وتغنينه بجزعه وكثرة بكائه ويتعرضن لوصاله، فأتينه، ومازحنه، وغنين لبنى عنده، فلما أطلن، أقبل عليهن، وقال:

يَقرّ بِعَيْنِـي قُـرْبُهَـا وَيَزِيْـدني ... بِهَا عُجْبًا مِنْ كَانَ عِنْدي يَعِيْبُهَا

وَكَـمْ قَـائِلٍ قَدْ قَالَ تُبْ فَعَصَيْتَهُ ... وَتِلْكَ لَعمْرِي تَوْبَـة لاَ أَتُوبُهَا

فَيَا نَفْسِي صَبْرًا لَسْتُ وَاللهِ فَاعْلَمِي ... بَأَوْلِ نَفْسٍ غَـابَ عَنْهَا حَبِيْبُهَا

فلم ينصرفن وأخذن في الكلام الأول فسها عنهن ساعـة ، ثم نادى: يا لبنى. فقلن له: مالك؟

قال: خدرت رجلي.

ويقال: إن دعا الإنسان باسم أحب الناس إليه تسكن[1] رجله إذا خدرت، فناديتها لذلك، فقمن عنه.

أبيات من أولاعه: قال:

إذاَ خَـدرَت رِجْلِي تَذَكَّرْتُ مَنْ لَهَا ... فَنَادَيْتُ لُبْنَى باسْمِهَا وَدَعَوْتُ

دَعَوْتُ الَّذِي لَـوْ أَنْ نَفْسِي تُطِيْعنِي ... لَفَارَقتهَـا مِنْ حُبِّهَا فَقَضَيْتُ

---

(١) في المخطوط: تسكين، وهو تحريف، ومثل هذه الاعتقادات تسود في المجتمعات البدوية والأرياف المصرية وهي أبعد ما تكون من الواقع بل هي محض خرافات ، ولو كان قيس هذا كما يقولون رضيع الحسين بن علي ما قال أو ما يقول مثل هذا الكلام قط لما يعلم من الشرع إذا لا يجوز له أن يضرع إلى غير الله عز وجل في ذهاب ما به من هم أو غم أو مرض أو شدة.
ثم إن مثل هذه الأمور أسبابها عضوية طبية لا علاقة للدين ولا للاعتقاد فيها في شيء فهي أمور تخص الأعصاب والشرايين أو المجاري الدموية بجسم الإنسان، فاللهم ارزقنا حسن العمل وحسن الاعتقاد، وحسن الختام.

بَرَتْ نبْلَهَــا للصَّيْــدِ لُبْنَى عَشيَّة ... وَرَشَتْ بِأُخْرَى مثْلهَــا وَبريْتُ
فَلَمَّا رَمتنــي أقْصدَتْنــي بنَبْلهَـــا ... وَأَخْطَأْتُهَا بالسَّهْم حينَ رَميتُ
وَفارَقْـــتُ لُبْنَـــى حلــة فَكَأَنَّني ... قرنْتُ إِلَى العيُّوق ثُـــم هَويْتُ
[١١٨/أ] فَيَالَيْتَ أَنِّي متّ قَبْل فراقهَا ... وَهَلْ يَرْجعَنَّ قَــوْل القَضيَّة لَيْتُ
فوَّضْـــتُ لهَلكِي منْـــكَ نَفْسًا فإنَّني ... كَأَنَّك بي قَدْ يَا ذَرِيح قَضَيْتُ

ثم إنه مرض مرضًا شديدًا، فأرسل أبوه فتيات[١] الحي يعدنه مع طبيب، فلما اجتمعن عنده يحادثنه وأطلن سؤاله، فقال:

عِيْدَ قَيْسٌ منْ حُبّ لُبْنَى وَلُبْنَى ... دَاءُ قَيْسٍ وَالحُبُّ صَعْبٌ[٢] شَديْدُ
فَإذَا عَادَني العَوَائدُ يَــوْمًا ... قَالَتْ العَــيْنُ لاَ أرَى مَنْ أُرِيْدُ
لَيْتَ لُبْنَـــى تَعُودني ثُمَّ أقْضي ... إِنَّهَا لاَ تَعُــودُ فيْمَــنْ يَعُــوْدُ
وَيْحَ قَيْسٍ لَقَــدْ تَضَمَّنَ منْهَا ... دَاءَ خَبْــلٍ فَالْقَلْــبُ منْهُ عَميْدُ

فقال له الطبيب: منذ كم هذه العلة بك؟

ومنذ كم وجدت بهذه المرأة ما وجدت؟

فقال:

تَعَلَّق رُوحي رُوحَهَا قَبْل خَلْقنا ... وَمنْ بَعْــد مَا كُنَّا نطَافًا وَفي المَهْدِ
فَزَاد كَمَـــا زدْنَا وَأَصْبَحَ نَاميًا ... وَلَسْنَا إذَا مُتْنَـــا بمُنْفَصم العَقْــد
وَلَكنَّهُ بَاقٍ عَلَـــى كُلِّ حَادث ... وَزَائرُني[٣] في ظُلْمَة القَبْرِ وَاللحْد

فقال له: إنما يسليك عنها تذكر ما فيها من المساوئ والمعائب وما تعافه النفس فقال:

إذَا عبْتُهَـــا شَبَّهْتُهَـــا البَدْرَ طَالــعًا ... وَحَسْبُكَ منْ عَيْب لَهَا شَبَهُ البَدْرِ
لَقَـــدْ فضِّلْت لُبْنَى عَلَى النَّاسِ كَالَّذي ... عَلَى أَلْف شَهْرٍ فُضِّلَتْ لَيْلَةُ القَدْر
إذَا مَا مَشَتْ شبْرًا منَ الأَرْضِ أَرْجَفَتْ ... منْ البَهْرِ حَتَّى مَا تَزِيْدُ عَلَى شبْرِ[٤]

---

(١) في المخطوط فتيان . وهو تحريف لأن ما بعده من عبارات كلها مؤنثه.

(٢) في تجريد الأغاني: داء. وقوله عيد: أي زاروه أوعادوه لما به من مرض أو علة.

(٣) في تجريد الأغاني: وزائرنا.

(٤) لم يرد هذا البيت في التجريد.

لَهَــا كِفْــلٌ يَرْتَجُ مِنْهَــا إِذَا مَشَتْ ... وَمَتْنٌ كَغُصْنِ البَانِ مُضْطَمِرُ الخَصْرِ

[١١٨/ب] فدخل عليه أبوه وهو يخاطب الطبيب بهذه المخاطبة.

فأنبه[(١)] ولامه وقال: يا بني الله الله في نفسك، فإنك ميت إن دمت على هذا. فقال:

فَفِي عُرْوَةَ العُذْرِيِّ إِنْ مِتُّ أُسْوَةٌ ... وَعمرِ بن عَجْلانَ الَّذِي قَتَلَت هِنْدُ

فَبِي مِثْلُ مَــا مَاتَا بِهِ غَيْرَ أَنَّنِــي ... إِلَى أَجَلٍ لَــمْ يَأْتِنِي وَقْتُــهُ بَعْــدُ

هَلْ الحُــبُّ إِلاَّ عَبْرَةٌ بَعْدَ عَبْرَةٍ[(٢)] ... وَحَرٌّ عَلَــى الأَحْشَاءِ لَيْسَ لَهُ بَرْدُ

وَفَيْضُ دُمُــوعٍ تَسْتَهِــلُّ إِذَا بَدَا ... لَنَا عَلَمٌ مِنَ أَرْضِكُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْدُو

فلما طال على قيس ما به أشار قومه على أبيه بتزويجه لعله أن يسلو، فدعاه إلى ذلك، فأباه، وقال:

لَقَدْ خِفْتُ أَلاَّ تَقْنَعَ النَّفْسُ بَعْدَهَــا ... بِشَيءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مُقْنِعَا

وَأَزْجُرُ عَنْهَا النَّفْسَ إِنْ حِيلَ دُونَهَا ... وَتَأْبَى إِلَيْهَــا النَّفْسُ إِلاَّ تَطَلُّعَــا

فأشاروا عليه أن يسير في أحياء العرب فلعل عينه أن تقع على امرأة تعجبه فيتزوج بها.

فأقسم عليه أبوه، أن يفعل، فسار حتى نزل بحي من فزارة، فرأى جارية قد حسرت برقع خز عن وجهها، وهي كالبدر في ليلة تمه[(٣)].

---

(١) في المخطوط فإنه وهو تحريف. والتصويب من تجريد الأغاني .

(٢) في تجريد الأغاني: هل الحب إلا زفرة بعد زفرة

وأشار محققاه إلى أنه في الأغاني كما هنا.

(٣) أي في ليلة تمامه ، وهي صورة مبالغة في الجمال في الماضي ، وما يزال القمر مضرب المثل في الجمال إلى الآن وسيظل بالرغم من الكشوفات العلمية التي أظهرت أنه عبارة عن جبال غير أن العين ترى فيه آية من آيات الله تعالى في الجمال الساحر، الأخاذ، وبما يضفي على الليل من بهاء في ليالي الصيف والشتاء، وكثيرون هم الذين لم يلحظوا بل لم يروا جمال القمر في العصر الذي نعيش فيه نظرًا لما استحدث من وسائل إضاءة الليل الصناعية فلا يعرفون للقمر قيمة ، ولا يرون فيه جمالاً، وهم معذورون ، ومعذورون حقًا فليس الخبر كالعيان، ولو أن أحدهم ذهب إلى ريف لا إضاءة صناعية فيه في ليلة مقمرة صافية في ليلة من ليالي الربيع أو الصيف لأخذه سحره وسلب عقله جماله ولعرف لماذا تغنى به الشعراء، ولندم على ما سلف منه من العمر و لم يتمتع بهذا الجمال الكوني الرباني البديع الصنع ولعلم أن معيشته بين ما يبهره من الأنوار الصناعية كانت مجرد خداع، لعرف أن ليلة واحدة يقضيها مع ميولاته في السماء وانعكاسات ضوئه على النخيل

فقال لها: ما اسمك؟ قالت: لبنى.

فسقط على وجهه مغشيًا عليه، فنضحت على وجهه ماءً، وارتاعت لما عراه، ثم قالت: إن لم يكن هذا قيس بن ذريح إنه لمجنون.

فلما أفاق نسبته، فانتسب.

فقالت: قد علمت أنك إياه، فنشدتك الله تعالى، وحق لبنى إلا أصبت من طعامنا.

وقدمت إليه طعامًا ، فأصاب منه [بإصبعه[1]] وركب وأتى على أثره أخ لها كان غائبًا، فرأى مناخ ناقته، فسألهم عنه، فأخبروه، فركب حتى رده إلى منزله، وحلف ليقيمن عنده شهرًا.

فقال: لقد شققت عليّ، فأقام عنده شهرًا، والفزاري [١١٩/أ] يزداد إعجابًا بحديثه وعقله وروايته. فعرض عليه الصهر.

فقال: يا أخي إن فيك لرغبة، ولكن في شغل لا ينتفع بي معه.

فلم يزل يعاوده ، والحي يلومونه على عرضه الصهر، يقولون لقد خشينا أن يصير علينا فعلك سبَّة[2].

فقال: دعوني، ففي مثل هذا الفتى يرغب الكرام. فلم يزل به حتى أجابه، وعقد الصهر بينه وبينه على أخته المسماه لبنى.

فلما دخل بها لم يهتز بها، ولادنا منها ولا خاطبها بحرف.

فأقام على ذلك أيامًا كثيرة، ثم أعلمهم أنه يريد الخروج.

فأذنوا له فمضى إلى المدينة، وكان له صديق فأعلمه أن خبر تزويجه بلغ لبنى، فغمها، وقالت: إنه لغرار ولقد كنت أمتنع من الإجابة الى التزويج، فأنا الآن أجيبهم.

وكان أبوها شكى قيسًا[3] إلى معاوية، وأعلمه بتعرضه لها، وأمر أباها أن يزوجها لخالد بن حلزة، من بني عبد الله بن غطفان.

=

والأشجار والمنازل ليلاً لا يضاهيها جمال رآه في حياته، وساعتها لا يملك إلا أن يقول: سبحان الله، وما أجمل صنع الله وأبدعه وأتقنه وأتممه وأبهاه.

(١) زيادة من التجريد.

(٢) في المخطوط: سنة، والتصويب من تجريد الأغاني.

(٣) في المخطوط شكى بنا وهو تحريف، والتصويب من تجريد الأغاني.

ويقال: بل أمره بتزويجها رجلاً من آل كثير بن الصلت الكندي حليف قريش فزوجها أبوها منه فجعل نساء الحي ليلة زفافها يقلن:

لُبَيْنَى زَوْجَهَا أَصْبَحَ — لاَ حُــرٌّ بِــوَادِيْه
لَهُ فَضْلٌ عَلَى النَّاسِ — بِمَا بَاتَتْ تُنَاجِيْه[١]
وَقَيْسٌ مَيِّــتٌ حَقًّا — صَرِيْعٌ فِي بَوَاكِيْه
فَــلاَ يُبْعِــدْهُ اللهُ — وَبُعْــدًا لِنَــوَاعِيْه

فلما سمع ذلك قيس جزع جزعًا شديدًا، وبكى أشد بكاء، ثم ركب من فوره حتى أتى محلة قومها، فناداه النساء: ما تصنع الآن هنا، وقد نقلت لبنى إلى [١١٩/ب] زوجها؟!

فلم يجبهم حتى أتى موضع خبائها، فتمعك[٢] في موضعها على التراب بخده وهو يبكي ويقول:

إِلَى اللهِ أَشْكُو فَقْدَ لُبْنَى كَمَا شَكَى — إِلَى اللهِ فَقْدَ[٣] الوَالِدَيْنِ يَتِيْمُ
يَتِيْمٌ جَفَــاهُ الأَقْــرَبُونَ فَجِسْمُــهُ — نَحِيْلٌ وَعَهْدُ الوَالِدَيْنِ قَدِيْمُ

ولما بلغه إهدار دمه قال:

فَإِنْ يَحْجُبُوهَا أَوْيَحُلْ دُوْنَ وَصْلِهَــا — مَقَالَــةُ وَاشٍ أَوْ وَعِيْــدُ أَمِيْــرِ
فَلَنْ يَمْنَعُــوا عَيْنِي مِنْ دَائِــمِ البُكَا — وَلَنْ يُذْهِبُوا مَا قَدْ أَجَنَّ ضَمِيْرِي
إِلَى اللهِ أَشْكُــو مَا أُلاَقِي مِنَ الهَوَى — وَمِنْ كَرْبٍ[٤] يَعْتَــادُنِي وَزَفِيْــرِ
وَمِنْ حَرَقٍ لِلْحُبِّ فِي بَاطِنِ الحَشَى — وَلَيْلٍ طَــوِيْلِ الحُزْنِ غَيْــرِ قَصِيْرِ
سَأَبْكِــي عَلَى نَفْســي بِعَيْنٍ غَزِيْرَةٍ — بُكَــاءَ حَــزِيْنٍ فِي الوَثَاقِ أَسِيْرِ
وَكُنَّا جَمِيْعًا قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ النَّوَى[٥] — بِأَنْعَمِ حَالٍ[٦] غِبْطَــةٍ وَسُرُوْرِ

---

(١) الشطر الثاني في المخطوط على النحو التالي: ما بانت بناحيه
وقد أصابه تحريف والتصويب من تجريد الأغاني.
(٢) أي تمرغ فيه، أو تململ فيه.
(٣) في المخطوط: بعد. وهو تحريف، والتصويب من تجريد الأغاني.
(٤) في تجريد الأغاني: شجن، وأشار محققو الأغاني أنه في أصول الأغاني حرق، وأرى أن ما هنا هو أقرب الألفاظ إلى المعنى المراد، والمناسب للحال.
(٥) في تجريد الأغاني: الهوى.
(٦) في تجريد الأغاني: حالي.

فَمَـا بَرِحَ الوَاشُوْنَ حَتَّى بَدَتْ لَنَا   بُطُونُ الهَوَى مَقْلُوبَـةً لِـظُهُـوْرِ[1]
لَقَدْ كُنْت حِسْبَ النَّفْس لَوْ دَامَ وَصْلُنَا   وَلَكِنَّمَـا الدُّنْيَـا مَتَـاعُ غُـرُوْرِ

وقال في ذلك أيضًا:

وَإِنْ يَكُ لُبْنَى قَـدْ أَتَى دُوْن قُرْبِهَا   حِجَـابٌ مَنِيعٌ مَـا إِلَيْه سَبِيْـلُ
فإِنَّ نَسِيْـمَ الجَـو يَجْمَـعُ بَيْنَنَا   وَنُبْصِرُ قَرْنَ الشَّمْس حِيْنَ تَـزُوْلُ
وَأَرْوَاحنَـا بِاللَّيْلِ فِي الحَيْنِ تَلْتَقِي   وَنَعْلَـمُ أَنَّـا بِالنَّهَـارِ نَقِيْـلُ
وَتَجْمَعنَـا الأَرْضُ القَرَارُ وَفَوْقَهَا   سَمَاءٌ نرى فِيْهَا النُّجُـوْم تَجُوْلُ
إِلَى أَنْ يَعُوْدُ الدَّهْر سَلْمًا وَتَنْقَضِي   تِرَاتٌ تَـرَاهَا عِنْـدَنَا وَذُحُوْلُ[2]

قال: وحجت لبنى في تلك السنة، فرآها ومعها امرأة من قومها فدهش [١٢٠/أ] وبقي واقفا مكانه، ومضت لسبيلها، ثم أرسلت إليه المرأة تبلغه السلام، وتسأله عن خبره.

فأمرها أن تبلغها السلام، وتقول لها:

إذا طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَـارِ فَسَلِّمي   فَآيَـةُ تَسلِيمْي عَلَيْـك طُلُوعُهَـا
بعَشْرِ تَحيَّات إِذَا الشَّمْسُ أَشْرَقَتْ   وَعَشْرٍ إذَا اصْفَرَّتْ وَحَانَ رُجُوعُهَا
وَلَوْ أَبْلَغَتْهَـا جَارَةٌ قَوْلِي اسْلِمي   طَوَتْ حُزْنًا وَأَرْفَضُ مِنهَا دُمُوعُهَا[3]

---

(١) في المخطوط: بطهور، والتصويب من تجريد الأغاني.

(٢) يا لها من صور شعرية وتصبرية رقيقة وجميلة أطلقها الشاعر هنا يجمع فيها بينه وبين خله في مشتركات الحياة تجعله يجتمع مع خليله في آن ومكان واحد مع بعد المكان وتفرق الأبدان واستحال الإمكان غير أنه جعل خليله جليسه وأنيسه وسميره وشريكه إلى أن يجود الله عليه بجمع الشمل وذهاب الهم والغم وإبداله بالفرح والسرور.

وكم هو جميل أن ننظر إلى الحياة في حالة المحنة بهذه الروح المتفائلة الآملة، ولقد مرت بي كروب كنت في أشدها أضحك وأُضحك من معي، وأقول لهم لا تبالوا ستكون كلها ذكريات نضحك منها عندما نذكرها، وسبحان الله قد صارت ذكرى وها أنا أتكلم عنها الآن وأنا في سعة من الله تعالى، ويعلم الله أنني كلما رأيت إنسانًا بعينه يقول لي أتذكر حين كنت تقول في محنة كذا ستكون ذكريات وتضحك ونحن نضحك منك ونقول إنك متفائل وتدخل علينا السرور فقط، وأنت مصر على أنها لابد أن تكون ذكرى مضحكه وستضحكون حين تذكرونها، فسبحان الله ها نحن نضحك حين نذكرها، ويقول من بعدها كلما مرت بي محنة تذكرت قولك هذا فتدخلني سكينة وأطمئن إلى اقتراب فرج الله وسرعان ما يأتي هذا الفرج ومن حيث لا أحتسب. هيه قد أخذني قول الشاعر إلى حديث ذي شجون.

(٣) جاء بعده في التجريد متمم للمراد رأيت ذكره، وهو قوله:

=

ولما قضي الحج مرض قيس في طريقه مرضًا أشفى منه، فلم يأته رسولها عائدًا لأن قومها رأوه، وعلموا أنه قيس، فقال:

أَلُبْنَى لَقَدْ جَلَّتْ عَلَيْكِ مُصِيبَتِي [غَدَاةَ[1]] غَدٍ إِذْ[2] حَلَّ مَا أَتَوَقَّعُ
تُمَنِّيْنَنِي نَيْلاً وَتَلْوِيْنَنِي بِهِ فَنَفْسِي شَوْقًا كُلَّ يَوْمٍ تَقَطَّعُ
أَلُومُكِ فِي شَأْنِي وَأَنْتِ مُلِيمَةٌ لَعَمْرِي وَأَجْفَى لِلْمُحِبِّ وَأَقْطَعُ[3]
أُخَبِّرْتِ أَن فِيْكِ مِتُّ بِحَسْرَتِي فَمَا فَاضَ مِنْ عَيْنَيْكِ لِلْوَجْدِ مَدْمَعُ[4]
إِذَا أَنْتِ لَمْ تَبْكِ عَلَيَّ جَنَازَةً لَدَيْكِ فَلاَ تَبْكِي غَدًا حِيْنَ أُرْفَعُ

فلما بلغتها الأبيات جزعت وبكت بكاءً شديدًا، ثم خرجت إليه ليلاً على موعد فاعتذرت، وقالت: إنما أبقي عليك وأخشى أن تقتل فأنا أتحافاك [لذلك[5]]، ولولا ذلك لما افترقنا.

وقال خالد بن كلثوم: إن أهلها لما قالوا لها: إنه عليل لما به وإنه سيموت فقالت لتدفعهم عن نفسها: ما أراه إلا كاذبًا فيما يدعي ومتعاللاً[6] لا عليلاً. فلما بلغه ذلك، قال:

تُكَذِّبُنِي بِالْوُدِّ لُبْنَى وَلَيْتَهَا تُكَلَّفُ مِنِّي مِثْلَهُ فَتَذُوقُ[7]
وَلَوْ تَعْلَمِيْنَ أَيْقَنْتِ أَنَّنِي لَكُمْ وَالْهَدَايَا الْمُشْعَرَاتِ[8] صَدِيقُ

=

وبان الذي تخفى من الوجد في الحشى إذا جاءها عني حديث يروعها

(١) زيادة من تجريد الأغاني.
(٢) في المخطوط: إن. وهو تحريف، والتصويب من الأغاني.
(٣) لم يرد هذا البيت في تجريد الأغاني.
(٤) في تجريد الأغاني بين هذا البيت والذي بعده ثلاثة أبيات لم تذكر هنا .
(٥) زيادة من التجريد لتوضيح المعنى أكثر.
(٦) أي متمارضًا لا مريضًا أي يظهر أو يدعي أنه مريض أو عليل وما به من علة ولا مرض، لتظهر لهم أنها لا تعبأ به وليس بينها وبينه مودة ولا حب وأنه ليس في قلبها تجاهه ما في قلبه تجاهها، ولكن قديمًا قالوا:
الصب تفضحه عيونه.
(٧) قبل هذا في التجريد بيت يقول فيه:
تَكَادُ بِلاَدُ اللهِ يَا أُمَّ مَعْمَرٍ بِمَا رَحُبَتْ يَوْمًا عَلَيَّ تَضِيقُ
(٨) يريد الهدى المعلمة أنها مساقة إلى مكة من الحجيج.

[١٢٠/ب] تَتُوقُ إِلَيْكَ النَّفْسُ ثُمَّ أَرُدُّهَا ... حَيَاءً وَمِثْلِي بِالْحَيَاءِ حَقِيقُ
أَذُودُ سَوَامَ النَّفس(١) عَنْكَ وَمَالَهُ ... عَلَى أَحَدٍ إِلاَّ عَلَيْكَ طَرِيقُ
شَهِدْتُ عَلَى نَفْسِي بِأَنَّكِ غَادَةٌ ... رَدَاحٌ وَأَنَّ الوَجْهَ مِنْكِ عَتِيقُ(٢)
وَأَنَّكِ لاَ تَجْزِيْنَنِي بِصَحَابَةٍ ... وَلاَ أَنَا بِالْهِجْرَانِ مِنْكِ مُطِيْقُ
وَأَنَّكِ قَسَّمْتِ الفُؤَادَ فَنِصْفُهُ ... رَهِيْنٌ وَنِصْفٌ فِي الحِبَالِ وَثِيقُ
كَأَنَّ الهَوَى بَيْنَ الحَيَازِيمِ وَالحَشَى ... وَبَيْنَ التَّرَاقِي وَاللَّهَاةِ حَرِيْقُ
فَإِنْ(٣) كُنْتِ لَمَّا تَعْلَمِي العِلْمَ فَاسْأَلِي(٤) ... وَبَعْضٌ لِبَعْضٍ فِي الفَعَالِ يَفُوقُ
سَلِي هَلْ قَلاَنِي مِنْ خَلِيْلٍ(٥) صَحِبْتُهُ ... وَهَلْ ذَمَّ رَحْلِي فِي الرِّفَاقِ رَفِيْقُ
وَهَلْ يَجْتَوِي القَوْمُ الكِرَامُ صَحَابَتِي ... إِذَا اغْبَرَّ مَخْشِيُّ الفِجَاجِ عَمِيْقُ(٦)
وَأَكْتُمُ أَسْرَارَ الهَوَى فَأُمِيْتُهَا ... إِذَا بَاحَ مَزَّاحٌ بِهِنَّ يَرُوْقُ(٧)
هَلِ الصَّبْرُ إِلاَّ أَنْ أَصُدَّ فَلاَ أَرَى ... بِأَرْضِكِ إِلاَّ أَنْ يَكُونَ طَرِيْقُ

قال : ثم أتى أهله ، فاقتطع قطعة من إبله ، وأعلم أباه أنه يريد المدينة بها ليبيعها.

فعرف أبوه مقصده(٨) فعاتبه وزجره، فلم يقبل منه.

فلما قدم المدينة ساومه زوج لبنى بناقة منها ، وهما لا يتعارفان ، فباعه إياها.

فقال له: إذا كان في غدٍ، فأتني في دار كثير بن الصلت، فاقبض الثمن.

قال: نعم.

---

(١) في التجريد: الطرف.

(٢) بين هذا البيت والذي قبله في التجريد سبعة أبيات لم يذكرها المؤلف هنا.
والمرأة الرداح هي الثقيلة الأوراك أو الممتلئة الوركين، والعتيقة يراد بها هنا الجميلة الحسنة التقسيم في الوجه أو الصبيحة الوجه الوضيئة.

(٣) في التجريد: وإن.

(٤) في التجريد: فاعلمي.

(٥) في التجريد: عشير.

(٦) في هذه الأبيات يزكي لها نفسه مستشهدًا بأهله وعشرائه ورفاقه ليدلل لها على حسن سيرته وسريرته ونبله ونجدته وشجاعته، وحميد أخلاقه وطباعه.

(٧) جاء بدل هذا البيت في التجريد بيت آخر هو:
سعى الدهر والواشون بيني وبينها ... فقطع حبل الوصل وهو وثيق

(٨) أي عرف أنه إنما أراد أن يرى لبنى فعاب عليه ذلك ولامه، وحذره من هذا الفعل فلم يعبأ به.

ومضى زوج لبنى إليها، فقال: إني ابتعت ناقة من رجل بدوي، وهو يأتينا غدًا، ليقبض الثمن، فأعدي له طعامًا.

ففعلت، فلما كان من الغد، جاء قيس فصوت[1] بالخادم فعرفت لبنى نغمته[2] فلم تقل شيئًا.

فأذن له الزوج، فلما جلس، قالت لبنى للخادم: قولي له: يا فتى مالي أراك أشعث أغبر؟

فلما قالت له ذلك [١٢١/أ] تنفس ثم قال: هكذا يكون حال من فارق الأحبة وبكى.

فقالت: قولي له: حدثنا حديثك.

فلما ابتدأ يحدثهم كشفت لبنى الحجاب، وقالت: حسبك قد عرفنا حديثك وأسبلت الحجاب. فبهت ساعة لا يتكلم، ثم انفجر باكيًا ونهض، فخرج فناداه زوجها: ويحك ما قضَّيتك؟

ارجع فاقبض ثمن ناقتك، وإن شئت زدناك، فلم يكلمه، ومضى.

فقالت لبنى لزوجها: ويحك هذا قيس بن ذريح، فما حملك على ما فعلت به؟ قال: ما عرفته.

وذهب قيس لوجهه، وهو يقول:

أَتَبْكِي عَلَى لُبْنَى وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا ... وَكُنْت عَلَيْهَا بِالْمَلا أَنْتَ أَقْدَرُ

فَإِنْ تَكُنِ الدُّنْيَا بِلُبْنَى تَقَلَّبَتْ[3] ... فَلِلدَّهْرِ وَالدُّنْيَا بطُونٌ وَأَظْهُرُ[4]

---

(١) أي: نادى على الجارية بصوت جهوري عالٍ حتى تسمع نداءه لتبلغ سيدها أو من بالدار بقدومه.

(٢) أي نبرت صوته.

والقصة التي يرويها هنا يشم منها رائحة أن زوج لبنى كان يعرفه على الأرجح، ولكن قيس كان لا يعرفه وأراد أن يعرف قصده أو يعرف مدى تعلق لبنى به أو شيء في نفسه أراد أن يتبينه.

وإن كنت أستبعد مثل هذه الحكاية والتي ستأتي بعد قليل والتي تذكر أنه كان يعرفه و لم يبين له ذلك، والسبب عندي أن العرب كانوا يعرفون بعضهم وإن شطت ديارهم، فكيف بمن يربط بينهما برباط هذا نوعه؟

(٣) في تجريد الأغاني: تفرقت.

(٤) بعده في التجريد بيتان هما:

=

كَأَنِّي فِي أَرْجُوحَــةٍ بِيْنَ أَحْبُلٍ إِذَا ذُكْرَةٌ مِنْهَا عَلَى القَلْبِ يَخْطُرُ

ودست إليه رسولاً، وعنفته على تزوجه، حتى أجابت هي إلى التزويج.

فحلف أن عينه ما اكتحلت بالمرأة التي تزوجها، وأنه لو رآها في نسوة ما عرفها، وأنه ما مد يده إليها ولا كلمها ولا كشف لها عن ثوب.

قال المدائني : فلما اشتهر أمر لبنى، وغنى في شعر قيس الغريض، ومعبد، ومالك بن أبي السمح، وغيرهم.

فلم يبق شريف، ولا وضيع إلا حزن لقيس بما به.

وجاء زوج لبنى، فأنبها على ذلك وعاتبها.

فغضبت وقالت: إني والله ما تزوجتك رغبة فيك، ولا فيما عندك، ولا أدلس[1] أمري عليك، وقد علمت بحالنا، ووالله ما قبلت التزويج حتى أهدر دمه، فخشيت أن يحمله ما يجد على المخاطرة فيقتل وأمرك الآن إليك، ففارقني فلا حاجة لي بك.

قال: فأمسك عن جوابها، وجعل يأتيها بجواري المدينة يغنينها [١٢١/ب] بشعر قيس يستصلحها بذلك فلم تزدد منه إلا بعدًا، ثم ارتحل قيس إلى معاوية، فامتدحه.

فرق له وقال: سل حاجتك إن شئت أن أكتبها إلى زوجها فيطلقها، فعلت.

قال: لا، ولكن أحب أن أقيم بحيث يقيم من البلاد [حيث[2]] أعرف أخبارها من غير إهدار دمي ففعل، ونزل بلدها فبلغ الفزاريين خبره، فعاتبوه.

فقال لرسولهم: قل لأخيها يا أخي ما غررتك بنفسي، وقد جعلت أمر أختك إليك

=

لقد كان فيها للأمانة موضع وللكف مرتاد وللعين منظــر

وللحائم العطشان ري بريقها وللمرح المختال خمرةٌ ومسكر

(١) أي : ولا أخفي عليك أو أخدعك أو أعمي عليك أو أظهر لك غير ما أضمر.

فهي في هذا الموقف كانت أكثر صراحة من بعض مواقفها السابقة، ومثل هذه الصراحة وإن كانت مريرة جدًا في بعض الأحيان على بعض الأزواج إلا أنها محمودة جدًا حتى تكون الحياة صافية لا كدر فيها يجلب المخاطر الجسام من مثل الحوادث التي كثيرًا ما نسمع عنها من اتخاذ الأخدان وما يصل في كثير من الأحيان إلى قتل الأزواج على أيدي الزوجات أو الزوجات بالاشتراك مع عشاقهن وتفاديًا لمثل هذه المخاطر حفز الإسلام الطرفين على التَّراضي في المفارقة بأن ترد عليه ما أخذت منه ويذهب كل منهما إلى حال سبيله فيغني الله كلا من سعته ويرزق كلاً من فضله.

(٢) ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

فامض فيه حكمك ما رأيت.

فتكرم الفتى من أن يفرق بينهما، فمكثت في حباله مدة ثم ماتت.

وقال أبو الفرج : وقد اختلف في أمر قيس ، ولبنى، فذكر أكثر الرواة أنهما ماتا على افتراقهما.

فمنهم من قال: إنه مات قبلها، وبلغها ذلك فماتت أسفًا عليه.

وممن ذكر غير ذلك علي بن صالح قال: قال أبو عمرو المديني: ماتت لبنى فجزع قيس، ثم أتى قبرها في جماعة من أهله، فوقف عليه، فقال:

مَاتَتْ لُبْنَى فَمَوْتُهَا مَوْتِي هَلْ تَنْفَعَنَّ حَسْرَتِي عَلَى الفَوْت
فَسَوْفَ أَبْكِي بُكَاءَ مُكْتَئِبٍ قَضَى الحَيَاةَ وَجْدًا عَلَى مَيْتِ[1]

ثم أكب على قبرها يبكي حتى أغمي عليه، فرفعه أهله إلى منزله، وهو لا يعقل، فلم يزل عليلاً لا يفيق ولا يجيب مكلمًا ثلاثًا، ثم مات فدفن إلى جنبها.

ذكره الفخدمي، وابن عائشة، وخالد بن أبي عتيق، [فقالوا[2]] صار إلى: الحسن، والحسين، وعبد الله بن جعفر، وجماعة من قريش رضي الله عنهم، فقال: إن لي حاجة إلى رجل [أخشى أن يردني[3]] وأنا أستعين بجاهكم وأموالكم عليه؟

قالوا: ذلك لك.

قال: فمضى بهم إلى زوج لبنى، فلما رآهم أعظمهم وأكبر مجيئهم إليه وقالوا: قد جئناك في حاجة لابن أبي عتيق.

[١٢٢/أ] فقال: هي مقضية. [قالوا[4]] كائنة ما كانت؟

---

(١) زيادة يتطلبها السياق ليتضح المعنى.

(٢) ذكرهما ابن الحموي في التجريد ولكن ليس على ترتيب السرد هنا، ثم قال بعد أن ذكر التعليق الذي بعدها:
وهذه الرواية لا تنفي أنما رجعت إليه، فإن من الجائز أنما توفيت وجرى ذلك وهي في حباله.
وذكر بعضهم: أنه توفي أولاً، وبلغها ذلك فماتت أسفًا عليه. والله أعلم أي ذلك كان.

(٣) الزيادة من تجريد الأغاني.

(٤) زيادة يتطلها السياق، والسياق في تجريد الأغاني على النحو التالي:
فقالوا: قد جئناك بأجمعنا في حاجة لابن أبي عتيق.
فقال: هي مقضية كائنة ما كانت.
قال ابن أبي عتيق: قد قضيتها كائنة ما كانت من أهل أو ملك أو مال؟
=

قال: نعم. قال: تهب لي ولهم لبنى، وتطلقها.

قال: فطلقها ثلاثًا.

فاستحيا القوم واعتذروا، وقالوا: والله ما عرفنا حاجته ولو عرفناها ما سألناك إياها.

فعوضه الحسن من ذلك مائة ألف درهم، فلما انقضت عدتها، تزوجها، ولم تزل معه حتى ماتا.

وقال قيس يمدح ابن أبي عتيق:

جَزَى الرَّحْمَنُ أَفْضَلَ مَا يُجَازِي … عَلَى الإِحْسَانِ خَيْرًا مِنْ صَدِيْقِ
فَقَدْ جَرَّبْتُ إِخْوَانِي جَمِيْعًا … فَمَا أَلْفَيْتُ كَابْنِ أَبِي عَتِيْقِ
سَعَى فِي جَمْعِ شَمْلِي بَعْدَ صَدْعٍ … وَرَأْيٍ جُرْتُ فِيْهِ عَنِ طَرِيْقِي
وَأَطْفَأَ لَوْعَةً كَانَتْ بِقَلْبِي … أَغَصَّتْنِي حَرَارَتُهَا بِرِيقِي

فلما بلغت ابن أبي عتيق، قال: يا حبيبي أمسك عن هذا المديح فما سمعه أحد إلا ظنني قوادًا[1].

وفي كتاب ابن المزربان: أن زوج لبنى اشترى منه ناقة، ولم يعرفه قيس، فلما عرفه أخذها وانطلق.

وقال: والله لا تركت لك مطيتين أبدًا.

فقال: أنت قيس بن ذريح؟ قال: نعم. قال: أقم حتى أخبر لبنى، فإن اختارتك طلقتها. فظن أنها تحبه، فلمّا خيرها اختارت قيسًا فطلقها.

وأقام قيس ينتظر انقضاء العدة ليتزوجها فمات قبل انقضاء عدتها. وفي كتاب المحنة: فماتت هي قبل انقضاء العدة[2].

=

قال: نعم. قال: تهب لهم ولي لبنى زوجتك وتطلقها.

(١) وقال الأستاذ عمر رضا كحالة في كتابه أعلام النساء (٤/٢٧٦: ٢٨٧) عقب ذكره لهذا الشعر وتعليق ابن أبي عتيق عليه:
وقال ابن شاكر الكتبي: إنهما توفيا في حدود السبعين من الهجرة.

(٢) وفي مصارع العشاق قصص أخرى لم ترد هنا في خبر قيس بن ذريح ولبنى.

بـــاب الكـــاف

١٢٢- شهيـــد

[ابن معاوية وسلمى]

ذكر الهجري أبو علي هارون بن زكريا في أماليه:

[أن[١]] كاهلاً لما عزى ابن معاوية صاحب سلمى، وأنه مات بعد عمرو بن المسلم[٢] وجدًا بسلمى، وفيها يقول أنشدنيه الأزرقي:

وَما ثَغَب[٣] بِأَبْطَحٍ بَيْنَ خَلْقٍ قَدْ أَفْرَط بَيْنَ سَـــارِيه مَرارًا
بِأَطْيَب نَشْرَةٍ مِنْ رِيْقِ سَلْمَـــى وَقَدْ طَرَحَ الكَرَى عَنْهَا الخِمَارَا

[١٢٢/ب] وقال:

إِذَا عَرَضَ الحَدِيْثُ بِذِكْرِ سَلْمَى عَلَى طُوْلِ التَّحِيْبِ قُلْتُ وَاهَا
أَرَاكَ اللهَ وَالـــيَ أُمَّ سَلْمَـــى حِيَاضَ مُحَمَّد دَعْنِي أَرَاهَـــا
فَـــإِنَّ اللهَ عَذَّبَنِـــي بِسَلْمَـــى دَخَلْنَا النَّارَ يَلْفَحُنَـــا لَظَاهَـــا
فَلَسْتُ بِوَاجِـــدٍ لِلنَّـــارِ مَسًّـــا إِذَا سَلْمَى هَدفَتْ إِلَى ذُرَاهَـــا
وإِن اللهَ أَكْـــرَمَنِي بِسَلْمَـــى دَخَلْنَـــا جَنَّـــة خضْلاً نَدَاهَا
فَكُل خَرِيْدَةٍ[٤] عَرَضَتْ بِوَصْلٍ سِوَى سَلْمَى مُضَـــرَّبَة قُرَاهَا

---

(١) ما بين المعقوفين يتطلبه السياق.

(٢) عمرو بن مسلم هذا هو صاحب مي ، والتي كان متزوجًا منها وكان يحبها حبًا جمًا، وكانت تبغضه أكثر مما كان يحبها.
وسيأتي ذكرها في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.

(٣) قال صاحب اللسان في مادة ثغب: الثغبُ والثُغبُ، والفتح أكثر: ما بقى من الماء في بطن الوادي.
وقيل: هو بقية الماء العذب في الأرض.
وقيل : هو أخدود تحتفره المسائل من عل، فإذا انحطت حفرت أمثال القبور والديار، فيمضي السيل عنها ويغادر، فليس شيء أصفى منه ولا أبرد، فسمى الماء بذلك المكان.
وقيل: الثغب الغدير يكون في ظل جبل لا تصيبه الشمس، فيبرد ماؤه، والجمع ثغبان وثِغبان، مثل شبث وشبشان، وثُغبان، مثل حمل وحملان.

(٤) يريد فكل بكر حيية عرضت عليه سوى سلمى لا يرغب فيها ولا ينظر إليها.
ويقول ابن منظور في لسان العرب في مادة: خرد:
الخَرِيْدَةُ، والخَرِيْدُ وَالخَرُودُ من النساء: البكر التي لم تمسس قط.
وقيل الحيية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخضرة المتسترة قد جاوزت الإعصار و لم تعنس... =

وقال:

لَقَدْ أَجَبْتكُم يَا أُمّ سَلْمَى ... لَوْ أَنْ الحُبّ أبْدلَ مَنْك لِيْنَا
وَطَالَ تَمَسُّكِي بِالْحَبْلِ منكم ... وَقَدْ أَبْصَرْته خَلِقًـا مُبِيْنَا

وقال:

لَقَـدْ عَلقَتْ نَفْسي بِسَلْمَى وَلِيْـدَة ... وَلاَ حُلِّيَتْ طَوْقًا وَمَا أُلْبسَتَ عقْدَا
وَلِيـْدًا مَنْ الوِلْـدَانَ وَهِيِ وَلَيْـدَة ... مُسرَّات حُبًّا لاَ ذَمِيْمًا وَلاَ وَغْـدَا
وَلَـمْ يَمْشِ فِيْمَـا بَيْنَنَا ذو نَمِيْمَة ... وَلاَ يَتَلَوَّن عَيْشَنَا جَـددًا وبْـدا
إِلَى أَنْ عَلاَنَا الشَّيْبُ لَمْ يَدْر كَاشِح ... بِمَـا بَيْنَنَـا يَزْدَادُ مَـا بَيْنَنَا جَدا

وقال وقد حج ليدعو باجتماعهما، من أبيات:

فَهَلْ يُبْرئكَ أنْ لاَ قَيْتَ سَلْمَى ... عَيَانًا بيْنَ زَمْزَم وَالحَطِيْم؟
فَقُلْتُ لَـهُ أيَـا حَزَني عَلَيْهَا ... وَلَوْ فَرَّقَ الصِّرَاطَ الُمسْتَقِيْم
فَاقْبضْ كُـلّ دَيْنٍ لِي عَلَيْهَا ... حَدِيْث عَنْدَه سَلْمَى قَدِيْم

١٢٣- شهيـد

[صائد الظباء، وليلى[(١)]]

[١٢٣/أ] ذكر النوقاني: أن عبد الملك سأل كثيرًا: هل رأى أحدًا أعشق منه؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، بينا أنا في معمع[(٢)] ليس به أنيس إذا أنا برجل قاعد وحده.

فقلت: إنسي أم جني؟ فقال: إنسي.

فقلت[(٣)]: ما يقعدك هنا؟

قال: نصبت شركًا للصيد.

فقلت: إن صدت شيئًا، أتطعمني منه؟

قال: إيهًا وإذًا ونعمة عين.

=

وصوت خريدٌ لين عليه أثر الحياء...

وكل عذراء خريدة، والخريدة: اللؤلؤة قبل ثقبها.

(١) ذكر القصة السراج في مصارع العشاق (٦٢/٢) تحت عنوان: أعشق من كثير عزة بنحو هده القصة.

(٢) المعمع من الأرض: هو المكان البعيد المترامي الأطراف قال ابن منظور في لسان العرب في مادة: المعمعاني: البعيد ما بين الطرفين يراوح ما بين جبهته وقدميه.

ومعمع القوم: ساروا في شدة الحر.

(٣) في المخطوط: فقال، وهو تحريف.

فما لبث أن خرج يعدو إلى شركه، فإذا فيه ظبية عظيمة، فاستخرجها من الشرك ثم جعل ينظر إلى عينيها ووجهها، ثم خلى سبيلها، وقال:

اذهَبِي فِي كَـلاءَةِ الرَّحمـن أَنْت منِّي فِي ذِمَّـة وَأَمَان[1]
لاَ تَخَافِيْنَ أنْ تُرَاعي بِسُوء[2] مَا تَغَنَّى الحَمَامُ فِي الأَغْصَان

فأقمنا يومًا فلما أصبحنا وجد فيه آخر كالأول فنظر إليه، ثم أطلقه، وقال:

أَيَا شِبْهَ لَيْلَى لاَ[3] تُرَاعي فَإِنَّني لَكَ اليَوْمَ مِنْ وَحشيَّة لصَديْق[4]
يَفِرُّ وَقَـدْ أَطْلَقْتُ عَنْهُ لحُبِّهَا فَأَنْتَ لِلَيْلَى مَا حَيِيْتُ طَلِيق[5]

فأقمت عنده يومين وليلتين، ثم أصبحنا وغدونا إلى الشرك، فإذا هو بظبية، فأخذها ونظر إليها، ثم جعل يقول، وقد خلى عنها:

تُذَكِّرُنِي لَيْلَي مِنَ الوَحْشِ ظَبْيَةٌ لَهَـا مقْلَتَاهَا وَالقـلادَةُ وَالحَشَـى
فَيَهْمِل دَمْـع العَيْن منِّي صَبَابَةً سَتَبْكِي عَلَيْكَ العَيْنُ بالدَّمْع مَا جَرَى

فقلت: مالك؟ أشكو إليك الجزع[6] منذ ثلاث كلما أخذت صيدًا خليته.

فنظر في وجهي مليًا، ثم قال:

أَتَلحي مُحبًّا هَائمًا أَنْ رَأَى لمَنْ يُحبّ شَبيْهَا فِي الحَبَائِلِ مُوثَقَا[7]
فَهَيَّجَ مِنْـهُ حَائِـل دُوْنَ ذَبْحه فَأَطْلَقَـهُ حِفْظَـا لِلَيْلَى وَأَعْتَقَا

---

(١) جاء بعده في المصارع بيت هذا نصه:

ترهبيني والجيد منك كليلي والحشا والبُغام والعنيان

(٢) الشطر الأول في المصارع على النحو التالي

لا تخافي بأن تُفاجي بسوء

(٣) في المصارع: لن.

(٤) في المصارع: من بين الوحوش صديق.

(٥) الشطر الأول من هذا البيت في المصارع على النحو التالي:

فديتك من أسر دهاك لحبها

وقد ذكر السراج في المصارع بيتين قبله لم يذكرا هنا هما:

ويا شبه ليلى لن تزالي بروضة عليك سحاب دائم وبروق
فما أنا إذ شبهتها ثم لم تؤب سليمًا عليها في الحياة شفيق

(٦) ربما: الجوع، وقد تحرفت الكلمة.

(٧) هذا البيت على النحو التالي في مصارع العشاق:

أتلحي محبا هائم القلب أن رأى شبيهًا لمن يهواه في الحبل موثقًا

وجاء بعده بيت آخر لم يذكر هنا وجاء بدلاً منه البيت الذي هنا، والبيت الثاني في المصارع هو:

فلما دنا منه تذكر شجوه وذكره من قد نأى فتشوقا

[١٢٣/ب] فانصرفت عنه وأنا أقول: ما رأيت كاليوم:

وفي رواية: فوالله العظيم إنا لفي ذلك إذ أقبل راكب.

قال كثير: فقال صاحبي: اللهم إني أسألك خير ما عنده.

فجاء حتى وقف فقال: تعزيا فلانا؟

قال: عن من؟ قال: عن ليلى.

فقام إلى بعيره، وقمت معه، فأقبلنا إلى الحي.

فقال: أرشدني إلى قبرها. قال: فأشار إليه.

فإذا هو قبر حديث عهد، فأكب عليه يقبله، ويلتزمه، ويستنشق ترابه، وهو يقول:

أَيَا قَبْرَ لَيْلَى لَوْ شَهِدْنَاكَ أَعْوَلَتْ ... عَلَيْكَ نِسَاءٌ مَنْ فَصِيحٍ وَمَنْ عَجَمْ[(١)]

وَيَا قَبْرَ لَيْلَى إِنَّ فِي الصَّدْرِ غُصَّةً ... مَكَانَ الشَّذَا شَذَّتْ مَعَ الرِّيقِ

ثم شهق فمات.

فدفنته أنا والراكب، وأنشأت أقول:

سَأُبْكِيكُمَا مَا عِشْتُ حَيًّا فَإِنْ أَمُتْ ... فَإِنِّي قَدْ لَقِيتُ مَا تَجِدَانِ

انتهى.

هذا الرجل ليس هو المجنون إجماعًا، والله أعلم[(٢)].

۞ ۞ ۞

١٢٤ – شهيدان

[كامل بن الوضين، وأسماء بنت فلان بن مسافر]

ذكر المفضل الضبي[(٣)]: أن كامل بن الوضين، عشق أسماء بنت فلان ابن مسافر،

---

(١) يريد ندبتها نساء من عرب وعجم رثاء عليها ذاكرين من فضلها وحسن شمائلها وما يليق بمثلها، أو ما يتناسب مع مكانتها وقدرها.

(٢) في مصارع العشاق: فرحمته والله يا أمير المؤمنين وبكيت لبكائه ونسبته، فإذا هو قيس بن معاذ المجنون، فذاك والله أعشق مني يا أمير المؤمنين.

(٣) هو: المفضل بن محمد الضبي ذكره الذهبي في سير أعلام النبلاء (٣٦٢/١٤) فقال في ترجمته أبو طالب المفضل بن سلمة:

وفي القدماء المفضل بن محمد الضبي المقرئ صاحب عاصم.

ومن مصادر ترجمته غاية النهاية في طبقات القراء (٣٠٧/١).

وقال السمعاني في الأنساب (١٢/٣): المفضل بن محمد بن يعلى بن عامر بن سالم بن أبي سلمى بن ربيعة بن زبان بن عامر بن ثعلبة بن ذؤيب بن السيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة الضبي الكوفي. =

ابنة عمه.

فلم يزل به العشق إلى أن صار كالشن البالي، فشكى أبوه إلى أبيها حاله.

فأمر بحمله إلى داره ليزوجها منه، و لم يعلم كامل.

فلما علم قال: وإن أسماء لتسمع؟ قيل: نعم.

فشهق شهقة، قضي مكانه.

فقيل لها: مات بغصته، وشجنه.

فقالت: والله لأموتن بعده بمثلها، ولقد كنت على زيارته قادرة، فمنعني منها قبح الريبة.

ومرضت فلما اشتد بها المرض قالت:

لأشفق نسائها عليها: صوري لي مثاله، فإني أحب أن أزوره قبل موتي ففعلت، فلما صورت لها الصورة اعتنقتها وشهقت فماتت.

فلطب أبو الفتى إلى أبيها أن يدفنها [١٢٤/أ] إلى جانب قبر ابنه، ففعل، وكتب على قبريهما:

بِنَفْسِي هُمَا لَمْ يُمَتَّعَا بِهَوَاهُمَا عَلَى الدَّهْرِ حَتَّى غُيِّبَا فِي المَقَابِرِ
أَقَامَا عَلَى غَيْرِ التَّزَاوُرِ بُرْهَـةً فَلَمَّا أُصِيْبَـا قَرِّبَـا بِالتَّزاوُرِ
فَيَا حُسْنَ قَبْرٍ زَارَ قَبْرًا يُحِيِّهُ وَيَا زَوْرَةَ جَاءَتْ بِرَبِ المَقَادِرِ

=

من أهل الكوفة، كان علامة راوية للأدب والأخبار وأيام العرب، موثقًا في روايته وقدم بغداد في أيام هارون الرشيد.

سمع سماك بن حرب، وأبا إسحاق السبيعي، وعاصم بن أبي النجود، وسليمان الأعمش، روى عنه أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، ومحمد بن عمر القصبي، وأبو كامل الجحدري، وأبو عبد الله محمد بن زياد ابن الأعرابي، وغيرهم.

قال جحظة: قال الرشيد للمفضل الضبي: ما أحسن ما قيل في الذئب، ولك هذا الخاتم الذي في يدي وشراؤه ألف وستمائة دينار؟

فقالوا: قول الشاعر.

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان هاجع

فقال: ما ألقي هذا على لسانك إلا لذهاب الخاتم وحلق به إليه، فاشترته أم جعفر بألف وستمائة دينار ، وبعثت به إليه، وقالت : قد كنت أراك تعجب به، فألقاه إلى الضبى وقال : خذه وخذ الدنانير ، فما كنا نهب شيئًا ونرجع فيه.

بـــاب الميـــم

١٢٥- شهيـــد

[مالك بن عمرو الغساني، وبنت عم النعمان بن بشير[١]]

ذكر مصعب الزبيري: أن مالك بن عمرو الغساني تزوج بنت عم النعمان بن بشير، وكلف[٢] كل واحد منهما بصاحبه.

وكان مليحًا[٣] شجاعًا، فاشترطت عليه ألا يقاتل [إذا لُقي[٤]] شفقة عليه وضنًا به.

وأنه غزى حيًا من لخم[٥]، فباشر القتال، فأصابه جراحة.

فقال وهو مثقل منها:

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي عَنْ غَزَالٍ تَرَكْتُه ... إذا مَا أَتَاهُ مَصرَعِي كَيْفَ يَصْنَعُ؟

فَلَـــوْ أَنَّنِي كُنْتُ المُؤَخَّـــرَ بَعْدَهُ ... لَمَا بَرَحتْ نَفْسِي عَلَيْهِ تقطع[٦]

ومكث يومًا وليلة، ثم مات[٧].

فلما وصل خبره إلى زوجته بكته سنة، ثم اعتقل لسانها، وامتنعت من الكلام وكثر

---

(١) ذكر القصة السراج في مصارع العشاق (١/٤٩) تحت عنوان: وفاء زوجة:
وذكر إسناده على النحو التالي: أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري قراءة عليه قال: أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن حيوية قال: أخبرنا محمد بن خلف قال: أخبرني أبو بكر العامري عن مصعب بن عبد الله الزبيري.

(٢) في المصارع: شغف.

(٣) في المصارع: مالك.

(٤) ما بين المعوقفين سقط من المخطوط، وأثبته من المصارع.

(٥) لخم قبيلة معروفة من قبائل العرب الكبيرة.

(٦) في مصارع العشاق: تطلع.

(٧) ذهب بعض الفقهاء إلى جواز اشتراط الزوجة، عند إجراء عقد الزواج شرطًا أو أكثر وعلى الزوج إن قبل الشرط قبل إبرام العقد وعقد على ذلك أن ينفذه، وإن لم ينفذه فلها الحق في مطالبته بفسخ عقد النكاح وللقاضي إجباره علي ذلك إن لم يرضخ لمطلبها.
ومن المعروف أن أي شرط يخالف شيئًا مما هو معلوم من الشرع أو الدين فهو باطل وإن كان مائة شرط.
وقد ذهب أحمد بن حنبل رحمه الله إلى أنه لو تزوج امرأة من أهل الكتاب فليس له أن يمنعها من أن تذهب إلى الكنيسة وإن لم تشترط، وكذلك ليس له إجبارها، على الاغتسال من الجنابة.

خطابها.

فقال من يلي أمرها: زوجوها لعل لسانها ينطلق، ويذهب حزنها، فإنما هي من النساء. فزوجوها بعض أبناء الملوك، فساق إليها ألف بعير.

فلما كانت في الليلة التي أهديت إليه فيها، قامت على باب القبة، وقالت:

يَقُولُ رجَالٌ : زوِّجُوهَا لَعَلَّهَا ... تَقرُّ وَتَرْضَى بعْدهُ بخَلِيْلِ
فَأخفَيتُ فِي النَّفْسِ التي لَيسَ بَعْدَهَا ... رَجَاءٌ لهمُ وَ أنَّ الصِّدْقَ أفْضَلُ ومَقيل
وَحَدَّثَنِي أصْحَابُهُ أنَّ مَالكًا ... ضَرُوبٌ بحَدِ السَّيْفِ غَيْر فَلُوْلِ
وحَدثَني أصَحَابُهُ أنَّ مَالَكًا ... جَوَادٌ بمَا فِي الرَّحْلِ غَيْرُ بَخيلِ
[١٢٤/ب] وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أَنَّ مَالكًا ... خَفيفٌ عَلَى الأحَدَاث غَيْرُ ثَقيْلِ
وَحَدَّثَنِي أَصْحَابُهُ أنَّ مَالِكًا ... صَرُومٌ كَمَا فِي الشَّفْرَتَيْنِ صَقِيْلِ(١)

١٢٦- قتيل

[سميدع وما كان في طريقه إلى اليمامة بين رجل وامرأة]

ذكر الأصمعي: أن الرشيد قال له: أخبرني بأعجب حديث سمعته.

قال: قلت: أدركت بالبادية رجلاً من بني عمرو بن كلاب يقال له: سميدع(٢) وكان له بنون يردون البصرة، فحدثني يومًا قال: خرجت يومًا وأنا شاب جلد على ناقة لي أريد اليمامة فأدركني الليل وقد رفع لي سواد فيممته، فإذا امرأة، فسلمت، فقالت: أضيف؟

قلت: نعم. فقالت. بالرحب والسعة.

فنزلت، فإذا رب البيت شاب، كأحسن ما يكون من الشباب.

---

(١) ذكر السراج الشعر في مصارع العشاق بحو مما هنا. وهناك اختلاف في الأبيات في الشطر الثاني من كل بيت.
ثم ذكر بعد ذكره لطريق أخر للرواية:
وزاد فيه: فلما فرغت من الشعر شهقت شهقة فماتت.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب في مادة سمدع.
السميدع، بالفتح : الكريم السيد الجميل الجسم الموطأ الأكناف والأكناف النواحي.
وقيل: هو الشجاع، ولا تقل السميدع بضم السين.
والذئب يقال له سميدع لسرعته والرجل السريع في حوائجه سميدع.

فذبح لي وقال: لا ترحلن حتى نصطبح(١)، فلما برق الفجر أقبل وعبدة يقودون كبشًا، فذبحه، ثم أجج نارًا، فأشوى وطبخ.

فلما سرح الرعاء ركب فرسه، وتقلد سيفه، وتوجه نحو إبله.

فأتتني أمة فقالت: إن ابنة عمك(٢) تريد أن تكلمك من وراء حجاب.

فلما قربت من كس البيت.

قالت لي: يا ابن عم، اليمامة تريد؟

قلت: بلى. قالت: فاحفظ عني رسالة ترد علي جوابها.

فقلت: نعم. فقالت:

أَعَلَى العَهَــد مَالك بن سَنَــان ... أَمْ سَقَاهُ أَفَــاوق الغَدْرِ سَاقِ

إنْ يَكُنْ خَاسَ(٣) أَوْ تَنَاسَى فَإِنِّي ... لَعَلَى الدَّهْرِ مَا اسْتَسَاغَ وبَاقِي

مَــا أَلَم الرُّقَــاد مُذْ غِبْــتَ إلاَّ ... بجُفُــون قَرِيْحَــة الأَمَــاقِي

فَعَلَيْــكَ السَّلاَم مَا لاَ الفــوْز ... وَمَادَتْ فِي الثَّرِيَ عُرف سَاقِ

ثم قالت: إذا وردت اليمامة، فأت الحضرة فقف بموضع كذا وأنشد الشعر واحفظ الجواب.

قال: ثم سافرت فسبقني الرجل، فلما أراد فراقي [١٢٥/أ] قال:

يا ابن عم هل أنت حامل رسالة تؤديها وترد جوابها؟

قلت: نعم.

قال : فقف بقران بني سحيم ، وأنشد هذه الأبيات، واحفظ الجواب، ثم أنشده:

أَيَا سرْ حَتَّى قَــرَّان(٤) بِاللهِ خبرًا ... عَنْ البكْرَةِ الغَنَّاء كَيْفَ بَراعُها

---

(١) أي: حتى يأتي علينا الصباح يريد، أن يقوم له بواجب الضيافة وحق القرى الذي يجب له عند مثله.

(٢) كلمة تحبب وتودد وتقرب تقولها العرب ليأنس المتحدث إليه إلى محدثه، وهي ليست ابنة عم على الحقيقة.

(٣) نقص، وقال ابن منظور في لسان العرب في مادة خوس:
التخويس: التنقيص، وهو أيضًا ضمر البطن والمتخوس من الإبل: الذي ظهر شحمه من السمن
قال ابن الأعرابي: الخوس طعن الرماح ولاءً ولاءً يقال:
خاسه يخوسه خوسًا.

(٤) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان:

=

فَلَــوْ أنَّ فِيْهَـــا مَطْمَعًـــا لِمُتَيَّمٍ نَأتْ دارهَا عَنْهُ وخِيْفَ امْتِنَاعُهَا
لَهَانَ عَلَيْـــه حَـــرْب كُـــلّ بيوقة يَخَافُ عَلَيْهَا حَوْرهَا وضَيَاعُهَـــا
فَغَرَّبت عَـــنْ نَفْسِي وَأَيْقَنْت أنَّهَا تُرِيْـــدُ وَدَاعًا يَـــوْمَ جدَّ وَدَاعُهَا

ثم افترقنا ومضيت لوجهي فأتيت اليمامة، ثم أتيت الحضرة فأنشدت الشعر، فإذا شاب قد برز إلي منها وهو يقول:

لَمْ يَخْلُ عَنْ وِقَايَة ابن سنانٍ لاَ وَ لاَ عَـــالَةُ أثْنَاءَ الفَراق
إنَّ بَيْنَ الحشَا لَهِيْب اشْتِيَاقٍ لَيْسَ يَشْفَى جَوَاهُ إلاَّ التَّلاَق
ثُمَّ أَبْقَتْ لي الهُمُـــوم جَنَانًا بَالِيًا مُمْسِكًا بِمَـــاء الرَمَاق

ثم انحنى على كبده فمات فرار بني سحيم فأنشدت الشعر فإذا جارية كأنها مهرة ضامرة قد ألقت خمارها، وهي تقول:

تَحَمَّلْ هَدَاكَ اللهُ مِـــنِّى تَحِيَّة إلَيْهِ جَدِيْدٌ كُـــلّ يَـــوْم سَمَاعَهَا

قران: بالضم، ويجوز أن يكون جمع قَر أو قُر من البرد، أو فعلان منه.

ويقال: يوم قر، وليلة قرة.

فيجوز على ذلك أن يقال: أيام قران ومواضع قران وقران: اسم واد قرب الطائف في شعر أبي ذؤيب قال: ويروى لأبي جندب:

وحي بالمناقب قد حَمَوهَا لدى قُرَّانَ حتى بطن ضيم

كلها بين مكة والطائف وقران: قرية باليمامة وقيل: قران بين مكة والمدينة بلصق أُبلى، وقد ذكر في أُبلي ...

وقال السكري في قول جرير:

كأن أحداجهم تحدى مقفية نخل بمَلْهَمَ أونخل بقرَّانا

قال: ملهم، وقران قريتان باليمامة لبني سحيم بن مرة بن دؤل بن حنيفة. والأحداج: مراكب النساء.

فهذا الذي ذكرت أنه بين مكة والمدينة فهما موضعان مسميان بهذا الاسم...

وقال ابن سيرين في تاريخه:

وفيها- أي في سنة: (٣٠١)- انتقل أهل قران من اليمامة إلى البصرة لحيف لحقهم من ابن الأخيضر في مقاسماتهم وجدب أرضهم.

فلما انتهى خبرهم إلى أهل البصرة سعى أبو الحسن أحمد بن الحسين بن المثنى في مال جمعه لهم فقوروا به على الشخوص إلى البصرة فدخلوا على حال سيئة فأمر لهم سبك أمير البصرة بكسوة ونزلوا بالمسامعه محلة بها.

وقران: قرية بمر الظهران بينها وبين مكة يوم.

وقران: قصبة البذين بأذربيجان حيث استوطن بابك الخرمي عن نصر.

وَخَبِّر عَنِ الغَنَّاء أن قَدْ تَوجَّمَتْ ... عَلَيْهَا مَرَاعِيْها وَطَالَ نــزَاعَهَــا
لَقَــدْ قَطَــعَ البَيْن المشبب إلفه ... عَزِيْزٌ عَلَيْنَــا أَنْ يَحمَّ انْقطَاعَهَا

ثم شهقت شهقة خرجت روحها فدفنتها وكررت راجعًا أدراجي.

فمررت بالمرأة والرجل غائب، فأنشدتها الشعر فشهقت [شهقة[1]] حتى ظننت أن قد تصدعت كبدها.

فلم ألبث أن تصايح الأنام أنها ماتت واتصلت الأصوات، فإذا [١٢٥/ب] الرجل أقبل مدهوشًا، فقال لي: ما خبرها؟

فأخبرته، ثم أنشدته جواب شعره.

قال سميدع: فوالذي في السماء والأرض أمره ما استتممت إنشاد الشعر حتى خر ميتًا، فارتحلت عنهم ولا والله ما أدري ما كان بعدي.

١٢٧ - شهيدان
[مالك، وابنة عمه[2]]

ذكر ابن دريد عن يونس بن يزيد قال: انصرفت من الحج فمررت بماوية، وكان لي فيها صديق من بني عامر بن صعصعة، فصرت إليه مسلمًا، [فأنزلني[3]].

فبينا أنا عنده، ونحن قاعدون بفنائه، إذا نساء مستترات[4]، وهن يقلن: تكلم تكلم. فقلت: ما هذا؟

فقال[5]: إن فتًى منا كان يعشق ابنة عمه، فزوجت، وحملت إلى ناحية الحجاز[6]، فإنه لعلى فراشه منذ حول ما تكلم ، ولا طلب أكلاً إلاّ أن يؤتى به[7].

(١) بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق.
(٢) ذكر القصة السراج في مصارع العشاق (١/ ٤٠) تحت عنوان صريعا الحب بالإسناد التالي: أخبرنا أبو القاضي أبو الحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي قراءة عليه قال: أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن محمد بن علي الجرادي الكاتب قال : أخبرنا أبو بكر بن دريد قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه عن يونس قال: فذكر القصة.
(٣) ما بين المعقوفين من مصارع العشاق.
(٤) في مصارع العشاق: مستبشرات.
(٥) في مصارع العشاق: فقالوا.
(٦) في المخطوط: الحمار، والتصويب من مصارع العشاق.
(٧) في مصارع العشاق: إلا أن يؤتي بما يأكله ويشربه.

فقلت: أحب أن أراه.

فقام وقمت معه، ومشينا غير بعيد، وإذا فتًى مضطجع بفناء بيت من تلك البيوت، لم يبق منه إلا خيال.

فأكب الشيخ عليه يسأله، وأمه واقفة، فقالت: يا مالك، هذا عمك أبو فلان يعودك. ففتح عينيه، وأنشأ يقول:

لِيَبْكِني[1] اليَوْمَ أهْلُ الوُدِّ وَالشَّفَقِ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُهْجَتِي إلاّ شَفَا رَمَق

اليــوم أخر عهدي بالحياة فقد أطلقت من ريقه الأحزان والقلق

وتنفس الصعداء، فإذا هو ميت.

فقام الشيخ وقمنا، فانصرف إلى الجبانة[2] فإذا بجارية تضمه وتبكي، وتنفخ.

فقال الشيخ: ما يبكيك؟ فقالت:

ألاَ أبْكي لصَــبّ شَفَّــا مُهْجَــتَهُ طُولُ السَّقَام وأضْنَى جسْمَه الكَمَدُ

يا لَيْتَهُ[3] خَلَّــفَ القَلْبَ المُهَيَّــم بهِ عنْدي فَأشْكُو إلَيْه بَعْضَ مَا أجدُ

أنَشْرُ بتُرْبكَ[4] أسْرَى لِيَ النَّسيْمُ بهِ أمْ أنْتَ حَيْثُ يُنَاطُ السحر والكَبدُ

ثم انثنت على كبدها، وشهقت [١٢٦/أ] شهقة فإذا هي ميتة.

قال يونس: فقمت من عند الشيخ وأنا وقيذ[5].

وأنشدنا شيخنا محمود بن سليمان لنفسه إجازة على لسان حالها:

إنَ كَانَ مَاتَ أَسًى بمَنْ لَمْ يُجرْهُ يَوْمًا وَلَــمْ يَنْظُرْهُ فِي عُوَّادِهِ

فَلَقَــدْ وَفَيْتُ لَهُ وَمَا ظَفَرَتْ بهِ نَفْسِي وَلاَ عَلَقَتْ يَدِي بِودَادهِ

(١) في المخطوط: ليتني وهو تحريف، والتصويب من المصارع.

(٢) الجبانة: هي مكان دفن الموتى أو المقابر، وتسمى، في العامية المصرية: الترب.
وبدلاً منه في مصارع العشاق لفظ: خبائه.

(٣) في المصارع: يا ليت.

(٤) في المصارع: تربك.

(٥) أي وأنا حزين القلب كاسف البال.

١٢٨ – شهيـــدان

[أبو مالك بلقفة بن النضر العذري وابنة عمه سعاد بنت أبي الهندام العذرية(١)]

ذكر المازني عن العتبي حدثنا شبابة بن الوليد العذري: أن فتىً من بني عذرة يقال له: أبو مالك بن النضر كان عاشقًا لابنة عم له عشقًا شديدًا، فلم يزل على ذلك مدة.

ثم إنه فقد بضع عشرة سنة، لا يحس له خبر.

قال شبابة(٢): فأضللت إبلاً لي(٣)، فخرجت في طلبها، فبينا أنا أسير في الرمال فإذا فهاتف يهتف بصوت ضعيف، وهو يقول:

يَا ابــنَ الوَلِيْدِ أَلاَ تَحْمُونَ جَارَكُمُ ... وَتَحْفَظُــونَ لَــهُ حَقَّ القَرَابَاتِ

عَهْدِي إِذَا جَارُ قَوْمٍ صَابَهُ(٤) حَدَثٌ ... وَقَوْهُ مِنْ كُلِّ مَكْرُوْهٍ(٥) المُلِمَّــاتِ

هَــذَا أَبُو مَالِكٍ المُسَمَّى بِبَلْقَفَةٍ(٦) ... مَعَ الضِّبَــاعِ وَآسَــادٍ بِغَابَــاتِ

طَلِيْحُ حُبٍّ بِنَارِ(٧) الحُبِّ مُحْتَرِقٌ ... تَعْتَــادُهُ زَفَــرَاتٌ إِثْرَ لَوْعَــاتِ

أَمَّــا النَّهَارُ فَيُمْضِيْــهِ يَذْكُــرُهُ(٨) ... وَاللَّيْلُ مُرْتَقِبٌ لِلصُّبْحِ هَلْ يَأْتِي؟

يَهْذِي بِجَارِيَةٍ مِنْ عُذْرَةَ اخْتَلَسَتْ ... فُؤَادَهُ فَهُــوَ مِنْهَــا فِي بَلِيَّــاتِ

فقلت: دليني عليه رحمك الله.

---

(١) سبق ذكر هذه الترجمة من نفس الكتاب تحت رقم (٢٠) وبعنوان:
الفتى العذري وابنة عمه.
وأنا أذكر هنا الفارق في الألفاظ بين ما جاء في المخطوط، وما جاء في مصارع العشاق (١/٢٨٠)، تحت عنوان: ضحيتا الهوى، وبالإسناد التالي:
وجدت بخط أبي عمر بن حيوية ونقلته منه قال: حدثنا أبو بكر محمد بن خلف بن المرزبان أخبرني صالح بن يوسف المحاربي قال: أخبرني أبو عثمان المازني أخبرنا العتبي عن شبابة بن الوليد العذري فذكر القصة.

(٢) في المصارع: شبابة بن الوليد.

(٣) في المصارع: فضلت إبل لي.

(٤) في المصارع: نابه.

(٥) في المصارع أضرار.

(٦) في المصارع: ببلقعة.

(٧) في المصارع: شوق.

(٨) في المصارع: يضنينه تذكره.

قالت: نعم أقصد الصوت.

فلما قصدت غير بعيد سمعت أنينًا من خباء، فأصغيت إليه، فإذا قائل يقول:

يَارَسِيْسَ الهَوىَ أَذَبتَ فُـؤَادِي وحَشَوْتَ الحَشَا عَذَابًا أَلِيْمَا

فدنوت منه، فقلت: أبا مالك؟

قال: نعم. قلت مابلغ بك ما أرى؟

قال: حب [١٢٦/ب] سعاد ابنة أبي الهندام(١) العذري.

فشكوته(٢) يومًا إلى ابن عم لنا من الحي، وما أجد من حبها، فاحتملني إلى هذا الوادي من بضع عشرة سنة يأتيني كل يوم بخبرها ويقوتني

حفظه الله(٣) تعالى من عنده.

فقلت: إني صائر(٤) إلى أهلها فمخبرهم بما رأيت، [قال: أنت وذاك فانصرفت وصرت إلى أهل الجارية فخبرتهم بحال الفتى وما رأيت منه(٥)] وحدثتهم حديثه فرقوا له، وزوجوه بحضرتي.

فرجعت محتسبًا إليه عامدًا لأفرج عنه لما رأيت منه.

فلما أخبرته الخبر، حدد النظر إلي، ثم تأوه تأوهًا شديدًا، بلغ من قلبي كل مبلغ، ثم أنشأ يقول:

الآنَ إذْ حَشْرَجَتْ نَفْسِي وَخَامَرَهَا(٦) فِرَاق دُنْيَا وَنَادَاهَا مُنَادِيْهَا

ثم زفر زفرة فمات فدفنته في موضعه ثم انصرفت فأعلمتهم الخبر.

فأقامت الجارية بعده ثلاثًا لا تطعم طعامًا، ثم ماتت.

---

(١) كذا في المخطوط، وفي مصارع العشاق: سعاد ابنة أبي الهيذم العذري.

(٢) في المصارع: فشكوت.

(٣) مثل هذه الأخبار مبالغ فيها مبالغة شديدة ولو كان فيها بعض الحقائق فمن المعلوم أن الصحراء بالنسبة لأحياء العرب معروفة معرفة تامة كالشوارع والحواري والأزقة بالنسبة لنا أهل الحضر على الرغم من اتساعها أمامنا نحن، فكيف يختفي فيها شخص منهم هذه المدة ولا يمكنهم العثور عليه وهم له طالبون؟!

(٤) في المصارع: أصير.

(٥) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط وأثبته من المصارع.

(٦) في المصارع: وحاصرها.

١٢٩- قتيلة
[يوسف وزوجته(١)]

قال العلامة أبو القاسم محمد بن عبد الرحمن الشيرازي في كتاب روضة القلوب ونزهة المحب والمحبوب:

شاهدت امرأة تزوجت رجلاً جنديًا أعجميًا، يقال له: يوسف، وكانت تجد به وجدًا شديدًا، حتى إنها كانت لا تصبر عنه لحظة.

وكان إذا مضى إلى نوبته في القلعة تبرز وتظل قائمة قباله حتى لا تصبر عنه لحظة حتى ينصرف.

فإذا دخل عليها لاعبها وقبلها، فيسكن بعض ما تجد.

فدخل عليها يومًا مغضبًا من كلام جرى بينه وبين مقدمه، فلما أرادت منه العادة، فلم يلتفت إليها، ولا هش بها، فظنت أن ذلك بسبب حدث منها فارتاعت وجزعت.

فمكث عندها ساعة و لم يرفع طرفه إليها فقوى عندها التخيل.

فلما خرج خرجت [١٢٧/أ] خلفه لعادتها فانتهرها.

فلم تشك أن غضبه لأجلها فرجعت وجعلت في رقبتها حبلا وشدته في السقف، فاختنقت به فماتت.

❁ ❁ ❁

---

(١) تحكي لنا هذه القصة أو الحكاية نظيرًا للدبة التي قتلت صاحبها غير أنها هنا قتلت نفسها لفرط غيرتها على صاحبها ، وتذكرنا بقول القائل: ومن الحب ما قتل.

ومثل هذه التصرفات تبين مدى غباء بعض الناس والذي لا يستطيع معه أن يميز بين الأمور ولا أن يتعقلها ولا أن يتروّى فيها ولا أن يتبينها بل يتخذ فيها القرار الذي يرى هو وهو وحده أنه القرار الوحيد والأصواب والأمثل والذي لم يسبق إليه فيه ، فينفذه بكل صلافة ضاربًا عرض الحائط بكل قيم أو مبادئ أو شعور أو حتى دين، بالغباء يعطي صاحبه شعورًا بأنه الأفهم والأعقل والذي يجب أن يتبع وأن كل معارضيه أو ناصحيه أو الحريصين عليه مجرد حاقدين أو حاسدين، أو أنهم في أحسن الأحوال أغبياء وبلهاء ولا خبرة لهم لا بدنيا ولا معرفة لهم بدين، فاللهم احفظنا ما أبقيتنا وارحمنا إن أخذتنا وارزقنا حسن الختام.

١٣٠- شهيدان

[محمد بن القاسم[1]، ويقال: ابن عبد الله النحوي، وولد الجند]

ذكر لنا شيخنا العلامة شهاب الدين محمود رحمه الله تعالى قال: من ألطف ما وجدته من أخبار المتأخرين في تحليهم بالعفاف واتصافهم منه بأحسن الأوصاف:

ما يحكى عن بعض فضلاء المغاربة، وهو: محمد بن القاسم النحوي، كذا قاله.

وسماه القفطي: محمد بن عبد الله، وكناه أبا بكر الصقلي.

ووصفه أنه ذا بلاغة، وقراءة، وورع، ودين، وتقشف، وتعفف، أنه هوى رجلا من ولد الجند، فكتم هواه وأخفى ضناه إلى أن عيل صبره ونفث الدم من فمه بل صدره،ومات على كتمانه، و لم يبح غيره بشأنه، فمن ذلك قوله:

هَــذَا خَيَــالكَ فِي الجفُونِ يَلُوْحُ ... لَوْ كَانَ فِي الجِسْمِ المُعَذَّبِ رُوْحُ

يَــا سَالمًــا ممَّا أُكَابدُ فِي الهَوَى ... هَلْ يشْتَفِــي مِنْ قَلْبِــي التَّبْريح

غَادَرْتَني غَــرضَ الرَّدَى وَتَرَكْتَنِي ... لاَ عُضْــوَ لِي إِلاَّ وَفِيْــه قُرُوْح

لله مــَا فَعَلَتْ أَلْحَاظُكَ فِي دَمِي ... لَوْ بَلَّغَتَ جِسْمِي الرَّدَى فَتُرِيْــحُ

لَوْ عَايَنْتَ قَذْفِي مِنْ دَمي لَبَــدَى ... وَدَمْعِــي مِــنْ دَمِي مَسْفُــوْحُ

لــَرَأَيْتَ مَقْتُــولاً وَلْــم تَرَ مُقْتَلاً ... وَلَخلَتَ أَنِّي مِنْ فَمِــي مَذْبُوْحُ

قُــلْ لِلَّــذي مِنْــهُ عَلقْت منِيَّتِي ... أَبَــاحَ قَتْلِــي يَا ظَلُــومُ مُبِيْحُ

كَبِدِي عَلَى صَدْرِي جَرَتْ فَإِلَى مَتَى ... أَغْدُو أُعَذَّب فِي الهَوَى وَأَرُوْحُ

---

(١) ذكر له ترجمة مختصرة السيوطي في بغية الوعاة (٢١٤/١) تحت رقم (٣٨٠) قال فيها: محمد بن قاسم بن منداس، أبو عبد الله، المغربي، البجائي، الجزائري. يعرف بالأشيري، النحوي.
كذا ذكره الذهبي وقال: ولد سنة سبع وخمسين وخمسمائة، وأخذ العربية عن الجزولي وغيره، وأقرأها مدة، وحدث باليسير، وروى بالإجازة العامة عن السلفي. قال ابن الأبار: وأجاز له.
ومات أول المحرم سنة ثلاث وأربعين وستمائة.

١٣١- شهيد

[ليلى[١] وهروبها مع ابن عمها من بلدهما]

ذكر أبو بكر بن أبي الأزهر في تاريخه عن محمد ابن عائشة المغني أنه قال: ؟ أحب رجل ابنة عم له فقالت له: إن الناس قد أكثروا علينا، فلو خرجت [١٢٧/ب] بنا من هذه البلدة؟

قال: فخرج بها، وخرج في أثرهما أخ له، فجعل لا ينزل منزلاً، إلا قيل قد نزلاه وارتحلا منه، حتى أتى منزلاً هاما به، فوجدها مريضة، فما لبث أن ماتت.

فكان ابن عمها يأتي قبرها فيبكي ثم ينصرف، فلم يزل كذلك حتى مات فدفن إلى جنبها. وكان ينشد فيها لما ماتت كثيرًا.

أفـــقْ إنْ مرَّ الوُدّ ســـر لضييق وَإلاَّ فَمُتْ إنْ كُنْت غَيْر مُطيْق

فَقَدْ شَاقَ لَيْلَى الحُبُّ حَتَى أَحَلَّهَا براذَان قَبْرا غَيْر جَدّ عَمِيْقِ

١٣٢- شهيد

[المرأة الحاجة الشاعرة في طلحة]

ذكر ابن دريد عن محمد بن سلام قال: حدثني بعض أهل الكوفة قال: حججت فرأيت امرأة وهي تقول:

فَإنْ تَضرِبُوا ظَهْرِي وَبَطْنِي كِلاَهُمَا فَلَيْسَ لقَلْبٍ بَيْنَ جَنْبَيَّ ضَارِبُ[٢]

---

(١) كثير هو اسم ليلى في الحب، أم أنه يرجع ما يذهب إليه البعض وأنا منهم أنه اسم رمزي لكل محبوبة فكل من له محبوبة كُنِّيَ عنها باسم ليلى، لدرجة جعلت بعضهم يقول: كل يغني لليلى وكل يغني على ليلاه.

فترى كثير من روايات العشاق يأتي باسم ليلى وتراها غير مسماة ولا حتى مسمى حيها أو قبيلتها ولا اسم عشيقها مما يرجح أنها متنفسات قد تكون تحكي قصة من يحكيها أو يرويها وهو يريد أن يبعد شبة الحب أو العشق عن نفسه فيقول: يحكى أن رجلاً كان يعشق امرأة يقال لها ليلى كما نقول نحن هب أن سينًا من الناس أو زيدًا أو عمرًا وهكذا فيضيف إلى قصته من خياله ويحذف ويدخل فيها من قصص السابقين الذين سمع عنهم وهكذا، والله تعالى أعلم، فإنه لا يعقل أن يكون كل هذا الكم من الليلاوات قد عشقن أو عشقن ودونت سيرهن ألست معي في أنه أمر يدعو الى الريبة؟

(٢) ورد هذا البيت في مصارع العشاق (٧٤/٢) على أنه نقش على خاتم مغنية وهو تحت عنوان المغنيات ونقشهن الشعر، وجاء الشطر الأول منه على النحو التالي:

فإن تضربوا جنبي وظهري كليهما

وليس في الخبر ذكر لتلك الحاجة بل ذكر لمن نقشن على خواتمهن شعرًا و لم يذكر فيه سوى ثلاثة منهن.

فسألت عنها فقيل: هي عاشقة، ثم عدت في العام المقبل، فإذا بها قد حال لونها مع حسنه وهي تقول:

فَإنْ يَكُ عَيْشي[1] قَدْ أطَاعَ بي العدَا ... فَلاَ وَأَبِيْه مَا أَطَعْت الأَعَادِيَا
يَقُوْلُـوْنَ لي مَوْلَى فَـلا تَقْرَبِيْنَهُ ... وَعَيْش أَبِي إِنّي أُحِبُّ المَوَالِيَا

ثم عدت في الحج[2] الثالث، فإذا هي مقيدة قد فقدت عقلها، وهي تقول:

أَيَا طَلْحَةَ الرّعْيَان ظِلّكَ بَارِدٌ ... وَمَاؤكَ عَذْبٌ يَسْتَسِيْغُ لِشَارِبِ

ثم ماتت.

١٣٣- قتيل
[جارية النخاس[3] التي كانت أحبت رجلاً ببغداد]

ذكر النوقاني عن محمد بن منصور الكاتب قال:

خرج رجل من النخاسين من بغداد إلى سر من رأى[4]، بجوار يعرضهن على المعتصم. فقعد في الطريق فشرب معهن وغنينه، وكانت فيهن جارية تهوى رجلاً في

---

(١) ربما كانت الكلمة: حبي أو عشيقي أو خلي، أو نحو هذا، وربما أرادت عيشها أي مكانتها الاجتماعية التي لا تتناسب مع مكانة معشوقها هذا على اعتبار أن الرواية صحيحة ومن المعلوم أن امرأة تحج بيت الله ترجو ثوابه وتتطهر من ذنوبها لا يليق بها مثل هذا القول ثم قسم بغير الله أيضًا فهذا غريب أيضًا.

(٢) في المخطوط : الحب ، وهو تحريف لا يستقيم به السياق، فأثبت ما يناسب، وفي القصة مبالغة واضحة جدًا.

(٣) النخاس: هو بائع الجواري في عصور الجاهلية وفي الإسلام وظل هذا النوع من التجارة جاريًا إلى عصر قريب، وهو اليوم تحت مسميات أخرى تناسب العصر، وفي الخفاء ولم يعد يعلن به لكونه ممنوعَ قانونًا ويجرم من ضبط يقوم به ويحاكم على ذلك محاكمة قاسية والأصل في التسمية أنها لبائع الدواب لكون البائع ينخس في جنب الدابة أو بطنها لتبدو نشطة كثيرة الحركة، وقد رأيت ذلك كثيرًا وأنا صغير عندما كنت أذهب إلى سوق الدواب، ولا أدري لما جر هذا الاسم على بائع الجواري أو العبيد أو الرقيق، ربما لكونه يؤنبهم ليبدوا في حالة سرور وفرح ومرح ودلال، فالله أعلم.

ويقول ابن منظور في لسان العرب: النخاس: بائع الدواب، سمي بذلك لنخسه إياها حتى تنشط، وحرفته النِّخاسة والنَّخاسة.

وقد يسمى بائع الرقيق نخاسًا، والأول هو الأصل.

(٤) هي سمراء معروفة مشهورة بأرض العراق، وإليها ينسب السمرائي ولست أقصد به شخصًا بعينه وإنما من لقب بهذا من العلماء وغيرهم، وأصلها سر من رأى، ثم بعد خرابها قيل ساء من رأى، ثم دمجت الكلمات في كلمة وهي: سمراء، وأحيانًا يحذفون الهمزة من آخرها فيقولون: سمرا.

بغداد، فغنت إحداهن: [١٢٨/أ]

يَا طُولَ حُزْنِي وَاشْتِيَاقِي   مَاذَا لَقِيْتُ مِنَ الفِرَاقِ

فطربت تلك الجارية وشربت حتى ثملت، فقامت، فصعدت على الزورق، فظنوا أنها تريد حاجة، فغنت ذلك الصوت ومدت به صوتها، ثم رمت بنفسها في دجلة فلم توجد.

١٣٤- شهيد

[محمد بن داود(١) وعشقه محمد بن جامع]

ذكر الخطيب محمد بن داود بن علي بن دلف، أبا بكر الفقيه الأصفهاني صاحب

(١) ذكر قصته السراج في كتاب مصارع العشاق في عدة مواضع متفرقة من الكتاب في المواضع التالية (١٣/١)، (١١٨/٢، ٢٢٣، ٢٢٨، ٢٤٨)، وترجم له كثير من أصحاب التصانيف لما له من المكانة العلمية الرفيعة فهو إمام المذهب الظاهري، ومن تلك الكتب التي ترجمت له: تاريخ بغداد (٢٥٦/٥: ٢٦٣)، طبقات الفقهاء (١٧٥: ١٧٦)، سير أعلام النبلاء (١٠٩/١٣)، وفيات الأعيان (٢٥٩/٤: ٢٦١)، المنتظم (٩٣/٦: ٩٥)، العبر (١٠٨/٢)، الوافي بالوفيات (٥٨/٣: ٦١)، شذرات الذهب (٢٢٦/٢)، البداية والنهاية (١١٠/١١: ١١١)، وغير ذلك كثير.

ويقول الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء: محمد بن داود بن علي الظاهري.

العلامة، البارع، ذو الفنون، أبو بكر كان أحد من يضرب المثل بذكائه، وهو مصنف كتاب: "الزهرة". في الآداب والشرب، وله كتاب في الفرائض، وغير ذلك.

حدث عن: أبيه، وعباس الدوري، وأبي قلابة الرقاشي، وأحمد بن أبي خيثمة، ومحمد بن عيسى المدائني، وطبقتهم.

وله بصر تام بالحديث، وبأقوال الصحابة وكان يجتهد ولا يقلد أحدًا.

حدث عنه نفطويه والقاضي أبو عمر محمد بن يوسف وجماعة.

ومات قبل الكهولة، وقل ما روى، تصدر للفتيا بعد والده، وكان يناظر أبا العباس بن سريج، ولا يكاد ينقطع معه.

قال القاضي أبو الحسن الداودي: لما جلس أبو بكر بن داود للفتوى بعد والده استصغروه، فدسوا عليه من سأله عن حد السكر، ومتى يعد الإنسان سكران؟ فقال إذا غربت عنه الهموم، وباح بسره المكتوم.

فاستحسن ذلك منه.

قال أبو محمد بن حزم: كان ابن داود من أجمل الناس وأكرمهم خلقًا وأبلغهم لسانًا وأنظفهم هيئة مع الدين والورع وكل خلة محمودة محببًا إلى الناس.

حفظ القرآن وله سبع سنين، وذاكر الرجال بالأدب والشعر وله عشر سنين، وكان يشاهد في مجلسه أربعمائة صاحب محبرة، وله من التأليف: كتاب: "الإنذار والإعذار". وكتاب: "التقصي" في الفقه، وكتاب: "الإيجاز" ولم يتم، وكتاب: "الوصول إلى معرفة الأصول"، وكتاب: اختلاف مصاحف الصحابة، وكتاب "الفرائض"، وكتاب: المناسك عاش ثلاثاً وأربعين سنة، وقال: ومات في عاشر رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين.

كتاب الزهرة فقال:

كان عالمًا أديبًا، وشاعرًا ظريفًا، قال: ما انفككت من هوى منذ دخلت الكتاب وبدأت بعمل "الزهرة" من ذاك الحين.

وكان يحب محمد بن جامع الصيدلاني، وله أشعار عجيبة منها:

حَمَلْت جِبَالَ الحُبِّ فيْك وَإنّني ... لأعْجزُ عَنْ حَمْلِ القَمِيْصِ وَأَضْعَفُ

وَمَا الحُبّ مِنْ حُسْنٍ وَلاَ مِنْ سَمَاحَةٍ ... وَلَكِنّهُ شَيْءٌ بِهِ الرُّوْحُ تَكْلَفُ

وله فيه:

يَا يُوسُفَ الحُسْنِ تَمْثِيلاً وَتَشْبِيْهًا ... يَاطَلْعَةً لَيْسَ إلاّ البَدْر يَحْكِيْهَا

مَنْ شَكَّ فِي الحُوْرِ فَلْيَنْظُر إلَيْك فَمَا ... صِيْغَتْ مَعَانِيْك إلاّ مِنْ مَعَانِيْهَا

مَا لِلْبُدُورِ وَلِلتَحْرِيْفِ يَا أَمَلِي ... نُوْرُ البُدُورِ عَنْ التَّحْرِيْفِ يُغْنِيْهَا

إنَّ الدَّنَانِيْرَ لاَ تُجْلَى وَإنّ عَتُقَتْ ... وَلاَ يُزَادُ عَلَى النَّقْشِ الّذِي فِيْهَا

وله في أول الزهرة:

مَا تُنْكِرُ مِنَ تَغَيُّرِ الزّمَانِ وَأَنْتَ أَحَدْ مُغَيِّرِيْهِ

وَمِنْ حِذى الإخْوَانِ وَأَنْتَ المُقَدَّمُ فِيْهِ

ومن عجيب ما يأتي به الزمان: ظالم يتظلم، وعائق يتقدم، ومطاع يستظهر وغالب يستنصر.

قال: ودخل محمد بن جامع الحمام، وأصلح من وجهه، وأخذ المرآة فنظر إلى وجهه فغطاه وركب إلى محمد بن داود.

فلما رآه مغطى الوجه خاف [١٢٨/ب] يكون لحقته آفة، فقال: ما الخبر؟

فقال : رأيت وجهي الساعة في المرآة فغطيته ، وأحببت أن لا يراه أحد قبلك. فغشي على ابن داود.

وكان ابن جامع ينفق على ابن داود، وما عرف فيما مضى من الزمان معشوق ينفق على عاشقه إلا هو. ومن شعره فيه:

أكَرِّرُ فِي رَوْضِ المَحَاسِنِ مُقْلَتِي ... وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مَحَرّمَا

وَيَنْطِقُ سِرّي عَنْ مُتَرْجَمِ خَاطِرِي ... فَلَوْلاَ اخْتِلاَسِي رَدَّهُ لَتَكَلَّمَا

رَأَيْتُ الهَوَى دَعْوَى مَنَ النَّاسِ كُلِّهِمِ   فَمَا إِنْ أَرَى حُبًّا صَحِيْحًا مُسَلَّمَا[1]

ودخل عليه نفطويه[2]، فقال له: كيف تجدك؟

قال: حب من تعلم أورثني ما ترى.

فقلْتُ: ما منعك من الاستمتاع به مع القدرة عليه؟

فقال: الاستمتاع على وجهين:

أحدهما النظر المباح.   والثاني اللذة المحظورة.

فأما النظر المباح: فأورثني ما ترى.

وأما اللذة المحظورة: فإنه منعني منها حديث سويد، وذكره[3]، وأنشدنا لنفسه:

---

(١) ذكر هذا الشعر الذهبي في ترجمته، وذكر أن مناسبته كانت مناظرة كانت بين ابن داود وابن سريح ختمت باعتراف ابن سريج بحبه، وإقرار ابن داود على ما سأل عنه أو ما كان يناظره فيه من أمر الظهار.

(٢) ذكر هذا الخبر السراج في مصارع العشاق تحت عنوان الجنة لمن عشق وعف (١٣/١). بإسناده إلى نفطويه وقال أخبرنا أبوبكر أحمد بن علي بدمشق قال: حدثنا أبوالحسن على بن أيوب بن الحسين بن أيوب القمي إملاء قال: حدثنا أبو عبيد الله المرزبان، وأبوعمرو بن حيوية وأبوبكر بن شاذان قالوا حدثنا أبوعبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة النحوي الملقب بنفطويه قال: فذكر القصة كما هنا.

(٣) قال في المصارع: حدثنا سويد بن سعيد قال حدثنا على بن سهر عن أبي يحيى القتات عن مجاهد بن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
"من عشق وكتم وعف وصبر غفر الله له وأدخله الجنة".
قلت وفي إسناد هذا الحديث هنا: سويد بن سعيد وقد أفحش فيه القول ابن معين، وعلي بن مسهر وله غرائب، وأبو يحيى القتات وهو لين الحديث ولهذا الحديث طرق عدة وعلى الإجمال فالحديث موضوع وليس ضعيفًا وليس المجال بمتسع لبيان ذلك، ومن أراد أن يطلع على طرقه فعليه بمراجعته في الكتب التالية: الفوائد للشوكاني (٢٥٥)، ميزان الاعتدال (٢٥٠/٢)، لسان الميزان (٢٩٢/١)، المقاصد الحسنة (٤١٩)، مختصر المقاصد (رقم: ١٥٥)، زاد المعاد (١٥٤/٣)، الداء والدواء (٢٣٠)، تاريخ بغداد (١٥٦/٥)، (٢٦٢/٥)، (٥١/٦، ٥٠)، (١٨٤/١٣)، الفوائد للكوفي (١٠٩)، وكشف الخفا (٣٦٣/٢، ٣٦٤)، العلل المتناهية في الضعف (٢٨٦/٢)، تلخيص الحبير (١٤٢/٢)، وقد سبق أن تكلمت على هذا الحديث في تعليقي على مقدمة المؤلف عند ذكره له واستشهاده به، والمؤلف من رجالات الحديث وشيوخه المشهورين وله فيه الباع الطويل غير أن إيراده له أو دفاعه عنه لا يعني أنه صحيح بل نقول له نعم عندما يحسن ونقول له جانبك الصواب وهو إن شاء الله مأجور- عندما يقول ما ليس بصواب.
وعمومًا لم يورد المؤلف هنا الحديث بل أشار إليه بقوله: فإنه منعني منها حديث سويد وهي إشارة إلى

انْظُر إِلَى السِّحْرِ يَجْرِي فِي لَوَاحِظِه وَانْظُرْ إِلَى دَعَجٍ فِي طَرْفِه السَّاجِي
وانْظُـرْ إِلَى شَعَرات فَوْقَ عَارِضِه كَأَنَّهُـنَّ نِمَـالٌ دَبَّ فِي عَـاجِ

وأنشدنا أيضًا:

مَالَهُـمْ أنكَرُوا سَـوَادًا بخَـدَّيْه وَلاَ يُنْكِرُونَ وَرْدَ الغُصُونِ
إِنْ يَكُنْ عَيْبُ خَدَّيْهِ بُدُو ذَا الشَّعْرِ فَعَيْبُ العُيُونِ شَعْرُ الجُفُونِ

قال: فقلت له: نفيت القياس في الفقه وأثبته في الشعر(١).

فقال: غلبة الهوى، وملكة النفوس دعوا إليه.

ومات من ليلته أو من اليوم الثاني [١٢٩/أ] لتسع خلون من رمضان سنة سبع وتسعين ومائتين، ويقال: لسبع خلون من شوال. ويقال: لأيام بقين من رمضان.

[من أقواله في العشق(٢)]: كل متشوق من العشاق بنسيم ريح، أو لمعان برق، أو سجع حمام، فهو ناقص عن حد التمام في المحبة من وجهين:

أحدهما: صبره على فقد معشوقه حتى يحتاج أن يرى ما يذكره ويشوقه، والأخرى: أن من كانت هذه صفته، فإن الصبا لم يتمالك على قلبه فيشغله [إلى(٣)] أن يتشوق بشيء يلم به غيره.

إن الشوق بما ذكرناه إنما هو يقصر بأهله عن درجات الكمال غير مدخل لهم في حد النقصان.

= هذا الحديث وقد كنت سأذكره بطرق غير أني اكتفيت بالطريق التي ذكرها السراج ثم أحلتك أخي القارئ إلى مواضع الحديث في بعض كتب الحديث وما هو متعلق بالكتب الضعيفة والموضوعة لكي يطمئن قلبك وتحكم بنفسك وتسلك طريقك على نور من ربك.

(١) من المعلوم أن ابن داود هو إمام المذهب الظاهري وإن كان الذي أظهره وأثر فيه تأثيرًا قويًا هو ابن حزم الأندلسي وهو مذهب يقوم على القرآن، والسنة والإجماع إن صح ولا يعترف بغير ذلك من قياس واستحسان وعرف وعادة وشرع من كان قبلنا، واستنباط وما إلى ذلك من علم أصول الفقه التي اعتمدها الفقهاء الآخرون كالشافعي وأبي حنيفة وغيرهم.

(٢) زيادة تصنيفية ليست من المخطوط وهي من عمل المحقق غفر الله له وعفى عنه برحمته آمين.

(٣) زيادة يتطلبها السياق.

١٣٥- شهيد

[محمد بن قطن[١] والغلام الذي تعلق به]

ذكر السراج أن محمد بن حمزة قال: رأيت مع محمد بن قطن غلامًا جميلاً فكانا لا يفترقان في سفر ولا حضر، فمكثا[٢] بذلك زمنًا طويلاً.

فمات الغلام، وكمد عليه محمد بن قطن حتى عاد جلدًا وعظمًا فرأيته يومًا، وقد خرج إلى المقابر ، فاتبعته، فوقف على قبره قائمًا يبكي وينظر إليه والسماء تمطر[٣]، فما زال واقفاً من وقت الضحى حتى غربت[٤] الشمس، ولم يبرح، ولم يجلس ويده على خده. فانصرفت عنه وهو كذلك[٥]، فلما كان من الغد خرجت لأعرف خبره، وما كان من أمره، [فصرت إلى القبر[٦]] فإذا هو مكبوب لوجهه ميت فدعوت من كان حاضرًا[٧] فأعانوني على حمله فغسلته [وكفنته في ثيابه[٨]] ودفنته إلى جانب قبر الغلام[٩].

۞ ۞ ۞

١٣٦- شهيد

[المرأة التي بكت زوجها عند قبره]

قال محمد بن عبيد الله العتبي عمن حدثه قال: رأيت بالإخوانة[١٠] امرأة مضطجعة

---

(١) ذكر السراج هذه القصة في مصارع العشاق (٣١/١) تحت عنوان: موت الصوفي عاشق الغلام بالإسناد التالي: أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد بمصر بقراءتي عليه قال: حدثنا أبو صالح السمرقندي الصوفي قال: حدثنا الحسين بن القاسم بن أليسع قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو الديوري قال: حدثنا أبو محمد جعفر بن عبد الله الصوفي الخياط قال: قال أبو حمزة: فذكر القصة كما هنا.

(٢) في المخطوط: فمكث . وهو سهو والتصويب من مصارع العشاق.

(٣) في مصارع العشاق: تمطر بالمطر.

(٤) في المصارع: إلى أن غربت.

(٥) في المصارع: وهو كذلك واقفًا.

(٦) زيادة من مصارع العشاق.

(٧) في المصارع: من كان بالحضرة.

(٨) في المصارع: إلى جانب.

(٩) زيادة من المصارع.

(١٠) من سياق الكلام يتضح أنها موضع أو بلد، ولم أقف عليه في معجم البلدان وهو هكذا في المخطوط، وإن كنت وقفت على بلد أقرب ما تكون تشابها مع هذا الاسم وهي الأخنونية وهي من بلاد العراق.

على قبر وهي تقول فيما ذكره السامري في اعتلال القلوب:

أَبَا قَبْرُ لَوْ شَفَّعْتَنِي فِـيْهِ مَرَّةً وَأَخْرَجْتَهُ مِنْ ظُلْمَةِ القَبْرِ وَاللَّحْدِ[١٢٩/ب]
فَكُنْتُ أَرَى هَلْ غَيَّرَ القَبْرُ وَجْهَهُ وَهَلْ عَـاثَ دُوْدُ اللَّحدِ فِي ذَلِكَ[١] الْخَـدِّ

فقلت لها: من صاحب القبر منك؟

قالت: ابن عم لي، تزوجني ونحن غران[٢] بماء الحداثة جذلان فطفق لا يروي مني ولا أمل منه حتى كان العام الماضي وغزتنا سليم، وليس في الحي غيري وغيره، فخرج يحمى وهو يقول:

نَعَتْنِي زَيد أَنْ شَكَوْتُ خَلِيْلِي طَعَانِي وَكرسي مَا إِذَا الخَيْل كرَّت

فوالله ما برح يقاتل حتى قتل[٣]. فقلت: فكم سنه؟

قالت: أنا أكبر منه بسنة، ولي بضع عشرة سنة، والله ما أمكث في الدنيا أكثر من يومي هذا. فظننتها هازية، فلما أصبحت رأيت جنازة، فسألت عنها.

فقيل: هذه الجارية التي كانت تحدثك بالأمس عند قبر عن بعلها.

[فقلت[٤]]: والله لقد وفت لبعلها، وصدقته نفسها.

١٣٧- شهيد

[أبو عبد الله محمد بن يحيى والفتى الوسيم[٥]]

قال ابن حزم: وأما خبر صاحبنا أبي عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن الحسن السعدي من بني سعد زيد مناة بن تميم، المعروف بابن الطنبي فإنه كان قد خلق الحسن

(١) في المخطوط: فلك. وأثبت ما أظن أنه أقرب للمعنى وإن كان لما هو في المخطوط وجه غير أن ما أثبته مباشر أكثر والله أعلم.

(٢) تريد وهما صبيان بريئان، لا نعقل ما نفعل ولا ما نقول نعيش على سجيتنا ليس في قلوبنا من الغدر ولا الحقد ولا الضغائن ما عند الكبار.

(٣) هذا أمر طبيعي في العصور الجاهلية، وقد جاء الإسلام ونهى عن مثل تلك الغارات التي تشن من قبيلة على قبيلة بقصد الاستيلاء على ممتلكاتها من أموال وأنعام وسبي نساء وأولاد أو ذرية بلا سبب ولا جريرة فالحمد لله أن هدانا إلى الإسلام ونجانا مما كان يحدث في تلك العصور.

(٤) زيادة يتطلبها السياق.

(٥) القصة ذكرها ابن حزم في طوق الحمامة (ص: ١١٦) دون ذكر هذه المقدمة التي قدمها هنا.

على مثاله، أو خلق من نفس كل من رآه لم يشاهد له مثلاً حسنًا وجمالاً، وخلقًا وعفة، وتصاونًا وتأدبًا، وحلمًا وفهمًا، ووفاءً وسؤددًا، وطهارة وكرمًا، ودمائة وحلاوة، ولباقة وصبرًا، وغضًا وعقلاً، ودينًا ومروءة، وتمامًا ورواية، ودراية وطلبًا ونجبًا، وحفظًا للقرآن والحديث، واللغة، وشاعرًا مفلقًا، وحسن الخط جدًا، وبليغًا متفننًا مع حظ صالح من الكلام والجدل.

وكـــان من غلمان أبي عبد الرحمن بن أبي يزيد الأزدي أستاذي، وكنت أنا وهو مـــتقاربين في الســـن، ثم تغربـــت عنه، فبلغني وفاته، وأن مصعب بن عبد الله [١٣٠/أ] الأزدي عرف بابن الفرضي سأله عن سبب علته وقد نحل ولم يبق منه إلا الجلد والعظم؟

فقال لي[١]: أخبرك، كنت على باب داري بقديد الشماس، في حين دخول على بن حمود قرطبة، والجيوش الواردة [عليها[٢]] من جهات تتسارب إلى القصر، فرأيت في جملتهم فتًى لم أقدر أن للحسن صورة قائمة[٣]، حتى رأيته فغلب على عقلي وهام به لبي فسألت عنه.

فقيل: فلان ابن فلان من سكان ناحية[٤] كذا، ناحية قاصية عن قرطبة بعيدة المأخذ.

فيئست من رؤيته بعد تلك المرة[٥] ولعمري يا أبا بكر لا فارقني[٦] حبه أو يوردني[٧] رمسي[٨] فكان كذلك، وأنا أعرف ذلك الفتى وأدريه، وقد رأيته، ولكن أضربت عن اسمه لأنه مات، والتقيا عند الله تعالى[٩].[عفى الله عن الجميع[١٠]].

هذا على أن عبد الله أكرم الله نزله ممن لم يكن له زلة قط [ولا فارق الطريقة المثلى

(١) من أول هنا يسرد القصة كما هي في طوق الحمامة.

(٢) ما بين المعقوفين من طوق الحمامة.

(٣) في المخطوط: فاته والتصويب من طوق الحمامة، وربما كانت في الأصل فاتنة.

(٤) في طوق الحمامة: جهة.

(٥) في طوق الحمامة: بعد ذلك.

(٦) في المخطوط: لا فارقتني. وهو تحريف، والتصويب من طوق الحمامة.

(٧) في المخطوط : أوتوددني. وهو تحريف والتصويب من طوق الحمامة

(٨) الرمس: هو القبر.

(٩) في طوق الحمامة: لأنه قد مات والتقى كلاهما عند الله عز وجل.

(١٠) زيادة من طوق الحمامة.

ولا وطئ حرامًا[(١)] قط، ولا قارف مسكرًا[(٢)]، ولا أتى منهيًا عنه يخل بدينه[(٣)] ومروءته، ولا قارض من جفا عليه، وما كان في طبقتنا مثله، فمن مراث له قصيدة منها:

لَئِنْ سَتَرتــكَ بُطُون اللّحُود ... فَوَجْدي بَعْدَكَ لاَ يُسْتَتَر
قَصَدتُ ديَارَكَ قَصْدَ المَشُوْق ... وَللدَّهْر فِيْنَــا كُرُورٌ وَمَرّ
فَألْفَيْتُهَــا منْــكَ قَفْرًا خَلاَ ... فَأَسْكَبْتُ عَيْني عَلَيْكَ العبَرْ
لَقَدْ رُزِئت منْكَ مَجْدًا تَمِيْم ... وَبَدْرًا تَمامًا تَميْم بن مَرّ[(٤)]

١٣٨- شهيد

[الأعرابي الذي عشق جارية حيه[(٥)]]

ذكر المدائني عن محمد بن صالح الثقفي أن بعض الأعراب عشق جارية من حيه فكان يتحدث[(٦)] إليها.

فلما علم أهلها بمكانه[(٧)] ومجلسه [منها[(٨)]] تحملوا بها معهم[(٩)]، فتبعهم ينظر إليها [ففطن به[(١٠)]] فلما علم أنه قد فطن به انصرف، وهو يقول:

بــانَ الخَلَيْطُ فَأَوْجَعَــوا قَلْبي ... حَسْبي بمَا قَدْ أَوْرَثُوا حَسبِي
إنْ تَكْتُبُوا نَكْتُبْ وَإنْ لاَ تَكْتُبُوا[(١١)] ... تَأْتِيْكُـمُ بمَكَانكُـم كُتُبِـي
جَدَّ الرَّحِيْلُ فَكَــانَ فُــرْقَة بَيْنَنَا ... لاَ شَكَّ فِيْه مُقْتَضَى نَحْبِي[(١٢)]

ثم وقف على جبل ينظر إليهم، فلما غابوا عن عينه خر ميتًا.

❁ ❁ ❁

---

(١) زيادة من طوق الحمامة.
(٢) في طوق الحمامة: منكرًا.
(٣) في المخطوط: عند نحل بدنه. والتصويب من طوق الحمامة.
(٤) البيت الأخير لم يرد في طوق الحمامة.
(٥) الخبر في مصارع العشاق (١٠٦/٢) تحت عنوان: مات على الجبل.
(٦) في المخطوط: الحديث، والتصويب من مصارع العشاق.
(٧) في المخطوط: مكانه، والتصويب من المصارع.
(٨) زيادة من المصارع.
(٩) ليست في المصارع.
(١٠) زيادة من المصارع.
(١١) في المصارع: لا يكن.
(١٢) البيت في المصارع على النحو التالي وليس بمستقيم:

جد الرحيل فبان ما بيننا ... لا شك أني مُنْقَضٍ نحبي

١٣٩- شهيد

[المتوكل على الله[١]، وجاريته محبوبة]

ذكر الخرائطي: أن محبوبة جارية المتوكل على الله كان يحبها محبة شديدة وكانت هي تَهيم به عشقًا.

فلما قتل صارت إلى وصيف لكثير، فكانت لا تبرح من البكاء، والنحيب.

فأمرها وصيف يومًا بأن تغني فاستعفت فأبى أن يعفيها، فأخذت العود، وغنت:

أيُّ عَيْشٍ يَطِيْبُ[٢] لي ... لاَ أرَى فِيْه جَعْفَرا
ملكٌ قَدْ رَأتْهُ عَيْنِي ... جَرِيْحًا مُعَفَّرا[٣]
كُلُّ مَنْ كانَ ذَا هيا ... م[٤] وَسُقْمٍ فَقَدْ بَرَا
غَيْر مَحْبُوبَة الَّتِي لَوْ ... تَرَى المَوْتَ يُشْتَرَى

---

(١) هو: الخليفة، أبو الفضل، جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور، القرشي العباسي البغدادي.
ورد ذكره في كتب السير والأخبار، التراجم، ومن المصادر التي ترجمت له على سبيل المثال: تاريخ بغداد (١٧٢/٧، ١٦٥)، وفيات الأعيان (٣٥٠/١، ٣٥٦)، العبر (٤٤٩/١)، فوات الوفيات (٢٩٢/١، ٢٩٠)، البداية والنهاية (٣١٠/١٠، غير ذلك)، العقد الثمين (٤٣١/٣)، النجوم الزاهرة (٢٧٥/٢)، تاريخ الخلفاء (٣٥٦، ٣٤٦)، شذرات الذهب (١١٤/٢)، سير أعلام النبلاء (٣٠/١٢)، ومما جاء فيه: ولد سنة خمس ومئتين.
وبويع عند موت أخيه الواثق في ذي الحجة سنة اثنين وثلاثين...
وكان أسمر جميلاً، مليح العينين نحيف الجسم، خفيف العارضين، ربعة، وأمه اسمها: شجاع.
قال خليفة بن خياط: استخلف المتوكل فأظهر السنة، وتكلم بها في مجلسه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة، وبسط السنة، ونصر أهلها.
وقد قدم المتوكل دمشق في صفر سنة (٢٤٤) فأعجبته، وعزم على المقام بها، ونقل دواوين الملك إليها، وأمر بالبناء بها، وأمر للأتراك بمال رضوا به، وأنشأ قصرًا بداريا مما يلي المزة.
وفي سنة (٢٣٤) أظهر المتوكل السنة، وزجر عن القول بخلق القرآن، وكتب بذلك إلى الأمصار، واستقدم المحدثين إلى سامراء، وأجزل صلاتهم، ورووا أحاديث الرؤية والصفات ونزع الطاعة محمد بن البعيث نائب أذربيجان وأرمينية، فسار لحربه بغا الشرابي، ثم بعد فصول أسر.
ومات في خامس ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين ومائتين، فكانت خلافته ستة أشهر وأيامًا.

(٢) في سير أعلام النبلاء: يلذ.

(٣) البيت في سير أعلام النبلاء على النحو التالي:

ملك قد رأيته ... في شجيع معفرا

(٤) في سير أعلام النبلاء: خبال.

لاشْتَـــرتُه بِمَا حَوَتْـــ ـــهُ جميْعًا[1] لتُقْبَرا

فاشتد على وصيف، وأمر باخراجها، فصارت إلى فسحة، وليست الصوف وجعلت ترثيه وتبكيه حتى ماتت محبة له رحمها الله تعالى.

۞ ۞ ۞

١٤٠- شهيد

[المخبل[2]، كعب بن مشهور أو ابن خثعم، وميلاء]

ذكر الأصبهاني: أن المخبل، واسمه: كعب بن مشهور.

وقال الهجري: هو ابن خثعم.

كان من أهل الحجاز وتحته ابنة عم له اسمها: أم عمرو، وكانت من أحب الناس إليه.

فخلا بها ذات يوم وهي واضعة ثيابها فلما نظر إليها قال لها: يا أم عمرو، هل ترين أن أحدًا من النساء أحسن منك؟

---

(١) في سير أعلام النبلاء: يداها.

(٢) في تجريد الأغاني (ص ١٤٩٦: ١٤٩٧) تحت عنوان أخبار المخبل السعدي: هو: الربيع، وقيل كعب بن ربيعة، وقيل: ربيعة بن مالك بن ربيعة بن عوف بن قتال بن أنف الناقة بن قريع بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم. شاعر فحل، من مخضرمي الجاهلية والإسلام.
ويكنى أبا زيد، وإياه يعني الفرزدق بقوله:

وهب القصائد لي النوابغ إذ مضوا وأبو يزيد وذو القروح وجرول

ذو القروح: هو امرؤ القيس. وجرول: الحطيئة.
وأبو يزيد: المخبل.
وجعله ابن سلام في الطبقة الخامسة من فحول الشعراء، وقرنه بخداش بن زهير، والأسود بن يعفر، وتميم بن مقبل.
وعمر المخبل في الجاهلية والإسلام عمرًا كبيرًا وتوفي في خلافة عمر أو عثمان رضي الله عنهما، وهو شيخ كبير.
وذكر أن ابنه شيبان بن المخبل هاجر وخرج مع سعد بن أبي وقاص لحرب الفرس، فجزع عليه المخبل جزعًا شديدًا، وكان قد أسن وضعف، وافتقر إلى ابنه فافتقده، فلم يملك الصبر عنه وكاد أن يغلب على عقله، وقال أبياتًا منها:

فإن يك غصن أصبح اليوم ذوايـــا وغصنك من ماء الشباب رطيب
فأني حنت ظهري خطوب تتابعت فمشي ضعيف في الرجال دبيب

وبلغ عمر رضي الله عنه شعره فرق له، وأمر برد ابنه، فرد إليه.

قالت: نعم، أختي ميلاء، أحسن مني.

قال: فكيف بأن ترينيها؟

قالت: إن علمت بك لم تخرج إليك، ولكن اختبئ في الستر [١٣٨/أ] وأبعث إليها.

قال: فعلت ، وأرسلت إليها.

فلما نظر إليها عشقها وترك أختها وجلس لها.

فلما خرجت[١] من عند أختها عارضها من مكان لا تحتسبه.

فشكى إليها حبها، وأعلمها أنه قد رآها.

فقالت: والله يا بن عم ما وجدت بي من شيء إلا وأنا أجد منك مثله[٢]، وفطنت[٣] أم عمرو، امرأته بأنه عشق أختها فتبعتهما [هما[٤]] ولا يدريان حتى رأتهما قاعدين جميعًا.

فمضت قصد إخوتها، وكانوا سبعة، فقالت: إما أن تزوجوا كعبًا من ميلاء وإما أن تغيبوها عني.

فلما بلغه أن ذلك قد بلغ إخوتها، هرب فرمى بنفسه نحو الشام، وقال هناك[٥]:

أَفِي كُلِّ يَوْمٍ أَنْتَ مِنْ بَارِحِ الهَوَى ... إِلَى الشُّمِّ مِنْ أَعْلامِ[٦] مَيْلاءَ نَاظِرُ

بَعَمْشَاءَ مِنْ طُولِ البُكَاءِ كَأَنَّهَا ... بِهَا حَرُّ نَارٍ طَرْفُها مُتَخَادِرُ

تَمَنَّى المُنَى حَتَّى إِذَا قُلْتَ المُنَى ... جَرَى وَاكِفٌ مِنْ دَمْعِهَا مُتَبَادِرُ

كَمَا أُرْفُضَ سِلْكٌ بَعْدَ مَا ضَمَّ ضَمَّة ... بِحَظِّ القَتِيلِ اللُّؤْلُؤُ المُتَنَاثِرُ[٧]

فروى هذا الشعر رجل من أهل الشام، ثم خرج يريد مكة، فمر على: أم عمرو، [وأختها[٨]]، ميلاء، وقد ضلّ عن[٩] الطريق، فسلم عليهما، وسألهما عن الطريق.

---

(١) في المخطوط: تزوجت وهو تحريف.

(٢) والخبر في مصارع العشاق (٢/١٤٠) تحت عنوان: عاشق أخت زوجته.

(٣) في المصارع: وظننت. وما هنا أوفق.

(٤) سقط من المخطوط وأثبته من المصارع.

(٥) في المصارع: وهو بالشام.

(٦) في المخطوط: أعلا. والتصويب من المصارع.

(٧) لم يرد من هذه الأبيات في المصارع إلا البيت الأول.

(٨) زيادة من المصارع.

(٩) ليست في المصارع.

فقالت أم عمرو: يا ميلاء صِفي له الطريق، فذكر الرجل لما سمعها تقول: يا ميلاء، بَيْتَ كعب، يتمثل به[١].

فقالت أم عمرو: يا عبد الله، من أين أنت؟

قال: [أنا[٢]] رجل من أهل الشام.

فقالت: أنى لك[٣] هذا الشعر؟ فقال: رويته عن أعرابي بالشام. قالت: أو تدري ما اسمه؟

قال: [اسمه[٤]] كعب.

قال: فأقسمتا عليه أن لا يبرح حتى يراك إخوتنا فيكرموك ويدلوك على الطريق، فأنعم[٥] علينا..

فقال: إني لأروى له شعرًا آخر، فما أدري أتعرفانه أم لا؟

فقالت: أسمعناه. فأنشد له[٦]: [١٣١/ب]

خَلِيْلَيَّ قَدْ رُمْتُ[٧] الأمورَ وَقِسْتُهَا ... بنَفْسِي وَبالفتْيَانِ كُلَّ مَكَانِ
فَلَمْ أُخْفِ يَوْمًا للرَّفِيْقِ وَلَمْ أجِدْ ... خَلِيًّا وَلاَذا البَثِّ يَسْتَوِيَانِ
مِنَ النَّاسِ إنْسَانَانِ دَيني عَلَيْهِمَا ... مَلِيَّانِ لَوْلاَ النَّاسُ قَد قَضَيَانِي
مَنُوعَانِ ظَلاّمانِ مَا يُنصِفَانِني ... بدَلَيْهِمَا وَالحُسْنِ قَدْ خَلَيَانِي
يُطِيلاَنِ حَتَّى يَحْسَبَ النَّاسُ أنَّنِي ... قُضِيْتُ وَلا وَالله مَا قَضَيَانِي
خَلِيْلَيَّ أَمَّا أُمُّ عَمْرو فَمِنْهُمَا ... وَأَمَّا عَنِ الأُخْرَى فَلا تَسَلانِي
بُلِيْنَا بَهِجْرَانٍ وَلَمْ يُرَ مِثْلُنَا ... مِنَ النَّاسِ إنْسَانَانِ يَهْتَجِرَانِ

---

(١) عبارة: بيت كعب يتمثل به ليست في المصارع، ثم ذكر البيت الأول من القصيدة هنا، ثم قال السراج:

فتمثل به فعرفت الشعر، ثم أرسل القصة كما هنا.

(٢) زيادة من المصارع.

(٣) في المصارع من : أين رويت.

(٤) زيادة من المصارع.

(٥) في المصارع: فقد أنعمت.

(٦) في المصارع: فقالتا: نسألك بالله إلا أسمعتنا إياه؟ قال سمعته يقول.

(٧) في المصارع: زرت.

أَشَـــدَّ مُصَــافَــاةً وَأَبْعَــدَ مِنْ قِلَى ... وَأَعْصَــى[١] لِــوَاشٍ حِيْنَ يُكْتَنَفَــان
تُبَــيِّنُ طَــــرْفَانَا الَّذي فِي نُفُوسنَــا ... إِذَا اسْتُعْجِمَــت بِالْمَنْطِقِ الشَّفَتَان
فَــوَ اللهِ مــا أَدْرِي أَكُلُّ ذَوِي الهَوَى ... عَلَى شَكلنَــا أَمْ نَحْــنُ مُبْتَلَيَــان
فَــلاَ تَتَعَجَّــبَا مِمَّا بِي اليَوْمَ مِنْ هَوًى ... فَفِــي كُــلِّ يَــوْمٍ مِثْــلُ مَا تَرَيَــان
خَلــيْلَيَّ عَــنْ أيِّ الذي كَــانَ بَيْنَنَا ... مِنَ الوَصْلِ أَمْ[٢] مَا مَضَى الهَوَى تَسَلاَن
وَكُــنَّــا كَــرِيْمَيْ مَعْشَــرٍ حُمَّ بَيْنَنَا ... هَــوًى فَحَفِظْنَــاهُ بِحُسْنِ صِيَــان
نَــذُودُ النُفُوسَ الجَاهِلات[٣] عنْ الهَوَى ... وَهُــنَّ بأَعْنَــاقٍ إِلَيْــه ثَــــوَان
سَــلاَمٌ بِأُمِّ العَمْرِ وَمَنْ هِي فَقَدْ بَدا[٤] ... بِــهِ السَّقْمُ لا يَخْفَى وَطُولُ ضَمَــان
فَمَــا زَادَنَــا بُعْدَ المَــدَى نَقْصُ مَرَّةٍ ... وَلاَ رَجَعَــا مِــنْ عِلْمِنَــا بِبَيَــان
خَلــيْلَــيَّ لا وَاللهِ مَــالِــي بِالَّذي ... تُــرِيْدَانِ مِــنْ هَجْرِ الصَّدِيْقِ يَــدَان
وَلاَ لِــيَ بِالهَجْــرِ اعْتِلاَءٌ إِذَا بَــدَا ... كَمَــا أَنْتُمَــا بِالبَيْــنِ مُعْتَلَيَــان

قال: فنزل الرجل وحط رحله حتى جاء إخوتهما، فأخبرتاهم[٥] الخبر وكانتا[٦] [١٣٢/أ] مهتمتين[٧] بأمره[٨]، وذلك لأنه كان ابن عمهم وكان ظريفًا شاعرًا فأكرموا الرجل، ودلوه على الطريق، وخرجوا يطلبون كعبًا بالشام. فوجدوه، فأقبلوا به حتى إذا جاءوا[٩] إلى بلدهم نزل كعب في بيت ناحية [من الحي[١٠]] فرأى ناسًا قد اجتمعوا عند البيوت.

---

(١) في المخطوط: وأحصى. وهو تحريف والتصويب من مصارع العشاق.
(٢) في مصارع العشاق: أو.
(٣) في مصارع العشاق: الحائمات.
(٤) جاء الشطر الأول في مصارع العشاق على النحو التالي:
سَلاَمٌ بِأُمِّ العَمرِو مِنْهُ فَقَدْ بَرَا
(٥) في المخطوط: فأخبراهم. وهو تحريف، والتصويب من مصارع العشاق.
(٦)في المخطوط: وكانا. وهو تحريف والتصويب من المصدر السابق.
(٧) في المخطوط: مهتمين والتصويب من المصدر السابق.
(٨) في المصارع: بكعب.
(٩) في المصارع: صار.
(١٠) زيادة من المصارع.

فقال كعب لغلام قائم وكان كعب ترك ابنًا له صغيرًا[1]-: يا غلام من أبوك؟

قال: المخبل[2]. قال: فعلام يجتمع هؤلاء الناس؟

وأحس فؤاده[3] بشر.

فقال: يجتمعون على خالتي ميلاء، فإنها[4] ماتت الساعة.

قال: فزفر زفرة خر ميتًا[5]، فدفن إلى جنب[6] قبرها.

ومن شعره بالشام في زوجته أم عمرو وحدها[7]:

أخفَا عبَادَ الله أنْ لَسْت مَاشيًا ... بهَرَجَات حَتى يُحْشَر الثَّقَلاَن

وَلاَ لاَ هَنَاءَ لِيَ يَوْمًا إلَى اللَّيْلِ كُلّه ... ببيْض لَطيِّفَات الخصُوْر رَوَان

يُميتْنَنَا حَتَّى تَزيْغَ قُلُوبنَا ... وَيَخْلُطْنَ مطْلاً ظَاهرًا بليَان

فَعَيْنَيَّ يَا عَيْنَيَّ حَتَّامَ أنْتُما ... بهْجَران أُمَ العَمْرو تَخْتَلجَان

فَمَا أنْتُمَا إلاَّ عَلَيَّ طَليْعَة ... عَلَى قُرْب أعْدَائي كَمَا تَرَيَان

فَلَوْ أنَّ أُمَ العَمْرو أضْحَتْ مُقيْمَة ... مضرَ وَدَوْني السَّحَرُ سَحَر عُمَان

إذًا لَرَجَوْت الله يَجْمَعُ بَيْنَنَا ... وَإنَّا عَلَى مَا كَانَ مُلْتَقيَان

منَ البيْض مخلا وَالعُيُون غذَاهُمَا ... نَعيْمٌ وَعَيْشٌ ضَاربٌ بحرَان

أفي كُلِّ يَوْمٍ أنْتَ رَامٍ بلاَدهَا ... بعَيْنَيْن إنْسَاناهُمَا عَرفَان

إذَا اغرَ وْرَقَتْ عَيْنَايَ قَالَتْ صَحَابتي ... لَقَدْ أُوْلَعَتْ عَيْنَاكَ الْهمَلاَنَ

ألاَ فَاحْملاَني بَارَكَ الله فيْكُمَا ... إلَى حَاضرِ الرَّوْحَاءِ ثُمَّ ذَرَان

۞ ۞ ۞

---

(١) في المصارع على النحو التالي: وكان قد ترك بُنيًا له صغيرًا.

(٢) في المصارع: قال: أبي كعب.

(٣) في المصارع: فؤاد كعب.

(٤) لم ترد تلك اللفظة في المصارع.

(٥) في المصارع: خر منها ميتًا.

(٦) في المصارع: جانب.

(٧) وذكر له ابن قتيبة في الشعر والشعراء شعرًا غير هذا (ص ٩٦: ٩٧)قوله:

أعَرفتَ من سَلْمَى رُسُومَ ديَارِ ... بالشَّطِّ بَيْنَ مُخفقٍ وصَحَارِ

وَسألْتهَا عَنْ أهْلهَا فَوَجَدْتُهَا ... عَمْيَاءَ جَاهلَةً عَنِ الأخْبَارِ

قلت وقال المعلقان: مخفق: رمل أسفل الدهماء من ديار بني سعد.

قلت: وللمخبل ديوان شعر شهير ففيه من الشعر الرائق في العشق والحب الكثير.

١٤١- شهيد

[الفتى العامري المريض الذي هيج البرق فيه ذكرى حبيبه]

ذكر ابن دريد: أن محمد بن معن العلاف[1] قال: لما قدم بغا التركي ببني [١٣٢/ب] نمير أسرى كنت كثيرًا مما أصير إليهم فلا أعدم أن القى منهم الفصيح، فجئتهم ذات يوم في صبيحة ليلة قد كانوا مطروا فيها، فإذا شاب جميل قد نهكه المرض، وليس به حراك، وإذا هو ينشد:

أَلاَ يَا سَنَـــا بَرْقٍ عَلى قُلَـــلِ الحِمَى ... لَهِنَّكَ[2] مِنْ بَرْقٍ عَلَيَّ كَرِيْمُ

لَمعْتَ اقْتِدَاءَ[3] الطَّيْرِ وَالقَوْمُ هُجَّعٌ ... فَهَيَّجْتَ أَحْـــزانًا وأَنْتَ سَلِيْمُ

فَبِـــتُّ بِحَـــدِّ المِرْفَقَيْـــنِ أَشيمـــهُ ... كَأَنِّي لِبَرْقٍ بِالسَّتَارِ حَميـــمُ

فَهَلْ مِنْ مُعِيْرٍ[4] طَرْفَ عَيْنٍ خَلِيَّةٍ؟ ... فَإِنْسَانُ عَيْنِ العَامِرِيِّ كَلِيمُ[5]

فقلت: يا فتى، إن في دون ما بك ما يشغل عن قول الشعر قال: أجل، أجل، ولكن البرق أنطقني، ثم اضطجع فمات، فما يتهم عليه إلا الحب.

وذكر ثعلب في أماليه، وأبو إسحاق بن إبراهيم بن علي بن تميم القيرواني في كتابه المصون في سر الهوى المكنون[6]:

أن محمد بن معن هذا من بني غفار، وأنه قال: أقحمت[7] السنة إلى المدينة ناسًا من الأعراب، منهم من بني كلاب، وكانوا يدعون عامهم ذلك عام الجراف[8].

---

(١) القصة في مصارع العشاق (٢/١٠٠) تحت عنوان: الحب المحرم بالإسناد التالي: وربما كان في أوحد الإسنادين تحريف أو أنه طريق آخر يأتي التعليق عليه بعد قليل-: ذكر أبو بكر محمد ابن الحسن بن دريد أخبرنا الفضل بن محمد العلاف قال: فذكر القصة كما هنا نصًا.

(٢) أي: لأنك.

(٣) في المخطوط: اقتدار . والتصويب من مصارع العشاق، والمراد باقتداء الطير: هو السرعة كما يسرع الطير.

(٤) في المخطوط: معين، وهو تحريف والتصويب من مصارع العشاق.

(٥) جاء بعد هذا بيت آخر في مصارع العشاق هو:

رَمَى قَلْبَهُ البَرْقُ المُلأْلِىءُ رَمْيَةً ... بِذِكْرِ الحِمَى وَهْنًا فَصَارَ يَهِيْمُ

(٦) راجع المصون في سر الهوى المكنون (ص ٤٦٣) والخبر فيه تحت عنوان: شوق المشوق للمع البروق.

(٧) في المخطوط: أقحم. والتصويب من المصون، والمراد به القحط، أي أجدبت السنة.

(٨) في المصون: الحارق.

قال: فأبرقوا ليلة في النجد(١)، وغدوت عليهم، فإذا غلام منهم قد عاد جلدًا وعظمًا ضيعة وهزالا وإذا هو قد رفع صوته(٢) بأبيات قالها من الليل:

ألاَ يا سَنَا البَرْق

الأبيات.

فقلت: إن في دون ما بك ما يفحم عن الشعر.

فقال: صدقت، ولكن البرق أنطقني.

ثم ما لبث يومه ذلك(٣) حتى مات.

١٤٢ - شهيد

[عمرو بن يوحنا النصراني ومدرك](٤)

ذكر أبويعقوب يوسف بن خرّلاذ البحتري، والمعافى بن زكريا الحريري، أن جعفر بن شاذان القمي قال: كان عمرو بن يوحنا النصراني يسكن في دار الروم ببغداد [من الجانب الشرقي](٥) وكان من أحسن الناس صورة وأجملهم خلقًا، [وكان مدرك بن على الشيباني يهواه](٦).

وكان مدرك من أفاضل أهل [١٣٣/أ] الأدب، [والمطبوعين في الشعر](٧) وكان له

---

(١) كذا في المخطوط، وفي المصون: فأبرقوا ليلة من نحو نجد.

(٢) في المصون: عقيرته، والمراد واحد.

(٣) لم ترد في المصون.

(٤) القصة عند السراج في مصارع العشاق في المواضع التالية: (١/١٣٨، ٢٤٢)، (٢/١٦٨، ١٧٠، ٢٥٨).

وقد ذكر الخبر الذي هنا في (١/٢٤٢) تحت عنوان: مدرك الشيباني، وعمرو النصراني بالإسناد التالي: أنبأنا القاضي أبوعبدالله محمد بن سلمة بن جعفر القضاعي، ولقيته بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم في أول سنة ست وأربعين وأربعمائة قال: أخبرنا أبويعقوب يوسف بن يعقوب بن خرزاذ النجيرمي قال: أنشدني جعفر بن شاذان القمي أبوالقاسم قال أنشدني مدرك بن علي الشيباني له ببغداد في الجانب الغربي في عمرو بن يوحنا النصراني:

مِنْ عَاشِقٍ نَاءِ هَوَاهُ دَانِ ناطقِ دَمْعٍ صَامتِ اللّسَانِ

القصيدة جميعها. وقال أبو القاسم جعفر بن شاذان القمي: فذكر القصة التي هنا بنصها.

(٥) ما بين المعقوفين زيادة من المصارع.

(٦) زيادة من المصارع.

(٧) زيادة من المصارع.

مجلس يجتمع إليه الأحداث، فإن قصده[1] شيخ أو كهل قال له مدرك: إنه ليقبح بمثلك أن يختلط بالأحداث والصبيان، فقم في حفظ الله تعالى، فيقوم.

وكان عمرو [بن يوحنا][2] ممن يحضر مجلسه، فَعَشَقَه مدرك وهام به.

فجاء عمرو يومًا إلى المجلس، فكتب مدرك رقعة وطرحها في حجره.

فقرأها فإذا فيها:

بمَجَالس العلْمِ الَّتي ... بكَ تَمّ جَمْع جُمُوعِهَا
ألاَّ رَثَيْتَ لمُقْلَة ... غَرقَتْ بمَاء دُمُوعهَا
بيْني وَبَيْنَكَ حُرْمَةٌ ... اللهَ في تَضْييْعهَا

فقرأ الأبيات، ووقف عليها كل من كان في المجلس، وتروَّها[3].

واستحيا عمرو من ذلك، وانقطع عن الحضور.

وغلب الأمر على مدرك، فترك مجلسه ولزم دار الروم، وجعل يتبع عمرًا حيث سلك.

وقال فيه شعرًا كثيرًا من ذلك[4] هذه القصيدة المزدوجة العجيبة[5].

قال الحريري: قد رأيت عمرًا أبيض الرأس واللحية:

من عَاشقٍ ناء[6] هَوَاهُ دَان[7] ... نَاطق دَمْعٍ مُصْمَت[8] اللّسَان
مُعَذَّب بالصَّدِّ وَالهجْرَان ... مُوثَّق القَلْب مُطْلَق الجُثْمَان[9]
منْ غَيْرِ ذَنْب كَسَبَتْ يَدَاه ... غَيْرَ هَوى نَمَتْ به عَيْنَاهُ
شَوْقًا إلَى رُؤْيَة مَنْ أشْقَاهُ ... كَأنَّمَا عَافَاهُ مَنْ أضْنَاهُ

(١) في المصارع: حضره.
(٢) زيادة من المصارع.
(٣) في المصارع : وقرأوها.
(٤) قوله: شعرًا كثيرًا من ذلك. هذه العبارة لم ترد في المصارع.
(٥) ذكر بعد ذلك بقية ترجمته على غير النحو هنا.
(٦) في المخطوط: نائي. والتصويب من المصارع.
(٧) في المخطوط: داني. والتصويب من المصارع.
(٨) في المصارع: صامت.
(٩) جاء هذا البيت في مصارع العشاق شطره الأول موضع الثاني والثاني موضع الأول، وهو إقلاب، ولكنه لا يضر، فهو ككفتي الميزان لا يضر في أيهما وضعت الصنجة أو الموزون.

يَــا وَيْحَــهُ مــنْ عَاشق مَا يَلْقَــــى   مــنْ أدْمُــع مُــنهَلّة مَـــا تَــرْقَـا
نَاطقَــةٌ وَمَــا أجَــادَتْ[1] نُطْقَـــــا   تُخْــبرُ عَــنْ حُــبٍّ لَــهُ اسْــتَرَقَّـا
لَــمْ يَــبْقَ مــنْهُ غَــيْرُ طَرْف يَبْكــي   أدْمُعـــاً مــثْل نظَـــام السِّـــلْك[2]
تُطفــيه نــيْرَانُ الهَــوَى وَتُذكـــــي   كَأنَّهَـــا قَطْــرُ السَّــمَاء تَحْكي[٣٣/ب]
إلَــى غَــزَال مــنْ بَــني النَّصَـــارَى   عــذَارُ خَدَّيْــه سَــبَى العَـــذَارَى
وَغَـــادَرَ الأُسْـــدَ بــه حَــيَـــارَى   فــي ربْقَــة الحُــبّ لَــهُ أسَـــارَى
رَئــم[3] بــدَار الــرُّوم رَامَ قَــتْلــي   بمُقْلَــة كَحــلاءَ لا عَــنْ كُحْــل
وَطَــرّة بهَــا اســتَطَــارَ عَقْلـــي   وَحُســن وَجــه وَقَبــيــح فعْـــل
رئــم بــه أيْ هزَبْـــر[4] لَـــمْ يُصدْ   يَقْــتُلُ بـــاللّحظ وَلا يَخْشَــى القَــوَدَ
مَــتَى يَقُــل: هَـــا، قَالَت الألحَاظُ: قَد   كَأنَّــه نَاسُــوتُهُ حــيــنَ اتّحــد
مَــا أبْصَــرَ الــنَّاسُ جَمــيعًا بدْرًا وَلاَ   رَأَوْا شَمسًـــا وَغُصْـــنًا نَضــرَا
أحْسَــنَ مــن عَمــرو فَدَيْتُ عَمْــرا   ظَـــبيٌ بعَيْنَـــيه سَـــقَاني خَمْـــرَا
هَــا أنَــا ذَا بقَـــدّه مَقـــــدُودُ   وَالدَّمْــعُ فــي خَــدّي لَــهُ أُخْــدُودُ
مــا ضَــرَّ مَــنْ فَقْــدي به مَوْجُــودُ   لَــوْ لَــمْ يُقَــبّح فعْلَــهُ الصُّــدُودُ
إنْ كَـــانَ ذَنْــبي[5] عــندَهُ الإسْـــلاَمُ   فَقَـــدْ سَــعَتْ فـــي نقْضــه الأيَـــامُ
وَاختَلَّــت الصَّـــلاَةُ والصّـــيَـــامُ   وَجَـــازَ في الدّيْـــــن لـــيَ[6] الحَرَام

(١) في المصارع: أحارت، وكلاهما عكس الأخرى.
(٢) نظام السلك: هو حبل السبحة أو العقد يريد تقاطر الدموع سريع التتابع فهو يكاد يكون متصلاً من سرعته.
(٣) قال ابن منظور في اللسان في مادة رأم: رئمت الناقة ولدها ترأمه رأمًا ورأمانًا عطفت عليه ولزمته. وفي التهذيب: ورئمانًا أحبّته.
(٤) الهزبر: اسم من أسماء الأسد.
ويقــول ابن منظور في لسان العرب في مادة هزبر: الهزبر: من أسماء الأسد. والهَزَنْبَرُ والهَزَنْبَرانُ: الحديد السيء الخلق. وقال ابن السكيت: رجل هَزَنْبَر وَهَزَنْبَران أي حديد وثاب.
وقال ابن الأعرابي: ناقة هزبرة صلبة، وأنشد:
هزَبْرَة ذَاتُ نَسيبٍ أصهَبَا
(٥) في المصارع: ديني.
(٦) في المصارع: له.

يَا لَيْتَني كُنْتُ لهُ صَليبَــــا أكُونُ منْــهُ أبَــدًا قَريْبَــا[1]
أُبْصرُ حُسْنًا وَأشمّ طِيْبَــا لاَ وَايَــا أخْشَــى وَلاَ رَقيْبَــا
بلْ لَيْتَنــي كُنْتُ لَهُ قُرباَنَــا أَلْثُــمُ منْــهُ الثَّغْـــرَ وَالبَنَانَــا
أوْجَاثَلَيقًا[2] كنت أوْ مُطْرَانا كَيْمَا يَرَى الطَّاعَةَ لــي إيْمَانَــا
بلْ لَيْتَني كُنْتُ لعَمْرو مُصْحَفَا[3] يقْرَأ منِّــي كُلّ يَــوْم أحْرُفَــا
أوْ قَلَمًــا يَكْتُــبُ بِيَ مَا ألَّفَا مِــنْ أدب مُسْتَحْسَن قَدْ صُنِّفَــا
بَلْ لَيْتَني كُنْتُ لعَمرو عُوذَة[4] أوْحُلَّــةً يَلْبَسُهَــا مَقْــذُوذَة
[١٣٤/أ]أوْ بَرْكَةً باسْمه مَأخُوذَهْ أوْ بَيْعَــة فِي دَاره مَشْهُــودَة[5]
بَلْ لَيْتَنــي كُنْــتُ لَــهُ زُنَّارَا[6] يُديْرُني فِي الخَصْرِكَيْــفَ دَارَا
حَتَّــى إذَا اللَّيْلُ طَوَى النَّهارَا صِــرْتُ لَــهُ حِيْنَئــذ إزَارَا
قَدْ وَالَّــذي يُبْقيْــه لــي أفْنَاني وَابْتَزَّ عَقْلي وَالضَّــنَى كَسَانــي
ظَبْــيٌ عَلَــى البعَــاد وَالتَّداني حَــلَّ مَحَلّ الرُّوح مِنْ جُثْمَاني
وَاكَبِــدي مِــنْ خَدّه المُضَرَّج وَاكَبدي مِــنْ ثَغْــره المُفَلَّــج
لاَ شَيْءَ مثْل الطَّرْف منْهُ الأدْعَج أذْهَــبُ للنُّســك وللتحــرّج
إلَيْكَ أشْكُــو يَا غَــزَالَ الإنْسِ مَا بِي منْ الوَحْشَة بَعْد الأنْــسِ

(١) صدق القول القائل: حبك الشيء يعمي ويصم، فاللهم اعصمنا ما ابقيتنا وأحسن ختامنا
(٢) الجاثليق: هو كبير الأساقفة، وهي رتبة من رتب رجال الدين في الكنيسة. فهم درجات ورتب.
(٣) يريد إنجيلاً، فهو يطلق عليه مصحف أيضًا حيث إنه صفحات كتاب أو كتب منزلة مقدسة.
(٤) العوذة: هي التميمة التي يعلقها بعض الناس معتقدين أنها تدفع عنهم المساوئ أو تجلب لهم الحظوظ، وهذا اعتقاد فاسد، وقد نهى عنه الإسلام وحذر منه أشد التحذير بل وصم من اعتقد في ذلك بالخروج عن حدّ الإيمان بالله تعالى.
(٥) في المصارع: منبوذة.
(٦) الزنار: هو ما يتمنطق به النصراني أو المجوسي في أيام الخلافة الإسلامية وهو يساوي الحزام أو ما يشد على الوسط من الأربطة وقد اشترط عليهم الخلفاء لبسه ليتميزوا عن باقي أفراد المجتمع فيعرفوا بأنهم من أهل الكتاب، أو الذميين. قال ابن منظور في لسان العرب مادة: زنر.
زنر القربة والإناء: ملأه، وتزنر الشيء: دق.
والزنار، والزنارة: ما على وسط المجوسي والنصراني.
وفي التهذيب: ما يلبسه الذمي يشده على وسطه، والزنير لغة فيه.

يَا مَنْ هلالي وَجْهُــهُ وَشَمْسِي لاَ تقْــتُل الــنَّفْسَ بغَيْرِ النَفْــسِ[1]
جُدْ لي كَمَا جُدّتَ بحُسْــنِ الوُدّ وَارْعَ كَمَــا أرْعَــى قَديْمَ العَهْــدِ
واصْدُدْ كَصَدّي عَنْ طَوِيْل الصَدّ فَلَــيْسَ وَجْــدٌ بِــكَ مثْلَ وَجْــدي
هَا أنَا فِي بَحْرِ الهَوَى غَرِيْقُ سَكْرَانُ مِــــنْ حُــــبّـكَ لا أفــــيْــقُ
مُحْتَــرِقٌ مَــا مَسنّـــي حَرِيقُ يَــرثَى لِــيَ العَــدُوُّ وَالصَّدِيْــقُ[2]
فَلَيْتَ شعْري فيْكَ هَلْ تَرثي لِي مِــنْ سَــقَم وَمِــنْ ضَنًــى طَويْــلِ
أمْ هَلْ إلَى وَصْلكَ منْ سَبيْــلِ لِعَاشِــقٍ ذي جَسَــدٍ نَحِيْــلِ
فِي كُلِّ عضْوٍ مِنْهُ سُقْمٌ وَأَلَــمْ وَمُقْلَــةٌ تَــبْكــي بدَمْــعٍ وَبِــدَمْ
شَوْقًا إلَى بَدْرٍ وَشَمْسٍ وَصَنَــمْ مِــنْهُ إلَــيْهِ المُشْــتَكَــى إذَا ظَلَــمْ
أقُــوْلُ إذْ قَــامَ بقَلْبِــي وَقَعَــدْ يَــا عَمْــرو يَا عَامِرَ قَلْبِي بالكَمَــدْ
أقْســمُ بالله يَمِيْــنَ المُجْتَهِــد[3] إنَّ امــرءًا أسْــعَدتَهُ لَقَــدْ سَعِــدْ
[١٣٤/ب]يَا عَمروُ نَاشَدتُكَ بالمَسِيْح ألا اسْــتَمَعْتَ القَــوْلَ مِــنْ فَصِيْــحِ
يُخبِرُ عَــنْ قَلْــبٍ لَــهُ جرِيْــح بَــاحَ بِمَــا يَلْقَــى مِــنَ التَبْرِيْــحِ
يَا عَمْروُ بالْحَق مِــنَ اللاَّهُــوْت وَالــرُّوح رُوْحِ القُدُسِ وَالنَّاسُوتِ[4]
ذَاكَ الّذي في مَهْــده المَنْحُــوت عَــوّضَ بالــنُّطْقِ مِنَ السُّكُــوْتِ
بحــقِّ نَاسُــوت بِبَطْــنِ مَرْيَــم حَــلَّ مَحَــلَّ الــرِّيقِ مِنْهَا فِي الفَــمِ
ثُمَّ اسْتَحَالَ فِي قُنُــومِ الأقْــدَم يُكَلِّــمَ الــنَّــاسَ وَلَمَّــا يفْطَــمِ

(١) في المصارع: النفس.

(٢) معلوم أن الشعراء أشد الناس مبالغة في كل الأمور فهم يحقرون العظيم، ويعظمون الحقير، وصدق الله العظيم ﴿**يقولون ما لا يفعلون**﴾ فهذا ديدنهم وديدن من تبعهم إلا من اتقى الله سبحانه وتعالى.

(٣) انظر بعد أن ذكر شوقه إلى البدر والشمس والصنم إذا به يقسم بالله تعالى، ثم هو يبين أنه بذلك يكون أشد ما يكون وأصدق ما يكون إذا أراد أن يصدقه السامع أو المقسم له فيقسم بالله تعالى، ألا ترى معي أنه تضارب شديد، ولكن ليس غريبًا من شاعر.

(٤) انظر إليه يستحلفه بما يعتقده النصارى في المسيح ابن مريم عليه السلام، وما يقولونه من التثليث وهو قولهم والعياذ بالله تعالى، باسم الآب والابن والروح القدس إله واحد آمين، وهم يقولون أقانيم ثلاثة في إقنيم واحد.

تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا بل هو إله واحد أحد فرد صمد لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد، ومن قال غير ذلك فقد كفر كفرًا بواحًا.

بحَقِ مَنْ بَعْدَ المَمَــات قُمِّصَــا ... ثَوْبًــا عَلَــى مقْــدَارِه مَــا قُصِّصَــا
وَكَــانَ لله تَقيًّـــا مُخْلصــا ... يَشْــفِي وَيُبْري أكْمَهًا وأَبْرَصَــا[(١)]
حَقِّ مُحْيِــي صُــوْرَةَ الطُّيُــوْر ... وَبَاعِـــثِ المَوْتَـــى مِــنَ القُبُــور
وَمَنْ إلَيْــهِ مَرْجِــعُ الأُمُــوْر ... يَعْلَــمُ مَــا فِــي البَــرِّ والْبُحُــوْرْ
بحَقِ مَنْ فِي شَامِخِ الصَوَامِــعِ ... مِــنْ سَــاجِــدٍ لرَبِّــه وَرَاكِــعِ
يَبْكِي إذَا مَا نَامَ كُــلُّ هَاجِــعِ ... خَوْفًـــا مِــنَ الله بدَمْــعٍ هَامِــعِ
بحَقِّ قَــوْمٍ حَلَقُــوا الرُّؤوسَــا ... وَعَــالَجُوا طُــولَ الحَيَــاةِ بُوسَــا
وَقَرَعُوا فِــي البَيْعَــةِ النَاقُوسَــا ... مُشْــتَغِلِيْــنَ[(٢)] يَعْــبُــدُونَ عِيْسَــى
بحَقِّ مَــار[(٣)] مَرْيَــمٍ وَبُولُــسْ ... بحَــقِّ شَــمْعُونَ الصَّفَا وَجرْجِس[(٤)]
بحَقِ دَانْيَــال بحَــقِ بُوْلُــس[(٥)] ... بحَــقِ حَزْقِــيْــلَ وَبَيْــتِ المَقْــدِسِ
وَنَيْنَوَى[(٦)] إذْ قَامَ يَدْعُــو رَبَّــهُ ... مُطَهِّرًا مِــنْ كُــلِّ سَــوْءٍ قَلْبَــهُ

(١) الأكمه: هو الأعمى الذي ولد من بطن أمه أعمى و لم تصبه آفة في عينيه أما الأعمى فهو الذي يولد بصيرًا ثم تصيبه آفة تذهب ببصره حفظنا الله وإياكم وذوينا من تلك البلايا برحمته آمين.
والبرص معروف، وهو مرض جلدي يصعب علاجه يحيل الجلد إلى اللون الأبيض الممهق في مناطق مختلفة وغير منتظمة، وهو يظهر أكثر في البلاد ذات البشرة الداكنة أو المتوسطة، ويندر في البلاد ذات البشرة الفاتحة حيث ألوان جلدهم مثله. ودرجة حرارة بلادهم منخفضة.

(٢) في المصارع: مشمعلين، والمراد هنا الاهتمام بالعبادة والنسك والتحنث والمراد في المصارع: أي متفرفين منتشرين.

(٣) كذا في المخطوط، وفي المصارع: مارت مريم.

(٤) في المصارع: بطرس، وكلاهما من تلاميذ المسيح عليه السلام وكتاب الأناجيل.

(٥) في المصارع: يونس.

(٦) المعروف أن نينوى قرية يونس بن متى عليه السلام في حديث عداس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عند عودته من الطائف، وليس بنبي كما في الشعر وقال ياقوت الحموي في معجم البلدان: نينوى: قرية يونس بن متى عليه السلام بالموصل، وبسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى منها كربلاء التي قتل بها الحسين رضي الله عنه.
وذكر ابن أبي طاهر: أن الشعراء اجتمعوا بباب عبدالله بن طاهر، فخرج إليهم رسوله وقال: من يضيف إلى هذا البيت على حروف قافيته بيتًا وهو:

لم يصح للبين منهم صُرد ... وغراب لا ولكن طيطوى

فقال رجل من أهل الموصل:

فاستقلوا بكرة يقدمهم ... رجل يسكن حصني نينوى

فقال عبدالله بن طاهر للرسول: قل له: لم تصنع شيئًا فهل عنده غيره، فقال أبوسناء القيسي:

وبنبطي طفا في لُجة ... قال لما كظه التغطيط وَي

=

وَمُسْتَقْبِلاً فَأَقْبِلْ ذَنْبَهُ ... وَنَالَ مِنْ أَبِيهِ مَا أَحَبَّهُ
بِحَقِ مَا فِي قُلَّةِ الْمَيْرُونِ[١] ... مِنْ نافعِ الأَدْواءِ لِلْمَجْنُونِ
[١٣٥/أ] بِحَقِ مَا يُؤْثَرُ عَنْ شَمعُونِ ... مِنْ بَرَكَاتِ الخَوصِ وَالزَّيْتُونِ[٢]
بِحَقِ أَعْيَادِ الصَّلِيبِ الزَّهْرِ ... وَعِيدِ شَمْعُونَ وَعِيدِ الفِطْرِ
وَبالشَّعَانِيْنِ العَظِيمِ القَدرِ ... وَعِيْدِ برباري[٣] العَظِيْمِ الذِّكْرِ
وَعِيْدِ أَشْعِيَا وَبالهَيَاكِلِ ... وَالدُّخُنِ[٤] اللاَّتِي بِكَفِّ الحَامِلِ[٥]
يَشْفَى بِهَا مِنْ خَبَلٍ كُلُّ خَابِلِ ... وَمِنْ دَخِيْلِ السُّقْمِ فِي المَفَاصِلِ
بِحَقِّ سَبْعِيْنَ مِنَ العِبَادِ ... قَامُوا بِدِيْنِ اللهِ فِي البِلاَدِ[٦]
وَأَرْشَدُوا النَّاسَ إِلَى الرَّشَادِ ... حَتَّى اهتَدَى مَنْ لَمْ يَكُنْ بِهَادِ
بِحَقِّ اثْنَى عَشَرَةَ[٧] مِنَ الأُمَمْ ... سَارُوا إِلَى الأَقْطَارِ يَتْلُونَ الحِكَمْ
حَتَّى إِذَا صُبحُ الدُّجَى جَلَّى الظُّلَمْ ... صَارُوا إِلَى اللهِ فَفَازوا بِالنِّعَمْ
بِحَقِّ مَا فِي مُحْكَمِ الإِنجِيلِ ... مِنْ مُحْكَمِ التَّحْرِيْمِ وَالتَّحْلِيْلِ
وَخَبَرِ ذِي نَبَإٍ جَلِيْلِ ... يَرْوِيْهِ جِيْلٌ [قَدْ][٨] مَضَى عَنْ جِيْلِ
بِحَقِّ مَنْ عَهْدُ[٩] الشَّفِيْقِ النَّاصِحِ ... بِحَقِ لُوقَا[١٠] ذِي الفَعَالِ الصَّالِحِ

=
فصوبه، وأمر له بخمسين دينار.

(١) المراد زيت الميرون وهو يضاف مع الخمر ويسقى لمريضهم ويغمس فيه أطفالهم، ويسمونه التعميد لإخراج الإسلام من قلبه وتطهيره في زعمهم.

(٢) لهم في مصر يوم أحد من كل عام في الشهر الرابع من السنة الميلادية يسمونه أحد السعف يصنعون فيه صلبانًا من سعف النخيل بل من قلب سعف النخيل.

(٣) كذا في المخطوط، وفي المصارع: مرمار، وهو مار جرجس القديس الشهير عندهم وله احتفالات كبيرة تجري له في كل عام في مصر، وله صورة كبيرة يمتطي فيها على صهوة حصان وقد رشق حربته في فم تنين ضخم.

(٤) الدُخُن: ذريرة تدخن بها البيوت.

(٥) الحامل: هي الحبلى.

(٦) ويقال هم اثنان وسبعين من تلاميذ المسيح عليه السلام أرسلهم ليعلموا الناس الدين.

(٧) هم رسل سيدنا عيسى عليه السلام.

(٨) ما بين المعقوفين زيادة من مصارع العشاق.

(٩) في مصارع العشاق: بحقّ مرقس.

(١٠) هو أحد أصحاب الأناجيل.

بحَقِ مَلْحَنَا[1] الحَلِيْـمِ الرَّاجِـحِ وَالشُّـهَدَاءِ بالفَـلا الصَّحَاصِـحِ[2]
بِحَـقِ مَعْمُودِيـةِ الأَرْوَاحِ وَالمَذَابِـحِ المَشْـهُورِ فِـي النَّوَاحِـي
وَمَن بِهِ مِن لاَبِـسِ الأمْسَاحَ وَعَـابِـدٍ بَـاكٍ وَمَنْ سَيَّـاحِ[3]
بحَـقِ تَقْرِيبِـكَ فِـي الآحَـادِ وَشُـرْبِكَ القَهْـوَةَ كالفِرْصَـادِ[4]
وَطُـولِ تَبْييضِـكَ للأَكْبَـادِ بِمَـا بِعَيْنَيْـكَ مِـنَ السَّـوَادِ
بِحَـقِ مَـا قَـدَّسَ شَعَيَـا فِيْهِ بِـالْحَمْـدِ للهِ وَبالتَّـنْزِيـهِ
بِحَـقِ نَسْطُورٍ وَمَـا يَرْوِيْـهِ مِـنْ كُـلِ نَامُوسٍ لَهُ فَقِيْهِ[5][١٣٥/ب]
بحَقِ جَمْعٍ مِنْ شُيُوخِ العِلْمِ[6] وَبَعـضِ أرْكَـانِ التُّقَـى وَالحِلْـمِ
لَمْ يَنْطِقُوا[7] قَـطّ بِغَيْـرِ فَهْـمِ مَوْتُهُـم كَـانَ حَيَـاةَ الخَصْـمِ
بِحُرْمَـةِ الأَسْقُـفِ وَالمُطْـرَانِ وَالجَـاثَلِيـقِ العَالِـمِ الرَّبَّانِـي
وَالقَسِ وَالشَّمَّـاسِ وَالدَّيْرَانِـي والبَـطْرَكِ الأَكْـبَـرِ وَالبُرْهَانِـي[8]
بِحُرْمَةِ المَحْبُوسِ فِي أَعْلَى الجَبَلْ وَمَـارِ لُوقَـا[9] حِيْنَ صَلَّى وابْتَهَـلَ
وبِالْكَنِيْسَـاتِ القَدِيمَاتِ الأُوَلْ وَبِالذَّبِـيْحِ المُرْتَضَى وَمَـا فَعَـلْ[10]
بِحُرْمَـةِ الأَسْقُوفْيَـا وَالبيـرَمِ وَمَـا حَـوَى مِغْفَرُ رأسِ مَرْيَـمِ[11]
بِحُرْمَةِ الصَّوْمِ الكَبِيْرِ الأَعْظَـمِ بِحَـقِ كُـلِّ بَرَكَـةٍ وَمَحْـرَمِ

(١) في مصارع العشاق: يوحنا.

(٢) الصحاصح: هو ما استوى من الأرض وكان أجرد لانبت فيه.

(٣) في مصارع العشاق: نواح.

(٤) هو: التوت الأحمر.

(٥) في هامش المصارع: نسطور: بطريك القسطنطينية، وإليه تنسب البدعة النسطورية ويظهر أن عمرًا كان من أهل هذه البدعة.

(٦) الشطر الأول على هذا النحو في مصارع العشـاق : شيخان كانا من شيوخ العلم.

(٧) في مصارع العشاق: لم ينطقا.

(٨) في مصارع العشاق: الرهبان. واحسب أن ما فيه هو الأنسب وإن كان كل ما يقال لا يجوز أن يقوله مسلم فقد تجاوز فيه كل الحدود التي لا يجب لمسلم أن يتخطاها.

(٩) في مصارع العشاق: مار قولا. قلت: ولوقا هو صاحب أحد الأناجيل المشهور عندهم.

(١٠) في مصارع العشاق الشطر الثاني نصه: وبالسليم المرتضى بما فعل

(١١) الأسقوفيا: طاقية أو غطاء رأس يلبسه المبتدئ في درجات الكهنوت الكنسي أو الرتب الكنسية. والبيرم أو البيروم: هو يوم يسبق يوم العيد عندهم. والمغفر: هو الخوذة أو غطاء الرأس الذي يتخذ المحارب أو ما يسمى بالبيضة والمراد هنا والله أعلم هو الخمار التي تلبسه أو تختمر به.

بحَق يَوْم الذَّبْــح ذي الإشْــرَاق ... وَلَـيْلَــة المـيْــلاَد والتَّــلاَق[1]
وَالذَهَــب المُذْهَــب للنِّفَــاق ... وَالفصْــح يَــا مُهَــذَّبَ الأخْــلاَق
بكُــلِّ قُــدَّاس عَلَــى قُــدَّاس ... قَدَّمَـــهُ القَـــسُّ مَـــعَ الشَّمَّـــاس
وَقَرَّبُوا يَــوْمَ الخَمِيْس النَّاســي ... وَقَدَّمُــوا الكَــاسَ لكُلِّ حَــاس[2]
ألا رَغبْتَ فــي رِضَــا أديْــب ... بَــاعَدَهُ الحُــبُّ عَــن الحَبيْــب
فَذَابَ منْ شَوْق إلــىَ المُذيْــب ... أعْلَــى مُــناهُ أيســــر[3] التَّقْريــب
فَانْظُرْ أمِيْرِي فِي صَلاَح أمْــري ... مُحْتَسِــبًا فــي عظـيْــم الأجْــر
مُكْتَسبًا فــي جَمِيْــل الشُكْــر ... فِي نَظْمِ ألْفَاظ وَنَظم شعْــــــر

ثم إن مدركًا وسوس[4]، وسل جسمه، وذهب عقله، وانقطع عن إخوانه، ولزم الفراش، وحضره جماعة يومًا فقال: ألست بصاحبكم[5] القديم العشرة لكم؟ فما فيكم من[6] يسعدني بنظرة إلى وجه عمرو؟

قال: فمضوا بأجمعهم إليه.

---

(١) في مصارع العشاق: السُّلاَق، وهو يوم صعود عيسى عليه السلام إلى السماء عندهم أو ما يسمى بعيد القيامة المجيد، وهو عادة ما يكون يوم أحد.

(٢) ويسمى خميس العهد، والمراد بالناسي هنا هم الناس، والحاسي الشارب من الاحتساء.

(٣) في المخطوط: أثر، وهو تحريف والتصويب من مصارع العشاق وإن كان ليس فيما يقال في هذه القصيدة شيء من الصواب، ولا تقرب إلى رب الأرباب إنـما هو تملق إلى امرئ كافر بنص القرآن وإقرار وثناء على معتقداته التي تخالف ما أنزله الملك الديان على النبي العدنان وكل هذا لا من أجل شيء ليس إلا عمى قلب أحب أو عشق في غير هدى من الله فران عليه ما ران من ذلك العمى وما أرى إنسانًا عنده مسكة من دين أو بقايا من عقل يمدح رجلاً كافرًا بهذا المدح المخل بدينه أو الجارح لمروءته المذهب لماء وجهه يعدُّ من الفضلاء أو المقدمين، ومن قال ذلك فما أراد إلا مثله، والله تعالى أسأل أن يرزقني وذريتي وإياك العصمة والثبات على دينه الحق والنصرة لشرعه والذب، عن سنة نبيه ما أحيانا وأبقانا، وأن يرزقنا حسن الختام بالموت على دين الإسلام اللهم آمين.

(٤) ومن أول هنا جاء في مصارع العشاق أيضًا تحت نفس العنوان السابق لكـن في (٢/٢٥٨) بوسط الترجمة ويبدأ في سرد هذا القدر منه أول قوله: ثم اعترى مدركًا الوسواس، ثم يستمر في السرد كما هنا.

(٥) في المصارع: صديقكم.

(٦) في المصارع: أحد.

[١٣٦/أ] وقالوا: إن كان قتل هذا الفتى ذنبًا[١]، فإن إحياءه مروءة[٢].

قال: وما فعل؟

قالوا: قد صار إلى حال ما نحسبك تلحقه.

فلبس ثيابه، ثم نهض معهم. فلما دخلوا عليه، سلم عليه عمرو، وأخذه بيده. وقال: كيف تجدك يا سيدي؟

فنظر إليه، وأغمي عليه ساعة، ثم أفاق [وفتح عينيه][٣] وهو يقول:

أَنَا فِي عَافِيَةٍ إلاَّ الشَّوْق إلَيْكَا
أَيُّهَا العَابِدُ مَا بِي مِنْكَ لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ
لاَ تَعُدْ جِسْمًا وَعُدْ قَلْبًا رَهِينًا فِي يَدَيْكَ
كَيْفَ يَهْلِكُ مَرشُوْق بِسَهْمَي مُقْلَتَيْكَ

ثم شهق شهقة، فارق فيها الدنيا. فما برحوا حتى دفنوه[٤] .

١٤٣ – شهيد

[مرة النهدي وابنة عمه ليلى]

ذكر محمد بن خلف بن أبي بكر أن الهيثم بن عدي قال:كان رجل من بني نهد يقال له مرة، تزوج ابنة عم له يقال لها: ليلى، وكان مستهامًا بها، فضرب عليه البعث[٥]

(١) في المصارع: دينًا.
(٢) في المصارع: لمروءة.
(٣) زيادة من المصارع.
(٤) في مصارع العشاق: ثم شهق شهقة فارق الدنيا بها حتى دفنوه.
(٥) المراد من ذلك هو ما يوازي في بعض البلدان بالخدمة العسكرية الإلزامية والتي تفرض على الشباب عند بلوغهم سنًا معينة، ثم بعد خروجهم من الجيش ويظل أحدهم على قوته فلا يسمح له بمغادرة البلاد إلى فترة محددة إلا بعد استصدار تصريح أو إذن من الجيش.
ثم بعد انقضاء تلك المدة يصير الفرد غير ملزم بأي نوع من أنواع الخدمات العسكرية إلا في حالات الغزو أو الاستنفار العام حفظنا الله وإياكم من مثل تلك الأحوال، وهو نظام جيد، وإن كان كثير من الشباب ينفر من ذلك وكثير من الدول لا تعمل به، بل تعمل بنظام الجيوش النظامية وهي القائمة على اختيار الفرد في العمل فيها، ومثل تلك الجيوش تكون كفاءتها أقل من الجيوش الإلزامية حيث إن الجيوش الإلزامية يتم فيها التجديد والإحلال على مدار السنة عدة مرات أما النظامية فلا يمكن أن يكون ذلك حالها ثم إن أفرادها أو أكثرهم يكون كبير السن في حين أن العكس من ذلك يكون الحال في الجيوش الإلزامية.
=

إلى خراسان، فكره فراقها واشتد عليه، و لم يجد من ذلك بدًا.

فقال لها: أكره أن أخلفك وقلبي متعلق بك.

قالت[1]: اصنع ما شئت.

فمر براذان[2] وبها رجل من قومه له شرف وسؤدد[3]، فذكر حاله وحال زوجته، وقال: أريد أن أدعها عند عيالك وأهلك حتى أقدم.

قال: حبًّا وكرامة. فخلى لها المنزل.

فلما قفل من غزوته تعجل، فلما صار براذان جلس قريبًا من المنزل التي كانت فيه حتى يمسي، وكره إتيانها نهارًا. وخرجت جارية من البيت، فسألها عنها، فقالت: أوما ترى ذلك القبر الجديد؟

قال: بلى. قالت: فإن ذلك قبرها.

فلم يصدق حتى خرجت أخرى، فسألها، فقالت له مثل ذلك.

فأتى القبر، فجعل يبكي ويتمرغ عليه، ويقول: [١٣٦/ب]

أيا قَبْرَ لَيْلَى لَوْ شَهدْنَاكَ أَعْوَلَتْ   عَلَيْكَ نساءٌ مِنْ فَصيح وَمِنْ عَجَم
وَيَا قَبْرَ لَيْلَى مَا تَضَمَّنْتَ مثْلَهَا   شَبِيْهًا للَيْلَى فِي عَفَاف وَفِي كَرَم
وَيَا قَبْرَ لَيْلَى أكْرِمَنَّ مَحلَّهَا   تَكُنْ لكَ مَا عشْنَا عَلَيْنَا بهَا نعَمْ
وَيَا قَبْرَ لَيْلَى إنَّ لَيْلَى غَريبة   برَاذَانِ لَمْ يَشْهَدْهَا[4] خَالٌ وَلاَ ابن عَمّْ

وَلَمْ يَزل يبكي حتى مات.

فدفن إلى جنبها، وقد تقدم في حرف الكاف قصة شبيهة بهذه، وظاهرها أنها ليست هي[5]، والله أعلم.

= أما في الماضي فكان يتم الانتخاب من القبائل والعائلات حيث تكون كل قبيلة ملزمة بإخراج عدد معين من أفرادها يتناسب والحجم العددي للقبيلة ويقوم هؤلاء تحت قيادة أو إمرة أحدهم بغزو القبائل الأخرى.

(١) في المخطوط: قال: وهو تحريف.

(٢) راذان: قرية من قرى أصبهان بحومة التجار. (معجم البلدان).

(٣) في المخطوط: سدد، ما أثبته أنسب أو أوجه والله أعلم.

(٤) في المخطوط: يشهدك . وهو تحريف.

(٥) سبق أن تكلمت على أن اسم ليلى هو صاحب النصيب الأوفر في قصص العشاق.

١٤٤- قتيـــل

[المرقش الأكبر(١)، وابنة عمه أسماء بنت عوف]

ذكر الأصبهاني: أن مرقشًا الأكبر: واسمه عمرو بن سعيد بن مالك بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة. وسُمي بقوله:

الدَّارُ قَفْرٌ(٢) وَالرُّسُومُ كَمَا رَقَّشَ فِي ظَهْرِ الأَدِيم [قَلَم](٣)

(١) ذكره ابن واصل الحموي مع المرقش الأصغر في تجريد الأغاني (٧٥٢/٢: ٧٥٩) فقال: هو أحد من قال شعرًا فلقب به، وهو أحد المتيمين، كان يهوى ابنة عمه أسماء بنت عوف بن ضبيعة. وأما الأصغر: فهو ابن أخي المرقش الأكبر، وهو: ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك.
وقيل: عمرو بن حرملة بن سعد بن مالك، وهو أحد المتيمين أيضًا، كان يهوى فاطمة بنت الملك المنذر، ويشبب بها.
وكان للمرقشين معًا موقع في بكر بن وائل وحروبهما مع بني تغلب وبأس وشجاعة ونجدة وتقدم في المشاهد ونكاية في العدو وحسن أثر.
وكان عوف بن مالك بن ضبيعة عم المرقش الأكبر من فرسان بكر بن وائل، وهو القائل يوم قضة، وهو أحد الأيام التي كانت فيها الحرب بين بكر وتغلب: أفي كل يوم فرار؟ أما ومحلوفي لا يمر بي رجل من بكر بن وائل منهزمًا إلاّ ضربته بسيفي، فسمي: البرك. يومئذ وكان أخوه عمرو بن مالك من فرسان بكر، وهو الذي أسر مهلهل بن ربيعة أخا كليب: التقيا في خيلين من غير مزاحفة، في بعض الغارات بين بكر وتغلب في موضع يقال له: نقا الرَّمل، فانهزمت خيل مهلهل، وأدركه عمرو بن مالك، فأسره فانطلق به إلى قومه وهم في نواحي هجر، فأحسن إساره، ومرَّ عليه تاجر يبيع الخمر قدم بها من هجر -وكان صديقًا لمهلهل يشتري منه الخمر- فأهدى إليه وهو أسير زقَّ خمر فاجتمع إليه بنو مالك ، فنحروا عنده بكرا ، وشربوا عند مهلهل في بيته -وقد أفرد له عمرو بيتًا يكون فيه- فلما أخذ فيهم الشراب، تغنى مهلهل فيما كان يقوله من الشعر ينوح به على كليب.
فسمع ذلك عمرو بن مالك، فقال: إنه لريَّان، والله لا يشرب عندي ماء حتى يرد ربيب -يعني جملاً كان لعمرو بن مالك- وكان يتناول الدِّهاس من أجواف هجر فيرعى فيها غِبًّا بعد عشر في حمارة القيظ.
فطلب ركبان بني مالك ربيبًا، وهم حراصٌ على أن لا يقتل مهلهل، فلم يقدروا على البعير حتى مات مهلهل عطشًا.
وكان هَبَنَّقَةُ القيسي أحد بني قيس بن ثعلبة ، واسمه يزيد بن ثروان، مُحَمَّقًا، وهو الذي تضرب به العرب المثل في الحُمق، يقول: لا يكون لي جمل أبدًا إلا سميته ربيبًا. يعني أن ربيبًا مُباركًا لقتله مُهلهلاً.
قلت: هكذا ذكر قصة مرقش الأصغر، وأنا أذكر قوله في مرقش الأكبر تعليقًا على ما ورد بالقصة هنا من اختلاف يسير فيها.

(٢) في المخطوط: قفرا، وهو تحريف والتصويب من الشعر والشعراء (ص: ٢٩): تجريد الأغاني.

(٣) زيادة من الشعر والشعراء، وتجريد الأغاني.

وقيل: عوف بن سعد.

عشق ابنة عم له يقال لها : أسماء بنت عوف بن مالك صغيرًا، فخطبها إلى أبيها[1].

فوعده ومناه، ثم انطلق مرقش إلى ملك من الملوك، فكان عنده زمانًا ومدحه، وأجازه، وأصاب عوفًا زمان شديدٌ.

فأتاه رجل من مراد، ثم أحد بني غطيف فأرغبه في المال.

فزوجه أسماء على مائة من الإبل، ثم تنحى عن بني سعد بن مالك.

ورجع مرقش، فقال أخوها[2]: لا تخبروه إلا أنها ماتت.

فذبحوا كبشًا فأكلوا لحمه، ودفنوا عظامه في ملحفة.

فلما قدم مُرَقش أخبروه بذلك، وأروه[3] موضع القبر.

فنظر إليه وكان [بعد ذلك][4] يعتاده ويزوره، فبينا هو ذات يوم مضطجع قد تغطى بثوبه وأبناء أخيه يلعبان بكعاب[5] لهما إذ اختلفا في كعب، فقال أحدهما: هذا كعبي أعطانيه أبي من الكبش الذي دفنوه، وقالوا: إذا جاء مُرقش أخبرناه أنه قبر أسماء.

فكشف مرقش عن رأسه، ودعا الغلام، وقد ضنى ضنًا شديدًا فسأله عن الحديث،فأخبره به وبتزوجها[6] .

فدعا مرقش وليدة له، وكان لها زوج من [١٣٧/أ] عقيل[7] كان عسيفًا[8] لمرقش فأمرها بأن تدعوه[9].

وكانت له رواحل، فأمره بإحضارها لكي يطلب أسماء[10]، فركبها ومضى، فمرض في الطريق حتى ما يحمل إلا معروضًا.

وأنهما نزلا كهفًا بأسفل نجران، وهي أرض مراد.

---

(١) جاء بعدها في تجريد الأغاني: فقال: لا أزوجك حتى تعرف بالبأس وهذا قبل أن تخرج ربيعة من أرض اليمن- وكان يعده فيها المواعيد . ثم انطلق مرقش...

(٢) في تجريد الأغاني: إخوته.

(٣) في تجريد الأغاني: وأتوا به موضع القبر.

(٤) زيادة من التجريد.

(٥) في التجريد: بكعبين.

(٦) بتزويج : المراد أسماء.

(٧) في تجريد الأغاني: غُفَيْلَة، وما في المخطوط أصوب وسيأتي بيان ذلك بعد قليل في تعليقي بالهامش.

(٨) في المخطوط عشيقًا، وهو تحريف. والتصويب من التجريد.

(٩) في التجريد: أن تدعو له زوجها.

(١٠) في التجريد: ليطلب :المراد، فأحضره إياها.

فسمع مرقش زوج الوليدة، وهو يقول لها: اتركيه فقد هلك سقمًا، وهلكنا معه [ضرًا][(١)] وجوعًا.

فجعلت الوليدة تبكي من ذلك.

فقال لها [زوجها][(٢)]: إن أطعتني[(٣)] وإلا فإني تاركك وذاهب.

قال: وكان المرقش يكتب[(٤)]، فلما سمع ذلك كتب على مؤخرة الرَّحل [هذه الأبيات][(٥)]:

يَا صَاحِبَيَّ تَلَبَّثَا لاَ تَعْجلاَ ... إنَّ الرَّوَاحَ رَهِيْنُ أنْ لاَ تفْعَلاَ
فَلَعَلَّ لُبثكُمَا يُقرِّبُ شَيْئًا ... أوْ سَابق الإسْرَاع شَيْئًا مُقْبلاَ[(٦)]
يا رَاكبًا إمَّا عَرَضتَ فَبَلِّغا ... أَنَس بن سَعْد إن لَقِيْتَ وَحَرْمَلاَ
لله دَرُّكُمَا وَدَرُّ أَبِيْكُمَا ... إنْ أفْلَتَ العَقَليُّ[(٧)] حَتَّى يُقْتَلاَ
مَنْ يُبْلغُ الأَقْوَام أَنَّ مُرقَّشا ... أضْحَى عَلَى الأَصْحَاب عبْئًا مُثْقَلاَ
وَكَأَنَّمَا تَرِدُ السِّبَاعُ بِشَلْوِه ... إذْ غَابَ جَمْع بَنِي صُبَيْعَةَ مَنْهَلا

قال: وانطلق العقيلي[(٨)] وامرأته حتى رجعا إلى أهلهما.

فقالا: مات المُرقِّش.

ونظر حرملة إلى الرَّحل [فجعل يقلبه][(٩)]، وقرأ الأبيات، فدعاهما وخوفهما، [وأمرهما أن يصدقاه][(١٠)]، فحدثاه[(١١)]، فقتلهما، وقد كانا وصفا له الموضع، فركب

---

(١) زيادة من تجريد الأغاني.

(٢) زيادة من تجريد الأغاني.

(٣) في تجريد الأغاني: اطعني فإني تارك وذاهب.

(٤) جاء بعدها في التجريد: كان أبوه دفعه وأخاه حرملة وكان أحب ولده إليه إلى نصرانيٍ من أهل الحيرة فعلمهما الخط، فلما سمع مرقش قول العقيلي: قلت: وهذا يظهر أنه عقيلي لا غفيلي كما سبق أن ذكر، وأن ما بالمخطوط هو الصواب.

(٥) زيادة من التجريد.

(٦) لم يرد هذا البيت في التجريد.

(٧) في التجريد: الغفلي.

(٨) في التجريد: الغَفَلي.

(٩) ما بين المعقوفين زيادة من تجريد الأغاني لابن واصل الحموي.

(١٠) زيادة من التجريد.

(١١) في التجريد: ففعلا.

أخوه[١] حتى أتى مكانه[٢] فسأل عن خبره فعرف أنه[٣] لم يزل في الكهف حتى إذا هو بغنم تنزو على الغار الذي هو فيه.

وأقبل راعيها إليها، فلما أبصر به، قال له: [من أنت؟ وما شأنك؟ فقال][٤] له مرقش: أنا رجل من مراد، فراعي من أنت؟

قال: راعي فلانة[٥] .

وإذا هو راعي زوج أسماء.

قال له المرقش: تستطيع أن[٦] تكلم أسماء امرأة صاحبك؟

قال: لا، ولا أدنو منها، ولكن تأتيني جاريتها كل [١٣٧/ب] ليلة، فأحلب لها عنزًا فتأتيها بلبنها.

فقال: خذ خاتمي هذا، فإذا حلبت فألقه في اللبن فإنها ستعرفه[٧]، وإنك ستصيب [به][٨] خيرًا لم يصبه راع قط [إن أنت فعلت ذلك][٩] فأخذه الراعي، وفعل ما أمره به، فلما شربت اللبن قرع الخاتم سنها.

فأخذته واستضاءت بالنار فعرفته[١٠].

فقالت للجارية: ما هذا؟

فقالت: لا أعلم[١١].

فأرسلتها إلى مولاها، فأقبل فزعًا.

فقالت: ادع عبدك الراعي[١٢]، فدعاه.

---

(١) في التجريد: فركب في طلب المرقش.

(٢) في التجريد: المكان.

(٣) في التجريد: أن مرقشًا كان في الكهف و لم يزل فيه.

(٤) زيادة من التجريد.

(٥) في التجريد: فلان.

(٦) في المخطوط: أن تستطيع وهو إقلاب سببه السهو من الناسخ.

(٧) في التجريد: تعرفه.

(٨) زيادة من التجريد.

(٩) زيادة من التجريد كذلك.

(١٠) الرواية هنا مختصرة عن التجريد فالمعنى واحد غير أنها في التجريد أطول.

(١١) في التجريد: ما لي به علم.

(١٢) في التجريد: ادع عبدك راعي غنمك.

فقالت: سله: أين وجد هذا الخاتم؟ فذكر لهم قصته[١].

فقال زوجها: وما هذا الخاتم؟

قالت: خاتم مرقش.

فاعجل الساعة في طلبه.

فركبا فرسين وسارا حتى طرقاه من ليلته[٢]، فاحتملاه إلى أهلهما.

فمات عند أسماء عشقًا[٣]، فدفن في أرض مراد[٤].

وقال قبل موته:

سما[٥] نَحْوِي خَيَالٌ مِنْ سُلَيْمَى ... فَأَرَّقَنِي وَأَصْحَابِي رُقُودُ[٦]
فَبِتُّ أُدِيرُ أَمْرِي كُلَّ حَالٍ ... وَأَذْكُرُ أَهْلَهَا وَهُمُ بَعِيدُ
عَلَى أَنْ قَدْ سَمَا طَرْفِي لِنَارٍ ... تُشَبُّ[٧] لَهَا بِذِي الأَرْطَى[٨] وَقُودُ
حَوَالَيْهَا مَهًا بِيضُ التَرَقِي ... وآرامٌ وَغِزْلاَنٌ رُقُودُ
نَوَاعِمُ لاَ تُعَالِجُ بُؤسَ عَيْشٍ ... أَوانِسُ لاَ تَرُوحُ وَلاَ تَرُودُ[٩]
يَرُحْنَ مَعًا بِطَاءَ المَشْيِ رَوْدًا[١٠] ... عَلَيْهِنَّ المَجَاسِدُ وَالبُرُودُ
سَكَنْتَ بِبَلْدَةٍ وَسَكَنَّ أُخْرَى[١١] ... فَقُطِّعَتِ المَوَاثِقُ وَالعُهُودُ
فَمَا بَالِي أَفِي وَيُخَانُ عَهْدِي ... وَمَا بَالِي أُصَادُ وَلاَ أَصِيدُ
وَرُبَّ أَسِيلَةِ الخَدَّيْنِ بِكْرٍ ... مُنَعَّمَةٍ لَهَا فَرْعٌ وَجِيدُ

(١) ذكر في التجريد قول الراعي مفصلاً.

(٢) في التجريد: فركب فرسه وحملها على فرس آخر حتى طرقاه من ليلتهما.

(٣) لم ترد هذه الكلمة في التجريد.

(٤) لم ترد هذه العبارة في التجريد.

(٥) في التجريد: سَرَى.

(٦) في التجريد: هجود.

(٧) في المخطوط: تشيب، والتصويب من تجريد الأغاني.

(٨) بهامش التجريد: الأرطي: شجر ينبت بالرمل عصيًا من أصل واحد، ويطول قدر قامة.

(٩) وكذا في هامش التجريد: تروح: من الرواح.

وترود: تسعى طالبة باحثة، وكأنه جعله في مقابل الرواح نهارًا، أي لا يعنين أنفسهن من الإمساء والإصباح.

(١٠) يريد: المشيء البطيء المتمهل.

(١١) في التجريد : سكن ببلدة وسكنت أُخرى.

وَذُو أُشُرٍ[1] شَتِيبُ النَّبْتِ عَذْبٌ ... نَقِــيُّ اللَّــوْنِ بَــرَّاقٌ بَــرُودُ
لَهَوْتُ بِهَا زَمَانًا فِي شَبَابِــي ... وَتَأْتِيهَا[2] النَّجَائِبُ وَالقَصِيْــدُ
أَيَا مَنْ[3] كُلَّمَا أَخْلَقْتُ وَصْلاً ... عَنَانِــي مِنْهُمُ وَصْلٌ جَدِيْــدُ

وقال أيضًا:

أَغَالَبَكَ القَلْبِ اللَّجُوجِ صَبَابَة ... وَشَوْقًا إِلَى أَسْمَاء أَنْتَ غَالِبهُ
يَهِيْمُ وَلاَ يُغْنِي بِأَسْمَاء قَلِيَّــة ... لَذَابَ الهَوَى امْرَاره وَعَوَاقِبِــهُ

وقد ضرب به المثل في العشق.

قال جميل:

قَدْ مَاتَ أَخُو هِنْد وَصَاحِبه مرقَّشٌ ... واشْتَفَى مَنْ عرْوَة الكَمدُ

وقال طرفة واسمه: عمرو بن العبد[4]:

وَقَدْ ذَهَبَتْ سَلْمَى بعَقْلك كُلِّــه ... فهَلْ غَيْر صَيْد أَحْرَزَتْــهُ حَبَائِلُــهُ
كَمَا أَحْرَزَتْ أَسَمَاء قَلْبَ مُرقَّش ... بِحُبٍّ كَلَمْحِ البَرْقِ لاَحَتْ مَخائِلُهُ

(١) قال ابن منظور في اللسان في مادة أشر : وأشر الأسنان : التحزيز الذي فيها يكون خلقه مستعملاً، والجمع أُشُورٌ: قال:

لها بشر صاف ووجه مقسم ... وغُرٌّ ثنايا لم تفلل أُشُورُها

وأشُرُ المنجل: أسنانه.. وتأشير الأسنان: تحزيزها وتحديد أطرافها، ويقال بأسنانه أشرٌ أسنانه أشرٌ وأُشرٌ، مثال شُطُب السيف وشُطَبه، وأُشُورٌ أيضًا، قال جميل:سبتك، بمصقول ترف أُشُورُهُ وقد أشرت المرأة أسنانها تأشرُها أشرًا وأشَّرَتْهَا: حَزَّزَتْهَا.

(٢) في التجريد: وزارتها.

(٣) في التجريد: أُناسٌ.

(٤) قال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (ص: ٢٦): طرفة بن العبد بن سفيان وهو أجودهم طويله ، وهو القائل لخولة أطلال ببرقة ثهمد وله بعدها شعر حسن وليس عند الرواة من شعــرد وشعر عبيد إلا القليل، وكان في حسب من قومه جريئًا على هجائهم وهجاء غيرهم وكانت أخته عند عبد عمرو بن بشر بن مرثد وكان عبد عمرو سيد أهل زمانه فشكت أخت طرفة شيئًا من أمر زوجها إليه.

١٤٥- قتيـــل

[أبو أمية مسافر بن أبي عمرو بن أمية، وهند بنت عتبة](١)

(١) أنا هنا لا أريد أن أعرف بهند بنت عتبة فهي من هي وسيرتها تطفح بها الكتب عفة وطهارة وذكاء وفطنة ونباهة وشعرًا وحنكة وشدّة وحدّة، وإباء وأنفة في الجاهلية والإسلام فلم يردها الإسلام إلاّ صحة عقيدة وتوظيفًا لهذه المفاهيم والصور الحسنة التي تتصف بها، ويكفيها فخرًا أنها عندما بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء على أن لا يشركن بالله شيئًا ولا يسرقن ولا يزنين....

قالت متسائلة مستنكرة مستغربة مستبعدة مثل ذلك الشرط: أو تزني الحرة يا رسول الله؟!!!

فوصف المؤلف لها هنا أو نقله خبرا هو من المؤكد أبعد ما يكون من الحقيقة في حق امرأة بهذه المكانة في قبيلتها لا يمكن قبوله أو السكوت عليه وأنا هنا لا أدافع عن هند رضي الله عنها كامرأة مسلمة لها مالها في الإسلام، ولكن استنكر الاستخفاف بعقل القارئ والطعن في كل من ترجموا لحياتها ولحياة أهل البادية العربية ولهم بيوتاتها كقريش، فلو كان مثل هذا الخبر كان ما جرأت على أن ترفع رأسها ما بقيت لا أن ترفع صوتها في وجه الإسلام أكثر من عشرين عامًا ولم يصمها أحد بتلك الوصمة القبيحة هذا فضلاً عن كون أهلها يتركونها تعيش وتستمتع بالحياة بل ويزوجها برجل هو من ساداتهم وهو أبوسفيان بن حرب، فكيف يعقل أن تزني، وتحمل ويبين حملها ثم يتركونها هكذا تمرح وتسرح بينهم بل وينزلونها هذه المنزلة منهم. نعم أوافقكم على حدوث مثل القصة التي يرويها ابن واصل الحموي في تجريد الأغاني فإنها إن لم تكن حقيقة فربما تكون إشاعة وليس هناك شخص تكون له منزلة اجتماعية كبيرة إلا وحكيت عنه من الإشاعات ما لا يحصى وليس لواحدة منها حقيقة، وربما كان بعضها حقيقة وبعضها غير حقيقة، وتقول الحكاية في التجريد (٣/١٠٢٢: ١٠٢٤) وذكر أن هند بنت عتبة كانت مُزوَّجة للفاكه بن المغيرة، وكان من فتيان قريش، وكان له بيت للضيافة بارز من البيوت يغشاه الناس من غير إذن، فخلا البيت ذات يوم، فاضطجع هو وهند فيه، ثم نهض لبعض حاجاته، وأقبل رجل ممن كان يغشى البيت فولجه، فلما رآها رجع هاربًا، وأبصره الفاكه، فأقبل إليها فضربها برجله، وقال لها: من هذا الذي خرج من عندك؟

قالت: ما رأيت أحدًا خرج ولا انتبهت حتى انبهتني.

فقال لها: ارجعي إلى أبيك. وتكلم الناس فيها، فقال لها أبوها عتبة بن ربيعة: إن الناس قد أكثروا فيك، فأنبئيني نبأك، وإن يك كاذبًا حاكمته إلى كُهّان اليمن.

فقالت: لا والله ما هو عليّ بصادق.

فقال له: يا فاكه، إنك قد رميت ابنتي بأمر عظيم فحاكمني إلى بعض كُهَّان اليمن.

فخرج الفاكه في جماعة من بني مخزوم، وخرج عتبة في جماعة من عبد مناف، ومعهم هند ونسوة. فلما شارفوا البلاد، وقالوا: غدًا نرد على الرجل، تنكّرت حالُ هند، فقال لها عتبة: إني أرى ما بك من تنكر الحال، وما ذاك إلا لمكروه عندك، فقالت: لا والله يا أبتاه ما ذاك لمكروه عندي، ولكني أعرف أنكم تأتون بشرًا يخطئ ويصيب، ولا آمنه أن يسمَني مَيْسَمًا يكون عليَّ سُبَّة.

فقال لها: إني سوف اختبره لك، فصفر بفرسه حتى أدْلَى، فأدخل في إحليله حبَّة بر، وأوكأ عليها =

ذكر الأصبهاني: أن أبا أمية: مسافر بن أبي عمرو بن أمية بن عبد شمس، أخا أبي معيط لأبيه وأمه. وكان سيدًا جوادًا جميلاً شاعرًا، وكان يناقض عمارة بن الوليد. وكان يهوى هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس فخطبها إلى أبيها بعد فراقها الفاكه ابن المغيرة، فلم ترض ثروته وماله.

فوفد إلى النعمان يستعينه على أمره، ثم عاد.

فكان أول من لقيه سفيان بن حرب، فأعملة بتزويجه إياها.

وقيل: إنه كان يعشق هندًا وتعشقه، واتهم بها، فحملت منه، فلما بان حملها، قالت: أخرج، فخرج فرحل [إلى الحيرة[1]،] حتى أتاها [أبوسفيان][2] في بعض ما كان يأتيها قريش.

فسأله عن حال الناس، فقال له: تزوجت هند، فدخله من ذلك ما اعتل معه حتى استسقى بطنه، وقال في ذلك

أَلاَ إنَّ هِنْدًا أَصْبَحَتْ مِنْكَ مُحْرَمًا　　　وَأَصْبَحْتَ مِنْ أَدْنَى حُمُوَّتِهَا حَمَا
فَأَصْبَحتَ كَالْمَسْلُوبِ جَفْنَ سِلاَحه　　　يُقَلِّبُ بِالكَفَّيْنِ قَوْسًا وَأَسْهُمَا

[١٣٨/ب] فدعا له عمرو بالأطباء.

فقالوا: لا دواء له غير الكي. فلما كوي لم يزدد إلا ثقلاً، فخرج يريد مكة، فلما

=

نسير.

فلما أصبحوا قدموا على الرجل فأكرمهم ونحر لهم. فلما تغدوا قال عتبة: قد جئناك في أمر، وقد خبأت لك خبيئة أختبرك بها، فانظر ما هو؟ فقال: ثمرة في كَمَرِه. فقال: إني أريد أبين من هذا.

فقال: حبة بر في إحليل مُهْر. قال: صدقت انظر في حال هؤلاء النسوة.

فجعل يدنو من إحداهن، ويقول لها انهضي، حتى دنا من هند، فقال: انهضي غير رَسْحَاء ولا زانية (قلت: والرَّسْحَاء: هي الخفيفة العجيزة) ولتلدين ملكًا يقال له : معاوية.

فنهض إليها الفاكه فأخذ بيدها، فنزت يدها من يده وقالت: إليك، فوالله لأحرصن على أن يكون ذلك من غيرك.

ثم خطبها مسافر بن أبي عمرو بن أمية... ثم سرد القصة كما هنا.

فمثل هذه القصة يمكن أن يقبل بعضها العقل ولكن في آخرها مبالغة من ناحية ذكر سيدنا معاوية . والله أعلم.

(١) زيادة يتطلبها السياق، وقد استنبطها من تجريد الأغاني.

(٢) زيادة يتطلبها السياق، وقد استنبطها من تجريد الأغاني.

انتهى إلى هبالة[1] مات، فدفن بها.

فقال: عبدالمطلب بن هاشم[2] يرثيه:

لَيْتَ شِعْرِي مُسَافِر بنَ أَبِي عَمْـــرِو وَلَيْتَ ، يَقُولُهَا المَحْزُونُ

رَجَعَ الرَّكْبُ سَالِمِيْنَ جَمِيْعًـا وَخلِيْلِي فِي مَرْمَسٍ[3] مَدْفُـونُ

بُوْرِكَ المَيِّتُ الغَرِيْبُ كَمَا بُـورِكَ غُصْنٌ[4] الرَّيْحَان وَالزَّيْتُونُ

مَيْت صِدْق[5] عَلَى هَبَالَة قَدْحَالَتْ فَيَاف مِنْ دُوْنِه وَحُـزُونُ

مِدْرَهٌ يَدْفَعُ الخُصُـومَ بأَيْـدٍ وَبِوَجْه يَزِيْـنهُ العَرْنِيْـنُ[6]

وقال النوفلي: قال هشام: يقال: إن البيتين: "ألاَ إنَّ هنْدًا" لهشام بن المغيرة، وكانت عنده أسماء النهشلية، فظاهر منها، وهو أول ظهار كان.

فتزوجها أبو ربيعة، فتبعتها نفسه، فقال لهما: وقيل بل قال:

تُحدِّثُنَا أسْمَاء أنْ سَوْفَ نَلْتَقِي أَحَادِيْث طسم أَمَا كُنْتَ حَالِمَا

ألاَ أصْبَحتَ سلْمًا حُجرًا مَحْرَمًا وأَصْبَحت مِنْ أَدْنَى حَمُوَّتَهَا حَمَا

قال: وحدثني أبي: أن مسافرًا إنما خرج إلى النعمان بن المنذر يتعرض لإصابة مال ينكح به هندًا، فأكرمه ونادمه، وضرب عليه قبة من أدم تعظيمًا له.

وقدم أبوسفيان بن حرب في بعض تجاراته فسأله مسافر عن حال الناس. فذكر له أنه تزوج هندًا.

فقال: فاضطرب مسافرٌ حتى مات. وهو أحد من قتله العشق.

وقد تقدم بعض هذا في ترجمة ابن عجلان.

وذكر المرزبان: أن مسافرًا تعشق جارية من أهل مكة فنذر به أهلها.

فلحق بالنعمان ، فاعتل [١٣٩/أ] بالمُلاَّسِ ، فجمع له النعمان الأطباء، فاجتمعوا

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان: هُبَالة، وهبيل: من مياه بني نمير.

(٢) كذا في المخطوط، وفي تجريد الأغاني، معجم البلدان، ومصارع العشاق (١/٢٥٠) أبو طالب ابن عبدالمطلب.

(٣) أي قبر.

(٤) كذا في المخطوط، وفي تجريد الأغاني : غَضٌ. وفي معجم البلدان، ومصارع العشاق: نَضْرٌ.

(٥) كذا في المخطوط والتجريد. وفي معجم البلدان: دَرْء ولا يوجد البيت في مصارع العشاق.

(٦) لم يرد هذا البيت أيضًا في المصارع وهو في معجم البلدان. والقصيدة وفي مصارع العشاق من سبعة أبيات، وهي في المعجم والتجريد من خمسة أبيات كما في المخطوط.

على كيّه فكوي، فبرأ.

ثم إنه قدم عليه[1] رجل من أهل مكة، فقال له: ما فعلت فلانة؟

قال: تزوجت. فشهق شهقة، ومات مكانه.

١٤٦ – شهيد

[أبوجعفر مسعود بن الحسن البياضي، وجارية بيت فخر الملك]

ذكر الحافظ جمال الدين أبوالفرج البغدادي في كتابه المفتاح: أن الشريف أباجعفر مسعود بن الحسن البياضي كان يحب جارية من جواري بيت فخر الملك، وكان قليلاً ما يفارقها، وله فيها أشعار كثيرة منها:

خَلِيْلَيَّ مُرَّا بِالْعِـرَاقِ فَنَادِيَـا ... أَلاَ مَنْ رَأَى قَلْبًا مِنَ الوجْدِ بَالِيَا
وَإِنْ أَنتُمَا أَعْيَيْتُمَا فِي ابْتِغَائِهِ ... وَلَمْ تَجِدَاهُ فَأَبْغِيَا لِـي نَاعِيَـا

فمرضت وتوفيت فوجد عليها وجدًا شديدًا وحزن حزنًا عظيمًا، وقال يرثيها، وهو آخر ما قاله رحمه الله تعالى:

دَعِ الوُقُوفَ عَلَى الأَطْلاَلِ وَالدمَنِ ... فَلَيْسَ يَنْفَعُ مَسْكُونٌ بِـلاَ سَكَـنِ[2]
أَمَا تَرَانِي لاَ أُرَى عَلَـى طَلَـلٍ ... بَعْدَ الفِرَاقِ وَلا آوِي إِلَـى وَطَـنِ

(١) في المخطوط: علي . وهو تحريف.

(٢) يريد بالسكن هنا الزوجة الوفية التي يسكن إليها فتحيل المسكن إلى سكن وراحة وسكون مليء بالمرح والسرور، لا سكون كصمت القبور، وإنما سكن النفس إلى قربها ومداعباتها ومشاغباتها البريئة التي تضفي على المسكن السكن والسكينة، وعلى العموم فجو القصيدة يعكس جوًا من الود والصفاء والوفاء الجميل، ويعبر عن نفس صادقة في محبتها نقية من كل زيف غير أن هذا الكم الهائل فيها من الحب والشعور بألم الوحدة بعد فقد الحبيب لا قيمة له بل ينعكس وبالاً على صاحبه إذا كان في غير موضعه من الشرع كأن يكون هذا لغير زوجه، أو أم أو أخت أو ابنة أو عمة أو ما شابه ذلك ممن يجوز حبهم لكونهم رحم للمحبوب أو حب عاطفي كأن تكون زوجة شرعية له، فإن مثل هؤلاء يجب أن نحبهم حبًا كريمًا عفيفًا، صافيًا يزيد الحياة بهجة وسرورًا وترابطًا وألفة ويخفف من متاعب الحياة وكدرها وكبدها ونستقبل ما تأتي به الأيام بذخيرة من الأهل والأحباب تساعدنا عند الشدائد على تحملها وتخطيها فتشاطرنا الآلام والأحزان وتفرح لفرحنا ونسر بهم في أفراحنا، وكم هي قاسية الحياة بغير حبيب أو صديق أو أليف حيث يشعر الإنسان بالغربة وهو في بلده وبين أهله وناسه بل وفي داخل بيته الذي هو أول لبنات المجتمع.
فاللهم ارحمنا وارزقنا بمن يستحق منا أن نحبه قلوبنا عن طيب نفس، ونسعد معه في الدنيا في ظل إسلام صافٍ من كل بدعة أو هوى أو حظ نفس، واختم لنا حياتنا بما يرضيك عنا آمين.

فَكَيْفَ يَأْنس قَلْبِي بالدِّيَار وَقَدْ ... أَصَابَ فِيهَا الرَّدَى مَنْ كَانَ يُؤْنسُنِي
إنَّ الذَّيـنَ إذَاقُونِـي فِرَاقَهُـمُ ... أَفْنَيْتُ بَعْدَهُمْ دَمْعِي مِـنَ الحَـزَنِ
للهِ مَنْ لَعبَتْ أَيْدِي المَنُـوْن بِـهِ ... صبًّا بِمَا فِيْه أَنْ يَبْقَـى عَلَى الزَّمَـنِ
جَعَلْتُ رُوْحِي لَهُ مِنْ رُوْحِه عِوضًا ... مُقِيْمَةً مَعَـهُ فِـي ذَلِـكَ الكَفَـنِ
فَصَارَ كَالْحَيِّ إذ رُوحِي تَحلُّ بِهِ ... وَصِرْتُ كَالمَيْت إذْ لاَ رُوْح فِي بَدَنِي
وَكَيْفَ تَصْحَبُ رُوْحِي بَعْدَهُ جَسَدِي ... وَكَانَ إنْ غَابَ تَأْبَى أنْ تُصَاحِبَنِـي

وتوفي رحمه الله في الشهر الذي ماتت[1] فيه عشقًا.

وحدثني الأستاذ أبوالقاسم بن توبة قال: كنت فيمن عاده في مرضه، فأخذت أسأله أنا والجماعة عن مرضه، وابتدائه، وما أصله؟

فقال:

مَتَى أَنَا بالشَّكْوَى إِلَى النَّاسِ بَائِحُ ... فَقَدْ طَالَ كِتْمَانِي الهَوَى وَهُوَ لاَئِحُ
وَقَدْ سَئِمَ العُوَّادُ مِمَّـا أُجِيبُهُـم ... إذَا سَأَلُوا عَنْ عِلَّتِي أَنَـا صَالِـحُ
فَلَمَّا دَنَا مِنِّي الحَبِيْبُ تَطَايَـرَتْ ... إِلَيْـهِ أَنْفَاسِـي شَـرَار لَوَافِـحُ
تَبَاعَدَ عَنِّي شَخْصُهُ ثُمَّ قَالَ لِـي ... بجسْمكَ نَارٌ قَدْ حَوَتْهَا الجَوَانِـحُ
فَقُلْت بَعِيْدٌ مِنْ لَهِيْبِي خُمُـودُه ... إِذَا كَانَ فِي قَلْبِي زِنَـادٌ وَقَـادِحُ
وَلَمْ أَصْلَ نِيْرَانَ الهَـوَى بِجِنَايَـةٍ ... سِوَى أنَّ مِيْزَانِي مِنَ الفَضْلِ رَاجِحُ
كَمَا أنَّ عُودَ الهند لَمْ يَصْلَ نَاره ... لِشيء سِوَى أنْ طَابَ مِنْهُ الرَّوائحُ
أَلِفْـتُ مِمـا تَطَـاوَلَ مُكْثُـهُ ... فَلَوْ بَانَ مِنْ جِسْمِي بَكَتْهُ الجَوَارِحُ
وَلد سُهَاد اللَّيْلِ عِنْـدِي وَإِنَّـهُ ... لَمُرٌّ وَطَابَ الدَّمْعُ لِي وَهُوَ مَالِـحُ
وَطَالَ عَلَيَّ اللَّيْلُ حَتَّى لَقَدْ بَكَتْ ... عَلَى الفَجْرِ أَطْيَار الصَّبَاحِ الصَّوَادِحُ

۞ ۞ ۞

١٤٧ – شهيد

[الرجل الشامي والمرأة المدينية]

ذكر المدائني فيما ذكره أبوبكر الشيرازي في كتابه روضة القلوب: أن امرأة من أهل المدينة كان بها شجن، فتزوجها رجل من الشاميين وخرج بها إلى بلده مكرهة.

---

(١) في المخطوط: مات، وهو تحريف.

فبينما هي معه إذ سمعت منشدًا [يقول](1) :

أَلا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ تَغَيَّـــرَ بَعْدَنَـــا ... جَنُوبُ المُصَلَّى أَمْ لعَهْدِ المَدَائِنُ
وَهلْ أدُوْرَنَّ حَوْلَ البِلادِ عَوَامِـــرًا ... بأحْبَابنَا لَمْ يَنْأَ عَنْهُنَّ سَاكِـــنُ
إذَا بَرَقَتْ حَوْلَ الحِجَازِ سَحَابَـــةٌ ... دَعَى الشَّوْقُ مني بَرْقهَا المُتَبَايِنُ
فَلَمْ نَتْرُكَاهَا رَغْبَةً عَـــنْ بِلادِهَـــا ... وَلَكِنَّهُ مَا قَـــدَّرَ اللهُ كَائِـــنُ

فقالت: واشوقاه إلى ما ذكرت. ثم شهقت شهقة، وخرت على وجهها ميتة.

[١٤٠/أ] ١٤٨- شهيـــد

[الشاب الذي ماتت زوجته ليلة زفافها]

ذكرها الحافظ أبو محمد الحسن البغدادي قال: قرأت على لوحين مكتوبًا عليهما عند قبر:

أَمُغَطِّي مِنِّي عَلَى بَصَرِي فِي الحُبِّ ... أَمْ كُنْتَ(2) أَكْمَل النَّاسِ حُسْنَا
وَحَدِيـــثٌ أَلَـــذُّهُ هُـــوَ مِمَّـــا ... يَنعْت النَّاعِتُونَ يُوْزَنُ وَزْنَـــا

ورأيت امرأة عندهما وهي تقول: بأبي لم تمتع من الدنيا، ولم تساعدك الأقدار بما تهوى منها، فليت شعري كيف وجدت مقيلك؟

(١) ما بين المعقوفين زيادة يتطلبها السياق. وإنها للفطرة تنادي دائمًا داخل الإنسان بحبه دائمًا إلى بلدة أو موطنه أو حبه الأول أو المكان الذي تكون ونمى منه بدنه، وصدق الشاعر إذ يقول في الحنين إلى الأوطان:

قلب فؤادك في الـهوى ... ما الحب إلا للحبيب الأولِ
وكم موطن يهواه الفتى ... وحنينه دومًا لأول موطنِ

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خروجه من مكة: ((**والله إنك لأحب أرض الله إليَّ ولولا أن قومك أخرجوني منك ما خرجت**)) وقد ألف في الحنين إلى الأوطان الكثير من الكتب والمؤلفات الطيبة النافعة أطلق فيها مؤلفوها العنان لعواطفهم لتصف حالهم وحال الناس في حب الرجوع إليها والمقام بها بل وتمنيها أن تدفن في نفس الموضع الذي عاشت فيه، وهذا أمر ملاحظ وكثير وشائع ومعروف.

(٢) في مصارع العشاق: أنت. والخبر فيه (٦٨/٢) بالإسناد التالي: أخبرنا أبوالحسين أحمد بن علي التوزي فيما أجاز لنا أخبرنا أبوالعباس أحمد بن محمد الرصافي حدثنا أبوبكر أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة حدثنا محمد بن موسى بن حماد، حدثني أبوعبدالله العدوي حدثني الحسين سمعت أبي يقول: سمعت مصعبًا يقول: فذكر الخبر كما هنا مع تصرف يسير.

وما قلت وقيل لك؟

ثم قالت: أستودعك من وهبك لي، ثم سلبنيك ما كنت بك[1].

فقلت لها: يا أمة الله، ارضي بقضاء الله عز وجل، وسلمي لأمره.

فقالت: نعم فجزاك الله خيرًا، [لا حرمني الله أجرك ولا فتنني بفراقك][2]؟

فقلت لها: من هذا؟

قالت: ابني، وهذه ابنة عمه، كان متيمًا بها وهما صغيران، فليلة زفت إليه أخذها وجع أتى على نفسها فقضت، فانصدع قلب ابني، فلحقت روحه روحها، فدفنتهما في ساعة واحدة.

فقلت: فمن كتب هذا على القبرين؟

قالت: أنا. قلت: وكيف؟

قالت: كان كثيرًا ما يتمثل بهما.

قلت: من أنت؟ قالت: فزارية. قلت: فمن القائل البيتين؟

قالت: كريم ابن كريم، سخي ابن سخي، شجاع ابن شجاع، بطل ابن بطل، مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن في امرأته حبيبة بنت أبي جندب الأنصارية[3].

---

(١) في هذه القصة صورة طيبة لامرأة صابرة.

(٢) زيادة من المصارع أثبتها لما فيها من التصبر وحسن استقبال النصيحة والعمل بها.

(٣) ثم جاء بعد هذا في المصارع: ثم قالت: وهو الذي يقول:

يا منزل الغيث بعد ما قنطوا ... ويا ولي النعماء والمنن
يكون ما شئت أن يكون وما ... قدرت أن لا يكون لم يكن
لو شئت إذ كان حبها غرضًا ... لم تُرِني وجهها ولم تَرَني
يا جارة الحي كنت لي سكنًا ... إذ ليس بعض الجيران بالسكن
اذكر من جارتي ومجلسها ... طرائفا من حديثها الحسن
من حديث يزيدني مقة ... ما لحديث الموت من ثمن

١٤٩- شهيـــد

[الباكية على ابن عمها بالكوفة بعد فراقه][١]

قال أبو منيع عبدٌ لآل الحارث بن عبيد، فيما ذكره أبوبكر بن المرزبان: رأيت شخصًا[٢] من كلب قاعدًا على رأس هضبة، فملت إليه، فإذا هو يبكي. فقلت: ما يبكيك؟

قال: رحمة لجارية منا كانت تحب ابن عمها وكان أهلها بأعلى وادٍ لكلب[٣]، فتزوجها رجل من أهل الكوفة، ونقلها إليها[٤].

وبلغ منها الشوق، فأوفت [١٤٠/ب] يومًا من علية لها[٥] وتغنت بهذا الشعر:

لَعَمْرِي لَئِنْ أَشْرَفْتُ أَطْوَلَ مَا أَرَي ... وَكَلَّفْتُ عَيْنِي مَنْظَـرًا مُتَعَالِيًـا[٦]

وَقُلْـتُ زِيَـادٌ مؤْنسـي مُتَهَلِّـلٌ ... أَمْ الشَّوْقُ يُدْنِي مِنْهُ مَا لَيْسَ دَانِيًا[٧]

وَقُلْتُ لِبَطْنِ الحَيِّ[٨] حِيْنَ لَقِيْتُـهُ ... سَقَى اللهُ أَعْلَالَ[٩] السَّحَابَ الغَوَادِيَا

[ثم قبضت مكانها][١٠] .

---

(١) الخبر في مصارع العشاق (١١٥/٢) تحت عنوان: قتلها الهوى، بالإسناد التالي ذكر أبو عمر بن حيوية ونقلته من خطه حدثنا محمد بن خلف أخبرني أبوالعلاء القيسي حدثنا أبوعبدالرحمن العائشي أخبرني أبو منيع عبد لآل الحارث بن عبيد قال: رأيت شيخًا من كلب فذكر القصة كما هنا.

(٢) في المصارع: شيخًا.

(٣) في المصارع: بكلب.

(٤) في المصارع إلى الكوفة.

(٥) في المصارع: وبلغ منها الشوق فآوت في علية لها.

(٦) في المصارع: متعاديًا، وهو الأنسب.

(٧) البيت في المصارع على النحو التالي:

وقلت: زيادًا تونسين وأهله ... أم الشوق بدى منك فاللمس دانيا

(٨) في المصارع: الجن.

(٩) أعلال: موضع، كذا بهامش المصارع.

(١٠) زيادة من مصارع العشاق.

١٥٠ - شهيــدان

[نشوان والملك الغلام والهروب إلى الله تعالى][(١)]

ذكر الحافظ أبومحمد جعفر بن الحسين البغدادي، أن منصور بن عمار قال : بينا أنا أسير في بعض طرقات البصرة إذ أنا بقصر مشيد ، وخدم وعبيد ، [وبسمر القنا منصوبة ، وقباب الأدم مضروبة وإذا][(٢)] حاجب [قد جلس][(٣)] على كرسي من حديد، قد ثنى رجلاً على رِجْلٍ عمل[(٤)] جبَّار عنيد.

فهممت أن أدنو من القصر، فصاح تجبُّرًا؛ [وتحكمًا][(٥)] ويحك، مالك[(٦)] قصد غير هذا الطريق [إلى غيره][(٧)] ؟!

فقلت: هذا ملك يموت، والحي في السماء [ملك][(٨)] لا يموت، والله لأدنون [من القصر][(٩)] فأنظرن لمن هذا[(١٠)] القصر؟

فدنوت من ورائه فإذا أنا بمنابر طوال مشبكة بقضبان الذهب والفضة وإذا بغلام جالس على كرسي من ذهب مرصع بالدر[(١١)] والجواهر كأنه غصن بان أو مشق قضيب ريحان، أخضر الشارب، صلت الجبين، سهل الخدين، مقرون الحاجبين، [كأن لبته صفحة فضة، وخده أشبه بخدود النساء من خدود الرجال، قد حُزق في الفَنَك والسَّمّور، ورقيق

---

(١) هذه القصة أشبه بقصص ألف ليلة وليلة، ورحلات السندباد، والشاطر حسن، ومغامرات علاء الدين والفانوس السحري وما شابه ذلك، وعمومًا القصة وردت في مصارع العشاق (١٩٣/١) تحت عنوان: الهارب إلى ربه والآبق من ذنبه بالإسناد التالي: أخبرنا القاضي أبوالحسين أحمد بن علي بن الحسين التوزي بقراءتي عليه قال: أخبرنا أبوالفتح يوسف بن عمر بن مسرور الزاهد القواس رحمه الله قال حدثنا أبوالفضل محمد بن أحمد بن محمد بن سهل إملاء سمعته من لفظه قال حدثنا سعيد بن عثمان بن عباس الخياط قال حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى الأسكندراني، وأصله مصيصي قال حدثني منصور بن عمار قال: فذكر القصة كما هنا.

(٢) زيادة من المصارع.

(٣) زيادة من المصارع.

(٤) في المصارع: كأنه.

(٥) زيادة من المصارع.

(٦) في المصارع: أما كان لك.

(٧) زيادة من المصارع.

(٨) زيادة من المصارع.

(٩) زيادة من المصارع.

(١٠) في المصارع: لمن هو.

(١١) في المصارع: بأنواع.

الكتان، وهو ينادي بحنين جرمه|[1] وهو يقول: يا نشوان.

فخرجت[2] الغلمان، وقالوا: ويحك، أما كان لك قصد غير هذا الطريق حتى تنظر إلى حرمة الملك؟!

فقلت: ولمن هذا القصر؟

قالوا: لملك البصرة، وابن سيدها، فلما أتوه بي قال لي بغضب: لقد اجترأت عليّ إذ نظرت إلى حرمتي.

فقلت: أيها الملك، جد بعفوك على ضعفي، وبحلمك على جهلي، [فإني رجل طبيب][3] وليس في كتب[4] الحكماء أن تقتل الطبيب، وإني لأرى مدخلا في جسمك قد[5] التوت علي[6] الضلوع [١٤١/أ] والأعضاء، [وهو رقيق في الضمير ما بين الأحشاء][7] .

يا غلام، قد حزقت في الفتك والسمور[8]، فهل لك صبرٌ على مقطعات النيران وسرابيل القطران؟

وذكرت له ما أعد الله تعالى لأهل النيران.

ثم قلت: أفلا أصف لك نسوان[9] الجنان؟

قال الله تعالى: ﴿**إِنَّا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارًا عُرُبًا أترَابًا**﴾[10].

وذكرت له خلقهن، ووصفهن. فصاح الغلام: يا طبيب قتلتني، وبسهم المنايا رشقتني ثم ضرب بيده إلى قماشة[11] فشقه، [ورمى بسيفه ومنطقته][12] ووثب قائمًا على

---

(١) زيادة من المصارع، ثم ساق الخبر بزيادة ونقص طفيف أذكر بعضه، وأصوب ما ورد في المخطوط من أخطاء من خلاله.

(٢) تكررت الكلمة في المخطوط.

(٣) زيادة من المصارع.

(٤) في المخطوط: لب، والتصويب من المصارع.

(٥) في المصارع: هذا.

(٦) في المصارع: عليه.

(٧) زيادة من المصارع.

(٨) في المخطوط: غرقت في القتك والسمور.

(٩) في المصارع : نشوان بالشين المعجمة، وهو تحريف فاحش، والصواب ما في المخطوط.

(١٠) سورة الوقعة (الآية: ٣٥: ٣٧).

(١١) في المصارع: أقبيته.

(١٢) زيادة من المصارع.

قدميه يرعد كالسعفة، ثم قال: يا قصر عليك السلام.

فصرخت نشوان وقالت: يا مولاي، ما أنصفتني، تهرب وتتركني، رويدك مكانك[(١)] .

ثم خرجت وقد قصرت شعرها ثم قالت: يا مولاي من طلب السفر إلى بدل قفر هيأ الزاد [ومن أراد التوبة شمر لها][(٢)]، ثم هربا إلى الله جميعًا.

قال منصور: فلما كان بعد حولين، حججت، فبينا أنا في الطواف إذ سمعت محزونًا مكروبًا مغمومًا ، وهو يتضرع إلى الله أن يرزقه نسوان الجنان، فلم أعرفه حتى عرَّفني بنفسه لنحوله. وإذا نشوان قد ذهب بصرها من البكاء. فقالت لي: يا طبيب أتري ربي يسكنني الجنان، ويربني الحُور والولدان؟ فقلت لها: جُدّي في الطلب، وأحسني في المعاملة، تجدين الولدان، وتسكنين الجنان، وتزورين الملك الديان[(٣)].

قال منصور: فشهقت شهقة خرت ميتة بإذن الله تعالى.

قال: فبكى الغلام وقال: ماتت والله من كانت تساعدني على الشدة والرخاء، و لم يتمالك الغلام أن شهق شهقة خر ميتًا.

قال منصور : فأخذت في جهازهما، وغسلهما والصلاة عليهما رحمها الله تعالى[(٤)].

١٥١- قتيـــل

[الفتى المتعبد في سفح الوادي الذي قتل محبوبته خطأ]

ذكر النوقاني عن مهران [١٤١/ب] بن أبي عمرو وكان مجوسيًا وأسلم على يد الثوري، وحسن إسلامه:

أنه رأى رجلاً بمكة، فذكر من عبادته وصومه شيئًا عظيمًا.

وقال : فَتَشَوَّقت إليه فجئت، وبلده بالشام.

فقيل لي : إنه استبطـــن سفـــح[(٥)] ذلك الوادي فكـــان يشتو فيه ويصيف[(٦)].

قال المخبر: وكانت لي ابنة قد حججت بها [...][(٧)] يعني التي رآها تلك الليلة،

(١) من أول قولها: يا مولاي إلى موضع العلامة تكرر بالمخطوط، فحذفت التكرار.

(٢) زيادة من المصارع.

(٣) هنا وفيما سبق اختصارات للقصة عما في مصارع العشاق.

(٤) العبارة الأخيرة لم ترد في المصارع.

(٥) في المخطوط: صفح، وهو تحريف.

(٦) يشتو: أي يقضي فترة الشتاء. ويصيف : أي يقضي فترة الصيف.

(٧) موضع النقط سقط بالمخطوط حيث لا يستقيم السياق مما يفيد أن بين العبارتين سقط، وجاء بين العبارتين في المخطوط علامة : "ط" مما يفيد أن السقط كان بالمخطوط الأصلي الذي نقل عنه =

فزوجتها من ابن عم لها، فكانت ترسل إليه بفطر وما يصلحه في كل ليلة. وأيم الله لو علمت أنه يهواها أو تهواه لخلعتها من ابن عمها وزوجتها منه. ثم قال لي: انظر أي شيء ترى في سفح الجبل؟

قلت: أرى قبرين.

قال: فلما كانت ليلة إهدائها إلى زوجها أرسلتْ إليه: أني أهدى في ليلتي هذه إلى زوجي، فكن على أهبة حتى أمر بكَ، وأسلم عليك.

قال: فانتظرها هونا من الليل، وأبطأت فلما كان في آخر الليل خرجت مع جارية لها في ثياب مصبغة، فأتته، فلما دنت منه تمثلت، وهي تقول: أتتك الغول، أتتك الغول(١).

فانتبه وهو ذاعر"(٢)، فوضع سهمه في كبد قوسه، فما أخطأ فؤادها(٣).

فلما أصابها قالت: ويحك قتلتني(٤).

فلما سمع ابن المبارك بهذا، كان يقول: كلما قعد وقام: اللهم اعف عنا واختم لنا بخير.

هذا والذي يظهر من السياق -والله أعلم- أنه ذهب إليه في ذات ليلة بابنته تلك التي كانت متزوجة من ابن عمها.

(١) تقول العرب ثلاثة من المستحيلات: الغول، والعنقاء، والخل الوفي.
تريد أن هذه الثلاثة لا وجود لها في حياة الناس، وإنما تستعمل في كلامهم وحكاياتهم. والمراد هنا أنها كانت تمازحه لتفاجئه بوجودها على تلك الصورة البهية.

(٢) يريد وهو خائف مضطرب مما داهمه على غرة.

(٣) في المخطوط: فوادها. وهو تحريف.

(٤) إني لأعجب كل العجب من ذلك الحب الميكانيكي أوالحب الآلي، فكيف يعقل أنه من مجرد نظرة تشتعل تلك العواطف الكامنة في النفوس، ثم كيف من مجرد استحضار الموت يموت العاشق وكأنه هو الآخر موت ميكانيكيٌّ أو آليّ.
نعم هناك حب يتأجج في قلوب الناس وهم فيه وفي التحكم فيه متفاوتون لكن لا تستعر ناره بتلك السرعة، ونعم قد يموت العاشق حزنًا على معشوقه لكن ليس بمجرد استحضار الموت أو تمنيه.
وإن كانت القصة هنا لا تحكي لنا أن العاشق مات من جراء فعلته، وأن العشيقة ماتت نتيجة لطيش عاشقها أو عدم ترويه أو سرعة تصرفه دفاعًا عن نفسه.
ولكني أعجب من أن رجلاً عابدًا في صومعة في جبل ينتظر عشيقة كيف بالله عليكم خبرني يعقل هذا الخبر، وما أرغمه على تلك العبادة إذا كان يأتي من الأعمال أشنعها، فكيف لو اختلط بالناس.
فعفوًا إخواني ما أرى معظم تلك الحكايات إلا مجرد قصص من نسج الخيال لم يحسن قاصها حبكها على الوجه اللائق.

فهذا حفظك الله قد عاين الفراق جهرًا ، فقتل صبرًا، وذلك لغناه عن الرجاء والأماني، وتبقيه باليأس من التداني، إذ الرجاء به قوام المتيمين، وحياة الواهين، فإذا زال الرجاء تحول اليأس على ما يرجّى فيه الاستيناس غطت الصفة لزواله، وفنيت النفس بانتقاله، إذ اليأس له روعات في قلوب الواهين، وسطوات على أرواح المتيمين.

فالروعة الأولى: اليأس بفناء الحركات، وتعطف الصفات، فإن لم يفعل [١٤٢/أ] وسَلِّمَ عليها الآيس من الوصال، والفاني من مساعدة الخيال، جاءت:

الروعة الثانية: بسطوتها، فقرعت عن فكر المحب بحيرتها، فأخرجته من حد العقل إلى التحير، ومن التميّز إلى التغير، فإن لم تفعل وسلم عليها، جاءت:

الروعة الثالثة: قد ألمته لانقطاع الآمال وعودته باستشعار اليأس من الوصال، فسلي عمن يهواه بالإياس عما فيه رجاء الاتصال.

فَيَا وَيْح قَلْب عَذْب العَيْــن بَاكيــا ... عَلَى كُلِّ شَفْرٍ منْ مَدَامعهَا غَرْبُ
وَيَا وَيْح مُشْتَاق مَحَى اليَأْس مَا رَجَى ... فَلَيْسَ لَهُ شَرقٌ وَلَيْسَ لَهُ غَــرْبُ

على أنه قل من يسلم من الروعتين من الفناء والتعرض للحين من بلغ مرتبة المتيمين، وحل محل الواهين، إنما يسلم عليهما المبتدئون من العشاق، والمقصرون عن غاية الاشتياق.

باب النُّون

١٥٢ - شهيد

[الفتى الناسك الذي مات من البكاء عشقًا][١]

ذكر ابن المرزبان: أن النضر بن زياد المهلبي قيل له: هل كان عندكم بالبصرة أحد شهر بالعشق كما شهر من نسمع به من الأمصار؟

قال: نعم، كان عندنا فتىً من النساك له فضل وعلم وأدب.

قال: فجعل يذوب ويتغير ويصفرّ لا يعرف له خبر.

فعاتبه أهله وإخوته[٢] في أمره، وقالوا: لو تعالجت[٣] وشربت الدواء، فإن العلاج مبارك ، وما أنزل الله تعالى داء إلاّ أنزل له دواء . فلما كثروا عليه قال:

---

(١) القصة في مصارع العشاق (٢/٢٨٠)، تحت عنوان العاشق البكاء، بالإسناد التالي: قال وحدثني حاتم بن محمد، أخبرني عبدالرحمن بن صالح قال: قيل للنضر بن زياد المهلبي. فذكر القصة.

(٢) في المصارع: إخوانه.

(٣) في المصارع: تداويت.

وَقَالَ أُنَاسٌ لَوْ تَعَالَجْتَ بِالدَّوَاءِ   فَقُلْتُ: الَّذِي يَخْشَى عَلَيَّ قَرِيْبُ[1]
تُعَالِجُ أَدْوَاءً وَلِلْحُبِّ لَوْعَةٌ   تَكَادُ لَهَا نَفْسُ اللَّبِيْبِ تَذُوْبُ
وَلَوْ كَانَ شُرْبِي لِلْهَلِيلَجِ[2] نَافِعًا   مِنَ الحُبِّ لَمْ تُعكَفْ عَلَيَّ كُرُوْبُ[١٤٢/ب]
بَلَى فِي عِلاَجِ الحُبِّ أَنَّ ذُنُوبَهُ   حِسَانٌ وَإِحْسَانِي عَلَيَّ ذُنُوْبُ
وَإِنْ رُمْتُ صَبْرًا وَتَسَلَّيْتُ سَاعَةً   فَصَبْرِي لِمَنْ أَهْوَى عَلَيَّ رَقِيْبُ

قال: ثم سكت. فعوتب فلم يجب بشيء، وكان بعد ما بدا هذا القول منه لا يكلمه أحد ممن يعرفه في شيء من الأشياء إلا بكى، فلا يستفيق من البكاء، فلم يزل على ذلك مدة حتى مات كمدًا.

قال: فأنا أدركت بعض من كان ينسب إليه من ولده أو ولد ولده ينسبون إلى البكّاء.

۞ ۞ ۞

١٥٣- شهيد

[بدر بن سعيد الهمداني، ونعم ابنة حاجب بن عطارد][3]

ذكر ابن الأنباري: أن بدر بن سعيد الهمداني علق نعم ابنة حاجب بن عطارد. وذلك أنه رآها تطوف بالبيت ففتنته، فأنشأ يقول:

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الحُبَّ يَعْرِضُ لِي   عِنْدَ الطَّوَافِ بِبَيْتِ اللهِ ذِي السِّتْرِ
حَتَّى بَدَتْ فِي طَوَافِ البَيْتِ جَارِيَةٌ   أَظُنّهَا فِتْنَةً لَيْسَتْ مِنَ البَشَرِ

ثم عظم عليه الأمر في ليلة، ثم امتنع منه النوم، فلما بدا الصبح قال:

يَا صُبْحُ قَدْ جِئْتَ عَلَى يَأسٍ   مِنْ عَاشِقٍ بَاتَ بِوَسْوَاسِ
صَبْرًا وَتَسْلِيْمًا لِمَا قَدْ قَضَى   ذُو المَنِّ وَالطَّوْلِ عَلَى رَاسِي

---

(١) في المصارع: رقيب.

(٢) الإهليلج: ثمر منه أصفر ومنه أسود وهو البالغ النضيج، ينفع من الخوانيق، ويحفظ العقل، ويزيل الصداع (هامش المصارع).

(٣) وهذه قصة أخرى تدور أحداثها أو بدايتها داخل الحرم، وليس في الحرم وحسب بل في أخص خصوصيات الحرم وهو الطواف بالبيت، فهل في تلك الأماكن يليق بالمرء مثل هذه الأمور.
نعم تبدر من الإنسان النظرة، ولكن ليس بما يترتب عليه مثل ما نقرأ هنا فإن لم يكبح الإنسان جماح النفس عن شهواتها في كثير من المواطن فما يميزه عن غيره من سائر المخلوقات التي هي أدنى منه مرتبة، ثم أن الطواف صلاة إلا أن الله قد أباح فيها الكلام، فلا ينبغي أن يقابل هذا التخفيف بتلك الجفوة والشطط وما أظن ذلك إلا عندما يكون الإنسان شبه مغيب.

وكانت تنزل الكوفة، فلما عزمت على الرحيل قال:

جَدَّ الرَّحِيْلُ فَكَيْفَ وَيْحَكَ تَصْنَعُ؟ أَتُرَاكَ تَصْبرُ أَمْ أَخَالكَ تَجْــزَعُ
يَا بَدْرُ إِنَّكَ قَدْ شَقِيْتَ بِمَا تَــرَى كَتَبَ الإِلَهُ عَلَيْكَ مَا لاَ يُدْفَــعُ
أَبْصَرْتَ عِنْدَ البَيْتِ خَودًا غَـــادَةً ذَهَبَتْ بِعَقْلِكَ فالرُّقَى لا تَنْفَــعُ

ثم ارتحل معها إلى الكوفة فنزلت[1] في قصر صاحب، وكان يجلس بحذاء القصر، ويقول:

يَا قَصْرَ حَاجِبِ قَدْ أَصْبَحت لِي شَجَنًا[2] لَمْ يُبْقِ مِنْ فِيْكَ لِي سَمعًا وَلاَ بَصَرَا
يا قصْرَ حَاجِبَ هَلْ لِي فِيْكَ مِنْ طَمَعٍ أَمْ ذَاكَ مِنْكَ فَدَتْكَ النَّفْسُ قَدْ عَسُرَا
اللهُ يَعْلَمُ أَنِّــي مَــا ذَكَرتُكُــمُ إلاَّ تَرَقْرَقَ مَاءُ العَيْنِ فَانْحَــدَرَا

ونظر يومًا إلى سطح القصر فرأى حمامًا عليه قد سقط إليه حمام، فقال:

قَدْ بَدَا الصُّبْحُ لِي بِشَيْءٍ مَلِيْحِ فَرَّجَ الكَرْبَ عَنْ فُــؤَادٍ قَرِيــحِ
مِنْ حَمَامٍ رَأَيْتَهُ حِيْنَ وَافَــى فَوْقَ سَطْحٍ يَدْعُو بِصَوْتٍ فَصِيحِ
فَأَتَتْهُ حَمَامَــةٌ فَدَنَــتْ مَنْــ ــهُ دُنُــوًّا بِغَيْــرِ أَمْــرٍ قَبِيْــحِ
فَزَجَرت الحَمَامَ نَفْسِي نَفْسًا وَزَجَرَتْ الأُخْرَى شَقِيْقَةَ رُوحِ[3]

فاتصل خبرها وكثر من يعذله فكان يقول:

أَيُّهَا العَاذِلُــونَ بِاللهِ كُفُّــوا عَنِ مُلاَمِي فَقَدْ خَلَعْتُ العِذَارَا
لسْتُ واللهِ قَائِلاً مِنْ عَذُولٍ مَا بِهِ الهَوَى عَلَــيَّ أَشَــارَا

وكان بدر معروفًا بالشجاعة والنجدة والعقل والبيان.

وكان غالبًا على عقل الحجاج بن يوسف فأخرجه إلى قتال ابن الأشعث فعمل في

---

(١) في متن المخطوط: فنزل، وعلق عليه بالهامش بقوله: لعله فنزلت فأثبت ما أرى أنه أنسب للسياق وأشرت إلى ذلك بتلك الكلمات.
وهذا يفيد أن هذا المخطوط نقل عن مخطوط آخر للكتاب الأصلي لا على أصل الكتاب والله أعلم.

(٢) أي: متيرًا للغرام وكوامن النفس من الحب الذي كان كامنًا فتشعله رؤية ذلك القصر الذي تسكنه محبوبته.

(٣) يستبشر الشاعر هنا برؤية الحمام وهو دائما رمز السلام والتسامح والمحبة، والود كما أن الغراب قد اتخذه الشعراء والعوام رمزًا للشؤم والتشاؤم فتارة يسمونه غراب البين أي البعد والفراق والشتات، وتارة يسمونه غراب الشؤم، وأحيانًا يخففون الهمزة فيقول: غراب الشوم وكلاهما من التشاؤم، وليس في الحمامة من جلب خير، ولا في الغراب من جلب ضر، وكلاهما من الاعتقادات الفاسدة، فلا ضار ولا نافع إلا الله سبحانه.

الحرب أعمالاً عظيمة وأكثر القتلى، وعظمت الجراحة.

فقال وهو بآخر رمق: احملوني إلى الكوفة وادفنوني بها، ففعل به ذلك واتصل خبره بنعم فأتت قبره، وأنشأت، تقول:

يَـا مَـنْ لِعَـيْنٍ بِالدُّمُوعِ سَكُوبِ ... تَـبْكِي قَتِـيلاً ثَاوِيًـا بِقَلِيـبِ[1]

يَـا بَـدْرُ قَـدْ أَشْجَيْتَنِي وَتَرَكْتَنِي ... فِـي كُـرْبَةٍ تَعْـتَادُنِي وَنَحِيـبِ

بِـأَبِي وَأُمِّـي مِـنْ كَـرِيمٍ سَـيِّدٍ ... جَـزْلِ العَطَايَـا لِلأُلُـوفِ وَهُـوبِ

لَهْفِـي عَلَـيْكَ إِذَا الحُرُوبُ تَسَعَّرَتْ ... وَتَضَـرَّمَتْ وَتَلَهَّبَتْ بِلَهِيبِ [١٤٣/ب]

فَلأَبْكِيَـنَّكَ مَـا بَقِيـتُ بِلَوْعَـةٍ ... وَأَشُـقُّ مِـنْ جَـزَعٍ عَلَـيْكَ جُيُوبِ

أَبْكِـيكَ يَـا بَـدْرُ بِعَـيْنٍ شَـحَّةٍ ... وَغَلِـيلِ قَلْـبٍ مُوجَـعٍ مَكْـرُوبِ

لاَ خَيْرَ لِي يا بَدْرُ بَعْدَكَ فِي البَقَا ... ما خَيْرُ عَيْشٍ بَعْدَ هَلْـكِ حَبِيـبِ

ولم تزل مقيمة على قبره تتقلب عليه وتبكي حتى ماتت فدفنت إلى جانبه.

١٥٤ - شهيد

[نصر بن الحجاج بن علاط السلمي وشُميلة][2]

ذكر حمزة الأصبهاني في كتاب الأمثال: أن نصر بن الحجاج بن علاط السلمي كان من أجمل أهل زمانه فضنيت امرأة من حُبِّه ودَنِفَت من الوَجْد به حتى صار ذكره

---

(١) تخرج الشاعرة هنا زفرات ساخنة عالية من خلال تصويرها حالها بعد فقد محبوها، وليس من الغريب أن يتصف العشاق بالشعر فغالبًا ما يكون أهل العشق رقاق القلوب مرهفي الحس جياشي المشاعر فمن هنا تنطلق ألسنتهم معبرة عما يجيش في نفوسهم من وصف أحوالهم في صور شعرية رقيقة أخاذة للقلوب تجعل السامع يتأثر لحالهم وإن لم يكن ذا وعي قوي وإيمان راسخ قد يقرهم على ما هم فيه ويلتمس لهم المعاذير في حين وضوح الخطأ الشرعي الذي قد وقعوا أو هم واقعون فيه، نظرًا لما أعطوا من قوة البيان، وصدق من قال: إن من البيان لسحرًا.

(٢) القصة ذكرها السراج في مصارع العشاق (٢٧٩/١) تحت عنوان: نصر بن حجاج وامرأة السلمي (٢٦٦/٢) تحت عنوان: عمر ونصر بن حجاج، فقال في الموضع الثاني بعد ذكر الإسناد التالي: أخبرنا أحمد بن علي حدثنا محمد حدثنا عبدالله حدثنا محمد بن خلف حدثنا عبدالله بن عبيد الله أخبرني محمد بن عبدالله حدثني أبو محمد عبدالله بن أبي عبد الله حدثني محمد بن سعيد القرشي أخبرني محمد بن جهم بن عثمان بن أبي جهمة وكان جهمة على ساقة غنائم خيبر يوم افتتحها النبي صلى الله عليه وسلم قال أخبرني أبي عن جدي قال: بينما عمر بن الخطاب يطوف ذات ليلة في سكة من سكك المدينة إذ سمع امرأة وهي تهتف من خدرها وتقول: فذكر البيتين الأولين، ثم ساق القصة بغير ما هنا.

هجيراها فسرَّ عمر بن الخطاب ذات ليلة ببابها فسمعها رافعة عقيرتها تقول:

هَلْ مِنْ سَبِيْلٍ إلَى خَمْرٍ فأشْرَبَهَا ... أَمْ هَلْ سَبِيلٍ إلى نَصْرِ بنِ حَجَّاجِ

زاد غيره:

إلَى فَتىً مَاجِد الأعْرَاق مُقْتَبلٍ ... سَهْلِ المُحَيَّا كَرِيْمٍ غَيْرِ مِلْجَاجِ
تَسته أَعْرَاقَ صِدْق حِيْنَ يَنْسُبُهُ ... أخِي حِفَاظٍ مِنَ المَكْرُوْبِ فَرَّاجِ

فقال عمر: من هذه فعرف خبرها فلما أصبح أحضر نصرًا.

فلما رآه بهره حسنه، فقال له: أنت الذي تتمناك الغانيات في خدورهن لا أم لك، والله لأزيْلَنَّ عنك رداء الجمال ثم دعا بحجام فحلقه. ثم تأمله، فقال: أنت مخلوق أحسن.

فقال: نصر وأي ذنب لي في ذلك فقال: صدقت الذنب لي إذا تركتك في دار الهجرة.

ثم أركبه جملا وصيره إلى البصرة وكتب معه إلى مجاشع بن مسعود السلمي بأني قد سيرت إليك المتمنَّى نصر بن حجاج[1]، فاستلب نساء المدينة لفظة عمر فضربنها مثلا.

وقيل: "أصبُّ مِنَ المُتَمَنِّيَة". وزعم النسابون أن [١٤٤/أ] المتمنية كانت الفريعة بنت همام أم الحجاج بن يوسف، وكانت حين عشقته تحب المغيرة بن شعبة وكما قالوا: بالمدينة: "أصب من المتمنية".

قالوا بالبصرة: "أدنف من المتمنى". وذلك أن نصرًا لما ورد البصرة أخذ الناس يسألون عنه ويقولون: أين المتمنى. فغلب عليه هذا الاسم.

وكان مجاشع أنزله منزلة من أجل قرابته، وأخدمه امرأته شميلة بنت أبي حيوة[2] ابن أبي كبز[3] بن أنيس بن الخيسيّ بن مالك بن سعد بن كعب بن الغطريف عامر بن بشر بن صعب بن دهمان بن نصر من الأزد.

---

(١) كثيرًا ما نسمع هذه الحكاية ونقرأها، وإن عمر رضي الله عنه تعالى أعدل وأحكم من أن يفعل مثل هذا مع رجل من رعيته، ومن مثل عمر الذي ضرب بعدله المثل فكيف يجور في حكم على أحد المسلمين بغير ما جريرة له ارتكبها وما أظنه كان يجهل نصر بن حجاج حتى يدعو به ليتأمله ليعرف ما إذا كان جميلاً أم غير ذلك، وقد كان بين أهل المدينة عدة من الرجال وكانوا ملثمين حتى لا يفتن النساء، وما أمرهم أحد باللثام وما عاب أحد عليهم لثامهم بل كان نبل خلق منهم، ولا أظن مطلقًا أن عمر رضي الله تعالى عنه ينفي أحدًا لمثل هذا الأمر أو يلوم نفسه إن أبقى مثله بدار الهجرة حيث لم يذكر عنه ما يعيب سلوكه أو أخلاقه، وما ذنبه أن تشبيت به امرأة لو صح؟

(٢) في المخطوط: بنت أبي حياة، وهو تحريف، والتصويب من الإصابة (٦/٤٢).

(٣) كذا في المخطوط، وفي الإصابة: ابن أزيهر وقد يكون ما في المخطوط هو كنيته الأزيهر والله أعلم.

وكانت أجمل امرأة بالبصرة، فعلقته وعلقها، وأخفى كل واحد خبر الآخر لملازمة مجاشع لضيفه وكان مجاشع[1] أميًا ونصر، وشميلة كاتبين.

فعيل صبر نصر: فكتب يومًا على الأرض بحضرة مجاشع.

إني قد أحببتك حبًا لو كان فوقك لأضلك، أوتحتك لأقلك.

فكتبت تحته غير محتشمة: وأنا.

فقال مجاشع: ما الذي كتب؟

قالت[2] : كتب: كم تحلب ناقتكم؟

فقال: وما الذي كتبت أنت؟

قالت: كتبت: أنا.

فقال مجاشع: ما هذا لهذا بطبق.

فقال: أصدقك، كتبت كم تقل أرضكم؟

فقال: ولا هذا لهذا بطبق. ثم كفأ على الكتاب جفنة، ودعا بغلام من الكتاب. فلما قرأه قال لنصر: يا ابن عم، ما سيرك عمر من خير[3]، فازو[4] بذلك أوسع لك.

---

(١) مجاشع هـــذا هو ابن مسعود بن ثعلبة بن وهب بن عابد بن ربيعة بن يربوع بن سماك بن عوف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم بن منصور السلمي.

وهو صحابي جليل، فانظر كيف قالوا عن نصر بن حجاج وعمل عمر بن الخطاب رضي الله عنهما معه، ثم انظر هنا ماذا قالوا عن هذا الصحابي وزوجته وكأنهم كانوا يعيشون عصر إباحية لا ضابط فيه ولا رابط ولا رقيب حاكم، ولا ضمير وازع، ولا جليل محاسب، وحاشا لله أن تكون تلك صفة هذا العصر الذي زكاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفه بأنه خير القرون.

ويقول ابن حجر العسقلاني في ترجمة مجاشع بن مسعود في الإصابة (٦/٤٢): قال البخاري وغيره: له صحبة. وله رواية في الصحيحين وغيرهما... قال ابن الكلبي: تزوج شميلة بنت أبي حيزة بن أزيهر الدوسية فقتل عنها يوم الجمل، فخلف عليها عبدالله بن عباس ... وقال الدولابي: إنه غزا كابل من بلاد الهند فصالحه الأصبهبد، فدخل مجاشع بيت الأصنام، فأخذ جوهرة من عين الصنم، وقال: لم آخذها إلا لتعلموا أنه لا يضر ولا ينفع. قال خليفة بن خياط: قتل يوم الجمل قبل الوقعة. وبيَّن المدائني، وعمرو بن شبة: أنه قتل في محاربة الزبير مع حكيم بن جبلة بسبب عثمان بن حنيف لأنه كان عاملا على البصرة. فلما جاء الزبير ومن معه حاربه حكيم فغلبوا على البصرة، وأخرجوا عثمان وقتل مجاشع وأخوه مجالد.

وكل ذلك قبل أن يقدم علي وذكر المدائني أيضًا بسند له: أن عمرو بن معديكرب، تحمل حمالة، فأتى مجاشعًا يستعينه فيها، فقال: إن شئت أعطيتك ذلك من مالي، وإن شئت حكمتك.

ثم أعطاه حكمة فمضى وهو يشكره، وفي ترجمة عمرو أنه مات قبل مجاشع، والله أعلم.

(٢) في المخطوط: قال. وهو تحريف.

(٣) يريد ما أخرجك عمر من شيء قليل هذا على حسب الرواية أو على افتراض صحتها.

(٤) أي: فتجنب بفعلك هذا حتى لا تؤذينا ولا نؤذيك.

فنهض نصر مستحييًا، ونزل في دار بعض المسلمين ووقع لجنبه وضنى من حب شميلة، ودنف حتى صار رحْمة[1] وانتشر خبره فضرب نساء البصرة به المثل.

ثم إن مجاشعًا وقف على خبر علته فدخل إليه عائدًا، فرق لما رأى ما به فرجع إلى منزله، وقال لشميلة: عزمت عليك لما أخذت خبزة فلبكتيها بسمن، ثم بادرت بها إلى نصر.

ففعلت ما أمرها.

فلما لم تر به |١٤٤/ب| نهوضًا ضمته إلى صدرها وجعلت تلقمه بيدها، فعادت قواه وبرأ كأنه لم يكن به علة.

فقال بعض عواده: قاتل الله الأعشى فلكأنه شهد منا النجوى حيث قال:

لَوْ أَسْنَدَتْ مَيْتًا إلَى صَدْرِهَا عَاشَ وَلَمْ يُنْقلْ إلىَ قَابرِ

فلما فارقته عاد إلى نكسه، ولم يزل يتردد في علته حتى مات فيها.

قال أبوعبيد البكري في كتاب الاحتفال: وعاشت شميلة حتى قتل عنها مجاشع يوم الجمل، فخلف عليها عبدالله بن عباس رضي الله عنه، وأصدقها عشرة آلاف درهم، وإيّاها عنى |ابن|[2] فسوة[3] بقوله:

أُبِيْحُ لعَبْدِ الله يَوْم لَقِيْتهُ شَمَيْلَةَ تَربي بالْحَدِيْثِ المقبر

زاد ابن قتيبة في كتاب الطبقات تأليفه قبل هذا البيت:

أَتَيْتُ ابن عَبَّاس أرْجُو نَوَالَهُ فَلَمْ يَرْجُ مَعْرُوف وَلَمْ يَخْشَ مَنْكَرِ

وَقَالَ لبَوَّابيه لاَ تُدْخلاَنه وَسُدَّا خصَاصَ البَيْت من كُلِّ مَنْظَرِ

وقال الزمخشري في مجمع الأمثال من تأليفه: فلما نفاه مجاشع، ضنى ودنف حتى صار رحمة، ثم مات.

ذكره الميداني في مجمع الأمثال، وابن السكيت، وابن سعد في كتاب نزهة الأنفس في الأمثال.

وفي كتاب المرزباني ويقال: إن المتمنية جدة الحجاج. وكذلك قال عروة بن الزبير

---

(١) أي: يثير استعطاف الناس على حاله راجيًا له الرحمة.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من المخطوط.

(٣) في المخطوط: قسوة بالقاف، وهو تحريف وابن فسوة هو: عتبة بن مرداس ويقال عتيبة من بني تميم، وقال ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٨١) في سبب تسميته بذلك: كان له مولى يغضب إذا قيل له: ابن فسوة، فقال له عتبة ذلك يومًا، فغضب، فقال: أعطني عنزًا وانقل إليّ هذا الاسم، فأعطاه عنزًا وأشهد عليه أنه قد اشترى هذا الاسم فلا يعير به، فلزمه الاسم، فقال عتبة بعد ذلك:

وخلف علينا مولانا اسم أمه ألا رب مولى ناقص غير زائد

بحضرة عبدالملك للحجاج، وقد ذكر الحجاج عبدالله بن الزبير فنسبه إلى أمه ذات النطاقين، فقال له عروة: يا ابن المتمنية، وما ذكرك عجائز الجنة؟! ولنصر مع معاوية بن أبي سفيان ، وأنشد له لما سيّره عمر إلى البصرة[١٤٥/أ]

لَعَمْري أَنْ سَيَّرْتَني أَنَّ حرمتي ... وَمَا نِلْتَ مِنْ شَتْمي عَلَيْكَ حَرامُ[1]
لأَنْ[2] غَنَّتْ الذَّلْفاءُ يَوْمًا بِمُنْيَةٍ ... وَبَعضُ أَمَانِي النِّسَاءِ غَرَامُ
ظَنَنْتَ بِي الظَّنَّ الَّذي لَيْسَ بَعْدَهُ ... بَقَاءٌ فَمَالي فِي النَّدى كَلامُ
وَأَصْبَحْتُ مَقصيًا عَلَى غَيْرِ رِيبَةٍ ... وَقَدْ كَانَ لِي بِالمِلَّتَيْنِ مَقَامُ[3]

زاد ابن عبيد البكري:

وَيَمْنَعُني مِمَّا ظَنَنتَ[4] تَكَرُّمي ... وَآباءُ صدْق طَاهرُونَ[5] كِرَامُ
وَيَمْنَعُهَا مِمَّا ظَنَنتَ[6] صَلاتُهَا ... وَحِصْنٌ[7] لَهَا فِي قَوْمِهَا وصِيَامُ
فَهَاتَان حَالاَنا[8] فَهَلْ أَنْتَ رَاجِعي ... فَقَدْ جُبَّ مِنَّا[9] غَارِبٌ[10] وَسَنَامُ

فلما بلغت عمر قال: أما ولي سلطان فلا وأقطعه مالاً بالبصرة، ودارًا فاستوطنها.

قال: ولما حلق عمر رأسه قال:

لقد حَسَد القُرْعَانُ[11] أَصْلَع لَمْ يَكُنْ ... إذَا مَا مَشَى بالقَرْعِ بالمُتَخَائِلِ
فَصَلَّعَ رَأْسًا لَمْ يَصْلُعْهُ رَبُّهُ ... يَرِقُّ رقيقًا بَعْدُ أَسْوَد حَائِلِ

تم الجزء الرابع

من الواضح المبين في ذكر من استشهد

من المحبين [١٤٥/ب]

---

(١) لم يرد في البيت الأول في المصارع.
(٢) في مصارع العشاق: أإن.
(٣) لم يرد هذا البيت بالمصارع.
(٤) في المصارع: تظن.
(٥) في المصارع: سالفون.
(٦) في المصارع: تظن.
(٧) في المصارع: وحال.
(٨) في المخطوط: حالان، والتصويب من مصارع العشاق.
(٩) في المصارع: منى.
(١٠) في المصارع: كاهل.
(١١) يريد بالقرعان: الصُّلع.

الجــزء الخامــس

من الواضح المبين في ذكر من استشهد

من المحبين

صنفته مستعبرًا من ألم الفراقِ مدله القلب من التبريح والاشتياق

في مدة قصيرة كليلة التلاق بعون رب واحدٍ مقتـادرٍ خـلاق

[١٤٦/أ] بسم الله الرحمن الرحيم

بـــاب الهـــاء

١٥٥ – شهيـــد

[الشاب الواقف تحت الميزاب بالبيت وهلال البصرية][١]

قال ابن الأشدق فيما ذكره ابن الخيمي في كتاب الشامل المفيد: كنت أطوف بالبيت، فرأيت شابًا تحت الميزاب [قد أدخل رأسه في كسائه، وهو][٢] يئن كالمحموم[٣]، فسلمت عليه[٤] [فرد السلام][٥].

فقال[٦]: من أين؟

قلت: من البصرة.

قال: أوراجع[٧] إليها؟

قلت: نعم.

قال: فإذا دخلت النِّبَاج[٨]، فناد: يا هلال، يا هلال، تخرج إليك جارية، فتنشدها هذا البيت.

وَقَدْ كُنْتُ أَهْوَى أَنْ تَكُونَ مَنِيَّتِي بِعَيْنَيْك حَتَى تَنْظُرِي مَيِّتَ الحُبِّ

ومات مكانه.

فلما دخلت النِّبَاج أتيت الحي فناديت كما قال[٩]: فخرجت إليَّ جارية لم أر أحسن منها، فقالت: ما وراءك؟

قلت: شاب بمكة أنشدني هذا البيت.

فقالت: وما صنع؟

(١) القصة في مصارع العشاق (٣٠٩/١) تحت عنوان: ميتا الحب. بالإسناد التالي: أخبرنا الأمير أبومحمد الحسن بن عيسى بن المقتدر بالله قراءة عليه في داره بالحريم الطاهري سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة حدثنا أبوالعباس أحمد بن منصور اليشكري حدثنا أبوالقاسم بإسناد له عن ابن الأشدق قال: فذكر الخبر كما هنا.

(٢) زيادة من المصارع.

(٣) في المخطوط: كالمحرم، والتصويب من المصارع.

(٤) لم ترد تلك الكلمة في المصارع.

(٥) زيادة من المصارع.

(٦) في المصارع: ثم قال.

(٧) في المصارع: وراجع إليها.

(٨) قرية من قرى البادية قريبة من البصرة.

(٩) في المصارع: فناديت: يا هلال، يا هلال.

قلت: مات. فخرت مكانها ميتة.

١٥٦- شهيد

[المرأة التي كانت بمكة معها طفلاها وزوجها المسجون ببغداد]

ذكر قدامة في كتاب أخبار الأعراب تأليفه عن أبي الهيثم اللغوي[١] قال: انحدرت من مكة، فلما قارنت إذا أنا بامرأة في برقع، وقدامها طفلان، فكلمتها.

فإذا هي أفصح الناس وأجملهم فقالت: ممن أنت؟

فقلت: من قيس.

فقالت: فتً أعمامي، و لم تفت أخوالي، فأي البلاد بلادك؟

قلت: العراق.

قالت: أية؟

قلت: بغداد.

فقالت[٢]: لي بها سجينٌ[٣] وهو ابن عمي وأبو ولديّ هذين، وهو في سجن باب شامكم، فهل أنت مبلغه عني رسالة؟

قلت: ورسائل[٤]، فسميه، فسمته.

فقالت: اكتب إليه: وهبني الله فداك، قد احتددت بعدك كل الحداد[٥]، وقد حرزت[٦] الشعر ولبست الصوف، وانفردت من العشيرة، و لم أكسك عارًا، ولا ألبستك شنارًا، وكنت وأباك سيّدي جعفر بن كلاب[٧].

---

(١) قال السيوطي في بغية الوعاة (٢/٣٢٩) ت(٢١٠٥): أبوالهيثم الرازي: كان إمامًا لغويًا، أدرك العلماء، وأخذ عنهم، وتصدر بالري للإفادة، ومات سنة ست وسبعين ومائتين. و لم يزد في ترجمته عن ذلك.

(٢) في المخطوط: فقال، وهو تحريف.

(٣) في المخطوط: شجنا، وهو تحريف من الناسخ والله أعلم.

(٤) يريد أن هذا أمر بسيط بل أبلغه عنك عدة رسائل لا رسالة واحدة ، ولكن سميه لي حتى أعرفه.

(٥) أي لبست ملابس الحداد علـى الموتى وغير التي تترك فيها المرأة الزينة وعادة ما تكون سوداء.

(٦) أي جمعته بعضه إلى بعض وربطته بالمنديل أو ماشابه.

(٧) تريد أنها حافظت على نفسها المحافظة التامة التي تحفظ عليه سمعته وسيرته الطيبة في قومه بني جعفر بن كلاب التي كان هو وأبوه سيديها وصاحبي الرأي والمكانة فيها.

وهكذا يظهر معدن النساء اللواتي يحفظن أزواجهن في مثل هذه المحن، ولقد عرفت ورأيت من تلك الصور والنماذج التي لا يكاد يصدق العقل أن لها نظائر لقد كن في الماضي يصبرن العام والعامين والثلاثة فتدون سيرهن ويشاد بصبرهن وعفتهن وطهرهن ووفائهن فكيف بمن صبرن =

قال: فقدمت بغداد، فأتيت سجن باب الشام فسألت عن الرجل، فأخرج إليّ شابًا حسن |١٤٦/ ب| الوجه يُخبر خُلقه عن شجاعته إلاّ أن السجن قد أثر في صورته.

فدفعت إليه الرقعة، فلما قرأ ما فيها تنفس نفسًا طويلاً، كاد أن يحرق شعر وجهه وقال: أرأيت هذا الإنسان؟

قلت: إي والله رأيته، و لم أر أحدًا أعف ولا أشد حزنًا منه. فبكى طويلاً، ثم قال:

وَجْدي بكُمْ وَجْد المُوافي بغلّة ... لعَشي فَلَمْ يُسعف عَلَى المَاء سَاقيَا
تُرَوّى بفَضَلاَت الحيَاض عَشيَّة ... وَخلوّه في الأعْطَان يَسْجَع مناديا
إذَا مَا رَجَى أنْ يُكْسر الله قَيْدَهُ ... ولأوْطَانه لَمْ يَرجُ شَيْئًا مُدَانيَا

فاقتضيته الجواب، فوعدني به في غد، فأتيته في غد، فقيل الساعة مات.

فَلَعَلّكَ بَعْد السِّجْن وَالقَيْد أنْ تَرَى ... تَمرُّ عَلَى لَيْلَى وَأنْتَ طَليقُ
طَليْقُ الّذي نَجَا منَ الكَرْبَ بَعْدَمَا ... تَلاَحمَ منْ كَرْبٍ عَلَيْكَ مَضيْقُ

وقال محمد بن صالح العلوي:

وَبَدَا لَهُ من بَعْدَ مَا انْدَمَلَ الهوَى ... بَرْق تَألّقَ مُوْهنًا لَمعَانُهُ
يَبْدُو كحَاشيَة الرِّدَى وَدُوْنَهُ ... صَعْبُ الذُري مُتَمَنِّع أرْكَانُهُ
فَدَنَا ليَنظرَ أينَ لاَحَ فَلَم يُطق ... نَظَرًا إلَيْه وَرَدَّهُ سَجَانُهُ
فالنّارُ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْه ضُلُوعه ... وَالمَاءُ مَا سَحَّتْ بهِ أجْفَانُهُ

۞ ۞ ۞

=

لأكثر من عشرين عامًا صامدات محتسبات تزول الجبال ولا يزلن، وإني لأحكي عن أشياء عشتها ورأيتها لا أشياء سمعتها فليس الخبر كالعيان، لدرجة جعلتني كنت أفكر في إخراج كتاب عنهن ليعلم الناس أن من بين النساء اللواتي يعشن بيننا معادن نفيسة غير أن مثلهن لابد أن يهال على أمثالهن التراب حتى لا يعرفن ولا يحتذى بهن عفة وطهرًا وصبرًا ووفاء، ويُتَمثّل بالعاهرات الفاجرات اللواتي نعرف عن سيرهن حتى ما يفعلن في غرفات النوم الخاصة بأزواجهن وغير أزواجهن سائلين الله العافية فإن للحديث شجون.

باب اليـــاء

١٥٧- شهيـــد

[من مات عند قوله: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف﴾][1]

ذكر يحيى بن أيوب: أن فتىً كان يعجب به عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأنه انصرف ليلة من صلاة العشاء، فتمثلت له امرأة بين يديه، وعرضت عليه نفسها، ففتن بها، ومضت، فاتبعها، ووقف على بابها.

فلما وقف على الباب أبصر، وجلي عنه[2] وتليت هذه الآية على لسانه :[١٤٧/أ] ﴿إنّ الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾.

فخر مغشيًا عليه، فنظرت إليه المرأة فإذا هو كالميت.

فلم تزل هي وجارية له تتعاونان عليه حتى ألقوه على باب داره.

وكان له أب شيخ كبير يقعد لانصرافه كل ليلة، فخرج فإذا هو ملقى على باب الدار، فاحتمله، فأدخله.

فأفاق بعد ساعة، فسأله أبوه: ما الذي أصابك يا بني؟

فقال: يا أبه لا تسألني

فلم يزل به حتى أخبره بالآية ثم شهق شهقة خرجت نفسه.

فبلغ ذلك عمر بن الخطاب، فقال: ألا آذنتموني بموته؟

فذهب حتى وقف على قبره، ونادى يا فلان، قال الله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾[3] فأجابه الفتى من داخل القبر: قد أعطانيها ربي يا عمر[4] .

---

(١) سورة الأعراف (الآية : ٢٠١) كثيرون هم هؤلاء الذين تتوافق وفاتهم عند سماع آية قرآنية أو عند سماع موعظة بليغة ولا أظن أبدًا أن لتلك الآية أو لهذه الموعظة صلة بمثل هذه الوفيات ، وسبق أن علقت على مثل هذا وأمثال هؤلاء يطلقون عليهم شهداء العشق الإلهي وتهيم بأخبارهم الصوفية وينسجون حول سيرهم الحكايات والقصص وربما كان أحدهم أمضى حياته في السكر والعربدة والشطط عن دين الله تعالى.

(٢) يريد بقوله: أبصر وجلي عنه أي انكشف له حقيقة الدنيا وأنها زائفة خادعة وأنها دار ممر لا مستقر، وأنها ساعة فليجعلها طاعة، وأنه هو إلى زوال بلا محال، وتمكن ذلك من قلبه، فأقلع وعاد إلى ربه.

(٣) سورة الرحمن (الآية: ٤٦).

(٤) ألا توافقني يا أخي على أن تلك مغالاة واستخفاف بالعقول.

١٥٨- شهيد

[يزيد بن عبدالملك، وحبَّابة المغنية][١]

قال الزبير بن بكار: لما مات عمر بن عبدالعزيز، قال يزيد بن عبدالملك بن مروان: والله ما عمر بأحوج إلى الله مني، فأقام أربعين يومًا يسير سيرة عمر.

فأمرت حبّابة خصيًّا كان صاحب أمر يزيد أن يغني بحيث يسمع يزيد بشعر الأحوص وأعطته عشرة آلاف درهم.

بَكَيْتُ الصِّبَا جَهْلاً فَمَنْ شَاء لاَمني ... وَمَنْ شَاءَ سَاوَى في البُكَاء وَأَسْعَدا
ألا لاَ تَلُمْـــهُ اليَـــوْمَ أنْ يَتَبَلَّـــدَا ... فَقَدْ منـــعَ المَحْـــزُون أنْ يَتجَلَّـــدَا
وَمَا العَيْشُ إلاَّ أَنْ تَلَـــذَّ وَتَشْتَهِي ... وَإِنْ لاَمَ فِيْـــهِ ذُو الشنـــانِ وَفَنَّـــدَا[٢]

---

(١) كثيرة هي القصص حول سيرة يزيد بن عبدالملك الخاصة بالحب والعشق والغرام والسهر والقيان والمعازف والفتيات الجميلات، وما أراها إلاّ لأسباب سياسية من خصومه ، هو وهارون الرشيد فقد نالا قسطًا وافرًا من تلك الحكايات والقصص، وعمومًا فإن تلك الحكاية الواردة هنا قد أوردها السراج في مصارع العشاق في (١٠٢/١) تحت عنوان: يزيد بن عبدالملك وحبابة، (١/ ١١٩) تحت عنوان: يزيد يموت حزنًا على حبابة.

وفي الموضع الأول يذكر حكاية عن غنائها بين يديه هي وأخريات كل واحدة منهن ببيت شعر فتحكي الحكاية أنه شق ملابسه هيامًا وطربًا ، بالله عليكم أيتغير مصير إنسان فيتغير معه مصير أمة من أجل بيت شعر أم إنه استخفاف بعقولنا، وإنما لأمة مسكينة تلك التي يقودها مثل هؤلاء الحكام.

ثم لماذا لا تتحول أحوال الحكام من الشر إلى الخير بهذه السرعة التي دأبوا عليها معهم في قصص الحب والغرام والشرب والسكر؟

ألست معي في أنه استفسار وجيه ولو نسبيًا، وإنه ليحتاج إلى إجابة وإن كان معظمنا يعرفها؟

وقد ذكر تلك الحكاية بالإسناد التالي:

أخبرنا أبوبكر محمد بن أحمد الإردستاني بقراءتي عليه في المسجد الحرام قال: حدثنا أبوعبدالرحمن السلمي قال حدثنا العباس بن الحسين الفارسي ببغداد قال حدثنا علي بن الحسين بن أحمد الكاتب قال حدثنا إسماعيل بن محمد الشيمي من شيعة بني العباس قال حدثنا عمر بن شبة عن أبي إسحاق، قال: فذكر القصة التي أشرت إليها.

وذكر القصة التي بدايتها كالتي هنا غير أنها أقصر مما ورد هنا بالإسناد التالي في الموضع الثاني فقال: حدثنا أبو علي بن شاذان قال حدثني أبي أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال: حدثنا أبوعبدالله أحمد بن سليمان الطوسي قال حدثنا الزبير بن بكار قال: حدثني هارون بن موسى قال حدثنا موسى بن جعفر بن أبي كثير ، وعبدالملك بن الماجشون قال: فذكر القصة كما بدأها هنا بغير السياق.

(٢) أي لام.

إذا كُنْتَ عِزْهَاةً[1] عن اللَّهْوِ وَالصِّبَا فَكُنْ حَجَرًا منْ يَابِس الصَّخْرِ جَلْمَدَا[2]
وَإِنِّي وَإِنْ فَنَّدْتَ في طَلَبِ الصِّبَا لأَعْلَمُ أَنِّي لَسْتَ في الحُبِّ أَوْحَدَا[3]

فلما سمع ذلك قال للخادم: ويلك، قل لصاحب الشرطة يصلي بالناس. وأقبل [١٤٧/ب] على اللذات معها.

قال أبوالفرج في كتاب القيان: قيل: إنما أنشدته ذلك لما عَنَّفَهُ مسلمة[4] على كثرة خلوته بها.

قال: وكانت حبابة مولدة[5] مدنية أحسن أهل عصرها وجهًا، وأحلاهم منظرًا وشمائلاً وأظرفهم وأشكلهم.

وكان اسمها الغالية ، فلما اشتراها من يزيد سماها حبّابة، وتكنت هي أم داود. وكانت لرجل من أهل المدينة يدعى ابن مينا[6] .

وفي تاريخه[7]: كانت للاحق المكي، فأدخلت على يزيد في إزار له ذنبات[8] وفي يدها دف ترمي به، ثم تتلقاه[9]، وتغني:

مَا أَحْسَنَ الجِيْدَ منْ مُلَيْكَةَ وَاللَّبَاتِ إذَ زَانَهَا تَرَائِبُهَا
فِي لَيْلَةٍ لاَ يُرَى بِهَا أَحَدٌ يَسْعَى عَلَيْنَا إلاَّ كَوَاكِبُهَا

قال: ثم خرج بها مولاها إلى إفريقية، فلما كان بعد ما ولي يزيد اشتراها . قيل: وكان يزيد قدم المدينة في خلافة أخيه سليمان، فتزوج سعدة بنت عبدالله بن عمرو بن عثمان على عشرين ألف دينار.

وزليخة بنت عبدالله بن جعفر على مثل ذلك.

---

(١) في هامش المصارع: العزهاة: الزهد في اللهو والنساء.

(٢) الجلمد أو الجلمود: هو القاسي الشديد الصلب الشديد التحمل.

(٣) لم يرد هذا البيت في الموضع الثاني في المصارع.

(٤) هو أخوه مسلمة بن عبدالملك.

(٥) يريد مجددة في شئون الطرب من الألحان والمقامات وما إلى ذلك من الأمور الطربية. وربما أراد بقوله مولدة : قابلة للنساء تقوم على شؤون رعايتهن عند الولادة.

(٦) في أعلام النساء (٢٣٢/١): ابن رمانة، وقيل: ابن مينا.

(٧) أي تاريخ أبي الفرج.

(٨) يريد في ثوب له أطراف متدلية زينة وحسنًا وجمالاً وهو شيء يحبه النساء ، ويسمى في عصرنا بالموضة أو "موديل" أي نوع من أنواع الملابس النسائية الغير مسبوقة أو التي لم يصنع على مثيلها حتى ظهرت، ولم تصنع هي على مثيل سابق لها.

(٩) هي حركات يظهرها أهل الطرب بين أيدي غنائهم لبيان مدى تمكنهم من فنهم ورسوخهم فيه لإبهار الجلوس لإعطاء آدائهم بعد عيرهم لهم، وعدم الانشغال بسواهم أثناء المغنى.

واشترى الغالية بأربعة آلاف مثقال فبلغ ذلك أخاه سليمان بن عبدالملك فقال: والله لأحجرن عليه.

فبلغ يزيد قوله، فاستقال مولى حبابة[1] فأقاله.

فاشتراها رجل من أهل أفريقية.

وقال فيها وقد تبعتها نفسه:

أَبْلِغْ حَبَابَةَ أَسْقَى رَبْعَهَا المَطَرُ ... مَا لِلْفُؤَادِ سِوَى ذِكْرِكُمْ وَطَرُ

إِنْ سَارَ صَحْبِي لَمْ أَمْلِكْ تَذَكُّرَكُمْ ... أَوْ عَرَّسُوا فَهُمُومُ النَّفْسِ وَالذِّكَرُ

فلما صار الأمر إلى يزيد اشترتها سعدة امرأته وعلمت أنه لابد له أن [١٤٨/أ] يطلبها ويشتريها.

وذلك أنها أمرت مولى لها بشرائها بالغًا ما بلغت، وأن يطلبها في سائر الجهات حتى يجدها.

فمضى إلى المدينة فخبر بأمرها، فرحل إلى مصر، ثم إلى أفريقية حتى صادف مولاها، فأرغبه في الثمن، ووعده عن مولاته الأثرة في المنزلة، وقضاء الحوائج.

وقالت له حبابة: إنك إن لم تبعني أرسلت إلى الخليفة فيأخذني منك فباعها من مولى سعدة بمائة ألف درهم.

وقدم بها المولى على سعدة، فلما حصلت عندها كستها أحسن كسوة وحلتها، وعطرتها، وأعطتها جواهرًا كثيرًا وطيبًا، وصنعتها.

ثم إنها خرجت إلى يزيد وقالت : يا أمير المؤمنين، هل بقي شيء من أمر الدنيا تشتهيه لم تبلغه؟

قال: لا.

قالت: بلى، أنا أعلم ما في نفسك، فاذكره لي، فلعلي أن أبلغك إياه.

فقال: الغالية جارية مينا.

---

(١) قال عمر رضا كحالة في ترجمتها في أعلام النساء (٢٣٢/١) : حبابة جارية يزيد بن عبدالملك: مُغنية من أحسن من رئي في الإسلام من قيان، ومن أحسن الناس وجهًا، وأكملهم عقلاً، وأفضلهم أدبًا.

قرأت القرآن، وروت الأشعار، وتعلمت العربية، وهي مولدة من مولدات المدينة، كانت لرجل من أهلها يعرف بابن رمانة، وقيل: ابن مينا، وهو الذي خرجها وأدبها، فأخذت الغناء عن ابن سريج، وابن محرز، ومالك، ومعبد، وجميلة، وعزة الميلاء.

ثم اشتراها يزيد بن عبدالملك بأربعة آلاف دينار.

فقالت: أو تعرفها إن رأيتها؟

قال: نعم.

قالت: فقم معي. فقام معها فدخل عليها في المنزل الذي أفرد لها. فكشفت له عنها، وقالت: أهي هي؟

قال : نعم. قالت: فبارك الله لك فيها وأقر عينك بها.

وخرجت وتركته معها، فعظم قدر سعدة عنده. وكانت قد أخذت عليها أن توطئ عند يزيد لابنها أمر الخلافة، فضمنت لها حبابة ذلك[1].

قال المدائني: وقد قيل: إن أم الوليد بن يزيد هي التي ابتاعتها له سعدة.

وغضب يزيد على خالد بن عبدالله بن عمرو بن عثمان في أنه خطب له بنت أخ له فردَه.

---

(١) لو صحت مثل تلك الحكايات لكان للمرأة الدور الرئيسي حقًا في قوة العلاقة بالمخابرات والسيطرة على إدارة السلطة وتوجيهها في الوجهة التي تريدها في إدارة البلاد وإن كان حكامها منها شكلاً.

والقصة في أعلام النساء قريبة من هذه غير أنها تحكي أكثر من ذلك في السيطرة فمما تقول القصة فيه: .... فرفعت الستر، وقالت: يا أمير المؤمنين هذه حبابة، وقامت وخلتها عنده، فحظيت سعدة عند يزيد وأكرمها.

وغلبت (أي حبابة) على عقله فهام بها هيامًا عظيمًا، فأصبح لها نفوذ كبير في نفسه، فتأمره فيصدع لأمرها وتشاغل بها عن النظر في الأمور وفي أصحاب الظلامات حتى قال لها يومًا: قد استخلفتك على ما ورد عليّ، ونصبت لذلك مولاي فلانا فاستخلفيه لأقيم معك أيامًا، وأستمتع بك.

قالت: فإني قد عزلته. فغضب عليها وقال: قد استعملته وتعزلينه؟! وخرج من عندها مغضبًا فلما ارتفع النهار ، وطال عليه هجرها، دعا خصيًا وقال: انطلق فانظر أي شيء تصنع حبابة؟

فانطلق الخادم ثم أتاه، فقال: رأيتها بإزار خلوقي، قد جعلت له ذنبين، وهي تلعب بلعبها.

قال: ويحك احتل لها حتى تمر بها عليّ فانطلق الخادم إليها فلاعبها ساعة، ثم استلب لعبة من لعبها وخرج. فجعلت تحضر في أثره، فمرت بيزيد. فوثب وهو يقول: لقد عزلته، وهي تقول: قد استعملته.

فعزل مولاه وولاه، وهو لا يدري. فمكث معها خاليًا أيامًا، حتى دخل عليه أخوه مسلمة، فلامه، وقال: ضيعت حوائج الناس، واحتجبت عنهم أترى هذا مستقيمًا لك. وهي تسمع مقالته، فغنت لما خرج:

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا ... فقد غلب المحزون أن يتجلدا

القصيدة التي سبق أن ذكرها المؤلف، ثم قال: فطرب، وقال: قاتلك الله أبيت إلا أن ترديني إليك، وعاد إلى ما كان عليه.

فقام إليه معتذرًا. فقالت حبابة ليزيد: أحب أن ترضى عنه بشفاعتي لتسر بذلك أخته سعدة، فأجابها.

فأرسلت إليه مع جارية لها تقول: لك أم داود.

قد كلمت أمير المؤمنين في الرضا عنك فرضي.

فقال لها: ومن أم داود؟

فقالت [١٤٨/ب] له: حبّابة، وذكرت له من قدرها عنده ما لم يظنه. فلم يلتفت إلى ذلك، وأنف منه، وقال: قولي لها: إن للرضا عندي سببًا ليست به.

فرجعت إليها فأخبرتها. فشكته إلى يزيد، فغضب وقال: اقلعوا أطناب الفسطاط، وأوتاده.

فوقع عليه وعلى من معه. فقال: ويلكم ما هذا؟

قالوا: خدم حبّابة، هذا ما صنعت بنفسك.

فقال: أخزاها الله، ما أشبه رضاها بغضبها، وبعث إليها يعتذر.

وقيل: إن الحارث بن خالد المخزومي: كان يهواها قبل وصولها إلى يزيد فلما أراد يزيد الخروج بها قال: فيها الحارث:

قَدْ سُلَّ جِسْمِي وَقَدْ أَوْدَى بِهِ سَقَمِي … مِنْ أَجْلِ ظَبْيٍ خَلا عَنْ بَلْدَةِ الحَرَمِ
يحنُّ قَلْبِي إِلَيْهَا إِنَّهَا رَشَاءٌ … كَالشَّمْسِ رَوْدٌ ثِقَالٌ سَهْلَةُ الشِّيَمِ
فَضَّلَهَا اللهُ رَبُّ الشَّمْسِ إِذْ خُلِقَتْ … عَلَى النِّسَاءِ مِنْ أَهْلِ العِزِّ وَالكَرَمِ

فلما سمع ذلك يزيد من المغنين قال: هذا، ولم نرحل بعد، فكيف لو رحلنا؟! فردها على مولاها.

فلما ولي الخلافة، اشترتها امرأته العثمانية، ووهبتها له.

وكان يقول: ما يقرّ عيني بشيء من الذي أوتيته من الخلافة حتى اشتريت سلامة جارية ابن مصعب، والغالية جارية أبي لاحق المكي.

فلما اجتمعتا عنده، قال: أنا الآن كما قال الشاعر:

فَأَلْقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى … كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالإِيَابِ المُسَافِرُ

ولما شيع الناس حبابة إذ رحلت من المدينة وصلوا معها إلى ذي خشب[1] سألوها

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان: خُشُبٌ: واد على مسيرة ليلة من المدينة، له ذكر كثير في الأحاديث والمغازي، قال كثير:

وذا خُشُب من آخر الليل قلّبتْ … وتبغي به ليلى على غير موعد

وقال قوم: خشب: جبل، والخشب: من أودية العالية باليمامة، وهو جمع أخشب، وهو الخشن =

أن تزودهم صوتًا فغنتهم[١٤٩/أ]:

سَلَكُوا بَطْنَ محَيْص ... ثُمَّ وَلَّوْا رَاجعيْنَــا
أَوْرَثُوني حِيْنَ وَلَّوْا ... طُولَ حُزْنٍ وَأنيْنَا

ثم أمرت كاتبة لها أن تكتب أسماءهم فلما أن وصلت إلى يزيد أعطته الأسماء وكانوا نحوًا من مائتي رجل وقالت: هؤلاء شيعوني فأمر لكل واحد منهم بألف درهم.

وكان عمرو بن هبيرة تبناها، فكانت هداياه، وألطافه في كل وقت تأتيها فلم تزل حبابة بيزيد حتى ولاه العراق.

وكانت بينه وبين القعقاع بن خالد العبسي عداواة.

فقال يزيد: من يطيق ابن هبيرة حبابة بالليل، وهداياه بالنهار تقبض عنه يد كل عدو.

قال أبوالفرج: غنت جارية يزيد، حبابة يومًا:

وَإِنِّي لأَهْوَاهَا وَأَهْوَى لِقَاهَا ... كَمَا يَشْتَهِي الصَّادِي الشَّرَابَ المُبَرَّدَا

فراسلتها سلامة، فغنت:

عَلاَقَةَ حُبٍّ لَجَّ(١) فِي سَنَنِ الصِّبَا ... فَأَبْلَى وَمَا يَزْدَادُ إلاَّ تَجَلُّدَا(٢)

فغنت حبابة:

كَرِيْمُ قُرَيْشٍ حِيْنَ يُنْسَبُ وَالَّذِي ... أَقَرَّتْ(٣) لَهُ بِالْفَضْلِ كَهْلاً وَأَمْرَدَا(٤)

فغنت سلامة:

تروّى(٥) بمَجْدٍ منْ أَبِيْهِ وَجَدِّهِ ... وَقَدْ أَوْرَثَا بُنْيَانَ مَجْدٍ مُشَيَّدا

= العليظ من الجبال، ويقال: هو الذي لا يرتقى فيه، وقال الشاعر:

أبَتْ عيني بذي خشب تنام ... وأبكتها المنازل والخيام
وأرقني حمام بات يدعـــو ... على فنن يجاوبه حمـــام
ألا يا صاحبيّ دعا سلامي ... فإن القلب يغريه الملام
وعرجا تخبرا عن آل ليلى ... ألا إن بليلى مستهـــام

وخَشَبٌ: بالتحريك، ذو خشب: من مخاليف اليمن. قلت: والأول هو المقصود هنا.

(١) في المصارع: كان.

(٢) في المصارع: تجددا.

(٣) في المصارع: أقرَّ.

(٤) والمراد بالكهل: من تجاوز الثلاثين من العمر، والأمرد: الذي لم يظهر له شعر لحية ولا شارب بعد.

(٥) في المخطوط: تردى. وهو تحريف، والتصويب من مصارع العشاق.

فطرب يزيد وشق حُلّة وشي[1] كانت عليه حتى سقطت في الأرض وقال: أحسنتما، أفتأذنان لي أن أطير؟

فقالت له حبابة: فعلى من تدع الأمة؟

قال: عليك[2] .

وهذا الفعل هو الذي عابه أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي الشاري وكان بعثه عبدالله بن يحيى الكندي، الذي تسميه الشراة طالب الحق، فأوقع بأهل المدينة وقتل منهم يوم قديد مقتلة عظيمة، [١٤٩/ب] ودخل المدينة فخطب بها خطبة بليغة، وكان من أهل البلاغة والفصاحة، فذكر الخلفاء يعيبهم واحدًا واحدًا حتى انتهى إلى يزيد، فقال: ثم ولي يزيد بن عبدالملك شاب مترف حديث السن لم يؤنس به رشد، يجلس بين حبابة وسلامة فيغنيان له بمزامير الشيطان على شرب الخمر المحرمة صراحًا حتى إذا دبت حميًا الكأس في راسه ضرب بيده إلى الحلة التي قد ابتيعت بألف دينار أخذت من غير حلها، وأنفقت في غير وجهها بعد أن ضربت فيها الأبشار، وحلقت الأشعار[3]، فشقها، ثم يقول لها: أتأذنان لي أن أطير؟! نعم، فطر إلى لعنة الله لا ردّك الله تعالى[4].

(١) وشي: أي محلاه ومطرزة بالذهب واليواقيت والأحجار والمعان النفيسة.
وهذه الكلمة لم ترد في مصارع العشــاق في الموضع الأول الذي أشرت إليه في أول الترجمة.

(٢) انظر أيعقل مثل هذا؟! مهما كان من فساد في الأخلاق والحكم فهل يستقر أمر حكم هذا حال رأسه؟ أم هل تُهاب أمة مثل هذا يكون حاكمها؟
وهل لم يكن في الشعب من يثور لدينه أو لكرامة أمته وسمعتها بين الأمم.
نعم قد يكون هناك فساد في الحاكم أو الحكومة لكن لا يصل إلى مثل تلك الحال التي توصف هنا، وإلا لما تماسك بعده يومًا ولا يومان بل لتداعى من فوره ولانقض عليه أقل الخدم شأنًا فيستولي عليه ويصير هو سيدًا لتلك الأمة التي لا تجد من يقودها.
أيها الكتاب رفقا بعقول الناس بالله عليكم.
أيها القراء تحروا ما تقرأون فإنه كثيرًا ما يكون غير حقيقي فلا تصدق إلا ما وافق كتاب الله تعالى أو سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو فطرة سليمة أو عقلاً حكيمًا وما عدا هذا فمر عليه مر الكرام، وتذكر قول الله عز وجل: ﴿**وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا**﴾ وقوله سبحانه وتعالى: ﴿**والذين لا يشهدون الزور وإذا مروا باللغو مروا كرامًا**﴾ [الفرقان: الآيات ٦٣،٧٢].

(٣) يريد أن ثمنها جمع ظلمًا من الرعية ، على سبيل الجباية ومن امتنع أو لم يف بما فرض عليه ضرب جسمه وحلق شعره، هكذا أراد أن يقول بغض النظر عن صدقه من عدمه.

(٤) قال ابن العماد في شذرات الذهب (١٢٨/١) في أحداث سنة خمس ومائة: قال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم لما استخلف قال سيروا سيرة عمر بن عبدالعزيز ، فأتوه بأربعين شيخًا شهدوا له أن الخلفاء لا حساب عليهم ولا عذاب، فأقبل على الظلم وإتلاف المال والشرب والانهماك على سماع الغناء والخلوة بالقيان وكان ممن استولى على عقله جارية يقال لها حبابة، وكانت تغنيه فلما

قال أيوب بن عباية: كان البيدق الأنصاري يدخل على حبابة إذ كانت بالحجاز،

=

كثر ذلك منه عزله أحوذ مسلمة.

وقال له: إنما مات عمر أمس، وكان عدله ما قد علمت فينبعي أن تظهر للناس العدل، وترفض هذا اللهو فقد اقتدي بأعمالك في سائر أفعالك، وسيرتك فارتدع عما كان عليه، وأظهر الإقلاع والندم، وأقام على ذلك مدة مديدة. فغلظ ذلك على حبابة، فبعثت إلى الأحوص الشاعر، ومعبد المغني، وقالت: انظرا ما أنتما صانعان؟

فقال الأحوص في أبيات له:

ألا لا تلمه اليوم أن يتبلدا   فقد غلب المحزون أن يتجلدا

وذكره ثلاث أبيات من هذه القصيدة التي ذكرت في أول الترجمة، ثم قال: وغناه معبد، فأخذته حبابة عنه، فلما دخل عليها يزيد قالت: يا أمير المؤمنين، صوتا واحدًا وافعل ما بدا لك وعنته، فلما فرغت منه جعل يردد قولها:

فما العيش إلا ما تلذ وتشتهي   وإن لام فيه ذو الشنآن وفندا

وعاد بعد ذلك إلى لهوه وقصفه ورفض ما كان عزم عليه.

وعن إسحاق بن إبراهيم الموصلي قال حدثني ابن سلام، قال ذكر يزيد قول الشاعر:

صفحنا عن بني ذهــل   وقلنــا القوم إخــوان
عسى الأيــام أن يرجعن   قومًــا كالذي كانوا
فلمــا صــرح الشــر   فأضحى وهو عريــان
مشينا مشيــة الليــث   غدا والليــث غضبــان
بضرب فيــه توهيــن   وتخضيــــع وإقــــرن
وطعن كفــم الــزق   وهــي والــزق ملآن
وفي الشر نجاة حيــ   ــن لا ينجيك إحسان

وهو شعر قديم إنه للفند الزماني في حرب البسوس. فقال لحبابة: غنيني به بحياتي فقالت : يا أمير المؤمنين هذا شعر لا أعرف أحدًا يغني به إلا الأحول المكي. فقال: نعم، قد كنت سمعت ابن عائشة يعمل فيه ويترك.

قالت: إنما أخذه عن فلان بن أبي لهب وكان حسن الأداء فوجه يزيد إلى صاحب مكة إذا أتاك كتابي هذا فادفع إلى فلان بن أبي لهب ألف دينار لنفقة طريقه على ما شاء من دواب البريد ففعل، فلما قدم عليه قال : غنني بشعر الفند الزماني. فغناه، فأجاد وأحسن وأطرب.

فقال: أعده فأعادة فأجاد وأطرب يزيد.

فقال له: عمن أخذت هذا الغناء؟

قال: أخذته عن أبي، وأخذه أبي عن أبيه.

قال: لو لم ترث إلاّ هذا الصوت لكان أبولهب رضي الله عنه ورثكم خيرًا كثيرًا. فقال: يا أمير المؤمنين إن أبا لهب مات كافرًا مؤذيًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: قد أعلم ما تقول، ولكني داخلني عليه رقة إذ كان يجيد الغناء. ووصله، وكساه ورده إلى بلده مكرمًا، وبالجملة فأخباره من هذا القبيل كثيرة فلنحبس عنان القلم عن ذلك سامحه الله تعالى.

فألفها، فلما صارت إلى يزيد خرج إليها متعرضًا فذكرته ليزيد، ووصفت له حسن صوته.

قال البيدق: فدعاني ليلة فدخلت عليه، وهي على فرش مسترق قد ذهب فيها إلى قرب بين يديه، وإذا حبابة على فرش منها، فسلمت فقالت حبابة: يا أمير المؤمنين هذا أبي. فأشار إليّ بالجلوس، فجلست.

فقالت لي حبابة: اقرأ.

فقرأت، فنظرت إلى دموعه تنحدر ثم قالت: إيه يا أبت، وأشارت إليّ: أن غني. فغنت:

مَنْ لصَـــبٌ مُقَيَّـــد ... هَائم القَلْب مَقْصَد
أنْت زَوَّدْته الهَـــوَى ... بئسَ زَاد المُـــزَوِّد
فَلَوْ أنِّي لاَ أرتَجيْك ... لَقَدْ خَفَّ عودي
غَيْر أنّي أُعَلِّلُ النَّفْـــ ... ـــسَ باليَوْمِ وَالْغَدِ

قال: فحذفني بمدهن ذهب فيه لؤلؤ، كان في يده وفيه زمرد وياقوت.

فوقع [١٥٠/أ] في صدري. فأشارت إليّ حبابة، أن خذه فأخذته.

وقال أبو دفاقه: أول ما ارتفعت به حبابة عند يزيد أنه أقبل يومًا إلى البيت الذي هي فيه، فسمعها تتغنى من حيث لا تشعر به:

كَانَ لِي يَا يَزِيْدُ حُبَّكَ حِيْنًا ... كَادَ يَقْضِي عَليَّ لَمَّا التَقَيْنَا

فرفع الستر، فوجدها مضطجعة مقبلة على الجدار.

فعلم أنها قالته عن هوىً صادق. ثم إن أهل الخليفة عاتبوه فيها، وأرسلوا إليه مولىً لهم كان ذا قدر عندهم، فعاتبه فيها إدْلالاً عليه.

فقال له: تدخل إليها وتسمع غناءها، ثم ارجع إلى رأيك.

فلما دخل قال يزيد لها: إن لنا شيخًا قد أحب أن يسمع غناك، وغناء سلامة، فاجلسا له.

ففعلتا، ودخل الشيخ، فرأى منهما ما لم ير مثله قط، وأمرهما بالغناء، فغنت له حبابة:

وَقَدْ كُنْتُ آتِيْكُم بِعِلَّةِ غَيْركُم ... فَأفْنَيْتُ علاَّتِي فَكَيْفَ أَقُولُ

فطرب الشيخ.

فقال له يزيد: ما ترى الآن؟

أدع هذا؟ قال: لا ، ولا كرامة.

وقال أبو حاتم الأزدي: نزل يزيد ببيت رأس بالشام، ومعه حبابة، فقال: زعموا أنه لا

تصفوا لأحد عيشة يومًا إلى الليل لا يكدره عليه شيء، وسأجرب ذلك[1].

وفي كتاب الزبير: إني لأستحي أن أخلو بها وأرى أحدًا غيرها، وأمر ببستان فجلس فيه.

ثم قال لمن معه: إذا كان غدًا فلا تخبروني بشيء ولا تأتوني بكتاب. وخلا معها[2].

فأتيا بما يأكلان، فأكلا رمانًا[3]، وقيل: إنه رماها بحبة رمان فشرقت بها فماتت.

وفي كتاب ابن الجوزي: أنه أقام معها في البستان ثلاثًا، ثم انصرفا وأقامت أيامًا، ثم مرضت وماتت.

وقال الأصفهاني: فأقام لا [١٥٠/ب]يدفنها ثلاثًا حتى تغيرت وأنتنت، وهو مع ذلك يرشفها ويشمها.

فعاتبه في ذلك ذوو قرابته[4]، وعابوا ذلك عليه، حتى أذن لهم في غسلها ودفنها.

فأمر، فأخرجت في نطع، وخرج وهو لا يتكلم حتى جلس على قبرها، فلما دفنت قال: أصبحت والله كما قال كثير:

وَإنْ تَسْلُ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدَعِ الهَوَى[5] ... فباليَأْسِ تَسْلُو[6] عَنْكَ لاَ بالتَّجَلُّدِ

وَكُلُّ خَلِيْلٍ زَارَنِي[7] فَهُـوَ قَائِـلٌ ... مِنْ أَجْلِكَ هَذَا هَامَةُ اليَوْمِ أوْغَدَ

فما أقام بعدها إلا خمسة عشر يومًا، وفي رواية أربعين يومًا، حتى دفن إلى جنبها.

وقيل إنه بعد ثالث يوم دفنها، قال: لا بدّ لي من أن أراها.

وأمر باللحد، فكشف عنها، فإذا هي قد حالت تحولاً[8] قبيحًا.

فقال: ما رأيتها قط أحسن منها الساعة[9].

---

(١) ذكر الخبر عمر رضا كحالة في أعلام النساء (١/٢٣٤).

(٢) في أعلام النساء: هو وحبابة.

(٣) في أعلام النساء: فأكلت رمانة فشرقت بحبة منها فماتت.

(٤) في أعلام النساء: ذووا قرابته وأصدقاؤه.

(٥) في مصارع العشاق، وفي أعلام النساء: الصِّبا.

(٦) في المصارع: أسلو، وما هنا موافق لما في أعلام النساء.

(٧) في المصارع: لامني، وفي أعلام النساء: رآني.

(٨) في المخطوط: حوولا، وهو تحريف.

(٩) صدق من قال: حُبك الشيء يعمي ويصم. والمثل العامي القائل: مراية الحب عميا. والله إني لأتساءل هل يصل الحب أو العشق إلى هذه الحالة من الجنون، وإن كان وصل به الحال إلى مثل تلك الحالة وترك في موضعه من المسؤولية في إدراة البلاد، فإن كان يدل هذا على شيء فإنما يدل على أن البلاد كانت في حال من الفساد والانحطاط بمكان لا يمكن أن توصف به، فإننا لنمر بأحوال من الحكم والحكام الذين يحكمون بلادهم بالحديد والنار من شيوعيين وغيرهم من دكتاتوريين لم نسمع أن حاكمًا من العربدة وصل إلى شيء من تلك التي نقرأ عنها وعلى هذا فإنه يجب علينا أن نحمد الله تعالى ونشكره على ما من به علينا من حكام هذا حالهم فهم على العموم

فقال مسلمة أخوه: والله لئن أقمت على ما تقول ليقولن أهل الشام إنك خولطت ولنخلعنك، وأنت أعلم. فعرف نصحه، وأمر بها فدفنت، وعاد إلى منزله، فكمد كمدًا شديدًا.

فلم يقدر على النظر في شيء، ولا أذن لأحد عليه بعدها إلاّ مرة واحدة.

فإنه جلس مستندًا إلى حائط، وحوله من الفرش ما قد واراه، وما يبين منه إلاّ وجهه ومنكباه.

فلم يدخل الناس حتى قال الحاجب أوجزوا رحمكم الله.

ثم لم يروه بعدها.

وقال أبو الحارث الثقفي: لما توفيت حبابة، جزع يزيد جزعًا شديدًا فضم جويرية كانت لها مختصة بخدمتها إلى نفسه.

فكانت تؤنسه وتخدمه، فبينا هو يدور في قصره إذ قال: هذا الموضع الذي كنّا فيه.

فقالت الجارية:

كَفَى حُزْنًا بِالْهَائِمِ الصَّبِّ أَنْ يَرَى ... مَنَازِلَ مَنْ يَهْوَى مُعَطَّلَةً قَفْرًا

[١٥١/أ] فبكى حتى كاد أن يموت. ثم لم تزل تلك الجويرية معه يتذكر بها سيدتها حتى مات.

وقال مسلمة: دخلت عليه يومًا فجعلت أعزيه وأسليه وهو ضارب بذقنه على صدره لا يكلمني فلما أكثرت ، أنشدت قول كثير المتقدم وكان أراد أن يصلي عليه فمنعه مسلمة، وقال(١) : أنا أكفيك ذلك.

قال أبوالفرج: ولا نعلم خليفة مات عشقًا غير يزيد(٢) .

=

أصلح حالا من أولئك بمئات المرات.

وقد يقول قائل إن فساد هؤلاء الحكام كان في شخصهم لا في حكمهم.

فأقول إن فساد الشخصية يجر إلى ما هو أشد منه وهو فساد البلاد، فساد البلاد يطمع فيها أعداؤها، فتروح البلاد والعباد ويحل الكفر والخراب وتنتهك الأعراض، وتذهب الريح والكرامة والأموال ويصير السادة عبيدًا والعبيد قتلى والنساء سبايا.

إني لست أدافع عن حكام اليوم ولكني ما أظن أبدًا أن يكون يزيد بن عبدالملك ولا غيره ممن حكموا تلك الأمة كانوا على تلك الدرجة من الانحطاط نعم كان لهم نزوات ونزعات شخصية لكن لدرجة تسمح بثبات الحكم وهيبة الدولة بين الدول وإلا لما استمر حال الأمة مهابًا إلى عصور قريبة، فاللهم احفظنا واحفظ أمتنا إلى يوم الدين.

(١) في المخطوط: قالت. وهو تحريف.

(٢) قلت: لم يتفق أنه مات عشقًا بل قالوا غير ذلك واختلفوا حتى في مكان وفاته فمن ذلك قول الذهبي في سير أعلام النبلاء (١٥٠/٥- ١٥٢): قيل مات بسواد الأردن، ومرض بنوع من السُّل. وقال أبو مسهر: مات بإربد، وقالوا : مات لخمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة، فكانت دولته أربعة أعوام وشهرًا.

١٥٩- شهيد

[عاشق العابدة[١] التي لم يبح باسمها]

ذكر أحمد بن محمد بن مسروق عن مالك بن سعيد قال حدثني يسار الخزاعي وغيره من مشيخة خزاعة: وقال ابن المرزبان في كتاب الذهول والنحول وحدث في كتاب

(١) قليلات هن النساء المتعبدات لا أدري لماذا فكتب التراجم لم تحص لنا منهن سوى عدد يسير جدًا مما يدل على قلتهن وقصر باعهن في هذا المجال، ربما لانشغالهن بتربية الأولاد، وربما لكون أمورهن عادة ما تكون مستورة عن الرجال، وهم أهل الكتب والمؤلفات وجامعوا التراجم والسير.

إلا أن بعضًا من المؤلفين قد أفرد لهن كتابًا في سير الصالحات منهن هو أبوعبدالرحمن السلمي في كتاب له اسماه: ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات غير أنه لم يذكر فيه عددًا يذكر إذ بلغ عددهن فيه أربعا وثمانين امرأة لم يزد على ذلك، وهو عدد متواضع جدًا بالنسبة لكتب الصوفية أو الرجال بصفة عامة.

وقد جمع الأستاذ عمر رضا كحالة في النساء كتابًا أسماه أعلام النساء ولكنه لم يقصره على المتعبدات، وهذا الكتاب كنت أظن أنه جمع عددا كبيرًا منهم إلاّ أنه بالرغم من المجهود المشكور الذي قام به فيه غير أنه يحتاج إلى إلحاقات كثيرة بعد تعاملي معه لأكثر من مرة فهو يحتاج إلى ذيل قد يصل إلى حجمه، والله أعلم.

ثم إن الله تعالى قد أعانني أنا على أن قمت بتأليف كتاب أسميته: "الدراري النيرات في مسند وتراجم المبايعات".

وهو كتاب جمعت فيه أسماء الصحابيات اللواتي بايعن النبي صلى الله عليه وسلم من كانت لها رواية منهن أو لم يكن وهو مطبوع ولكن لم تصلني منه نسخة حتى الآن ولا أذكر الآن عدد من جمعت منهن فيه.

المهم أن جانب العبادة أو التعبد عند النساء أقل منه عند الرجال، ولا أعرف لذلك علة شافيه في حين أنهن شقائق الرجال.

ومما أظن أيضًا أنه علة هو عدم قدرتهن على القيام لفترة طويلة مثل الرجال، وربما أيضًا لعدم استمرارهن في أمور العبادة بانتظام على ما يضعن من أوراد كما يفعل الرجال لما يعترضهن في كل شهر من حيض قد يستمر مع أحداهن قرابة النصف شهر ثم يعقب ذلك أيام نفاس قد تطول وبين النفاس والدورة تتعرض لإجهاد الإرضاع، ثم إجهاد الحمل الذي وصفه الله عز وجل بأنه كره، ووهن.

وربما كانت تلك العوارض مما يسبب ذلك مع أسباب أخرى لا أعرفها، فالله أعلم.

وكم هو جميل ومسعد أن نسمع عن امرأة متعبدة أو تقية أو زاهدة، إن أمثال هؤلاء النسوة يُشعِنَ في محيطهن سرورًا وسعادة وطمئنية لا نظير لها، فهن إذا كن عابدات كن غير الرجال فعبادتهن شفافة نقية وديعة رائقة صافية مشبعة بالسكينة والهدوء.

فاللهم أكثرمنهن في مجتمعنا وفي الأمة كلها فإنهن مصدر حنان وبركة.

بعض إخواني أنبأنا زكريا بن إسحاق قال: سمعت مالك بن سعيد: أنه كان عندهم بالطائف جارية متعبدة ذات يسار وورع، وكان لها أم أشد عبادة منها، وكانت مشهورة بالعبادة، قليلة المخالطة للناس.

وكانت لهما بضاعة مع رجل من أهل الطائف، فكان يبيعها لهما، فما حصل من شيء أتاهما به.

فبعث يومًا ابنه -وكان فتىً جميلاً مسرفًا على نفسه- إليهما في حوائجهما، فقرع الباب.

فقالت أمها: من هذا؟ قال: أنا ابن فلان.

فقالت: ادخل.

فدخل وابنتها في بيت، ولم تعلم بدخول الفتى، فلما قعد معها خرجت ابنتها وهي تظن أنها بعض نسائها حتى جلست بين يديه.

فلما نظرت إليه قامت مبادرة، فخرجت ونظر إليها، فوقع حبها في قلبه. فخرج وهو لا يدري أين يسلك.

فأتى أباه، فأخبره بما قالت له العجوز ثم جعل ينحل ويذوب جسمه ولزم الوحدة والفكر.

وجعل الناس يظنون أن الذي به من عبادة حتى سقط على فراشه.

فدعا له أبوه الأطباء والمعالجين فجعلوا ينظرون إليه، فكل يصف له دواء، ويقول له [١٥١/ب] داء لا يقوله الآخر.

والفتى ساكت لا يتكلم، حتى إذا طالت علته واشتد عليه الأمر، دعا أبوه إخوانه الذين كان يألفهم ويأنس بهم.

فقال: اخلوا به واسألوه عن علته لعله أن يخبركم ببعض ما يجده.

فأتوه، وسألوه فقال: والله ما بي علة أعرفها فأخبركم بها، فأقلوا الكلام. وكان الفتى فطنًا ذا عقل.

فلما طال به الوجد دعا امرأة من بعض أهله، فخلا بها، وقال: إني مُلْقٍ إليك حديثًا ما ألقيته إليك إلاّ الإياس من نفسي، فإن ضمنت لي كتمانه أخبرتك، وإلا صبرت حتى يحكم الله في أمري.

وهكذا البلاء الذي فيّ لا شك أنه قاتلي، وأنه يجب عليَّ في محبتي أن أكون لمن أحب صائنًا وعليه مشفقًا.

فقالت له المرأة: قل ما بدا لك، فوالله ما أحب بقاء أحد في الدنيا غيرك، ووالله

لأكتمن أمرك ما بقيت الدنيا. فذكر لها قصته.

فقالت: يا بني، أفلا أخبرتنا، فوالله، ما رأيت كلمة تسكن مجامع القلوب فلا تفارقه أبدًا من كلمة عاشق أخبر من يحبه أنه لوامق، فتلك الكلمة تروع في قلوب ذوي الألباب شجرًا لا تدرك أصوله.

فقال: وكيف لي بها؟ وأين السبيل إليها وقد بلغك حالها واجتهادها في العبادة فقالت: علي أن آتيك بما تسرّ به(١).

ثم لبست ثيابها، وأتت منزل الجارية فتحدثت مع أمها.

ثم خلت بها ، وذكرت لها الفتى وعلته ، وأنها لا تبرح في زيادة، وقد كان رفع إلى الجارية خبره.

فعلمت أن ذلك من أجلها، فجعلت العجوز تعرض لها بالتزوّج، والجارية تعارضها بالخدمة والعبادة والاجتهاد.

ثم قالت لها: أوضحي لي ما عندك، فإن يكن لك جواب أجبتك.

فذكرت [١٥٢/أ] قصة الفتى.

فقالت: قد ظننت ذاك، فأبلغيه السلام، وقولي إني قد وهبت نفسي لله تعالى، وليس إلى الرجوع سبيل فتوسل إلى مولاك ومولاي بغفران ما قدّمت يداك، وذكرت موعظة طويلة(٢).

فلما أخبرته العجوز بقولها، بكى بكاءً شديدًا.

وقال(٣): كيف لي بالبلوغ إلى ما دعت إليه؟

ومتى تكون آخر المدة التي نلتقي فيها؟ ثم جعل وجعه يشتد ولا يقر قراره، إلى أن أجلسوه في بيت، وأوثقوه، وتوهم القوم أن الذي به من عشق. فكان يبكي ويقول:

أَأُفْشِي إِلَيْكُمْ بَعْضَ مَا قَدْ يُهَيِّجنِي	أَمْ الصَبْرُ أَوْلَى بِالْفَتَى عِنْدَمَا يَلْقَى
أَأُوعَدُ وَعْدًا مَالَهُ الدَّهْرُ آخِرُ	وَأُومَرُ بِالتَقْوَى وَمَنْ لِي بِالتُّقَى

(١) في المخطوط: بها. وهو تحريف.

(٢) هكذا تكون النساء ، وهكذا تكون العبادة، وهكذا تكون النصيحة، وهكذا يكون العلاج، وهكذا يكون الرد.

وإنه لجميل من المؤلف أن يختم لنا بمثل هذه النوعية من النساء، ويا حبذا لو جعل مثل هذه الترجمة خاتمة لكتابه حيث كان القارئ يغلق الكتاب ويغمض عينيه على سيرة عطرة، وعفة وطهارة ونقاء وعبادة وفطنة وإصرار على أن لا يكون فوق حب الله تعالى حب وليس وراء رضائه رضا، وأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

(٣) في المخطوط: قالت: وهو تحريف.

سَلاَمٌ عَلَى مَـنْ لاَ أُسَمِّي باسْمه ... وَلَوْ ضَرَبَ مَثْلَ الطَّيْرَ في غَيْضه مُلْقَى
أَلاَ أَيُّهَا الصبْيَانُ لَوْ ذُقْتُمُ الهَـوَى ... لأَيْقَنْتُـم أَنِّـي مُحَدِّثُكـم حَقًّـا
أُحبّكُم مـنْ حُبِّهَـا وَأَرَاكُـم ... تَقُولُونَ لِي مُتْ يَا شَجَاع بِهَا عشْقا
فَلَمْ تُنْصِفُوني لاَ ولاَ هِيَ أَنْصَفَتْ ... فَرِفْقًا رُوَيْدًا وَيْحَكُمْ بالْفَتَى رفْقَـا[1]

فلما صح ذلك عند أهله وعلموا أنه عاشق جعلوا يسألونه عن أمره فكان لا يجيبهم.

وكتمت العجوز قصته[2]، فأخذوه وحبسوه في بيت فكان إذا جنه الليل قال:

يَـا لَـيْلُ أَنْـتَ رَفِـيْقِي ... مِـنْ بَـيْنِ أَهْلِـي وَمَـالِي
يـا لَـيْلُ أَنْـتَ أَنِيْسِـي ... مِـنْ وَحْشَـتِي وَاحْتِـيَالِي
يَـا لَـيْلُ إنْ شَـكَانِي ... إلَـيْكَ طُـولَ اشْـتِغَالِي
بمَـنْ بَـرَتْ جِسْـم صُـبٍّ ... فَصَـارَ مِـثْلَ الخِـلاَلِ
فَالْجِسْـمُ مِـنِّي نَحِـيْلٌ ... لَـمْ يَـبْقَ إلاّ خَـيَالِي
[١٥٢/ب]وَالشَّوْقُ قَدْ شَفَّ جِسْمِي ... وَلَـيْس لِـي خَلْـقٌ قَـبالِي
وَلَـوْ رَآنِـي عَزُولِـي لَـرَقَّ ... لِـي وَرَثَـا لِحَالِـي

فلم يزل به يتردى حتى مات رحمه الله تعالى.

وقوله يا شجاع: يحتمل أن يكون صفة، ويحتمل أن يكون اسمه، وهو إلى الصفة، لما كان به من الشوق، والله أعلم.

١٦٠- شهيد

[الشاب الباكي على سلمى عند متغاطس الصبيان]

ذكر أبوالفرج الأصبهاني في تاريخه الكبير عن يونس الكاتب قال: كنا متنزهين إلى الفَنِيْق[3] أنا وجماعة من قريش فبينا نحن على ذلك إذ أقبل ابن عائشة المثنى، ومعه غلام

(١) وكذا وافقت هذه المرأة الصالحة رجلاً كتومًا كتم اسمها حتى لا تتهم بما هي منه براء، وما ذلك إلا لدفاع الله تعالى عنها.

(٢) وكذا رزقها بتلك العجوز التي لم تبح بسر هذا الفتى حتى ينكتم معه سر تلك العابدة، ولم نعرف سر عرف به أكثر من اثنين ظل سرًا، ولهذا قالوا: السر إن زاد عن اثنين فشا. ولقد وفق الله تعالى الفتى إلى أن يختار من بين أهله امرأة ذات حكمة وحسن رأي إذ لم توفق في مهمتها فكتمتها عليه وعليها، وما باحت بها قط، فمشاورة الحكيم نور وهدى وفلاح وصلاح وحسن تدبير، ومشاورة الأحمق على الضد من ذلك.

(٣) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: الفنيق: بالفتح، ثم الكسر، وياء، وآخره قاف، وأصله:

من بني ليث.

وهو متوكئ به على يده، فلما رأى جماعتنا وسمعني أغني، جاء وسلم وجلس.

فقلت: حدثني بعض العرب حديثًا يأكل الأحاديث[1]، فإن شئتم حدثتكم به.

قالوا: هات.

فقلت: حدثني أنه مَرَّ بناحية الربذة، فإذا صبيان يتغاطسون في غدير، وإذا شاب منهوك الجسم عليه أثر العلة والنحول في جسمه، وهو جالس ينظر إليهم.

فسلمت عليه. فرد عليّ السلام، فقال: من أين وضح الراكب[2]؟

فقلت: من الحِمى.

قال: ومتى كان به.

قلت: رائحًا.

قال: وأين كان مبيتك؟

قال: ببني فلان.

قال: أوه، وألقى على ظهره، وتنفس الصعداء.

قلت: إنه أحرق حجاب نفسه، ثم أنشأ يقول:

سَقَى بَلَدًا أَمْسَتْ سُلِيمَى تَحلّهَا ... مِنَ الْمزِنِ مَا تَروَى به وَتطَيبُ

وَإنْ لَمْ أكُنْ مِنْ قَاطنيْه فَإنَه يَحلُ به شَخْصٌ عَلَيّ حَبيْبُ

أَلاَ حَبَّذَا مَن لَيْسَ بَعْدكِ قُرْبَة ... لَدَىّ وَإنْ شَطَّ المَزَارُ قَريْبُ

=

الجمال الفحل: اسم موضع قرب المدينة.

(١) يريد يطغى على كل الأحاديث أو يغلب على كل الأحاديث، أو يطغى على كل الأحاديث لما فيه من الغرابة أو الطرافة التي لم يعهدها السامع أو السامعون. وهو أسلوب للتشويق واسترعاء انتباه المتحدث إليهم حتى لا يشرد ذهن أحدهم آملاً أن يعرف سر ذلك الخبر أو تلك الحكاية المشوق إليها من القاص.

وهو أسلوب يبرع فيه المدرسون والخطباء والبلغاء، وهو إثارة فضول حب المعرفة عند المتلقي.

(٢) قال ابن منظور في لسان العرب: في مادة وضح. قال: أبو زيد من أين وضح الراكب؟ أي من أين بدا.

وقال غيره: من أين أوضح، بالألف.

قال ابن سيدة: وضح الراكب: أي طلع. ومن أين أوضحت؟ أي من أين خرجت (عن ابن الأعرابي).

وفي التهذيب: من أين أوضح الراكب؟ ومن أين أوضح؟ ومن أين بدا وضحك؟ وأوضحت قومًا: أي رأيتهم. ... ووضح الطريق محجته ووسطه.

[١٥٣/أ] ثم سكن المغتمى عليه فصحت بالأصبية فأتوا بماء فصببته على وجهه فأفاق، وأنشأ يقول:

إذَا الصَّبُّ الغَرِيْب رَأَى خُضُوعِي وَأَنْفَاسِي تَزَيَـنُ بالخُشُـوْعِ
وَلِي عَيْـنٌ أضربَهـا التَفَانـي إلَى الأجْزَاعِ مُطْلَقَة الدُّمُوعِ
إلَى الخُلُوَات يَأنسُ فِيْـكَ قَلْبِـي كَمَا أنسَ الغَرِيْبُ إلَى الجَمِيْعِ

فقلت: ألا أنزل فأسعدك وأكرر عودي إلى الحمى[1] إن كانت لك به حاجة أو رسالة؟

فقال: جزيت خيرًا، وصحبتك العافية والسلام. لو أعلم أنك تغني عنّي شيئًا لكنت موضعًا للرغبة وحقيقًا بالإسعاف في الميلة.

فانصرفت عنه، وأنا لا أراه يبقى حيًّا ومات من ليلته رحمه الله.

١٦١- قتيـل

[الرجل الذي مات بالمدينة حزنًا على ابنه]

ذكر النوقاني في كتاب المحبة عن يحيى بن سعيد الأنصاري رحمه الله : أن رجلاً دخل المدينة في الجاهلية ، ومعه ابن يقال له حبال، فأصابه وباؤها[2] فمات. فقال أبوه يرثيه:

وَلَوْلاَ حبَالُ لَمْ تُنخْ بِي مَطِيَّتِي بأَرْضٍ بهَا حُمَّى شَدِيْدٌ وَصَالِبِ
وَلَمْ أرِدَنَّ يَوْمًا مِيَاهًا مُخَوَّفَة أَلاَ حَبَّذَا هُوَ مِنْ خَلِيْلٍ وصاحبِ

ثم اضطجع إلى جنبه ومات رحمه الله[3] .

---

(١) قال ياقوت في معجم البلدان: الحِمَى: بالكسر والقصر، وأصله في اللغة: الموضع فيه الكلأ، يحمى من الناس أن يرعوه أي يمنعوهم ....
قال الأصمعي: الحمى حميان: حمى ضرية، وحمى الرَّبذة.
قال ياقوت: ووجدت أنا: حمى فيد، وحمى النير، وحمى ذي الشرى، وحمى النقيع.
فأما حمى ضرية: فهو أشهرها وأسيرها ذكرًا. ثم ذهب يذكرها حمىً حمىً فيذكر كل حمى وينسبه إلى موضعه وما فيه، وما هو قريب منه وما قيل فيه من شعر وما إلى ذلك من وسائل الأخبار والتعريف والذكر.

(٢) كذا أشيع عن المدينة قديمًا حتى حينما دخلها المسلمون وأصابتهم الحمى قيل أصابتهم حمّى يثرب، وربما كان لذلك سببٌ طبيٌّ في وقت ما، ثم تلاشى ذلك السبب إلا أنه ظل لفترة طويلة لصيقة بها هذه الصفة غير أنها الآن يدخلها الآلاف ويخرجون معافين والحمد لله أولاً وآخرًا.

(٣) كذا قال، ولا أدري لِمَ ترحم عليه في حين أنه من أهل الجاهلية و لم يبد منه ما يفيد التوحيد.

١٦٢- قتيـــل

[حمار خيبر الذي يُدَّعَى انتحاره][(١)]

ذكر جماعة من أهل السير من حديث عبد الله بن حبيب الهذلي عن أبي عبدالرحمن السلمي عن أبي منظور، وكانت له صحبه: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما افتتح خيبر، وجد بها حمارًا أسود، فكلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ((**ما اسمك؟**)) .

فقال: يزيد بن شهاب [١٥٣/ب]أخرج الله من نسل جدي ستين حمارًا، كلهم لم يركبه إلا نبي، ولم يبق من نسل جدي غيري، ولا من الأنبياء عليهم السلام أحد غيرك، وأنا أتوقعك أن تركبني، وكنت قبلك لرجل من اليهود، فكنت أعثر به عمدًا، فكان يجيع بطني، ويضرب ظهري.

فقال له النبي عليه الصلاة والسلام: ((**أتشتهي الأتان**))؟ قال: لا

فكان النبي صلى الله عليه وسلم يركبه في جميع حوائجه، وإذا نزل عنه بعث به في حاجته، فيأتي باب الرجل، فيدفعه برأسه.

فإذا خرج صاحب الدار عرفه وأتى النبي صلى الله عليه وسلم .

فلما قبض النبي صلى الله عليه وسلم، جاء إلى بئر كانت لأبي الهيثم بن النبهان فتردى فيها جزعًا على النبي صلى الله عليه وسلم، فصارت قبره.

---

(١) هذا الخبر ونظائره من أخبار عن كلام العزالة، وشكوى الجمل وما إلى ذلك من الأخبار التي تنسب زورًا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو منها براء إنما يراد بها إظهار الإسلام على أنه دين خرافات ودروشة وبلاهة وقد ذكر ابن حجر هذا الحديث إشارة في الإصابة عند ذكره لترجمة أبي منظور هذا في (١٨٢/٧) فقال : جاء ذكره في خبر واه أورده أبوموسى من طريق أبي حذيفة عبدالله السلمي عن أبي منظور قال: لما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم أظنه خيبر أصاب حمارًا أسود فكلمه فتكلم، فقال له: ((**ما اسمك؟**)) قال: يزيد بن شهاب، فذكر الحديث بطوله، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماه يعفور.

قال أبوموسى بعد تخريجه: هذا حديث منكر جدًا إسنادًا ومتنًا لا أحل لأحد أن يرويه عني إلاّ مع كلامي عليه، وهو في كتاب بركة النبي صلى الله عليه وسلم تخريج أبي طاهر المخلص.

قلت: وقد ترجمت لأبي منظور وذكرت حديثه هذا في كتابي: "هدى القاصد إلى أحاديث أصحاب الحديث الواحد" في الكنى. وهو كتاب مطبوع جمعت فيه الصحابة أصحاب الحديث الواحد ، وترجمت لهم مع ذكر حديث كل صاحبي منهم ، وقد قدمت له بمقدمة هامة يرجى ممن له اشتغال بالحديث الاطلاع عليها لا تزكيه لنفسي ولكن لما فيها من أهمية عدد من ذكرهم ابن حزم وعدد من ذكرتهم حيث إن الفارق كبير جدًا على غير ما يتوقع أي أحد ممن له اشتغال بهذا الفن من العلوم.

ولما ذكره ابن حبان في كتاب الضعفاء رده بمحمد بن يزيد أبي جعفر مولى بني هاشم.

١٦٣- شهيد
[أبو يزيد الحمال والموت في سبيل الله]

وقال: رأيت في الكتبيين[١] غير مرة بعيد الزلزلة شيخًا مغربيًا فيه وَلَهٌ، يكنى أبا يزيد، يحمل على ظهره الخضر من بابي زويلة[٢]، وكان يأتي الكتبيين فيما يزعم ليستكتب شعرًا يقوله ليس موزونا ولا معنى له ملخصه: أن حاكمًا من حكامهم أخذ مالا كان والده خلفه، وحصَّل من الأوراق المكتتب فيها هذا الشعر شيئًا كثيرًا جدًا فيما يقال.

وأنه جاء يومًا والمحدث في الليل يقرأ سيرة البطّال، فاستمع إليه، فذكر المحدث جماعة قتلوا في المعركة فقال أبويزيد: يا مولاي كيف مات هؤلاء؟

قال له: ماتوا في سبيل الله تعالى.

فقال: أمولاي، وأنا الآخر أموت في سبيل الله؟ فقال المحدث: افعل.

قال: فتمدد إلى جانب الحلقة على دُكان[٣] فحسبوه يتولّه، فإذا هو ميت.

واشتهر هذا وحكاه لي غير واحد[١٥٤/أ] ممن شاهده[٤].

١٦٤- شهيد
[شاعر المدينة الذي عشق جارية]

ذكر أبو عبدالله محمد بن محمد التميمي في كتاب امتزاج النفوس وائتلاف الأرواح والقلوب: أن بعض شعراء المدينة عشق جارية فقال فيها:

أَلاَ يَا عبَادَ الله هَـذَا أَخُوكُـمْ ... قَتِيْلٌ فَمَنْ منكُمْ به اليَـوْم ثَائـرُ
خُذُوا بِدَمِي إنْ متُّ كُلّ خَرِيْدَة ... مَرِيْضَة جَفْن العَيْنَ وَاللَّحْظ سَاحِرُ

ثم مات.

(١) الكتبيين: مكان قديم بالقاهرة ما زال قائما حتى الآن وبه عدد من المكتبات القديمة بناحية الأزهر.

(٢) وباب زويلة باب أثري ما زال قائمًا حتى الآن بالقاهرة وكان باب دخول وخروج القاهرة الفاطمية من ناحية الجنوب ، وهو باب ضخم جدًا يزوره السواح من شتى بقاع الأرض ويلتقطون له الصور التذكارية، ويقوم الدارسون لفن العمارة بزيارته من كل أنحاء العالم لما فيه من فن العمارة المدنية والحربية في آن واحد.

(٣) الدكان هو المكان المرتفع عن الأرض كالمسمى في ريف مصر بالمصطبة أو الدكة من الطين.

(٤) سبق أن تكلمت عن مثل تلك المواقف وفي ذلك مبالغة كبيرة.

١٦٥- شهيد

[عبدالله بن مسلم، والمرأة الحسناء العينين]

ذكر النوقاني في كتاب المحبة معنى هذا البيت عن محمد بن عبدالله بن مسلم بن جندب قال: خرجت مع أبي نريد العقيق[١]، فلقينا نسوة منهن امرأة حسَّانة العينين.

فلما أبصرها أبي صرخ وقال هذين البيتين.

فقالت المرأة: يا ابن مسلم، اغتنم نفسك، واحتسب أباك، فإن قتيلنا لا يودى، وأسيرنا لا يفدى.

❁ ❁ ❁

١٦٦- شهيد

[الذي تذكر محبوبته حتى عند القتل]

وذكر أيضًا عن أبي الحسن أحمد بن الموفق قال: قرأت على حائط قبر مكتوب عليه:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالسِّيَاطُ تَلُفُّنِي[٢] عِنْدَ الأَمِيرِ وَسَاعِدِي مَغْلُولُ
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكِ وَالَّذِي أَنَا عَبْدَهُ وَالسَّيْفُ فَوْقَ ذُؤَابَتِي مَسْلُولُ

وإذا تحته: هذا قبر عاشق مقتول[٣].

---

(١) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان عن العقيق بعد كلام عن تعريفه لغويًا وعدده: قال السكوني: .... ومنها عقيق بناحية المدينة، وفيه عيون ونخيل. وقال غيره: هما عقيقان: الأكبر، وهو مما يلي الحرة ما بين أرض عروة بن الزبير إلى قصر المراجل، ومما يلي الحمى ما بين قصور عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن عبدالله بن عمرو بن عثمان إلى قصر المراجل.
ثم اذهب بالعقيق صُعُدًا إلى منتهى البقيع.
والعقيق الأصغر: ما سفل عن قصر المراجل إلى منتهى العَرْصَة.

(٢) في مصارع العشق (١٠٨/١): تنوشني.

(٣) ذكر هذا الشعر في قصة في مصارع العشاق (١٠٧/١) تحت عنوان: الغلام وجارية المهدي.
ولم يذكر في القصة أن البيتين قد كتبا على القبر.

[خاتمـــة][(١)]

فهذا حفظ الله مَنْ ذكر حبيبته وقد أيقنَ بالقتل وآيس من الظفر بالوصل ، وذلك حين فنى عن الوجود، وغاب عن المشهود، غير أن من قام يشاهد الاتصال فنى عن أن يخطر له غير المحبوب ببال.

تذكرينهم كل خير رأيته وشر فما انفك منهم على ذكر

على أن قومًا من المتيمين عابوا ذكر الخلاَّن لأنه ذكر عن نسيان.

وقوم عابوه [١٥٤/ب] بأنه واسطة تحجب عن نظر العيان.

ولعسري إنه معيب إذ كان عن نسيان الحبيب.

فأما إذا كان عن ذكر في ذكر من ذكر فبأنه الغني[(٢)] عن غير المذكور بالذكر. فأما ما يعيب به الذكر فإنه عن اشتغال من الفكر.

كما قال العماني:

اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَسْتُ أَذْكُرُهُ وَكَيْفَ يَذْكُرُهُ مَنْ لَيْسَ يَنْسَاهُ

فَإِنَّ قَلْبِي مَعْقُودٌ بِنَاظِــرِه وَإِنْ تَبَاعَدَ عَنْ مَثْوَايَ مَثْــوَاهُ

وفي مثل هذا يقول الشِّبْلِيُّ[(٣)] رحمه الله تعالى:

عَجِبْتُ لِمَنْ يَقُولُ ذَكَرْتُ إِلْفِي وَهَلْ أَنْسَى فَأَذْكُرُ مَنْ هَوَيْتُ

---

(١) زيادة من عمل المحقق غفر الله له، وهي وإن كان يجب تأخيرها قليلاً عن موضعها إلا أنني رأيت أن هذا الموضع هو أنسب مواضعها تقريبًا للفصل بين التراجم ونهاية الكتاب حيث أنهى المؤلف رحمنا الله وإياه التراجم بأسلوب غير مباشر بل أنهاه بأسلوب تعليقي لا على الكتاب ككل بل بتعليق مرتبط بالترجمة الأخيرة رابطًا به تعليقه على موضوع الكتاب ، وكما هي عادته في مقدمة الكتاب حيث أطال المقدمة إطالة غير معهودة، ختم الكتاب بتعليق طويل ذكر فيه بعضًا من أوصاف وأسباب العشق وأقوال أهل الكلام فيه وأهل الشرع والحكمة والخبرة.

(٢) في المخطوط فبانه الفنا.

(٣) أحد مشاهير الوصفية، ويقال اسمه: دلف بن جحدر. وقيل: جعفر بن يونس. وقيل: جعفر بن دلف. أبوبكر البغدادي التبلي. ولد بسامراء، وأصله من قرية الشبلية.

من مصادر ترجمته: طبقات الصوفية (٣٣٧)، حلية الأولياء (٣٦٦/١٠)، تاريخ بغداد (١٤/ ٣٨٩)، الرسالة القشيرية (٣٥)، طبقات الأولياء (٢٠٤)، سير أعلام النبلاء (٣٦٧/١٥)، البداية والنهاية (٢١٥/١١)، شذرات الذهب (٣٣٨/٢)، الديباج المذهب (١١٦)، وفيات الأعيان (٢/ ٢٧٣)، العبر (٢٤٠/٢)، وغير ذلك كثير.

ومما قال الذهبي في ترجمته في سير أعلام النبلاء: كان فقيهًا عارفًا بمذهب مالك وكتب الحديث عن طائفة، وقال الشعر، وله ألفاظ وحكم وحال وتمكن، ولكنه كان يحصل له جفاف دماغ وسكر، فيقول أشياء يُعتَذَرُ عنها فيها بأوٌ (أي فخر، وكبر) لا تكون قدوة.

وقال الحسن بن علبك النحوي:

كُلُّ المُحبِّينَ قَدْ ذَمُّوا النَّهَارَ وَقَدْ   قَالُوا بأَجْمَعِهِمْ طُوْبَى لمَنْ رَقَدُوا
تَغِيْبُ فلاَ تُذْكَرُ لأَنَّكَ شَاهِدٌ   وَيَذْكُرُ مَنْ يَنْسَى وَأَنْتَ قَرِيْبُ
وَتَخْفَى عَنِ اللَّحْظِ المُعَذَّبِ فِي الهَوَى   فَيَبْقَى فُؤَادِي فِي هَوَاكَ غَرِيْبُ

وهذا لعمري ما ذكروه من حيث وصفوه إذا كان ذكر حال بعد حال مقرونًا بانفصال.

فأما إذا كان ذكرا عن ذكر موصولاً بذكر ، فذاك فناء عن النسيان واتصال بغير عان.

مَا لأَنِّي أَنْسَاكَ أُكْثِرُ ذِكْرَاكَ   وَلَكِنْ بذَاكَ يَجْرِي لِسَانِي
أَنْتَ فِي القَلْبِ وَالجَوَارِحِ وَالفكْرِ   وَأَنْتَ المُنَى وَكُلُّ الأَمَانِي

فهذا قد فنيت نفسه عن الذكر، وسكن لسانه عن النطق بالذكر، ففني عن اللسان واتصل بشاهد العيان، فصار ذكره من غير انقطاع من الذكر ولسانه عن حصول من الذكر، فبلغ حَدَّ التمام، وانقطع عنه [١٥٥/أ] العتب والملام.

فقد جلونا عليك عرائس في الميدان زهر مشهرة الأوصاف، ودقائق غير محجلة الأطراف ، حلت البلاغة بها[1]، وألقت عليها رداء، وأبرزتها من مذهب الملابس، في أنفس النفائس، كأنما تحملت لوفد، أو كانت من الحبيب على وعد، فحلت أرق من نسيم الصَّبَا، وأشرقت من عهود الصِّبَا، وألطف من دمع من أحب، وأظرف من شكوى الصَّبِّ، في ألفاظ قريبة المسالك، ومعان بعيدة المدارك.

يَتَحَيَّرُ الشُّعَرَاءُ أَنْ سَمِعُوا بِهِ   فِي حُسْنِ صَنْعَتِهِ وَفِي تَأْلِيفِهِ
فَكَأَنَّهُ فِي قُرْبِهِ مِنْ فَهْمِهِمْ   وَنُكُولِهِمْ فِي العَجْزِ عَنْ تَرْصِيْفِهِ
سِحْرٌ بَدَا للْعَيْنِ حُسْنُ نَبَاتِهِ   وَنَأَى عَنِ الأَيْدِي جَنِي قُطُوفِهِ
أُبَرِزْتَ فِي السِّحرِ فِي أَزْيَنِ حُلَلِهِ وَجَلِيْلِهِ   وَجَلَوتَ الزَّهْرَ فِي أَحْسَنِ وَسْمِهِ وَوَلِيهِ
فَرَغْنَا مِنْ تَخَيُّرِهِ عَشِيًّا   وَكَانَ اللهُ لِي عَوْنًا وَلِيًّا
فَأَحْمَدُهُ وَبَعْدُ عَلَى نَبِيٍّ   أُصَلِّي فِي شَفَاعَتِهِ رَجِيًّا
وَسَمَّيْتُ الكِتَابَ شَهِيْدُ عِشْقٍ   وَلَمْ يَذْكُرْ لَهُ قَبْلِي سَمِيًّا
وَفِيْهِ طَرَائِفُ مِنْ كُلِّ فَنٍّ   يُدَاوِي ذِكْرُهُ قَلْبًا دَوِيًّا
بَسَاتِيْنٌ لأَهْلِ العِشْقِ جُمٌّ   إِذَا رَتَعُوا بِهَا رُطَبًا جَنِيًّا

(١) في المخطوط: بهاها . والهاء ألف الأخيرة زائدة سهوًا فحذفتها.

وَمَـــيْدَانٌ يُذيْـــقُ العَارِفيْـــنَا   إذَا طَـــرِبُوا بهَـــا شَـــهْدًا طَـــرِيًّا
فَـــأعْطَى ذُو الجَـــلالِ لكَاتبِـــيْه   وَمُسْـــتَمعيْه فِردوسَـــا عَلِـــيًّا
وَأكْرَمَ مَنْ دَعَـــا حيْـــنَ اقْتَـــرَاهُ   لِوَاضِعِـــهِ وَصَيِّـــرَهُ زَكيًّـــا

[١٥٥/ب] وهنا انتهى بنا الكلام والصلاة والسلام على محمد سيد الأنام، وعلى آله وصحبه الأعلام، مدى الدهور والأيام.

انتهى على عجل وهو بعض من كل.

آخر الجزء الخامس

من الواضح المبين في ذكر
من استشهد من المحبين
وبتمامه تم الكتاب
وقع الفراغ من كتابته في الرابع والعشرين
من ذي القعدة الحرام سنة
ثلاث وسبعين وثمانمائة
على يد محمد بن علي
ابن سودون
الإبراهيمي
الحنفي عامله
الله بلطفه
آمين

وإن تجد عيبًا فسد الخللا   فجل من لا عيب فيه وعلا

[متعلقات بآخر الكتاب](١)

[١٥٦/أ] أحمد الله العظيم الشان، ذو العز والقدرة والسلطان.

مصليًا مسلمًا مُبَجّلا على النبي المصطفى المفضلا.

من نعم الله على الفقير العبد عبدالقادر الحريري بن محمد بن عبدالقادر، كان لذنبه الكريم غافرا . الحنبلي المذهب الأنصاري، وقاه مولاه عذاب النار أيضًا.

كتبه رابع عشر ذي الحجة الشهر العظيم ذي السنا والعجة في عام خمس وثلاثين وتسمعائة هجرية فاقتبس.

والحمد لله على ما أولى فنعم المولى، ونعم المولى .

[حكاية](٢)

حكي أنه كان في دار المقتدر بالله بن المعتضد بالله الخليفة أحد عشر ألف خادم خصي غير الصقالبة، والزنوج، والسودان.

وكانت جواهر الأكاسرة وغيرهم من الملوك قد صارت إلى بني أمية، ثم صارت إلى المهدي، واشترى المهدي الحجر المعروف بالجبل، بثلاثمائة ألف دينار.

و لم يزل الخلفاء يحفظون ذلك إلى أن آلت الخلافة إلى المقتدر بالله، وعنده الدرة اليتيمة فيها ثلاث مثاقيل(٣).

الحمد لله وحده

من كتب أفقر العباد ......

.... عفى عنهما بمنه وكرمه(٤).

---

(١) جاء بآخر الكتاب تلك المتعلقات التي كانت لبعض ملاّكه تقريبًا والله أعلم، رأيت من الواجب إلحاقها بموضعها إتمامًا للفائدة ولمن يهمه الأمر، وهي ليست من أصل الكتاب في شيء.
وقد جاء بأعلى يسار الصفحة كلمات مقطعة تفيد التملك لبعض مُلاّكه هذا نص ما ظهر منها:
... و كتب الفقير ... بن عثمان ... فقير الكريم.
ثم تحتها توقيع داخل رسم مخروطي الشكل أفقي على السطر.

(٢) وكذلك ألحق بما سلف تلك الحكاية فجعلتها تحت ذلك العنوان للفصل والتوضيح.

(٣) إلى هنا انتهت الحكاية.

(٤) هذه العبارة كتبت في الأصل بخط كبير بالمداد الأحمر، وموضع النقط غير ظاهر بالمخطوط وص [١٥٦/ب] بيضاء بالأصل.

[١٥٧/أ] سـؤال

مَا حِيْلَةُ المَرْءِ وَالأَقْدَارُ جَارِيَةٌ فِي كُلِّ حَالٍ أَيُّهَا الرَّدَى
أَلْقَاهُ فِي اليَمِّ وَقَـالَ إِيَّـاكَ إِيَّاكَ أَنْ تُبْتَـلَّ بالْمَـاءِ

جـوابـه

إنْ مَسَّهُ اللُّطْفُ لَمْ يَمْسَسْهُ مِنْ بَلَلٍ وَلَمْ يُضَرُّ بتَكْتِيْفٍ وَإِلْقاءِ
وَإِنْ يَكُنْ قَدَّرَ المَوْلَى بِهَلَكَتِـهِ فَهُوَ الغَرِيْقُ وَلَوْ أُلْقِي بِصَحْرَاءِ

[تملك][1]

طالعه وتملكه .... على الشربجي سنة ٨٨٠هـ.

[تهديد وتحذير وتخويف][2]

ما يستعير كتابي ثم يمسكه إلا ابن ... ومن صلب قرصان.

(١) جاء التملك والتحذير بخط كبير في أسلوب كتابته كبر أو غطرسة بادية من طريقه الكتابة وكلها بالمداد الأحمر وحذفت كلمة نابية مستقبحة ووضعت مكانها نقط حتى لا أختم الكتاب بمثل هذا قال محققه: سيد بن كسروي بن حسن . كان إلى هنا التمام وأسأل الله حسن الختام.

(٢) انظر التعليق السابق.

فهرس المحتويات

الجزء الثاني منه

باب الألف

بـــاب البـــاء

بـــاب التّـــاء

بـــاب الثـــاء

بـــاب الجيـــم

الجزء الثالث من الواضح المبين

باب الحاء

بـــاب السيــــن

بـــاب الشيــــن المعجمــــة

باب الصاد المهملة

بـــاب الطـــاء

بـــاب العيـــن

الجـــزء الرابـــع من الواضح المبين

فيمن استشهد من المحبين

باب الفاء

بـــاب القـــاف

بـــاب الكـــاف

بـــاب الميـــم

باب النُّون

الجـــزء الخامـــس
من الواضح المبين في ذكر من استشهد
من المحبين
بـــاب الهـــاء

بـــاب اليـــاء